



مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَرْشِدِنَا

شَرْحُ

مَقْصُورَاتِ ابْنِ دُرَيْدٍ

بجامعه وكاتبه

عبد القادر بن محمد المبارك الحسني الجزائري

عفا الله عنه

تخصيص

إلديكهنزة إبراهيم عبد الله

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

شرح

مقصورة ابن دريد



مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَشْقَى

كُلُّ الْحَقِّ
مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م





مَطْبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

شرح مقصورة ابن دريد

بجامعه وكاتبه

الشيخ عبد القادر المبارك الحنفي الجزائري

عفا الله عنه

تحقيق

الدكتور إبراهيم عبيد الله

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

فهرس المحتويات

الصفحة

- ٧ تقديم -
- ١١ كلمة لا بد منها -
- ١٥ الشيخ عبد القادر المبارك -
- ٢١ تصدير المحقق -
- ٢٣ ابن دريد - صاحب المقصورة -
- ٢٧ مطلع المقصورة وعدة أبياتها -
- ٢٨ المصنفات التي صنفت حول المقصورة -
- ٣٧ منهج الشرح -
- ٤٨ مصادر الشرح -
- ٤٩ منهج التحقيق -
- ٥٥ مقصورة ابن دريد -
- ٦٧ شرح مقصورة ابن دريد -



تقديم

إنها لفرصة نادرة أن يتسنى لمجمع اللغة العربية نشر عملٍ من أعمال أعضائه المؤسسين لم يسبق لجمهوره الاطلاع عليه.

وإن تقديم شرح الشيخ عبد القادر المبارك رحمه الله لمقصورة ابن دريد ليس المقام للتعريف بالشيخ، فقد كان شهاباً تألق في أفق المجمع العلمي منذ تأسيسه بعد انقراط عقد الدولة العثمانية، بل نكتفي بذكر مولده في دمشق سنة ١٨٧٦ في ذُرا والدٍ عالمٍ من علماء دمشق ينتهي نسبه إلى الحسن، وهو سليل أسرة جزائرية، إذ هاجر جده إلى دمشق.

لقد كان الشيخ عبد القادر المبارك فرداً من ذلك الجيل الذي استهوتته اللغة العربية فأكبَّ على دراستها بشغف وتعمق، حتى غدا أحد أعلامها وأئمتها فتولَّى تعليمها في مدارس دمشق بعد أن عادت العربية لغة التعليم على جميع المستويات في سورية.

وكان الشيخ المبارك من مؤسسي المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩، وبذلك ساهم مساهمةً كبرى في حركة التعريب التي أطلقها المجمع لاستبعاد الألفاظ الأعجمية من اللغة، واقترح البدائل لها، لتستقيم اللغة العربية لغةً فصيحة لا تشوبها شوائب الألفاظ الغريبة.

ولقد أحبَّ جيل الشيخ المبارك العُوص في بحر العربية الواسع ساعياً إلى الإحاطة بأهم مصادرها، وهي كتب السيرة النبوية وكتب التراث اللغوي، فكان الشيخ المبارك ينهل من ينابيعها ويُفيد من ركائزها، ليخرج بالبحوث والمقالات التي تُعيد اللغة العربية إلى وجدان أبنائها بعد أفول شمسها في ظلِّ حكم غير عربي.

وإلى جانب تمكنه من علوم اللغة فقد عُرف للشيخ المبارك شعراً كان ينظمه في المناسبات ولعل حسه الشعري الذي كان الدافع لاحتفائه بمقصورة ابن دريد منذ صغره، جعله يجيئها إلى طلابه، وجعل والده يوصيه، تأكيداً لما رآه من تعلقه بذلك الأثر الشعري النفيس، أن يُخرج للمقصورة شرحاً لغوياً وافيةً يُجزّي القارئ ويكفيه مؤونة البحث والرجوع إلى كتب اللغة لاستعلام معاني مفرداتها.

والمقصورة هذه نوع شعري روي كل بيت فيها ألف مقصورة، ويبلغ عدد أبياتها ٢٥٠ بيتاً وقد أملاها ابن دريد سنة ٢٩٧ وعمره إذ ذاك أربع وسبعون سنة، وقد اشتهرت لما فيها من فنّ وافتدّار وتسجيل لحوادث التاريخ والحكم والأمثال، وأثارت ضجة صاحبة حول اسمه فرفعته إلى مصافّ الشعراء الكبار، حتى قال الأسدي^(*): «إن أبا بكر ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء».

وأن يتوقّ الشيخ عبد القادر المبارك إلى شرح المقصورة التي كان قد بلغ عدد شروحها قرابة الأربعين دليل على تمكنه من أزمّة اللغة ليكون في مقدوره شرح عمل مشهور لمثل ابن دريد الذي اجتازت أعماله الحقب والقرون، وبقيت مراجع مرموقة ومستنداً للباحثين، وعلى رأسها كل من كتابي الاشتقاق وجمهرة اللغة.

فقد عكف على دراسة الشروح السابقة التي تسنى له الوقوف عليها لكشف ما فيها من هنات والتأكد من انطباق التفسير على حقيقة المعاني الواردة في المقصورة، معتمداً ألفته للمصنفات اللغوية التراثية كالقاموس والتاج واللسان، مستنداً إلى ذائقته المصقولة من انغماسه في الدراسات اللغوية والمقرونة بحسّ لغوي مرهف.

وهكذا فقد أتحفنا الشيخ عبد القادر المبارك رحمه الله بعمل أصيل سبر فيه أغوار اللغة مبيناً الفروق بين المفردات، مفسراً مقاييس الألفاظ، مُصححاً نسبة الأشعار إلى

(*) محمد بن رزق الأسدي: نزهة الألباء لابن الأنباري - القاهرة ١٢٩٤ - ص ٣٢٣.

أصحابها، متمثلاً بالمعاني القرآنية وتفسيرها، مستقيماً الشواهد من أمهات الكتب.
لقد أجاب الشيخ المبارك عن كل التساؤلات التي قد تعرض لقارئ المقصورة،
وسد ما كان في شروحها السابقة من ثغرات، وقد أضفى على شروح ابن هشام وابن
خالويه وغيرهما إضاءات جديدة مستخلصة من أوسع المصادر، وذلك كله نتيجة جهد قل
نظيره في أيامنا.

ولاشك بأن القارئ سوف يجد هذا السفر النفيس حاوياً على فوائد لغوية جمّة،
ويُعجب بعبقرية ابن دريد وغازة علمه، ومقدرته على حيك عناصر هذه المقصورة وانتقاء
قوافيها، وسوف يُكبر سعة اطلاع الشيخ عبد القادر المبارك رحمه الله على كنوز الألفاظ
والمعاني في لغتنا العريقة، ويؤكد فضله في شرح هذا الأثر التراثي.

إن هذا مما دفع مجمع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف لجنة من أعضائه تنظر في إنتاج
المجمعين الأوائل سعياً إلى طباعته إضافة إلى تأليف كتب عن أولئك الأفاضل اعترافاً
بفضلهم وتكريماً لما أسدوه من مجهودات في خدمة اللغة العربية.

وقد رأى المجمع أن يكلف الدكتور إبراهيم محمد عبد الله تحقيق هذا السفر إحياءً
لصاحبه وخدمة للعربية. فقام بما أوكل إليه خير قيام واستحق شكر المجمع وشكر محبي
العربية لإحيائه هذا الأثر الغني الذي طال انتظاره.

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

أ.د. مَرْوَانُ الْحِجَاسِي

كَلِمَاتٌ لِأَبِيكَ مِنْهَا

الحمد لله الذي بفضلِهِ تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وبعد،

فهذا شرح على المقصورة الدرديدية وضعه الشيخ عبد القادر المبارك المتوفى سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، ينشر اليوم أول مرة، وقد مضى على وفاة صاحبه أربع وخمسون سنة! وهو زمن ليس بالقصير، ومن حق القارئ أن يعرف السبب في انقضاء أكثر من نصف قرن ما بين وضعه وطبعه.

لقد كانت الوصيَّة التي أوصى بها الشيخ محمد المبارك ابنه عبد القادر أن ينصرف إلى دراسة اللغة العربية وإتقانها، وأن يعنى بمقامات الحريري ومقصورة ابن دريد، وأن يتولَّى شرح المقصورة شرحاً لغوياً يستغني به قارئه عن غيره.

وقام الابن بما أوصاه به والده وشيخه وأستاذه ومرشده الشيخ محمد المبارك المتوفى سنة ١٩١٢م، ووضع شرحاً على مقصورة ابن دريد استغرق مجلدين، كنت أراها في مكتبته وأقلب أوراقها؛ إنها مكتوبان بالمداد الأزرق بخط الشيخ، وهو خط جميل واضح منقوط على خلاف العادة، والشعر فيهما متميز من المتن بالأرقام المتسلسلة وبلون المداد الأحمر.

ويُتوفى الشيخ ويبقى المجلدان في مكتبته حتى يستعيرهما الدكتور منير العجلاني الذي حلَّ محلَّ الشيخ المبارك في المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية»، ويكلّف

الحديث عن سلفه في حفل استقباله، ويطلع عليها ويقول في كلمته عن الشيخ: «ترك لنا الأستاذ المبارك كراسات صغيرة مدرسيّة ألفها أول عهده بالتدريس... وترك لنا فقيدنا كتاباً واحداً يصحّ أن يسمّى كتاباً هو شرح مقصورة ابن دريد، ولم يطبع حتى اليوم^(١). يقع هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة... وفيه فوائد كثيرة لغوية وأدبية ولا يخلو من فوائد تاريخية كقصة الزبّاء وغيرها، وأرجو أن يطبعه مجمعنا الحبيب، وإن لم يفعل استأذنت أبناءه في طبعه حتى ينتفع به الناس ويقف شاهداً على فضله.»^(٢)

وأعاد الدكتور العجلاني الكتاب إلى شقيقي الأستاذ محمد المبارك الذي أهدها إلى المجمع آملاً أن يقوم المجمع بنشره، ولكن المجمع لم يفعل، ومضت السنون وشغل أخي عن الكتاب..

ولمّا عدت أنا من مصر بعد أن أنهيت الدراسات العليا سنة ١٩٦٠ رحلت أبحث عن شرح المقصورة في مكتبة المجمع وفي المكتبة الظاهرية وفي مكتبة الأسد يساعدي في البحث الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع آنذاك، ولم نعثر على الشرح، ولولا ما جاء عنه في كلمة الدكتور العجلاني المثبتة في مجلة المجمع لظننت واهماً فيما أدّعيه!!

وقطعت الأمل في العثور على الشرح وقدّرت أن أحد زملاء الشيخ استعاره من المجمع ليطلع عليه ثم نسيه في مكتبته؛ ساعده على نسيانه أن صاحبه مات منذ سنوات، وأن أولاده لم يسألوا عنه، وأنا أعرف أن القدماء من المجمعين كانوا يأخذون ما يرد إلى المجمع من كتب مهداة ليطلعوا عليها كلّ بحسب اختصاصه، وقد يكون ذلك للكتابة والتعريف بالوارد الجديد... وقد تطول مدّة الإعارة ويضيع الكتاب المستعار بين أكداس الكتب في رفوف المكتبات.!

(١) كان ذلك في سنة ١٩٤٨ م.

(٢) مجلة المجمع، المجلد ٢٦ ص ٤٦٤.

وعدت منذ سنتين إلى صندوقين قديمين كنت وضعت فيهما كل ما عثرت عليه من أوراق وكرّاسات صغيرة في مكتبة والدي، ورحتُ أقلب ما فيها من أوراق مختلفة الحجم والألوان متنوّعة الموضوعات، منها أمانٌ كان يدرّسها، بعضها بالتركية وبحروف عربية، وبعضها بالعربية، بعضها فوائد وطرف جمعها، وبعضها أشعار اختارها، وفوجئت بأوراق شبيهة بما عرفته من شرح المقصورة؛ إنها مسودات ذكرّتي بالمجلدين اللذين يضمنان شرح المقصورة، كما عثرت على مجلدين لعلهما النسخة الأولى من شرح المقصورة، فأخذت أجمعها وأضمت بعضها إلى بعض حتى تجمّع لديّ عدد كبير منها، ولم تكن عيوني لتساعدني على القراءة والمتابعة، فاستعنت بالصديق الدكتور إبراهيم عبد الله حفظه الله فلبّاني مشكوراً، وبدأ العمل بترتيب الأوراق على وفق أرقام الأبيات، وسرّه أسلوب الشرح وغزارة المادة اللغوية فيه، فطلب إليّ متابعة البحث حتى انتهينا إلى مجموعة تكاد تكون كاملة، لولا نقص أبيات لا تزيد على عدد أصابع اليد.

وقد انصرف الدكتور إبراهيم إلى ضبط النص وتحقيقه والتعليق عليه حتى استقام له الشرح على ما أراه الشارح. وإني إذ أترك له أن يتحدث عن الشرح ومنهجه في تحقيقه، ومنهج الشارح في شرحه، لأسأل الله أن يجزيه عني وعن الشارح وعن العلم خير الجزاء، فلقد كان له الفضل في العمل والتشجيع على متابعته البحث عن أوراقه ومسودّاته، وكان له الفضل في تحقيقه، كما كان لمجمع اللغة العربية الفضل في تكليف الدكتور إبراهيم تحقيقه، وطباعته ونشره بعد أن مضى على تأليفه مئة وستين كما يظهر في صورة الورقة الأخيرة، ومضى على وفاة واضعه أربع وخمسون سنة.

مَازِنُ الْمَبَانِيكِ

الشيخ عبد القادر المبارك

١٢٩٤ - ١٣٦٤ هـ

١٨٧٦ - ١٩٤٥ م

عبد القادر بن محمد بن محمد المبارك الحسني نسباً الجزائري أصلاً، هاجر جدّه من الجزائر واستوطن دمشق، وكان والده الشيخ محمد من علماء دمشق في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ولد الشيخ عبد القادر في دمشق وأخذ العلم عن أبيه وعن بعض علماء دمشق كالشيخ أمين سويد والشيخ بدر الدين الحسني الذي لازمه طوال حياته، وكان شديد الحب له والتأثر به، وجّهه أبوه إلى العناية باللغة العربية ولاسيّما مقامات الحريري ومقصورة ابن دريد، فانصرف إلى دراسة العربية حتى أتقنها وحفظ الكثير من متونها، وصار من أعلام اللغويين وأحد أئمة اللغة في عصره، قال تلميذه الشيخ علي الطنطاوي: «كان المبارك إماماً في اللغة ومرجعاً فيها؛ تخرّج أوابدها وجمع شواردها وحفظ شواهداها، وكان أعلم العرب بالعرب؛ عرف أيامهم ووعى أخبارهم وروى أشعارهم، تحسّ إذ تجالسه وتسمع منه كأن الأصمعي أو أبا عبيدة تمثّلا في جبّته».

ووعى التاريخ الإسلامي ولاسيّما السيرة النبوية؛ فقد أتقنها وحفظ كلّ ما يتصل بها من أحداث ورجال، وأولع بأخبار الرجال وتراجهم، وكان من أعرف الناس بهم وبسيرهم وطبقاتهم، وصفه تلميذه الشاعر الدكتور زكي المحاسني في قصيدته التي رثاها فقال:

كان نبع الفصحى فيا ليت أني زدتُ من فيضه المبارك وِرِدا
 يسكب المعجم العميم فيروي هـ ويأتي عليه حفظاً وسردا
 أتري الأصمعي وابن المثني في جلابيبه النقيّة رُدا؟
 كان حلو الحديث مزدحم الأخـ بار، بل كان في التكلّم فردا
 هو بحر بغير جزر فيا ليلـ ت الليالي زادته في العمر مدّا
 يملأ العين مشهداً ومجال السـ سمع والقلب والعقل رُشدا
 علّم الدّين مثلما يتغني الدّيد من نفوساً تيمّم الله قَصدا
 وروى سيرة الرسول فصاغ الـ قلب نوراً وكوّن النشاء جندا
 بمعدّ ويعرب زجرَ الأخـ سلاق فينا فراح بيني معدّا
 رحم الله خلّقه كان ديناً من خصالٍ جمعن ودّاً وزهدا
 ودّعتُ فيك أمة الضاد نجماً كانت الضاد فيه غنماً وسعدا

درّس الشيخ في المدرسة السلطانية ومكتب عنبر والمدرسة الحربية ودار المعلمين
 ومدرسة الآداب العليا، وكان عضواً من الأعضاء المؤسسين الأوائل في المجمع العلمي
 العربي (مجمع اللغة العربية)، وكانت معظم جهوده في المجمع منصرفة إلى لجنة التعريب
 التي عرّبت اللغة الإدارية والمصطلحات العسكرية ووضعت مئات الألفاظ العربية مقابل
 الألفاظ التركية التي كانت شائعة من قبل، وشارك في التدقيق اللغوي وتهذيب «كتاب
 تعليم المشاة» الذي ترجمه رشيد بقدونس، وطبع في مطبعة الحربية سنة ١٩١٩م، وكان -
 بقدونس والمبارك - معاً في لجنة التعريب التي ألفت سنة ١٩١٩م، واستمرت حتى قبيل
 سنة ١٩٤٣م سنة وفاة رشيد بقدونس. كما وضع الشيخ المبارك وترجم بعض الكتب
 المدرسية التي درّسها في العهد العثماني ثم في العهد الفيصلي.

وكان للأستاذ المبارك شعر ينظمه في المناسبات، من أشهره قصيدته التي ألقاها في

حديقة الأمة بمناسبة عودة الأمير فيصل من أوروبا وعنوانها «آية الحديث المسلسل في الترحاب بسمو الأمير فيصل» مطلعها:

أجَلَّتْ ما هذا البَها والتجْمُلُ فقد أدهشَ النَّظَّارَ فيكَ التَّأمُلُ
ومن شعره قصيدته التي رثى فيها شيخه محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسيني،
وألقاها في حفل تأبينه في جامعة دمشق وأولها:

هل الفلَّك الأعلى من الشمسِ والبدر خلا أم خلت دار الحديث من البدر؟
وهل قَبَّة الدنيا تكوُّر بدرها أم استلَّ بدر الشام من قَبَّة النسر؟
وله قصيدة سمّاها «إحدى العبر بين البشر» أو: أنشودة الألباب في عالم الأسباب،
وهي قصيدة اجتماعية يوازن فيها بين تقدّم الغرب وتحلّف الشرق، ويدعو فيها إلى الأخذ
بأسباب النهضة والتقدّم، وفي هذه القصيدة كثير من الألفاظ الغريبة على لغة العصر! وهو
يتساءل فيها:

لَم أدرك العلياءَ ذاكَ وضلَّ ذا نهجَ الجدود فحلَّ في الأعماق
ذاك استطبَّ لدائه بطيبه ومريض هذا في يد الحلاق!
وله مقطّعات مختلفة الموضوعات كتلك التي يشكو فيها أخلاق أهل عصره وفساد
أذواقهم ولغتهم:

فأثقلُ من حملِ البلا حملُ منّةٍ وحملُ رزايا الدهر أحلى من المَنِّ
وعاشرت أجدانا فلما بلوتهم حسدت الذي قدمات في صغر السنِّ
إذا عرف المرء القلوبَ وما انطوت عليه ضلوع الإنس حنَّ إلى الجنِّ
يرى بصري من لا أودّ لقاءه ويؤلم أنفي ما يفوح من النتنِ
وتلمس كفي حيّة من مصافحي وتسمع أذني ما تعاف من اللحنِ

ولاشك أن أهم آثار الشيخ المبارك هو شرحه على مقصورة ابن دريد، فهي التي عني بها منذ فجر شبابه، والتي كان يحثّ طلابه على حفظها، ويغري أبناء أصدقائه بحفظها أو حفظ أبيات منها، ويدفع لهم المكافآت على قدر حفظهم، وإذا لحن أحدهم في أثناء إلقائها خسر مكافأته! وهو هذا الشرح الذي ينشر اليوم أول مرّة.

وطبع للأستاذ المبارك قبله كتاب «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابن الأجدابي، وكان رحمه الله قد شرحه، وقام على تحقيق نصّه ابنه الدكتور مازن المبارك وزوّده بالشواهد الدكتور غازي طليّات^(١). كما طبعت له قصيدة ابن الظهير الإبلي التي مطلعها:

كلُّ حيٍّ إلى الممات مآبه ومدى عمره سريع ذهابه

بشرحه وتعليقاته، وصدر عن دار الفكر بدمشق بعنوان «الصبر مطية النجاح...»^(٢)، وله كتب أخرى مدرسية، كان يضعها ويدرسها لطلابها، وكتب عدداً من البحوث والمقالات، نشر بعضها في مجلة مجمع اللغة العربية، وبقي بعضها بخطّه لم ينشر، وعسى أن نوفق يوماً لجمعها ونشرها، فهي صورة عن لغته وأسلوبه.

لقد كان الأستاذ المبارك - رحمه الله - عاشقاً للعربية؛ أحبّها صغيراً وأتقنها وحفظ متونها شاباً، وانطلق ينشرها ويحبّب بها ويعلمها طوال حياته في المدارس التي أسسها كمدرسة النجاح التي افتتحها في زقاق النقيب بحيّ العمارة، أو التي شارك في التدريس فيها كالمدرسة الريمانية التي أسسها أبوه الشيخ محمد، وكان صاحبها ورئيسها، وكان مديرها الشيخ عبد الجليل الدّرّا، وقد درّس فيها اللغة العربية وآدابها كما درّس الدّين واللغة العربية في المدارس الرسمية كالمدرسة الرشدية والحربية ومكتب عنبر ودار المعلمين ومدرسة الأدب العليا، وكانت دروسه موسوعية كما وصفها طلابه؛ فيها الأحكام الشرعية والفوائد اللغوية.

(١) نشرته دار الفكر بدمشق سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) دار الفكر بدمشق ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

وكان درسه ممتلئاً بالحركة والنشاط، يقول الدكتور منير العجلاني عنه: «كأنه رجل صنعه فقه اللغة! لقد كان يؤدي الألفاظ إلى الناس على صورة مخصوصة هي الصورة المباركية؛ كان كلامه الحركة تتكلم، وكانت حركته الكلام يتحرك، بل الكلام يرقص، حضرت بعض مجالسه، رحمه الله، فكنت كمن يرى أمواج البحر تتلاطم، ولو رأيته ساكناً صامتاً لبقيت له في نفسي صورة البحر الهائج، كان يرغّب الطلاب في العلم بأسلوب بارع يفتح به مغاليق نفوسهم وينشط عقولهم، ولعل سر نجاحه العميق أنه كان مؤمناً برسائلته مبشراً بمعتقداته»^(١).

كان الأستاذ المبارك كما وصفه طلابه قوي الحافظة؛ يحفظ الكثير من كتب اللغة كفقه اللغة للثعالبي والألفاظ الكتابية، ويحفظ بعض معاجم اللغة كالقاموس المحيط وأكثر ما في لسان العرب وتاج العروس. قال الأستاذ ظافر القاسمي: «ولمّا عهد إلى الأستاذ المبارك تدريس اللغة العربية تكشفت مزاياه، كان أعلم أهل زمانه بالمفردات، وقد شاع ذلك عنه حتى قال خصومه: إنه نسخة حيّة من القاموس، وأشهد أنني كنت أختار ألفاظاً غريبة فأسأله عنها، فيجيبني رحمه الله بنصّ عبارة القاموس أو فقه اللغة للثعالبي، وقد عرف عنه أنه كان يحفظ فقه اللغة والألفاظ الكتابية والقاموس المحيط عن ظهر قلب».

وكان الشيخ كان يسعى إلى إحياء الغريب فيستعمله ويفسّر به، قال القاسمي: «وكان للمبارك غرامه بالترادف يقصف به لسانه كالرعد دون توقف ولا تلعثم، فإذا اعترضه لفظة غريبة شرحها أحياناً بما هو أغرب منها وأعقبها بلفظ واضح».

ووصف القاسمي دروسه في الدّين والسّيرة واللغة والأمثال ثم قال: «كان شيخنا المبارك نسيح وحده، وما أظن أن الولادات ستلد مثله في مستقبل هذا الزمان».

(١) مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٦ ص ٤٥٨.

وقال تلميذه الشيخ علي الطنطاوي عن دروسه: «ما حضرت درساً أكثر منه حياة، وأبقى في نفس سامعه أثراً، إن نغمته لا تزال إلى اليوم في أذني، وكلماته لا تزال في قلبي».

رحم الله الأستاذ المبارك ورحم طلابه، وشكر لكل من شارك اليوم في إحياء هذا الأثر من آثاره.

أ.د. مازن المبارك

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام

على رسوله ومصطفاه

للعربية على أصحابها حق ومستحق في أن يتعلموها ويعلموها ويتقنوها وينقلوها نقلاً أميناً على ما هي عليه دون زيغ أو نقصان إلى محبيها والراغبين في النطق بها، إذ هي اللغة المصطفاه لخاتم كتب الله، وهي اللغة التي خاطب بها الله عز وجل رسوله، والمؤمنين وأرشدهم وهداهم وشرع لهم وقصّ عليهم قصص الأمم الغابرة بها، وهي اللغة التي تحدّى بها الله عز وجل البشر أن يأتوا بسورة من مثل القرآن أو بعشر، وهي بعد هذا الرابط المكين الذي يؤلف بين العرب وأداة التواصل والتخاطب بينهم، والشريحة الباقية على مدار الأيام والسنين لقراءة تاريخهم الغابر وواقعهم الحاضر ومستقبلهم المنتظر.

لذا فإن خدمة العربية واجب على أبنائها لا يسقط عنهم ما طلعت الشمس وأورق الشجر وأزهر النور، وكل واحد منهم على ثغر من ثغورها، فالله الله أن يؤتى من قبله، فبعضهم يعلمها، وعليه أن يحسن تعليمها ويدخل حباها إلى طالبها، وقبل ذلك أن يتمثلها نطقاً وكتابة وسلوكاً، وبعضهم يؤلف ويصنف بها، وواجب هؤلاء أن يلتزموا في مصنفاتهم أسلوبها وخصائصها وطبيعتها، ويقدموها عذبة سلسة، وهي كذلك بلا ريب، وعليهم أيضاً أن لا يسقطوا عليها ما ليس لها به آصرة أو تعلق، وبعضهم ينافح عنها ويذود كيد الكائدين، ويدفع مكر الشائنين، وهؤلاء لا بد أن يعوها حق الوعي، ويقفوا على كنوزها ودررها ويستخرجوا روائعها، ويظهروها - شكراً لهم - ويجلوها للعالمين.

أما القلة القليلة من أبناء العربية الذين ينتقدونها رغبة في الارتقاء بها - يقولون - ويظهرون ما يخيل إليهم أنه من المآخذ عليها - يظنون - فعليها أن ترجع إلى لغة الأجداد والحضارة، فتقبل عليها إقبال الباحث المتجرد عن الهوى، وتدرسها درس الباحث عن الحق لا عن الغي والزيغ، وإن لم تُقَوَّ على هذا فلتسأل أهل الذكر إذا كانت لا تعلم، إن هذه القلة إذا فعلت ذلك فلا ريب أنها ستهجر ما تقول على العربية وتُقلِّي ما تذكر عنها.

جعلنا الله في الذين يحبون العربية ويعلمونها ويدرونها عنها ويدودون، ويسعون في خدمتها وكشف أسرارها، والعمل على حفظها من كل مبغض جاهل بها، وهي محفوظة - غير شك - لأنها لغة الكتاب الذي نزله الله وتكفل بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ومن أمارات التوفيق والتسديد أن يكلفني مجمع اللغة العربية بدمشق عملاً أرجو أن يسقط عن كاهلي بعض حق العربية علي، هذا العمل يتمثل بتحقيق «شرح مقصورة ابن دريد» للشيخ عبد القادر المبارك - رحمه الله - أحد مؤسسي المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩، إذ نهج المجمع نهج إحياء مصنفات أعضائه ونشرها، وما هذا منه إلا حرص على خدمة العربية وسعي حثيث لإظهار خباياها النفيسة وروائعها.

ولم يسعني إلا أن أستجيب لهذه الدعوة الكريمة من المجمع شاكراً له هذه الثقة التي أولانيها راجياً من الله عز وجل التوفيق، ولا يكون إلا به سبحانه، هو حسبي عليه توكلت وإليه أُنِيب.

وواجب عليّ أن أتوجه بالشكر والعرفان بالجميل لكل من كان عوناً لي في إخراج هذا العمل من منضد ومعين في المقابلة والتصحيح وغير ذلك مما استلزمه هذا السفر من جهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د. إبراهيم عبيد الله

ابن دريد

صاحب المقصورة^(١)

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ولد بالبصرة في سكة صالح عام ٢٢٣هـ، ونشأ بعمان، وتنقل ما بين البصرة وفارس، طلب الأدب وعلمي النحو واللغة. أخذ عن أبي حاتم السجستاني وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي الفضل الرياشي، يُعد واحداً من رؤوس أهل العلم، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، وله شعر كثير، ومنه:

ثوبُ الشباب عليَّ اليوم بهجته وسوف تنزعه عني يدُ الكبرِ
أنا ابن عشرين ما زادتْ ولا نقصتْ إن ابن عشرين من شيبٍ على خطرِ
وكان أعلم الشعراء وأشعر العلماء، ومن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة، وسيأتي الكلام عليها.

روى عنه أبو سعيد السيرافي وعمر بن محمد بن سيف وأبو بكر بن شاذان وأبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني وغيرهم. كان واسع الرواية، ما رأى الرواة أحفظ منه، وكان يُقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها بالحفظ لها.

من أشهر مصنفاته كتاب «جمهرة اللغة»، وكتاب «الاشتقاق»، وكتاب «ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً»، وكتاب «السلاح»، وغيرها كثير مذكور في كتب التراجم. توفي عام ٣٢١هـ.

(١) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٢٣، وإنباه الرواة: ٣/ ٩٢، وغيرهما مما هو مذكور في حواشيهما.

مقصورة ابن دريد

القصيدة المقصورة ضرب شعري، روي كل بيت فيه ألف مقصورة، وليست كل قصيدة تنتهي بمثل هذا الروي معدودة في القصائد المقصورة، ذلك لأن القصيدة المقصورة لها خصائص ليست لغيرها.

ولم يكن ابن دريد أول من تعاطى نظم المقصور، وإنما كان واحداً ممن نظم في هذا الموضوع، فمن القصائد المقصورة التي سبقت مقصورته مقصورة نصر بن نصير الحلواني أبي المقاتل (ت ٢٨٧هـ)، مدح فيها محمد بن زيد الداعي الحسني بطبرستان، وأولها^(١):

قفا خليلي على تلك الرّبي وسائلاها أين هاتيك الدّمي
أين اللواتي ربّعت رُبوعها عليك باستخبارها تشفي الجوى
ومقصورة أبي صفوان الأسدي، ومطلعها^(٢):

نأت دار ليل وشطّ المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

غير أن ابن دريد من المقدمين في نظم القصائد المقصورة من حيث بناؤها وإحكام نظمها وسلاسة أسلوبها وجمال سبكها ورفعة موضوعاتها إنسانية كانت أو حكماً أو أمثالاً أو مشاعر وأحاسيس، لذا نالت مقصورته شهرة واهتماماً بالغين عند أهل العلم لأنها امتازت بسهولة «ألفاظها ونبل أغراضها وثقة منشئها واستفادة قارئها واشتغالها على نحو الثلث من المقصور واحتوائها على جزء من اللغة كبير، ولما ضمّنتها من المثل السائر والخبر النادر والمواعظ الحسنة والحكم البالغة»^(٣).

(١) شرح المقصور والممدود لابن دريد: ٦.

(٢) انظر هذه المقصورة تامة في أمالي القاضي ٢/٢٣٧-٢٣٩، وأحصى د. مهدي علام القصائد المقصورة في مقاله «أبو الحسن حازم القرطاجني وفن المقصورة»، حوليات كلية الآداب - جامعة إبراهيم م ١٩٥١/١.

(٣) شرح المقصورة لابن هشام اللخمي ١٤١.

ونظم مقصورته ما بين عامي ٢٩٥-٣٠١هـ، ومدح فيها عبد الله بن ميكال وابنه

أبا العباس إسماعيل، فدفع له بمدحهما بها عشرة آلاف درهم، ومما قاله فيها فيها:

حاشا الأميرين اللذين أوفدا عليّ ظلاً من نعيم قد ضفا
هما اللذان أثبتاني أملاً قد وقف اليأس به على شفا
تلافا العيش الذي رنقه صرف الزمان فاستساغ وصفا
وأجريا ماء الحيالي رعداً فاهتز غصني بعدما كان ذوى

ولم يقتصر على مدحهما، بل ضمّن مقصورته أموراً أخرى، نحو فخره بتجلده

وخبرته في صروف الحياة ورباطة جأشه، وفي ذلك يقول:

لا تحسبن يا دهر أني جازع لنكبة تعرّفتني عرق المدى
مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا
ومما تكلم عليه فيها الخمرة إذ قال:

كأنها الصهباء مقطوب بها ماء جنى وزد إذا الليل غسا
يمتأحه راشف برديقها بين بياض الظلم منها واللمى

ووصف قوماً حلّوا في بيدا وناموا على رواحلهم، فقال:

وفتية ساراهم طيف الكرى فسامروا النوم وهم غيد الطلى
والليل ملق بالموامي برّكه والعيس ينبئن أفاحيص القطا

ومن الموضوعات التي انتظمت مقصورته الحكمة والأمثال، نحو قوله:

فإن أمت فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى
وإن أعش صاحب دهرى عالماً بما انطوى من صرفه وما انسرى
وللفتى من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما افتنى

وزين المقصورة بأبيات من الغزل فقال:

ولا عبّنتني غادةٌ وهنانةٌ تُضني وفي ترشافها بُرء الضنا
في خدّها روضٌ من الورد على الذئ نسرين بالألحاظ منها يُجيبني
لوناجت الأعصم لانحطّ لها طوع القياد من شماريخ الذرى
أو صابت القانت في مخلولقي مستصعب المسلك وعر المرثقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه تأنسها حتى تراه قد صبا

وسرد أحداثاً تاريخية وذكر أعلاماً من الشعراء والأقوام وغيرهم، قال:

إن امرأ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمّامه دون المدا
وخامرت نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحثف فيمن قد حوى
وابن الأشجّ القيل ساق نفسه إلى الردى حذارٍ إشارات العدى
واخترم الوضاح من دون التي أمّ لها سيف الحمام الممتضى
وقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتطّ منها كلّ عالي المسمى
فاستنزل الزباء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى المسمى
فجرع الأجبوش سماً ناقعاً واحتلّ من غمدان محراب الدمي

بيد أن أهم شيء رمى إليه ابن دريد من مقصوره استقصاء ما استطاع من الأسماء

المقصورة لغاية تعليمية ليس غير.



مطلع المقصورة وعدة أبياتها:

جاء مطلع المقصورة في شرح الشيخ عبد القادر المبارك:

يا ظييةً أشبه شيءٍ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا
وهو كذلك في ديوان ابن دريد^(١)، وعند الزمخشري^(٢)، وابن هشام اللخمي^(٣)،
والصاوي^(٤)، وورد مطلعها:

إماتري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
عند المسعودي^(٥)، وابن خالويه^(٦)، والتبريزي^(٧)، والصاغانى^(٨)، وموفق الدين عبد
عبد الله بن عمر الأنصاري^(٩)، وابن خلكان^(١٠)، وعمر بن هشام الحضرمي، وعز الدين بن
بن جماعة، والسيوطي^(١١)، وحاجي خليفة^(١٢).

(١) ديوانه: ١١٥.

(٢) انظر أعجب العجب في شرح لامية العرب: ٧٤.

(٣) قال ابن هشام اللخمي عن هذا المطلع: «وهذا البيت لم يثبت في رواية أبي علي ولا في أكثر الروايات، وإنما وقع في رواية أبي إسحاق بن مخلد»، شرح المقصورة: ١٥١.

(٤) قال الصاوي: «وهذا البيت ليس من مقصورة ابن دريد»، شرح المقصورة: ١٧.

(٥) انظر مروج الذهب: ٣٢٠/٤.

(٦) انظر شرحه للمقصورة: ١٥٨.

(٧) انظر شرحه للمقصورة: ١٣.

(٨) انظر مختصر شرح القلادة السمطية: ١٩.

(٩) انظر تخميس مقصورة ابن دريد: ٣١.

(١٠) انظر وفيات الأعيان: ٣٢٣/٤.

(١١) قال السيوطي: «وقد تكلف الكمال ابن الأنباري نظم أبيات جعلها مطلعاً لها فقال:

يا ظييةً أشبه شيءٍ بالمها راتعةً بين الهضيم والحشا

إماتري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى»

أما عدة أبياتها فقد وقع فيه اختلاف أيضاً على هذا النحو:

- ٢٥٥ بيتاً في ديوان ابن دريد^(٢).
- ٢٣١ بيتاً عند ابن خالويه^(٣)، والتبريزي^(٤).
- ٢٥٢ بيتاً عند الزمخشري^(٥).
- ٢٥٣ بيتاً عند ابن هشام اللخمي^(٦).
- ٢٣٩ بيتاً عند عبد القادر البغدادي^(٧).
- ٢٦١ بيتاً عند إسماعيل الصاوي^(٨).
- ٢٣٠ بيتاً عند الشيخ عبد القادر المبارك^(٩).

المصنفات التي صنفت حول المقصورة:

١- شروح المقصورة:

أ- المطبوع منها:

-
- بغية الوعاة: ٨٠ / ١
- (١) انظر كشف الظنون: ١٨٠٨.
- (٢) ص: ١٣٧، وآخر بيت في الديوان:
- أَوْ لَابْتِهَاجٍ فَرِحًا وَمُرْدَهَى أَوْ أَنْ أَرَى لِنَكْبَةٍ مَخْتَضِعًا
- (٣) شرح المقصورة له: ٥٥٦.
- (٤) شرح المقصورة له: ٩٨.
- (٥) أعجب العجب في شرح لامية العرب: ١٥٤.
- (٦) شرح المقصورة له: ٣٧٤.
- (٧) الخزانة ١ / ٤٩٠.
- (٨) شرح المقصورة له: ١٢٦.
- (٩) انظر خلافاً أخرى في كشف الظنون: ١٨٠٨، وهدية العارفين: ٣٢ / ٢.

- (١) شرح ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمود جاسم محمد، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٦، م ١.
- (٢) شرح الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ١٩٧٨، ط ١.
- (٣) شرح الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، طبع مع شرح لامية العرب للزمخشري في القاهرة ١٣٢٤هـ.
- (٤) شرح ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق مهدي عبيد جاسم، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦، م ١، ط ١.
- (٥) شرح إسماعيل الصاوي، فاس، الدار البيضاء.
- ب - المخطوط منها:
- (١) شرح أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، ذكر بروكلمان أن هذا الشرح ممزوج بشرح ابن خالويه في مكتبة ليدن أول ٦١٩^(١)، وذكره حاجي خليفة^(٢).
- (٢) شرح ابن جني (ت ٣٩٠هـ)، أشار الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي إلى أن له نسخة في استانبول^(٣).
- (٣) شرح ربيعة بن محمد المعمرى (ت ٤٠٠هـ)، منه نسخة في برلين ٧٥٤٦، ومكتبة برنستون - جاريت ٢٠^(٤).
- (٤) شرح الجواليقي أبي منصور موهوب (ت ٥٣٩هـ)، ومنه نسخة في كوبرلي ١٣٢٤ رقم ١١^(٤).

(١) بروكلمان: ١٧٩/٢.

(٢) كشف الظنون: ١٨٠٨.

(٣) تخميس مقصورة ابن دريد: ١٢.

(٤) بروكلمان: ١٨٠/٢.

- ٥) شرح المهلبى (ت حوالي ٥٦٠هـ)، منه نسخة في برلين ٧٥٤٧^(٤).
- ٦) شرح نعيم بن سعيد بن مسعود (ت في حدود ٧٠٠هـ)، منه نسخة في برلين ٧٥٤٩^(٤).
- ٧) شرح ابن الصائغ محمد بن الحسن الجذامي الدمشقي (ت ٧٢٠هـ)، منه نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٧١٨٨^(١).
- ٨) شرح عز الدين بن جماعة (ت ٨١٩هـ)، منه نسخة في باريس أول ٣٠٩٠^(٢)، ولعل هذا الشرح هو مختصر ابن جماعة على «شرح القلادة» للصاغانى^(٣).
- ٩) شرح عبد القادر بن محمد الطبري (ت ١٠٣٣هـ)، ومنه عدة نسخ مخطوطة^(٤).
- ١٠) شرح محمد بن الخليل الإحسائي (ت ١٠٤٤هـ)، ومنه نسخة مخطوطة في عاشر ٨٥٢ ألف^(٤).
- ١١) شرح قدرى محمد أفندي (ت ١٠٦٥هـ)، منه نسخة في عاشر أفندي^(٥).
- ١٢) شرح سيدي ابن المختار الانتشائي (ت ١٢٨٣هـ)، منه نسخة مخطوطة في القاهرة ثاني ٢٢٥/٣^(٥).
- ١٣) شرح عبد القادر المكي، وعنوانها: «الرايات المنشورة على شرح المقصورة»، ومنه نسخة في آصفية ١٢٤٠/٢، رقم ٥٤^(٥).
- ١٤) شرح محمد بن سليمان الكماري الزري، منه نسخة في عمومية: ٥٤٠٠^(٥).

(١) فهرس دار الكتب الظاهرية - الشعر: ٣٠٤.

(٢) بروكلمان: ١٨٠/٢، وذكر أن وفاته ٧٦٧هـ، وما أثبت عن بغية الوعاة: ٦٦/١.

(٣) انظر رقم (٤) من تخميسات المقصورة المطبوعة.

(٤) ذكرها بروكلمان: ١٨٠/٢.

(٥) بروكلمان: ١٨١/٢.

١٥) شرح عبد الملك بن هانئ النحوي، أبي مروان، منه نسخة في التيمورية ١١٩٣ - شعر^(١).

ج - المشار إليه في الكتب:

١) شرح محمد بن جعفر أبي عبد الله التميمي النحوي القيرواني المعروف بالقزاز (ت ٤١٢هـ)، ذكره القفطي في إنباه الرواة: ٨٦/٣، وحاجي خليفة في كشف الظنون: ١٨٠٨.

٢) شرح أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت ٦٢٨هـ)، ذكر في التكملة: ٦٢٧-٦٢٨.

٣) شرح تقي الدين أبي العباس أحمد بن مبارك (ت ٦٦٤هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: ١٨٠٨.

٤) شرح ربيع بن محمد الكوفي، عفيف الدين (ت ٦٨٢هـ)، قال السيوطي: «له شرح مقصورة ابن دريد، رأيت خطه عليها في جمادى الأولى سنة ثنتين وثمانين وستائة»^(٢).
٥) شرح عبد الرحمن بن أحمد السخاوي (ت ١٠٢٥هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: ١٨٠٨.

٦) شرح عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، ذكره صاحبه فقال: «وهذه القصيدة [أي مقصورة ابن دريد] طويلة عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً، لها شروح لا تحصى كثرة، وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبي علي محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي، وقد شرحتها أنا شرحاً موجزاً مع إيضاح واف وتبيين شاف في أيام الشبيبة»^(٣).

(١) فهرس المخطوطات المصورة: ١/ ٤٩٥، [فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٤].

(٢) بغية الوعاة: ١/ ٥٦٦.

(٣) خزانة الأدب: ١/ ٤٩٠.

٧) شرح ابن مسك السخاوي (ت ١١٢٣هـ)، ذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين ١١٩/٥.

٨) شرح الشيخ شمس الدين الضائع، أشار إليه الصفدي في الوافي بالوفيات: ٣٤٠/٢، وحاجي خليفة في كشف الظنون: ١٨٠٨.

٩) شرح حسن بن علي بن إدريس التونسي المسمى بالدرر المضيئة، ذكره عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده في أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون: ١٩٨.

١٠) شرح الحسن بن أحمد بن الحسين بن عطف العقيلي، ذكر في التكملة: ٢٦١.

د - المجهول المؤلف منها:

١) شرح لمجهول بعنوان «القراضة الركنية»، ألفه صاحبه لركن الدولة عبد العزيز بعد سنة ٦٦١هـ، ومنه نسخة مخطوطة في آيا صوفيا: ٤٠٧٢، رقم ٣ (عن رتر)^(١)، وجاء في فهرس المخطوطات المصورة: ١/ ٥٠٠ أنه نسخ سنة ٦٨٣هـ، وأنه في أحمد ثالث ٢٣٩٨.

٢) شرح لمجهول، كتب سنة ٧٤٣هـ، ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم ٦٨^(٢).

٣) شرح لمجهول كتب سنة ٧٦٩هـ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد^(٣).

٤) شرح لمجهول كتب سنة ١١٦٣هـ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم: ١٦٦٥٧ز^(٤).

(١) بروكلمان: ١٨١/٢.

(٢) فهرس مخطوطات الأوقاف العامة في الموصل: ١١٧/٤.

(٣) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد: ٢٣٧/٣.

(٤) فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية: ق ٧٥/٢.

٥) شرح لمجهول، كتب سنة ١٢٧١هـ في مجموع رقمه ١٦٢٧٦ز، وهو من ورقة ٣٧-٦١، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية^(٤).

٦) شرح لمجهول في مجموع رقمه ١٣٥١٥ز، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية تتألف من ٢٠١ق^(١).

٧) شرح لمجهول، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم: ٧٤١٠^(٢).

٨) شرح لمجهول، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم: ٧٣٩١^(٢).

٩) ثلاثة شروح لمجهولين، لكل منها نسخة مخطوطة بالأرقام: ٣٢٢، ٥٥٧، ١٩٧٨^(٣).

١٠) شرح لمجهول، له عدة نسخ^(٤).

٢- تخميسات المقصورة:

التخميس أن «يؤتى بخمسة أقسمة على قافية، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك، إلى أن يفرغ من القصيدة، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط، وهو المزدوج، إلا أن وزن كله واحد وإن اختلفت القوافي، كذات الأمثال وذات الحلل وما شاكلهما...»^(٥).

والبحر الذي ينظم عليه في الخمسات هو بحر الرجز لأنه سائر على الألسنة يسير، قال ابن رشيق: «ولم أجدهم يستعملون في هذه الخمسات إلا الرجز خاصة لأنه وطيء سهل المراجعة»^(٥).

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية: ق ٢ / ٧٥.

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الشعر: ٣٠٥.

(٣) المخطوطات العربية في المجمع العلمي العراقي: ٣٥-٣٦.

(٤) بروكلمان: ١٨١ / ٢.

(٥) العمدة: ١٨٠ / ١.

أ - المطبوع من تجميعات المقصورة:

- (١) تجميع عبد الله بن عمر الأنصاري الوزير (ت ٦٧٧هـ)^(١).
- (٢) تجميع الشيخ محمد رضا النحوي (ت ١٢٢٦هـ)^(٢).
- (٣) تجميع الشيخ موسى بن شريف آل محيي الدين (ت ١٢٨١هـ)، وهو تجميع ناقص^(٣)
- (٤) مختصر «شرح القلادة السمطية في توشيح المقصورة الدريرية» للإمام حسن بن محمد الصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، وهذا المختصر لابن جماعة^(٤).

ب - المخطوط منها:

- (١) تجميع السيد حسين المشهداني^(٥).
- (٢) تجميع الحسيني، منه نسخة في القاهرة ثاني: ٤٥ / ٣^(٦).
- (٣) تجميع سعد بن علي الإربلي، منه نسخة في ليدن أول ٦٢٣^(٦).
- (٤) تجميع شرف الدين الحسن بن الحسين بن علي، منه نسخة في برلين: ٧٥٥٦، وفاتيكان ثالث: ١١٢٠ رقم ٩^(٦).
- (٥) تجميع المطهر فخر الدين، منه نسخة في برلين ٧٥٥٧^(٦).
- (٦) تجميع محمد بن سعد الجوادي، منه نسخة في مكتبة داوود بالموصل: ٤٢، ١٩^(٦)

-
- (١) طبع في بيروت ١٩٧٧، حققه عبد الصاحب الدجيلي.
 - (٢) نشر في أعيان الشيعة: ٩٥-٦٧/٤٥.
 - (٣) نشر ما بقي منه علي الخاقاني في كتابه: «شعراء الغري»: ٣٨٦/١١-٤٠٠.
 - (٤) طبع في بغداد سنة ١٩٧٧، حققه د. سامي مكّي العاني، وهلال ناجي، وانظر (٨) من شروح المقصورة المخطوطة.
 - (٥) فهرس المخطوطات العربية بمدينة هالة: ٩٥.
 - (٦) بروكلمان: ١٨١ / ٢.

٧) تخميس الملاً جرجيس، منه نسخة في مكتبة الإسكندرية ٢٣ أدب^(١).

٨) تخميس لمجهول، منه نسخة في المتحف البريطاني ثاني ١٠٨٧، رقم ١^(١).

٩) تخميس لمجهول، منه نسخة في دار الكتب الظاهرية برقم ٤٤٥٨^(٢).

٣- تسميط المقصورة:

الشعر المسمّط: «أن يبتدئ الشاعر بيت مصرّع، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته، ثم يعيد قسيماً واحداً من جنس ما ابتدأ به، وهكذا إلى آخر القصيدة، مثال ذلك قول امرئ القيس، وقيل إنها منحولة^(٣):

توهمتُ من هندی معالمَ أطلالٍ عَفَاهنَّ طُولَ الدهرِ في الزمن الخالي
مربعٌ من هند خلتُ ومصايفُ يصيحُ بمغناها صدىً وعوازِفُ
وغيرها هُوجُ الرياح العواصفُ وكلُّ مُسفٍّ ثمَّ آخرُّ رادِفُ
بأسحَمَ من نوءِ السَّماكِينِ هَطَّالِ

وهكذا يأتي بأربعة أقسام على أي قافية شاء، ثم يكرر قسيماً على قافية اللام^(٤).
والتخميس والتسميط كثيرا في شعر المتأخرين، وهما أماراة على ضعف الشعاعرية، قال القيرواني: «وقد رأيت جماعة يركبون الخمسات والمسمطات ويكثرون منها، ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت إليه، وما أصححها له، وبشار بن برد قد كان يصنع الخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر^(٥)».

(١) بروكلمان: ٢/ ١٨١.

(٢) فهرس دار الكتب الظاهرية، الشعر: ٧٤.

(٣) الأبيات في ديوانه: ٤٧٤، فيما نسب إليه من المسمط.

(٤) العمدة: ١/ ١٧٨-١٧٩، وانظر الوافي في العروض والقوافي: ٢٩٢.

(٥) العمدة: ١/ ١٨٢.

أ - المخطوط من تسميط المقصورة:

(١) تسميط المقصورة، نظم مجد الدين أسعد بن أحمد بن إبراهيم بن علي الإربلي، عنوانه «الفوائد المحصورة»، منه نسخة في المتحف البريطاني ثاني ١٩١٩ رقم ٢، فاتيكان ثالث ١١٤٣، رقم ٧^(١).

٤ - معارضة المقصورة:

أ - المطبوع:

(١) معارضة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٥هـ)^(٢).

ب - المخطوط:

(١) معارضة شهاب الدين أحمد بن أحمد الخفاجي (ت ١٢٢٣هـ)، منها نسخة مخطوطة في مخطوطات الأوقاف في الموصل: ١/ ٢٦٧.

ج - المشار إليه في الكتب:

(١) معارضة أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي الأنطاكي (ت ٣٤٢هـ)، قال ابن خلكان: «وقد عارض أبو القاسم التنوخي المذكور أبا بكر بن دريد في مقصودته، وذكر منها أبياتاً، ومدح فيها تنوخ وقومه من قُضاعة»^(٣).

(٢) معارضة أبي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي الأديب المعروف بالمغربي (ت ٥٤٩هـ)، قال ابن خلكان: «وله أشياء مستملحة، منها هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد، من جملتها:

وكلُّ ملموم فلا بدَّ له من فرقة لو لَزَقوه بالغرا»^(٤)

(١) بروكلمان ٢/ ١٨١-١٨٢.

(٢) نشرت في حوليات كلية الآداب - جامعة إبراهيم باشام ٢، القاهرة ١٩٥٣، حققها د. مهدي علام.

(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٣٦٨.

(٤) وفيات الأعيان: ٣/ ١٢٥.

- أشار بروكلمان إلى أن مقصورة ابن دريد ترجمت إلى اللغة التركية وأن لها نسخة مخطوطة في عاشر أفندي ٨٥٥^(١).

- ذكر الأستاذ مهدي عبيد جاسم أن محمد الاردبيلي أعرب المقصورة وأن لديه نسخة مقصورة عن هذا الإعراب^(٢).

منهج الشرح:

لابدّ من التنبيه بادئ ذي بدء على أن هذا الشرح جمعٌ ليس غير، وبذا صرح الشيخ الشارح إذ قال: «هذا الجزء الأول من شرح مقصورة ابن دريد لجامعه وكتابه عبد القادر بن محمد المبارك»^(٣).

اصطنع الشيخ منهجاً في شرحه يقوم على النظر في المفردات اللغوية الواردة في كل بيت من أبيات المقصورة ونقل المعاني اللغوية لهذه المفردة من كتب اللغة، ومن ثمّ يترك للقارئ أن يصطفي من هذه المعاني المعنى اللائق بالبيت، وذلك نحو ما جاء في شرحه كلمة «نفس» الواردة في قول الناظم:

أَنَّ الْقَضَاءَ قَاذِي فِي هُوَّةٍ لَا تَسْتَبِيلُ نَفْسُ مَنْ فِيهَا هَوَى

إذ قال: «نَفْسُ مَنْ فِيهَا هَوَى، قال في التاج: «النفس في كلام العرب تجري على ضربين، أحدهما: قولك: خرجتُ نفسه، أي روحه، والضرب الثاني: في معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، يقال: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه، أي أوقع الهلاك بذاته كلّها وحقيقته، ومنه ما حكاه سيبويه من قولهم: «نزلتُ بنفس الجبل، ونفس الجبل مقابلي»^(٤)،

(١) بروكلمان: ١٨١/٢.

(٢) ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية: ٦٢.

(٣) انظر ١/٦٣.

(٤) الكتاب: ٣٧٩/٢.

والنفس عين الشيء وكنهه وجوهره، ومن اللغويين مَنْ سَوَّى بين النفس والروح، وقال: هما شيء واحد، إلا أن النفس مؤنثة، والروح مذكرة، والحق أن بينهما فرقاً باعتبارات، ويدل لذلك ما رواه ابن عبد البر في «التمهيد» [١/١٤٢] الحديث أن الله تعالى خلق آدم وجعل فيه نفساً وروحاً، فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاءه، ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه، فلا يقال في النفس: هي الروح على الإطلاق، حتى ولا يقال في الروح: هي النفس إلا كما يقال في المنى: هو الإنسان، أو كما يقال للماء المغدّي للكرمة: هو الخمر أو الخل على معنى أنه سيضاف إليه، أو صاف يُسمى بها خمرًا أو خلا» ١. هـ من التاج [١/١٤٣].

ولم يكتب الشارح بما نقله عن التاج، ولكنه التفت إلى القاموس المحيط ونقل منه معاني النفس، فقال: «وقد ذكر المجد للنفس خمسة عشر معنى، منها الروح والدم والجسد والحقيقة وعين الشيء والهمة والأنفة» [١/١٤٣].

ثم ترك للقارئ أن يصطفي المعنى الذي يلائم بيت الناظم ويناسبه، فقال: «فانظر الأليق منها في البيت، فإن في هذه المعاني متسعاً» [١/١٤٣].

وبعد ذلك ذهب إلى «المصباح المنير» لينقل منه ما يتمم الكلام على معنى النفس، فقال: «وفي المصباح: «النفس أنثى إن أُريد بها الروح، قال تعالى: ثَپ پ پِثِر [النساء: ١/٤]، وإن أُريد الشخص فمذكر، وسمي الدم نفساً لأن النفس التي هي اسم لجملة الحيوان قوامها بالدم» [١/١٤٣].

ومثل هذا صنيعه حين تصدّى لشرح كلمة «المرتمى» في قول الناظم:

وسيفٌ استعلتْ به هِمَّتُهُ حتى رَمَى أبعدَ شَأْوَ المرتمى

فراى أنها اسم مكان تفيد موضع الارتماء، وأن الارتماء مطاوع الرمي، ثم راح يشرح مادة (رمى) وينقل معانيها من اللسان والتاج، وانتهى إلى أن الارتماء له عدة معان، وأن القارئ له أن يختار منها ما يراه خادماً لمعنى البيت ومناسباً له، فقال: «وقد علمت أن

الارتقاء يكون بمعنى الترامي، وهو رمي القوم بعضهم بعضاً، وبمعنى وقوع المرميات، كما في قولك: رميتُ السهام فارتمت، أي وقعت وسقطت وخرَّت وطاحت وبمعنى الاصطياد والاقتناص، كما يقال: خرج الأمير ليرتمي، أي ليتصيد ويقتنص، فخذ من هذه المعاني ما تراه موافقاً واقتنص» [١/ ٢٦٠].

غير أن الشيخ في مواطن أخرى من شرحه يسوق للكلمة الواحدة بضعة معان من مصنفات اللغة، ويخلص إلى معنى منها يراه يحسُن بمعنى بيت الناظم، وذلك على نحو ما فعل عندما شرح كلمة «سَلَطْتُ» من قول الناظم:

وإن تكن مُدَّتْهَا مَوْصُولَةً بِالْحَتْفِ سَلَطْتُ الْأَسَا عَلَى الْأَسَى

إذ بدأ بنقل معاني مادة «سلط» من التاج والمصباح واللسان، وبعد أن فرغ أخذ المعنى الذي اطمأن إليه واستصوبه، وقال: «فيؤخذ مما مرَّ أن معنى «سلطتُ فلاناً على فلان» حكَّمته فيه ومكَّنَّته منه، وجعلته قاهرأ له متسيطرأ عليه» [١/ ١٥٣].

ويقف عند كلمة في بيت المقصورة، وينظر معناها في كتب اللغة فينقله بنصه تارة، ويسوقه مجملاً تارة أخرى، وذلك على نحو ما جاء في كلامه على قول الناظم:

وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لَا يَرْدَعُهُ إِلَّا الْعَصَا

إذ قال في تفسير «مقيم»: «اسم فاعل من أقامه يُقيمه إقامة...»، ثم رأى أن يسوق معنى هذه المادة من المصباح على وجه الإجمال والتلخيص فقال: «قال في المصباح ما خلاصته: قام بالأمر واستقام الأمر، وهذا قوامه بالفتح والكسر، أي عماده الذي ينتظم ويقوم به، وكذا قيامه... وهو طويل القامة والقوام»، ثم استحسَن أن يشرح معنى القامة والقوام فذهب إلى التاج ونقل منه فقال: «وفي التاج: قامه الإنسان وقوامه... وقوام الأمر بالفتح ملاكه، لغة في القوام بالكسر»، ثم شرح معنى ملاكه من الأساس فقال: «وفي الأساس ملاكه: قوامه وما يُملك به»، ثم فسر معنى «عماد الشيء» فقال: «وفي التاج: عماد الشيء: ما يُقام به» [٢/ ١٨٦-١٨٧].

والشارح في نقله المعاني اللغوية لم يكن يثبتها في شرحه متسلسلة كما وردت في مظانها، وإنما كان يتصرف في ترتيبها، فيقدم ويؤخر حسبما يراه مفيداً، نحو ما نقله عن اللسان من مادة (قطر)، إذ قال: «أقطار الفرس: ما أشرف منه، وهو كائنته [مجتَمع كتفيه] وعجزه، وكذلك أقطار الجبل والجمل: ما أشرف من أعاليه، وأقطار الفرس والبعر: نواحيه، وفي التنزيل: ﴿مِنَ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٥٥ / ٣٣]، أي نواحيها وجوانبها، وكذا أقطارها، الواحد قطر وقر، قال ابن مسعود: لا يعجبك ما ترى من المرء حتى تنظر على أيّ قطريه يقع، أي على أيّ شقّيه يقع في خاتمة عمله، أعلى شقّ الإسلام أو غيره» [٥٧٦ / ١]، ولا يُرى فيما نقله تفاوت أو اضطراب بل رتوب وتكامل.

ولا يفتأ الشارح يستعرض المعاني اللغوية للكلمة الواردة في بيت الناظم ويبحث عنها وينظر فيها نظر المتأمل المدقق الباحث عن المعنى الذي يَجْمَلُ به البيت ويوافقه، من ذلك أنه وقف عند كلمة «حِذار» من قول الناظم:

وابن الأشجّ القَيْلُ ساقَ نَفْسِهِ إلى الرّدى حِذارَ إِشْباتِ العِدَى
ورأى أن في استعمالها في هذا البيت تسمُّحاً متعللاً بأن الحذار بمعنى المحاذرة، والمحاذرة لا تكون إلا من اثنين لأنها مفاعلة، فبعد أن ساق معاني مادة (حذر) من أساس البلاغة ومختار الصحاح والتاج واللسان قال: «فإن كان الحِذار لا يخرج عن المشاركة ففي استعماله في هذا البيت تسمُّح لأنه من واحد» [١٦٣ / ١]، إلا أنه وجد عذراً ورأى وجهاً يسوغ استعمال «حذار» فقال: «ويجوز أن يفسَّر هنا بالخوف وبالتحرز، وعلى الثاني فالإضافة على معنى «من»، والله أعلم» [١٦٣ / ١].

وكان يصدّر شرحه بيت المقصورة بإعراب بعض منه، من ذلك أنه بدأ كلامه على قول الناظم:

مِنْ غَيْرِ مَا وَهَنٍْ وَلَكِنِّي امْرُؤٌ أَصُونُ عِرْضاً لَمْ يُدَسِّسْهُ الطَّخَا

بإعراب ما فقال: «ما: زائدة، أي من غير وهن...» [٦٨ / ٢].

ومن ذلك أيضاً قوله معلقاً على قول الناظم:

نَحْنُ وَلَا كَفْرَانَ لِلَّهِ كَمَا قَد قِيلَ لِلسَّارِبِ أَخْلَى فَارْتَعَى

: «نحن: ضمير منفصل للمتكلم معه غيره، وهو مبني على الضم في محل رفع بالابتداء،

وخبره المقدر الذي يتعلق به «كما»، أو نفس الكاف من «كما» هي الخبر على أنها اسم جارٌّ

مرادف لمثل» [١٧١ / ٢].

وحرص في توجيهه النحوي على أن يفصل الكلام ويربط بيت المقصورة بما سبقه

من الأبيات مستعيناً بفهمه للمعنى، قال في معرض شرحه قول الناظم:

إِلَّا بَقَايَا مَنْ أَنْاسَ بِهِمْ إِلَى سَبِيلِ الْمَكْرَمَاتِ يُقْتَدَى

: «إلا: أداة استثناء، والمستثنى مدخولها، وهو هنا «بقايا من أناس»، والمستثنى منه

«نجوم المجد» في البيت الذي قبله لأن المراد به رجال المجد...» [٢٢٠ / ٢].

وينبه على ما جاء مخالفاً للقياس، قال: «والحسن اسم فاعل من حَسَنَ.. والقياس أن يكون

اسم الفاعل منه الحَسِينِ كالعظيم والكريم، لكنه سمع هكذا على خلاف القياس» [١٥١ / ٢].

ولم يغب عن بال الشارح وتفكيره الفهم النحوي لأبيات المقصورة - مشروحة -

والأوجه النحوية الجائزة فيها، فإذا أراد أن يفسر «شأو العلى» من قول الناظم:

فَقَدْ سَمَا قَبْلِي يَزِيدُ طَالِباً شَأْوُ الْعُلَى فَمَا وَهَى وَلَا وَنَى

جاء كدأبه بالمعاني اللغوية لكلمة «شأو» من المصنفات اللغوية التي اتخذها مصدراً

له في شرحه واستند إليها، ثم التفت إلى معنى الإضافة في «شأو العلى» صُنِعَ في كلامه على

الإضافة في «حذار إشارات العدى» فيما سلف، فرأى أنها تحتمل وجهين، إما أن تكون في

معنى اللام، وإما أن تكون في معنى «إلى»، فقال: «فمعنى «شأو العلى» غاية الشرف ونهاية

المجد ومنتهى العزّ والرفعة، وإن جعلت الإضافة على معنى «إلى» كان المعنى السابق إلى العلى، والله أعلم»^(١).

ومما يظهر واضحاً في منهج الشارح إكثاره من التنبيه على الأصل اللغوي للفعل واللغات الجائزة فيه، وذلك في نحو كلامه على قول الناظم:

إذا اقتنى المرء الذي يبقى له من بعده فالحمد خيرٌ مُقتنى
إذ ساق اللغات في الفعل اقتنى فقال: «يقال: قناه يقنوه ويقنيه واقتناه... ومنه قني يقنى كعني يعنى غنى وزناً ومعنى من الباب الرابع،... ومنه قنى حياه كرمى، ومنه أعناه وأقناه، أي أرضاه بما يسر له اقتناه، ويفسر القنى بالرضى وزناً ومعنى... ومنه ما جاء في أمثال العرب «لا تقتن من كلب سوء جرّوا» [٢/٧٩-٨٠].

ودأب الشيخ على أن يحتّم كلامه على بيت المقصورة بأن يشرح معناه ويجمّله، وذلك بعد أن يستوفي شرح مفرداته شرحاً لغوياً، نحو ما قال في منتهى كلامه على قول الناظم:

والناس كالنبت فمنهم رائقٌ غصّ نصيرٌ عوده مُرّ الجنى
: «المعنى الناس مختلفون متغاïرون وبينهم تفاوت، فهم مثل نباتات الأرض، فمنها ما يكون ظاهره جميلاً بغضوضته وريّه وابتلاله بالندى وشدة اخضراره ونضرة عوده وبهجته ورونقه وحُسنه وطلاوته، غير أن ثمرته كريهة في الطعم بشيعة في الذوق» [٢/٨٧].

وهذا صنعه، يستجمع المعاني اللغوية لمفردات البيت، ثم يحتّم كلامه عليه بأن يشرح معناه.

(١) ١/١٨١، قال ابن مالك: «وإذ قد انضبطت مواضع الإضافة التي بمعنى «في» ومواضع الإضافة التي بمعنى «من» فليعلم أن كل إضافة سواهما فهي بمعنى اللام، وإن لم يحسن تقدير لفظها، نحو زيد عند عمرو...» شرح التسهيل: ٣/٢٢٣، وانظر شرح المفصل لابن يعيش: ٢/١١٩، وشرح الكافية للرضي: ١/٢٧٣، وارتشاف الضرب: ١٨٠٠.

وأراد الشيخ لشرحه هذا أن يكون شرحاً جامعاً مجلياً لمعاني المقصورة مظهراً لها موضعاً غير ذي لبس وغموض مغنياً قارئه عن النظر في بطون الكتب للبحث والتنقيح جامعاً للشوارد والأبعاد، وما ذلك منه إلا تल्पف - في ذلك العصر - بالقارئ من أن لا يطبق التبع والاستقصاء أو ينال منه التعب والملل، لذا استفاض في الشرح وأطال، وذلك نحو ما جاء في شرحه لمفردات قول الناظم:

فإن أنالنتني المقادير الذي أكيدُهُ لم آل في رأب الثأى

إذ قال: «أنالنتني من أنال متعدّي نال الرجل الأمر يناله، أي أصابه ووجده، ووصل إليه، وأناله إياه: أوصله إليه وأظفره به» [٢١٨/١]، ثم نقل نصاً من مادة (نول) من المصباح بيّن فيه أن هذا الفعل من باب (تعب)، ثم وقف عند قول الفيومي: «من باب تعب»، وضرب مثلاً فقال: «أي كقولهم: خاف الفرس يخاف خيفاً بالتحريك» [٢١٩/١] ثم فسر الحيف معوّلاً على نص نقله من المصباح، ثم جاء بنص من مادة (نول) من مختار الصحاح، ونص آخر من المصباح، وآخر من مختار الصحاح، جاء بهذه النصوص ليظهر أن الفعل (نال) واوي يائي، ثم وقف عند قولهم في تفسير (نال): أصاب، وذكر أن الفعل «أصاب» يستعمل في معان عدة، وطفق يذكر هذه المعاني، ثم أشار إلى أنه أتى بالمعاني المترادفة ليتجلى معنى بيت الناظم ويضخ ويغنى، قال: «وكلها مترادفات معانيها متحدة، وألفاظها مختلفات، أتيت بها ليتقوى ظهور المعاني، ويكتسي بأنواع مختلفة من حلول المباني فيبرز في معرض الوضوح، ولا يُجوج الناظر فيه إلى السير في طريق التدقيق والتحقيق، فربما أدّاه إلى الإعياء والكلال، إن لم يعتره السأم والملال، والعلم لله وحده جل جلاله وعمّ نواله» [٢١٩/١-٢٢٠].

والتطويل في الشرح والاستطراد سمتان بارزتان في منهج الشيخ، فتراه يسوق نصاً، فيرى فيه كلمة أو كلمتين لا بد من تفسيرهما، فيعمد إلى شرحها بنصوص ينقلها عن

المصباح واللسان والتاج وغيرها مما يعد من مصادره، ثم يرى أن في هذه النصوص ما هو مستغلق المعنى فيشرحه، فحين تصدى لقول الناظم:

فاستنزَلَ الزَّبَاءَ قَسْرًا وَهِيَ مِنْ عُقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مَتَمَى

ووصل إلى قوله: «لوح الجو» شرح معنى كلمة «لوح»، واستعان بنص من اللسان فقال: «اللوح بالضم: الهواء بين السماء والأرض، قال:

لَطَائِرٌ ظَلَّ بِنَايْحُوْتُ يَنْصَبُ فِي اللَّوْحِ فَمَا يَفُوْتُ

وقال اللحياني: هو اللُّوح واللَّوح، ولم يَحِكْ فيه الفتح غيره، ويقال: لا أَفْعَلُ ذلك ولو نزوتَ في اللُّوح، أي ولو نزوتَ في السُّكَاكِ، والسُّكَاكُ: الهواء الذي يلاقي أَعْنَانَ السماء» ١. اهل لسان [٢٤٠ / ١].

ثم أخذ يفسر معنى كلمة «الأعنان» الواردة في كلام ابن منظور السالف، وأتى بنص من التاج، فقال: «وقوله: «الأعنان» قال في شرح القاموس: «الأعنان من السماء: نواحيها، قال يونس بن حبيب: أعنان كلِّ شيء: نواحيه، وقال: ليس لمنقوص البيان بهاء ولوحكَّ بيافوخه أعنان السماء»، وأما العَنَانُ كسحاب فهو السحاب، وقيل: السحاب التي تمسك الماء، الواحدة عَنَانَةٌ»^(١).

ثم نقل نصاً آخر من اللسان ساق فيه كلام ابن منظور على العَنَانِ والعَنَانِ والفعل منها^(٢).

وبعد هذا نظر في كلمة «السكاك» الواردة في النص السالف الذي أخذه من التاج، ونقل معناها من اللسان والتاج معاً، قال: «وفي اللسان والتاج (س ك ك): «واللُّوح والسُّكَاكُ والسُّكَاكَةُ: الهواء بين السماء والأرض، وقيل: هو الهواء الملاقي أَعْنَانَ السماء،

(١) التاج (عنن).

(٢) اللسان (عنن).

ومنه قولهم: لا أفعله ولو نزوت في الشكاك، أي ولو وثبت وطفرت وقفزت في السماء، وفي حديث الصبيبة المفقودة: «قالت: فحملني على خافية من خوافيه، ثم دوّم بي [أي دار بي] في الشكاك.. وفي حديث علي كرم الله وجهه ورضي عنه «ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء» [١/ ٢٤١-٢٤٢].

ورأى الشارح أن كلمة «خافية» الواردة في حديث الصبيبة في النص السالف في حاجة إلى تفسير، ففعل وقال: «الخافية: واحدة الخوافي، وهي ريشات الطائر التي إذا ضمّ جناحيه خفيت، وقال الأصمعي: ما دون الريشات العشر من مقدّم الجناح، وفي الحديث: «إن مدينة لوط حملها جبريل عليه السلام على خوافي جناحيه»، قال: هي الريشات الصغار التي في جناح الطائر، ضدّ القوادم، وواحدة هذه قادمة، وفي حديث أبي سفيان: «ومعي خنجر مثل خافية النسر، يريد أنه صغير»^١. اهـ لسان [١/ ٢٤٢].

ووجد أن كلمة «خنجر» الواردة في حديث أبي سفيان السالف يحسن أن تفسر، فاستعان بالمصباح والقاموس، فنقل منهما ما ينفي بالعرض [١/ ٢٤٢]. ثم عنّ له أن يشرح كلمة «دوّم» التي جاءت في حديث الصبيبة، فنقل نصاً من اللسان [١/ ٢٤٣].

ثم نظر في حديث سيدنا علي رضي الله عنه فراق له شرح مفردتين فيه، هما «فتق الأجواء»، وفسرهما معولاً على التاج [١/ ٢٤٣].

ثم شرح بعض المفردات في النصوص التي ساقها من اللسان والتاج [١/ ٢٤٣]، وبعد هذا وذاك عاد إلى بيت الناظم فاستأنف الكلام عليه [١/ ٢٤٤].

هذه سنته لا يدع كلمة في شرحه إلا ويبين المقصود بها بأن يعود إلى أصلها اللغوي، ويذكر أوجه استعمالها في لغة العرب، ولعل مقصوده من هذا أن يقدم شرحاً للمقصورة جامعاً مجزئاً يغني القارئ عن المراجعة والنظر مراعيّاً في ذلك طبيعة وقته الذي عاش فيه.

ومما هو بادٍ في منهج الشرح إخفاء المصادر التي عوّل عليها الشارح وكتمها، ولعله رأى أن لا حاجة إلى التصريح بأسمائها لأنها باتت معروفة عنده، من ذلك شرحه كلمة «يتخون» من قول الناظم:

وَمُنْتَجِجٌ أُمُّ أَبِيهِ أُمَّهُ لَمْ يَتَخَوْنَ جِسْمَهُ مَسَّ الصَّوَى
إِذْ قَالَ: «لَمْ يَتَخَوْنَ جِسْمَهُ، أَي لَمْ يَنْقُصْ جِسْدَهُ، قَالَ لِيَبْدَ يَصِفُ نَاقَةَ:

تَخَوَّنَهَا نَزُولِي وَارْتِحَالِي
وقال ذو الرمة:

لَا بَلُّ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دَارِ تَخَوَّنَهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرِبُ
مَرًّا جَمْعَ مَرَّةٍ، أَي تَارَةً...، وَتَخَوَّنَ حَقِي: تَنْقَصَهُ، كَأَنَّهُ خَانَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَتَخَوَّنَ السَّفَرُ
النَّاقَةَ: تَنْقَصَ لَحْمَهَا وَشَحْمَهَا وَأَوْرَثَهَا الْهَزَالَ، وَكُلُّ مَا غَيَّرَكَ إِلَى نَقْصٍ فَقَدْ تَخَوَّنَكَ، وَأَمَّا
التَّخَوَّنُ بِمَعْنَى التَّعَهُدِ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّحْرُجِ وَالتَّحْنُثِ وَالتَّائِثِ، بِمَعْنَى تَجَنُّبِ الْخِيَانَةِ
وَالحَرْجِ وَالحَنْثِ وَالإِثْمِ» [٢٥٢/٢].

ويشير الشيخ بعد أن ينقل المادة اللغوية من مظنها إلى أنها وردت على ما هي عليه في مصدر آخر، وما ذلك منه إلا لرغبة منه في استيفاء جمع المعنى اللغوي والإحاطة به لإراحة القارئ وكفايته مؤونة البحث والتحقيق، فقد نقل عن التاج معنى مادة «رسب»، فقال: «رسب الشيء في الماء كنصر وكرم رسوباً: ذهب سفلاً، وفي حديث الحسن... أسفلها» كذا في التاج»، ثم قال: «ومثله في اللسان» [٣٩٣/١].

ويظهر في هذا الشرح بما حواه من غزارة في المفردات اللغوية والأمثال والشواهد ذلك المنهج التوثيقي الذي كان معتمداً في رواية اللغة عن طريق ذكر الأسانيد المتعددة والروايات المختلفة صنع رواة الحديث النبوي الذين يعيدون الرواية بتامها إذا اختلفت في إحداها كلمة واحدة عن غيرها.

وعني الشيخ بالإشارة إلى بعض الأحداث التاريخية والأعلام والتعريف بها، من ذلك قوله: «الزباء اسم الملكة الرومية، تمد وتقصر، وهي ملكة الجزيرة، وتعد من ملوك الطوائف، وهو لقب لها، وأما اسمها ففيه اختلاف، فقييل: بارعة، وقيل: نابلة، وقيل: ميسون، وهي بنت عمرو بن الظرب أحد أشرف العرب وحكامهم، خدعه جذيمة الأبرش، وأخذ عليه ملكه وقتله، وقامت هي بأخذ ثأره في قصة طويلة، سأفرد بها بالشرح، إن شاء الله تعالى» [١/٢٣٩].

وذكر الشيخ في شرحه بعض الحكم، نحو قوله: «مَنْ تجاوز قدر نفسه ضاق عليه الواسع، ومثله مَنْ تعدَّى حدَّه لم يسعه مكان كائناً ما كان، ومثله مَنْ وردَ مواردَ غيره ضاقت عليه المصادر» [٢/١٣٠].

واستشهد ببعض الآيات التي يفيد الإنسان منها وتصلح أن تكون حكمة من الحكم، قال: «في طبعي سوء خلق وغلظ... وكذلك في طبعي لين لصديقي وناصري مادام مستقيماً على نهج الصدق في إخائي، ونحو هذا المعنى قول الآخر:

أنا كالماء لذيذ سائغ وإذا سُخِّنْ آذَى وَقَتْلٌ^(١)

وثقافة الشيخ ظاهرة في شرحه، تعرف ذلك في اقتباسه من القرآن الكريم في مواضع جمة من شرحه، قال: «مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالتَّحَمُّلَ لِلشَّدَائِدِ وَالتَّجَلُّدَ عَلَى مِقَاسَةِ الْمُشَقَّاتِ وَمَعَانَاتِهَا فَهَذَا لَا يَبْدَأُ أَنْ يَصِيرَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ... يَحْمِلُ لِنَفْسِهِ عَلَى الرِّضَى بِمَا حَصَلَ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً حَتَّى يَحْسِبَهُ الْجَاهِلُ غَنِيّاً مِنَ التَّعَفُّفِ» [٢/١٢٨].

وبذا تعرفنا معالم المنهج الذي سلكه الشيخ في شرحه مقصورة ابن دريد، على أن الاستفاضة والتوسع في شرح مفردات المقصورة يبدو أكثر ما يبدو في الجزء الأول من

الشرح، إذ اكتفى الشارح بشرح المفردات شرحاً لغوياً وافياً بالغرض دون استطراد في الجزء الثاني، ولم يشر إلى مصادره إلا قليلاً، وأحسب أن هذا الاختلاف في منهج الشرح بين قسمي الكتاب راجع إلى أن الجزء الثاني من النسخة المبيضة التي انتهى إليها المؤلف وأن الجزء الأول من النسخة الأولى التي لم يهدبها.

مصادر الشرح:

سلفت الإشارة عند الحديث عن منهج الشرح إلى أن الشيخ ذكر أن شرحه هذا جمع ليس غير، وأن الصبغة التي اصطبغ بها شرحه هي الصبغة اللغوية، وأنه كان ينقل معاني المفردات من أمهات كتب اللغة.

لذا فإن معاجم اللغة هي المصادر الأساسية التي اتكأ عليها الشارح، وتتمثل في المصنفات:

- ١- تاج العروس، للزبيدي.
- ٢- لسان العرب، لابن منظور.
- ٣- القاموس المحيط، للمجد الفيروزآبادي.
- ٤- المصباح المنير، للفيومي.
- ٥- الصحاح، للجوهري.
- ٦- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير.
- ٧- أساس البلاغة، للزمخشري^(١).

وكان أكثر اعتماده على القاموس وشرحه التاج، والظاهر أنه لم يغادر مادة لغوية من مواد هذين المصنفين إلا واطلع عليها وقرأها غير ما مرة، وأحب الشيخ المصباح المنير حباً

(١) لم أر أن أشير إلى المواضع التي ذكرت فيها هذه الكتب لأن ذكرها كثير لا تكاد تخلو صفحة منه.

جماً وأطرى صاحبه، وفي هذا يقول: «مصباحٌ فاستضىء بنوره، فله دُرٌّ مؤلفه حيث أجاد تأليفه، ولم يُبق للشكوك والإشكالات في صدور المرتابين مجالاً، أنار الله برهانه» [١/ ٢٥٤].

ومن المصنفات الأخرى التي اعتمد عليها:

- ١- شرح شواهد ابن عقيل، لمحمد بن قطة العدوي.
- ٢- شرح الألفية، لابن عقيل.
- ٣- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل.
- ٤- حاشية العلامة السجاعي على شرح قطر الندى.
- ٥- غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني، لأحمد فارس الشدياق.
- ٦- التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام عبد الرؤوف المناوي.
- ٧- تفسير الجلالين، للجلالين.
- ٨- حاشية الصاوي على الجلالين.
- ٩- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل.
- ١٠- تفسير العلامة أبي السعود.
- ١١- شرح مقصورة ابن دريد للصاوي، ولم يصرح الشارح بهذا، إلا أنه إذا قال: «قال شارح» فإنما يعنيه.

منهج التحقيق:

تهيأ لي أن أقف على نسخة مكتوبة بخط المؤلف، نسخت بخط عادي جميل مقروء، ليس فيها سقط ولا اضطراب، ولم تصب بشيء مما يصاب به المخطوط عادة، عدد الأسطر في اللوح يتراوح بين ٢٠-٢٥ سطراً، قياس ١٨×١٢، ذلك لأن المصنف كان يُخلّل بين الأسطر في مواضع من شرحه، ويجعل فرجاً بينها، وتتألف هذه النسخة من مجلدين، فرغ

من نسخها يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من شهور السنة السابعة والعشرين بعد الألف والثلاثمائة.

لم يُعَنَّ المصنف بوضع أرقام على أوراق المخطوط، واجتزأ عن ذلك بترقيم أبيات المقصورة، غير أني وجدت أن المجلد الأول يتألف من ٢٠١ق، وأن الثاني يتألف من ٢٠٠ق، إلا أن الورقة في هذا المجلد لا تتألف من لوحين [أ-ب] كما هو معهود في المخطوطات، وإنما تتألف من الألواح التي يستغرقها شرح بيت المقصورة، فقد تكون الورقة مؤلفة من لوحين كما هو في شرح البيت ١٤٩، وقد تكون مؤلفة من ثلاثة ألواح كما هو في شرح البيت ١٥٠.

وجعلت لهذه النسخة حرف الدال رمزاً.

وتمثل عملي فيما يلي:

١٢- ضبط النصوص التي نقلها المؤلف من مظانها ومعارضتها بها وتحريها من السقط والتصحيح والتحريف والاضطراب والإشارة إلى الاختلاف إذا وقع واختيار الوجه اللائق بالنص.

١٣- العناية بتوثيق القراءات القرآنية والأحاديث والأمثال والأقوال واللغات التي ذكرت في الشرح، وإعادة المذاهب النحوية والصرفية واللغوية إلى أصحابها ونسبتها إليهم ما استطعت.

١٤- تخريج الأشعار من الدواوين والمصنفات اللغوية والأدبية، والإشارة إلى الخلاف في الرواية إذا اقتضى المقام ذلك.

١٥- ترجمة الأعلام والتعريف بالمصنفات غير المألوفة.

١٦- وضع كلام المؤلف الذي اعترض به لتوضيح النص الذي هو بصده ضمن []،

وإنزال علامات الترقيم منازلها التي تستحق من النص.

هذا الجزء الاول من شرح

مقصودة ابن دريد بجامع

وكاتبه عبد القادر

ابن محمد بن المبارك

الحسيني البغدادي

عفا الله عنه

١١١١

صورة صفحة العنوان من المخطوط

الاسم الذي في الناحية من نبات البرية
 من القلابة وهو خير البرية
 فيه النور كسور النور
 والله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الاسم الذي في الناحية من نبات البرية
 من القلابة وهو خير البرية
 فيه النور كسور النور
 والله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سما سمى برصا ما كته القوي يا طيبة اشبه شئى بالمها ترعى الخرايمى بين اشجار النقا

جميعه خشبوا اجتمعوا القوي
 فيها رائحة ايضاً اجتمع
 كاذب الصبار في الجبل
 الكتيب الحمر الجاهل والاصيل ولا دها الجلاذر والمراعى بالفتح بقر الوحش وهى التى يقال
 والصيدان كيبه وفي العيدان صفيرة الورق حمراء الزهر طيبة الرائحة لها نور كثور البنفسج
 الصوام المشا اجتمعوا ايضا
 من الكتيب في الرمل ولا يسهو ويسرق زهر البادية اطيب فحة من فحتها ولذلك يقال لها خيرى البرية
 تطلق تاجه في الامم وفي الهاء بكسر الخاء على لفظ المنسوب الى الخبز وهو الكرم والشرف والنقا
 الكتيب وهو التل الاجتمع من الرمل وليس فيه اشجار ولا غنها الا شجر
 وفيه التل اجتمع من الرمل
 منتبت وانما اراد اشجار روضة قريبة من النقا لا ايضا في الارض
 والمناسبة وخص اشجار الروضة القريبة من النقا لان النظر الى حصى
 تارة والى ابيض هذه الكتيبان المرتفعة في الجوامع وانجل من النظر الى
 حصى تارة انما دعاهما بجمع

والفقه ايضا الطرية اما ترى راسى حالى لونه طرة صعب تحت اذبال الدجى
 في الناحية من نبات البرية
 هذه الناحية من نبات البرية
 حروف القلابة والى كذا كل فضاء يحكى الشجيرة اى يشاكلها وماثلها الطرة من كل شئ حرق
 الشجرة وفي الناحية صرفة والطرة ايضا الناصية والمراد بطرة الصم او له كما
 ان المراد باذبال الدجى آخر الليل والدجى بالضم جمع وجه كمدية
 وهو كمدية بقران الظلم ومثله في المعنى الدجى بدل من قوله وخارج مجاز بقر الدال المهملة والخاء
 فسمة بفتح نون طرة ويقال المجز بوزن الفتى وهي الحم الدجى الظلم وهو ليله وعقباة اه

ما صفة فناء اى شتره واستعمل المبيض في مسوده مثلا اشتعال النار في حزل الغصن
 قال طهارة نورا واستعمل اراد بالمبيض الشيب ومسوده شعر الشيب وبمسوده شعر
 الراس شيئا فاستعمال الشباب والغصن شجر خشبه اصلب الخشب ولهذا يكون في
 مدينة ش استعار كسبه استعمال النار في شجر النباء وفاء الى سوره بعد استثناء الا لغزوه انه وقال الله
 الخضر في القلابة ما حة طرشى به عقيل شىء سران الشيب جميع الراس بلطبة استعماله في الناحية ويجوز استعمال
 ادراكها اى اوا اشتقابه الفناء بكون فاستعمل نطارة بفتح على انها اوشه كسبه انما استعاره بقلته واستعمل
 تحيل ويحاج ما ر قال وشيا غير محموله في الناحية اراد استعمال شجر كاس فقول اننا ندهر كذا في الناحية
 فانهم وكله في الاساءه الى ان يخرجه من الناحية كدى كما قالوا دجى غير ان ان تفصيل مدعى وان نفس الله

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

المعنى أو أنه أول سبب نامة من
نوائب الدهر أو أن آتونه بسبب كسره
وهذا متخبراً بسبب كثرة الأموال واقبال
الديار غير قائم بحمد كفى محموداً على كسبه
والخفة

انتهى شرح القصيدة الدريدية يعلم الوجد
في لا تفتي عشرة ليلة قلت من شريفي القفنة
من شهر سنة السابعة وعشرين بعد الألف
والسلامة صلح على يد جامعاً ومولفاً
عقار به محمد الكارح المقتضى من الألف
اصلاً في رتبة واليسول ان يقع
هذا التأليف ويحل الثواب له بذلك جهده
في تصنيفه ويدرهم لطفه وبوالديه وكل من
له حصة عليه وهو حسناً ونعم الوكيل نعم
الولى ونعم النصير وصل الله على سيدنا محمد
خاتم الأنبياء وكرمه وعلى آل كل وصحبه كل أجمعين
والحمد لله رب العالمين

مقصورة ابن دريد

- ١ - يا ظيئةً أشبهت شيءً بالمها
 - ٢ - إماتري رأسي حاكي لونه
 - ٣ - واشتعل المبيض في مسوده
 - ٤ - فكان كالليل البهيم حل في
 - ٥ - وغاص ماء شرقي دهر رمي
 - ٦ - وآض روض اللهو يسا ذوايا
 - ٧ - وصرم النأي المشت جذوة
 - ٨ - واتخذ التسهيد عيني مألفا
 - ٩ - فكل ما لا يقينه معتقرا
 - ١٠ - لو لابس الصخر الأصم بعض ما
 - ١١ - إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن
 - ١٢ - شحيث لا بل أجزضتني غصة
 - ١٣ - إن يخم عن عيني البكا تجلدي
 - ١٤ - لو كانت الأحلام ناجتني بما
 - ١٥ - منزلة ما خلقتها يرصى بها
 - ١٦ - شيم سحاب خلب بارفة
 - ١٧ - في كل يوم منزل مستوبل
- تَرَعى الخزامى بين أشجار النقا
 طرّة صُبح تحت أذيال الدجى
 مثل اشتعال النار في جزل الغصا
 أُرجائه ضوء صباح فأنجلى
 حواطر القلب بتبريح الجوى
 من بعد ما قد كان مجاج الثرى
 ما تأتلي تسفع أثناء الحشى
 لَمّا جفا أجفانها طيف الكرى
 في جنب ما أسأره شخط النوى
 يلقاه قلبى فض أضلاء الصفا
 أن قصاراه نفاذ ونوى
 عنودها أقتل لي من الشجى
 فالقلب موقوف على سبل البكا
 ألقاه يقطان لأصماني الردى
 لنفسه ذو أدب ولا حجى
 وموقف بين ازجاء ومنى
 يشتف ماء مهجتي أو مجتوى

- ١٨ - ما خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَنْبِي عَلي
صَرَاءَ لَا يَرْضَى بِهَا ضَبُّ الكُدَى
- ١٩ - أُرْمِئِ العَيْشَ عَلي بَرَضٍ فَإِنَّ
رُمْتَ ارْتِشافاً رُمْتَ صَعْبَ المُتَسَا
- ٢٠ - أَرَا جِعُ فِي الدَّهْرِ حَوْلًا كَامِلًا
إِلى الِذِي عَوَدَ أَمْ لَا يُرْتَجَى
- ٢١ - يَا دَهْرُ إِنَّمَا تَكُ عُتْبَى فَاتَّيِدُ
فَإِنَّ إِروادَكَ والعُتْبَى سَوَا
- ٢٢ - رَفُّهُ عَلي طامًا أَنْصَبْتَنِي
وَاسْتَبَقَ بَعْضَ ماءِ عُصْنٍ مُلْتَحَى
- ٢٣ - لَا تَحْسَبَنَّ يَا دَهْرُ أَنِّي ضَارِعٌ
لِنَكْبَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقَ المَدَى
- ٢٤ - مَا رَسْتَ مَنْ لَوْ هَوَتْ الأَفْلاكُ مِنْ
جَوَانِبِ الجَوِّ عَلَيْهِ ما شَكَا
- ٢٥ - وَعَدَّ لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيا بِها
فِيها فزالَتْ عَنْهُ دُنْياهُ سَوَا
- ٢٦ - لَكِنَّها نَفْثَةٌ مَصْدورٌ إِذا
جاشَ لُغامٌ مِنْ نَواحِيها عَمَى
- ٢٧ - رَضِيْتُ قَسْرًا وَعَلي القَسْرِ رَضَى
مَنْ كانَ ذَا سُخْطٍ عَلي صَرَفِ القَضَا
- ٢٨ - إِنَّ الجَدِيدِينَ إِذا ما اسْتَوَلِيا
عَلي جَدِيدٍ أَذْيَاهُ لِلبِلى
- ٢٩ - ما كُنْتُ أَذْرِي وَالزَّمانُ مُولِعٌ
بَشَتْ مَلُومٍ وَتَنكِيْثِ قُوَى
- ٣٠ - أَنَّ القَضاءَ قاذِفِي فِي هُوءَةٍ
لَا تَسْتَبِيلُ نَفْسٌ مَنْ فِيها هَوَى
- ٣١ - فَإِنَّ عَثَرْتُ بَعْدَها إِنَّ وَأَلْتِ
نَفْسِي مِنْ هاتا فَقولوا: لا لَعَا
- ٣٢ - وَإِنَّ تَكُنْ مُدَّتْها موصولَةٌ
بالحَتْفِ سَلَطْتُ الأَساعِ على الأَسَى
- ٣٣ - إِنَّ امْرَأَ القَيسِ جَرى إِلى مَدَى
فَاعْتاقَهُ جِمامُهُ دونَ المَدَى
- ٣٤ - وَخامَرَتْ نَفْسُ أَبِي الجَبْرِ الجَوَى
حَتَّى حَواهِ الحَتْفُ فَيَمَنْ قَد حَوَى
- ٣٥ - وَابْنُ الأَشجِّ القَيْلُ ساقَ نَفْسَهُ
إِلى الرَدَى حِذارَ إِشْباتِ العَدَى
- ٣٦ - وَاخْتَرَمَ الوَضاحَ مِنْ دونِ التِي
أَمَلْها سَيْفُ الحِمامِ المُتَضَى
- ٣٧ - فَقَد سَمًا قَبلي يَزِيدُ طالِبًا
شَأوَ العُلى فِما وَهَى وَلا وَنَى

- ٣٨- فَاغْتَرَضْتُ دُونَ الَّذِي رَامَ وَقَدْ
٣٩- هَلْ أَنَا بَدْعٌ مِنْ عَرَانِينَ غَلَا
٤٠- فَإِنْ أَنَا لَتْنِي الْمَقَادِيرُ الَّذِي
٤١- وَقَدْ سَمَّا عَمَرُوا إِلَى أَوْتَارِهِ
٤٢- فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَاءَ فَسَرًّا وَهِيَ مِنْ
٤٣- وَسَيْفٌ اسْتَعَلَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ
٤٤- فَجَرَعَ الْأَخْبُوشَ سُمًّا نَاقِعًا
٤٥- ثُمَّ ابْنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِيرَانَهُ
٤٦- مَا اعْتَنَى لِي بِأَسْ يُنَاجِي هَمَّتِي
٤٧- أَلَيْتَ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي
٤٨- خُوصٍ كَأَشْبَاحِ الْحَنَائِيا ضَمَّرِ
٤٩- يَرْسُبُنْ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَبِالضُّحَى
٥٠- أَخْفَأُهُنَّ مِنْ حَفَى وَمِنْ وَجَى
٥١- يَجْمَلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُحْقَوقِفِ
٥٢- بَرِّبَرَى طُؤُلِ الطَّؤَى جُثْمَانَهُ
٥٣- يَنْوِي التِّي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعَالَا
٥٤- حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا اسْتَعْبَرَ لَا
٥٥- ثُمَّتَ طَافَ وَانْتَشَى مُسْتَلِمَا
٥٦- وَأَوْجَبَ الْحَجَّ وَتَنَى عُمْرَةَ
٥٧- ثُمَّتَ رَاحَ فِي الْمَلْبَبِينَ إِلَى
- جَدَّبَهُ الْجِدُّ اللَّهُيْمُ الْأَرْبَى
جَارَ عَلَيْهِمْ صَرْفٌ دَهْرٍ وَاعْتَدَى
أَكْبَدُهُ لَمْ أَلْ فِي رَأْبِ الثَّأَى
فَاخْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي الْمُسْتَمَى
عَقَابِ لُؤْحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُتَمَى
حَتَّى رَمَى أَبْعَدَ شَأْوَ الْمُرْتَمَى
وَاحْتَلَّ مِنْ غَمْدَانَ مِحْرَابِ الدُّمَى
يَوْمَ أَوَارَةَ تَمِيمًا بِالصَّالَا
إِلَّا تَحَدَّاهُ رَجَاءً فَاخْتَمَى
بِهَا النَّجَاءَ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَالَا
يَرْعُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَدْبِ الْبُرَى
يَطْفُؤُونَ فِي الْأَلِ إِذَا الْأَلُ طَفَا
مَرْتُومَةٌ تَخْضَبُ مُبْيَضَّ الْحَصَا
مِنْ طُولِ تَدَابِ الْعُدُوِّ وَالشَّرَى
فَهُوَ كَقَدْحِ النَّبْعِ مَحْنِي الْقَرَا
لَمَّا دَحَا ثَرِبَتْهَا عَلَى الْبَيْ
يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى
ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ فَسَعَى
مِنْ بَعْدَمَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا
حَيْثُ تَحَجَّجَى الْمَازِمَانَ وَمِنَى

- ٥٨- ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرُؤُ نُحْتِيًّا
- ٥٩- وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا
- ٦٠- وَرَاحَ لِلتَّوْدِيْعِ فَيَمْنُ رَاحٌ قَد
- ٦١- بِذَلِكَ أُمُّ بِالْخَيْلِ تَعُدُّو وَالْمَرْطَى
- ٦٢- شُعْنًا تَعَادَى كَسْرَاجِينِ الْغَضَا
- ٦٣- يَحْمَلْنَ كُلَّ شَمْرِيٍّ بِاسْلٍ
- ٦٤- يَغْشَى صَلَّى الْحَرْبِ بِحَدْيِهِ إِذَا
- ٦٥- لَوْ مَثَلَ الْحَتْفُ لَهُ فَرَزْنَا لَهَا
- ٦٦- وَلَوْ حَمَى الْمُقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةً
- ٦٧- تَعُدُّو الْمَنَايَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ
- ٦٨- بَلْ فَسَمًا بِالشَّمِّ مِنْ يَعْزُبُ هَلْ
- ٦٩- هُمُ الْأَلَى إِنْ فَخَرُوا قَالَ الْعَلَا
- ٧٠- هُمُ الْأَلَى أَجْرُوا يَنْابِيْعَ النَّدَى
- ٧١- هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنْ أَنْتَحَى
- ٧٢- هُمُ الَّذِينَ جَرَّعُوا فَمَا حَلُّوا
- ٧٣- أَزَالَ حَشْوًا نَثْرَةً مَوْضُونَةٍ
- ٧٤- وَصَاحِبَايَ صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ
- ٧٥- أَبْيَضُ كَالْمَلْحِ إِذَا انْتَضَيْتُهُ
- ٧٦- كَأَنَّ بَيْنَ عَيْرِهِ وَعَرْبِهِ
- ٧٧- يُرِي الْمُنُونَ حِينَ تَقْمُو إِثْرَهُ
- مَوَاقِفًا بَيْنَ إِلَالٍ فَالْتَقَا
- وَالسَّعْيِ مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصُّوَى
- أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هُجْرَ اللَّغَا
- نَاشِرَةً أَكْتَادُهَا قُتَبَ الْكُلَى
- مِثْلَ الْحَمَالِيْقِ يُبَارِزُ الشُّبَا
- شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضٍ عَمْرَ الْوَعَى
- كَانَ لَطَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُصْطَلَى
- صَدَنَّهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انْتَنَى
- لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيْعَ مَا حَمَى
- تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْبَى مَا أَبَى
- لَمُقْسِمٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا مُتْتَهَى
- بِفِي امْرِيٍّ فَاخْرَكَمْ عَفْرُ الْبَرَى
- هَامِيَةً لِمَنْ عَرَا أَوْ اعْتَقَى
- وَقَوُّمُوا مِنْ صَعْرٍ وَمِنْ صَعَا
- أَفَاوِقَ الصَّيْمِ مَمْرَةَ الْحَسَا
- حَتَّى أُوَارَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الْحَتَى
- مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُو فِي الرُّبَى
- لَمْ يَلْقَ شَيْئًا حَدُّهُ إِلَّا فَرَى
- مُفْتَادًا تَأْكَلْتُ فِيهِ الْجُدَى
- فِي ظَلَمِ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لِأَثْرَى

- ٧٨- إِذَا هَوَىٰ فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا
 ٧٩- وَمُشْرِفِ الْأَقْطَارِ خَاظٍ نَحْضُهُ
 ٨٠- قَرِيبُ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا
 ٨١- سَامِي التَّلِيلِ فِي دَسِيعٍ مُفْعَمٍ
 ٨٢- رُكَّابِنَ فِي حَوَاشِبٍ مُكْتَنَّةٍ
 ٨٣- يَرِضُّعُ بِالْيَدِ الْحَصَىٰ فَإِنْ رَقَا
 ٨٤- يُدِيرُ إِعْلِيطَيْنِ فِي مَلْمُومَةٍ
 ٨٥- مُدَاخِلِ الْخَلْقِ رَحِيبُ شَجْرِهِ
 ٨٦- لَا صَكَكَ يَشِيئُهُ وَلَا فَجَا
 ٨٧- تَنْظُنُهُ وَهُوَ يُرَى مُتَحَجِّبَا
 ٨٨- إِذَا اجْتَهَدَتْ نَظْرًا فِي إِثْرِهِ
 ٨٩- كَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِي أَرْسَاغِهِ
 ٩٠- هَمَّاعَتَا دِي الْكَافِيَانِ فَقَدَ مَنْ
 ٩١- فَإِنْ سَمِعَتْ بِرَحَىٰ مَنْصُوبَةٍ
 ٩٢- وَإِنْ رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَضِي
 ٩٣- حَيْرُ النَّفُوسِ السَّائِلَاتِ جَهْرَةً
 ٩٤- إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ أَهْلَهُ
 ٩٥- وَلَا أَطْبَىٰ عَيْنِي مُذْفَارِقْتَهُمْ
 ٩٦- هُمُ الشَّنَاخِيبُ الْمُنِيفَاتُ الدَّرَى
 ٩٧- هُمُ الْبُحُورُ زَاخِرٌ آذِيهَا
 من بَعْدِ مَا كَانَتْ حَسَا وَهِيَ رَكَا
 حَائِي الْقَصِيرَى جُرْشُوعٌ عَرْدُ النَّسَا
 بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْقَدَالِ وَالصَّلَا
 رَحْبُ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعَجَى
 إِلَى نُسُورٍ مَثَلِ مَلْفُوظِ النَّوَى
 إِلَى الرَّبَى أَوْرَى بِهَانَارِ الْحَبَا
 إِلَى لَمُوحَيْنِ بِالْحَاظِ السَّلَايِ
 مُخْلُولِ الصَّهْوَةِ تَمْسُودُ وَأَى
 وَلَا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَا
 عَنِ الْعِيُونِ إِنْ دَأَى أَوْ إِنْ رَدَى
 قُلْتَ: سَنَا أَوْ مَضَّ أَوْ بَرَقُ حَفَا
 وَالسَّنَجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَا
 أَعْدَدْتُهُ فَلَيْنَا عَنِّي مَنْ نَأَى
 لِلْحَرْبِ فاعْلَمْ أَنَّي قُطْبُ الرَّحَى
 فاعْلَمْ بَأَيِّ مُسْعِرٍ ذَاكَ اللَّطَى
 عَلَى ظُبَاتِ الْمُرْهَفَاتِ وَالقَنَا
 مِنْ شَنَانٍ صَدَنِي وَلَا قِلَى
 شَيْءٌ يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْ هَذَا الْوَرَى
 وَالنَّاسُ أَذْحَالٌ سَوَاهُمْ وَهُوَ
 وَالنَّاسُ صَحْضَاخٌ نَعَابٌ وَأَصَى

- ٩٨- إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ
٩٩- حَاشَا الْأَمِيرِينَ اللَّذِينَ أَوْقَدَا
١٠٠- هُمَا اللَّذَانِ أَتَبَّأْنِي أَمَلًا
١٠١- تَلَايَا الْعَيْشَ الَّذِي رَنَّقَهُ
١٠٢- وَأَجْرِي مَاءَ الْحَيَاةِ رَغَدًا
١٠٣- هُمَا اللَّذَانِ سَمَوَا بِنَاطِرِي
١٠٤- هُمَا اللَّذَانِ عَمَّرَانِي جَانِبًا
١٠٥- وَقَلْدَانِي مَنَّةً لَوْ فُرِنْتُ
١٠٦- صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا
١٠٧- جَوْنُ أَعَارِثِهِ الْجُنُوبُ جَانِبًا
سَقَى الْعَقِيقَ فَالْحَزِيزَ فَالْمَلَا
١٠٨- نَأَى يَمَانِيًّا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ
١٠٩- فَجَلَّلَ الْأُنْفُقَ فَكُلُّ جَانِبٍ
١١٠- وَطَبَّقَ الْأَرْضَ فَكُلُّ بُقْعَةٍ
١١١- إِذَا حَبَّتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا
١١٢- وَإِنْ وَنَتْ رُغُودُهُ حَادَا بِهَا
١١٣- كَأَنَّ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكَه
١١٤- لَمْ تَرَ كَالْمُزْنَ سَوَامًا بَهْلًا
١١٥- تَقُولُ لِلْأَجْرَانِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ
١١٦- فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابَ سَيِّبًا مُخْسِبًا
- مَثَلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخَزِ السَّفَا
عَلِيَّ ظِلًّا مِنْ نَعِيمٍ قَدْ صَفَا
قَدْ وَقَفَ الْيَأْسُ بِهِ عَلَى شَفَا
صَرَفُ الزَّمَانِ فَاسْتَسَاعَ وَصَفَا
فَاهْتَزَّ غُصْنِي بَعْدَ مَا كَانَ دَوَى
مِنْ بَعْدِ إِغْضَائِي عَلَى لَذْعِ الْقَدَى
مَنْ الرَّجَاءِ كَانَ قَدَمًا قَدْ عَفَا
بِشُكْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنِّي مَا وَفَى
وَمَا دَجَا اللَّيْلُ وَمَا لَاحَتْ دُكَا
مِنْهَا وَوَاصَتْ صَوْبُهُ يَدَ الصَّبَا
إِلَى النَّحِيثِ فَالْقَرِيَّاتِ الدُّنَا
أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كِسْرَاهُ عَطَا
مِنْهَا كَأَنَّ مِنْ قُطْرِهِ الْمُزْنَ حَبَا
مِنْهَا تَقُولُ: الْعَيْثُ فِي هَاتَا تَوَى
رِيحُ الصَّبَا تُشِبُّ مِنْهَا مَا حَبَا
حَادِي الْجُنُوبِ فَحَدَّتْ كَمَا حَادَا
بَرَكَاتِ دَاعِي بَيْنَ سَجَرٍ وَوَحَى
تَحْسِبُهَا مُرْعِيَّةً وَهِيَ سُدى
بَسُوقِهِ ثِقَابِي بِرِيٍّ وَحَيَا
وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالْمَاءِ الرَّوَى

- ١١٧ - كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غَبَّ صَوْبِهِ
١١٨ - ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ
١١٩ - لَسْتُ إِذَا مَا بَهَّظْتَنِي غَمْرَةً
١٢٠ - وَإِنْ ثَوَّتْ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةً
١٢١ - نَهْنَهْتُهَا مَكْظُومَةً حَتَّى يُرَى
١٢٢ - وَلَا أَقُولُ إِنْ عَرَّتَنِي نَكْبَةٌ
١٢٣ - قَدْ مَارَسْتُ مَنِّي الْخُطُوبُ مَرَسًا
١٢٤ - لِي التَّوَائِدِ إِنْ مَعَادِي التَّوَى
١٢٥ - طَعْمِي شَرِيٌّ لِلْعَدُوِّ تَارَةً
١٢٦ - لَدُنْ إِذَا لُوِينْتُ سَهْلٌ مَعْطَفِي
١٢٧ - يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنْبِي حُبُوتِي
١٢٨ - لَا يَطِينَنِي طَمَعٌ مُدَسَّسٌ
١٢٩ - وَقَدْ عَلَتْ بِي رُتْبًا تَجَارِي
١٣٠ - إِنْ أَمْرُؤُ خَيْفَ لِإِفْرَاطِ الْأَذَى
١٣١ - مِنْ غَيْرِ مَا وَهَنٍ وَلَكِنِّي أَمْرُؤُ
١٣٢ - وَصَوْنُ عَرَضِ الْمَرْءِ أَنْ يَبْدُلَ مَا
١٣٣ - وَالْحَمْدُ خَيْرٌ مَا اتَّخَذَتْ غَدَّةً
١٣٤ - إِذَا أَقْتَنَى الْمَرْءُ الَّذِي يَبْقَى لَهُ
١٣٥ - وَكُلَّ قَرْنٍ نَاجِمٍ فِي زَمَنِ
١٣٦ - وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَمِنْهُمْ رَائِقٌ
- بَحْرُ طَمَّاءٍ تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا
قَوْمٌ هُمْ لِلْأَرْضِ عَيْثٌ وَجَدَا
مَنْ يَقُولُ: بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَى
تَمَلُّماً بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا
مُخْضُوعاً مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَغَى
قَوْلَ الْقَنُوطِ: انْقَدَّ فِي الْبَطْنِ السَّلَى
يَسَاوِرُ الْهَوُولَ إِذَا الْهَوُولُ عَالَا
وَلِي اسْتِوَاءٌ إِنْ مُوَالِيَّ اسْتَوَى
وَالرَّاحُ وَالْأَرِي لِمَنْ وُدِّي ابْتَعَى
أَلْوَى إِذَا حُوشِنْتُ مَرَّهَوْبُ الشَّدَا
إِذَا رِيَاخُ الطَّيِّسِ طَارَتْ بِالْحَبَى
إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوْ اطَّبَى
أَشْفَيْنَ بَيْنَ مِنْهَا عَلَى سُبُلِ النَّهَى
لَمْ يُجَشَّ مَنِّي نَزَقٌ وَلَا أَدَى
أَصُونُ عَرَضًا لَمْ يُدْنَسْهُ الطَّخَا
ضَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَأَنْتَصَى
وَأَنْفُسُ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التَّقَى
مِنْ بَعْدِهِ فَالْحَمْدُ خَيْرٌ مَقْتَنَى
فَهُوَ شَيْبُهُ زَمَنِ فِيهِ بَدَا
عَضُّ نَضِيرٍ عَوْدُهُ مُرُّ الْجَنَى

- ١٣٧ - وَمِنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ
- ١٣٨ - يُقَوِّمُ الشَّارِحَ مِنْ زَيْغَانِهِ
- ١٣٩ - وَالشَّيْخُ إِنْ قَوِّمَتْهُ مِنْ زَيْغِهِ
- ١٤٠ - كَذَلِكَ الْغُصْنُ يَسِيرٌ عَطْفُهُ
- ١٤١ - مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ
- ١٤٢ - وَهُمْ لِمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ
- ١٤٣ - عَيْدُ ذِي الْمَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَعُوا
- ١٤٤ - وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاءُ وَإِنْ
- ١٤٥ - عَاجَتْ أَيَّامِي وَمَا الْغُرُّ كَمَنْ
- ١٤٦ - لَا يَرْفَعُ اللَّبَّ بِلَا جَدٍّ وَلَا
- ١٤٧ - مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعُهُ مَا
- ١٤٨ - مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ
- ١٤٩ - مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا رَأَى
- ١٥٠ - مَنْ مَلَكَ الْحِرْصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ
- ١٥١ - مَنْ عَارَضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ رَنَتْ
- ١٥٢ - مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا
- ١٥٣ - مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ
- ١٥٤ - مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ
- ١٥٥ - مَنْ نَاطَ بِالْعُجْبِ عَرَى أَخْلَاقِهِ
- ١٥٦ - مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطِيهِ
- دُقَّتْ جَنَاهُ سَاعَ عَذَابٍ فِي اللَّهَا
- فِيَسْتَوِي مَا انْعَاجَ مِنْهُ وَأُنْحَى
- لَمْ يَقْمِ التَّقْيِيفُ مِنْهُ مَا انْتَوَى
- لَدُنَّا شَدِيدٌ غَمْرُهُ إِذَا عَسَا
- وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِيَاهُ وَاحْتَمَى
- أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاثِ السَّفَى
- مِنْ غَمْرِهِ بَجُرْعَةٍ تَشْفِي الصَّدَى
- شَارَكَهُمْ فِيهَا أَفَادَ وَحَوَى
- تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَارْتَدَى
- يَحْطُوكَ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَالَا
- رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ عَدَا
- كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى
- أَرَاهُ مَا يَدُونُو إِلَيْهِ مَا نَأَى
- يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الدُّلِّ صَرَى
- إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا
- كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ انْتَوَى
- تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَيَسِيحَاتُ الْخَطَا
- نَدَامَةٌ أَلْدَعُ مِنْ سَفْعِ الدُّكَا
- نِيَطَتْ عُرَى الْمَقْتِ إِلَى تَلِكِ الْعُرَى
- أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بَلْهَ الْقُصَى

- ١٥٧- مَنْ رَامَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ طَوْقُهُ
١٥٨- وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ
١٥٩- وَلِلْفَتَى مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَتْ
١٦٠- وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ
١٦١- إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرَهُ فَقَدْتُ
١٦٢- وَفُرَّ عَنْ تَجْرِبَةِ نَابِي فَقُلْتُ
١٦٣- وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خَالًا يَلْسُهُمْ
١٦٤- عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنَّ الرَّدَى
١٦٥- وَهُوَ مِنَ الْعَفْلَةِ فِي أَهْوِيَّةٍ
١٦٦- نَحْنُ وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ كَمَا
١٦٧- إِذَا أَحْسَسَ بِنَاءِ رِيْعٍ وَإِنْ
١٦٨- نَهَالَ لِلسَّيْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا
١٦٩- كَثَلَتْ رِيْعَتٌ لَلَيْثِ فَاَنْزَوَتْ
١٧٠- إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُوَلِّعٌ
١٧١- وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ
١٧٢- وَآفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَالَ
١٧٣- كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْحُوطَةٍ أَخْلَافُهُ
١٧٤- إِذَا بَلَّوَتْ السَّيْفَ مُحَمَّدًا قَالَا
١٧٥- وَالطَّرْفُ يَجْتَازُ الْمَدَى وَرُبَّمَا
١٧٦- مَنْ لَكَ بِالْمَهْدَبِ النَّدْبِ الَّذِي
- مَلْعَبٌ يَوْمًا آضٌ مَجْزُولَ الْمَطَا
ووَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَى
يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا اقْتَنَى
فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى
أَمْرِي حِينًا وَأَحْيَانًا خَالَا
فِي بَازِلٍ رَاضٍ الْخُطُوبَ وَامْتَطَى
وَقَلَّمَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الْخَالَا
إِذَا أَتَاهُ لَا يُدَاوِي بِالرُّقَى
كَخَابِطٍ بَيْنَ ظَلَامٍ وَعَشَا
قَد قِيلَ لِلسَّارِبِ أَخْلَى فَارْتَعَى
تَطَامَنَتْ عَنْهُ تَمَادَى وَهَهَا
وَنَرْتَعَى فِي عَفْلَةٍ إِذَا انْقَضَى
حَتَّى إِذَا غَابَ اطْمَأَنَّتُ أَنْ مَضَى
لَا يَمْلِكُ الرَّدْدَ لَهُ إِذَا أَتَى
وَالعَبْدُ لَا يَرْدَعُهُ إِلَّا العَصَا
عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا
أَصْفِيئُهُ الوُدُّ لِحُلُقٍ مُرْتَضَى
تَذُنْمُهُ يَوْمًا أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا
عَنْ لِمَعْدَاهُ عِثَارٌ فَكَبَا
لَا يَجِدُ العَيْبُ إِلَيْهِ مُخْتَطَى

- ١٧٧ - إِذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ
١٧٨ - عَوَّلَ عَلَى الصَّيْرِ الْجَمِيلِ إِنَّهُ
١٧٩ - وَعَطَّفَ النَّفْسَ عَلَى سُبُلِ الْأَسَى
١٨٠ - وَالِدَّهْرُ يَكْبُوبُ بِالْفَتَى وَتَارَةً
١٨١ - لَا تُعْجِبُنْ مِنْ هَالِكٍ كَيْفَ هَوَى
١٨٢ - إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ أَمْسَتْ أَقْلاً
١٨٣ - إِلَّا بَقَايَا مَنْ أَنْسَى بِهِمْ
١٨٤ - إِذَا الْأَحَادِيثُ انْتَضَتْ أَنْبَاءَهُمْ
١٨٥ - لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِي مَجْلِسِهِمْ
١٨٦ - مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى
١٨٧ - أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمْرَهُ
١٨٨ - هَيْهَاتَ مَهْمَا يُسْتَعْرَ مُسْتَرْجَعُ
١٨٩ - وَفِتْيَةٍ سَامَرَهُمْ طَيْفُ الْكَرَى
١٩٠ - وَاللَّيْلُ مُلْتَقٍ بِالْمَوَامِي بَرْكَهُ
١٩١ - بَحَيْثُ لَا يُهْدَى لِسَمْعِ نَبَاةٍ
١٩٢ - شَايَعْتُهُمْ عَلَى السُّرَى حَتَّى إِذَا
١٩٣ - قَلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْهُوَيْنَى غِبُّهَا
١٩٤ - وَمُوحِشِ الْأَقْطَارِ طَامِ مَأْوُهُ
١٩٥ - كَأَنَّمَا الرَّيْشُ عَلَى أَرْجَائِهِ
١٩٦ - وَرَدُّنُهُ وَالِدْتُبُّ يَعْوِي حَوْلَهُ
تُلْفِ أَمْرٍ أَحَارَ الْكَمَالَ فَانْتَفَى
أَمْنَعُ مَا لَادِبِهِ أَوْلُو الْحَجَى
إِذَا اسْتَفَزَّ الْقَلْبَ تَبْرِيحَ الْجَوَى
يُنْهَضُهُ مِنْ عَثْرَةٍ إِذَا كَبَا
بَلْ فَاغْجَبْنِ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا
وَوَظَلُّهُ الْقَلْبُضُ أَضْحَى قَدَازَى
إِلَى سَبِيلِ الْمَكْرَمَاتِ يُقْتَدَى
كَانَتْ كَشْرَ الرَّوْضِ غَادَاهُ السَّدَى
هُجْرًا إِذَا جَالَسَهُمْ وَلَا حَنَا
يَقْبَلُ مِنْهُ الْمَوْتُ إِسْنَاءَ الرَّشَا
لَمْ يَسْتَلِبْهُ الشَّيْبُ هَاتِيكَ الْحَلَى
وَفِي خُطُوبِ الدَّهْرِ لِلنَّاسِ أُسَى
فَسَامَرُوا النَّوْمَ وَهُمْ غَيْدُ الطُّلَى
وَالْعَيْسُ يَنْبُشُنُ أَفَاحِيصَ الْقَطَا
إِلَّا نَسِيمُ الْبُومِ أَوْ صَوْتُ الصَّدى
مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بِالْجَبْسِ الدَّوَى
وَهَنْ فَحَدُّوا تَحَمَّدُوا غِبَّ السَّرَى
مُدَعَّرِ الْأَعْضَادِ مَهْزُومِ الْجَبَا
رُزُقُ نِصَالٍ أُرْهَفَتْ لِثِمْتِهِى
مُسْتَكَّ سَمِّ السَّمْعِ مِنْ طُولِ الطَّوَى

- ١٩٧ - وَمُنْتَجِحِ أُمِّ أَبِيهِ أُمَّتُهُ
١٩٨ - أَفْرَشْتُهُ بِنْتِ أَخِيهِ فَأَثْنَتَتْ
١٩٩ - وَمَرَّقِبِ مَخْلُولِ قِيٍّ أَرْجَاؤُهُ
٢٠٠ - وَالشَّخْصُ فِي الْآلِ يُرَى لِنَاظِرٍ
٢٠١ - أَوْفَيْتُ وَالشَّمْسُ تَمُجُّ رِبْقَهَا
٢٠٢ - وَطَارِقٍ يُؤْنِسُهُ الدُّبُّ إِذَا
٢٠٣ - أَوَى إِلَى نَارِي وَهِيَ مَأْلَفٌ
٢٠٤ - اللَّهُ مَا طَيْفُ خَيْالٍ زَائِرٍ
٢٠٥ - يَجُوبُ أَجْوَازَ الْفَلَاحِ مَحْتَقِرًا
٢٠٦ - سَائِلُهُ إِنْ أَفْصَحَ عَنْ أَنْبَاءِهِ
٢٠٧ - أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا مَا فَارِسُ
٢٠٨ - وَسَائِلِي بِمَزْعِجِي عَنْ وَطَنِي
٢٠٩ - قُلْتُ الْقَضَاءُ مَالِكٌ أَمَرَ الْفَتَى
٢١٠ - لَا تَسْأَلْنِي وَأَسْأَلِ الْمِقْدَارَ هَلْ
٢١١ - لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى امْرُؤٌ مَا خَطَّه
٢١٢ - لَا غَرَوْا إِنْ لَجَّ زَمَانٌ جَائِرٌ
٢١٣ - فَقَدْ تَرَى الْقَاجِلَ مَحْضَرًا وَقَدْ
٢١٤ - يَا هُوَ لِيَا هَلْ تَشُدُّنَّ لَنَا
٢١٥ - مَا أَنْصَفَتْ أُمَّ الصَّيِّبِينَ الَّتِي
٢١٦ - اسْتَحْيِي بِيضًا بَيْنَ أَفْوَادِكَ أَنْ
- لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى
عَنْ وَلَدٍ يُورِي بِهِ وَيُسْتَوَى
مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلِكِ وَعَرِ الْمُرْتَقَى
تَرْمُقُهُ جِينًا وَجِينًا لَا يُرَى
وَالظَّلُّ مِنْ تَحْتِ الْحِدَاءِ مُخْتَدَى
تَصَوَّرَ الدُّبُّ عِشَاءً وَأَنْصَوَى
يَدْعُو الْعِفَاءَ صَوُّوْهَا إِلَى الْقَرَى
تَرْفُهُ لِلْقَلْبِ أَحْلَامَ الرُّوَى
هَوَلٌ دُجَى اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ انْبَرَى
أَنَّى تَسَدَّى اللَّيْلُ أَمْ أَنَّى اهْتَدَى
وَمَا مَوَامِيهَا الْقِفَارُ وَالْقَرَى
مَا ضَاقَ بِنِ جَنَابُهُ وَلَا نَبَا
مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ دَرَى
يَعْصِمُ مِنْهُ وَرَزٌّ أَوْ مُدَّ دَرَى
ذُو الْعَرْشِ مِمَّا هُوَ لَاقٍ وَوَحَى
فَاعْتَرَقَ الْعِظْمَ الْمُمِخَّ وَأَنْتَقَى
تَلْقَى أَحَا الْإِقْتَارِ يَوْمًا قَدْ نَمَا
نَاقِبَةَ الْبُرُوقِ عَنِ عَيْنِي طَلَا
أَصَبَتْ أَحَا الْحِلْمِ وَمَا يُضْطَبِي
تَقْتَادَكَ الْبَيْضُ اقْتِيَادَ الْمُهْتَدَى

- ٢١٧- هِيَهَاتَ مَا أَسْفَعَ هَاتَا زَلَّةً
 ٢١٨- يَا رَبِّ لَيْلٍ جَمَعَتْ قَطْرَيْهِ لِي
 ٢١٩- لَمْ يَمْلِكِ الْمَاءُ عَلَيْهَا أَمْرَهَا
 ٢٢٠- حِينَا هِيَ الدَّاءُ وَأَحْيَانَا بِهَا
 ٢٢١- قَدْ صَانَهَا الْحَمَارُ لِمَا اخْتَارَهَا
 ٢٢٢- فَهِيَ تُرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إِنْ بَدَتْ
 ٢٢٣- كَأَنَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي ذُرُورِهَا
 ٢٢٤- نَازَعْتَهَا أَرْوَعَ لَا تَسْطُو عَلَى
 ٢٢٥- كَأَنَّ نَوْرَ الرُّوْضِ نَظْمٌ لَفْظِهِ
 ٢٢٦- مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتَهُ
 ٢٢٧- فَإِنْ أُمْتُ فَقَدْ تَنَاهَتْ لَدَّتِي
 ٢٢٨- وَإِنْ أَعَشُّ صَاخِبْتُ دَهْرِي عَالِمًا
 ٢٢٩- حَاشَا لِمَا أَسَارَهُ فِي الْحَجَى
 ٢٣٠- أَوْ أَنْ أَرَى لِنَكْبَةٍ مُحْتَضِعًا
 ٢١٧- أَطْرِبًا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَالْجَلَا
 ٢١٨- بِنْتُ ثَمَانِينَ عَرُوسًا تُجْتَلَى
 ٢١٩- وَلَمْ يُدْنَسْهَا الضَّرَامُ الْمُحْتَضَى
 ٢٢٠- مِنْ دَائِهَا إِذَا يَمِيجُ يُشْتَفَى
 ٢٢١- صَنَّا بِهَا عَلَى سِوَاهَا وَاخْتَبَا
 ٢٢٢- فِي كَأْسِهَا لِأَعْيُنِ النَّاسِ كَلَا
 ٢٢٣- بِفَعْلِهَا فِي الصَّحْنِ وَالْكَاسِ اقْتَدَى
 ٢٢٤- نَدِيمِهِ شِرَّتُهُ إِذَا انْتَشَى
 ٢٢٥- مُرْتَجِلًا أَوْ مُنْشِدًا أَوْ إِنْ شَدَا
 ٢٢٦- وَالْمَرْءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الشَّا
 ٢٢٧- وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ انْتَهَى
 ٢٢٨- بِمَا انطوى مِنْ صَرْفِهِ وَمَا انْتَشَى
 ٢٢٩- وَالْحِلْمُ أَنْ أَتْبَعَ رُؤَادَ الْخَنَى
 ٢٣٠- أَوْ لَا يَتَهَاجِ فَرْحًا وَمُزْدَهَى



شرح مقصورة ابن دريد

بجامعه وكاتبه

عبد القادر بن محمد المبارك الحسني الجزائري

عفا الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

١- يا ظبيّة أشبهه شيءٍ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا^(١)
الظبية: الغزالة، والمها بالفتح: بقر الوحش، وهي التي يقال لأولادها: الجاذر،
والخزامى بألف التأنيث مضموماً: عشب طويله العيدان، صغيرة الورق حمراء الزهر، طيبة
الرائحة، لها نور كنور البنفسج، وليس في زهر البادية أطيب من نفحتها، ولذلك يقال لها:
خيرى البر، بكسر الخاء، على لفظ المنسوب إلى الخير، وهو الكرم والشرف، والنقا:
الكثيب، وهو التلّ المجتمع من الرمل.

٢- إمّا ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
ترى، أي تنظري وتُبصري، حاكى أي ضاهى وشابه، يقال: فلان يحاكى الشمس
حسناً، أي يشاكلها ويماثلها، الطرة من كل شيء: حرفه وطرفه، والطرة أيضاً: الناصية،
والمراد بطرة الصبح أوله كما أن المراد بأذيال الدجى آخر الليل، والدجى بالضم جمع دجية

(١) سقط هذا البيت من شروح المقصورة لابن خالويه واللخمي والتبريزي والصاوي.

كُمْدِيَّة، ومثله في المعنى الدَّخَى بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة بوزن الفتى، قال المجد:

«الدَّخَى: الظُّلْمَة، وهي ليلة دَخِيَاء». [القاموس (دخى)]

٣- واشتعلَ المَبْيِضُ في مُسْوَدِّهِ مثلَ اشتعالِ النَّارِ في جِرْزِ الغَضَا

أراد بالمبيض شعر الشيب، وبمسوده شعر الشباب، «والغضا: شجر خشبه أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمة صلابه، وأنشدوا في الاستخدام^(١)»:

فَسَقَى الغَضَا والسَاكِنِيهَ وَإِنْ هُمْ شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي
شَبَّوهُ أَي أَصْرَمُوهُ وَأَوْقَدُوهُ، والضمير عائد إلى الغضا مراداً به النار على الاستخدام،
فشبه الشاعر حرارة الوجد التي أورثه إيّاها فراق أحبته بنار الغضا دون غيره، لأنها أجود
النيران وأشدها حرارة، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر يخاطب حمامة: [ديوان ابن لؤلؤة ٥٩]

إِنَّا تَقَاسَمْنَا الغَضَا فغصونهُ في رَاحَتَيْكَ ونارُهُ في أَضْلَعِي
والغضا شبيهة بالأرطى بفتح الألف وسكون الراء وفتح الطاء مقصوراً، ومنبت
كليهما الرمل، ولذلك أكثر الشعراء من ذكر التجاء الطباء وبقر الوحش إلى الأرطى
والغضا وأشباههما من شجر الرمل واحتفار أصوله للكُنُوس فيها والتبرّد بها من الحرّ
والانكراس فيها من البرد والمطر دون شجر الجلد^(٢)، والرمل احتفاره سهل.

وأكثر الأراضى إنباتاً للغصى أرض نجد، ولذلك يقال لأهلها: أهل الغصى، قالت
شاعرة من قبيلة خثعم تدعى أم خالد من أبيات لها:

وأهل الغصى قومٌ عليّ كرامٌ.....

(١) في حاشية د: «الاستخدام أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد
ضميريه أحدهما، وبالأخر الآخر، فالأول كقوله:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

والثاني كقول البحري: ... وعرض البيت: فسقى الغضا...

(٢) في حاشية د: «الجلد بفتحيتين: الجلد، وأيضاً الجلد: الأرض الصلبة، وهو المراد هنا»

و«جَزَلَ الغَصَى» بفتح فسكون يختلف باختلاف ما يوصف به، فإن وصفت به الإنسان كان بمعنى العاقل الجيّد الرأى، وأيضاً بمعنى الكريم المعطاء، أي الكثير الإِطاء، وإن وصفت به كلام الناس كان مدحاً أيضاً بخلاف الرّكيك، وإن وصفت به الحطب كان بمعنى الغليظ العظيم اليابس، وهو المراد هنا، قال تميم بن أبي بن مُقبل، وهو أحد عُوران قيس الخمسة الشعراء، وهو من مخضرمي شعراء الجاهلية، عاش مائة وعشرين سنة: [ديوانه: ٩١]

باتت حَوَاطِبُ لَيْلى يَلْتَمِسْنَ لها جَزَلَ الجُدَى غيرَ حَوَارٍ ولا دَعِرٍ
ومعناه أمست جَواري لَيْلى اللَّاتي يَجْمَعْنَ لها الحطبَ يَقتَبِسْنَ ويطلبنَ الغليظَ اليابس
من الحطب الذي في طَرَفه هُبُّ بشرط أن يكون صلباً، أي لا رخاوة فيه، بشرط أن لا يكون فيه رخاوة ولا رديئاً كثيراً الدُّخان.

٤- فكان كاللَّيْلِ البَهِيمِ حَلٍّ في أَرْجائه ضوئُ صَباحٍ فأنجَلِي

«البَهِيمُ»: الأسود، والبَهِيمُ: الفرسُ الذي لا شِيَّةَ فيه، أي لا يُخالِطُ معظمَ لونه لونُ آخر يُخالِفه، وهذا هو الذي يقال له: المَصْمَتُ بالتخفيف، على صيغة اسم المفعول، وزانٌ مُكْرَم، فإذا جُعِلَ البَهِيمُ في البيت مأخوذاً من هذا كان المعنى أيضاً جيّداً، فإن اللَّيْلَ إذا لم يُخالِطُ معظمَ لونه - وهو السوادُ - لونٌ آخرُ كان على غاية من الادلّهام وشدة الإِظلام، وإذا جُعِلَ بمعنى الأسود فلا حاجة إلى هذا.

«أَرْجائه» الأَرْجاء: الأَنْحاء وَزناً ومعنى، وهي الجوانِبُ والنواحي، الواحدُ رَجَا بالقَصْر، مثلُ عَصَا، فأنجَلِي: فأنكشَفَ.

٥- وغاصَّ ماءٌ شرَّتي دَهْرٌ رَمَى خَواطِرَ القَلْبِ بِتَبْرِيحِ الجَوى

يقال: غاصَّ الماءُ أي: غارَ، وهو ضدُّ فاصَّ وفارَ، وفي المثل «غاصَّ الكرامُ» أي: قَلَّوا، و«فاصَّ اللثامُ» أي كَثُرُوا، وفي معنى هذا المثل قولُ الطُّغْرَائِي في لامِيَّة العجم: [٣٤٣/٢]
غاصَّ الوفاءُ وفاصَّ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعملِ

وهي فيما ذكرته لك قاصرة، وتُستعمل أيضاً متعدية، فيقال: غاصَّ اللهُ الماءَ فغاصَّ هو، أي أذهب اللهُ الماءَ وغَوَّره، فذهب وغارَ في الأرض. ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَكَسِمَاءُ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ [هود: ١١/٤٤]، وهي في بيت ابن دريد متعدية.

«الشَّرَّة» بالكسر مصدرٌ شَرَّرَ يَشْرُرُ من باب تَعَبَ ومن باب قَرَبَ لغَةً، أي صرَّتْ صاحبَ شَرٍّ، والشَّرُّ: الفساد والظُّلم، وهو ضدُّ الخير، وشِرَّةُ الشَّبابِ بالكسر أيضاً: ما يَحْصُلُ فيه للشَّبابِ من النشاط والحِفَّة في أعماله. [اللسان والتاج (شرر)]

«الْحَوَاطِرُ»: الهواجِسُ، وهي ما يتحرَّكُ بالقلب من معنى من المعاني أو تدبير أمر من الأمور أو رأي من الآراء، وهي جمعُ خاطر، اسمُ فاعلٍ من خَطَرَ الأمرُ بباله وعلى باله يَحْطُرُ بالضمِّ ويَحْطُرُ بالكسر من بابي دَخَلَ وَضَرَبَ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي وَهْمِهِ.

«تَبْرِيحٌ»، التَّبْرِيحُ: التعذيب وشِدَّةُ الأذى، وهو مصدرُ بَرَّحَ به الأمرُ إِذَا جَهَدَهُ وَهَزَلَهُ وَأَهْزَلَهُ وَأَنْحَلَهُ وَلَقِيَ مِنْهُ الْعَذَابَ، والبُرْحَاءُ بضمِّ الباءِ وفتحِ الرَّاءِ والحاءِ الممدودة: الشِّدَّةُ والمشقَّةُ. [اللسان والتاج (برح)]

وقوله: «الجَوَى»، «الجَوَى: الحُزْنُ وَحُرْقَةُ الْقَلْبِ واشتدادُ الْوَجْدِ، وهو الهوى والحُبُّ من عِشْقٍ أو حُزْنٍ وداءِ السُّلِّ وتطاوُلِ المرضِ، نعوذُ بالله من كلِّ آفةٍ، وفي النهاية: الجَوَى: المرضُ وداءُ الجُوفِ إِذَا تَطَاوَلَ، وأيضاً شِدَّةُ الْوَجْدِ من عِشْقٍ أو حُزْنٍ». [التاج (جوى)]

٦- وَأَضَّ رَوْضُ اللَّهْوِ يَبْسُأُ ذَاوِيَاءً مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجَّاجَ الثَّرَى

«أَضَّ» أي: صار، ومنه قولهم: أَضَّ سِوَادُ شَعْرِهِ بِيَاضاً، قال زهيرٌ وبعضهم يَعْزِيهِ^(١) لِكَعْبٍ يَذْكُرُ أَرْضاً قَطَعَهَا^(٢):

قَطَعْتُ إِذَا مَا الْأَلَّ أَضَّ كَأَنَّهُ سَيْوْفٌ تَنَحَّى تَارَةً ثُمَّ تَلْتَقِي

(١) «يقال: عزيته إلى أبيه وعزوته»، إصلاح المنطق: ١٣٩، وأدب الكاتب: ٤٧٢.

(٢) البيت في ديوان زهير: ١٧٧، ونسب إلى كعب في اللسان (أيض).

«تَنَحَّى» [في بيت زهير] بحذف إحدى التاءين أي تَنَحَّى، يقول: قطعْتُ هذه الأَرْضَ حين صار السَّرَابُ شبيهاً بسيفٍ تتباعدُ عن بعضها مرةً وتجتمعُ أخرى، يعني بذلك أنَّ بَصِيصَ السَّرَابِ وتَلَأْلُؤَهُ وبريقه ولَمَعَانَهُ يكون حينئذٍ طرائقَ متفرقةً وخطوطاً مختلفةً وشُعَباً منفصلةً، فتُحاكي سيوفاً تلمعُ متفرقةً متباعداً بعضها عن بعض، أو أحياناً يجتمعُ بريقُ ذلك السَّرَابِ ويملأُ الوهادَ والهضابَ، فتُضاهي سيوفاً تلمعُ وتَبْرِقُ وتَبِصُّ متصلةً متدانياً بعضها من بعض. [التاج (أيضاً)]

«الروض» [من بيت الناظم] هنا مستعارٌ، وهو في الأصل الأَرْضُ ذاتُ المياه والأشجار والأزهار اللطيفة، وفَسَّرَهَا بعضهم بالأَرْضِ ذاتِ الحُضرةِ مطلقاً، وبعضهم بالبستان، وعن ثعلبٍ: الروضة: الموضعُ يجتمعُ إليه الماءُ فيكثرُ نَبْثُهُ، والروضُ من الجمع الذي ليس يُفَرِّقُ بينه وبين واحدِهِ إلا بالهاء، كَتَمْرٍ وتَمْرَةٍ، ونَخْلٍ ونَخْلَةٍ، وبابُ هذا الجمعِ المخلوقاتُ كزَهْرٍ وزَهْرَةٍ، وأمَّا في المصنوعات فمسموعٌ في ألفاظٍ قليلة، كسَفِينٍ وسَفِينَةٍ ولَبَنٍ ولَبْنَةٍ، كما في الكلِّيَّاتِ في صحيفة ٣٣٠، ثلاثمائة وثلاثين، ومثله قَصِيدٌ وقَصِيدَةٌ على قولٍ، قال عمرو بن كلثوم: [ديزانه ١٠٠]

مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَمْلَأُهُ سَفِينَا
 «واللَّهُو»: تَرْوِجُ النَّفْسَ وَتَسْلِيْتُهَا بِهَا لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ، وقيل: هو كُلُّ مَا يُتْلَهُ بِهِ مطلقاً، وقيل: اللُّهُو: الاستمتاعُ بِلذَّاتِ الدُّنْيَا، وقيل: الميلُ عن الجِدِّ والإقبالُ على الهُزْلِ، وقيل: الإِعْرَاضُ عن الحَقِّ، وقيل: صرفُ الهَمِّ ودفعُهُ بِمَا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَلِيْقُ أَنْ يُصْرَفَ بِهِ. [المصباح واللسان والتاج (لها)]

«يَيْسًا» يقال: بُسْتَانٌ يَيْسُ بَفَتْحٍ وَسُكُونِ بوزن فَلَسٍ، أي: قد جَفَّ وغازَ وغازَصَ وَنَضَبَ وَنَشَفَ ماؤها [أي الروضة في بيت الناظم]، وَتَصَوَّحَ أو صَوَّحَ كَلْوُها، أي يَيْسَ عَشْبُها، ويقال: شاةٌ يَيْسُ بَفَتْحِ الباءِ وَسُكُونِها، أي قد انقطعَ لَبْنُها، فَيَيْسَ صَرْعُها، ولم يكن

فيها لبنٌ، وخصَّ بعضهم اليَبَسَ بفتح فسكون بما كان رَطْباً ثم جَفَّ وَيَبَسَ كالحَطَبِ، فإنه كان عِيداناً لَيِّنَةً نَدِيَّةً رَطْبَةً، أي ذات رطوبة ونداوة، وأمَّا ما أصله اليُبوسةُ ولم يُعهد رَطْباً قطُّ فَيَبَسَ بالتحريك، وجعلها بعضُهم مترادفين بمعنى واحد، فقال: يقال: أَرْضٌ يَبَسُ بفتح فسكون، وَيَبَسُ بفتحتين، ويكون اليَبَسُ أيضاً جمع يابس كركب وراكب، وصحب في جمع صاحب، وشرب في جمع شارب، ويكون أيضاً مصدرًا كالْيَبَسُ بالضمِّ واليُبوسة، ولا يمتنع أن يكون مراداً في البيت على سبيل المبالغة كما يقال: رجلٌ عدلٌ، أي عادل، وخصمٌ أي مخاصمٌ ورصى أي مرضيٌّ.

«ذاوياً»، الداوي: اسم فاعل من «ذوى النبات» من باب رمى، إذا صرَّبه الحرُّ فذبل

وضَعُفَ. [اللسان (ذوى)]

«مَجَّاج»: صيغة مبالغة من «مَجَّ الشَّرَابَ وغيره من فمه» من باب ردَّ، أي لفظته ورميت به، ومنه قولهم للكاتب: مَجَّاجٌ، سُمي به؛ لأنَّ قلمه يَمُجُّ المِدَادَ، والأَرْضُ إذا كانت رِيًّا من النَّدى فهي تَمُجُّ المَاءَ مَجًّا، أي تطرحه ولا تشرُّبه ولا تقبله لغزارة مائها وفرط ارتوائها، ويقال للمطر: مَجَّاجُ المِزْنِ بضم الميم وفتح الجيم المخففة بوزن عُرَابٍ؛ لأنَّ المِزْنَ أي السحاب يُلقِيه، وللعسل أيضاً: مَجَّاجُ النحل؛ لأنَّ النحل يَمُجُّه. «الثَّرى» بالفتح، مقصورٌ، على وزن الفتى: الترابُ الذي أصابه النَّدى وهو البَلُّ والنِّداوةُ.

٧- وَصَرَّمَ النَّأْيُ المِثْتُ جَدْوَةٌ مَا تَأْتِي تَسْفَعُ أَثْنَاءَ الحَشَى

صَرَّمَ أي أوقدَ وأهلبَ وأشعلَ، النَّأْيُ: البُعدُ، ويُطلَقُ على الفراق أيضاً، قال الحطيئة^(١):

وهندٌ أتى من دُونِها النَّأْيُ والبُعدُ

فأراد بالنأْي الفراق، ولو أراد البُعد لما جمعَ بينها، المِثْتُ: المُفَرَّقُ، وهو اسم فاعل من أَشَّتَه، وهو مثل شتته بالتضعيف، جَدْوَةٌ: جَمْرَةٌ، تأتي: تُقَصِّرُ، ومنه قوله تعالى في سورة

(١) صدر البيت: أَلَا حَبْدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بها هِنْدٌ والبيت في ديوانه: ٦٤.

النور: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢/٢٤] على ما ذهب إليه بعضهم، أي: لا يقصر أصحاب الغنى والجدّة والثروة في إيتاء أي: إعطاء الأقارب والمساكين والمهاجرين، والذي ذهب إليه عامّة المفسرين أنّ «لا يأتل» في الآية بمعنى «لا يحلف»، قالوا: لأنها نزلت في حلف أبي بكر على أنّ لا ينفق على ابن خالته مسطح بن أثاثة المسكين المهاجر البدرّي، وهي حينئذٍ على حذف حرف النفي، أي: لا يحلف أولو الفضل أنّ لا يؤتوا، وشاهد «أنتلى» بمعنى «قصر» قول النابغة الجعديّ، وهو الذي قدم على رسول الله ﷺ، ومدحه ودعا له ﷺ، وقال له حين أنشده القصيدة الرائية^(١): «لا يفضض الله فاك»، فنيّف أي زاد على المائة، وكان فاه البرد المنهل ترف غروبه، البرد: حبّ الغمام، وهو مطر جامد، والمنهل: المنصب وزناً ومعنى، ترف بالكسر أي: تتلألاً وتبرق وتلمع، والغروب جمع غرب كفلس وفلوس، وهو ماء الفم وحده الأسنان، وقيل: الغروب: الأسنان كما في النهاية [٢/٢٩٤]، ورقتها وحدها كما في الصحاح وغيره، وفي اللسان: «غرب الفم: كثرة ريقه، والجمع غروب، وقيل: غروب الأسنان: مناقع ريقها، وقيل: أطرافها وحدها وماؤها، قال عنتره: [ديوانه ١٩٤]

إذ تستيبك بذي غروبٍ واضحٍ عذبٍ مقبله لذيذ المطعم
ويروى في حديث النابغة «فما سقطت سنٌّ إلا فغرت» أي طلعت مكائها سنٌّ، ويروى «فغبر مائة سنة»، أي مضى لم تنقص له سنٌّ، أي لم تنكسر، قيل: عاش مائة وعشرين سنة، ومات بأصبهان، قال: [ديوانه ١١٨]

وأشمطَ عُربانٍ يشدُّ كتافه يلام على جهد القتال وما أنتلى

(١) التي مطلعها: [ديوانه: ٧٠]

تذكرتُ والذكرى تُهيِّجُ للفتى ومن حاجة المحزون أن يتذكراً

أي: وما قَصَرَ ولا فَرَطَ، والأَشْمَطُ: الذي خالط بياض الشَّيب سوادُ شعر رأسه، وفعله شَمِطَ كَفَرَحَ شَمَطًا بفتحين، وقال الليث: الشَّمَطُ في الرجل: شَيْبُ اللِّحْيَةِ، وفي المرأة: شَيْبُ الرَّأْسِ، لا يقال لها: أُمَّةٌ شَيْبَاءَ، ولكن شَمَطَاءَ، فعلى هذا الأَشْمَطُ هو الذي شابت لحيته، والعُربان هو الذي عَرِيَ من ثيابه، عَرِيَ كَتَعَبَ عُرِيًّا وَعُرِيَةً بضمَّهما.

«الِكِتَافِ» [من بيت النابغة] بالكسر ككِتاب: الحبل الذي يُكْتَفَ به الإنسان، ومعنى يُكْتَفُ أن تُشَدَّ يده به من خلفه، «جَهْدُ القتالِ» بفتح الجيم: المبالغة فيه والاجتهاد، يقال: اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي ابلُغْ غايتك، ولا يقال: اجْهَدْ جُهْدَكَ بالضم [اللسان (كتف)]، «وما ائْتَلَى» أي وما قَصَرَ في الجهاد والقتال.

«تَسْفَعُ» [من بيت الناظم] فعل مضارع من «سَفَعَ السَّمُومَ والنَّارَ والشمسُ وجهه» أي لَفَحَتْه، فغَيَّرت لونَ البَشرةِ وسوَّدته، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ٩٦/١٥]، أي لنسوِّدَنَّ وجهه، كما في بعض التفاسير، قال: وإنما اكتفى بالناصية لأنَّها في مقدِّم الوجه. [اللسان (سفع)]

«أثناء الحَشَى»: مَطَاوِيه وتضاعيفُه وغُضُونُه وطرائقُه، ومكاسِرُ طِيَّه، واحدهُ ثِنِيٌّ بالكسر، وهو على وزن فِعْلٍ، مِنْ ثَنَى الشَّيْءَ، من باب «رَمَى»، إذا رَدَّ بعضُه على بعض وعطفه وطواه وحناه، ومطَاوِعُه «ائثنى»، أي: انحنى وانعطفَ وأنطوى.

«الحَشَى»: كلُّ ما في البطن من كَبِدٍ وطِحَالٍ وكِرْشٍ وما تبع ذلك، وقال بعضهم: «هو ما اشتملت عليه الضلوع»، وبعضهم: «هو ما بين آخر الأضلاع إلى رأس الورك».

٨- وَأَتَّخَذَ التَّسْهِيدُ عَيْنِي مَأْلَفًا لَمَّا جَفَا أَجْفَانَهَا طَيْفُ الْكَرَى

التَّسْهِيدُ: مصدر سَهَدَ: أَرَقَه وأسهره، أي: أَوْرَثَهُ السُّهَادَ والأَرْقَ والسَّهَرَ، وهو عدم النوم لعلَّة ما مِنْ هَمٍّ أو وَجَعٍ أو نحو ذلك، والتَّسْهِيدُ المرادُ في البيت مصدرٌ سَهَدَ بضمَّ

السين وكسر الهاء المشددة مبنياً للمفعول، لأنه هو الذي جعل عينه مألفاً له، وأمّا التَّسْهِيدُ الذي هو مصدر سَهَّدَ بفتح السين والهاء المشددة مبنياً للفاعل فمألُفه الأشياء المزعجة والأمور المقلقة كما لا يخفى.

و«المألَّفُ»: الموضِعُ المألوفُ، وهو اسمُ مكانٍ من «أَلِفَ الشَّيْءَ يَأْلِفُهُ» من باب عَلِمَ إذا أَنَسَ بِهِ وَأَحَبَّهُ. [المصباح (ألف)]

«جَفَا»: صَدَّ وَأَعْرَضَ وَهَجَرَ، ومصدره الجَفَاءُ، وهو القَطِيعَةُ والهَجْرَانُ، ضِدُّ الوِصَالِ.

«الأَجْفَانُ»: جمع جَفَنَ، وهو غِطَاءُ العين من أعلى وأسفل، ومِنَ الجِنَاسِ وَأَلْطَفَهُ مَا أَنشَدَهُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّاذِلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١):

أَجْفَانُهُمْ نَفَتِ الْغِرَارَ كَمَا انْتَفَى مَاضِي الْغِرَارِ بِهِمْ مِنَ الْأَجْفَانِ
الْغِرَارُ الْأَوَّلُ: النَّوْمُ، والثَّانِي: حَدُّ السِّيفِ، وهو بكَسْرِ الْغَيْنِ فِيهِمَا، وَالْأَجْفَانُ الْأَوَّلُ:
أَغْطِيَةُ الْأَعْيُنِ، والثَّانِي: الْأَعْمَادُ.

«طَيْفُ الْكَرَى»: أَي الطَّيْفُ الطَّارِقُ فِي النَّوْمِ، وهو الخيال الذي يقال له: طَيْفُ الخيال، وطائفُ الخيال، والإضافة بيانِيَّةٌ، قال الفَرَّاءُ: «والعربُ تُضَيِّفُ الشَّيْءَ إِلَى نَفْسِهِ إِذَا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ»، وفي اللسان: «طَيْفُ الخيال: مجيئه في النَّوْمِ، يقال: طَافَ الخيالُ يَطِيفُ طَيْفًا وَمَطَافًا: أَلَمَّ فِي النَّوْمِ، قال كعبُ بنُ زهير: [ديوانه ١١٣]

أَنْبَى أَلَمَّ بِكَ الْخِيَالَ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ
وَالطَّيْفُ وَالطَّيْفُ بِفَتْحِ الطَّاءِ، وهو المشهورُ، وبكسرها عن كُرَاع^(٢): الخيالُ نَفْسُهُ»
أ.هـ. [اللسان (طيف)]

(١) هو محمد بن محمد بن محمد المعروف بسيدي محمد وفا المالكي المذهب الشاذلي توفي ٧٦٥هـ.

(٢) هو علي بن الحسن الهنائي، المعروف بكُرَاعِ النمل، نحوي كوفي، بغية الوعاة: ١٥٨/٢.

وقال [أي صاحب اللسان] أيضاً: «سُمِّي الخيال طَيْفًا تسميةً بالمصدر، وطَيْفُ الخيال هو الذي يراه النَّائم» ١.هـ.

وقولُ كَعْبٍ: «أَنْتَى أَلَمْ» «أَنْتَى» تكون بمعنى «مِنْ أَيْنَ»، قال تعالى: ﴿يَمْرِمُ أَنْتَى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣/٣٧] أي: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ وتكون بمعنى «متى»، قال تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنْتَى هَذَا﴾ [آل عمران: ٣/١٦٥]، أي متى، وبمعنى كيف، تقول: أَنْتَى لَكَ أَنْ تَفْتَحَ الْحِصْنَ؟ أي كيف، وقال اللَّيْثُ فِي قولِ عَلْقَمَةَ: [ديوانه ٦٦]

وَمُطْعَمُ الْغَنَمِ يَوْمَ الْغَنَمِ مُطْعَمُهُ أَنْتَى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مُحْرُومٌ
أَي أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَكَيْفَمَا تَوَجَّهَ.

وتكون من الظروف التي يُجَازَى بها، تقول: أَنْتَى تَأْتِي آتِكَ، أَي مِنْ أَيِّ جِهَةٍ تَأْتِي آتِكَ، وقوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنْتَى هَذَا﴾ يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ، أَي: كَوْنَهَا بِمَعْنَى مِنْ أَيْنَ، وَكَوْنَهَا بِمَعْنَى كَيْفَ، وقوله تعالى: ﴿أَنْتَى شِئْتُمْ﴾ يُحْتَمَلُ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةَ. [التاج (أنى)]

«أَلَمْ بَك» أَي: نَزَلَ بِكَ وَجَاءَ إِلَيْكَ، وَمَصْدَرُهُ الْإِلْمَامُ، وَحَقِيقَةُ الْإِلْمَامِ بِالشَّيْءِ إِتْيَانُهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ دُونَ بَعْضٍ، تقول: أَلَمْتُ بِفُلَانٍ إِلْمَامًا أَي: نَزَلْتُ بِهِ وَزُرْتُهُ وَلَمْ أُوَاطِبْ عَلَى زيارته، ومنه قولهم: ما يزورنا فلانٌ إِلَّا لِإِلْمَامًا. [اللسان (لم) بتصرف]

و«مَطَافُهُ» أَي: مَجِيئُهُ وَطُرُوقُهُ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِنْ «طَافَ الْخَيْالُ» مِنْ بَابِ «بَاعَ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ.

«ذُكْرَةٌ» الذُّكْرَةُ بِالضَّمِّ: نَقِيضُ النِّسْيَانِ، كَالذُّكْرَى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ. وَ«الشَّعُوفُ» مَصْدَرٌ «شَعَفَ الْحَبُّ» شَعْفًا وَشَعْفًا بَفَتْحٍ وَبِفَتْحَتَيْنِ كَمَا فِي ن ق م^(١) مِنْ بَابِ «مَنَعَ»، أَي أَحْرَقَ قَلْبَهُ مَعَ لَذَّةِ مَجْدُهَا، قَالَ الْمَلِكُ الصُّلَيْبِيُّ، يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ: [ديوانه ٣٣]

(١) أي النهاية: ١/ ٨٧٥، والقاموس ومختار الصحاح (شعف).

لِتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلَ الطَّالِي
شَعَفَ البعيرَ بالفَطْرَانِ، أي طَلَاهُ، كَذَا فِي التَّاجِ [شَعَفَ]، وَأَنشَدَ البَيْتَ.

يقول: أَحْرَقْتُ فُؤَادَهَا بِحَبِّي كَمَا أَحْرَقَ الطَّالِي هَذِهِ الإِبِلَ الْمَهْنُوءَةَ، ففُؤَادُهَا طَائِرٌ مِنْ
لَذَّةِ الهِنَاءِ لِأَنَّ الْمَهْنُوءَةَ تَجِدُ لِلهِنَاءِ لَذَّةً مَعَ حُرْقَةٍ، وَيُقَالُ: شَعَفْتُ بِهِ مِنْ بَابِ فَرِحَ، غَشِيَتْ
حُبَّهُ قَلْبِي وَارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى الْمَوَاضِعِ، وَقُرِئَ بِهِمَا، أَي بِالْفَتْحِ وَالكَسْرِ كَمَنْعَ وَفَرِحَ
﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ١٢/٣٠] قالوا: أَمَا الفَتْحُ فَعَلِي مَعْنَى بَطَنَهَا، أَي: بَلَغَ بَاطِنَ
فُؤَادِهَا، وَقِيلَ: أَمَرَضَهَا وَأَذَابَهَا، وَأَمَا الكَسْرُ فَعَلِي مَعْنَى عَلَّقَهَا وَعَشَقَهَا، وَعِبَارَةٌ ج وَن [أَي
التَّاجِ وَاللِّسَانِ] فِي مَادَّةِ (ذَكَر) مِنْهَا فِي تَفْسِيرِ بَيْتِ كَعْبِ «الشُّعُوفُ: الوَلُوعُ بِالشَّيْءِ حَتَّى لَا
يُعْدَلَ عَنْهُ».

«الكَرَى» [مِنْ بَيْتِ النَّاظِمِ]: النُّومُ، وَالكَرَى: النُّعَاسُ أَيْضاً، وَفَعْلُهُ كَرَضِي، يُقَالُ: كَرِيَ
يَكْرِي كَرِيً، كَصَدِي يَصْدِي صَدِيً، كَمَا فِي م [أَي فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ]، قَالَ جَمِيلٌ:

لَا تُسْتَمَلُّ وَلَا يَكْرَى مُجَالِسُهَا وَلَا يَمَلُّ مِنَ النَّجْوَى مُنَاجِيهَا
أَي: لَا يَسَامُ وَلَا يَنْعَسُ جَلِيسُهَا، وَكَذَلِكَ مُحَادِثُهَا سِرّاً لَا يَمَلُّ مِنْ مُنَاجَاتِهَا.

٩- فَكُلُّ مَا لَا قِيَّتَهُ مُغْتَفَرٌ فِي جَنْبِ مَا أَسَأَرَهُ شَخَطُ النَّوَى

مُغْتَفَرٌ: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ «اغْتَفَرَ لِلجَانِي وَالمَجْرَمِ مَا صَنَعَهُ» أَي: تَجَاوَزَ عَنْهُ وَصَفَحَ
وَعَفَا، مِثْلُ غَفَرَ، وَهَذَا أَحَدُ مَا جَاءَ فِيهِ فَعَلٌ وَافْتَعَلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، يُقَالُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَنَا
وَاعْتَفَرَهَا، أَي: عَفَا عَنْهَا، وَحَقِيقَةُ مَعْنَى المَغْفِرَةِ السُّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ مُطْلَقاً، ثُمَّ اسْتَعْمَلَتْ فِي
التَّغْطِيَةِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالعَفْوِ عَنْهَا، وَصَارَتْ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً، وَمِنْهُ الغَافِرُ وَالعَفُورُ وَالعَفَّارُ
فِي صِفَاتِهِ تَعَالَى، وَمَعْنَاهَا السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ المِتْجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ.

[المصباح (غفر)]

«في جَنْبٍ ما أَسَّأَرَهُ»، الجَنْبُ هنا بمعنى الجانب، وهو الناحية وأصلُ الجَنْبِ: شِقُّ الإنسان، وقيل: ما تحت إِبْطِهِ إلى كَشْحِهِ، أي: حَضْرِهِ، ويُستعملُ الجانبُ أيضاً بمعناه، تقول: قعدتُ إلى جَنْبِ فلانٍ وإلى جانبِهِ، ثمَّ استُعيِرَ للناحية التي تلي هذه الجارحةَ من الإنسان كاستعارة سائر الجوارح لذلك كاليمين والشمال، أي في ناحية ما أَسَّأَرَهُ، وحقيقَةُ معناه بالنسبة لما أَسَّأَرَهُ.

وفسّر بعض اللغويين جَنْبَ الشيءِ بمُعْظَمِهِ وأكثرِهِ، قال [الأزهري]: «ومنه قولهم: هذا قليل في جَنْبِ مودَّتِكَ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦/٣٩]، أي في قُرْبِهِ وجِوارِهِ، وقيل: معناه على ما فَرَطْتُ في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه، وهو توحيدِهِ، والإقرارُ بنبوَّةِ رسوله ﷺ».

ويكون الجَنْبُ بمعنى الأمر والشأن، ويكون بمعنى القِطْعَةِ من الشيء تكونُ معظمُهُ أو شيئاً كثيراً منه، وقوله:

خَلِيلِي كَفَا وَادْكُرَا اللَّهَ فِي جَنْبِي

أي: في أمري، وقال الشاعر: [هو كثير ديوانه ٤٠٩]

أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
ويقال: «ما فعلتُ في جَنْبِ حاجتي»؛ أي في أمرها وشأنها، والتي في بيت ابن دريد ترجعُ إلى معنى النسبة والإضافة، كأنه قال: كُلُّ جِنَايَةٍ وَجُرْمٍ وَظُلَامَةٍ حَصَلَتْ لِي فَإِنِهَا إِذَا قِيسَتْ بِمَا أَسَّأَرَهُ شَحَطُ النَّوَى وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ تَكُونُ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فَيُتَجَاوَزُ عَنْ صَاحِبِهَا وَلَا يُؤْخَذُ.

«أَسَّأَرَهُ»: غَادَرَهُ وَأَبْقَاهُ وَأَفْضَلَهُ، وفي الحديث: «إِذَا شَرِبْتُمْ فَأَسْأَرُوا» أي أَبْقُوا شَيْئاً مِنَ الشَّرَابِ فِي فَعْرِ الْإِنَاءِ، يقال: أَسَّأَرَ فلانٌ من طعامِهِ وشِرابِهِ سُوراً، وذلك إِذَا أَبْقَى بَقِيَّةً، وَبَقِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ: سُورُهُ. [اللسان (سأر)]

«شَحَطُ النَّوَى»، الشَّحَطُ مصدر شَحَطَ الْمَزَارُ كَمَنَعَ شَحَطًا بفتح فسكون وشَحَطًا بفتححتين وشُحُوطًا بالضمِّ ومَشَحَطًا كَمَطَلَبَ بَعْدَ، يقال: لا أَنسَاكَ على شَحَطِ الدارِ، أي

على بُعدها ونأيها، قال النابغة: [ديوانه ٢١٨]

وكلُّ قرينيةٍ ومَقَرِّ إلفٍ مُفَارِقُهُ إلى الشَّحَطِ القَرِينُ

وقال غيره: [هو العجاج ديوانه ٢٧/٢]

والشَّحَطُ قَطَاعٌ رجاءٌ مَنْ رَجَا

وأشَحَطْتُهُ: أبعدتُه. [التاج (شحط)]

النَّوَى: الجهةُ التي يَنْوِيها، أي يَقصدها وَيَعزم على الرَّحيل إليها المسافرُ، ويطلق النَّوَى أيضاً على البُعد، والنَّوَى أيضاً التحوُّل من مكان إلى مكان آخر أو من دارٍ إلى غيرها، كما تَنْتَوِي أي تَنْتَقِلُ وتحوُّل الأعرابُ في باديتها، يقال: انتَوَى القومُ إذا انتقلوا من بلد إلى بلد، وتحوَّلوا من منزل إلى منزل، ويطلق أيضاً على الدارِ، قال المرتضى الزبيدي: [التاج (نوى)] «قال القالي: «وسمعتُ أبا بكر بن دريد يقول: النَّوَى: الدارِ، فإذا قالوا: شَطَّتْ نَوَاهِمُ فمعناه بَعَدَتْ دَارَهُمْ، ولم نسمع هذا إلاَّ منه، وأحسبه إنما قال ذلك لأنَّهم يَنْوُونَ المنزل الذي يَرْحَلُونَ إليه، فإنَّ نَوُوا البعيدَ كانت دَارُهُمْ بعيدة، وإنَّ نَوُوا القريبَ كانت قريبة، فأما الذي ذكره عامَّة اللغويين فهو ما أنبأْتُك به، والنَّوَى عندي ما نويتَ من قُرب أو بُعد» انتهى، وهي في البيت بمعنى الدار كما لا يَحْفَى.

١٠- لو لابسَ الصَّخْرَ الأصمَّ بعضُ ما يُلْقاه قَلْبِي فَضَّ أَصْلَاءَ الصِّفَا

لابسَ: خالطَ وداخَلَ ومازَجَ، الصَّخْرُ الأصمُّ: الحجر العظيم الصُّلبُ الشديد اليبوسة المصمتُ، أي: الذي لا صدعَ فيه ولا خرقَ، وقال الليث: الصَّمَمُ في الحجارة: الصَّلابة والشدَّة، الصَّدْعُ: الشَّقُّ في الشيء الصُّلب، أي ضدَّ اللَّيْنِ، والخرقُ بالفتح: الثَّقْبُ ورنًا ومعنى، إلاَّ أنَّ هذا ينفردُ بجواز ضمِّه.

فَضَّ الشيء: كسره وقطعه وفرَّق أجزاءه ونثره، وكلُّ شيءٍ كسرتَه وفرقتَه فقد فضضتَه، وفي المختار [فضض]: «الفَضُّ: الكسر بالترفة، وبأبه ردًا».

الأصلاد: جمع صلد بفتح فسكون، كفلس، وهو الصلب اليابس الأملس.
والصفا: العريض من الحجارة الأملس، وقيل: الصفا: الأحجار الصلبة اليابسة
الملساء الضخمة، واحدها صفاة، وقال الأصمعي: الصفا والصفاة والصفاون بمعنى،
وهو الصخر الأملس الضخم، قال في ج: «الصفاة: الحجر الصلد الضخم الذي لا يُنبت
شيئاً، كذا في المحكم [٨/ ٣٨١]، وفي الصحاح: الصفاة: صخرة ملساء، يقال في المثل: «ما
تندى صفاة» يضرب للخيل». [التاج (صفا)]

١١- إِذَا ذَوَى الْعُصْنُ الرَّطِيبُ فاعْلَمَنْ أَنْ قُصَارَاهُ نَفَادٌ وَتَوَى

ذَوَى العُصْنِ من باب «رَمَى»، وفي لغة من باب «رَضِيَ»، ومنعها بعضهم، وضعفها
بعضهم، أي ذبل وبس بأن ضربه الحر فضعف وجفّ وذهبت نداوته، وذأى يذأى بالهمز
بدل الواو من باب «سَعَى» لغة حجازية، الرطيب: العُصْنُ الناعم اللين الرَّخِصُ المتل،
وهو اسم فاعل من: رَطَبَ العُودُ يَرطِبُ رُطوبةً ورطابةً من باب سَهَّلَ وكَرَّم، ومثله
رَخِصَ يَرخِصُ رُخوصةً ورخاصةً، ورطب من باب سَمِعَ أيضاً لغة فيه، أي أصابته
النداة ودبت فيه الطراوة. [اللسان (رطب)]

قُصَارَاهُ أَي: آخِرُ أمره وغايته ومُنْتَهَاهُ، ومنه قولهم: «التمني قُصَارَاهُ الحَبِيبَةُ». أَي:
غاية أمره ونهايته الحِرْمَانُ والحُسْرَانُ.

النَّفَادُ: الفناء والذهاب والانقطاع، قال الزبيدي في التاج [نفد]: «نقل شيخنا عن
الزنجشري أنه لو استقرى أحد الألفاظ التي فاؤها نونٌ وعينها فاء لوجد لها دالة على معنى
الذهاب والخروج، وقاله غيره» انتهى.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾
[القمان: ٢٧/٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتِ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٨/١٠٩]، أي ما انقطعت ولا فويت، يُرَوَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ

قالوا في حق التنزيل: هذا كلامٌ سينفذُ وينقطع، فكذبهم الله تعالى وأعلم أن كلامه وحكمته لا تنفذُ، وفعله من باب «سمع»، يقال: نفذَ ينفذُ نفاداً، كسمع يسمع سماعاً، ونفذاً أيضاً بالتحريك مصدرٌ له كالنفاد [اللسان (نفد)].

وتوى [من بيت الناظم]، التوى بفتح المثناة الفوقية مقصوراً، ويجوز مدّه فيقال: التواء على وزن البلاء كسحاب، ومعناه الهلاك والضيق، وفعله توي من باب صدي، يقال: توي الكافر أي: هلك، وتوي المال أي: ذهب لا يرجي، كذا في الأساس، وفي بعض الأمثال «أتوى من دين»، وتقول العرب: الشح متواة، وهو مفعلة من التوى، أي إذا منعت المال من حقه أذهبه الله في غير حقه [اللسان (توى)].

١٢- شجيت لابل أجرصتني غصةً عنودها أقتل لي من الشجي

شجيت أي حزنت وأصابني همٌّ وعمٌّ وكرْبٌ وشجنٌ، يقال: شجي يشجي، وهو مثل أسى يأسى وزناً ومعنى، وكلاهما من باب صدي ومثلها أيضاً حزن يجزن حزاناً وشجن يشجن شجناً، ويقال أيضاً: شجي يشجي شجى أي غصص، يقال: عليك بالكظم ولو شجيت بالعظم، أي: عليك بتجرع الغيظ والصبر عليه والتحمل له ولو غصصت بالعظم، أي: ولو نابك أمرٌ عظيم ونزل بك خطبٌ جسيم [التاج (شجا)].

«أجرصتني» قال الناظم ابن دريد [الجمهرة ٧٥٠]: «الجرص محرّكة بفتحتين: الغصص بالريق، يقال: جرض يجرص جرضاً على وزن مرض يمرص مرضاً، أي غصص وشرق، وخصه غيره بغصص الموت، ويتعدى بالهمزة فيقال: أجرصه بريقه أي أغصه به، فوقف في حلقة، ولم يكذ يسيعه، أي: ولم يقدر على ابتلاعه، وفي المثل: «حال الجريص دون القريض»، الجريص: الغصة، والقريض: الجرّة، وهي ما تُخرجه من كروشها الدواب التي تجترُّ للاجترار، فما تزال تمضغه وتتعلل به إلى وقت علفها، وقيل: الجريص: الغصص، والقريض: الشعر، وقيل: هما أي الجريص والقريض يحدثان عند الموت، فالجريص: تبلى

الرَّيْقِ، وَالْقَرِيضُ: صوتُ الإنسان، يقال عند كلِّ أمرٍ كان مقدوراً عليه فحِيلَ دونه، قيل: إنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَه جَوْشَنُ بْنُ مُنْقِدٍ حينَ منعه أبوه من قول الشعر حسداً له لأنَّه كان كاد أن يبرز عليه ويفوقه، فجاش الشعر في صدره ولم يستطع أن يقولَه خوفاً من أبيه، فلم يزل على هذا حتى مرضَ حُزناً وغمّاً وهمّاً، فرَّقَ له أبوه على حين لا تُجدي رفقته، لأنه إذ ذاك أشرفَ على الموت فقال له: انطق يا بني بما أحببت، فقال: حال الجريضِ دون القريضِ، وأنشد:

أَتَأْمُرُنِي وَقَدْ فَنَيْتُ حَيَاتِي بِأَبْيَاتٍ أَحْبَبْتُ رَهْنًا مَنِّي
فَلَا تَجْزَعُ عَلَيَّ فَإِنَّ يَوْمِي سَتَلْقَى مِثْلَهُ وَكَذَاكَ ظَنِّي
فَأَقْسِمُ لَوْ بَقَيْتُ لَقَلْتُ قَوْلًا أَفْوَوقُ بِهِ قَوَائِفَ كُلِّ جَنِّي

ثم مات، فقال أبوه يرثيه: [الأبيات في المستقصى ٥٥ / ٢]

لَقَدْ أَشْهَرَ الْعَيْنَ الْمَرِيضَةَ جَوْشَنُ وَأَرْقَهَا بَعْدَ الرُّقَادِ وَأَشْهَدَا
فِي أَلَيْتِهِ لَمْ يَنْطِقِ الشُّعْرَ قَبْلَهَا وَعَاشَ حَمِيداً مَا بَقِينَا مُحَلَّدَا
وَيَا لَيْتَهُ إِذْ قَالَ عَاشَ بِقَوْلِهِ وَهَجَّجَنَ شِعْرِي آخِرَ اللَّيْلِ سَرْمَدَا
وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ: «يُضْرَبُ لِأَمْرٍ يَقْدَرُ عَلَيْهِ آخِرًا حِينَ لَا يَنْفَعُ»، وورد في معناه: «حَالُ الْأَجْلِ دُونَ الْأَمَلِ» [مجمع الأمثال ١ / ١٩١].

وَيُرْوَى «أَحْرَضْتَنِي»، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، أَيِ اشْرَفَتْ بِي عَلَى الْهَلَاكِ وَأَمْرَضْتَنِي وَجَعَلْتَنِي حَرَضًا، أَيِ مُشْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ مَرَضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥ / ١٢]، قَالَ فِي الْجَلَالِينَ [١٩٠ / ٢]: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوًا تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أَيِ: مُشْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ لِطُولِ مَرَضِكَ، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [الموتى]، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَيْنِ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦ / ١٢].

«غَصَّةٌ» الغُصَّةُ بالضمِّ شَجَا يُعَصُّ به في الحَرْقَدَةِ، وهي عُقْدَةُ الحُنْجُورِ، وهو الحَنْجَرَةُ، وهي الحُلُقُومُ، وهو الحلق، وهو مَجْرَى النَّفْسِ وموضعُ السُّعالِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ۗ﴾ ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ [المزمل: ١٢-١٣]، الأَنْكَالُ: جمعُ نِكْلٍ كَطِفْلٍ وَأَطْفَالٍ وَجِمْلٍ وَأَحْمَالٍ، وهي القِيُودُ الثَّقَالُ، كَذَا في الجلالين، وقال بعضُ المفسِّرين: أي قِيُودًا مِنْ نارٍ، والغُصَّةُ: ما يُعَصُّ به في الحلق ١. هـ جلالين [٤/ ٢٧٩].

وقال ابنُ دُرَيْدٍ صاحبُ مَشْرُوحَتِي [الجمهرة ١٤٢]: «الغُصَّةُ: ما اعترضَ في الحلقِ وَأَشْرَقَ» ١. هـ، أي أَغَصَّ وَأَشَجَّيَ، والغُصَّةُ والشَّجَى بالفتح مقصوراً، والشَّرْقُ محرَّكَةً أي بفتحتين ألفاظٌ مترادفةٌ تدلُّ على معنى واحدٍ، وفرَّقَ بعضُ فقهاء اللغَةِ فقال: غَصَّ بالطعامِ وشَرِقَ بالشَّرَابِ وشَجَّيَ بالعَظْمِ وجَرَضَ بالرَّيْقِ، وقد يُستعملُ كلُّ مكانٍ الآخَرِ، ومن المجاز قولهم: مَنْزِلٌ غاصٌّ بالقومِ، أي ممتلئٌ بهم، يقال: الأُنْسُ في المجلسِ الغاصُّ لا في المَحْفَلِ الخاصِّ. [التاج (غصص)].

«عَنُودُها»، العَنُودُ بالضمِّ: الميلُ والعُدُولُ والانحرافُ والتَنَكُّبُ، فكُلُّها بمعنى واحدٍ، وكذلك الحَيُودَةُ، مصدرُ حَادَ، وهو من باي قَعَدَ وجَلَسَ، يقال: عَنَدَ عن الشيءِ والطريقِ يَئِنْدُ وَيَعْنُدُ عَنُودًا فهو عَنُودٌ، أي: مألٌ، كذا في اللسان [عند].

وحقيقةُ «عَنَدَ» مألٌ إلى عَنَدٍ، محرَّكَةً بفتحتين، وهو الجانبُ والناحيةُ، وبعضهم فسَّره أي العَنَدَ بالمُعَارَضَةِ، وبعضهم بالاعتراضِ، وكلُّهُ يرجعُ إلى المخالفةِ وعدمِ الوفاقِ، ومنه عانَدَ إذا خالَفَ ورَدَّ الحقَّ وهو يعرفُه، فهو عَنِيدٌ وعانِدٌ ومُعانِدٌ، وكان كُفْرَ أبي طالبٍ معانِدَةً لأنَّهُ عرفَ الحقَّ، إِلَّا أَنَّهُ أَنَفَ أَنْ يَقَالَ: تَبَعَ ابنُ أخيه، قال في اللسان [عند]: «والعَنِيدُ: الجائرُ عن القصدِ الباغي الذي يَرُدُّ الحقَّ مع العلمِ به». وقال أيضاً: ناقةٌ عَنُودٌ تَنكُبُ الطريقَ من نشاطها وقوتها»، انتهى.

والمرادُ بَعْنُودِ الغَصَّةِ مَيْلَانُهَا وانحرافُهَا عن سَنَنِ مَجْرَى الطَّعَامِ واعتراضُهَا ووقوفُهَا في عِنْدِ أَيِّ في جانبٍ من جوانبِ العَلَصَمَةِ، هذا كُلُّهُ بناءً على أَنَّ العَيْنَ مضمومة، وأما على فَتْحِهَا فهو اسمُ فاعلٍ، أَيُّ ما عِنْدَ مِنْهَا ومَالَ وانحرفَ إلى جهةٍ من جهاتِ المَرِيءِ (وهو مَسَاغُ الطَّعَامِ والشَّرَابِ مِنَ الحَلْقِ)، ووقفَ مُعْتَرِضاً في عِنْدِ، أَيُّ جانبٍ ولم يَسْغُ.

«أَقْتُلْ لِي» أَيُّ أَشَدُّ قِتَالاً لِي مِنَ الشَّجِيِّ، الشَّجِيُّ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا عِنْدَ قَوْلِهِ: «شَجِيْتُ» فِي أَوَّلِ البَيْتِ، وَهَإِنَّا إِذَا أَشْرَحَهُ عَوْداً عَلَى بَدءِ مَعَ الاِخْتِصَارِ، فَأَقُولُ: الشَّجِيُّ بِالفَتْحِ مَقْصُوراً: مَا يَنْشَبُ وَيَعْتَرِضُ فِي الحَلْقِ مِنْ عَظْمٍ وَغَيْرِهِ، وَالشَّجِيُّ أَيضاً الغَصَصُ وَالِاغْتِصَاصُ مَصْدَرُ شَجِيَّ يَشْجِي كَصَدِي يَصْدِي صَدَى أَيُّ غَصَّ بِأَنَّ اعْتَرَضَ فِي حَلْقِهِ الشَّجِيُّ، وَالشَّجِيُّ أَيضاً: الحُزْنُ، وَفَعْلُهُ كَالَّذِي قَبْلَهُ، يُقَالُ: شَجِيَّ يَشْجِي شَجِيَّ كَصَدِي يَصْدِي صَدَى، فَهَذِهِ مَعَانِي الشَّجِيِّ، لِأَدْفِنَاهُ وَإِنْ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ.

١٣- إِنْ يَحْمُ عَنْ عَيْنِي البُّكَاءُ تَجْلُدي فَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى سُبُلِ البُّكَاءِ

يَحْمُ: فَعْلٌ مُضَارِعٌ، وَأَصْلُهُ يَحْمِي بِيَاءٍ بَعْدَ المِيمِ، وَهَذِهِ البِيَاءُ هِيَ لِأَمِّ الكَلِمَةِ، وَإِنَّمَا حُذِفَتْ لِأَنَّهَا مَجْزُومَةٌ بِأَدَاةِ الشَّرْطِ الَّتِي هِيَ «إِنْ»، وَجَزْمُهَا بِحُذْفِ حَرْفِ العِلَّةِ، كَيَزِمُ مِنْ قَوْلِكَ: لَمْ يَزِمْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَعْلٍ مُضَارِعٍ آخَرُهُ حَرْفُ عِلَّةٍ وَآوَاءٌ كَانَتْ أَوْ يَاءٌ أَوْ أَلِفًا، كَيَدْعُو وَيَزِمِي وَيَحْشَى.

يُقَالُ: «حَمَيْتُ المَكَانَ مِنَ النَّاسِ حَمِيًّا، مِنْ بَابِ رَمَى، وَحَمِيَّةٌ بِالكَسْرِ، أَيُّ مَنْعَتُهُ عَنْهُمْ، وَالْحِمَايَةُ اسْمٌ مِنْهُ». ا.هـ. مُصْبِحَ [حَمَى]، وَفِي المَخْتَارِ: «حَمَاهُ يَحْمِيهِ حِمَايَةً دَفَعَ عَنْهُ» ا.هـ. وَفِي الأَسَاسِ: «حَمَاهُ حِمَايَةً، وَحَامَى عَلَيْهِ» ا.هـ. وَفِي التَّاجِ: «حَمَى الشَّيْءَ يَحْمِيهِ حَمِيًّا بِالفَتْحِ وَحَمَى وَحِمَايَةً بِالكَسْرِ وَحَمِيَّةً [عَلَى وَزَنِ مَعْصِيَّةً]: مَنْعَهُ وَدَفَعَ عَنْهُ»، وَفِي اللِّسَانِ: «حَمَى أَهْلَهُ فِي القِتَالِ حِمَايَةً، وَحَمَى فَلَانٌ الأَرْضَ يَحْمِيهَا: جَعَلَهَا لَا تُقَرَّبُ، فَهِيَ حَمَى، وَالْحِمَى: مَوْضِعٌ فِيهِ كَلًّا يُحْمَى مِنَ النَّاسِ أَنْ يُرْعَى، قَالَ ﷺ: «لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» [البخاري: ٣٠١٢]، قَالَ

الشافعي في تفسير هذا الحديث: كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نَزَلَ بلداً في عشيرته استَعوى كلباً فحَمَى لخاصَّته مَدَى عَوَاءِ الكلب، لا يَشْرُكُهُ فيه غيرُهُ، فلم يَرَعَهُ معه أحدٌ، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله، فنَهَى عليه الصَّلَاةَ والسَّلَامَ أَنْ يُحْمَى على الناسِ حَمَىً كما كانوا يفعلون في الجاهلية، وقوله: «إِلَّا اللهُ ورسوله» أي: إِلَّا ما يُحْمَى لِخَلِيلِ المسلمين وِرْكَابِهِم التي تُرْصَدُ للجهادِ ويُحْمَلُ عليها في سبيلِ الله وإِبلِ الزكاة كما حَمَى عُمَرُ البَقِيعَ لِنَعَمِ الصَّدَقَةِ، والخيلِ المَعْدَّةِ في سبيلِ الله». ١.١. هـ. كلامُ الشافعي نقلاً من اللسان (ح م ي).

«البكا» مصدرٌ بَكَى الرجلُ يبكي كَرَمَى يَرْمِي، أي: حَزَنَ وأَجْرَى دمعَهُ وأَسَالَه، وهو يَمُدُّ وَيُقْصِرُ، «قال حَسَّانُ بنُ ثابت، وقيل: عبد الله بنُ رَواحة، وقيل: كعبُ بن مالك»: [ديوان ابن رواحة ٩٨ وديوان كعب ٢٠٠]

بَكَتْ عيني وَحَقَّ لها بُكَاها وما يُعْنِي البُكاءُ ولا العَويلُ
على أَسَدِ الإِلهِ غداةً قالوا أحمزةُ ذاكُمُ الرجلُ القَتيلُ
أُصِيبَ المسلمون به جميعاً هناك وقد أُصِيبَ به الرَّسولُ
أبا يَعلى لَكَ الأركانُ هُدَّتْ وَأنتَ الماجدُ البُرِّ الوَصولُ
عليك سلامٌ رَبِّكَ في جِنانٍ مُحالِطُها نعيمٌ لا يَزولُ

والشاهد في البيت الأول حيث جمع بين لغتي القصر والمد، قال ابن بري: هذه من قصيدة ذكَّرها النحاس في «طبقات الشعراء» [وفيات الأعيان ١٠٠]، قال: «والصحيح: أنَّها لكعب بن مالك، وقالت الخنساء في البكاء الممدود ترثي أخاها: [ديوانها ١٢٥]

دَفَعْتُ بِكَ الحُطُوبَ وَأنتَ حَيٌّ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الحُطُوبَ الجَليلَا
إِذا قَبِحَ البُكاءُ على قَتيلٍ رَأَيْتُ بِكاءَكَ الحَسَنَ الجَميلَا

١. هـ. لسان [بكي]، «والذي رَجَّحَهُ شُراخُ الفصيح والشواهد أنه لا فرق بين المقصور والممدود، وهو ظاهر كلام المجدِّ صاحبِ القاموس، وَفَرَّقَ بَعْضُهُم فقال: البكاء بالمدُّ:

سَيَلَانُ الدُّمُوعِ مِنْ حُزْنٍ وَعَوِيلٍ، يُقَالُ إِذَا كَانَ الصَّوْتُ أَغْلَبَ كَالرُّغَاءِ وَالثُّغَاءِ وَسَائِرِ هَذِهِ
الْأَبْنِيَةِ الْمَوْضُوعَةِ لِلصَّوْتِ، وَبِالْقَصْرِ يُقَالُ إِذَا كَانَ الْحُزْنُ أَغْلَبَ» انتهى من التاج [بكى]،
«وقال الخليل: مَنْ قَصَرَهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى مَعْنَى الْحُزْنِ، وَمَنْ مَدَّهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى مَعْنَى الصَّوْتِ»
[التاج (بكى)].

«تَجَلَّدِي»: التَّجَلَّدُ: تَكَلَّفُ الْجِلْدِ، وَالْجِلْدُ بِفَتْحَتَيْنِ: الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالصَّبْرُ، وَالصَّلَابَةُ
كَالْجَلَادَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ: [الشعر والشعراء ٦٩٣]

وَكَيْفَ تَجَلَّدُ الْأَقْوَامَ عَنْهُ وَلَمْ يُقْتَلْ بِهِ الثَّارُ الْمُنِيمُ
«عَدَاهُ بَعْنٌ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى تَصَبَّرَ» [اللسان (جلد)]، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «التَّجَلَّدُ: تَكَلَّفُ
الْجَلَادَةِ، وَتَجَلَّدَ: أَظْهَرَ الْجِلْدَ». وَكَذَا فِي التَّاجِ [جلد]، وَفِعْلُهُ الْمَجْرَدُ مِنْ بَابِ كَرَّمَ وَسَهَّلَ،
«تَقُولُ: جَلَّدَ الرَّجُلَ بِالضَّمِّ، فَهُوَ جَلْدٌ وَجَلِيدٌ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْجَلَادَةِ وَالْجُلُودَةِ وَالْمَجْلُودِ،
وَهَذَا مُصَدَّرٌ كَالْمَحْلُوفِ وَالْمَعْقُولِ، قَالَ الشَّاعِرُ: [الصاحبي ٣٩٥]

وَاصْبِرْ فَإِنَّ أَحَا الْمَجْلُودِ مَنْ صَبَرَ
وَرَبَّمَا قَالُوا: رَجُلٌ جَصْدٌ، يَجْعَلُونَ اللَّامَ مَعَ الْجِيمِ ضَادًّا إِذَا سَكَنَتْ» ا.هـ. لسان وقال
أَبُو ذُوَيْبٍ: [أشعار الهذليين ١٠]

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعَّضُ
قَوْلُهُ: لِلشَّامِتِينَ هُوَ جَمْعُ شَامِتٍ، اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ شَمِتَ الْعَدُوُّ، كَفَرِحَ وَزَنًّا وَمَعْنَى، أَوْ
فَرِحَ بِالْبَلِيَّةِ تَنْزِلَ بِمَنْ يُعَادِيهِ، وَأَشَمَّتَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَعْدَائِهِمْ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ
بِحِ الْأَعْدَاءِ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٥٠]، وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ
الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» [البخاري ٦٣٤٧]، «وَجَهْدُ الْبَلَاءِ بِفَتْحِ الْجِيمِ: الْحَالَةُ
الشَّقَاقَةُ الَّتِي يُخْتَارُ عَلَيْهَا الْمَوْتُ، وَقِيلَ: كَثْرَةُ الْعِيَالِ مَعَ قِلَّةِ الْمَالِ». [اللسان (جهد)]
«رَيْبُ الدَّهْرِ: ضُرُوفُهُ وَحُودُثُهُ»، كَذَا فِي اللِّسَانِ [ريب]. «لَا أَتَضَعَّضُ» أَي: لَا أَذِلُّ

ولا أخضع، كذلك فَسَّرَ اللسان «أَتَضَعُّعُ» في هذا البيت، وفي الحديث: «ما تَضَعُّعَ امرؤٌ لآخر يريد عرض الدنيا إِلَّا ذَهَبَ ثلثا دينه»، ويقال: تَضَعُّعَ الرجلُ: ضَعْفَ وَخَفَّ جسمُه من مرضٍ أو حُزنٍ، وتَضَعُّعَ الرجلُ: افتقر، وتَضَعُّعَتِ الأركان: انهَدَّتْ وانهدمت [اللسان (ضع)].

«موقوفٌ»: اسم مفعول من وقفتُ الدارَ مثلاً على المساكين، أي حبستها لهم، وجعلتُ نفعها يعود عليهم، يقال: شيءٌ موقوفٌ ووقفٌ تسميةً بالمصدر، وجمعُه أوقاف، كثُوبٌ وأثواب، كذا في المصباح [وقف]، وأوقفْتُها لَعَةً رديئةً، كذا في القاموس واللسان. «سُبُلِ البُكا»: طُرُقُه، جمعُ سبيل، وأراد بسُبلِ البُكا الهوى الذي يأتي البُكا من أجله، عن بعض الشُّراح. [يقصد الصاوي في شرحه للمقصورة]

١٤- لو كانتِ الأحلامُ ناجتني بما ألقاه يقظان لأصماني الردى

الأحلام جمع حلم بضم الحاء واللام، كعُنُق وأَعناق، وتسكَّن اللام فيكون كقُفْل وأقْفال، وهو ما يراه النَّائم في منامه [اللسان (حلم)]، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٤٣/١٢-٤٤].

قال الجمل: «قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ يريد بالأحلام المنامات الباطلة خاصة، أي: ليس لها تأويلٌ عندنا، وإنما التأويل للمنامات الصادقة، ويريدُ بأضغاثها تخاليطها، جمعُ ضِغْثٍ، وأصلُه ما جُمِعَ وحُزِمَ من أخلاط النبات، كالحُرْمَة من الحشيش، فاستُعير للرويا الكاذبة»، قال [الجمل]: «وفي «أبو السعود» ما نصُّه: أضغاثُ أحلام أي تخاليطها، جمعُ ضِغْثٍ، وهو في الأصل ما جُمِعَ من أخلاط النبات وحُزِمَ، ثم استُعير لما تجمعه القوةُ المتخيِّلةُ من أحاديثِ النفسِ ووساوسِ الشيطان وتراها في المنام، والأحلام

جمع حُلْم، وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها، والإضافة على معنى «مِنْ»، أي هي أضغاثٌ من أحلام، أخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبةٌ تؤول إليها ويُعتنى بأمرها، وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغةً في وصفها بالبطلان، كما في قولهم: فلانٌ يركبُ الحَيْلَ ويلبسُ العمامَ لمن لا يملكُ إلا فرساً واحدةً وعمامةً فردةً، أو لتضمُّنها أشياءً مختلفةً من البقراتِ السَّبْعِ السَّمَانِ والسَّبْعِ العِجَافِ والسَّنابلِ السبعِ الحُضْرِ والأخرِ اليابساتِ، فتأملُ حُسنَ موقعِ الأضغاثِ مع السنابلِ، فللهُ دَرُّ شَأْنِ التنزيلِ» ا.هـ. من حاشية الشيخ الجمل [٤٥٦/٢].

«ناجتي»: ساررتني من النجوى، قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَلِمَاتٍ بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِمَوَدَّةٍ مِنْكُمْ لِكُلِّ كَلِمَةٍ تَصَدَّقَةٌ لَكُمْ فَاصْبِرُوا أَلَمْ تَكُونُوا أَقْدَامًا﴾ [المجادلة: ١٢/٥٨].

رُوي عن عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه أنه قال: «إنَّ في كتابِ اللهِ آيةً ما عملَ بها أحدٌ غيري، كان لي دينارٌ فصرفته بعشرة دراهم، وناجيتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشرَ مرَّاتٍ، أتصدَّقُ في كلِّ مرَّةٍ بدرهم»، وكان يقول: «آيةٌ في كتابِ اللهِ لم يعملْ بها أحدٌ قبلي، ولا يعملُ بها أحدٌ بعدي، وهي آيةُ المناجاةِ» ا.هـ من حاشية الصاوي على الجلالين [١٦٨/٤].

«ألَقاه» [من بيت الناظم]: أراه، كما في القاموس، أو أصادفه، أو أصادفه وأقابلُه، كما في شَرَحِه [التاج (لقي)]. «يَقْظَان»، اليَقْظَانُ ضدُّ النَّائمِ، وفعله كَكَرَّمِ وفَرِحَ، يَقْظُ وَيَقْظُ وَيَقْظُ وَيَقْظُ يَقَاطِظَةً وَيَقْظُ وَيَقْظُ مَحْرَكَتَيْنِ، وهو نَقِيضُ نَامٍ. [اللسان (يقظ)].

«لَأَصْهَانِي» اللام في جواب لو، وأصهاني أي قتلني في مكاني، يقال: أَصَمَى الصَّيْدَ أَي رَمَاهُ فقتله مكانه وهو يراه، ومنه حديث الصَّيْدِ: «كُلُّ ما أَصَمَيْتَ ودَعُ ما أَنَمَيْتَ»، الإصهاء: أن ترميه فيموت بين يديك لم يغب عنك، والإناء: أن يغيب فيوجد ميتاً، وقيل:

معناه كل ما أصابه السهم وأنت تراه فأسرع في الموت فرأيتَه ولا محالة أنه مات برميكَ، واقتصر الأزهري في التفسير على الكلب، فقال: المعنى: كل ما قتله كلبك وأنت تراه، وإنما هو على سبيل التمثيل، والسهم ملحق به، وظاهر الحديث عامٌ فيها، نبه عليه صاحب المصباح. ١.هـ. تاج [صمى ونمى].

ومعنى «أَنَمَيْتَ» [في الحديث السابق] غابَ عن عينك فمات ولم تره، فلا تدري هل مات بسهمك وكلبك أم بشيءٍ عرض، واللازم منه صَمَى الصَّيْدُ يَصْمِي من باب رَمَى، أي مات مكانه وأنت تراه، ولازم أنمى نَمَى، من باب رَمَى أيضاً، أي غابَ عنك ومات بحيث لا تراه، ١.هـ. مصباح [صمى ونمى].

«وحقيقة الإضماء سرعة إزهاق الرُّوح، مأخوذٌ من قولهم للمُسْرِعِ: صَمَيَان، وقيل: من الصَّمَيَان الذي بمعنى السُّرعة والخفَّة، لأن أصل الصَّمَيَان في اللغة هكذا بمعنى السرعة والخفَّة، ثم أُطلق على الجريء الشجاع وعلى مَنْ له مَصَاءٌ ونُفُوذٌ في الأمور» ١.هـ. انتهى من اللسان مع بعض زيادة من الأساس [صمى].

«الرَّدَى» الهلاك، والرَّدَى أيضاً: التَّرْدَى، وهو التَّهْوُّر والسقوط من موضع مُشرف، يقال منها: رَدِي يَرْدَى رَدَى كَصَدِي يَصْدَى صَدَى، والرَّدَى بمعنى التَّرْدَى والتَّهْوُّر والتكُّور والتَّدهُّور، أي السقوط من نحو حَرْفٍ جُرْفٍ أو شَفِيرٍ رَكِيَّةٍ أي بئرٍ، من باب رَمَى ومن باب رَضِي، كما في التاج [ردى]، وفي اللسان: «رَدِي في الهُوَّة رَدَى، وتَرْدَى: تَهْوَر، وقال أبو زيد: رَدِي في القلب يَرْدَى وتَرْدَى من الجبل تَرْدِيًا، ويقال: رَدَى في البئر وتَرْدَى إذا سقط في بئر أو نهر من جبل، لغتان». ١.هـ. لسان [ردى].

والمراد هنا في البيت الرَّدَى بمعنى الهلاك، قال تعالى في سورة طه خطاباً لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَا يَصُدَّنَا﴾ يَصْرِفُنَا ﴿عَنْهَا﴾ عن ذكر الساعة ومراقبتها، وقيل

غير ذلك ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى﴾ [طه: ١٦/٢٠]، أي تهلك إن صدقت عنها، كذا في الجلالين [٤٢٢/٢] مع بعض زيادة من حاشية الجمل [٨٥/٣].

١٥- منزلة ما خلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجبى

المنزلة: موضع النزول كالمنزّل، قال ذو الرمة: [شرح ديوانه ١٢٧٣]

أمنزلتي مبي سلام عليكما هل الأزمن اللاتي مزين رواجع
كذا في التاج، وفي اللسان [نزل] المنزل: المنهل والدار، والمنزلة مثله، وأنشد [أي صاحب
اللسان] بيت ذي الرمة هذا، «ومن المجاز المنزلة الدرجة والرتبة أو المرتبة، يقال: له منزلة
عند السلطان ومرتبة ومكانة ودرجة رفيعة، وكله من المجاز، والرتبة وهي في الأمور
المعنوية كالمكانة» ا.هـ. تاج [نزل].

«ما خلتها»: ما حسبتُها وما ظننتُها وما توهمتُها، وباب خال نال، وجاء من باب باع في
لغة، وفي المضارع للمتكلم إخال بكسر الهمزة على غير قياس. وهو أكثر استعمالاً، وبنو
أسد يفتحون على القياس. [المصباح (خيل)]

«ذو أدب» أي: صاحب أدب، والأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه، وقال أبو
زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودية يتخرج بها الإنسان في فضيلة من
الفضائل، وقال بعضهم: هو استعمال ما يُحمد قولاً أو فعلاً، أو الأخذ - كذا في التاج - أو
الوقوف مع المستحسنات، أو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك.

ونقل الخفاجي^(١) في «العناية»^(٢) عن الجواليقي في «شرح أدب الكاتب» «الأدب في
اللغة: حسن الأخلاق وفعل المكارم، وإطلاقه على علوم العربية مولد حدث في الإسلام»
[أدب الكاتب ١٣]، وقال ابن السيد البطلوسي: «الأدب أدب النفس والدرس». ا.هـ. تاج

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة، توفي ١٠٦٩هـ.

(٢) ذكره الزبيدي في مقدمة التاج: ٤.

[أدب]، سُمي بذلك لأنه يَأدِبُ النَّاسَ إِلَى المَحَامِدِ، وَيَنهَاهُمْ عَنِ المَقَابِحِ، أَي يَدْعُوهُمْ، لِأَنَّ أَصَلَ الأَدَبِ - من باب صَرَبَ - الدُّعَاءُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلصَّنِيعِ يُدْعَى إِلَيْهِ النَّاسُ: مَدْعَاةٌ وَمَأْدُبَةٌ، يُقَالُ: أَدَبْتُ القَوْمَ آدِبُهُم بِالكَسْرِ أَدْبًا وَأَدَّبْتُهُمْ أُودِبُهُمْ إِيدَابًا، أَي: دَعَوْتُهُمْ إِلَى طَعَامِي، وَأَدَبَ الرَّجُلُ يَأدِبُ بِالكَسْرِ أَدْبًا مَحْرَكَةً: عَمَلٌ مَأْدُبَةٌ - وَهِيَ بَضْمٌ الدَّالِ وَبِفَتْحِهَا وَبِكَسْرِهَا، وَصَرَحَ ابْنُ الأَثِيرِ بِأَفْصَحِيَّةِ الأَوَّلِ، وَهُوَ الضَّمُّ، وَنَصَّوْا عَلَى أَنَّ الفَتْحَ أَشْهَرُ مِنَ الكَسْرِ: كُلُّ طَعَامٍ صُنِعَ لِدَعْوَةٍ - بِالضَّمِّ وَالفَتْحِ - أَوْ عُرْسٍ، وَجَمْعُهُ مَادِبٌ، تَقُولُ: أَدَّبْتُهُمْ عَلَيْهِ وَنَدَبْتُهُمْ إِلَيْهِ، وَتَقُولُ: الأَدَبُ مَأْدُبَةٌ مَا لِأَحَدٍ فِيهَا مَأْرُبَةٌ.

وَفَعَلَ الأَدَبُ مِنْ بَابِ كَرَمٍ، تَقُولُ: أَدَبَ يَأدِبُ أَدْبًا، كَمَا تَقُولُ: كَرَمَ يَكْرُمُ كَرَمًا، فَهُوَ أَدِيبٌ مِنْ قَوْمِ أَدْبَاءٍ، وَمتعدِّيه مِنْ بَابِ صَرَبَ، وَيُشَدَّدُ مبالِغَةً وَتَكثِيرًا، يُقَالُ: أَدَّبْتُهُ آدِبُهُ، وَأَدَّبْتُهُ أُودِبْتُه، أَي عَلَّمْتُهُ الأَدَبَ، وَحَقِيقَتُهُ أَنِّي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، ا.هـ. لِسَانٍ وَتَاجٍ وَأَسَاسٍ وَمِصْبَاحٍ [أدب].

وَفِي بَعْضِ النِّسْخِ «ذُو أَرَبٍ» بِالرَّاءِ مَوْضِعَ الدَّالِ، وَهَآكِ بَيَانٌ مَا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ الإِرْبُ، بِكَسْرِ فَفَتْحِ، الدَّهَاءُ وَالبَصْرُ بِالأُمُورِ، وَجُودَةُ الرَّأْيِ، يُقَالُ: أَرَبَ الفَتَى يَأرِبُ إِرْبًا، كَصَغُرُ يَصْغُرُ صِغْرًا، ا.هـ. تَاجٍ وَلسَانِ [أرب]، وَفِي هَامِشِ اللِّسَانِ نَقْلًا عَنِ المَحْكَمِ [٢٨٨/١٠] «الأَرَبُ مَحْرَكَةٌ أَي بِفَتْحَتَيْنِ: الدَّهَاءُ وَالبَصْرُ بِالأُمُورِ» ا.هـ، وَالأَرَبُ بِفَتْحَتَيْنِ أَيضًا: الحَاجَةُ كَالْمَأْرَبَةِ مِثْلَثَةُ الرَّاءِ، وَفَعْلُهُ أَرَبَ يَأرِبُ أَرْبًا، كَفَرِحَ يَفْرِحُ فَرِحًا، أَي احتَاجَ إِلَى الشَّيْءِ وَطَلَبَهُ، وَالأَوَّلُ المُنَاسِبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «وَلَا حِجَى»، الحِجَى: العَقْلُ وَالفِطْنَةُ، أَي الحِذْقُ وَالفَهْمُ وَالدِّكَاةُ، مَا حُودٌ مِنْ حَجْوُتِهِ أَحْجُوهُ حَجْوًا، أَي مَنَعْتُهُ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الإِنْسَانَ مِنَ الفِسادِ. [اللِّسَانِ (حِجَا)]

١٦- شَيْمٌ سَحَابٌ حُلْبٌ بَارِقُهُ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ ارْتِجَاءٍ وَمُنَى «الشَّيْمُ»: مِصْدَرٌ شَامَ السَّحَابِ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ، وَشَامَ البَرَقَ: نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ

يقصدُ وأين يُمطرُ، وقد يكون الشَّيْمُ بمعنى النَّظَرِ إلى النار، ا.هـ تاج [شيم]، وفي اللسان «شامَّ السحابَ والبرقَ شَيْمًا، نظرَ إليه أينَ يقصدُ وأينَ يُمطرُ، وقيل: هو النظرُ إليهما من بعيد، وشامَّ مخايلَ الشيءِ إذا تطلَّعَ نحوها ببصره منتظرًا لها، وشمنتُ البرقَ: نظرتُ إلى سحابتها أينَ تُمطرُ» ا.هـ لسان [شيم].

«السَّحَابُ: الغيمُ، وهو ما يكون أمارَةً للمطر، وهو جمعُ سحابة، ونقلَ بعضهم عن كتاب الأصمعي في أسماء السَّحابِ أنَّ السَّحابِ اسمٌ جنسٍ جمعِيٌّ، واحدهُ سحابةٌ، سُميتُ بذلك لانسحابها، أي لانجرارها في الهواء، أو لسحب - أي لجرِّ بعضها بعضاً، أو لسحب الرِّياح لها،» ا.هـ تاج ولسان [سحب].

«خَلْبٌ بارِقُه» البارِقُ: اللَّامِعُ، والمرادُ به البرقُ، وهو الذي يلمعُ في الغيمِ، ورُوِيَ عن ابن عَبَّاسٍ أنَّ البرقَ سَوَوطٌ من نُورٍ يزجرُ به المَلَكُ السَّحابَ، ويقال: بَرَقَتِ السَّمَاءُ: لمعتُ أو جاءت ببردٍ، من بابِ نَصَرَ، و**بَرَقَ** البرقُ: بدا وظهَرَ فهو بارِقٌ، وهو المرادُ هنا، والله أعلم.

[اللسان والتاج (برق)]

«وال**بَرَقُ** الخُلْبُ هو الذي لا غيثَ فيه، من الخِلاَبَةِ بالكسر، وهي الخديعةُ، يقال: خَلَبَهُ يَخْلِبُهُ بالضمِّ ويَخْلِبُهُ بالكسر خَلْبًا، من بايٍ قتلَ و**ضَرَبَ** و**خِلاَبَةً** بالكسر، كأنه خادعٌ يُومِضُ حتى تطمعَ بمطرِهِ، ثمَّ يُخْلِفُكَ، ويقال: برقُ الخُلْبِ وبرقُ خُلْبٍ فيضافان، ومنه قيل لمن يعدُّ ولا يُنجِزُ: **إِنَّمَا أَنْتَ كَبْرَقُ خُلْبٍ**، والمُخْلَبُ أيضاً: السَّحابُ الذي لا مطرَ فيه، وفي حديث الاستسقاء «اللَّهِمَّ سُقِّيَا غَيْرَ خُلْبٍ بَرَقُهَا» أي: خالٍ عن المطر، قال ابن الأثير: «الخُلْبُ: السَّحابُ يُومِضُ بَرَقُهُ حتى يُرَجَى مطرُهُ، ثمَّ يُخْلِفُ وَيَتَّقَشَعُ، وكأنه من الخِلاَبَةِ، وهي الخِداَعُ بالقول اللطيف، ومنه حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما «كان أَسْرَعُ مِنْ بَرَقِ الخُلْبِ»، وإِنَّا خَصَّه بالسَّرعَةَ خَلْفَتَهُ خَلْوَهُ من المطر» ا.هـ لسان [خلب]. وفيه أيضاً بعد قوله [أي ابن منظور]: «قيل لمن يعدُّ ولا يُنجِزُ، **إِنَّمَا أَنْتَ كَبْرَقُ خُلْبٍ**»، ويقال: **إِنَّهُ كَبْرَقُ خُلْبٍ**

وبرق خُلْبٍ» ا.هـ. وفي التاج ما نصّه «ومن المجاز قوهم: البرق الخُلْبُ وبرق الخُلْبِ وبرق خُلْبٍ، فيضافان، وفي نسخة «برق خُلْبٍ» على الوصفية، أي المُطْمَعُ المُخْلِيفُ ا.هـ، وقد صرّح في الصحاح «على الوصفية»، وفي الأساس «فلانة قَلَبَتْ قَلْبِي وَخَلَبَتْ خِلْبِي» ا.هـ [التاج (قلب)]، [يقال أيضاً: قَلَبْتُهُ أَيْ أَصَابْتُ فؤادَهُ، وبأبهِ نَصَرَ وَضَرَبَ، ويقال أيضاً: قَلَبْتُهُ أَيْ أَصَابْتُ فؤادَهُ، وبأبهِ نَصَرَ وَضَرَبَ، ويقال أيضاً: قَلَبْتُهُ أَيْ حَوَّلْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ، وبأبهِ ضَرَبَ، وَأَقْلَبْتُهُ بِالْأَلْفِ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ، وَقَلَبَهُ عَنْ وَجْهِهِ: صَرَفَهُ، وَقَلَبَهُ: حَوَّلَهُ ظَهراً لِبطن، وَقَلَبَ اللهُ فَلاناً إِلَيْهِ: تَوَفَّاهُ] ا.هـ لسان [قلب].

«والقَلْبُ: الفؤاد، وقيل: مُضْعَةٌ مِنْهُ مَعْلَقَةٌ بِالنِّيَاطِ، وَقَدْ يَعْبَرُ بِهِ عَنِ الْعَقْلِ». ا.هـ تاج [قلب]. «وَخَلَبَتْ قَلْبَهُ تَحْلِبُهُ خَلْباً وَاخْتَلَبْتَهُ: أَخَذْتَهُ وَذَهَبْتَ بِهِ، وَالخِلْبُ بِالْكَسْرِ: حِجَابُ الْقَلْبِ، وَقِيلَ: هِيَ حُجْمَةٌ رَقِيقَةٌ تَصِلُ بَيْنَ الْأَصْلَاعِ، وَقِيلَ: هُوَ حِجَابٌ مَا بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَالخِلْبُ: الْكَبِدُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ». ا.هـ لسان [خلب].

«وَمَوْقِفٌ»، الْمَوْقِفُ كَمَجْلِسِ اسْمٍ مَكَانٍ مِنْ وَقْفٍ، وَهُوَ مَحَلُّ الْوُقُوفِ، وَمَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْوُقُوفِ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا. «ارْتِجَاءٌ»، «الارْتِجَاءُ: ضِدُّ الْيَأْسِ، كَالرَّجَاءِ وَالتَّرَجُّبِ، قَالَ الرَّاعِبُ [المفردات ١٩٥]: «هُوَ ظَنٌّ يَقْتَضِي حَصُولَ مَا فِيهِ مَسْرَّةٌ»، وَقَالَ الْحَرَاوِيُّ^(١): «هُوَ تَرْقُبُ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا تَقَدَّمَ لَهُ سَبَبٌ مَا»، وَقَالَ غَيْرُهُ: «هُوَ لُغَةٌ الْأَمَلُ، وَعُرْفًا: تَعَلَّقَ الْقَلْبَ بِحَصُولِ مَحْبُوبٍ مُسْتَقْبَلًا، وَقَالَ شَيْخُنَا^(٢): هُوَ الطَّمَعُ فِي مُمَكِّنِ الْحَصُولِ، أَيْ بِخِلَافِ التَّمَنِّيِّ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِيهِ وَفِي الْمُسْتَحِيلِ» ا.هـ تاج [رجا].

«وَمُنَى» الْمُنَى جَمْعُ مُنْيَةٍ، وَهِيَ الْأَمَانِيُّ، وَهَذِهِ جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ، وَكُلٌّ مِنَ الْمُنْيَةِ وَالْأُمْنِيَّةِ اسْمٌ مِنَ التَّمَنِّيِّ، وَالتَّمَنِّيُّ حَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَبِهَا لَا يَكُونُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: التَّمَنِّيُّ: تَشَهِّيٌّ

(١) علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي المغربي، مفسر، من علماء المغرب، توفي ٦٣٨هـ.

(٢) هو محمد بن الطيب الفاسي المالكي، أبو عبد الله، شيخ الزبيدي، توفي: ١١٧٠هـ.

حصول الأمر المرغوب فيه، وقال ابن دريد: تَمَنَّى الشيء أي قدرته وأحببت أن يصير إليّ، من المَنَى بالفتح والقصر على وزن الفَتَى، وهو القَدَرُ. [الجمهرة ١٠٨٥]

وقال الراغب: «التمنيّ: تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظنّ، وقد يكون عن رويّة وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أممك، فأكثر التمنيّ تصوّر ما لا حقيقة له» ا.هـ تاج [منى]، وهو أيضاً عن الراغب «الأمنيّة: الصّورة الحاصلة في النفس من تمّني الشيء» ا.هـ، ومنه أيضاً «وشاهد المني ما أنشده القاضي:

كَأَنَّا لَا نَرَانَا تَارِكِيهَا تَعَلَّةَ بَاطِلٍ وَمَنَى اغْتِرَارِ
وشاهد الأمازي قول كعب في كعبيته:

فَلَا يَغْرُنُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
وكانه مأخوذاً من «مَنَى الله الأمرَ يَمْنِيهِ مَنِيًّا» من باب رَمَى، أي قدره، قال مُسَلِّمُ الْخَزَاعِيّ ثم المصطلقي: «شهدت رسول الله وقد أنشده مُنْشِدُ قَوْلِ سُويدِ ابنِ عامرِ المصطلقي:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تُتْلِقَنِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَنَانِي
والمنى: قَدَرُ الله، يُكْتَبُ بِالْيَاءِ» ا.هـ تاج [منى]. ومن سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ [منى] «سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى دَرَكِ الْمَنَى».

ولعل المراد بالارتجاع في البيت الطمع في تمكن الحصول، وبالمنى الصّور الحاصلة في النفس من تصوّر ما لا حقيقة له، لأنّها متغايران بدليل لفظ «بَيْنَ»، فإنه ظرف مُبْهَمٌ لَا يَتَبَيَّنُ معناه إلّا بإضافته إلى اثنين متغايرين فصاعداً، أو ما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨/٢]، والله أعلم.

١٧- في كلِّ يومٍ مَنْزِلٌ مُسْتَوْبِلٌ يَشْتَفُ ماءً مُهْجَتِي أَوْ مُجْتَوَى

المنزل: موضع التَّزول، وهو بكسر الزاي لأنَّ فعله من باب صَرَبَ، واسمُ الزمان والمكان ممَّا كان هذا بابُه مَفْعِلٌ بكسر العين، والمصدرُ الميميُّ بفتحها.

«مُسْتَوْبِلٌ»: اسمُ مفعول من «اسْتَوْبَلَ الأَرْضَ كاستَوْخَمَهَا، وذلك إذا لم تُوافقه في بدنه، وإن كان مُجَبَّلاً لها، وقال أبو زيد: استوبلتُ الأَرْضَ أي لم يَسْتَمِرَّ بها الطعام، ولم توافقه في مَطْعَمه وإن كان مُجَبَّلاً لها، قال: واجتويئتها: كرهتُ المَقَامَ بها، وإن كنت في نِعْمَةٍ، وفي حديث العُرَيْنينَ «فاستوبلوا المدينة»، أي استَوْخَموها ولم توافق أبدانهم» [هـ تاج] [وبل].

«والوَيْبِلُ»: الوَخِيمُ وزناً ومعنى، من وَبِلَ المَرْتَعُ بالضمِّ وَبَالاً وَوَبَالَه، بمعنى وَخَمَ، سواءً كان المرعى رطباً أو يابساً، ولَمَّا كان عاقبهُ المَرعى الوَخِيمُ إلى شَرِّ قِيلٍ في سُوءِ العاقبة: وَبَالَ، والعملُ السَيِّئُ وَبَالَ على صاحبه» [هـ مصباح] [وبل].

«يَشْتَفُ ماءً مُهْجَتِي»: يَسْتَقْصِيهِ شُرْباً، «يقال: اشْتَفَّ ما في الإِناءِ من الشَّرابِ حتى الشُّفَافَةَ، وهي كُفْئَةُ الماءِ في الإِناءِ، وكذا بَقِيَّةُ اللَّبَنِ إذا شَرِبَهُ كُلَّهُ، كما يقال: اقْتَفَّ ما في الإِناءِ من الطعامِ إذا أتى على آخره أَكْلاً، ومنه حديثُ أمِّ زَرْعٍ: «إِذَا شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِذَا أَكَلَ اقْتَفَّ» [البخاري ٥١٨٩]، وفي وَصَاةِ بعضِ العربِ لابنهِ: «أَقْبِحْ طَاعِمِ المُقْتَفِّ وَأَقْبِحْ شَارِبِ المُشْتَفِّ»، واستعاره عبدُ اللهِ بنُ سَبْرَةَ الجُرْشِيُّ في الموتِ، فقال:

ساقِيئَتِ المَوْتِ حَتَّى اشْتَفَّ آخِرَهُ فَمَا اسْتَكَانَ لِمَا لاقَى وَلَا صَرَعا

أي: حتى شَرِبَ آخِرَ المَوْتِ، وإِذَا شَرِبَ آخِرَهُ فَقَدْ شَرِبَ كُلَّهُ» [هـ تاج] [شفف].

«المُهْجَةُ»: «الدَّمُّ أَوْ دَمُ القَلبِ، وَلَا بقاءَ لِلنَّفْسِ بعدَ إِراقَةِ مُهْجَتِها، والرُّوحُ أَيضاً، يقال: خَرَجَتْ مُهْجَتُهُ أَي رُوحُهُ، وهو مُجَارٌّ، وقيل: المُهْجَةُ: خالِصُ النَفْسِ، وقال الأزهريُّ: بذلتُ له مهجتي، أَي نَفْسي وخالِصَ ما أَقدَرُ عليه، ومهْجَةُ كُلِّ شَيْءٍ: خالِصُهُ» [هـ تاج] [مهج]. يقال: بذلوا له المَهْجَ، ومن المِجازِ «دَفَقْتُ مهْجَتَهُ، ودَفَّقَ اللهُ مُهْجَتَهُ، أَي أَهْلَكَه» [هـ أساس] [مهج].

«أَوْ مُجْتَوَى»، الاجْتِوَاءُ: الكراهية، يقال: اجْتَوَاهُ، أي كرهه ولم يوافقَه، ومنه حديث العُرَيْنِيِّ «فاجْتَوَوْا المدينة» [البخاري ٥٦٨٦]، أي اسْتَوْحَمُوهَا، قال أبو زيد: اجْتَوَيْتَ البلادَ إذا كرهتها، وإن كانت موافقةً لك في بدنك، وقال في نوادره: الاجْتِوَاءُ: النزاعُ إلى الوطن وكراهةُ المكان، وإن كنتَ في نعمة، قال: وإن لم تكن نازعاً إلى وطنك فإنك مُجْتَوٍ، ويكون الاجْتِوَاءُ أيضاً أن لا تستمرىَ الطعامَ بالأرض ولا الشرابَ، غير أنك إذا أحببتَ المقامَ ولم يوافقك طعامها ولا شرابها فأنت مُستوبِلٌ، ولست بمُجتَوٍ» ١. هـ تاج [جوى].

«يقال: اسْتَوْحَمَ الطعامَ وتَوَحَّمَهُ أي لم يستمره ولا حَمِدَ مَعْبَتَهُ، كاستوبلَه، قال زهير: [ديوانه ٣١] قَضُوا ما قَضُوا مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ أوردوا إلى كَلاً مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَحِّمٍ ومنه التُّخْمَةُ، وهي ما يُصيبك من الطعام إذا اسْتَوْحَمْتَهُ، وفي حديث العُرَيْنِيِّ «واستَوْحَمُوا المدينة» أي اسْتَقْلَوْهَا، ولم يوافق هواؤها أبدانهم». [التاج (وخم)]

وفي الأساس «أصابه جَوَى، وهو داءٌ في البطن لا يُستمرُ معه الطعامُ، واجتويتُ الطعامَ واستجويتُه، واجتويتنا أرض بني فلان: لم يوافقنا غذاؤها، وفي الحديث: «دخل العُرَيْنِيُّونَ المدينة فاجتَووها، ومن المجاز «اجتوى القوم» أي أبغضهم وكرههم، قال:

لقد جعلت أبادنا تجتويكم كما تجتوي سوق العِصاهِ الكَرازِنا
«سوق العِصاهِ» أي أصولُه، قال في التاج: «ساقُ الشجرة: جذعُها، وقيل: ما بين أصلها إلى مشعب أفنانها»، والعِصاهُ: نوع من الشجر تُتخذُ من بعضه القِيَّاسُ، والكَرازِ: الفُؤوسُ، وكذلك الكَرازِمُ بالميم، قال في اللسان: «الكِرْزَنُ كَجَعْفَرٍ والكِرْزَنُ كزبرج والكِرْزَنُ كدِرْهَمٍ، والكِرْزِينُ بالكسر والمدد: الفأس لها رأسٌ واحدٌ» ١. هـ. [التاج (سوق)] واحدُ الكَرازِمِ كَرَزَمٌ كَجَعْفَرٍ، وهي أيضاً الفُؤوسُ، قال جريرٌ يهجو الفرزدق: [ديوانه ٥٦٣]

عَينِفٌ بهزِ السَّيفِ قَينٌ مُجاشِعٍ رَفيقٌ بأخراتِ الفُؤوسِ الكَرازِمِ
وقيل: الكَرازِمُ: الفُؤوسُ المفلولةُ الحدُّ» ١. هـ لسان وتاج [كرزم وكرزن] باختصار.

١٨- ما خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَثِينِي عَلَى صَرَاءٍ لَا يَرْضَى بِهَا صَبُّ الكُدَى

ما خِلْتُ: ما حَسِبْتُ ولا ظننْتُ ولا خَطَرْتُ لي، يَثِينِي: يَرُدُّني وَيَصْرِفُنِي وَيَعْطِفُنِي وَيَكْفُنِي وَيُرْجِعُنِي وَيُجَوِّلُنِي، صَرَاءٍ: هذه اللفظة قد صُحِفَتْ في سائر النُّسخ التي بأيدينا إلى صَرَاءٍ بِإِعْجَامِ الصَّادِ، فَبَقِيَتْ مَلِيًّا أَنْقَبُ وَأَنْقَرُ عَنْهَا حَتَّى يَبْسُتَ مِنْ وَجُودِهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهَا مَصْحَفَةٌ، فَارْجَعْتُ مَادَةَ (ص ر ر) بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ، فَأَعَثَرَنِي اللهُ عَلَيْهَا وَأَرشَدَنِي بِفَضْلِهِ إِلَيْهَا، لِأَزَالِ يَهْدِينِي إِلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَيَأْخُذُ بِيَدِي إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ فِي الْأَسْحَارِ وَالْأَصَائِلِ وَالْبُكُورِ.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ بَعْضَ الشُّرَاحِ نَصَّ عَلَى كَوْنِهَا بِالْمَعْجَمَةِ حَيْثُ قَالَ [يَقْصِدُ الصَّائِي]: «الضَّرَاءُ: مَاخُودٌ مِنَ الضَّرِّ ضِدُّ النَّفْعِ، وَفَسَّرَهَا بِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ أَوْ الْأَرْضِ الْمُشْرِفَةِ»، وَسَبَّحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْخَطَا وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ مَظَنَّةَ الْخَطَلِ وَالْخَطَا وَالنَّسْيَانِ، قَالَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: «وَصَخْرَةٌ صَرَاءٌ: صَمَاءٌ»، وَفِي اللِّسَانِ: «مَلْسَاءٌ، وَفِي التَّكْمَلَةِ: وَحَجَرٌ أَصْرٌ: صُلْبٌ» أ.هـ. تَاجٌ مِنْ مَادَةَ (ص ر ر) بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَالرَّاءِ فَارْجَعُهُ، وَفِي اللِّسَانِ «صَخْرَةٌ صَرَاءٌ: مَلْسَاءٌ» أ.هـ. مِنْهُ مَادَةُ الصَّادِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ.

«صَبُّ الكُدَى»، الصَّبُّ: حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ، وَفِي التَّاجِ [صَبَبٌ] «الصَّبُّ: دُوبِيَّةٌ مِنَ الْحَشْرَاتِ عَلَى حَدِّ فَرْخِ التَّمْسَاحِ الصَّغِيرِ، يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا نَحْوَ الشَّمْسِ كَمَا تَتَلَوَّنُ الْحِرْبَاءُ، وَيَعِيشُ سَبْعِمِائَةَ عَامٍ وَلَا يَشْرَبُ، وَإِذَا فَارَقَ جُحْرَهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْوَرَلَّ بِالتَّحْرِيكِ، وَذَنْبُهُ ذُو عَقْدٍ، وَالْعَرَبُ تَحْرِصُ عَلَى صَيْدِهِ وَأَكَلِهِ».

«وَالكُدَى» جَمْعُ كُدْيَةٍ بِالضَّمِّ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفِعَةُ، وَقِيلَ: هُوَ شَيْءٌ صُلْبٌ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالطِّينِ، وَالكُدْيَةُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ، وَقِيلَ: الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الصَّفَاةُ الْعَظِيمَةُ الشَّدِيدَةُ، وَالكُدْيَةُ: الْارْتِفَاعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالكُدْيَةُ: صَلَابَةٌ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ» أ.هـ. لِسَانِ [كُدَى]. وَفِي التَّاجِ: «الكُدْيَةُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ أَوْ الصُّلْبَةُ أَوْ الْمُرْتَفِعَةُ، يُقَالُ: صَبُّ

كُدْيَةٌ، والجمع كُدَى، وقيل: هي الصِّفَاة العظيمةُ الشديدة» ا.ه منه. وفي الأساس [كدي]:

«أَكْدَى الحَافِرُ: بَلَغَ الكُدْيَةَ، وهي صَلَابَةٌ الأَرْضِ فَمَنَعْتَهُ، كَقَوْلِهِمْ: أَجْبَلُ الحَافِرِ» ا.ه.

وفي المصباح: «الكُدْيَةُ: الأَرْضُ الصُّلْبَةُ، والجمع كُدَى، كَمُدْيَةٍ وَمُدَى، وبالجمع سُمِّيَ موضعٌ بأسفل مَكَّةَ بِقُرْبِ شِعْبِ الشَّافِعِيِّينَ، وقيل فيه: ثَنِيَّةٌ كُدَى، فَأُضِيفَ لِلتَّخْصِيصِ، وَيَكْتَبُ بِالْيَاءِ، وَيَجُوزُ بِالْأَلْفِ؛ لِأَنَّ المَقْصُورَ إِنْ كَانَتْ لَامُهُ يَاءً، نَحْوُ كُدَى وَمُدَى جازتِ الياءُ تَنبِيهاً عَلَى الأَصْلِ، وَجازَ الأَلْفُ عِتاباً بِاللِفظِ. إِذِ الأَصْلُ كُدَيْيٌ بِإِعْرابِ الياءِ، لَكِنْ تَحَرَّكَتْ وَاِنْفَتَحَ ما قَبْلُها فَقَلْبَتْ أَلْفاً وَإِنْ كانَ مِنْ بَناتِ الواوِ، فَإِنْ كانَ مَفْتُوحَ الأَوَّلِ نَحْوُ عَصا كُتِبَ بِالْأَلْفِ بِلَا خِلافٍ، وَلا يَجُوزُ إِمالَتُهُ إِلا إِذا انْقَلَبَتْ وَاوُهُ ياءً، نَحْوُ الأَسَى فَإِنَّها قَلْبَتْ ياءً فِي الفِعلِ فِقالِ: أَسَيْ، فَيُكْتَبُ بِالْياءِ وَيُمالُ، وَإِنْ كانَ الأَوَّلُ مضموماً نَحو الضُّحى أَوْ مَكسوراً نَحو الصُّبى فَاخْتَلَفَ العِلماءُ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكْتَبُهُ بِالْياءِ وَيُمالِيهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ؛ لِأَنَّ الضَّمَّةَ عِنْدَهُمْ مِنَ الواوِ، وَالكَسْرَةَ مِنَ الياءِ، وَلا تَكُونُ لَامُ الكَلِمَةِ عِنْدَهُمْ وَاواً وَفَاوِهاً وَاواً أَوْ ياءً، فَيَجْعَلُونَ اللَّامَ ياءً فَراراً مِمَّا لا يَرُونَهُ لِعَدَمِ نَظيرِهِ فِي الأَصْلِ.

ومِنْهُمْ مَنْ يَكْتَبُهُ بِالْأَلْفِ وَلا يُمالِيهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ عِتاباً بِالْأَصْلِ، وَمِنْهُ

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشَّمْسُ: ١/٩١]، قَرَأَ فِي السَّبْعَةِ بِالفِتاحِ وَالإِمالَةَ» ا.ه مصباح [كدي].

وقال الدِّمِيرِيُّ فِي حِياةِ الحِياوانِ: «الضُّبُّ لا يَتَّخِذُ جُحْرَهُ إِلا فِي كُدْيَةٍ حَجَرٍ خَوْفاً مِنَ السَّيْلِ وَالْحافِرِ، وَلِذاكَ تُوجَدُ بَرائِثُهُ ناقِصَةً كَلِيلَةً لِحَفْرِهِ بِها فِي الأَماكنِ الصُّلْبَةِ». قال: «وفي طَبَعِ النِّسيانِ وَعَدَمِ الهِدايةِ، وَبه يُضْرَبُ المِثْلُ فِي الحِيرةِ، وَلِذاكَ لا يَحْفَرُ جُحْرَهُ إِلا عِنْدَ أَكْمَةٍ أَوْ صَخْرَةٍ لئَلَّا يَضِلَّ عَنْهُ إِذا خَرَجَ لِطَلَبِ المَطْعَمِ» ا.ه حِياةِ الحِياوانِ [٦٣/٢].

١٩- أَرَمَّقُ العِيشَ عَلَى بَرَضٍ فَإِنْ رُمْتَ ارْتِشافاً رُمْتَ صَعْبَ المُتَسِّا

«أَرَمَّقُ العِيشَ» الرَّمَقُ مِنَ الرَّمَقِ بِفِتاحَتَيْنِ، وَهِيَ بَقِيَّةُ الحِياةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ،

وقال ابن دُرَيْدٍ: باقِي النَفْسِ، يُقالُ: سَدَّ رَمَقَهُ، وَقَالَ غَيرُهُ: آخَرَ النَفْسِ. [النَّج (رَمَق)]

قال في اللسان: «رَمَقَهُ: أَمَسَكَ رَمَقَهُ، يقال: رَمَقُوهُ وهم يُرَمِّقُونَهُ بشيءٍ، أي قدر ما يُمَسِّكُ رَمَقَهُ، ويقال: ما عَيْشُهُ إِلَّا رُمُقَةٌ وَرِمَاقٌ وَرِمَاقٌ [كَعُرْفَةٌ وَسَحَابٌ وَكِتَابٌ] وهو القليل من العيش الذي يُمَسِّكُ الرَّمَقَ، وعَيْشٌ رَمِيقٌ [ككِتَفٍ] أي يُمَسِّكُ الرَّمَقَ، وما عَيْشُ فلانٍ إِلَّا رُمُقَةٌ وَرِمَاقٌ، أي بُلْعَةٌ، وفلانٌ يُرَامِقُ عَيْشَهُ إذا كان يُدارِيهِ، والمُرَمِّقُ في الشيء: الذي لا يُبَالِغُ في عمله، والتَرَمِيقُ: العملُ يَعْمَلُهُ الرجلُ لا يُحْسِنُهُ، وقد يَتَبَلَّغُ به، يقال: رَمَّقَ على مَرَادَتَيْكَ، أي رَمَمَهَا مَرَمَةً تَتَبَلَّغُ بِهِمَا، والمُرَمِّقُ [كَمُحَمَّرٍ] من العيش: الدُّونُ اليسيرُ وعَيْشٌ مُرَمِّقٌ [على وزن مُحَمَّرٍ] قليلٌ يسيرٌ، قال الكُمَيْتُ: [الهاشميات: ٢٠٩]

أرانا على حُبِّ الحياةِ وطُولِها يُجِدُّ بنا في كلِّ يومٍ ونَهَزِلُ
نعالِجُ مُرَمَّقاً من العيشِ فانياً له حارِكٌ لا يَحْمِلُ العِبءَ أَجْزَلُ
والمُرَمِّقُ: الفاسدُ من كلِّ شيءٍ، ورجلٌ مُرَامِقٌ: سيئُ الخُلُقِ، ورامقُه داراهُ مَخافَةُ شرِّه،
والمُرَمِّقُ: التَّفَاقُ [وزناً ومعنى]». ا.هـ من لسان العرب [رمق].

وقال الناظم: «يقال: هو مُرَمِّقُ العَيْشِ كَمُعْظَمٍ، أي ضَيْفُهُ، وقال أبو عبيد: وهو مُرَمِّقُ العَيْشِ كَمُحَمَّرٍ، أي: حَسِيْسُهُ دُونُهُ، وأنشَدَ للكُمَيْتِ:

نعالِجُ مُرَمَّقاً من العيشِ فانياً له حارِكٌ لا يَحْمِلُ العِبءَ أَجْزَلُ
قال الناظم: «ومن كلامهم «أَصْرَعَتِ الصَّانُ فَرَبِّقُ رَبِّقٌ وَرَمَدَتِ المِعْزَى فَرَمِّقُ رَمِّقٌ»،
ونصَّ ابن فارس «وأَصْرَعَتِ المِعْزَى أي أَشْرَقَ لَبَنُها قَلِيلاً قَلِيلاً، لَأَنَّها تُنْزَلُ قَبْلَ نِتاجِها
بأيامٍ»، قاله ابن فارس [المقاييس ٣/٣٩٦]، وقال غيره: «لأنها تَضَعُ بعد مُدَّةٍ»، والتَرَمِيمُ: أَنْ
تَعْظُمَ ضروعُها، وَرَبِّقُ أي هَيَّئِ الأَرْباقَ فَإِنَّها تَلدُ عن قُرْبِ، والأَرْباقُ جَمْعُ رَبِّقٍ، وهو حَبْلٌ
فيه عِدَّةٌ عَرَى يُشَدُّ به البَهْمُ الصَّغارُ من أَعْنَقِها أو يَدِها لئلا تَرَضَعَ، كُلُّ عُرْوَةٍ منها رِبْقَةٌ
بالكسر والفتح، وفي المِعْزَى يقال: رَنَّقُ بالنون، أي انتظرُ ولادَتِها، فَإِنَّه سَيَطوُلُ انتِظارُكَ لها،
لأنَّها تُرثِي، أي يَسْتَبِينُ حَمْلُها ولا تَضَعُ إِلَّا بعد مُدَّةٍ.

وَتَرْمِيدُ الْمِعْزَى: أَنْ تَرِمَ ضَرُوعُهَا وَيُظْهَرُ حَمْلُهَا، وَالْمِعْزَى إِذَا رَمَدَتْ تَأَخَّرَتْ وَلَادَتْهَا، وَالضَّانُّ إِذَا رَمَدَتْ أَسْرَعَتْ وَلَادَتْهَا عَلَى إِثْرِ تَرْمِيدِهَا، وَالتَّرْبِيقُ: إِعْدَادُ الْأَرْبَاقِ لِلسَّحَالِ»
ا.هـ من التاج واللسان.

وفيها: «تَرْمِيقُ الْكَلَامِ: تَلْفِيقُهُ، وَكَذَا تَرْبِيقُهُ، بِالْمِيمِ وَالْبَاءِ، وَقَالَ جَارُ اللَّهِ: «رَمَّقَ الْكَلَامَ: لَفَّقَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا»، وَرَمَّقَهُ: أَمَسَكَ رَمَقَهُ، وَهَمَّ يَرْمُقُونَهُ بِشَيْءٍ، أَيِ قَدَرٍ مَا يُمَسِّكُ رَمَقَهُ، وَفُلَانٌ يُرَامِقُ عَيْشَهُ إِذَا كَانَ يُدَارِيهِ» ا.هـ تاج ولسان [رمق].

«عَلَى بَرِّضٍ»: الْبَرِّضُ: الْقَلِيلُ كَالْبَرِّاضِ كَغُرَابٍ، يُقَالُ: مَاءٌ بَرِّضٌ، وَهُوَ خِلَافُ الْعَمْرِ، وَالْجَمْعُ بَرُّوضٌ وَبِرَاضٌ وَأَبْرَاضٌ، كَقُلُوسٍ وَكِلَابٍ وَأَحْمَالٍ، وَبَرِّضَ الْمَاءَ مِنْ بَابِي ضَرَبَ وَنَصَرَ بَرِّضًا وَبُرُوضًا: قَلَّ أَوْ خَرَجَ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَبَرِّضَ لَهُ مِنْ مَالِهِ مِنْ بَابِي ضَرَبَ وَنَصَرَ بَرِّضًا: أَعْطَاهُ قَلِيلًا، وَالتَّبْرِضُ وَالانْبِرَاضُ: التَّبَلُّغُ فِي الْعَيْشِ بِالْبُلُغَةِ، وَتَطَلَّبُهُ مِنْ هُنَا وَهُنَا قَلِيلًا قَلِيلًا» ا.هـ لسان وتاج [برض].

«ارْتِشَافًا»، الْارْتِشَافُ مُصَدَّرُ ارْتِشَفَ الْمَاءِ إِذَا مَصَّه، قَالَ فِي التَّاجِ [رَشَفَ]: «الْارْتِشَافُ: الْاِمْتِصَاصُ، وَبِهِ سَمِيَ أَبُو حِيَانَ كِتَابَهُ «ارْتِشَافُ الضَّرْبِ». ا.هـ. وَقَدْ يُفَسَّرُ الْارْتِشَافُ بِالِاشْتِيفِافِ، وَهُوَ اسْتِغْنَاءٌ مَا فِي الْإِنَاءِ شُرْبًا، كَمَا فِي الْلسَانِ، وَفِي الْمَصْبَاحِ: «رَشَفَ مِنْ بَابِي ضَرَبَ وَقَتَلَ: اسْتَقْصَى فِي شُرْبِهِ فَلَمْ يُبْقِ شَيْئًا فِي الْإِنَاءِ». ا.هـ.
قَلْتُ: وَالْارْتِشَافُ افْتِعَالٌ مِنْهُ.

(صَعَبَ الْمُتَسَا) ^(١): الْمُتَسَا بِالْهَمْزِ: الْمُتَنَّى وَالسَّعَةُ، يُقَالُ: إِنَّ لِي عَنْكَ لِمُتَسَاً، وَهُوَ مِنْ ائْتَسَا عَنْهُ إِذَا تَأَخَّرَ وَتَبَاعَدَ. [اللسان (نساء)]

٢٠- أَرَجِعْ لِي الدَّهْرُ حَوْلًا كَامِلًا إِلَى الَّذِي عَوَّدَ أَمْ لَا يُرْتَجَى
الْحَوْلُ: السَّنَةُ، وَيُرَادُفُهُ أَيْضًا الْعَامُ وَالْحِجَّةُ بِالْكَسْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَوْلِ وَالْعَامِ

(١) فِي شَرْحِ الصَّوَاوِي: ٢٥ «الْمُتَشَّى» بِالشَّيْنِ.

والسنة بفروق لطيفة، ليس هذا مجالاً لها، فراجع التاج، قال تعالى في سورة البقرة [٢/٢٣٣]: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾، قال في الجلالين [٢/١٤٤]: «أي ليرضعن عامين كاملين، صفة مؤكدة»، قال الصاوي: «أي لدفع توهم تسمية الأقل منها باسم الكامل تسميهاً» اهـ، وذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه، قال الصاوي عند قوله: «كاملين»: «هذا تقريب عند مالك، فألحق الشهران بالحولين، وتحديد عند الشافعي» اهـ. [حاشية الصاوي على الجلالين ٢/١٤٤]

٢١- يَادْهَرُ إِنْ لَمْ تَكُ غُتْبَى فَاتَّيْدُ فَإِنَّ إِرْوَادَكَ وَالْعُتْبَى سَوَا

«العتبي بالضم مقصوراً: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب، اهـ لسان، وفي اللسان أيضاً: «العتبي: الرضي، وأعتبه: أعطاه العتبي ورجع إلى مسرته، تقول قد أعتبني فلان، أي: ترك ما كنت أجده عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضاني عنه بعد إسخاطه إليّ أي عليه، والاسم منه العتبي»، وقال: «والعتبي: اسم على فعل يوضع موضع الإعتاب، وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب، وفي المثل «ما مسيئ من أعتب»، واستعبته كأعتبه، واستعبت أيضاً: طلب العتبي، تقول: استعبته فأعتبني، أي استرضيته فأرضاني، واستعبته فما أعتبني، كقولك: استقلتته فما أقالني، وقولهم: لك العتبي، أي الرجوع مما تكره إلى ما تحب» اهـ لسان [عتب].

«فاتتد»، اتتد أمر من الاتتاد، «وهو الرزانه والتمهل والتأني في الأمر، ويقال: اتتد في أمرك، أي تثبت» كذا في اللسان [وأد]. ويقال: «مسي على تودة كرطبة، ومشيأ ويبدأ على سكينه» قاله في المصباح [وأد]، وقال: «تاؤه بدل من الواو» اهـ. قالت الرباء: [الخزانه: ٣/٢٧٢]

مَالِلِجِمَالٍ مَشِيْهَا وَيِيْدَاً أَجْنَدَلَا يَحْمِلْنَ أَمَ حَدِيْدَا
أَمَ صَرَفَانَا بَارِدَا شَدِيْدَا أَمَ الرَّجَالُ جُثْمًا قُعُوْدَا

وفي القاموس [وأد] «التَّؤَدَةُ بفتح الهمزة وسكونها»، وفي اللسان «التَّؤَدَةُ ساكنة: التَّائِي

والتمهُّل والرَّزَانة، قالت الخنساء: [ديوانها ٢٧]

فَتَّى كَانَ ذَا حِلْمٍ رَزِينٍ وَتُؤَدَةٍ إِذَا مَا الْحِبَا مِنْ طَائِفِ الْجَهْلِ حُلَّتْ
وقد أَتَادَ وَتَوَادَّ عَلَى افْتَعَلَ وَتَفَعَّلَ، وَأَصْلُ أَتَادَ أَوْ تَادَ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَادِّ، وَهُوَ صَوْتُ وَطْءِ
الأَرْضِ، وَكَذَلِكَ أَصْلُ التَّؤَدَةِ وَوَادَّةٌ، مِثْلُ التُّكَاةِ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ تَاءً ۝ ا.هـ لسان [وأد].

وفي الأساس «أَتَادَ فِي الْأَمْرِ وَتَوَادَّ: تَمَهَّلَ وَتَرَزَّنَ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي تَوْدَةٍ وَوَقَارٍ، وَفِي فُلَانٍ
تُؤَبَةٌ وَتُؤَدَةٌ» ۝ ا.هـ منه [وأد]، التَّؤَبَةُ: الْاسْتِحْيَاءُ وَالْانْقِبَاضُ.

«فِي إِرْوَادِكَ»، الْإِرْوَادُ: الْإِمْهَالُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رُوَيْدَكَ، أَيَّ أَمَهْلٍ وَارْفُقْ، كَذَا فِي
اللسان [رود]، تقول: أَرُوذُ وَرُوَيْدَكَ بِمَعْنَى، وَفِي الْمُخْتَارِ [رود] «أَرُوذَ أَيَّ رَفَقَ».

و«العُبَيْ» سبق تفسيرها. «سَوَا» أَيُّ مُتَسَاوِيَانِ، قَالَ فِي التَّاجِ: «سَوَاءٌ تَطْلُبُ اثْنَيْنِ،
تَقُولُ: سَوَاءٌ زَيْدٌ وَعَمْرُو، أَيُّ ذَوَا سَوَاءٍ زَيْدٌ وَعَمْرُو، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرْفَعَ مَا
بَعْدَهَا إِلَّا عَلَى الْحَذْفِ، تَقُولُ: عَدْلُ زَيْدٌ وَعَمْرُو، وَالْمَعْنَى ذَوَا عَدْلٍ؛ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَيْسَتْ
كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ، وَإِنَّمَا يَرْفَعُ الْأَسْمَاءُ أَوْصَافُهَا، فَأَمَّا إِذَا رَفَعْتَهَا الْمَصَادِرُ فَهِيَ عَلَى الْحَذْفِ -
كَمَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ: [ديوانها ٥٣]

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
وَالسَّوَاءُ: الْمِثْلُ، وَاسْتَوِيًا وَتَسَاوِيًا أَيُّ تَمَازُلًا، فَهَذَا فَعْلٌ يُسْنَدُ إِلَيْهِ فَاعِلَانِ فَصَاعِدًا،
تَقُولُ: اسْتَوَى زَيْدٌ وَعَمْرُو وَخَالِدٌ فِي كَذَا، أَيُّ تَسَاوِيًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ
اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩/٩] ۝ ا.هـ تاج [سوى].

٢٢- رَفُّهُ عَلِيٌّ طَالَمَا أَنْصَبْتَنِي وَاسْتَبَقَ بَعْضَ مَاءِ عُصْنٍ مُلْتَحَى
«رَفُّهُ»، فِي الْمَصْبَاحِ [رفه] «رَفُّهُ الْعَيْشُ بِالضَّمِّ رَفَاهَةً وَرَفَاهِيَةً: اتَّسَعَ وَلَا نَ، وَرَفَّهْنَا مِنْ

باب «نَفَع» رَفِهًا ورُفُوهاً: أَصَبْنَا نِعْمَةً وَسَعَةً مِنَ الرِّزْقِ، وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ،
فَيَقَالُ: أَرَفَهْتُهُ وَرَفَّهْتُهُ فَتَرَفَّهُ، وَرَجُلٌ رَافِهِ وَمُتَرَفَّهُ: مُسْتَرِيحٌ مُسْتَمْتِعٌ بِنِعْمَةٍ، وَرَفَّهُ نَفْسَهُ
تَرْفِيهاً: أَرَاهاً» ١.هـ.

وفي المختار [رفه]: «رَفَّةٌ عَنِ غَرِيْمِكَ أَي نَفْسُ عَنْه»، وفي اللسان: «رَفَّهُ عَنْهُ تَرْفِيهاً:
رَفَّقَ بِهِ، وَرَفَّهُ عَنْهُ تَرْفِيهاً: كَانَ فِي ضَيْقٍ فَنَفَّسَ عَنْهُ، وَالرَّفَاهِيَّةُ: السَّعَةُ وَالتَّنْعَمُ»، وفي اللسان
«الرَّفَاهَةُ وَالرَّفَاهِيَّةُ وَالرَّفْهِيَّةُ: رَعَدُ الخِصْبِ وَلِينُ العَيْشِ، كَالرَّفَاغَةِ وَالرَّفَاغِيَّةِ وَالرَّفْغَنِيَّةِ،
رَفَّهُ عَيْشُهُ فَهُوَ رَفِيهٌ وَرَافُهُ، وَأَرَفَهُ اللهُ وَرَفَّهَهُ، وَرَفَّهْنَا رَفَّهاً وَرَفَّهاً وَرُفُوهاً، وَالرَّفُّهُ بِالْكَسْرِ:
أَقْصَرُ الوَرْدِ وَأَسْرَعُهُ وَهُوَ أَنْ تَشْرَبَ الإِبِلُ المَاءَ كُلَّ يَوْمٍ، وَقِيلَ: مَا أَرَادَتْ، وَرَفَّهَتْ هِيَ
تَرَفَّهُ رَفَّهاً وَرُفُوهاً، وَأَرَفَّهَهَا وَرَفَّهَهَا وَرَفَّهُ عَنْهَا، وَأَصْلُ الرَّفَاهِيَّةِ: الخِصْبُ وَالسَّعَةُ فِي
المَعاشِ» ١.هـ لسان [رفه].

وفي التاج «أَرَفَّهَهُ اللهُ وَرَفَّهَهُ: أَلَانَ عَيْشَهُ وَأَخْصَبَهُ، وَالتَّرْفِيهِ: الرَّفْقُ، وَرَفَّهُ عَيْشُهُ
كَكْرَمٍ، فَهُوَ رَفِيهٌ وَرَافُهُ، أَي: وَادِعٌ، وَرَجُلٌ رَفَّهَانَ وَمُتَرَفَّهُ، أَي مُسْتَرِيحٌ مُتَنَعِّمٌ» ١.هـ.
«طالما»: «فَعَلٌ لا فاعِلٌ لَهُ لِأَنَّ «ما» أزالته عن حُكْمِهِ فِي تَقاضِيهِ الفاعِلِ، وَأَصارته إلى
حُكْمِ الحَرْفِ المُتقاضي لِلْفِعْلِ لا الاسمِ، نَحْوُ لولا وَهَلَّا جَمِيعاً، وَذلك فِي التَّحْضِيضِ،
وَ«إن» فِي الشَّرْطِ، وَحَرْفِ الاستفهامِ، وَلذلك ذَهَبَ سيبويه فِي قولِ الشاعر:

صَدَدَتْ فَأَطُولَتِ الصُّدُودَ وَقَلَّما وَصالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ
إلى أَنَّ «وصالٌ» يَرْتَفِعُ بِفِعْلِ مضمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ «يدومُ»، حَتَّى كَأَنَّهُ قالَ: «وقلَّما يَدُومُ
وصالٌ» [الكتاب ١/ ٣١]، فلما أَضْمَرَ «يدومُ» فَسَّرَهُ بِقولِهِ فِيمَا بَعْدَ: «يدومُ»، فَجَرى ذلك فِي
ارتِفاعِهِ بِالفِعْلِ المضمَرِ لا بِالابتداءِ مَجْرى قولِكَ: «أَوْصالٌ يَدُومُ»، أَوْ «هَلَّا وَصالٌ يَدُومُ»،
وَنظيرُ ذلكِ حَرْفُ الجَرِّ فِي نَحْوِ قولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُبَّما يَؤُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر:
١٥/ ٢]، ف«ما» أَصْلَحَتْ «رُبَّ» لوقوعِ الفِعْلِ بَعْدَها، وَمَنَعَتْها وَقوعَ الاسمِ الَّذِي هُوَها فِي

الأصل بعدها، فكما فارقت «رُبَّ» بتركيبها مع «ما» حُكِمَها قبل أن تتركَّبَ معها، فكذلك فارقت «طال» و«قلَّ» بالتركيب الحادث فيها ما كانتا عليه من طلبها الأسماء، ألا ترى أن لو قلت: طالما زيدٌ عندنا، أو قلَّما محمدٌ في الدار لم يجز.

وبعدُ فإن التركيب يُحدث في المركِّبين معنى لم يكن قبلُ فيها، وذلك نحو «إنَّ» مفردةً، فإنها للتحقيق، فإذا دخلتها «ما» كافةً صارت للتحقير، كقولك: إنما أنا عبدك، وإِنَّمَا أَنَا رسولٌ، ونحو ذلك، وقالوا: أقلُّ امرأتينِ تقولان ذلك، قال ابن جنِّي: لما ضارعَ المبتدأ حرفَ النفي بقَّو المبتدأ بلا خبر» ا.هـ من لسان العرب من مادة (ق ل ل): و«حُكِّمُ «طالما» كحكم «قلَّما» في جميع ما ذكر.

«أَنْصَبْتَنِي»: «أَتَعَبْتَنِي وَأَلْغَبْتَنِي»، قال في اللسان: «وفي الحديث: «فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُنْصَبُ ما أَنْصَبَهَا»، أي يُتَعَبَّنِي ما أَتَعَبَّهَا»، يقال: فلان بَضْعَةٌ من فلان، يُذهب به إلى الشَّبه، وهذا الحديث من ذلك، وقد تكسَّر الباءُ، وهي القطعة من اللحم، أي أنها جزءٌ مِنِّي، كما أن البَضْعَةَ قطعة من اللحم. ا.هـ لسان [بضع]. واللازمُ منه نَصَبٌ يَنْصَبُ نَصْباً كَتَعَبٍ يَتَعَبُ تَعَباً وزناً ومعنى، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧/٩٤-٨].

قال في اللسان [نصب]: «قال قتادة^(١): فإذا فرغت من صلاتك فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من الفريضة فانصب في النافلة» ا.هـ.

«وَأَسْتَبَقِ»، قال في اللسان [بقي]: «البقاء ضدُّ الفناء، بقي الشيءُ يَبْقَى بقاءً، وبقي بَقِيًّا لَعْنَةُ بَلْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ»، قال: «وطيئٌ تقول: بَقِيَ وَبَقَّتْ مَكَانَ بَقِيٍّ وَبَقِيَّتْ، وكذلك أخواتها من المعتلِّ، وأبقاه وبقَّاه وتبقَّاه وأستبقَّاه» ا.هـ. وقال أيضاً: «ويقال: استبقيتُ من الشيء أي

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، تابعي عالم كبير، توفي عام ١١٧ هـ.

تركتُ بعضه، واستبقيتُ الرجلَ وأبقيتُ عليه: وجبَ عليه القتلُ ففوتَ عنه» ا.هـ لسان [بقي]. وفي التاج: «بَقِيَ كَرَضِي، وبَقِيَ لغة بلحرث، وقال شيخنا: لغة طِيء ضِدُّ فَنِي، وأبقاه وبقَّاه وبقَّاه واستبقَّاه، كلُّ ذلك بمعنى واحد» ا.هـ باختصار.

وفي المصباح [بقي]: «بَقِيَ الشيءُ من باب تَعَبَ: دامَ وثبتَ، وطِيءُ تُبدلُ الكسرة فتحةً فتقلبُ الياءُ ألفاً فيصيرُ بقًا، وكذلك كلُّ فعل ثلاثيٍّ، سواءً كانت الكسرةُ والياءُ أصليتين، نحوُ بَقِيَ وفَنِيَ ونَسِيَ أو كان ذلك عارضاً، كما لو بُني الفعل للمفعول، فيقولون في هُدِي زيدٌ وُبِنِي البيتُ: هَذَا زيدٌ وُبِنِي البيتُ» ا.هـ، وهي من مهّمات اختلافاتهم.

«عُصِنَ مُلْتَحَى» العُصْنُ: ما تشعَّبَ من ساق الشجرة، وهو أيضاً الفَنُّ، وجمعُ هذا

أفنان، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٥/٤٨]، قال في الجلالين [٤/١٣٢]: «أي أغصان»، قال الصاوي [٤/١٣٣]: «وهي فروعُ الشجر التي تشتملُ على الورق والثمار» ا.هـ.

«مُلْتَحَى»: اسم مفعول من «التَحَى العُودَ» أي كَشَطَ عنه لِحاءه، أي قَشَره، يقال: حَتَى العودَ يَلْحَاهُ لِحَاءً، من باب سَعَى، وكذلك لِحاه يَلْحُوهُ لِحَوًّا، يَأْتِي وَاوِيًّا، ومثلها التَحَاهُ يَلْتَحِيهِ التَحَاءُ، وفي الحديث: «فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَ خَلْقِهِ فَالْتَحَوْكُمْ كَمَا يُلْتَحَى الْقَضِيبُ»، التَحَى القَضِيبَ أي أَحَذَ لِحَاءه، وهو قَشَره، ومدّه أَعْرَفَ من قَصَره» ا.هـ تاج ولسان [لحى].

٢٣- لَا تَحْسَبَنَّ يَادَهُرُ أَيُّ ضَارِعٍ لِنِكَبَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقَ الْمَدَى

«لا تَحْسَبَنَّ»، تَحْسَبَنَّ مضارعٌ حَسِبَ من باب تَعَبَ، أي ظَنَّ، وُبِنِي على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهي الخفيفة، قال في المصباح: «حَسِبْتُ زِيداً قائماً أَحَسَبُهُ، من باب تَعَبَ في لغة جميع العرب إلّا بني كنانة، فإِنَّهُمْ يَكْسِرُونَ المضارعَ مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، حَسَبَاناً بالكسر، أي ظَنَنْتُهُ» ا.هـ.

وَأَمَّا الْحُسْبَانُ بِالضَّمِّ فَهُوَ مُصَدَّرٌ حَسَبَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ، أَيَّ أَحْصَاهُ عَدْدًا، وَيُكْسَرُ أَيْضًا كَمَا فِي الْقَامُوسِ وَاللِّسَانِ [حَسَبَ]، وَذَلِكَ الَّذِي بِمَعْنَى الظَّنِّ لَمْ أَرَّ مَنْ ذَكَرَ فِيهِ غَيْرَ الْكُسْرِ، وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ نَقْلًا عَنِ الصَّحَّاحِ مَا نَصَّه: «أَحْسِبُهُ بِالْكَسْرِ شَاذٌ لِأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ كَانَ مَاضِيَهُ مَكْسُورًا فَإِنْ مَسْتَقْبَلُهُ يَأْتِي مَفْتُوحَ الْعَيْنِ، كَعَلِمَ يَعْلَمُ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَحْرَفَ جَاءَتْ نَوَادِرُ، حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَسَّ وَيَسُّ، وَيَسَّسَ وَيَسِّسُ، وَنَعِمَ يَنْعِمُ، فَإِنَّمَا جَاءَتْ مِنَ السَّلَامِ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَمَنْ الْمَعْتَلُّ مَا جَاءَ مَاضِيَهُ وَمَسْتَقْبَلُهُ جَمِيعًا بِالْكَسْرِ، وَمَقَّ يَمُقُّ وَوَفَّقَ يَفِيقُ وَوَثِقَ يَثِيقُ وَوَرَعَ يَرِيعُ وَوَرِمَ يَرِمُ وَوَرِثَ يَرِثُ وَوَرِيَ الزَّنْدَ يَرِي وَوَلِيَ يَلِي» ١. هـ منه، ومثله في التاج [حسب].

«ضَارِعٌ»، فِي الْمَخْتَارِ [ضَرَعَ]: «ضَرَعَ الرَّجُلُ يَضْرَعُ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا ضَرَاعَةٌ: خَضَعَ وَذَلَّ، وَأَضْرَعَهُ غَيْرُهُ، وَفِي الْمَثَلِ: «الْحُمَّى أَضْرَعْتَنِي إِلَيْكَ»، وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ: ابْتَهَلَ» ١. هـ، وَفِي الْمَصْبُوحِ [ضَرَعَ]: «ضَرَعَ لَهُ يَضْرَعُ بِفَتْحَيْنِ: ذَلَّ وَخَضَعَ، فَهُوَ ضَارِعٌ وَضَرِعٌ ضَرَعًا فَهُوَ ضَرِعٌ، مِنْ بَابِ تَعَبَ لَغَةً، وَأَضْرَعْتَهُ الْحُمَّى: أَوْهَنْتَهُ» ١. هـ، وَفِي اللَّسَانِ [ضَرَعَ]: «ضَرَعَ إِلَيْهِ يَضْرَعُ ضَرَعًا وَضَرَاعَةً: خَضَعَ وَذَلَّ، فَهُوَ ضَارِعٌ مِنْ قَوْمِ ضَرَعَةٍ وَضُرُوعٍ، وَتَضَرَّعَ، كِلَاهِمَا تَخَشَّعَ وَتَذَلَّلَ، وَيُقَالُ: ضَرَعَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ وَضَرِعَ لَهُ: تَخَشَّعَ وَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ» ١. هـ، وَفِي التَّاجِ [ضَرَعَ] «ضَرَعَ إِلَيْهِ وَلَهُ، وَيُثَلَّثُ، ضَرَعًا مُحَرَّكَةً مُصَدَّرًا الْمَكْسُورَ، وَضَرَاعَةً مُصَدَّرًا ضَرِعًا وَضَرَعَ كَكْرَمٍ وَمَنْعَ، الْأَخِيرَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَاقْتَصَرَ الْجَوْهَرِيُّ عَلَى ضَرَعَ كَمَنْعَ، خَضَعَ وَذَلَّ، وَقِيلَ: اسْتَكَانَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْخَضُوعِ وَالذُّلِّ، وَضَرَعَ لَهُ كَفَرِحَ وَمَنْعَ: تَذَلَّلَ، وَتَخَشَّعَ وَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ، فَهُوَ ضَارِعٌ» ١. هـ.

وَكُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْخَضُوعِ وَالذُّلِّ وَانْكَسَارِ النَّفْسِ وَالانْقِيَادِ وَالِإِذْعَانَ وَالِاسْتِسْلَامِ وَالْهَوَانَ وَالْحُشُوعَ.

«لِنَكْبَةٍ»، فِي الْمَصْبُوحِ [نَكَبَ]: «النَّكْبَةُ: الْمَصِيبَةُ، وَجَمْعُهَا نَكَبَاتٌ، كَسَجْدَةٌ وَسَجَدَاتٌ»،

وفي التاج [نكب]: «النَّكْبَةُ: ما يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْحَوَادِثِ»، وفي لسان العرب: «النَّكْبَةُ: المصيبةُ من مصائب الدهر، وإحدى نكباته، نعوذ بالله منها، والنَّكْبُ: كالنَّكْبَةِ، قال قيسُ بنُ ذَرِيحٍ [ديوانه ٢٧] كذا ضبط فيه بالتصغير شكُّه]:

تَشَمَّمَنَّهُ لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ ارْتَشَفَنَّهُ إِذَا سُفِنَهُ يَزِدُّنْ نَكْبًا عَلَى نَكْبٍ
وجمعه نُكُوبٌ، ونكبه الدهرُ يَنْكُبُهُ [من باب قَتَلَ] نَكْبًا وَنَكْبًا [بفتح و بفتحين]: بلغ منه وأصابه بنكبة، ويقال: نكبته حوادث الدهر، وأصابته نكبةٌ ونكباتٌ ونُكُوبٌ كثيرة، ونُكِبَ فلانٌ فهو منكوبٌ» ا.هـ لسان [نكب]، وقانا الله النكباتِ وكلَّ شرِّ.

«تَعْرِقُنِي عَرَقَ الْمُدَى»، في المصباح «عَرَقَ الْعِظْمَ عَرَقًا مِنْ بَابِ «قَتَلَ»: أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ» [عرق] ا.هـ، وفي اللسان [عرق] «عَرَقَ الْعِظْمَ يَعْرِفُهُ عَرَفًا وَتَعَرَّقَهُ وَاعْتَرَقَهُ: أَكَلَ مَا عَلَيْهِ، وَالْمَعْرَقُ: حَدِيدَةٌ يُبْرَى بِهَا الْعُرَاقُ، يُقَالُ: عَرَقْتُهُ بِمَعْرَقٍ، أَي بِشَفْرَةٍ، وَالْعَوَارِقُ: السِّنُونُ لِأَنَّهَا تَعْرِقُ الْإِنْسَانَ، وَقَدْ عَرَقْتَهُ تَعَرَّقَهُ، قَالَ سَيَّبُوهُ:

إِذَا بَعْضُ السِّنِينَ تَعَرَّقْتَنَا كَفَى الْإِيْتَامَ فَقَدَ أَبِي الْيَتِيمِ
أَنْتَ لِأَنَّ بَعْضَ السِّنِينَ سِنُونٌ، كَمَا قَالُوا: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ، وَعَرَقْتَهُ الْخَطُوبُ تَعَرَّقَهُ، أَخَذَتْ مِنْهُ، قَالَ:

أَجَارَتْنَا كُلَّ امْرِيٍّ سَتُصِيْبُهُ حَوَادِثُ إِلَّا تَبَثَّرَ الْعِظْمَ تَعْرِقُ
ا.هـ لسان [عرق]، أَي إِلَّا تَقَطَّعَ الْعِظْمَ تَذَهَبَ بِاللَّحْمِ.

«الْمُدَى» جمعُ مُدْيَةٍ، «وهي السَّكِينُ وَالسَّكِينَةُ، وَالْمَشْهُورُ السَّكِينُ بِلَاهَاءٍ، وَفِي حَدِيثِ الْمَبْعُثِ «قَالَ الْمَلِكُ لَمَّا شَقَّ بَطْنَهُ: اثْنَيْنِ بِالسَّكِينَةِ» بِالْهَاءِ [مسلم ٤٤٧٠]، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، مَا كُنَّا نَسْمِيهَا إِلَّا الْمُدْيَةَ» [اللسان (سكن)]، وَفِي الْلسَانِ [مدى]: «الْمُدَى جَمْعُ مُدْيَةٍ، وَهِيَ السَّكِينُ وَالشَّفْرَةُ»، وَفِي الْمَصْبَاحِ [مدى]: «الْمُدْيَةُ: الشَّفْرَةُ، وَالْجَمْعُ مُدَى وَمُدْيَاتٌ، مِثْلُ عُرْفَةٍ وَعُرْفَاتٍ وَعُرْفَاتٍ بِالسُّكُونِ وَالْفَتْحِ،

وبنو قشير تقول: مِدْيَةٌ بكسر الميم، والجمع مَدَى بالكسر، مثل سِدْرَةٌ وسِدْرٌ، قال: «ولغة الضمّ هي التي يُرادُ بها المائلةُ في هذا الكتاب» ا.ه منه.

وقوله: «ولغة الضمّ... إلخ» أي إذا وُزِنَ كلمةٌ بمُدْيَةٍ فمرادُه الضمُّ، كقوله: «كُدْيَةٌ وكُدَى كُمْدِيَةٌ ومُدَى» [المصباح (كديّة)] ا.ه، ومن سجّعات الأساس [مدى]: «فلانٌ يَشْحَدُ للبخيّ المُدَى ويبلغ في الغيِّ المُدَى» ا.ه، ومعناها ظاهر من لفظها الباهر.

٢٤- مَارَسَتْ مَنْ لَوْ هَوَتْ الْأَفْلَاكُ مِنْ جَوَانِبِ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَا

«مارست»، في القاموس [مرس] «مارسه: عالجَه وزاوله»، وفي المختار «المِرَاسُ: المُمَارَسَةُ والمُعَالَجَةُ»، وفي اللسان [مرس]: «المَرَسُ [بالتحريك] والمِرَاسُ: المُمَارَسَةُ وشِدَّةُ العِلاجِ، مَرَسَ مَرَسًا فهو مَرِسٌ، ومَارَسَ مُمَارَسَةً ومَرَّاسًا، يقال: إِنَّه لَمَرِسٌ بَيْنَ المَرَسِ إِذَا كان شَدِيدَ المِرَاسِ» ا.ه منه. وفي الأساس [مرس]: «مَارَسَ قِرْنَه: عالجَه، ومَارَسَ الأُمُورَ والأَعْمَالَ وما زال يُزاولُها ويُمارِسُها، وفلان ذو مِرَاسٍ ومَرِسٌ: ذو جَلَدٍ وقوَّةٍ وممارَسَةٍ للأُمُورِ، وتَمَارَسُوا في الحرب: تَضارَبُوا» ا.ه أساس [مرس]، وفي التاج «زاولَه مُزاولَةً وزاولًا: عالجَه وحاوَلَه وطالبَه، وكُلُّ مُحاولٍ مُطالبٌ مُزاولٌ، وهو مُمارِسٌ لكذا ومُزاولٌ له، ومن المجاز «هو يُزاولُ حاجةً له أي يُحاوِلُها، وملكتُ مُزاولَةَ هذا الأمرِ، وتقول: ما زال هذا الأمرُ مُداوِلًا فيهم مُزاولًا بأيديهم» كذا فيه، «وقال رجلٌ لآخرَ عيَّره بالجبن: والله ما كنتُ جبانًا ولكنْ زاولتُ ملكًا مؤجَّلًا، قال زهير: [ديوانه ١٠٧]

فَبِتْنَا وَقُوْفًا عِنْدَ رَأْسِ جَوادِنَا يُزاولُنَا عَن نَفْسِهِ وَزَواوِلُهُ»
وفي اللسان [علج]: «عالج الشيء: زاولَه، وفي حديث الأَسلمي: إني صاحِبُ ظَهْرٍ أعالِجُه، أي أمارِسُه وأُكارِي عليه، وعالج الشيء: عانا، وعالج المريض والجريح: داواه» ا.ه ببعض تصرُّف.

وفي التاج [مرس]: «عاجلته مارسه وزاوله، وفي حديث عليّ أنه بعث برجلين في وجهه، وقال: إنكما عِلجان فعالجا عن دينكما، العِلجُ: الرجل القويّ الضخم، وعالجا أي: مارسا العمل الذي نديتكما إليه وأعمالا به وزاولاه، وكلُّ شيء زاولته ومارسته فقد عاجلته»، وقال: «حاوله أي رامه وأراده، والاسم الحَوِيل كَأَمِيرٍ» كذا فيه، وكذا في المختار [حول] «حاوله أرادَه»، وفي الحديث: «بَكَ أَصَاوِلُ وَبَكَ أَحَاوِلُ»، أَصَاوِلُ: أَوَاتِبُ، وفي اللسان [صول]: «بَكَ أَصَوِلُ» وفي رواية: «أَصَاوِلُ» أي أَسْطُو وَأَقْهَرُ، وفي المختار [زول] «والمزاولَة كالمحاوَلَة والمعالجَة، وتزاولوا: تعالجوا»، وفي الأساس [مرس]: «تَمَارَسُوا فِي الْحَرْبِ: تَضَارَبُوا» ١.هـ. فلزاولَة والمحاوَلَة والمعالجَة والممارسَة ألفاظٌ متقاربةٌ، إن لم تكن مترادفةً، والله أعلمُ.

«هَوَتْ الْأَفْلَاكُ»، في اللسان [هوى]: «هَوَى بِالْفَتْحِ يَهْوِي هَوِيًّا وَهَوِيًّا وَهَوِيًّا وَهَوِيًّا، وَانْهَوَى: سَقَطَ مِنْ فَوْقٍ إِلَى أَسْفَلَ، وَأَهْوَيْتُهُ: أَلْقَيْتُهُ مِنْ فَوْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُنْزِفَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣/٥٣]، يَعْنِي مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، أَي أَسْقَطَهَا، وَهَوَى السَّهْمَ هَوِيًّا: سَقَطَ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سُفْلٍ، وَالهَوِيُّ بِالْفَتْحِ: الهُبُوطُ وَالانْحِدَارُ، وَالهَوِيُّ بِالضَّمِّ: الصُّعُودُ، وَقِيلَ: بِالْعَكْسِ، وَهَوَتْ الْعُقَابُ: انْقَضَتْ» ١.هـ.

وفي المختار [هوى]: «هَوَى مِنْ بَابِ رَمَى هَوِيًّا بِالْفَتْحِ: سَقَطَ إِلَى أَسْفَلَ، وَانْهَوَى مِثْلُهُ» ١.هـ. وفي التاج [هوى]: «هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا وَهَوِيًّا وَهَوِيًّا وَهَوِيًّا: سَقَطَ مِنْ عُلٍ إِلَى أَسْفَلَ كَسَقُوطِ السَّهْمِ وَغَيْرِهِ، وَهَوَى الرَّجُلُ: صَعَدَ وَارْتَفَعَ، أَوْ الهَوِيُّ بِالْفَتْحِ لِلإِصْعَادِ وَبِالضَّمِّ لِلانْحِدَارِ» ١.هـ.

«الْأَفْلَاكُ» جمعُ فَلَكٍ بوزن مَلَكٍ لواحد الملائكة، و«هو مدارُ النُّجومِ، أي الذي تدور عليه النُّجومُ، وهو الذي يقال له: القُطْبُ، تشبيهاً بِقُطْبِ الرَّحَى، وَالْفَلَكُ أَيضاً: اسمٌ لِدَوْرانِ السَّمَاءِ خَاصَّةً، وَالْمَنْجَمُونَ يَقُولُونَ: الْفَلَكُ سَبْعَةُ أَطْوَاقٍ دُونَ السَّمَاءِ، قَدْ رُكِبَتْ فِيهَا

النجوم السبعة في كل طوق منها نجم، وبعضها أرفع من بعض يدور فيها بإذن الله تعالى، الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٦/٤٠]: لكل واحد منها فلک. ا.ه لسان [فلك]. وفي التاج: «الفلك: مدار النجوم، والمنجمون يقولون: إنه سبعة أطواق» إِنْخ ما ذكر عن اللسان، «وفلك السماء: القطب» ا.ه تاج [فلك].

وفي اللسان: «القطب: كوكب بين الجدي والفرقدین، يدور عليه الفلك، صغير أبيض، لا يبرح مكانه أبداً، وإنما شبه بقطب الرّحى، وهي الحديدية التي في الطبّق الأسفل من الرّحین، يدور عليها الطبّق الأعلى، وتدور الكواكب على هذا الكوكب الذي يقال له: القطب، وقيل: القطب ليس كوكباً، وإنما هو بقعة من السماء قريبة من الجدي، والجدي: الكوكب الذي يعرف به القبلة في البلاد الشمالية، ابن سيده: القطب: النجم الذي تُبنى عليه القبلة، وقطب كل شيء ملاكته» ا.ه لسان [قطب]. وقيل: «القطب: كوكب صغير لا يزول الدهر، والجدي والفرقدان تدور عليه» ا.ه. لسان وتاج [قطب]، وفي الكلّيات [٦٩٣]: «الفلك محرّكة: الدور سمي به عجلة الشمس والقمر والنجوم».

«مِنْ جَوَانِبِ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَا». «الجوانب» التّواحي والجهات والأرجاء، ويقال أيضاً الجواني كالثّعلي والأراني والضّفادي والسادى والخامى، للثعالب والأرانب والضفادع والخامس والسادس، الياء بدل عن الحرف الذاهب، كما في التاج في مادة (ض ف د).

«الجوّ» في التاج «الهواء، وفي الصحاح ما بين السماء والأرض، وقال قتادة في قوله عزّ وجلّ: ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: ١٦/٧٩] في كبد السماء». ثم قال [الزبيدي]: «ومما يُستدرَك عليه الأجواء جمع جَوِّ للهواء بين السماء والأرض، ومنه قوله كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «ثُمَّ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ»، وَجَوُّ الْأَرْضِ أَي مَا انخَفَصَ مِنْهَا، جَمْعُهُ أَجْوِيَةٌ» ا.ه تاج [جوا]، وفي اللسان «الجوّ: الهواء، قال ذو الرّمّة: [شرح ديوانه: ٤١٨]

والشَّمْسُ حَيْرَى لها في الجَوِّ تَدْوِيمٌ

[تَدْوِيمٌ أَي دَوْرَانٌ فِي كِبْدِ السَّمَاءِ، وَالْبَيْتُ مَوْجُودٌ فِي مَادَّةِ (دَوْم) بِصَدْرِهِ مَشْرُوحاً]،
وَالجَوُّ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ: «ثُمَّ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ
الْأَرْجَاءَ»، جَمْعُ جَوٍّ، وَهُوَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَجَوُّ السَّمَاءِ: الْهَوَاءُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُرِيرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: فِي
كِبْدِ السَّمَاءِ، وَيُقَالُ: فِي كُبَيْدَاءِ السَّمَاءِ «أ.هـ لسان [جوا].

وَفِي اللِّسَانِ: «كِبْدُ السَّمَاءِ وَالرَّمْلُ، وَكُبَيْدَاتُهَا وَكُبَيْدَاؤُهَا: وَسَطُهَا وَمُعْظَمُهَا،
الْجَوْهَرِيُّ: كُبَيْدَاتُ السَّمَاءِ، كَأَنَّهَا صَغَّرُوهَا كُبَيْدَةً، ثُمَّ جَمَعُوا، وَتَكَبَّدَتِ الشَّمْسُ السَّمَاءَ:
صَارَتْ فِي كِبْدِهَا، وَكِبْدُ السَّمَاءِ: وَسَطُهَا الَّذِي تَقُومُ فِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ الزَّوَالِ، فَيُقَالُ عِنْدَ
انْحِطَاطِهَا: زَالَتْ وَمَالَتْ. اللَّيْثُ: كِبْدُ السَّمَاءِ وَكُبَيْدَاءُ السَّمَاءِ إِذَا صَغَّرُوا، جَعَلُوهَا
كَالنَّعْتِ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: فِي سُؤْيِدَاءِ الْقَلْبِ، وَهِيَ نَادِرَانِ، حُفِظْنَا عَنِ الْعَرَبِ هَكَذَا،
وَكَبَّدَ النَّجْمُ السَّمَاءَ: تَوَسَّطَهَا «أ.هـ لسان [كبد].

«شَكَا»، فِي اللِّسَانِ [شكا] «شَكَاهُ شَكَاةً وَشَكَاهُ شَكَاةً وَشَكَاهُ شَكَاةً: أَخْبَرَ عَنْهُ بِسُوءِ
فِعْلِهِ بِهِ، فَهُوَ مَشْكُوءٌ وَمَشْكِيٌّ، وَالاسْمُ الشُّكُوءُ «أ.هـ. وَفِي التَّاجِ: «شَكَا أَمْرَهُ شَكَاةً
وَيُنُونٌ، وَشَكَاهُ: أَخْبَرَهُ بِضَعْفِ حَالِهِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: «الشُّكَاةُ: إِظْهَارُ الْبَثِّ، يُقَالُ:
شَكُوتٌ وَاشْتَكَيْتُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:

٨٦/١٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١/٥٨]، وَأَصْلُ الشُّكُوِّ فَتْحُ فَمِ
الشُّكُوءِ وَإِظْهَارُ مَا فِيهَا، وَهِيَ سِقَاءٌ صَغِيرٌ، وَكَأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ اسْتِعَارَةٌ، كَقَوْلِهِمْ: بَشَّتْ لَهُ مَا
فِي وَعَائِي وَفَنَضَّتْ لَهُ مَا فِي جِرَابِي، إِذَا أَظْهَرْتَ مَا فِي قَلْبِكَ «أ.هـ مِنَ التَّاجِ [شكا]، فَلِلَّهِ دُرٌّ
مَوْلُفُهُ الزَّبِيدِيُّ عَلَى تَحْقِيقَاتِهِ النَّفِيسَةِ وَتَدْقِيقَاتِهِ الْبَدِيعَةِ الْجَيِّدَةِ، هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا.

وَيُوجَدُ هُنَا فِي بَعْضِ النُّسخِ هَذَا الْبَيْتُ: [البيت في ديوان ابن دريد ٥]

٢٥- وَعَدَلُو كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِهَا فِيهَا فزالت عنه دُنْيَاه سَوَا
 مشروحاً بما نصُّه «وَعَدَّ كَوْنَ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ لَهُ بِهَا فِيهَا وَزَوَّالَهَا لَوْ زَالَتْ عَنْهُ دُنْيَاه
 سَوَا» ا.هـ بحروفه.

٢٦- لَكِنَّهَا نَفْثَةٌ مَّضْدُورٌ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا عَمَى
 «نَفْثَةٌ»، «نَفَثَ مِنْ بَابِي نَصَرَ وَضَرَبَ نَفْثًا وَنَفَثَانًا مَحْرَكَةً» ا.هـ تاج [نفث]، «وَالنَّفْثُ أَقْلٌ
 مِنَ التَّفْثُلِ، لِأَنَّ التَّفْثُلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ، وَالنَّفْثُ شَبِيهُهُ بِالنَّفْخِ، وَقِيلَ: هُوَ
 التَّفْثُلُ بَعِينُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي»، وَقَالَ: «إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى
 تَسْتَوِيَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «هُوَ كَالنَّفْثِ بِالْفَمِ شَبِيهُهُ
 بِالنَّفْخِ»، يَعْنِي جَبْرِيلَ، أَيْ أَوْحَى وَأَلْقَى» ا.هـ لسان [نفث].

وفيه أيضاً: «وفي المثل «لا بدَّ للمصدور أن ينفث»، وفي التاج: «النَّفْثَةُ كَكُنَّاسَةٍ: مَا
 يَنْفُثُهُ أَيْ يُلْقِيهِ الْمَصْدُورُ، أَيْ مَنْ بِهِ عِلَّةٌ فِي صَدْرِهِ، وَكَثِيرًا مَا يُطْلَقُ عَلَى الْمَحْزُونِ مِنْ فِيهِ،
 وَفِي الْمَثَلِ: «لَا بَدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَنْفُثَ» ا.هـ تاج [نفث]، وفي الأساس: «نَفَثَ الشَّيْءُ مِنْ فِيهِ:
 رَمَى بِهِ، وَنَفَثَ رِيقَهُ، وَنَفَثَ فِي الْعُقْدَةِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ عِنْدَ الرُّقِيَةِ، وَمِنْ الْمَجَازِ «هَذَا مِنْ
 نَفَثَاتِ فُلَانٍ: مِنْ شَعْرِهِ، وَ«لَا بَدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَنْفُثَ»، وَهَذِهِ نَفْثَةٌ مَّضْدُورٍ، وَنَفِثَ فِي
 رُوعِي كَذَا: أَلْهَمْتُهُ» ا.هـ من أساس جارِ الله [نفث].

وفي المصباح [نفث]: «نَفْثَهُ مِنْ فِيهِ مِنْ بَابِ ضَرَبَ: رَمَى بِهِ، وَنَفِثَ إِذَا بَرَّقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَقُولُ: إِذَا بَرَّقَ وَلَا رِيقَ مَعَهُ، وَنَفِثَ فِي الْعُقْدَةِ رَاقِيًا، وَهُوَ الْبُصَاقُ الْيَسِيرُ، وَنَفِثَهُ: سَحَرَهُ،
 وَنَفِثَ اللَّهُ الشَّيْءَ فِي قَلْبِي: أَلْقَاهُ» ا.هـ منه. وفي المختار [نفث]: «النَّفْثُ شَبِيهُهُ بِالنَّفْخِ، وَهُوَ
 أَقْلٌ مِنَ التَّفْثُلِ، وَقَدْ نَفِثَ الرَّاقِي مِنْ بَابِي ضَرَبَ وَنَصَرَ» ا.هـ.

«المصدور: هو الذي يشتكي صدره، وفي حديث ابن عبد العزيز «قال لعبيد الله بن

عبد الله بن عُتْبَةَ^(١) حَتَّى مَتَى تَقُولُ هَذَا الشُّعْرَ؟ فَقَالَ: «لَا بَدَّ لِلْمَصْدُورِ مِنْ أَنْ يَسْعُلَا»،
 المصدور: الذي يَشْتَكِي صدره، يقال: صُدِرَ فهو مصدور، يريد أن مَنْ أُصِيبَ صدره لا بَدَّ
 له أن يَسْعَلَ، يعني أنه يحدثُ للإنسان حالاً يَتمثلُ فيه بالشُّعر ويُطِيبُ به نفسه، ولا يكادُ
 يمتنعُ منه، وفي حديث الزُّهري^(٢) قيل له إن عُبيد الله يقول الشعر، قال: ويستطيعُ المصدورُ
 أَلَّا يَنْفُثَ، أي لا يَبِزِقُ، شَبَّه الشُّعْرَ بالَنْفُثِ، لِأَنَّهَا يَخْرُجَانِ مِنَ الفَمِ، وَصَدَرَ فلانٌ فلاناً:
 أَصَابَ صدره» ا.هـ لسان [صدر]. وفي الأساس: «صَدَرْتُه: ضَرَبْتُ صدره، والمصدور:
 الذي يَشْكُو صدره».

«إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا عَمًا». قال في اللسان: «جَاشَتِ القِدْرُ جَيْشًا وَجِيوشًا
 وَجَيْشَانًا: عَلَّتْ، وَكَذَلِكَ الصَّدْرُ إِذَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَى حَبْسِ مَا فِيهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَغْلِي فَهُوَ يَجِيشُ،
 حَتَّى الِهْمُّ وَالغُصَّةُ فِي الصَّدْرِ، وَفِي حَدِيثِ الاسْتِسْقَاءِ «وَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ»
 [البخاري: ١٠٠٩]، أَي: يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي بِالماءِ، وَمِنَهُ الحَدِيثُ «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ لَا يَهْدُؤُهَا مِنْهَا جَانِبٌ
 إِلَّا جَاشَ مِنْهَا جَانِبٌ»، أَي فَارَ وَارْتَفَعَ، وَجَاشَ الوَادِي يَجِيشُ جَيْشًا: زَخَرَ وَامْتَدَّ جِدًّا،
 وَجَاشَ البَحْرُ: هَاجَ فَلَمْ يُسْتَطِعْ رُكُوبَهُ، وَجَاشَتِ العَيْنُ: فَاضَتْ بِالدَّمْعِ» ا.هـ من اللسان
 والتاج [جيش].

«لُغَامٌ»، قال في اللسان: «اللُّغَامُ بِالضَّمِّ مِنَ البَعِيرِ بِمَنْزِلَةِ البُرَاقِ أَوِ اللُّغَابِ مِنَ الإِنْسَانِ
 وَالرُّوَالِ مِنَ الفَرَسِ وَالمُجَاجِ لِلجَرَادِ، وَلَغَمَ البَعِيرُ يَلْغَمُ لُغَامَهُ: رَمَى بِهِ، وَهُوَ أَيُّ اللُّغَامِ زَبْدٌ
 أَفْوَاهِ الإِبِلِ، سُمِّيَ بِالمَلَاغِمِ، وَهِيَ مَا حَوْلَ الفَمِ مِمَّا يَبْلُغُهُ اللِّسَانُ وَيَصِلُ إِلَيْهِ، جَمْعُ مَلْغَمٍ» ا.هـ
 لسان [لغم]، وفي التاج [لغم]: «المَلَاغِمُ: الفَمُ وَالأنْفُ وَالْأَشْدَاقُ» ا.هـ منه.

(١) هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو معلم عمر بن عبد العزيز، توفي عام ٩٨هـ.

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، فقيه محدث تابعي، توفي عام ١٢٤هـ.

«مِنْ نَوَاحِيهَا» أَي مِنْ جَوَانِبِهَا. «عَمًا» كَذَا فِي سَائِرِ النِّسْخِ بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، فِي التَّاجِ [غما]:
 «عَمًا الْبَيْتَ يَغْمُوهُ عَمَوًّا: غَطَّاهُ بِالطَّيْنِ وَالخَشْبِ، وَعَمَّاهُ يَغْمِيهِ عَمِيًّا: سَقَّفَهُ، الْأَوَّلُ وَآوِيٌّ وَالثَّانِي
 يَائِيٌّ»، وَفِي اللِّسَانِ [غما]: «عَمَّاهُ يَغْمِيهِ عَمِيًّا وَعَمَّاهُ يَغْمُوهُ عَمَوًّا يَائِيٌّ وَآوِيٌّ، أَي غَطَّاهُ. وَقِيلَ:
 بِالطَّيْنِ وَالخَشْبِ». ا.هـ، وَلَا مَعْنَى لِعَمَى بِالْمُعْجَمَةِ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ لَهُ
 فِي الْبَيْتِ، وَقَدْ صَحَّفْتُهُ إِلَى عَمَى بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ فَأَصَبْتُ الْمَرْمَى، وَهَآكِ تَفْسِيرُهَا.

قَالَ فِي اللِّسَانِ فِي فَصْلِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ مِنْ بَابِ الْمُعْتَلِّ: «عَمَى الشَّيْءُ يَغْمِي عَمِيًّا: سَأَلَ،
 وَهَمَى يَهْمِي مِثْلَهُ، وَعَمَى الْمَوْجُ بِالْفَتْحِ يَغْمِي عَمِيًّا: رَمَى بِالْقَدَى وَالزَّبْدَ وَدَفَعَهُ، وَقَالَ
 اللَّيْثُ: الْعَمَى وَزَانَ الرَّمَى: رَفَعَ الْأَمْوَاجَ الْقَدَى وَالزَّبْدَ فِي أَعَالِيهَا، وَعَمَى الْبَعِيرُ بُلْغَامَهُ
 عَمِيًّا: هَدَرَ فَرَمَى بِهِ أَيًّا كَانَ، وَقِيلَ: رَمَى بِهِ عَلَى هَامَتِهِ» ا.هـ لِسَانِ [غمي].

وَفِي التَّاجِ فِي فَصْلِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ مِنْ بَابِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ «عَمَى مِنْ حُدِّ رَمَى: سَأَلَ،
 وَالْمَوْجُ رَمَى بِالْقَدَى وَدَفَعَهُ إِلَى أَعَالِيهِ، وَالْبَعِيرُ بُلْغَامَهُ: هَدَرَ فَرَمَى بِهِ عَلَى هَامَتِهِ، أَوْ رَمَى بِهِ
 أَيًّا كَانَ، نَقَلَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ». ا.هـ تَاجِ [عمي].

وَالْمَرَادُ فِي الْبَيْتِ الْمَعْنَى الْأَخِيرُ، وَهُوَ وَاضِحٌ، وَقَدْ بَانَ لَكَ بِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ «عَمَى» بِالْغَيْنِ
 الْمُعْجَمَةِ تَصْحِيفٌ، وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ يُؤْوَلُ إِلَيْهِ، وَلَا مَعْنَى لَهُ أَدْنَى مَنَاسِبَةٍ بِالْبَيْتِ فَيُحْمَلُ
 عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ النَّاطِمُ:

٢٧- رَضِيْتُ قَسْرًا وَعَلَى الْقَسْرِ رَضِيٌّ مَنْ كَانَ ذَا سُخْطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا

«الْقَسْرُ: الْقَهْرُ عَلَى الْكُرْهِ، قَسَرَهُ يَقْسِرُهُ قَسْرًا، [مِنْ بَابِ صَرْبٍ]، وَاقْتَسَرَهُ: غَلَبَهُ
 وَقَهَرَهُ، وَقَسَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ: أَكْرَهَهُ عَلَيْهِ، وَ«اقْتَسَرْتُهُ» أَعَمُّ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 وَكَرَّمْ وَجْهَهُ: «مَرْبُوبُونَ اقْتَسَرُوا»، هُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الْقَسْرِ، وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْغَلْبَةُ».

وَفِي الْأَسَاسِ [قسر] «قَسَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَاقْتَسَرَهُ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ قَسْرًا وَاقْتَسَارًا» ا.هـ،
 أَي كِلَاهُمَا بِمَعْنَى، وَاسْتَدْرِكُ فِي التَّاجِ «تَقْسَرَهُ تَقْسْرًا» قَالَ: «وَهِيَ كَاقْتَسَرَهُ» ا.هـ، فَمَعْنَى

«رَضِيْتُ قَسْرًا» رَضِيْتُ مَقْسُورًا مَجْبُورًا مَكْرَهًا مُرَغَمًا مَغْضُوبًا، فِي اللِّسَانِ [غَضَبٌ] «غَضَبَهُ عَلَى الْأَمْرِ: قَهَرَهُ»، وَفِي التَّاجِ «غَضِبَ فَلَانًا عَلَى كَذَا: قَهَرَهُ عَلَيْهِ»، وَفِي الْمَصْبَاحِ «جَبَرْتُهُ عَلَيْهِ وَأَجَبَرْتُهُ: حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ قَهْرًا أَوْ غَلْبَةً».

«السَّخَطُ» ضِدُّ الرِّضَى، كَالسَّخَطِ بَفَتْحَتَيْنِ، وَمِثْلُهُ الْعُدْمُ وَالْعَدَمُ وَالْحُزْنُ وَالْحَزَنُ وَالرُّشْدُ وَالرَّشْدُ وَالْجُحْدُ وَالْجَحْدُ فِي كَوْنِهِ جَاءَ الْمَصْدَرُ مِنْ كُلِّ مِنْهَا بَضْمٌ فَسَكُونٌ وَبَفَتْحَتَيْنِ، قَالَا فِي التَّاجِ وَاللِّسَانِ [حَزَنٌ]: «الْحُزْنُ وَالْحَزَنُ: نَقِيضُ الْفَرَحِ، وَهُوَ خِلَافُ الشُّرُورِ، وَالْمَثَالَانِ يَعْتَقِبَانِ هَذَا الضَّرْبَ بَاطْرَادًا». ١.١.هـ.

وَمَعْنَى «السُّخْطِ الْكِرَاهِيَةِ لِلشَّيْءِ وَعَدْمِ الرِّضَى بِهِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ سَخِطَ يَسْخِطُ سَخَطًا وَتَسَخَّطَ، وَيُقَالُ: سَخِطَ الشَّيْءُ أَي كَرِهَهُ، وَسَخِطَ أَي غَضِبَ، فَهُوَ سَاخِطٌ، وَأَسْخَطَهُ: أَغْضَبَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ «إِنَّ اللَّهَ يَسْخِطُ لَكُمْ كَذَا»، أَي يَكْرَهُ لَكُمْ، وَيَمْنَعُكُمْ مِنْهُ وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ، أَوْ يَرْجِعُ إِلَى إِرَادَةِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ» ١.١.هـ. لِسَانِ [سَخِطَ]، وَفِي التَّاجِ «السُّخْطُ بَضْمٌ وَبِضْمَتَيْنِ وَبَفَتْحَتَيْنِ: ضِدُّ الرِّضَا، وَهُوَ الْكِرَاهَةُ لِلشَّيْءِ وَعَدْمُ الرِّضَا بِهِ، وَقَدْ سَخِطَ كَفَرَحَ، وَتَسَخَّطَ، أَي كَرِهَ وَتَكَرَّرَ، وَعَنْ النَّازِمِ: الْمَسْخُوطُ: الْمَكْرُوهُ، وَفِي الْأَسَاسِ: عَطَاءٌ مَسْخُوطٌ: مَكْرُوهٌ، وَمَا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ السَّخَطُ مَحْرَكَةً: الْغَضَبُ، وَتَسَخَّطَ الرَّجُلُ: تَغَضَّبَ، وَالرِّمَّ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ مَسْخَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ» ١.١.هـ. تَاجِ [سَخِطَ].

«صَرَفِ الْقَضَا»، قَالَ فِي اللِّسَانِ [صَرَفٌ]: «الصَّرْفُ: حَدَثَانٌ - بِالْتَحْرِيكِ - الدَّهْرُ [أَيِ نَوَائِبُهُ وَمَصَائِبُهُ] اسْمٌ لَهُ لِأَنَّهُ يَصْرَفُ الْأَشْيَاءَ عَنْ وَجْهِهَا». ١.١.هـ، يَشِيرُ إِلَى أَنَّ أَصْلَهُ مَصْدَرٌ صَرَفَ الشَّيْءَ، أَي رَدَّهُ عَنْ وَجْهِهِ، يُقَالُ: «صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَانصَرَفَ». ١.١.هـ، وَفِي الْأَسَاسِ «حَفِظْتُكَ اللَّهُ مِنْ صَرَفِ الزَّمَانِ وَصَرُوفِهِ وَتَصَارِيفِهِ». ١.١.هـ، وَفِي الْمَصْبَاحِ [صَرَفٌ] «صَرَفَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ: رَدَّهُ عَنْ وَجْهِهِ صَرْفًا، وَصَرَفُ الدَّهْرِ: حَادِثُهُ، وَالْجَمْعُ صُرُوفٌ، كَقُلُوسٍ وَفُلُوسٍ». ١.١.هـ. بَعْضُ زِيَادَةٍ.

«القضاء» بالمد والقصر، والأول «الأصل فيه لأن أصله قضاي لأنه من «قضيت»، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف الزائدة طرفاً هُزمت، وهو الحكم الفصل والإيجاب والإحكام والإتمام والتنفيذ قضاءً، يقال: قضى يقضي قضاءً، أي حكم وفصل، وقضاء الأمر: إحكامه وإمضاؤه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث، ومنه القضاء المقرون بالقدر، وهما أي القضاء والقدر، المراد بالقدر التقدير والقضاء الخلق، أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما - وهو القدر - بمنزلة الأساس، والآخر - وهو القضاء - بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. اهـ لسان وتاج [قضي]، وقالوا أيضاً ما معناه: ويكون القضاء بمعنى الصنع والتقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢/٤١]، أي خلقهنّ وعملهنّ وصنعهنّ وأحكم خلقهنّ، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ١٧/٢٣]، أي حتم وأمر، ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢/٢٠] أي اعمل ما أنت عامل، وقضاء الحكومة: إحكامها وإمضاؤها، قال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتامه. اهـ من اللسان والتاج باختصار [قضي]. وفي الأساس [قضي] «قضاء الله تُردُّ له الأفضية». اهـ، وهذا هو المراد في البيت، وهو الذي تقدّم أنفاً أنه لا ينفك عن القدر كما لا ينفك الجدار عن الأساس، والله أعلم وأحكم.

٢٨- إِنْ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَىٰ جَدِيدِ أَدْتِيَاهُ لِلْبَيْلِ

«الجديدان: الليل والنهار كالأجدان لأنها لا يبلان»، لسان [جدد]، ومثله «المَلَوَانِ،

تشبيه ملاً بالقصر، قال حميد بن ثور: [ديوانه: ٨]

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمًا

أي ما قصدا، والعصران أيضاً: الغداة والعشي، كذا في الصحاح [عصر].

«استَوَلِيَا»، استولى على ماله: غلبه عليه، وأصله من قولهم: استبق الفارسان على فرسيهما إلى غاية تسابقاً إليها فاستولى أحدهما على الغاية، أي سبق الآخر، كذا في التاج واللسان [ولي]، ومثله استومى عليه، وهما من الحروف التي عاقبت العرب فيها بين اللام والميم، ومنها قولهم: «لولا» و«لوما» بمعنى هلاً، وخالته وخالته إذا صادفته، خلي وخلمي» ا.هـ لسان [ولي]. وفي المصباح «استولى عليه: غلب عليه وتمكن منه». ا.هـ، وفي الأساس «هو مستولٍ على القصب». ا.هـ، يعني قصب السبق، والله أعلم.

«على جديد»، «الجديد: نقيض الخلق»، كذا في المختار [جدد]، وفي المصباح «خلاف القديم». «أذنيه» أي قربه، «يقال: دنا منه وله وإليه يدنو دنوًّا: قُرب، كأذني وأذناه إدناءً ودناه أيضاً تدنيَّةً: قربه، ومن هذا الثاني ما جاء في الحديث: «إذا أكلتم فسموا الله ودنوا وسمتوا». فمعنى دنوا كلوا مما يليكم وما دنا منكم وقرب، وسمتوا أي ادعوا للمطعم بالبركة. ا.هـ لسان [دنا]، وقال في التاج بعد أن ذكر الحديث المتقدم بدون «سمتوا»: «وفي حديث آخر «سموا وسمتوا ودنوا»، أي قاربوا بين الكلمة والكلمة في التسبيح» ا.هـ تاج [دنا]، وفي اللسان «دنا الشيء وأدنيته ودنيته أي قُرب وقربته».

«للبلى» أي للفناء والعفاء، في اللسان «بلي الثوب يبلى وبلاءً، وأبلاه هو، قال

العجاج: [البيتان في ملحقات ديوانه: ٢/ ٣٢٣]

والمرءُ يُبْلِيهِ بَلَاءَ السُّرْبَالِ كَرُّ اللَّيَالِيِ وَانْتِقَالُ الْأَحْوَالِ

أراد إبلاء السُّرْبَالِ، أو أرادَ فَيْبَلَ بَلَاءَ السُّرْبَالِ، إذا فتحت الباء مددت، وإذا كسرت قصرت، ومثله القري والقراء [للضيافة]، والصلى والصلاء للنار، وأيضاً للوقود، وهو ما تُوقد به النار ا.هـ تاج [صلي]، وفي اللسان «صلي النار: قاسى حرها، وهي الصلى والصلاء: مثل الآياء والإيآ للضيء، إذا كسرت مددت، وإذا فتحت قصرت»، ومثله في الصَّحاح، ونقله في التاج، وهو غريب، لأنَّ التاج واللسان اتَّفقا على أن المقصور من البلى مكسورٌ

والممدود مفتوح، وقالوا: «ومثله القِرَى والقِرَاء والصَّلَى والصَّلَاء» مع أنها نصا على أن الحكم في الصَّلَى والصَّلَاء بالعكس كما رأيت آنفاً فليحرر.

ويقال للمُجِدِّ: أَجَدَّ الثوبَ وجَدَّه واستجدَّه صيرَه أو لبسه جديداً، ويقال للرجل إذا لبس ثوباً جديداً: أَبَلَ وَأَجَدَّ واحمد الكاسي، أَبَلَ وَيُخْلَفُ اللهُ، ويقال له أيضاً: أَبَلَ وَأَجَدَّ واحمد الكاسي، ويقال أيضاً: أَبَلَ وَأَخْلَقَ، وَأَبَلَ وَأَخْلَفَ بالقاف وبالفاء، وفي حديث أم خالد قال لها: «أَبَلِي وَأَخْلَقِي»، قال في التاج: «يُروى بالقاف وبالفاء، فالقاف من إخلاق الثوب، وهو [بلاؤه و] تقطيعه، والفاء بمعنى العوض والبدل، وهو الأشبه»، وقال أيضاً في مادة (خ ل ف): «وفي الحديث أَبَلِي وَأَخْلَفِي، ثم أَبَلِي وَأَخْلَفِي، قاله لأنَّ خالد حين ألبسها الحميصة، وتقول العرب لمن لبس ثوباً جديداً: أَبَلَ وَأَخْلَفَ واحمد الكاسي». 1. ا. هـ تاج، وفيه [خلف]: قال ابن مقبل: [ديوانه: ٢٤٣]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَخْلَفُ نَسْلُهُ وَيَأْتِي عَلَيْهِ حَقُّ دَهْرٍ وَبَاطِلُهُ
فَأَخْلَفَ وَأَتْلَفَ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ
أي استفند خَلَفَ ما أتلفت»، وفي المصباح [بلي] «بَلِيَ الثوبُ كَتَعَبَ بَلَى بالقصر والكسر، وبلاء بالفتح والمد: خَلِقَ، وَبَلِيَ الميْتُ: أَفْتَتَهُ الأَرْضُ» 1. ا. هـ بحروفه.
فمعنى «أَذَنِيَاهُ لِلبَلَى»: قَرَّبَاهُ لِلْفَنَاءِ، وهو ضدُّ البقاء، والله أعلم.

٢٩- ما كُنْتُ أَدْرِي والزَّمانُ مُوَلِّعٌ بِشَتِّ مَلْمُومٍ وَتَنْكِيْثِ قُوَى

أدري: فعل مضارع من دَرَى، وقد فسره في اللسان [دري] بالعلم تارة وبالمعرفة أخرى، وفي التاج «دَرَيْتُهُ وَدَرَيْتُ بِهِ: علمته، وقيل: الدَّرَايَةُ أَخْصُ من العِلْمِ، وقيل: دَرَى يكون فيما سبقه شكٌّ، وقيل: الدَّرَايَةُ: علم الشيء بضرب من الحيلة، ولذا لا يُطلق على الله تعالى، وأما قول الراجز: [ديوان العجاج: ١/ ١٢٠]

لا هُمَّ لا أدري وأنت الدَّاري كلُّ امرئٍ منك على مقدارٍ

فَمِنْ عَجْرَفَةِ الْأَعْرَابِ» ١. ا. ه. تاج [درى]، وقوله: «أَخْصُّ» لعله يعني بهذا الدرّاية التي معناها العِلْمُ الْمُتَبَسُّسُ مِنْ قَوَاعِدِ النُّحُوِّ وَقَوَاعِدِ الْعُقُلِ، وَذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى لِلدَّرَايَةِ أَبُو الْبَقَاءِ فِي كَلِّيَّاتِهِ [٤٥١]، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا مَعْنَى سِوَاهُ، وَفِي الْمَخْتَارِ وَالْمُصْبِحِ «دَرَى الشَّيْءَ وَبِهِ: عَلِمَهُ».

«مُوَلِّعٌ»، الْمُوَلِّعُ بِالشَّيْءِ: الْمُعَرِّى بِهِ، وَمِثْلُهُ الْمُوَزَّعُ، وَثَلَاثِيهِ وَوَلِّعَ بِهِ يُوَلِّعُ، كَوَجَلَّ، وَوَلَّعًا مُحَرَّكَةً وَوَلَّوَعًا، فَهُوَ وَوَلَّعَ بِالْفَتْحِ أَيْضًا لِلْمَصْدَرِ وَالِاسْمِ، وَأَوَّلَعْتُهُ بِهِ إِيْلَاعًا فَأَوَّلَعَهُ بِهِ، فَأَنَا مُوَلِّعٌ عَلَى فَاعِلٍ، وَهُوَ مُوَلِّعٌ عَلَى مَفْعُولٍ، وَكَذَلِكَ أَوَزَعْتُهُ بِالشَّيْءِ، أَيْ أَغْرَيْتُهُ بِهِ، فَأَنَا مُوَزَّعٌ، وَهُوَ مُوَزَّعٌ، أَيْ أَغْرَيْتُهُ بِهِ فَغَرَّيَ بِهِ وَوَلَّجَ [وَلَّعَ]، وَفِي الْمُصْبِحِ [وَلَّعَ] «أَوَّلَعَهُ بِهِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ: عَلَّقَ بِهِ، وَفِي لُغَةِ وَوَلَّعَ بِفَتْحِ اللَّامِ وَكَسَرِهَا يَلَّعُ بِفَتْحِهَا فِيهِمَا مَعَ سَقُوطِ الْوَاوِ وَوَلَّعًا وَوَلَّعًا بِالسُّكُونِ وَالْفَتْحِ» ١. ه. مِنْهُ، وَفِي التَّاجِ «لِهَجَّ بِهِ: أَغْرَيْ بِهِ وَأَوَّلَعَهُ فَتَابَرَ عَلَيْهِ، وَمِثْلُ أَغْرَيْ بِهِ أَغْرِمَ بِهِ مِنَ الْغَرَامِ، وَهُوَ الْغَرَاءُ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَهُوَ كَالْوَلْوَعِ وَالْوَزْوَعِ، وَكَذَلِكَ عَلَّقَ بِهِ وَعَلَّقَهُ وَتَعَلَّقَ بِهِ وَتَعَلَّقَهُ أَيْ أَحَبَّهُ [وَتَعَشَّقَهُ] مِنَ الْعَلَاقَةِ وَهِيَ الْمَحَبَّةُ» ١. ه. تاج [غري].

«بَشَّتْ مَلْمُومٌ»، «الشَّتُّ مُصْدَرٌ شَتَّ، وَهُوَ الْإِفْتِرَاقُ وَالتَّفْرِيقُ، يُقَالُ: شَتَّ شَعْبُهُمْ يَشِثُّ شِتًّا وَشِتَاتًا، وَأَنْشَتَّ وَتَشَتَّتَ: تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ، وَيُقَالُ: شَتَّ اللَّهُ أَمْرَ الْعَدُوِّ أَيْ فَرَّقَهُ» كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ [شَتَّ]. وَلَمْ يُقَيِّدُوا عَيْنَ الْمُضَارِعِ، إِلَّا أَنَّ اللِّسَانَ ضَبَطَ اللَّزِمَ مِنْهُ بِالْكَسْرِ، وَالقَاعِدَةُ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ الْمُضَعَّفِ أَنْ تُكْسَرَ عَيْنُ مُضَارِعِهِ إِنْ كَانَ لِأَمْرٍ، نَحْوُ خَفَّ يَخْفُ وَقَلَّ يَقِلُّ، وَتُضْمُ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًّا نَحْوُ: رَدَّهُ يَرُدُّهُ وَمَدَّهُ يَمُدُّهُ، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ. وَالمَرَادُ بِالشَّتِّ فِي الْبَيْتِ التَّفْرِيقُ، فَهُوَ مُصْدَرٌ شَتَّ الْمُتَعَدِّي.

«المَلْمُومُ»: الْمَجْمُوعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ لَمَّهُ مِنْ بَابِ رَدٍّ، أَيْ جَمَعَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «لَمَّ اللَّهُ شَعْنَهُ، أَيْ جَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَصْلَحَهُ» ١. ه. مُخْتَارِ [لم]، وَفِي الْمُصْبِحِ [لم] «وَلَمَّمْتُ شَعْنَهُ لَمًّا مِنْ بَابِ قَتَلٍ، أَصْلَحْتُ مِنْ حَالِهِ مَا تَشَعَّثَ» ١. ه. «وَلَمَّمْتُ الشَّيْءَ: ضَمَمْتُهُ» ١. ه. وَفِي اللِّسَانِ [لم] «اللَّمُّ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الشَّدِيدُ، وَاللَّمُّ مُصْدَرٌ لَمَّهُ إِذَا جَمَعَهُ

وأصلحه، ولم الله شعته: جمع ما تفرق من أموره وأصلحه، وفي الحديث «اللهم ألمم شعنا»، وفي حديث آخر «وتلم بها شعني»، ومعنى «لم الشعث» جمع ما تشتت من الأمر وإصلاحه، ومنه قولهم: إن دارنا لمومة أي تلم الناس وتربهم وتجمعهم وتضمهم». ا.هـ. «الشعث محركةً وبالتسكين: انتشار الأمر وخلله، قال كعب بن مالك الأنصاري: [ديوانه: ١٧١]

لم الإله به شعنا ورَمَّ به أمور أمتيه والأمر مُتَشِرٌ
 ا.هـ تاج [شعث]، وقال النابغة: [ديوانه ٧٤]

ولست بمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمَهْدَبِ
 «قوله: لا تلمه على شعث أي لا تحمله على ما فيه من زللٍ وذرةٍ فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره». ا.هـ لسان [لم].

وقوله [صاحب اللسان]: «وذرة» قال في التاج: «يقال: بلغني ذرةً من خبر أي شيءٍ وطرف منه، وهو أيضاً - أي الذرة -: الشيء اليسير من القول، قال الشاعر:
 أتاني عن مُغِيرَةَ ذَرَّةٍ قَوْلٍ وَعَنْ عَيْسَى فَقُلْتُ لَهُ كَذَاكَ
 وهو بفتح فسكون على ما ضبطه ابن الأثير، ووجد في بعض النسخ ذرةً بالضم» ا.هـ تاج [ذراً].

و«تَنْكِيثٌ قَوِيٌّ» [من بيت المقصورة]، «التنكيث مصدرٌ نَكَّتْ وَيُنَكِّثُ، وتشديده مبالغة وتكثير، من نكث العهد والحبْل ينكثه بالضم، وينكثه بالكسر، أي نقضه، فانتكث، أي فانتقض، ونكث السواك وغيره: شعته فانتكث، أي تشعث رأسه» ا.هـ تاج [نكث]، وفي المصباح «نكث العهد كقتل: نقضه ونبذه، فانتكث كقنضه فانتقض، ونكث الكساء وغيره: نقضه أيضاً، والنكث بالكسر: ما نُكِثَ لِيُغْزَلَ ثَانِيَةً، والجمع أنكاث كجمل وأحمال» ا.هـ، وفي اللسان «النكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها، نكثه ينكثه [بالضم شكل] فانتكث، أي نقضه فانتقض، وتناكث القوم عهدهم، نقضوها، وهو على

المثل، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢/١٦]، واحد الأثلاثِ نَكَثٌ، وهو الغَزْلُ من الصُّوف والشَّعر، تُبْرَمُ وتُنسَجُ، فإذا خَلَقَتِ النَّسِيجَةُ [أي بَلِيَتْ] قُطِعَتْ قِطْعاً صِغَاراً وَنُكِثَتْ خِيوطُهَا المَبْرُومَةُ وَخُلِطَتْ بِالصُّوفِ الجَدِيدِ وَنَشِبَتْ بِهِ ثُمَّ صُرِبَتْ بِالمَطَارِقِ وَغُزِلَتْ ثَانِيَةً وَاسْتَعْمَلَتْ، وَالَّذِي يَنْكُثُهَا يُقَالُ لَهُ: نَكَثٌ، وَمِنْ هَذَا نَكَثَ العَهْدَ، وَهُوَ نَقَضَهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ كَمَا تُنْكَثُ خِيوطُ الصُّوفِ المَغزُولِ بَعْدَ إِبرَامِهِ «أ.هـ لسان [نكث]، إبرامه: إِحْكَامُ فَتْلِهِ، وَالآيَةُ فِي النحلِ، وَأَوْهَاهَا: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾، «مِنَ البَيْعِ وَالأَيَّانِ وَغَيْرِهَا» ﴿وَلَا نَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ مَوَاقِيئِهَا ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بِالْوَفَاءِ حَيْثُ حَلَفْتُمْ بِهِ، وَالجُمْلَةُ حَالٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أَفْسَدَتْ ﴿غَزْلَهَا﴾ مَا غَزَلْتَهُ ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إِحْكَامٍ لَهُ وَبَرَمٌ ﴿أَنْكَاثًا﴾ حَالٌ، وَهُوَ جَمْعُ نَكَثٍ، وَهُوَ مَا يُنْكَثُ أَيُّ يُجْلَى إِحْكَامُهُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حَمَقَاءٌ مِنْ مَكَّةَ، كَانَتْ تَغزِلُ الصُّوفَ وَالبُورَ طَوولَ يَوْمِهَا ثُمَّ تَنْقُضُهُ، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «تَكُونُوا»، أَيُّ لَا تَكُونُوا مِثْلَهَا فِي اتِّخَاذِكُمْ ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ أَيُّ فِسَادًا وَخَدِيعَةً، ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بِأَنْ تَنْقُضُوهَا ﴿أَنْ تَكُونُوا﴾ أَيُّ لِأَنَّ تَكُونُ ﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أَكْثَرُ ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وَكَانُوا يُجَالِفُونَ الحِلْفَاءَ [جَمِيعَ حَلِيفٍ وَهُوَ المِعَاهِدُ]، فَإِذَا وَجَدُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَعَزَّ نَقَضُوا حِلْفَ [أَيُّ عَهْدٍ] أَوْلَئِكَ وَحَالْفُوهِمُ ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ﴾ يَخْتَبِرُكُمْ ﴿بِهِ﴾ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ لِيَنْظَرَ المَطِيعَ مِنْكُمْ وَالعَاصِي، أَوْ بِكَوْنِ أُمَّةٍ أَرْبَى لِيَنْظَرَ أَتَقُونَ أَمْ لَا ﴿وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْرِ العَهْدِ وَغَيْرِهِ بِأَنْ يُعَذَّبَ النَّاكِثَ وَيُثِيبَ الوَافِيَ «أ.هـ مِنَ الجَلَالِينِ [٢/٢٨٥-٢٨٦].

وَأَصْلُ النَّكْثِ وَالنَّقْضِ الْحُلُّ وَالْفُكُّ وَالْهَدْمُ فِي الْمَحْسُوسَاتِ، يُقَالُ: نَكَثَ الْحَبْلُ وَنَقَضَهُ أَي فَكَ طاقَاتِهِ، وَيَنْفِرُ الدَّقْضُ عَنِ النَّكْثِ فِي الْبِنَاءِ وَنَحْوِهِ، يُقَالُ: نَقَضَ الْبِنَاءَ أَي هَدَمَهُ، وَلَا يُقَالُ فِيهِ: نَكَثَهُ، لِأَنَّ النَّكْثَ مَخْصُوصٌ بِالْحَبْلِ وَنَحْوِهِ مِمَّا يُفْتَلُّ، وَيَشَارِكُهُ فِيهِ النَّقْضُ، يُقَالُ: نَقَضَ الْحَبْلَ وَنَكَثَهُ أَي حَلَّهُ وَفَكَهُ وَفَصَلَ مَا بَيْنَ طاقَاتِهِ وَخِيوطِهِ الْمَفْتُولَةِ، وَضَدُّ هَذَا الْمَعْنَى الْإِبْرَامُ، فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ إِحْكَامُ فِتْلِ الْحَبْلِ وَإِجَادَتُهُ، وَقِيلَ: إِبْرَامُ الْحَبْلِ أَنْ يُجْعَلَ طاقِينَ ثُمَّ يُفْتَلُّ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ كَمَا اسْتَعْمَلَ ضِدُّهُ فِي الْمَعْنَى، فَقِيلَ: أَبْرَمَ الشَّيْءَ أَي دَبَّرَهُ كَمَا فِي الْمَصْبَاحِ [بَرَمَ]، وَأَبْرَمَ الْأَمْرَ أَي أَحْكَمَهُ وَأَتَقَنَهُ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ [بَرَمَ]، وَمِنْهُ قِيلَ: الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ، وَأَصْلُ الْمُبْرَمِ: الثُّوبُ الْمَفْتُولُ الْعَزَلُ طاقِينَ مَفْتُولِينَ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً: بَرِيمٌ عَلَى مُفْعَلٍ وَفَعِيلٍ، كَمَا يُقَالُ: مَاءٌ مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ وَعَسَلٌ مُعْقَدٌ وَعَقِيدٌ وَمِيزَانٌ مُتَرَصٌّ وَتَرِيصٌ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ النَّقْضَ وَالْإِمْرَارَ مُجَازاً فِي الْمَعْنَى، فَقَالَ: [ديوان جرير ٣١٠]

إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ ذَا نَقْضٍ وَإِمْرَارٍ

فِي الْإِمْرَارِ بِمَعْنَى الْإِبْرَامِ، يُقَالُ: أَمَرَ الْحَبْلُ، أَي أَجَادَ فَتَلَّهُ وَشَدَّهُ وَأَحْكَمَهُ كَمَا فِي اللِّسَانِ [مَرَّرَ]، وَمِنْهُ الْمِرَّةُ بِالْكَسْرِ وَهِيَ إِحْكَامُ الْفِتْلِ، وَتُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى طاقَةِ الْحَبْلِ كَمَا تُطْلَقُ عَلَيْهَا الْمَرِيرَةُ، قَالَ فِي التَّاجِ [مَرَّرَ]: «كُلُّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْحَبْلِ مِرَّةٌ، وَالْجَمْعُ مَرَرٌ، وَالْمَرَائِرُ: الْحِبَالُ الْمَفْتُولَةُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ طاقٍ، وَاحِدُهَا مَرِيرٌ وَمَرِيرَةٌ»، وَفِي الْمَصْبَاحِ «أَمَرَزْتُ الْحَبْلَ وَالْخَيْطَ: فَتَلْتُهُ فَتِلاً شَدِيداً». ١.هـ.

وَالْفِتْلُ: اللَّيْثُ، يُقَالُ: فَتَلَهُ كَمَا يُقَالُ: لَوَاهُ، وَمِمَّا وَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ مِمَّا يَنَاسِبُ مَا تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي عُرَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٧/٢]، وَفِيهِ «اسْتِعَارَةٌ بِالْكَنْيَاةِ حَيْثُ شَبَّهَ الْعَهْدَ بِالْحَبْلِ وَطَوَى ذَكَرَ الْمَشَبَّهَ بِهِ وَرَمَزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهُوَ «يَنْقُضُونَ»، فَإِثْبَاتُهُ تَحْيِيلٌ، وَالنَّقْضُ فِي الْأَصْلِ فَكُّ طاقَاتِ الْحَبْلِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ هُنَا الْإِبْطَالُ، فَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ تَبْعِيَّةٌ حَيْثُ شَبَّهَ الْإِبْطَالَ بِالنَّقْضِ، وَاسْتَعِيرَ النَّقْضُ

للإبطال، واشتق من النقص [بمعنى الإبطال] ينقضون بمعنى يُبطلون» ا.هـ صاوي على الجلالين [٢٦/١].

«قوى» القوى بضم القاف وكسرهما جمع قوة بالضم، وهي نقيض الضعف، وفعله قوي كرضي وتقوى وأتوى على تفعل وافتعل، وقواه الله تعالى تقوية، ويقال أيضاً: قوى الله ضعفك، أي أبدلك مكان الضعف قوة، وقد جاء كذلك في الدعاء للمريض، ومنعه الإمام الشافعي، ذكره ابن السبكي^(١) في الطبقات [٢/١٣٥] «ا.هـ تاج [قوا]، وفيه أيضاً «والقوى: طاقات الحبل، جمع قوة للطاقة من طاقات الحبل والوتر، ويقال في جمعه: القوى بالكسر أيضاً، وفي حديث ابن الدبلي «ينقض الإسلام عزوة عزوة كما ينقض الحبل قوة قوة» ا.هـ تاج، ومثله في اللسان، وفي اللسان أيضاً: «وفي الحديث: «يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة»، ويقال: أقوى الحبل والوتر أي جعل بعض قواه أغلظ من بعض، وأقويت حبلك، وهو حبل مقوى، وهو أن تُرخي قوة وتغير قوة، فلا يلبث الحبل أن يتقطع، يقال: قوة وقوى، مثل صوة وصوى وهوة وهوى» ا.هـ لسان [قوا].

وقوله [أي صاحب اللسان]: «وتغير قوة» أي فتلتها فتلاً شديداً محكماً، ومصدره الإغارة، يقال: أغرت الحبل أي فتلته فتلاً شديداً، فأنا مُغير وهو مُغار. ا.هـ. ومعنى قوله [أي الناظم]: «الزمان مولع بشئ ملموم وتكثيث قوى» أن الزمان لا يزال يُفرق بين الأحباب ويُبدد جمعهم ويُشتت شملهم، ولا يبرح يُضعف الأقوياء ويوهي الأشداء، ويهدم بُنيان الشباب، وما أشبه ذلك، والله أعلم.

٣٠- أن القضاء قاذفي في هوة لا تستل نفس من فيها هوى

القضاء له عدة معانٍ قد سبق ذكرها، والمراد منه هنا القضاء المقرون بالقدر المتلازم معه اللازم له الذي لا ينفك عنه؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء، كما في التاج واللسان [قضى].

(١) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، قاضي الفضاة، توفي ٧٧١هـ.

القاذِف: اسم فاعل من قَذَفَه إِذَا رَمَاهُ وَنَبَذَهُ وَطَرَحَهُ، قال في اللسان والتاج [قذف]:
«القَذَف بالحجارة: الرَّمِي بها، يقال: هم بين حاذِفٍ وقاذِفٍ وحاذٍ وقاذٍ على الترخيم،
فالْحاذِف بالعصا والقاذِف بالحجارة، وقال الليث: القَذَف: الرميُّ بالسهم والحصى والكلامِ
وكلُّ شيءٍ أَوْ مِنْهُمَا، وبأبه صَرَبَ»، أي راميٌّ وطارِحِيٌّ ونايِذِيٌّ.

«في هُوَّة»: «الهُوَّة: ما انْهَبَطَ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ الْوَهْدَةِ الْغَامِضَةِ مِنْهَا، وَحَكِي ثَعْلَبُ:
اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النِّفَاقِ، فَضْرَبَهُ مِثْلًا لِلْكَفْرِ، وَفِي الصَّحَاحِ [هوا]: الهُوَّةُ:
الْوَهْدَةُ الْعَمِيقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ زَالَ أَوْ تَدَحَّلَمَا كَأَنَّهُ فِي هُوَّةٍ تَقَحَّخَدَمَا
وقال ابنُ شُمَيْلٍ: الهُوَّةُ ذَاهِبَةٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ مِثْلُ الدَّحْلِ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ أَلْجَافًا،
وَرَأْسُهَا مِثْلُ رَأْسِ الدَّحْلِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ الْخُفْرَةُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ كَالْمَهْوَاةِ، وَقِيلَ: هِيَ
الْمَطْمِنُّ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْجَمْعُ هُوَيٌّ [هوا].

قوله: الدَّحْلُ هُوَ بِالْدَالِ وَالْحَاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ عَلَى وَزْنِ فُلَسٍ «هُوَّةٌ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ وَفِي
أَسْفَلِ الْأَوْدِيَةِ، يَكُونُ فِي رَأْسِهَا ضَيْقٌ ثُمَّ يَتَّسِعُ أَسْفَلُهَا، وَرُبَّ بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ الْأَعْرَابِ
يُجْعَلُ لَهُ دُحْلٌ تَدْخُلُ فِيهِ الْمَرْأَةُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ، وَالْجَمْعُ أَدْحُلٌّ وَأَدْحَالٌ وَدِحَالٌ
وَدُحُولٌ وَدُحْلَانٌ، وَدَحَلٌ فِيهِ: دَخَلَ» [دحل].

وقوله: «أَلْجَافًا» هُوَ جَمْعُ لَجْفٍ بِالتَّحْرِيكِ، وَهِيَ «النَّاحِيَةُ مِنَ الْحَوْضِ أَوْ الْبَيْتِ يَأْكُلُهُ
الْمَاءُ فَيَصِيرُ كَالْكَهْفِ، وَيُقَالُ: اللَّجْفُ: مَا حَفَرَ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَى الرِّكِيَّةِ وَأَسْفَلِهَا، فَصَارَ مِثْلَ
الْغَارِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: اللَّجْفُ: حَفْرٌ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ» [لجف].

«لَا تَسْتَبِلُّ» مَضَارِعُ اسْتَبَلَّ، يُقَالُ: بَلَّ مِنْ مَرَضِهِ يَبِلُّ بِالْكَسْرِ أَيَّ صَحَّ وَبَرَى، وَكَذَلِكَ
أَبَلَّ وَاسْتَبَلَّ، كَذَا فِي الْمَخْتَارِ [بلل]، وَفِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ وَالْأَسَاسِ «بَلَّ مِنْ مَرَضِهِ يَبِلُّ

بالكسر بَلًّا بالفتح وبِلَالاً محرّكة وبُلُولاً بالضمّ أي صَحَّ وَبَرًّا، وكثيراً ما كان سيويه يتمثل بقوله:

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ ظَنَّ أَنَّهُ نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
يعني الهَرَمَ، والبِلَّةُ بالكسر: العافية، وأبْتَلَّ وتَبَلَّلَ: حَسُنَتْ حالُهُ بعد الهُزَالِ «ا.هـ منها.
«نَفْسٌ مَنْ فِيهَا هَوَى» قال في التاج: «النفس في كلام العرب تجري على ضربين،
أحدهما: قولك: خرجتْ نَفْسُهُ، أي رُوْحُهُ، والضربُ الثاني معنى النفس فيه جملةُ الشيء
وحقيقته، يقال: قَتَلَ فلانٌ نَفْسَهُ وأهْلَكَ نَفْسَهُ، أي أَوْقَعَ الهلاكَ بذاتِهِ كُلِّهَا وحقيقته، ومنه
ما حكاه سيويه من قولهم: «نَزَلَتْ بِنَفْسِ الجَبَلِ، وَنَفْسُ الجَبَلِ مُقَابِلِي» [الكتاب: ٢/ ٣٧٩]،
والنفس: عَيْنُ الشيءِ وَكُنْهَهُ وجوهره، ومن اللغويين مَنْ سَوَّى بين النفس والرُّوح وقال:
هما شيء واحد، إِلَّا أَنَّ النفسَ مَوْثِقَةٌ والرُّوحُ مذكَرَةٌ، والحقُّ أَنَّ بينهما فرقاُ باعتبارات، ويدلُّ
لذلك ما رواه ابنُ عبد البر^(١) في «التمهيد» [٢/ ٥٨٧-٥٨٨] الحديثُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ
وجعلَ فيه نَفْساً ورُوحاً، فَمِنَ الرُّوحِ عَفَافُهُ وفهْمُهُ وحِلْمُهُ وسخاؤُهُ ووفاءُهُ، ومن النفسِ
شهوئُهُ وطيشُهُ وسفَهُهُ وغضبُهُ، فلا يقالُ في النفسِ: هِيَ الرُّوحُ على الإِطلاقِ، حتى ولا
يقالُ في الرُّوحِ: هِيَ النفسُ إِلَّا كما يقالُ في المَنِيِّ هُوَ الإنسانُ، أو كما يقالُ للماءِ المَعْدِي
للكرْمَةِ: هُوَ الحَمْرُ أو الخُلُّ على معنى أَنَّهُ سِيُضَافُ إِلَيْهِ أو صَافٌ يُسَمَّى بِهَا خَمراً أو خَلاً «ا.هـ
من التاج [نفس]، قال [الزبيدي]: «وهو نفيسٌ جدًّا، وقد نقلتهُ باختصارٍ لأنَّ التَطْوِيلَ منه
كَلَّتِ الهِمْمُ، لاسيما في زماننا هذا»، وقد نقلتهُ أنا أيضاً هنا باختصارٍ لما لا يَخْفَى، وقد ذَكَرَ
المجدُّ للنفسِ خمسةَ عشرَ معنىً منها الرُّوحُ والدَّمُ والجَسَدُ والحقيقةُ وعَيْنُ الشيءِ والهَمَّةُ،
والأنفَةُ، فانظر الأليقَ منها في البيتِ، فإن في هذه المعاني مَتَسَعاً، وفي المصباحِ «النفسُ أنثى
إن أُريدَ بها الرُّوحُ، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١/ ٤]، وإن أُريدَ الشَّخْصُ

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، توفي ٤٦٣ هـ.

فمذكّر، وسُمي الدمُ نفساً، لأن النفس التي هي اسمُ جُملة الحيوان قوامُها بالدم»^١، هـ، والله
درُّه من جلاء لذي الجير المشاكل.

«هوى» كَرَمَى: سَقَطَ من عُلُوِّ إلى أَسْفَلِ، وفي اللسان «هوى يهوي هويّاً بالفتح لهاء
المصدر: هَبَطَ وانحطَّ وهويّاً بالضمُّ لها: صَعَدَ، وقيل: بالعكس»^١، هـ، شاهدُه: [ديوان زهير ٦٠]
هُوَيَّ الدَّلُوَّ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءَ

يُروى بفتح الهاء وضمِّها للاختلاف المتقدِّم، عن اللسان [هوى]، وفي الأساس «هوتُ
الدَّلُوُّ في البئر هويّاً بالفتح، ويقال: هوى في المهواة والهاوية، أي طاح ما بين جبلين
شاهقين»، وفي الكلِّيَّات «هوى يهوي هويّاً بالفتح: سقطَ، وهويّاً بالضمُّ: علا وصعد»^١، هـ،
فمعنى «مَنْ فيها هوى» سقطَ وهبطَ وانحدر ووقع مُنصرِعاً.

٣١- فَإِنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا إِنْ وَأَلْتِ نَفْسِي مِنْ هَاتَا فَقُولَا: لَالَعَا

في اللسان «عثر يعثر ويعثر عثراً وعتاراً: كَبَا، وحكى اللحياني عثراً في ثوبه يعثر عثاراً،
وعثر وأعثره وعثره، وأنشد ابن الأعرابي:

فخرجتُ أَعَثْرُ في مَقَادِمِ جُبَّتِي لولا الحياءُ أَطْرَثَهَا إِحْضَارَا
هكذا أنشده «أعثر» على ما لم يُسمِّ فاعله، قال: ويروى «أعثر» والعثرة: الزَّلَّةُ، ويقال:
عثر به فرسه فسقطَ، وتعثّر لسانه: تَلَعَثَمَ وفي الحديث: «لا حليمَ إِلَّا ذو عَثْرَة» [الترمذي:
٢٠٣٣] أي لا يحصلُ له الحِلْمُ ويوصف به حتى يركب الأمورَ وتَنخِرِقَ عليه ويعثر فيها
فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها، ويدلُّ عليه قوله بعده: «ولا حكيمَ إِلَّا ذو
تجربة»، والعثرة: المرّة من العثارة في المشي»^١، هـ لسان [عثر].

وفي المختار [عثر] «العثرة: الزَّلَّةُ، وقد عثرَ في ثوبه يعثر بالضمِّ عثاراً بالكسر، يقال:
عثر به فرسه فسقطَ»^١، هـ. وفي المصباح: «عثر الرجلُ في ثوبه يعثر والدابةُ أيضاً، من باب
قتل، وفي لغة من باب ضرب عثارة بالكسر، والعثرة المرّة، ويقال للزَّلَّة: عثرةٌ لأنها سقطتُ

في الإثم، وفرَّق بينهما في «مختصر العين» [١٦٢/١] بالمصدر فقال: عثر الرجل عُثُوراً وعَثَرَ الفرسُ عِثَاراً وعَثَرَ عليه من باب قَتَلَ: أَطْلَعَ، وَأَعَثَرَهُ: أَطْلَعَهُ وَأَعْلَمَهُ» ا.هـ. وفي التاج «عَثَرَ كضَرَبَ ونَصَرَ وَعَلِمَ وكَرُمَ عَثْرًا وَعَثِيرًا كَأَمِيرٍ وَعِثَارًا ككِتَابٍ، وتَعَثَّرَ: كَبَأَ، وعَثَرَ الفرسُ عِثَارًا بالكسر، وعيوبُ الدوابِّ تَجِيءُ على فِعَالٍ، كالعِضاضِ، [وهو عَضُّ الفرسِ] والخِرَاطِ [وهو الجِحَاح] والرِّمَاحِ [وهو الرَّفْسُ، أي الضربُ بالرَّجْلِ]، يقال: برئتُ إليك من العِضاضِ والخِرَاطِ والرِّمَاحِ والجِحَاحِ، وهذا من باب العيوب التي يُرَدُّ المبيعُ بها».

«وَأَلَّتْ»: خَلَصَتْ وَنَجَتْ، وفي اللسان «وَأَلَّ يَتَلَّ فهو وائلٌ إذا التجأ إلى موضعٍ وَنَجَا، قال تعالى: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف: ٥٨/١٨]، قال الفراء: المَوائلُ المَنجَا، وهو المَلْجَأُ، وفي حديث عليٍّ عليه السلام «أَنْ دِرْعَهُ كَانَتْ صَدْرًا بَلَا ظَهْرٍ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ احْتَرَزْتَ مِنْ ظَهْرِكَ، فَقَالَ: إِذَا أَمَكَنْتُ مِنْ ظَهْرِي فَلَا وَأَلَّتْ»، أي لا نجوتُ» ا.هـ. لسان [وَأَلَّ].

«مِنْ هَاتَا» مركبة من ها وتا، و«ها» كلمة يُنَبَّه بها على ما يُساق من الكلام، أنشد ابن الأعرابي:

وما كنتُ أخشى أن في الحدِّ رِيبةً وإن كان مردودُ السلامِ يَضِيرُ
وقفنا فقلناها السلامُ عليكم فأنكرها ضيقُ المَجْمِ عِيورُ
ف«ها» مُنبهةٌ مؤكدة، وقال الآخر:

ها إثمها إن تَضيقُ الصُّدورُ لا يَنْفَعُ القُلُّ ولا الكَثِيرُ
قوله: ضَيِّقُ المَجْمِ تخفيفُ الضيِّقِ كالهَيْنِ والهَيْنِ والمَيْتِ والمَيْتِ، والمَجْمِ: الصدر، يقال: فلانٌ واسعُ المَجْمِ بفتح الميم والجيم ثم ميم مشددة آخره، أي واسعُ الصدرِ رَحْبُ الذراعِ، وضدُّه ضَيِّقُ المَجْمِ، أي ضَيِّقُ الصدرِ بالأُمورِ، وفي الصَّحاح «ها: حرف تَنْبيه، قال النابغة:

[ديوانه: ٢٨]

ها إنَّ تا عِدْرَةٌ إنَّ لم تكن نَفَعَتْ فإنَّ صاحبها قد تاه في البلدِ
وقال أبو الهيثم: ها: تنبيه، تفتتح العربُ بها الكلامَ بلا معنى سِوَى الافتتاح، يقول:
هذا أخوك ها إنَّ ذا أخوك، وأنشد النابغة:

ها إنَّ تا عِدْرَةٌ إلا، البيت. وقوله: «تا» إشارةٌ إلى القصيدة، والعِدْرَةُ بالكسر على وزن
الرَّجْبَةِ والجلِسة اسمٌ من الاعتذار، وتاه: تحيّر، والبلدُ: المفازة»، كذا في التاج في ترجمة «تا».
وفي المختار [الهاء] «ها حرفٌ تنبيه، وتقول: ها أنتم هؤلاء، وتجمع بين التنبهين
للتوكيد، وكذا «ألا يا هؤلاء»، وهو غير مُفارقٍ لأيّ، تقول: يا أيها الرجلُ» ١.هـ، وأنشد في
اللسان [ها] في آخر ترجمة «ها» لشبيب بن البرصاء:

نُفَلِّقُ، ها مَنْ لم تَنَلْه رماحنا بأسيا فإنا هامَ الملوكِ القماقمِ
قال أبو سعيد: في هذا تقديمٌ معناه التأخير، إنما هو نُفَلِّقُ بأسيا فإنا هامَ الملوكِ القماقمِ،
ثمَّ قال: ها مَنْ لم تَنَلْه رماحنا، فهذا تنبيهٌ ١.هـ منه.

وقوله: «تا» «اسمٌ إشارةٌ يُشار به إلى المؤنث مثل «ذا» للمذكر، قال النابغة:

ها إنَّ تا عِدْرَةٌ إنَّ لا تكن نَفَعَتْ فإنَّ صاحبها قد تاه في البلدِ
وقال الليث: تا وذي لغتان في موضعٍ ذه، تقول: هاتا فلانة في موضعٍ هذه فلانة، وفي
لغة تا فلانة في موضعٍ هذه» ١.هـ لسان [تا]، وقال ابن مالك: [الألفية: ١٤]

بِذا المفردِ مذكَّرٍ أَشْرُ بذى وذه تي تا على الأنثى اقتصرُ
وفي التاج [تا] «تا اسمٌ إشارةٌ إلى المؤنث مثلُ ذا للمذكر»، وأنشد بيت النابغة المتقدم
وفسره ثم قال: «وتانٍ للثنائية والألاء كغراب للجمع، وتصغيرٌ تاتيًّا بالفتح والتشديد، لأنك
قلبت الألف ياءً وأدغمت ياءَ التصغير فيها، وفي الحديث: «أن عمر رأى جاريةً مهزولةً
فقال: مَنْ يَعْرِفُ تِيًّا؟ فقال له ابنه: هي والله إحدى بناتك»، قال ابن الأثير: «تِيًّا تصغيرٌ تا
كما أن تصغير ذَا ذِيًّا والتي اللَّتِيَّا، وهي اسم إشارة للمؤنث، وإنما جاء بها مصغرةً تصغيراً

لأمرها، والألفُ في آخرها علامةُ التصغير، وليست التي في مكبرها، ومنه قولُ بعض السلف وأخذَ تَبَنَةً مِنَ الأَرْضِ فقال: تَيًّا من التوفيقِ خيرٌ من كذا وكذا من العمل» انتهى منه باختصار.

«فقولا: لا لَعَا»، يقال للعائر: لا لَعَا له، أي لا أقامه اللهُ من عثرته، قال في لسان العرب: «لَعَا: كلمةٌ يُدعى بها للعائر، معناها الارتفاعُ، قال الأعشى: [ديوانه: ١٠٣] بِذَاتِ لَوْثٍ عَقْرَنَاءٍ إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا ومعنى ذلك أنها لا تعثرُ لقوتها، فلو عثرتُ لقلت: تعستُ، وقوله: «بذاتِ لَوْثٍ» متعلقٌ بـ«كَلَفْتُ» في بيت قبله، وهو: [ديوانه: ١٠٣]

كَلَفْتُ مَجْهُوْهَا نَفْسِي وَشَايَعِنِي هَمِّي عَلَيْهَا إِذَا مَا أَلْمَمَعَا
قال أبو زيد: إِذَا دُعِيَ للعائرُ بِأَنْ يَتَّعَسَ قِيلَ: لَعَا لَكَ عَالِيًا، ومثله دَعَّ دَعَّ، قال أبو عبيدة: من دعائهم لا لَعَا لفلان، أي لا أقامه اللهُ، والعربُ تدعو على العائرِ من الدوابِّ إِذَا كان جوادًا بالتَّعَسِ فتقول: تَعَسَّ له، وإن كان بليدًا كان دعاؤهم له إِذَا عَثَرَ لَعَا لَكَ، وهو معنى قول الأعشى:

فالتَّعَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا.....

١.هـ لسان [لعا]. وفي الأساس «لَعَا لَكَ: دعاء بالانتعاش» وأنشد قول الأعشى المتقدم، وفي المختار «يقال للعائر: لَعَا لَكَ، وهو دعاء له بِأَنْ يَتَّعَسَ» ١.هـ، يقال: «نَعَسَهُ اللهُ نَعَسًا وَأَنَعَسَهُ: رفعه، وَأَتَّعَسَ: ارتفع، والانتعاش: رفعُ الرأسِ وَنَعَسَهُ: تداركه من هَلَكَةٍ، وَأَتَّعَسَ العائرُ: نهض من عثرته، وَنَعَسَتْ له: قلتُ له نَعَسَكَ اللهُ، قال رؤبة: [ديوانه ٩٢]

وإن هَوَى العائرُ قلنا: دَعَدَا له وعالينا بتنعيش لَعَا
ويقال: نَعَسَ فلانًا: جَبَرَه بعد فَقَره، أي رفعه بعد عَثَره، ومنه «نَعَسَ فلا أنتعش وشيك

فلا اُنْتَقَشَ»، أي لا ارتفع، وفي حديث جابر «فانطلقنا به نُنْعَشُهُ» أي نُنْهَضُهُ ونَقْوِي جَأَشَهُ،
وَنَعَشَ الرِّبِيعُ النَّاسَ يَنْعَشُهُمْ: أَعَاشَهُمْ وَأَخْصَبَهُمْ، قال النابغة: [ديوانه ٣٨]

وَأَنْتَ رِبِيعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَيِّبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَيْبَةُ قَاطِعٌ
ا.ه لسان [نعش]، قوله: «سَيْبُهُ» في اللسان «السَّيْبُ: العَطَاءُ والعُرْفُ والنافلةُ، قال
مفروق بن عمرو السَّيْبَانِيُّ يَرِثِي إِخْوَتَهُ قَيْسًا والدَّعَاءَ وبشراً القَتْلَى في غزوة بَارِقٍ بِشَطِّ
الْفَيْضِ [نهر في البصرة]:

أَبْكَى عَلَى الدَّعَاءِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَلَهْفِي عَلَى قَيْسِ زَمَامِ الْفَوَارِسِ
فَمَا أَنَا مِنْ رَيْبِ الْمُنُونِ بِجُبًّا وَلَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيْسِ
الجُبًّا: الجبان الهَيُوبُ» ا.ه لسان من مادَّتِي (سَيْب) و(جُبًّا). فمعنى «لَا لَعَاءً» لَا سَلَمْتَ وَلَا
انْتَعَشْتَ وَلَا نَهَضْتَ وَلَا قَمْتَ من هذه العَثْرَةِ، قال بعض الشعراء:

لِحَا اللَّهِ قَوْمًا لَمْ يَقُولُوا الْعَاثِرِ وَلَا لِابْنِ عَمِّ نَابِهِ الدَّهْرُ دَعْدَعَا
وفي اللسان «دَعَّ دَعَّ»: كَلِمَةٌ يُدْعَى بِهَا لِلْعَاثِرِ فِي مَعْنَى قُمْ وَاَنْتَعَشْ وَاَسَلَمْ، كَمَا يُقَالُ لَهُ:
لَعَا»، وَأَنْشَدَ لِحَا اللَّهِ الْإِخَ الْمَتَقَدِّمِ، ثُمَّ قَالَ: «وَدَعْدَعَّ بِالْعَاثِرِ: قَالَ لَهُ: دَعَّ دَعَّ، وَهِيَ
الدَّعْدَعَةُ، وَمَعْنَاهُ دَعَّ الْعِثَارَ، قَالَ رُوَيْبَةُ:

وَإِنْ هَوَى الْعَاثِرُ قَلْنَا: دَعْدَعَا لَهُ وَعَالَيْنَا بِنْتَعِيشِ لَعَا
قال ابن الأعرابي: معناه: إِذَا وَقَعَ مِنَّا وَقَعٌ نَعَشْنَاهُ وَلَمْ نَدَعُهُ أَنْ يَهْلِكَ، وَقَالَ غَيْرُهُ:
دَعْدَعَا مَعْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: رَفَعَكَ اللَّهُ، وَهُوَ مِثْلُ لَعَا، أَبُو زَيْدٍ: إِذَا دُعِيَ لِلْعَاثِرِ قِيلَ: لَعَا لَهُ
عَالِيًا، وَمِثْلُهُ دَعَّ دَعَّ، وَدَعْدَعْتُ بِهِ، إِذَا عَثَرَ فَقُلْتُ لَهُ: دَعَّ دَعَّ، أَيِ ارْتَفَعَ» ا.ه لسان [دعع].

وفي التاج «دَعَّ وَدَعْدَعَّ مَبْنِيَيْنِ عَلَى السَّكُونِ، كَانَتْ تَقَالُ لِلْعَاثِرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَعْنَى قُمْ
فَاَنْتَعَشْ وَاَسَلَمْ كَدَعْدَعَا وَدَعَا مَنُونَتَيْنِ، أَوْ لَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا كَذَلِكَ» ا.ه تاج [دعع]، قَالَتْ
لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ فِي لَعَا: [ديوانها ٨٢]

وَقَدْ كَانَ حَقًّا أَنْ تَقُولَ سَرَاتِهِمْ لَعَا لَأَخِينَا عَالِيًا غَيْرَ عَاثِرِ

٣٢- وَإِنْ تَكُنْ مُدَّتْهَا مَوْصُولَةً بِالْحَتْفِ سَلَطْتُ الْأَسَا عَلَى الْأَسَى

«الْحَتْفُ: الموت، وجمعه حُتُوف، قال حنش بن مالك:

فَفَنَسَكَ أَحْرَزُ فَإِنَّ الْحُتُوَ فَيَبْنَانُ بِالْمَرْءِ فِي كُلِّ وَاِدٍ

وَرُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «مَنْ مَاتَ حَتَفَ أَنْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى

اللَّهِ» [أبو داود: ٢٤٩٩] وفي رواية: «فهو شهيد»، قال أبو عبيد: هو أن يموت على فراشه من

غير قتل ولا غرق ولا سبوع ولا غيره، وقال ابن الأثير: هو أن يموت على فراشه، كأنه

سقط لأنفه فمات، والْحَتْفُ: الهلاك، قال: كانوا يتخيلون أن رُوحَ المريض تخرج من أنفه،

فإن جرح خرجت من جراحته»، ويقال للذي يموت على فراشه: مات حَتَفَ أَنْفَهُ، ويقال:

مات حَتَفَ أَنْفِيهِ، لأن نفسه تخرج بتنفسه من فيه وأنفه، ويقال أيضاً: مات حَتَفَ فِيهِ، كما

يقال: مات حَتَفَ أَنْفَهُ، والأنف والفم مخرجا للنفس» ١. ه لسان [حتف]. وفي التاج «مات

حَتَفَ أَنْفَهُ وَحَتَفَ فِيهِ، كأنه لأن نفسه تخرج بتنفسه منه كما يتنفس من أنفه، ويقال: حَتَفَ

أَنْفِيهِ، وهذا يَحْتَمِلُ أن يكون المراد مَنْخَرِيهِ، وَيَحْتَمِلُ أن يكون المراد أَنْفَهُ وَفَمَهُ، فغلب

الأنف للتجاور» ١. ه تاج [حتف].

وفي الأساس [حتف] «مات حَتَفَ أَنْفَهُ، وتقول: المرء يسعى ويطوف وعاقبته الحُتُوفُ،

قيل: هو مصدر بمعنى الحَتْفِ، وهو مضاء الموت» ١. ه، فيؤخذ منه أن الحَتْفَ يتصرف، وقد

صرح غير واحد من أئمة اللغة بأنه لا يبنى منه فعل، «وقال الأزهري: لم أسمع للحَتْفِ

فعلاً»، وحكاه ابن القوطية، فقال: «حَتَفَهُ اللَّهُ يَحْتِفُهُ حَتْفًا» [الأفعال ٢٤٥] أي من باب

ضرب، إذا أماته، ونقل العدل مقبول، ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفس حتى ينقضي

رمقه، قال السَّمَوِيُّ: [ديوانه: ١٣]

وما مات منا سيّد حَتَفَ أَنْفَهُ

كذا في المصباح [حتف]، فراجع إن شئت، فتحصل ممّا سبق أن الحَتْفَ الموت وقضاؤه

والهلاك والإماتة.

«سَلَطْتُ»، «التسليط: التغليب وإطلاق القهر والقُدرة، يقال: سَلَطَهُ اللهُ عليه أي جعل له عليه قُوَّةً وقَهراً، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠/٤]، قال الصاغاني: وهذا التركيب - يريد تركيب السين مع اللام والطاء - يدلُّ على القُوَّة والقهر والغلبة» ١. هـ تاج [سلط]. ومما استدركه على القاموس «السَّلاطَة: القهر، وقيل: التمكُّن من القهر، والتسلُّطُ مُطاوعٌ سلَّطَه، والاسمُ السُّلْطَة» ١. هـ تاج [سلط].

ومن باب هذا التركيب «السُّلطان: الحُجَّةُ والبُرهانُ وقُدرةُ الملك والوالي، وهو ذو السَّلاطَة، من الأول قوله تعالى: ﴿لَا تُنْفَذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٥/٣٣]، وقد يُراد به المعجزة، كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الذاريات: ٥١/٣٨]، ومن الثاني «جعلتُ لك سلطاناً على أخذِ حقِّك»، وقال أبو بكر: في السُّلطان بمعنى الملك قولان، أحدهما: أن يكون سُمي سلطاناً لتسليطه، والآخر: لأنه حُجَّةٌ من حُجج الله، وقيل: لأنَّ به تُقام الحُجج والحقوق ويؤيده الحديث «السلطانُ ظلُّ الله في الأرض يأوي إليه كلُّ مظلوم» ١. هـ تاج [سلط].

وفي المصباح [سلط] «سلَّطْتُهُ عليه: مكَّنْتُهُ منه فتسلَّطَ تمكَّنَ وتَحكَّم، والسُّلطان: الحُجَّةُ والبُرهان، والسُّلطان: الولاية والسُّلطنة، و«لا يُؤمُّ المرءُ في سُلْطانه» [مسلم: ٦٧٣] أي في بيته ومحلِّه؛ لأنَّه محلُّ سُلْطته وسُلْطنته» ١. هـ.

«السَّلاطَة: القهر وسلَّطَه اللهُ عليه فتسلَّطَ، والسُّلطان: الوالي، يذكُر ويؤنَّث، وأيضاً الحُجَّةُ والبُرهان، وامرأة سَلِيْطَة صَخَابَة، ورجل سَلِيْطٌ فصِيْحٌ حديدُ اللِّسانِ: بيِّنُ السَّلاطَة والسُّلُوْطَة، وهو أسَلَطْتُهُمْ لساناً» ١. هـ. [اللسان (سلط)] فيؤخذ ممَّا مرَّ أن معنى «سلطتُ فلاناً على فلان» حكَّمْتُهُ فيه ومكَّنْتُهُ منه وجعلتُهُ قاهراً له مُتسيطِراً عليه.

«سلَّطْتُ الأَسَا على الأَسَى». الأَسَا بالضم الصَّبْرُ كما في التاج [أسا]، والأَسَى: الحُزْنُ،

وفي اللسان «الإسوة والأُسوة بالكسر والضم لغتان، وهو ما يأتي به الحزينُ أي يتعزى به، وجمعها إساً وأساً، وأنشد ابن بري لحريث بن زيد الخيل: [الشعر والشعراء ٢٨٧]

ولولا الأسي ما عشتُ في الناسِ ساعةً ولكن إذا ما شئتُ جاؤيني مثلي
ثم سمي الصبرُ أساً، وائتسى به أي اقتدى وأسيته تأسية فتأسى أي عزيتُه فتعزى،
وتأسى به أي اتبع فعله واقتدى به» ا.هـ لسان[أسا]. وفي المصباح «الإسوة بكسر الهمزة
وضمها: القدوة، وتأسى به وائتسى: اقتدى، وأسي أسى أي حزن» ا.هـ، وفيه أيضاً «عزي
يعزى من باب تعب صبر على ما نابه، وعزيتُه تعزية قلتُ له: أحسن الله عزاءك، أي رزقك
الصبر الحسن، والعزاء على وزن سلام اسمٌ من ذلك، تقول: عزيتُه عزاءً مثل كلمته كلاماً،
وسلمتُ عليه سلاماً، وتعزى: تصبر، وشعازه أن يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون» ا.هـ منه
[عزا].

وفي المختار [أسا] «الإسوة بكسر الهمزة وضمها لغتان، وهو ما يأتي به الحزينُ أي
يقتدي، والجمع إسى بكسر الهمزة وضمها، ثم سمي الصبرُ أسى» ا.هـ.

وقد تقدّم مثله عن اللسان، وصنيع كليهما يقتضي أن الأسا بمعنى الصبر بالضم
والكسر، وقد قصره على الضم في التاج كما تقدّم، والأولى إطلاقه فيهما وجوازهما، والله
أعلم. الأسى الثانية [في بيت المقصورة] بالفتح، قال في اللسان: «الأسى مفتوح مقصور:
المدواة والعلاج وهو أيضاً الحزن، يقال: أسى عليه، أي حزن، ورجل أس وأسيان:
حزين، ورجل أسوان: حزين، وأتبعوه فقالوا: أسوان أتوان، قال الشاعر:

أسوان أنت لأن الحي موعدهم أسوان كل عذاب دون عذاب
وامرأة آسية وأسيا»، قوله: أسوان هي بالضم ويفتح: بلدٌ كبير وكورة بالصعيد الأعلى
بمصر، وهو أول بلاد النوبة على النيل في شرقه وفي جباله مقطّع العمد التي بالإسكندرية،
وفيها من التمور والأرطاب ما يزيد على ما في العراق ا.هـ تاج [أسا].

وعَيْذَابٍ بِالْفَتْحِ: بَلَدٌ بِالصَّعِيدِ، وَنُسِبَتْ إِلَيْهَا الصَّحْرَاءُ، دُفِنَ فِيهَا السَّيِّدُ الْقُطْبُ
الرَّبَّائِيُّ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ.

وَفِي الْأَسَاسِ [أَسْو] «تَقُولُ: إِنَّ الْأُسَى تَدْفَعُ الْأُسَى» وَلَمْ يُفْسَرْهَ، وَالْمَرَادُ بِالْأَوَّلِ جَمْعُ
إِسْوَةٍ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

وَلَوْلَا الْأُسَى مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي
وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَبِالثَّانِي الْحُزْنُ، يُقَالُ: أَسِيَ عَلَى مُصِيبَةٍ يَأْسَى أَسَى، أَيْ حَزِنَ وَاعْتَمَّ.

٣٣- إِنْ أَمْرًا الْقَيْسِ جَرَى إِلَى مَدَى فَاعْتَاقَهُ جَمَائِهِ دُونَ الْمَدَى

«جَرَى» تُسْتَعْمَلُ بَعْدَ مَعَانٍ بِحَسَبِ مَتَعَلَّقِهَا، فَجَرَى الْمَاءُ: سَالَ، وَهُوَ خِلَافٌ وَقَفٌ

وَسَكَنٌ، وَجَرَى زَيْدٌ إِلَى كَذَا: فَصَدَّ وَأَسْرَعَ، كَمَا فِي الْمَصْبُوحِ [جَرَى]، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا، وَجَرَى
الْفَرَسُ يَجْرِي جِرَاءً بِالْكَسْرِ.

«إِلَى مَدَى»، «الْمَدَى: الْغَايَةُ، وَفِي كِتَابِ «الْفَائِقِ» لِلزَّمْخَشَرِيِّ أَنَّ الْمَدَى الْمَسَافَةُ، وَإِنَّمَا

أُطْلِقَتْ عَلَى الْغَايَةِ لِامْتِدَادِ الْمَسَافَةِ إِلَيْهَا، كَالْمُدِّيَةِ بِالضَّمِّ وَالْمِيدَاءِ بِالْكَسْرِ، وَمَدَى الْبَصْرِ:

مَتَّهَاهُ، يُقَالُ: قَطَعْتُ أَرْضًا قَدَرًا مَدَى الْبَصْرِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: قَدَرْتُ مَدَّ الْبَصْرِ مُضْعَفًا، وَمِنْهُمْ

مَنْ مَنَعَ هَذَا بِمَعْنَى الْمَدَى كَمَا فِي التَّاجِ [مَدَى]، وَمِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ «فَلَانٌ يَشْحَدُ لِلْبَغِيِّ

الْمَدَى وَيَبْلُغُ فِي الْعَيِّ الْمَدَى».

«فَاعْتَاقَهُ»، فِي الْأَسَاسِ [عَوَقَ] «عَاقَهُ وَاعْتَاقَهُ وَعَوَّقَهُ» أ.هـ، يَعْنِي كُلُّهَا بِمَعْنَى ثَبَّتَهُ

وَصَرَفَهُ وَحَبَسَهُ، وَفِي التَّاجِ «الْعَوَقُ: الْحَبْسُ وَالصَّرْفُ وَالتَّثْبِيطُ كَالْتَّعْوِيقِ وَالْإِعْتِيَاقِ،

يُقَالُ: عَاقَهُ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ عَائِقٌ وَعَقَاهُ وَاعْتَقَاهُ وَعَوَّقَهُ، كُلُّهَا بِمَعْنَى، وَفِي التَّنْزِيلِ:

﴿قَدَّيْعَالُ اللَّهِ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الْأَحْزَابُ: ١٨/٣٣]، وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، كَانُوا يُثَبِّطُونَ أَنْصَارَ

النَّبِيِّ ﷺ عَنْ نُصْرَتِهِ ﷺ» أ.هـ.

«حَمَاهُ»: موثته، قال في اللسان [حمم]: «الحمام بالكسر: قضاء الموت وقدره، والحمم: المنايا، الواحدة حَمَّة، وفي الحديث ذكر الحمام كثيراً وهو الموت، وحمّة المنيّة والفراق: ما قُدِّرَ وقُضِيَ، يقال: عَجَلت بنا وبكم حمّة الفراق وحمّة الموت أي قدرهما، من قولهم: حمّ الشيء وأحمّ أي قدر، أنشد ابن بري لخبّاب بن غزّي:

وأرَمِي بنفسي في فُروجٍ كثيرةٍ وليس لأمرٍ حمّه الله صارِفُ

وقال البعيث: [سمط اللالئ ٤٧١]

ألا يا لقومي كلُّ ما حمّ واقِعُ وللطيرِ مجرى والجنوبِ مصارعُ

وأنشد ثعلب لجميل: [ديوانه ٢١٠]

فليت رجالاتك قد نذروا دمي وحمّوا لقائي يا بئس لُقوني

قال ابن سيده: التقديرُ عندي للقائي، فحذف، أي حمّ لهم لقائي، قال: وروايتنا

«وهمّوا بقتلي»، ومثل حمّ أحمّ، قال عمرو ذو الكلب الهذلي: [أشعار الهذليين ٥٧٠]

أحمّ الله ذلك من لقاءٍ أحاداً أحاداً في الشهرِ الحلالِ

«دون المدى» أي قبل المدى، قال في التاج: «دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية،

ويكون ظرفاً، يقال: هذا دونك في التحقير والتقريب، فالتحقيرُ منه مرفوع، والتقريبُ

منصوبٌ لأنه صفةٌ، ويقال: دونك زيدٌ في المنزلة والقرب والبعد، وقال ابن سيده: دون

كلمة في معنى التحقير والتقريب، يكون ظرفاً فيُنصب، ويكون اسماً فيدخل حرفُ الجرِّ

عليه، قال سيبويه: «ولا يُستعملُ مرفوعاً في حال الإضافة» [الكتاب ١/٤١٠]، وأما قوله:

﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن: ١١/٧٢] فَإِنَّهُ أَرَادَ «وَمِمَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ»، فحذفَ

الموصوفَ، وقال غيره: وممّا دون ذلك بالنصب، والموضعُ موضعُ رفع، وذلك أن العادة

في «دون» أن يكون ظرفاً ولذلك نصّبوه، ويكون بمعنى أمام، وبمعنى وراء وبمعنى فوق،

ضدّ، فمن معنى الوراثة قولهم: هذا أمير على ما دون جيحون أي ما وراءه، ومنه قولُ

الشاعر: [ديوان الأعشى ٢١٩]

ثُرَيْكُ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
أَيُّ ثُرَيْكٍ هَذِهِ الْخَمْرُ مِنْ وَرَائِهَا، وَالْخَمْرُ دُونَ الْقَذَى إِلَيْكَ، وَلَيْسَ ثَمَّ قَذَى وَلَكِنْ هَذَا
تَشْبِيهُ، يَقُولُ: لَوْ كَانَ أَسْفَلَهَا قَذَى لِرَأْيَتِهِ، وَمِنْ مَعْنَى فَوْقَ قَوْلِهِمْ: إِنْ فَلَانًا لَشَرِيفٌ، فَيَجِيبُ
آخَرَ فَيَقُولُ: وَدُونَ ذَلِكَ، أَيُّ فَوْقَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى غَيْرِ، قِيلَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأنبياء: ٢١/٨٢]، «أَيُّ دُونَ الْغَوْصِ، يَرِيدُ سِوَى
الْغَوْصِ مِنَ الْبِنَاءِ»، نَقَلَهُ الْفَرَّاءُ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦/٥]،
أَيُّ غَيْرِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤/٤٨]، أَيُّ مَا سِوَى ذَلِكَ،
وَقِيلَ: أَيُّ مَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَالْمَعْنِيَانِ مُتَلَازِمَانِ، نَقَلَهُ الرَّاعِبُ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ «لَيْسَ
فِيهَا دُونَ خَمْسِ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ» [البخاري: ١٤٠٥] أَيُّ فِي غَيْرِ خَمْسِ أَوْاقٍ، قِيلَ: وَمِنْهُ أَيْضًا
الْحَدِيثُ: «أَجَازَ الْخُلُوعَ دُونَ عِقَاصِ رَأْسِهَا»، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الشَّرْفِ، نَقَلَهُ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ،
وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْحَقِيرِ الْخَسِيسِ، ضِدًّا، وَأَنْشَدَ الْجَوْهَرِيُّ:

إِذَا مَا عَلَا الْمَرْءُ رَامَ الْعُلَا وَيَقْنَعُ بِالْذُّونِ مَنْ كَانَ دُونَنَا
وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ كَقَوْلِكَ: دُونَكَ الدَّرْهَمَ، أَيُّ خُذْهُ، وَكَذَلِكَ دُونَكَ بِهِ، وَيَكُونُ
بِمَعْنَى الْوَعِيدِ كَقَوْلِكَ: دُونَكَ صِرَاعِي، وَدُونَكَ فَتَمَرَّسْ بِي «أ.ه. تاج [دون].
وَفِي حَاشِيَةِ الْخَضْرِيِّ عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ فِي الصَّحِيفَةِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْجُزْءِ الثَّانِي فِي بَابِ
الْإِضَافَةِ: «دُونَ: اسْمٌ لِلْمَكَانِ الْأَدْنَى أَيُّ الْأَقْرَبِ مِنْ مَكَانِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، كَجَلَسْتُ دُونَ
زَيْدٍ، أَيُّ قَرِيبًا مِنْ مَكَانِهِ، ثُمَّ تُوسِعُ فِيهِ فَاسْتَعْمَلَ فِي الْمَكَانِ الْمَفْضُولِ، ثُمَّ فِي الرِّتْبَةِ الْمَفْضُولَةِ
تَشْبِيهًا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، كَزَيْدٌ دُونَ عَمْرٍو فَضْلًا، ثُمَّ فِي مَطْلَقِ تَجَاوُزِ شَيْءٍ لَشَيْءٍ،
كَفَعَلْتُ بَزِيدٍ الْإِكْرَامَ دُونَ الْإِهَانَةِ، وَأَكْرَمْتُ زَيْدًا دُونَ عَمْرٍو» أ.ه. بِحُرُوفِهِ.
وَالْمَرَادُ فِي بَيْتِ النَّازِمِ الْأَوَّلِ أَيُّ مَنَعَهُ مَوْتَهُ وَأَخْرَجَهُ وَصَرَفَهُ وَرَدَّهَ، وَرَدَّعَهُ وَأَوْقَفَهُ فِي
مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدَى، أَيُّ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي طَلَبَهَا وَرَامَهَا أ.ه.

وأما «امرؤ القيس» فقد أفردت ترجمته في كراسة خاصة.

٣٤- وخامرت نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحنف فيمن قد حوى

خامر الشيء نفسه: خالطها وداخلها، في المختار [خمر] «المخامرة: المخالطة»، وفي المصباح «الخمر: كل مسكر خامر العقل أي غطاه»، وفي اللسان «خامر الشيء قاربه وخالطه، قال ذو الرمة: [ديوانه ٣٨٤]

هام الفؤاد بذكراها وخامره منها على عدواء الدار تسقيم

ورجل حمر: خالطه داء، قال ابن سيده: وأراه على النسب، قال امرؤ القيس: [ديوانه ١٥٤]

أحار بن عمرو كاني حمر ويعدو على المرء ما يأمز

وقيل: الخمر في بيت امرئ القيس هذا: هو الرجل الذي في عقب الخمار، والخمار بالضم كغراب: بقية السكر، ويقال منه: رجل مخمور ومخمر وخمر أي به خمار، وخامره الداء أي خالطه، وأنشد:

وإذا تباشرك الهمو م فإيماء داء مخامر

وقال الليث: خامره الداء: خالط جوفه. اه لسان [خمر]. «أبو الجبر»، سأفرده بشرح له على حدة. «النفس» سبق تفسيرها بما لا مزيد عليه، إلا أني رأيت في التاج ما لم أذكره هناك، ونصه «والنفس: الإنسان جميعه روحه وجسده، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى

مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦/٣٩]، قال السهيلي في الروض: «وإنما اتسع في النفس وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يُسمى نفساً، وطراً عليه هذا الاسم بسبب الجسد كما يطرأ على الماء في الشجر أسماً على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُر وحريص وغير ذلك» انتهى [التاج (نفس)].

«الجوى»، في التاج «الجوى: هوى باطن، وأيضاً الحزن والحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجوى أيضاً: السُّلُّ وتطاؤل المرض، وقيل: هو داء يأخذ في الصدر،

وقيل: كلُّ داء يأخذ في الباطن لا يُستمرُّ معه الطعام، وقد جَوِيَ كَرِصِيَّ يَجْوَى جَوَىً فهو جَوٍ وجَوَىً أيضاً على الوصف بالمصدر» اهـ تاج [جوى]، وزاد في اللسان «جَوِيَ الشيء: كَرِهَهُ كاجتَوَاهُ، والمصدر الجَوَى، وجَوِيََتْ نَفْسُهُ: لم توافَقها البلاذُ». انتهى، وفي الأساس «جَوِيََ عن كذا، وأصابه جَوَىً، وهو داء في الجوف لا يُستمرُّ منه الطعام» انتهى. وفي اللسان أيضاً «الجَوَى: المرَضُ وداءُ الجوف إذا تطاول» انتهى.

«حَوَاهُ»: حازَهُ وضمَّه إليه وجمعه، في التاج [حوى]: «حَوَاهُ يَحْوِيهِ واحْتَوَاهُ واحتوى عليه، أي جمعه وأحرزَه وألماً عليه واشتمل»، وفي المصباح «حَوَيْتُ الشيءَ أَحْوِيهِ واحتويتُ عليه: ضمنتُ واستوليتُ عليه واحتويته كذلك، وحويته: ملكته» اهـ، وفي اللسان «حَوَاهُ: جمعه وضمَّه وأحرزَه».

«الحَتْفُ»، تقدَّم بيانُ معانيه، وهاكها باختصار، الحَتْفُ: الهلاكُ والموت، قال عمرو

ابن أُمَامَةَ:

لقد عرفتُ الموتَ قبلَ ذوقِهِ إِنَّ الجَبَانَ حَتَفَهُ من فوقِهِ
كلُّ امرئٍ مُقاتِلٌ عن طَوْقِهِ كالثَّوْرٍ يَحْمِي جِلْدَهُ برَوْقِهِ
أراد بالطَّوقِ: العُنُقُ، ورواه الليثُ «كلُّ امرئٍ مُجَاهِدٌ بطَوْقِهِ» قال: والطَّوقُ: الطَّاقَةُ، أي: أَقْصَى غايته، وهو اسمٌ لمقدار ما يُمكن أن يفعله بمشقةٍ منه.

والحَتْفُ أيضاً الإِهْلَاكُ والإِمَاتَةُ، يقال: حَتَفَهُ اللهُ حَتْفاً إذا أَمَاتَهُ، وبأبهِ صَرَبَ، كذا في المصباح، نقلاً عن ابن القُوطِيَّةِ، وأكثرُ أئمةِ اللغةِ على أنه لا يتصرَّفُ، إلا أن نقلَ العَدَلِ مقبول، وابن القُوطِيَّةِ ثقةٌ، ومَن استعملها في الجاهلية السموألُ، قال:

وما ماتَ مِنَّا سيِّدٌ حَتَفَ أنْفَهُ

٣٥- وابنُ الأشجِّ القَيْلُ ساقَ نَفْسَهُ إلى الرَّدَى حِذارَ إِشْهاتِ العِدَى

«ابن الأشجِّ» سوف أترجمه على حدته.

«الْقَيْلُ»: «الْمَلِكُ مِنْ مَلُوكِ حِمِيرٍ يَتَقَيَّلُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ مَلُوكِهِمْ، أَيْ يُشْبِهُهُ، وَجَمْعُهُ أَقْيَالٌ وَفُيُولٌ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ: الْأَقْيَالُ: الْمُلُوكُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْصَّ بِهَا مَلُوكُ حِمِيرٍ»^١. هـ لسان [قيل]، وفي التاج «المَقُولُ كَمَنْبَرٍ: الْمَلِكُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَالْجَمْعُ مَقَاوِلٌ، أَوْ مِنْ مَلُوكِ حِمِيرٍ خَاصَّةً، يَقُولُ مَا يَشَاءُ فَيَنْفُذُ مَا يَقُولُهُ، كَالْقَيْلِ أَوْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى يَكُونُ مَلِكًا عَلَى قَوْمِهِ وَمُخْلَافِهِ وَمَحْجَرِهِ، أَيْ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ، وَأَصْلُهُ قَيْلٌ بِالتَّشْدِيدِ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَقُولُ مَا يَشَاءُ فَيَنْفُذُ، وَهَذَا عَلَى أَنَّهُ وَאוِيٌّ، وَأَصْلُ قَيْلٍ قَيْلٌ كَسَيْدٍ وَسَيْوِدٍ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يَأْتِي مِنَ الْقَيْلَةِ بِالْكَسْرِ، وَهِيَ الْإِمَارَةُ، أَوْ مِنْ تَقْيَلُهُ إِذَا تَابَعَهُ أَوْ شَابَهُ»^١. هـ تاج [قيل].

«وقال أبو معاذ: المِخْلَافُ: الْبَنْكُورُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ قَوْمٍ صَدَقَةٌ عَلَى حِدَةٍ، فَذَلِكَ بَنْكُورُهُ يُؤَدِّي إِلَى عَشِيرَتِهِ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَهُوَ عِنْدَ الْيَمَنِ كَالرُّسْتَاقِ، وَالْجَمْعُ مَخَالِيفٌ»^١. هـ لسان [خلف].

«والمِحْجَرُ كَمَنْبَرٍ وَمَجْلِسٍ: الْمَرْعَى الْمُنْخَفِضُ، وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: أَيُّ الْإِبِلِ أَبْقَى عَلَى السَّنَةِ فَقَالَ: ابْنَةُ لُبُونٍ، قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهَا تَرَعَى مَحْجِرًا وَتَتْرِكُ وَسَطًا، قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحْجَرُ هَهُنَا النَّاحِيَةُ» كَذَا فِي اللِّسَانِ [حجر]، وَفِي الْقَامُوسِ «الْمَحْجَرُ كَمَجْلِسٍ وَمَنْبَرٍ: الْحَدِيقَةُ، وَمِنَ الْعَيْنِ: مَا دَارَ بِهَا وَبَدَأَ مِنَ الْبُرْقَعِ أَوْ مَا يَظْهَرُ مِنْ نِقَابِ الْمَرْأَةِ وَعِمَامَتِهِ [أَيِ الرَّجُلِ] إِذَا اعْتَمَّ، وَمَا حَوْلَ الْقَرْيَةِ: وَمِنْهُ مَحَاجِرُ أَقْيَالِ الْيَمَنِ [أَيِ مَلُوكِهَا]، وَهِيَ الْأَحْمَاءُ، كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حِمَى لَا يَرَعَاهُ غَيْرُهُ»^١. هـ، وَفِي الشَّرْحِ «وَفِي التَّهْذِيبِ مِحْجَرٌ: الْقَيْلُ مِنَ أَقْيَالِ الْيَمَنِ وَنَاحِيَّتُهُ الَّتِي لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُهُ»^١. هـ تاج [حجر].

«سَاقٌ نَفْسُهُ» أَيِ حَمَلُهَا وَأَرْسَلُهَا، وَأَصْلُ السَّوْقِ: حَمْلُ الدَّابَّةِ عَلَى السَّيْرِ مِنْ خَلْفِهَا، نَقِيضُ الْقَوْدِ، فَإِنَّهُ جَذِبُهَا مِنْ أَمَامِهَا، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «سَاقٌ نَفْسُهُ»، هُنَا أَوْرَدَهَا أَوْ أَجَاءَهَا إِلَى الرَّدَى، الرَّدَى: الْهَلَاكُ، وَهُوَ الْمَوْتُ، وَالْعُرْفُ الطَّارِئُ خَصَّصَهُ بِمِيتَةِ السَّوِّءِ، وَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ إِسْنَادُهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يُعْتَدُّ بِأَصْلِ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ، كَذَا فِي

التاج [هلك]، ويقال للصعاليك السيئي الحال: هَلَاكٌ مجازاً، قال أبو طالب في مدح رسول

الله ﷺ: [ديوانه ١١٠]

يَلُوذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهَمَّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

وقال جميل: [ديوانه ١٧٨]

أَيُّتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلٍ
ا.هـ من الأساس [هلك]. «حِذَارٌ إِشْمَاتِ الْعِدَى»، أي خشية أن يبلغ الأعداء أربهم ومخافة
أن ينالوا أمنيته من هلاكه وخسرانه، والحِذَارُ مصدر حاذَرَ، وهو مثل حَذَرَ، كما في
الأساس [حذر]، وفي المختار «الحِذْرُ والحِذْرُ: التحرُّزُ»، وفي المصباح المنير «حِذَرَ كَتَعَبَ،
واحتذَرَ واحتزَرَ كُلُّهَا بِمَعْنَى اسْتَعَدَّ وَتَأَهَّبَ، وَالاسْمُ الْحِذْرُ عَلَى وَزْنِ الْحِمْلِ، وَحِذَرَ الشَّيْءَ
إِذَا خَافَهُ، وَحِذْرَتُهُ: خَوْفَتُهُ» ا.هـ.

وفي التاج [حذر] «الحِذْرُ بالكسر والحِذْرُ بالتحريك: الخيفة وقيل: الاحتراز، وفسره
قوم بالتحرُّز، وقوم بالاستعداد والتأهب، وقومٌ بالفزع، قال شيخنا: ولعلها متقاربة في
المعنى» ا.هـ تاج، وفي اللسان «الحِذَارُ: المحاذرة»، وفي التاج: «المحاذرة والحِذَارُ بين اثنين،
كما هو مقتضى باب المفاعلة» ا.هـ. فَإِنْ كَانَ الْحِذَارُ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَشَارَكَةِ فَفِي اسْتِعْمَالِهِ فِي
هَذَا الْبَيْتِ تَسْمُحٌ لِأَنَّهُ مِنْ وَاحِدٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يُفْسَرَ هُنَا بِالْخَوْفِ وَبِالتَحَرُّزِ، وَعَلَى الثَّانِي
فَالِإِضَافَةُ عَلَى مَعْنَى «مِنْ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«إِشْمَاتِ الْعِدَى»، الإِشْمَاتُ متعدّي الشَّهَاتَةِ، وَهِيَ فَرْحُ الْعَدُوِّ بِمَا يُصِيبُ عَدُوَّهُ مِنْ
الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ، وَفِي اللِّسَانِ «الشَّهَاتَةُ: فَرْحُ الْعَدُوِّ، وَقِيلَ: الْفَرْحُ بِبَلِيَّةِ الْعَدُوِّ، وَقِيلَ:
الْفَرْحُ بِبَلِيَّةِ تَنْزَلِ بَمَنْ تُعَادِيهِ، وَالْفِعْلُ شَمِتَ بِالْكَسْرِ يَشْمِتُ شَمَاتَةً وَشَمَاتًا، وَأَشْمَتَهُ اللَّهُ،
وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِنِ الْإِعْدَاءِ﴾ [الأعراف: ٧/١٥٠]، وَرُوي عَنْ مُجَاهِدٍ^(١)

(١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام التابعين المفسرين، توفي ١٠٣هـ.

أنه قرأ «فلا تُشمت بي الأعداء»، قال الفراء: لم نسمعها من العرب، فقال الكسائي: لا أدري، لعلهم أرادوا «فلا تُشمت بي الأعداء»، فإن تكن صحيحة فلها نظائر، العرب تقول: فرغت وفرغت، فمن قال: فرغت قال: أفرغ، ومن قال: فرغت قال: أفرغ، وفي حديث الدعاء «أعوذ بك من شماتة الأعداء» [مسلم ٦٨١٦]، قال: شماتة الأعداء: فرح العدو ببليّة تنزل بمن يُعاديهِ، ويقال: رجعوا شماتي، أي خائبين، قال ابن سيده: ولا أعرف ما واحد الشماتي، وشمته الله تُشميتاً، أي خيبه، ويقال: خرج القوم في غزاة ففقلوا شماتي وشمتمين، قال: والشمتمت: أن يرجعوا خائبين لم يغنموا، ويقال أيضاً: رجعوا شماتاً بالكسر أي خائبين، والشمات أيضاً الحيبة» ا.هـ لسان [شمت].

وفي المصباح «شمتم به: إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة، وأشمت الله به العدو» ا.هـ، وفي التاج: «﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾ هو من أشمت، ورؤي عن مجاهد أنه قرأ «فلا تُشمت بي الأعداء»، قال الفراء: لم نسمعها من العرب، وقال الكسائي: لا أدري، ولعلهم أرادوا «فلا تُشمت بي الأعداء»، فإن تكن صحيحة فلها نظائر، العرب تقول: فرغت وفرغت فمن قال: فرغت قال: أفرغ، ومن قال: فرغت قال: أفرغ، كذا في اللسان [شمت] ا.هـ.

وقد رابني اختلافُ صبّطها، ففي اللسان فرغت أفرغ كعلّمت أعلم، والثانية كنصرت أنصرت، وفي التاج أهمل الأولى وضبط الثانية بتشديد الراء، كأنه من باب التفعيل كما ترى، ولذلك نقلت مادة (ف ر غ) من المصباح بأسرها، وإليها «فرغ من الشغل فروغاً من باب قعد، وفرغ يفرغ من باب تعب، لغة لبني تميم، والاسم الفراغ، وفرغت للشيء وإليه: قصدت، وفرغ الشيء: خلا، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أفرغته وفرغته، وأفرغ الله عليه الصبر إ فراغاً: أنزله عليه، وأفرغت الشيء: صببته إذا كان يسيل أو من جوهر ذائب، واستفرغت المجهود، أي استقصيت الطاقة» ا.هـ مصباح [فرغ].

وفي التاج «فَرَّغَ من الشُّغْلِ كَمَنَعَ وسَمِعَ ونَصَرَ: خَلَا ذَرْعُهُ، ومنه قوله تعالى:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ٢٨/١٠] أي خالياً من الصبر، ومنه يقال: أنا

فارغٌ، وقيل: خالياً من كلِّ شيءٍ إلا من ذكر موسى عليه السلام، وقيل: فارغاً من الاهتمام به، لأنَّ الله تعالى وعدَّها أن يردَّه إليها، ورجل فرغٌ أي: فارغ، ومنه قراءة أبي الهذيل «وأصبح فؤاد أم موسى فرغاً»، وفرغ له وإليه كمنع وسمع ونصر فرؤغاً وفراغاً: قصد، فالفرغ في اللغة على وجهين، الفراغ من الشُّغْلِ، والآخر القصد للشيء، وأفرغ الماء: صبَّه، كفرَّغَه تفريغاً، وأفرغ الدَّماءَ: أراقها، وتفرغ الطُّروف إخلاؤها، وتفرغ: تخلَّى من الشُّغْلِ، ومنه الحديث: «تفرَّغُوا من هُمومِ الدُّنيا ما استطعتم» اهـ تاج [فرغ].

«العِدَى»: الأعداء، قال في المختار [عدا]: «العِدَى بكسر العين: الأعداء، وهو جمع لا نظير له، قال ابن السكيت: يقال: قومٌ عِدَى بكسر العين وضمها، أي أعداء، وقال ثعلب: يقال: قوم أعداء وعِدَى بكسر العين، فإن أدخلت الهاء قلت: عُدَاة بالضم» اهـ، وفي المصباح «العدوٌ خلافُ الصديق المُوالي، والجمعُ أعداء وعِدَى بالكسر والقصر، قالوا: ولا نظير له في النعوت لأن باب فعل وزان عتَبَ مختصٌّ بالأسماء، ولم يأت منه في الصفات إلا قومٌ عِدَى، وضمُّ العين لغةٌ، ومثله سَوَى وسَوَى وطَوَى وطَوَى، وتثبَّت الهاء مع الضمِّ، فيقال: عُدَاة» اهـ مصباح [عدوا].

وفي اللسان [عدا] «العِدَى والعِدَى اسمان للجمع لأنَّ فعلاً وفِعْلاً ليسا بصيغتي جمع إلا لِفَعْلَةٍ أو فُعْلَةٍ، وربَّما كانت لِفَعْلَةٍ، وذلك قليلٌ، كهَضْبَةٍ وهَضْبٍ وبَدْرَةٍ وبَدْرٍ، والله أعلم» انتهى.

فالعِدَى الأعداء، وهم ضدُّ الأصدقاء، وقد يُطلق على المتباعدین مطلقاً، قال في اللسان: «وقومٌ عِدَى: متباعدون، وقيل: غرباء، ومقصودٌ يُكتب بالياء، والمعنيان متقاربان، وهم الأعداء أيضاً، لأنَّ الغريب بعيدٌ، قال الشاعر:

إذا كنتَ في قومٍ عِدَى لستَ منهمُ فكلُّ ما عِلِفْتَ مِن خبيثٍ وطيبٍ

قال ابن بري: هذا البيت يُروى لزرارة بن سبيع الأسدي، وقيل: هو لنضلة ابن خالد الأسدي، وقال ابن السيرافي: هو لدودان بن سعد الأسدي، وقال ابن الأعرابي في قول الأخطل: [ديوانه ١٧٩]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَانَا عِدَى آخِرَ الدَّهْرِ
قال: العدى: التباعد، وقومٌ عدى إذا كانوا متباعين لا أرحامَ بينهم ولا حلف،
وقومٌ عدى إذا كانوا حرباً، وقد روي هذا البيت بالكسر والضم^١. اهـ لسان [عدا].

٣٦- واخترَمَ الوَضَّاحُ^(١) مِنْ دُونِ التِّي أَمَلَهَا سَيْفُ الحِمَامِ الْمُتَضَى

«واخترَمَ»، قال جار الله: «اخترَمهم الدهرُ وتخرَمهم، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ٤٠]»
سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا هَوَاهُمُ فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ
وفي اللسان «يقال: اخترِمَ فلانٌ عننا: مات وذهب، واخترمتَه المنية من بين أصحابه:
أخذته من بينهم، ويقال: اخترَمهم الدهرُ وتخرَمهم أي اقتطعهم واستأصلهم، ويقال:
خرمته الخوارمُ إذا مات كما يقال: شعبته شعوبٌ» اهـ لسان [خرم].

وقوله: شعوب هي علم على المنية معرفة لا تنصرف، ولا يدخلها أل وقيل: تدخلها لمحا
للصفة؛ لأنها تشعب أي تفرق، قال نافع بن لقيط الأسدي: [ديوان بني أسد ٣٢٢]

ذَهَبَتْ شَعُوبٌ بِأَهْلِهِ وَبِهَالِهِ إِنَّ النَّمَايَا لِلرَّجَالِ شَعُوبٌ
وفي المصباح [خرم] «اخترَمهم الدهرُ أي أهلكهم بجوائحه» اهـ، وفيه «الجائحة
الآفة»، وإلى هذا يرجع معنى الاستئصال، قال في المصباح [أصل]: «استأصل الشيء: قلعه
بأصوله، ومنه قيل: استأصل الله تعالى الكفار، أي أهلكهم جميعاً» اهـ، وكذلك اجتاحتهم
وجاحتهم وأجاحتهم، قال في التاج: «الجوح: الإهلاك والاستئصال كالإجاجة والاجتياح،
وفي الحديث: «أعاذكم الله من جوح الدهر»، واجتاح العدو ماله: أتى عليه، ومن الجوح

(١) هو جذيمة الأبرش، انظر شرح المقصورة للتبريزي: ٢٨.

الجائحة للشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة، وجاح الله مال الكفار وأجاحه واجتاحه: أهلكه بالجائحة، والجوحة للسنه المفتحة للمال، وعن أبي عبيد: الجائحة: المصيبة نحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله، ويقال: أصابتهم جائحة أي سنة شديدة اجتاحت أموالهم، قال شمر^(١): وقال إسحاق^(٢): الجائحة إنما هي آفة تجتاح الثمر سماوية، ولا تكون إلا في الثمار» اه تاج [جوح].

وفي اللسان [جوح] «جاحتهم السنة جوحاً وجياحةً وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم تجوحهم، وهي سنة جائحة جذبة، وفي الحديث: «إن أبي يريد أن يجتاح مالي» [ابن ماجه ٢٢٩١] أي: يستأصله ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً» اه. وقد فسر هذا الحديث نقلاً عن ابن الأثير، فراجع إن شئت.

«أملها»، أمله تأميلاً: رجاه كأمله يأمله أملاً من باب طلب، وقد فسره في المصباح بأوضح عبارة فقال: «أملته أملاً من باب طلب: ترقبته، وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، قال زهير^(٣):

أرجو وأمل أن تدنو مودتها

ومن عزم على السفر إلى بلد بعيد يقول: أملت الوصول، ولا يقول: طمعت إلا إذا قرب منها، فإن الطمع لا يكون إلا فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله، ولهذا يستعمل بمعنى الخوف، فإذا قوي الخوف استعمل استعمال الأمل، وعليه بيت زهير [أي بيت كعب بن زهير]، وإلا استعمل بمعنى الطمع، فأنا أمل وهو مأمول على فاعل ومفعول، وأملته تأميلاً مبالغاً وتكثيراً، وهو أكثر

(١) هو شمر أبو عمرو بن حمدويه الهروي اللغوي، توفي ٢٥٥هـ، إنباه الرواة: ٧٧-٧٨.

(٢) هو إسحاق بن مرار، أبو عمرو الشيباني اللغوي، صاحب العربية، توفي ٢٠٥هـ.

(٣) لكعب بن زهير في شرح بانة سعاد لابن هشام: ١٧٦.

من استعمال المخفف، ويقال لما في القلب مما يُنال من الخير أَمَلٌ ومن الخوف: إِيْجَاسٌ، ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه خَطَرٌ ومن الشرِّ وما لا خيرَ فيه وَسَوَاسٌ، وتَأَمَّلْتُ الشيءَ: تدبَّرْتُهُ، وهو إعادتك النظرَ فيه مرةً بعد أُخرى حتى تعرفه» ١. هـ مصباح [أمل]، ومن سجعات الأساس «فلانٌ بحرُّ المؤمِّلِ وبدرُ المتأمِّلِ» ١. هـ، ورأيتُ في التاج مثل ما تقدَّم عن المصباح إلا أن بينهما بعض اختلاف، وفي التاج زيادة فنقلته، وهما «الأمَل كَجَبَلٍ والإمْل كَشَبْرٍ والأملُ كَنَجْمٍ: الرَّجَاءُ، والأولى هي المعروفة، وفرَّق فقهاء اللغة بين الأمل والرَّجاء، قال المناوي^(١): «الأمَل: توقُّع حصول الشيء، وأكثر ما يُستعمل فيما يُستبعد حصوله، فمن عزم على سفرٍ إلى بلد بعيد يقول: أمَلْتُ ولا يقول: طمعتُ إلا إن قَرَبَ منها، فإنَّ الطمع ليس إلا في القريب، والرجاء بين الأمل والطمع، فإنَّ الرجاء قد يخاف أن لا يحصل مأمولُه، ولهذا يُستعمل بمعنى الخوف، ويقال لما في القلب مما يُنال من الخير أَمَلٌ، ومن الخوف: إِيْجَاشٌ [كذا فيه] ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه: خَطَرٌ، ومن الشرِّ وما لا خيرَ فيه: وَسَوَاسٌ، وقال الحرَّالي: الرجاء: ترقُّب الانتفاع بما تقدَّم له سببٌ ما، وقال غيره: هو لغة الأمل وعرفاً تعلق القلب بحصول محبوبٍ مستقبلاً، وقال الراغب: هو ظنُّ يقتضي حصول ما فيه مسرَّةٌ، أمَلَه أَمَلًا وأمَلَّه تَأْمِيلًا، والأمل بالفتح المصدر» ١. هـ تاج [أمل].

وقوله: الإيْجَاش صوابه الإيْجَاس كما تقدَّم عن المصباح، وهو وقوع الخوف في النفس، والوَاجِسُ: الهاجِسُ، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾، في سورة طه [٦٧/٢٠]، أي أَحَسَّ، كذا في الجلالين [٤٣١/٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةِ عَلِيمٍ﴾، في سورة الذاريات [٢٨/٥١]، أي أَضْمَرَ في نفسه خِيفَةً، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّارَةً أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، في سورة هود [٧٠/١١]، أي أَضْمَرَ في نفسه، كذا في الجلالين [١٤٤/٢].

(١) هو محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري، عالم بالدين، توفي ١٠٣١ هـ.

فالإيجاس: الإحساس إلا أنه غلب استعماله في إحساس مخصوص، وهو استشعار الخوف، وقوله [أي صاحب التاج]: «خَطَرٌ» هو مصدر الخاطر، وهو «ما يَخْطُرُ في القلب من تدبير أمر» كذا في المصباح [خطر]، وفي اللسان «من تدبير أوامر، وقال ابن سيده: الخاطر الهاجس، والجمعُ الخواطرُ، وقد خَطَرَ بباله وعليه يَخْطُرُ وَيَخْطُرُ خُطُوراً: ذَكَرَهُ بعد نسيان» اهـ لسان [خطر]، وفي المصباح «خَطَرَ ببالي وعليه خَطُراً وَخُطُوراً، من بابي ضَرَبَ وَقَعَدَ»، وأما خَطَرَ الذي بمعنى تَبَخَّرَ وتَمَايَلَ ومَشَى مِشْيَةَ المعجَب فهو من باب ضَرَبَ، والمصدر الخَطَرُ بالفتح والخَطَران بالتحريك والخَطِيرُ كأمير. اهـ.

والمرادُ فيما تقدّم من كلام التاج والمصباح الأوّل كما لا يخفى، وقال الزمخشري: «الخَوَاطِرُ: ما يتحرّك بالقلب من رأي أو معنى، وعدّه من المجاز» كذا في التاج [خطر].

«سَيْفُ الحِمَامِ المَنْتَصِي»: السيف معروفٌ، وهو الحُسام والقَضِيبُ والقِرْضابُ، قال الزبيدي في التاج [سيف]: «السيف الذي يَضْرِبُ، معروفٌ، وأَسْمَاؤُهُ تُنِيفُ على أَلْفٍ، وذكرتها في «الروض المَسْلُوفِ فيما له أَسْمَاءٌ إلى الألوْفِ»، والجمعُ أَسْيَافٌ وسُيُوفٌ وأَسْيُوفٌ ومَسِيْفَةٌ كَمَشِيخَةٍ» اهـ.

وقوله: «تُنِيفُ» هو مضارع أَنَفَ أي: زاد، وقوله: المسلوف هو اسم مفعول من «سَلَفَ الأَرْضَ يَسْلُفُهَا سَلْفاً - من باب نصر - حَوَّلَهَا لِلزَّرْعِ أو سَوَّاهَا بِالمِسلَفَةِ، والمِسلَفَةُ: شيءٌ تُسَوَّى به الأَرْضُ، ورُوي عن محمد بن الحنفية^(١) أنه قال: أَرْضُ الجَنَّةِ مَسْلُوفَةٌ وَحَصْبَاؤُهَا الصُّوَارُ وهوَاؤُهَا السَّجْسَجُ [المعتدل]، قال الأصمعي: المسلوفة: المستوية أو المسوَّاة، وقال ابن الأثير: أي مَلْسَاءٌ لِيَنَّةٍ نَاعِمَةٌ» اهـ تاج [سلف] باختصار.

«والصُّوَارُ ككِتابٍ وعُرابٍ: الرائحة الطيِّبةُ، وقيل: وعاءُ المِسْكِ، وقيل: القطعةُ من المِسْكِ»، قاله في التاج، ثم قال: «ومنه الحديث في صفة الجَنَّةِ «وترايها الصُّوَارُ» يعني

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، توفي ٨١هـ، وقيل غير ذلك.

المِسْكُ، وِصْوَارُ المِسْكِ: نافِجَتُهُ، والصَّوَارُ أَيْضاً بِالضَّمِّ والكسْرِ: القَطِيعُ مِنَ البَقَرِ كَالصَّيَارِ ككِتَابٍ، وَقَدْ جَمَعَ الشَّاعِرُ المَعْنِيَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ: [ديوان بشار ٤٩٣]

إِذَا لَاحَ الصَّوَارُ ذَكَرْتُ لَيْلِي وَأَذَكُرُهَا إِذَا نَفَحَ الصَّوَارُ

الأولى قَطِيعُ البَقَرِ، والثَّانِيَةُ وَعَاءُ المِسْكِ «١. هَتَاج [صوَر]. وقولُه: «هَوَاؤُهَا السَّجْسَجُ» فِي لِسَانِ العَرَبِ «هُوَ الهَوَاءُ المَعْتَدِلُ بَيْنَ الحَرِّ والبَرْدِ، وَفِي الحَدِيثِ: «نَهَارُ الجَنَّةِ سَجْسَجٌ»، أَي مَعْتَدِلٌ لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا قَرَّ، وَفِي رِوَايَةٍ «ظِلُّ الجَنَّةِ سَجْسَجٌ»، وَقَالُوا: لَا ظُلْمَةٌ فِيهِ وَلَا شَمْسٌ، وَقِيلَ: إِنَّ قَدَرَ نوره كَالنُّورِ الَّذِي بَيْنَ الفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ يُقَالُ لَهُ: السَّجْسَجُ، قَالَ: وَمِنَ الزَّوَالِ إِلَى العَصْرِ يُقَالُ لَهُ الهَجِيرُ وَالهَاجِرَةُ، وَمِنَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ اللَّيْلِ الجُنْحُ ثُمَّ السَّدْفُ وَالمَلْتُ وَالمَلْسُ، وَكُلُّ هَوَاءٍ مَعْتَدِلٍ طَيِّبٌ سَجْسَجٌ، وَيَوْمٌ سَجْسَجٌ: لَا حَرٌّ مُؤَذِّ وَلَا قَرٌّ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «وَهَوَاؤُهَا السَّجْسَجُ»، وَرِيحٌ سَجْسَجٌ لِيِنَّهُ الهَوَاءُ مَعْتَدِلَتُهُ، وَقَوْلُ مُلَيْحٍ: [أشعار الهذليين ١٠٦١]

هَلْ هَيَّجَتِكَ طُلُوعُ الحَيِّ مُقْفَرَةً تَعْفُو مَعَارِفُهَا التُّكْبُ السَّجَاسِيحُ

احتجاج فكسر سجسجا على سجاسيح، ونظيره: [ديوان الفرزدق ٥٧٠]

نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَاذُ الصَّيَارِيفِ

وَأَرْضُ سَجْسَجٌ لَيْسَتْ بِسَهْلَةٍ وَلَا صُلْبَةٍ، وَقِيلَ: هِيَ الأَرْضُ الواسِعَةُ «١. ه من لسان

العرب [سجسج].

«الحمام» [من بيت الناظم] «بالكسر الموت، وبالضم: حمى الإبل والدواب على عامة ما يجيء

عليه الأدواء، يقال: حمَّ البعيرُ حمَّاماً وحمَّ الرجلُ حمى، والحمام بالفتح: ذوات الأطواق من

نحو الفواخت والقماري وساق حرَّ والقطا والوراثين وأشبه ذلك» كذا في اللسان [حم].

والمراد هنا الأول، وهو «الحمام بالكسر: قضاء الموت وقدره، من قولهم: حُمَّ كذا أي قُدر، وكذا أُحِمَّ، أنشد ابن بري لحَبَّاب بن عُزَيٍّ:

وَأرْمِي بِنَفْسِي فِي فُرُوجِ كَثِيرَةٍ وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ صَارِفُ
وقال البعيث:

أَلَا يَا لَقَوْمٍ كُلِّ مَا حُمَّ وَقَعُ وَلِلطَّيْرِ مَجْرَى وَالْجَنُوبِ مَصَارِعُ
وَحُمَّةُ الْمَنِيَّةِ وَالْفِرَاقِ: مَا قُدِّرَ مِنْهُ وَقُضِيَ، يُقَالُ: عَجَلْتُ بِنَا وَبِهِمْ حُمَّةُ الْفِرَاقِ، وَحُمَّةُ الْمَوْتِ، أَي قُدِّرَ الْفِرَاقِ، وَالْجَمْعُ حُمَمٌ وَحِمَامٌ. اهـ لسان [حم].

ومن سجعات الأساس [حم] «نزل به القدر المحموم والقضاء المحتوم»، فالمحموم اسم مفعول من «حمَّ الله» أي قدره، والمحتوم اسم مفعول من «حتم الله الأمر» من باب ضرب كما في المصباح، أي «أوجبه جزماً» وجعله لازماً، تقول: حتم الحاتم أي حكّم الحاكم.

«المنتضى» المسلول المجرد من غمده، وهو اسم مفعول من «انتضى السيف ينتضيه انتضاءً كَنَضَاهُ وَيَنْضُوهُ نَضُوءًا إِذَا سَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ» كما في اللسان [نض]، يقال: سيف مسلول مثل مُنتَضَى، قال كعب بن زهير رضي الله عنه: [شرح بانت سعاد لابن هشام ٢٣]

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
وكذلك «سيف مشيم»، إلا أن هذه من الأضداد، يقال: شام السيف إذا سلّه، وشامه: أغمده، وهو من الأضداد، وفي اللسان «شام السيف شياً: سلّه وأغمده، وهو من الأضداد، وشكّ أبو عبيد في «شمته» بمعنى «سلته»، قال سمر: ولا أعرفه أنا، وقال الفرزدق في السّلّ يصف السيوف:

إِذَا هِيَ شَيِمَتْ فَالْقَوَائِمُ تَحْتَهَا وَإِنْ لَمْ تُشَمَّ يَوْمًا عَلَتْهَا الْقَوَائِمُ
قال: أراد سلّت، والقوائم: مقابض السيوف، قال ابن بري: وشاهد شمتت: أغمدت

قول الفرزدق: [ديوانه ١٣٩]

بأيدي رجالٍ لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سُلتِ
قال: الواو في قوله: «ولم» واو الحال، أي لم يُغمدوها والقتلى بها لم تكثر، وإنما
يُغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها، وقال الطرمّاح: [ديوانه ١٧٧]

وقد كنتِ شمتُ السيفَ بعد استتلاله وحاذرتُ يومَ الوعدِ ما قيلَ في الوعدِ
وقال آخر: [ديوان الأعشى ١٢٣]

إذا ما رأني مُقبلاً شامَ نبله ويرمي إذا أدبرتُ عنه بأسهم
وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه «شكي إليه خالد بن الوليد فقال: لا أشيمُ
سيفاً سلّه الله على المشركين» أي لا أغمده.

وأصلُ الشيمِ النظرُ إلى البرق، ومن شأنه أنه كما يخفقُ يخفى من غير تلبث ولا يُشامُ
إلا خافقاً وخافياً، فشبّه بهما السُّلُّ والإغماذُ. اهـ لسان [شيم].

٣٧- فقد سما قبلي يزيدُ طالباً شأو العلى فما وهى ولا ونى

سما: ارتفعَ وعلا، ومنه «سمتُ همتهُ إلى معالي الأمور، أي طلبَ العزَّ والمجد
والشرفَ» كما في المصباح [سما]، وفي الأساس [سمو] «ومن المجاز سمّتُ نفسه إلى كذا،
وهمتهُ تسمو إلى معالي الأمور، وسما في الحسب والشرف، وسموتُ إليه ببصري وسما إليه
بصري، قال جرير: [ديوانه ١٩٠]

سمتُ لي نظرةً فرأيتُ برقاً تهايمياً فراجعتني اذكاري
وسما لي شخصٌ من بعيد، قال:

سما لي فرسانٌ كأنَّ وجوههم مصابيحُ تبدو في الظلام زواهرُ
وسما الفحلُ: تطاولَ إلى شوله، وسما الهلالُ: طلعَ مرتفعاً، وما سموتُ لكم: لم أنهض
لقتالكم، وسما لي شوقٌ بعد ما أقصر، قال امرؤ القيس: [ديوانه ٥٦]

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصراً اهـ منه

وأما حقيقة «سَمًا» فعلاً وارتفع، ومنه السماء، ومن سجعات الأساس [سمو]: «خاصَّ
 جُتَّةً بحرٍ طامٍ واقتحمَ قُلَّةَ جبلٍ سامٍ»، أي عالٍ مرتفع في الهواء، والطَّامي اسم فاعل من
 «طَمَّ الماءُ إذا ارتفع وعلا، وفي حديث طَهْفَةَ «ما طَمَّ البحرُ وقامَ تَعَارًا» أي ارتفع موجه،
 وتَعَارًا: اسم جبل، وفي المجاز طَمَّتْ به هَمَّتْه أي عَلَّتْ، وفعله طَمَّ يَطْمُو طُمُوًّا، وطَمَى
 يَطْمِي طَمِيًّا» كذا في اللسان[طما]، وفيه أيضاً «السُّمُوُّ: الارتفاع والعلوُّ، تقول: سَمَوْتُ
 وَسَمَيْتُ، مثلُ عَلَوْتُ وَعَلَيْتُ، وسلَوْتُ وسلَيْتُ [أي من الباب الأول والرابع]، ويتعدَّى
 بالحرف والهمزة فيقال: سَمَا به وأَسَمَاهُ إذا علاه ورفعته، ويقال للحَسِيبِ الشريف: قد سَمَا،
 وإذا رفعتَ بصرَكَ إلى الشيء قلت: قد سَمَا إليه بصري، وإذا رُفِعَ لك شيءٌ من بعيد
 فاستبنته قلت: سَمَا لي شيءٌ، وسَمَا لي شخصٌ فلان: ارتفع حتى استبنته، وفي حديث ابن
 زَمْلٍ «رجلٌ طَوَّالٌ إذا تكَلَّمَ يَسْمُو» أي يعلو برأسه ويديه إذا تكَلَّمَ»^١.ه لسان[سما].

والمرادُ بِسَمَا في البيت بعضُ معانيها المجازية، وهو التطاول والاشترُباب والعلوُّ
 والارتفاع إلى دُرَى العزِّ والشرف، من باب قولهم للشريف وللحسيب: قد سَمَا وسمتُ
 هَمَّتُهُ إلى معالي الأمور إذا طلبَ العزَّ والشرف، كما في المستدرَك من التاج.

«يَزِيدُ» هو ابن المهلَّب بن أبي صُفْرَةَ الأزدِي العتكيّ الفارسيّ الشاعر الأمير، أبو
 المهالبة الأُمراء والمحدثين، كذا في التاج في مادة (ه ل ب)، وسأفرد يزيد هذا ابن المهلَّب
 بترجمة مستقلة كما صنعتُ بغيره، والمعونةُ بالله.

«طالِباً»، يقال: طلبَ الشيءَ أي حاولَ أخذه وأرادَه، ومثله بَعَاه وابتغاه وتبغاه وأرادَه
 وراده بلا ألف وارتاده واستراده، ومثلهنَّ التمسَه، وزاد في التاج على بَعَاه وابتغاه وتبغاه
 «استبغاه، وقال الراغب: الابتغاء حُصَّ بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء

محمود فالابتغاء فيه محمود، نحو ﴿ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: ١٧/٢٨]، ﴿إِلَّا

ابْتَغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠/٩٢]»^١.ه تاج [بغا].

ومعاني الطلب والابتغاء والالتماس والإرادة وكل ما تقدم متقاربة لا متحدة،
والفروق التي بينها لا تحفى على من له أدنى معرفة في اللغة.

قال في الأساس: «ومن المجاز سمعتهم يقولون: السراج يطلب أن ينطفئ، ويبغي أن

يُطفأ، كقوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ١٨ / ٧٧] اهـ. أساس [طلب].

«شَأَوُ الْعُلَى»: غاية المعالي ونهاية مكاسب الشرف من الأمور العلية، فإنَّ الشَأَوُ معناه
الغاية والمدى، والعلَى جمعُ عُليا تأتيثُ الأعلى كالكبرى والكُبرى، وفي اللسان: «العلاء»: الشرف، وذو العُلاء: صاحبُ الصفات العُلاء، والعُلاء جمعُ العُليا، أي جمع الصفة العُليا
والكلمة العُليا.

ويكون العُلَى جمع الاسم الأعلى، وصفة الله العُليا شهادة أن لا إله إلا الله، فهذه أعلى
الصفات، ولا يُوصف بها غيره سبحانه وحده لا شريك له، وهو العليُّ العظيم، وعلَى -
بالكسر - في المكارم والرفعة والشرف يَعْلَى عَلاءً، ويقال أيضاً: عَلاً بالفتح يَعْلَى، قال رؤبة
فجمع بين اللغتين: [ديوانه ٣٥]

لَمَّا عَلاً كَعْبُكَ لِي عَلِيْتُ وعجزه:

دَفَعَكَ دَأْدَانِي وَقَدْ جَوَيْتُ

قال ابن سيده: كذا أنشدَه يعقوب وأبو عبيد «عَلاً كَعْبُكَ لِي»، ووجهه عندي «عَلاً
كَعْبُكَ بِي»، أي أعلاني لأن الهمزة والباء يتعاقبان اهـ. لسان [علا].

وفي المختار «عَلاً في المكان من باب سَمًا، وعلَى في الشرف بالكسر عَلاءً بالفتح والمد،
وعَلاً يَعْلُو لغةً فيه، والعلاء والعُلاء: الشرف والرفعة، وكذا المَعلاة، والجمعُ المعالي، والعلِيُّ:
الشریف الرفيع، والجمعُ عِلِيَّة، كصبيٍّ وصبيَّة» اهـ. مختار [علا].

و«الشَأَوُ» في اللسان «الطَّلَق والشُّوط، والشَأَوُ: الغاية والأمد، وفي الحديث «فطلبتُه
أرفعُ فرسي شَأَواً وأسيرُ شَأَواً» [البخاري: ١٨٢١]، الشَأَوُ: الشُّوط والمدى، والشَأَوُ: السَّبْق،

شَاوْتُ القومَ شَاوًّا: سَبَقْتُهُمْ، وشَايْتُ القومَ شَايًّا: سَبَقْتُهُمْ، قال امرؤ القيس: [ديوانه ٥٠]
فكان تَنَادِينَا وَعَقْدَ عِذَارِهِ وقال صِحَابِي قد شَاوْنَاكَ فاطْلُبِ
قال ابن بري: الواو ههنا بمعنى مع، أي مع عَقْدَ عِذَارِهِ، فأغنت عن الخبر على حدِّ
قولهم: كُلُّ رجلٍ وَضِيعَتُهُ» ا.هـ لسان [شأي].

وفيه: «الطَّلُقُ: الشَّوْطُ الواحد في جَرِي الحَيْلِ، وفي الحديث «فرفعتُ فرسي طَلَقًا أو
طَلَقَيْنِ» هو بالتحريك، أي الطَّلُقُ: الشَّوْطُ والغاية التي يجري إليها الفرس» ا.هـ لسان [طلق].
وفيه «الشَّوْطُ: الجَرِيُّ مرَّةً إلى غاية، والجمعُ أشواط، قال الأصمعي: شاطَ يَشُوْطُ
شَوْطًا أي عَدَا شَوْطًا إلى غاية، وقد عَدَا شَوْطًا أي جَرَى طَلَقًا» ا.هـ لسان [شوط].

وفيه: «ويقال: طافَ بالبيت سبعةَ أشواط من الحجرِ إلى الحجرِ شوطًا واحدًا، وفي
حديث الطواف «رَمَلَ ثلاثةَ أشواط» [مسلم: ١٢٦٤]، هي جمعُ شَوْطٍ، والمرادُ به المرَّةُ
الواحدة من الطواف حول البيت، وهو في الأصل مسافةٌ من الأرض يَعُدوها الفرسُ
كالمِيدان ونحوه» ا.هـ لسان [شوي].

وفي المصباح [شوي]: «الشَّوْطُ: الجَرِيُّ مرَّةً إلى الغاية، وهو الطَّلُقُ، والجمعُ أشواط،
وطافَ ثلاثةَ أشواط، كُلُّ مرَّةٍ من الحجرِ إلى الحجرِ شوطًا» ا.هـ.
وفيه [طلق]: «الشَّوْطُ وَزَانُ فَلَسٍ: الغاية والأمدُ، وجَرَى شَاوًّا أي طَلَقًا» انتهى. وفيه:
«الطَّلُقُ بفتحِين: جَرِيُّ الفرسِ لا تَحْتَبِسُ إلى الغاية، فيقال: عَدَا الفرسُ طَلَقًا أو طَلَقَيْنِ كما
يقال: شَوْطًا أو شَوْطَيْنِ» انتهى.

والمَدَى والغاية والمنتَهَى والأمدُ بمعنى واحد، كما يؤخذ من المصباح [أمد].
وفي الأساس [شأوا] «عَدَا شَاوًّا، وهو بعيدُ الشَّوْ والشَّوْوتُ: سَبَقْتُهُ وتَشَاءُوا» ا.هـ، أي
تَسَابَقُوا، فالشَّوْ حيثُ يُطلق على الغاية والنهاية، فيكون اسمًا بمنزلة الأمد والمَدَى لفظًا
ومعنى، ويُطلق على السَّبْقِ الذي هو مصدر سَبَقَ، أي تقدَّمَ على غيره وجَلَّى، فيكون مصدر

شأوته بمعنى سبقتُه، فمعنى «شأَو العُلا» [من بيت الناظم] غايةُ الشرف ونهايةُ المجد ومُنتهى العزِّ والرفعة، وإن جعلت الإضافة على معنى «إلى» كان المعنى السَّبَقُ إلى العُلا، واللهُ أعلمُ.

«فما وهى ولا ونى» أي ما ضَعْفَ ولا فَتَرَ، في المصباح [وهى] «وهى الحائطُ وهياً من باب وَعَدَ: ضَعْفَ واسترَخى، وكذا الثوبُ والقِرْبَةُ، ويتعدى بالهمزة، وهى الشيءُ: ضَعْفَ أو سقط» ١.هـ.

وفيه [ونى] «ونى في الأمر ونىً وونياً من بابي تَعَبَ ووَعَدَ: ضَعْفَ وفَتَرَ، فهو وإن، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا نُنِي فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢/٢٠]، وتوانى في الأمر: لم يُبادر إلى ضبطه ولم يهتمَّ به، فهو مُتوانٍ، أي غيرُ مهتمٍّ ولا محتفلٍ» ١.هـ.

وفي اللسان «وهى الشيءُ والسَّقَاءُ ووهي يهي فيها جميعاً وهياً فهو واهٍ: ضَعْفَ، وأواه: أضعفه، وقال الجوهري: وهى السَّقَاءُ: تَحْرَقُ، وفيه وهى: خَرَقُ، وفي الحديث «المؤمنُ واهٍ راقعٌ»، أي مُذنبٌ تائبٌ، شَبَّهه بمن يهي ثوبه فيرقعه، وقد وهى الثوبُ: يَلِي وتَحْرَقُ، والمرادُ بالواهي ذو الوهي [يشير إلى أنه على النسب كتامر ولاين ﴿عَيْشَةَ رَاضِيَةٍ﴾] [الحاقة: ٢١/٦٩] و﴿بَلَدَاءَ أَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٦/٢]، ونحو ذلك مما لم يَجِرِ على الفعل]، ويُروى «المؤمنُ مؤهٍ راقعٌ» كأنه يُوهي دينه ويرقعه بتوبته، وفي حديث علي: «ولا واهياً في عزمٍ»، ويُروى «ولا وهى في عزمٍ»، أي ضعيفٍ أو ضَعْفٍ، وفي المثل:

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ وَمَنْ هُرِيَقَ بِالْفَلَاةِ مَاؤُهُ
يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُهُ، وَوَهَى الْحَائِطُ: تَفَزَّرَ وَاسْتَرَخَى، وَكَذَلِكَ الثُّوبُ وَالقِرْبَةُ وَالْحَبْلُ، وَقِيلَ: وَهَى الْحَائِطُ إِذَا ضَعْفَ وَهَمَّ بِالسَّقُوطِ، ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَهَى: حَقَّقَ، وَوَهَى: سَقَطَ وَوَهَى: ضَعْفٌ ١.هـ لسان [وهى].

وفي التاج [وهى]: «وَهَى الشَّيْءُ وَالسَّقَاءُ كَوَعَى وَوَلِي: تَخَرَّقَ وَانَشَقَّ، وَالرَّجُلُ: حَمَقَ وَسَقَطَ وَضَعْفَ» إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ عَنِ اللِّسَانِ. وَقَالَ: «وَقَوْلُهُمْ: رَجُلٌ وَاهٍ وَحَدِيثٌ وَاهٍ أَيْ سَاقِطٌ أَوْ ضَعِيفٌ»، وَفِي الْأَسَاسِ [وهى]: «يُقَالُ: وَهَنَ الْعِظْمُ مِنِّي وَوَهَى».

وفي اللسان: «الْوَنَا: الْفَتْرَةُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأُمُورِ، وَالتَّوَانِي، وَالْوَنَا: ضَعْفُ الْبَدَنِ، وَقَالَ ابْنُ سِيدِهِ: الْوَنَا: التَّعَبُ وَالْفَتْرَةُ، ضِدٌّ، يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ، وَقَدْ وَنَى بَيْنِي وَنِيًّا وَوُنِيًّا، وَوَنَى فَهُوَ وَانٍ، وَوُنِيْتُ أَنِي: ضَعَفْتُ، قَالَ جَحْدَرُ:

وظَهَرَ تَنَوُّفَةً لِلرِّيْحِ فِيهَا نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَانِي

النسيم الواني: الضعيف الهبوب، الجوهرى: الوَنَا: الضعفُ والفُتورُ والكَلالُ والإِعياءُ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ تَصِفُ أَبَاهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سَبَقَ إِذْ وَنَيْتُمْ» أَيْ قَصَّرْتُمْ وَفْتَرْتُمْ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ: «لَا تَنْقَطِعُ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنُوا فِي جِدِّهِمْ»، أَيْ يَفْتَرُونَ فِي عَزْمِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، وَحَدَفَ نُونُ الْجَمْعِ لِحَوَابِ النَّفْيِ بِالْفَاءِ. وَنَاقَةٌ وَانِيَّةٌ: فَاتِرَةٌ طَلِيحٌ، وَقِيلَ: نَاقَةٌ وَانِيَّةٌ إِذَا أَعَيْتَ [أَيْ كَلَّتْ] وَأَنْشَدَ:

وَوَانِيَّةٌ زَجَرْتُ عَلَى وَجَاهَا

وَأَوْنَيْتُهَا: أَتَعَبْتُهَا وَأَضَعَفْتُهَا، تَقُولُ: فَلَانَ لَا يَنْبِي فِي أَمْرِهِ أَيْ لَا يَفْتَرُ وَلَا يَعْجِزُ، وَقَوْلُهُمْ: امْرَأَةٌ وَنَاءٌ وَأَنَاةٌ وَأَنْيَّةٌ: حَلِيمَةٌ بَطِيئَةٌ الْقِيَامِ، الْهَمْزَةُ بَدَلُ الْوَاوِ، وَقَالَ سَبْيُوهِ: «لَأَنَّ الْمَرْأَةَ تُجْعَلُ كَسُؤْلًا» [سَبْيُوهِ ٤/٣٣٢]، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي فِيهَا فُتُورٌ عِنْدَ الْقِيَامِ، وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ: عِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقَعُودِ وَالْمَشْيِ، وَفِي التَّهْذِيبِ: «لِنَعْمَتِهَا»، وَأَنْشَدَ الْجَوْهَرِيُّ لِأَبِي حَيَّةِ النَّمِيرِيِّ: [ديوانه ٧٥]

رَمْتَهُ أَنْاءٌ مِنْ رِبْعَةٍ عَامِرٍ نَوُومُ الصُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢/٢٠]، معناه تفترا] اه لسان [ونى].

وفيه: «يُقَالُ: فَلَانَ لَا يَنْبِي يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا بِمَعْنَى لَا يَزَالُ، وَأَنْشَدَ:

فَمَا يَنْوَنُ إِذَا طَافُوا بِحَجَّهِمْ يُهْتَكُونَ لَبِيَّتِ اللَّهِ أَسْتَارًا»

١٥٥ هـ. لسان. وفي التاج: «الْوَيْ كَفَتَى: التعب، وأيضاً الفَتْرَة، ضدُّ، يُقَصِّرُ وَيُمِدُّ، كذا في المحكِّم، وفي الصحاح [وئى]: «الْوَيْ: الضَّعْفُ وَالْفُتُورُ وَالكَلالُ وَالإِعْيَاءُ»، إلى آخر ما تقدَّم عن اللسان.

فمعنى «ما وهى» [من بيت الناظم] ما وَهَنَ ولا ضَعُفَ، ومعنى «ما وئى» ما فَتَرَ ولا كَسَلَ ولا عَجَزَ ولا قَصَرَ ولا كَلَّ ولا أَعْيَا ولا تَعَبَ ولا مَلَّ ولا ضَعُفَ، يصفه بالقوة والشدة والجلادة والصلابة والجِدُّ والاجتهاد والدُّؤُوب والصبر في طلب نيل الشرف وابتغاء كسب الرفعة والعزِّ والتماس تحصيل غاية المكارم ونهاية المعالي والمحامد، والله أعلم، والعلمُ عنده.

٣٨- فاعترضتْ دونَ الذي رامَ وقد جَدَّبَه الجِدُّ اللُّهُيْمُ الأَرَبِيُّ

«فاعترضتْ دونَ الذي رامَ» وفي نسخة «دونَ التي رامَ»، قال في المختار [عرض]: «يقال اعترض الشيءُ دونَ الشيءِ أي حالَ دونه»، ويؤخذ منه أنه مأخوذ من «اعترض الشيءُ» إذا صار عارضاً كالحشبة المعترضة في النهر، ومعنى «حال» على ما في التاج حَجَزَ ومنع، ونصُّه: «وكُلُّ ما حَجَزَ بينَ شيئينِ فقد حالَ بينهما، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن سَبَّ اللّٰهِ يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤ / ٨]، أي يَحْجِزُ، وفيه إشارة إلى ما قيل في وصفه من أنه سبحانه مقلِّبُ القلوب، وهو أن يُلقِي في قلب الإنسان ما يصرِّفه عن مُرادِهِ لحكمة تقتضي ذلك، وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤ / ٣٤]، وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤ / ٨]: هو أن يُهلكه أو يردِّه إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد عِلْمٍ شيئاً» ١٥٥ هـ. تاج [حال].

وفي المصباح [حجز]: «حَجَزْتُ بينَ الشيئينِ - من باب قتل: فَصَلْتُ»، وفيه: «حالَ النهرُ بيننا حَيْلُولَةً: حَجَزَ ومنع الاتصال» [حال]، وفي الأساس: «حَجَزَ بينَ المتقابلينِ،

وبينها حاجزٌ وحِجَارٌ، وجعلَ اللهُ بيننا وبين الشرِّ حِجَاباً وحِجَاراً^١هـ، وهو ظاهرٌ، وفيه «حالٌ بينهما حَيْلُولَةٌ، وبينهما حائلٌ».

وفي اللسان: «يقال: اعترضَ له بسهم، أَقْبَلَ قِبَلَهُ فرمَاهُ فقتلَهُ»، وفيه أيضاً: «والعربُ تقول: عَرَضَ لي الشَّيْءُ وَأَعْرَضَ وَتَعَرَّضَ واعترضَ بمعنى واحد»، وقال أيضاً: «وكُلُّ مانعٍ منَعَكَ من شُغْلٍ أو غيره من الأمراض فهو عارضٌ، وقد عَرَضَ عارضٌ، أي حالٌ حائلٌ، ومنع مانع، ومنه يقال: لا تَعَرِّضْ لفلان، أي لا تعرِّضْ له بمنعك باعتراضك أن يقصدَ مُرادَه ويذهب مذهبه، ويقال: سلكتُ طريقَ كذا فعَرَّضَ لي في الطريق عارضٌ، أي: جبلٌ شامخٌ قطعَ عليّ مذهبي على صَوْبِي»، كذا في اللسان حرفياً [عرض].

ويقال: عَرَضَ له أَشَدُّ العَرَضِ، واعترضَ: قابله بنفسه، فمعناه على ما في المختار صارت اللُّهُيْمُ الأَرَبِيُّ التي هي الداهية معترضةً أمامه، أي منتصبَةً له حائلةً بينه وبين ما رامه وحاجزةً بينه وبين غرضه الذي تعلَّقتْ همَّتُه بِنَيْلِه وتحصيله.

وعلى ما في اللسان أقبلت الداهيةُ الدَّهْيَاءُ قَبْلَ يزيدَ بن المهلب المذكور في البيت قبله، وقابلته قبل أن يصلَ إلى ما رامه ويُدركَ مرامَه ويُحصلَ بُغْيَتَه، ويَجُوزَ مُنْيَتَه ويُجرزَ أُمْنِيَتَه وَيَجُويَ طَلِبَتَه، والعلمُ عند الله.

وقد رأيتُ في نهاية ابن الأثير أن «اعترضَ» يتعدى أيضاً بنفسه، فيقال: اعترضته عن حاجته بمعنى منعتُه عنها وكففتُه، ونصُّ عبارته «اعترض عن زوجته»، أي مُنِعَ عنها وكُفِّ، وعَرَّضَ له عارضٌ، أي مانعٌ من مَرَضٍ وغيره، فعلى هذا المفعولُ محذوفٌ، والتقدير اعترضته الداهيةُ ومنعتُه وكفَّته قبل أن يَحْظِيَ الغاية التي اشرَّبتْ نَفْسُه إلى الظفر بها.

«دون» تقدَّم تفسيرها، وسيأتي بعد هذه الصحيفة أيضاً. «رامٌ» أي طلبٌ وأرادَ وابتغى، يقال: رامَ الشَّيْءَ إِذَا طلبه وحاولَ أخذه، وفي الأساس «هو نَبْتُ المَقَامِ بعيدُ المَرَامِ، وقد رامَ الشَّيْءَ رَوَماً [ومراماً] وهم رَوَّمٌ له غيرُ نُومٍ عنه [أي رائمون له، أي طالبون غيرُ نائمين عن السَّعي فيه]، وما كان يرومُ أن يفعلَ فرومته أي جعلته يرومُ»^١هـ.

وفي المصباح: «رُمته رَوْماً ومَرَاماً، أي طلبته، ويتعدى بالتشديد فيقال: رَوَمْتُ فلاناً الشيء» اهـ مصباح. وقوله [أي الناظم]: «جَدَّ به الجِدُّ»، في اللسان [جدد]: «ويقال: كَبِرَ فلان ثم أَصابَ فَرَحَةً وسروراً، فجَدَّ جَدَّهُ، كأنه صار جديداً» اهـ. وليس المراد هنا، وقال أيضاً: «وَجَدَّ به الأمرُ: اشتدَّ، قال أبو سهم:

أَخَالِدُ لَا يَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ رَبُّهُ إِذَا جَدَّ بِالشَّيْخِ الْعُقُوقِ الْمُصَمَّمِ
وقال أيضاً: «جَدَّ به الأمرُ وأَجَدَّ إِذَا اجْتَهَدَ» اهـ لسان.

وفي حاشية السَّجَاعِي^(١) على شرح القطر لمؤلفه ابن هشام في باب المفعول المطلق: «جَدَّ جَدَّهُ بفتح الجيم وكسرها أي اجتهد اجتهداه، والأصلُ جَدَّ زيدٌ جَدَّاً، ثم قُصِدَ المبالغة في وصفه بالجَدِّ، فأسندَ إِلى الجِدِّ مجازاً للملابسة بينهما» وهو صدوره منه، اهـ بحروفة. [حاشية السجاعي ١٠٤]

قوله: «دون الذي رام» قال أحمدُ فارسُ العصريُّ صاحبُ «الجوائب»^(٢): «دون ظرف مكان، مثل عند، لكنَّه يُنبئ عن دُنُوٍّ، أي قُرْبٍ كثيرٍ وانحطاط قليلٍ، ثم استُعير في المراتب المعنوية، يقال: زيدٌ دون عمرو في الشرف، ثم استعمل في كلِّ تجاوز حدٍّ وتخطي حُكْمٍ إِلى حُكْمٍ، وبهذا المعنى قُرْبٍ من أن يكون بمعنى غير، نحو «لا تَتَّخِذُوا من دونه أولياء»، وتقول: دون النهر أسدٌ، أي قبل وصوله، ودون قَدَمِكَ، أي تحتها، ودونكهِ إِغراءٌ، أي خُذْه والزَمْه» اهـ من «غنية الطالب ومنية الراغب» [ص ١٥١] لحضرة العلامة أحمد فارس صاحب مطبعة الجوائب.

فمعنى «فاعترضتُ دونَ الذي رام» أي بدتُ وظهرتُ قبل الوصولِ إِلى مَرَامِهِ، واللهُ أَعْلَمُ.

(١) هو أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي البدرابي الأزهرى، فقيه شافعي، توفي ١١٩٧هـ.

(٢) هي جريدة أصدرها أحمد فارس الشدياق في الأستانة.

«اللَّهُيمُ الأَرَبِيُّ»: قال في هامش اللسان: «عبارة المحكم: وأُمُّ اللُّهُيمِ: المنيَّةُ لأنها تلتهمُ كلَّ أحدٍ، واللُّهُيمُ أيضاً وأُمُّ اللُّهُيمِ: الحمَّى»، «واللُّهُيمُ أيضاً: الداھية، وكذلك أُمُّ اللُّهُيمِ، وأنشد ابنُ بري:

لَقُوا أُمَّ اللُّهُيمِ فَجَهَّزَتْهُمْ عَشُومُ الوِرْدِ نَكْنِيهَا المُنُونَا

ا.هـ لسان [لهم]. وفي القاموس كذلك، وعبارة: «أُمُّ اللُّهُيمِ كزُبَيْر: الداھية، وأيضاً الحمَّى، وأيضاً المنيَّة، كاللُّهُيمِ كزُبَيْر».

وفي الأساس: «نزلت به أُمُّ اللُّهُيمِ: المنيَّة، لالتھامها الخلق» أي ابتلاعها إيَّاهم، وعده الزمخشريُّ من المجاز، وشاهد الالتھام:

ذبابٌ طارَ في لهواتِ ليثٍ كذاكَ اللَّيْثُ يَلْتَهُمُ الذُّبابا
وحقيقَةُ الالتھامِ ابتلاعُ الشيءِ بمرَّةٍ، قال جرير:

كذاكَ اللَّيْثُ يَلْتَهُمُ الذُّبابا

وقال رؤبة يصف أسداً:

ما يُلْقَى في أشدِّاقِه تَلَهَّما

يقال: لَهَمَه بالكسر يَلْهَمُه لَهْمًا وَلَهْمًا، وتَلَهَّمَه، والتَهَمَه: ابتلعه بمرَّة، ورجلٌ لَهْمٌ ولُھَمٌ بضمِّ ففتح، ولُھومٌ ومِلْهَمٌ: أْكول، ومنه: جيشٌ لُھامٌ أي كثير، يَلْتَهُمُ كلَّ شيءٍ، وَيَعْتَمِرُ مَنْ دَخَلَ فيه، أي يُعَيِّبه وَيَسْتَعْرِقُه» [التاج (لهم)].

قال في اللسان: «واللُّهُامُ: الجيشُ الكثير، كأنه يَلْتَهُمُ كلَّ شيءٍ، ومنه أيضاً قولهم للجنود من الناس والخيول: لُھُموم، وجمعه لُھاميم» ا.هـ من اللسان ببعض وزيادة^(١).

«الأَرَبِيُّ»، قال في التاج: «هو بضمِّ أوله وفتح الراء والباء الموحدة مقصوراً: الداھية،

أنشد الجوهريُّ لابنِ أحمَر: [ديوانه ٨٣]

فلَمَّا عَسَا لَيْلي وَأَيَّقَنْتُ أَنها هي الأَرَبِي جَاءَتْ بِأُمِّ حَبَو كَرِي

(١) كذا، ولعل الصواب «ببعض تصرف وزيادة».

«غَسَا اللَّيْلُ يَغْسُو غَسْوًا وَغُسْوًا: أَظْلَمَ» كذا في التاج [غسا]، ثم ذكر البيت، وفي اللسان: «حَبَّوْكَرَى» «والحَبَّوْكَرَى [بأل وبدونها] وَحَبَّوْكَرَ وَأُمُّ حَبَّوْكَرَ، وَأُمُّ حَبَّوْكَرَى وَأُمُّ حَبَّوْكَرَانَ: الداھية، وجاء فلان بأُمِّ حَبَّوْكَرَى أَي بالداھية، وَأَنشَدَ لعمر بن أحمَر الباهلي:

فَلَمَّا غَسَا لَيْلِي وَأَيَّقَنْتُ أَتَمَّا هِيَ الْأَرْبَى جَاءَتْ بِأُمِّ حَبَّوْكَرَى

ا.هـ لسان [حبر]. البيت المتقدم. والداھية: الأمر المنكر العظيم، وأصله من دَهاك الأمر دَهيًا، أَي أصابك من وجه المأمَن، قال في اللسان: «وكلُّ ما أصابك من وجه المأمَن فقد دَهاك دَهيًا، تقول: دَهِيتُ ودَهاه دَهوًا: ختله وخدعه، ويقال: داھية دَهياء ودَهواء، وهو توكيدٌ أيضًا، ودَوَاهِي الدهر: ما يُصيب الناسَ من عظيم نُوبه، يقال: دَهِتَهُ الداھيةُ، ودَهاه يَدَهاه دَهيًا: عابَه وتَنَقَّصَه» ا.هـ لسان [دها].

وفي التاج: «الدَّهْيَاءُ: الشديدة من شدائد الدهر، يقال: دَهِتَهُ داھيةٌ دَهياءٌ، توكيدٌ، وكذلك دَهواء ودُهوِيَّةٌ، أَي شديدة جدًا، وما دَهاك أَي ما أصابك» كذا في التاج.

وفي المصباح ما يفيد كلَّ ما مرَّ باختصار وإيضاح، ونصُّه [دهى]: «الداھية: الناوبة والنازلة، والجمع الدَوَاهِي، وهي اسم فاعل من دَهاه يَدَهاه، إذا نَزَلَ به، وداھيةٌ دَهياءٌ ودَهواءٌ عن ابن السكيت» ا.هـ، فجَزَى اللهُ صاحبَ المصباح خيرَ الجزاء على تأليفه المصباح المنير المنيف بضيائه على الشمس.

وفي المختار [دهى]: «الداھية: الأمر العظيم، ودَوَاهِي الدهر: ما يُصيب الناسَ من عظيم نُوبه، ويقال: دَهِتَهُ داھيةٌ دَهياءٌ ودَهواءٌ، وهو توكيد لها، والدَّهْيُ بالفتح ساكنة الهاء، والدَّهَاءُ: النُّكْرُ وجَوْدَةُ الرأي، يقال: رجل داھيةٌ بَيْنُ الدَّهْيِ والدَّهَاءِ، ويقال: ما دَهاك، أَي ما أصابك» انتهى.

وقولهم في تفسير الدهاء: النُّكْرُ هو أي النكر: الفطنة، وأيضاً ضدُّ العُرف، كالمنكر لُضدُّ المعروف، والنُّكْرُ أيضاً: نعتٌ للأمر الشديد، والنُّكْرُ أيضاً: نعتُ الداھي، والنُّكْرُ أيضاً:

الإنكار، ويقال للرجل إذا كان فطناً مُنكراً: ما أشدُّ نُكْرَهُ ونُكْرَهُ، بالضمِّ والفتح، والنَّكَارَةُ أيضاً، كالنُّكْر الذي بمعنى الدَّهَاء، ويقال: فلان ذو نُكْرَاءٍ إذا كان عاقلاً، والنُّكْرُ أيضاً:

الاسم من أنكرته، والمصدر إنكار، ونُكْرْتُهُ مثل أنكرته، قال الأعشى: [ديوانه ١٠١]

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلعا

ا.ه لسان [نكر]. «الصَّلَع: ذهاب الشعر من مقدّم الرأس»، كذا في اللسان [صلع].

ومن أسماء الداهية العنقاء والعنقفيير وأُمُّ حَشَّافٍ والحشَّفيير والدَّلُو والدَّيْلَمَ والزَّفِيرَ والعناق كسحاب والسُّلِّم كزبرج، وقد جمع أكثر ما ذكرت بعض الشعراء، قال ابن مكرم بلسانه في مادة (دل م): «والدَّيْلَمُ: الداهية، أنشد أبو زيد يصف سهماً، وقيل: هو للميدان الفَقْعَسِيّ، وقيل: هو للكُميت بن معروف، ويروى لأبيه:

أَنْعَتُ أَعْيَارًا رَعَيْنَ كَيْرًا مُسْتَبْطِنَاتٍ قَصَباً ضُمُورًا

يَحْمِلُنَ عَنقَاءَ وَعَنقَفِيرًا وَأُمَّ حَشَّافٍ وَحَشَّافِيرًا

والدَّلُو والدَّيْلَمَ والزَّفِيرًا

قال في اللسان: «وكُلُّهَا دَوَاهٍ، وَأَعْيَارُ النُّصُولِ هِيَ النَّاتِيَةُ فِي وَسْطِهَا، وَرَعِيْنٌ كَيْرٌ الْحَدَادُ كَوْنُهُنَّ فِي النَّارِ، ثُمَّ رُكِبْنَ فِي قَصَبِ السَّهَامِ، وَالدَّيْلَمُ: المَوْتُ، وَقَالَ ابْنُ السَّرِافِيِّ: أَرَادَ بِالْأَعْيَارِ حُمْرَ الْوَحْشِ، وَكَيْرٌ: اسْمٌ مَوْضِعٌ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: «يَحْمِلُنَ عَنقَاءَ وَعَنقَفِيرًا» وَنَحْوَهَا مِنَ الدَّوَاهِي كَمَرّاً وَجَرَادِينَ تُهْدِي لَامْرَأَةً وَأَنَّهَا تَصْلِحُ لَهَا، يَهْجُو سَالِمَ بَنِ دَارَةَ، وَدَارَةُ أُمُّهُ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو زَيْدٍ مِنْ أَنَّهُ وَصَفَ سَهَاماً أَقْرَبُ وَأَبِينُ مِنْ هَذَا» ا.ه من اللسان، من مادة (دل م). وقوله فيما تقدّم: «أَعْيَارُ النُّصُولِ» واحدها عَيْرٌ، قال في اللسان:

«عَيْرُ النَّصْلِ: النَّاتِي فِي وَسْطِهَا، قَالَ الرَّاعِي: [ديوانه ٧٤]

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ كَسَرْنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغَرَارَا

وفي القاموس: «وكُلُّ شَيْءٍ نَاتِي فِي وَسْطِ مُسْتَوٍ عَيْرٌ»، والقُفُّ: كُلُّ مَوْضِعٍ فِيهِ حِجَارَةٌ

عظيمة، أمثال الإبل، غاص بعضها في بعض، والغرار ككتاب يطلق على حدّ الرمح والسهم والسيف [اللسان (غرر)]، والنُّصُول: جمع نَصَل. «والنَّصَل: حديدة السهم والرمح، وهو أيضاً حديدة السيف ما لم يكن لها مَقْبِضٌ، وقال أبو حنيفة^(١): قال أبو زياد^(٢): النَّصَل: كلُّ حديدة من حدائد السهام، والجمع أنْصَل ونُصُول ونِصَال، والنَّصَلان: النَّصَل والنُّجج، قال أعشى باهلة:

عَشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرَّمْحُ ذُو النَّصَلَيْنِ يَنْكَسِرُ
وقال ابن شميل: النَّصَل: السهم العريض الطويل، يكون قريباً من فتر، والمِشْقَصُ على النَّصَف من النَّصَل «ا.هـ لسان [نصل].

والمَقْبِضُ قال الزَّيْدِيُّ فِي التَّاجِ [قبض]: «المَقْبِضُ كَمَنْزِل، وعليه اقتصَرَ الجوهريُّ. والمَقْبِضُ مثل مَقْعَد، نقله اللَّيْث، قال: والكسرُ أي كسرُ الباءِ أَعْمٌ وَأَعْرَفٌ، والمَقْبِضُ مثل المِنْبَرِ، وما رأيتُ أحداً من الأئمَّة ذكره، والمقبضة بهاء فيهنَّ وهذه عن الأزهرِيِّ، ما يُقبض عليه بجمع الكفِّ من السيف وغيره كالسكِّين والقوس».

وقوله: «بجمع الكفِّ» قال في اللسان: «جمع الكفِّ بالضمِّ هو حين تقبضها، يقال: ضربوه بأجمعهم، وضربته بجمع كفي بضم الجيم، وتقول: أعطيتُه من الدراهم جمع الكفِّ كما تقول: ملء الكفِّ، وفي الحديث: «رأيتُ خاتم النبوة كأنه جمع» [مسلم ٦٠٤١]، يريد مثل جمع الكفِّ، قال: وهو أن تجمع الأصابع وتضمها، ويقال: جاء فلان بقبضته ملء جمع، قال منظور بن صباح الأسدي:

وما فعلتُ بي ذاك حتى تركتها تُقَلِّبُ رَأْسًا مِثْلَ جُمُعِي عَارِيَا
وجمعة من تمر بالضم أي قبضة منه «ا.هـ لسان [جمع].

(١) هو أحمد بن داود، أبو حنيفة الدينوري، عرف باللغة والنحو والهندسة، توفي ١٨٢هـ.

(٢) ويقال له الأعور الكلابي، أحد الأعراب الذين دخلوا الحاضرة، إنباه الرواة: ١١٥/٤.

والزُّج، قال في اللسان: «الزُّجُ زُجُّ الرُّمَحِ والسَّهْمِ، ابنُ سيده: الزُّجُّ: الحديدَةُ التي تُرَكَّبُ في أسفل الرَّمحِ، والسَّنَانُ يَرَكَّبُ عَالِيَتَهُ، والزُّجُّ يُرَكِّزُ بِهِ الرَّمحُ فِي الأَرْضِ، والسَّنَانُ يُطَعَنُ بِهِ، وَالْجَمْعُ أَرْجَاجٌ وَأَرْجَجَةٌ وَزَجَاجٌ وَزَجَجَةٌ» ا.هـ لسان [زجاج].

والكَيْرُ بالكسر، قال في التاج: «الكَيْرُ: زِقٌّ يَنْفَخُ فِيهِ الحِدَادُ، أَوْ جِلْدٌ غَلِيظٌ ذُو حَافَاتٍ، وَأَمَّا المَبْنِيُّ مِنَ الطَّيْنِ فَهُوَ كُوْرٌ بِالضَّمِّ، وَفِي الحَدِيثِ: «مَثَلُ الجَلِيسِ السَّوِّءِ مَثَلُ الكَيْرِ» [البخاري: ٢٢٠١] هُوَ مِنَ ذَلِكَ، وَمِنَهُ الحَدِيثُ: «المَدِينَةُ كَالكَيْرِ تَنْفِي حَبَّتَهَا وَيَنْصَعُ طَبِيئَهَا» [البخاري: ١٨٨٣] كَذَا فِي اللِّسَانِ [كير].

فَالْحَبَّتُ مِنَ حَبَّتِ الحَدِيدِ وَالْفِضَّةِ، وَهُوَ مَا يَنْفِيهِ الكَيْرُ إِذَا أُذِيَا، وَهُوَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، كَذَا فِي التَّاجِ [خبث]، وَذَكَرَ حَدِيثَ أَنَّ الحُمَّى تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكَيْرُ الحَبَّتَ. وَفِي اللِّسَانِ «تَنْصَعُ طَبِيئَهَا أَي تَخْلُصُهُ» كَذَا فِي مَادَّةِ (ن ص ع)، وَفِي مَادَّةِ (ب ض ع) مِنْهُ مَا نَصَّهُ: «تَقُولُ: أَبْضَعْتُ بِضَاعَةً لِلْبَيْعِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ، وَفِي الحَدِيثِ «المَدِينَةُ كَالكَيْرِ تَنْفِي حَبَّتَهَا وَتُبْضَعُ طَبِيئَهَا»، ذَكَرَهُ الزُّنْخَشَرِيُّ وَقَالَ: «هُوَ مِنَ أَبْضَعْتُهُ بِضَاعَةً إِذَا دَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، يَعْنِي أَنَّ المَدِينَةَ تُعْطِي طَبِيئَهَا سَاكِنِيهَا، وَالمَشْهُورُ تَنْصَعُ بِالنُّونِ وَالمَصَادِ. [أَي المَهْمَلَةِ]، وَقَدْ رُوِيَ «تَنْصَحُ» بِالمَصَادِ وَالمَخَاءِ المَعْجَمَتَيْنِ، وَ«تَنْصَحُ» بِالمَخَاءِ المَهْمَلَةِ، مِنَ النَّصَحِ وَالنَّصْحِ، وَهُوَ رَشُّ المَاءِ» ا.هـ لسان.

وقوله: «كَمَرًا وَجَرَادِينَ»، «الكَمَرُ بِالتَّحْرِيكِ جَمْعُ كَمَرَةٍ مَحْرَكَةٌ، وَهِيَ الفَيْسَلَةُ وَالمَيْسَلَةُ بِلامٍ وَبِدُونِهَا وَالمَحْشَفَةُ، أَي رَأْسُ الذَّكَرِ، وَفِي المَثَلِ: «الكَمَرُ أَشْبَاهُ الكَمَرِ» يُضْرَبُ فِي تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَتَكَامَرَ الرِّجْلَانِ نَظَرًا فِي أَيِّمَا أَعْظَمَ كَمَرَةً، وَقَدْ كَامَرَهُ فَكَمَرَهُ أَي غَلَبَهُ بِعَظَمِ الكَمَرَةِ، كَمَا تَقُولُ: قَامَرَهُ فَكَمَرَهُ إِذَا غَلَبَهُ بِالقَمَارِ، قَالَ:

تالله لولا شيخنا عبَّادُ لكأمرونا اليومَ أو لكادوا

ويروى «لكمرونا اليومَ أو لكادوا» ا.هـ لسان [كمر]، والمعنى ظاهر.

«الجرادين» جمع جُردان بالضم، قال في التاج: «الجردان بالضم والأجرْد: قضيب ذوات الحافر، أو هو عام، وقيل: هو في الإنسان أصل، وفيها سواه مستعار، وجمع الجرْدان جَرادِين»^١ تاج [جرد]، ولم يتعرَّض لجمع الأجرد مع أن صنيع القاموس يقتضي ذلك، ولعلَّ جمعه جُرد أو أجادد.

وقوله في تفسير الكير: الزُّق، قال في اللسان: «الزُّق: الذي يسوى سقاءً أو وطباً أو حميتاً، وجمع القلَّة أزقاق، والكثيرُ زقاق وزُقان، مثل ذئب وذُوبان، والزُّق من الأُهب: كلُّ وعاء أخذ لشراب ونحوه، وقيل: لا يُسمى زقاً حتى يُسلخ من قبل عنقه، قال اللحياني: كبش مزقوق ومزقق للذي يُسلخ من رأسه إلى رجله، فإذا سلخ من رجله فهو مرْجول»^١ ه لسان [زق]. وفيه [وطب]: «الوطب: سقاء اللبن خاصَّة، وهو جلد الجذع فما فوقه، والجمع أوْطب وأوطاب ووطاب»^١ ه.

وفي المصباح «الجذع بفتحتين ما قبل الثني، والجمع جذاع كجبال وجذعان بضم الجيم وكسرهما، والأثنى جذعة، والجمع جذعات، وفعله أجدع إجداعاً». «والثني: الجمل يدخل في السنة السادسة، والناقَةُ ثنيَّة، والثنيُّ أيضاً: الذي يُلقى ثنيته يكون من ذوات الظلف والحافر في السنة الثالثة، ومن ذوات الخُفِّ في السادسة، وهو بعد الجذع»^١ ه مصباح [جذع].

وقوله: «يُلقي ثنيته» «الثنيَّة: واحدة الثنايا، وهي الأسنان الأربع التي في مقدّم الفم، ثنتان من فوق وثنان من أسفل» كذا في اللسان [ثني].

«والظلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف كحمل وأحمال»^١ ه مصباح [ظلف].

والخُفُّ للبعير كالحافر للفرس، ويقال له أي للخُفِّ: فرسن، قال في اللسان: «الفرسن: فرسن البعير، وجمعها فراسن، وفي الفرأسن السَّلامى، وهي عظام الفرسن

وَقَصَبُهَا ثُمَّ الرَّسْعُ فَوْقَ ذَلِكَ، ثُمَّ الْوَضِيفُ، ثُمَّ فَوْقَ الْوَضِيفِ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ الذَّرَاعُ، ثُمَّ فَوْقَ الذَّرَاعِ الْعَضُدُ، ثُمَّ فَوْقَ الْعَضُدِ الْكَتِفُ، وَفِي رِجْلِهِ بَعْدَ الْفَرَسَنِ الرَّسْعُ، ثُمَّ الْوَضِيفُ، ثُمَّ السَّاقُ، ثُمَّ الْفَخْذُ، ثُمَّ الْوَرَكُ، وَيُقَالُ لِمَوْضِعِ الْفَرَسَنِ مِنَ الْخَيْلِ الْحَافِرُ ثُمَّ الرَّسْعُ، وَالْفَرَسُنُ مِنَ الْبَعِيرِ بِمَنْزِلَةِ الْحَافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ، وَرَبَّمَا اسْتُعِيرَ لِلشَّاةِ، وَالَّذِي لِلشَّاةِ حَقِيقَةٌ هُوَ الظَّلْفُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تَحْمَرَّنْ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ» [البخاري: ٦٠١٧]، وَهُوَ أَيُّ الْفَرَسَنِ عَظْمٌ قَلِيلٌ اللَّحْمِ، وَهُوَ حُفُّ الْبَعِيرِ، كَالْحَافِرِ لِلدَّابَّةِ» ١. هـ لسان [فرسن]. وَهُوَ تَفْصِيلٌ جَيِّدٌ جَدًّا، وَلِذَلِكَ نَقَلْتُ الْمَادَةَ بَرُمَّتِهَا.

وَقَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الزُّقِّ: سِقَاءٌ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «السَّقَاءُ: جِلْدُ السَّخْلَةِ إِذَا أَجْذَعَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَاءِ، أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: [ديوان مجنون ليلي ٥٢]

يَجِبْنَ بِنَا عَرَضَ الْفَلَاةِ وَمَالْنَا عَلَيْنَهُنَّ إِلَّا وَخَدَهُنَّ سِقَاءً
الْوَحْدُ: سَيْرٌ سَهْلٌ، أَيُّ لَا نَحْتَاجُ إِلَى سِقَاءِ الْمَاءِ لِأَنَّهُنَّ يَرِدْنَ بِنَا الْمَاءَ وَقَدْ حَاجَتْنَا إِلَيْهِ
وَقَبْلَ ذَلِكَ، وَالْجَمْعُ أَسْقِيَّةٌ وَأَسْقِيَاتٌ، وَأَسَاقٍ جَمْعُ الْجَمْعِ» ١. هـ لسان [سقي].

وَقَوْلُهُ فِيْمَا تَقَدَّمَ: «الْأَهْبُ» هُوَ كُتُبٌ، جَمْعُ إِهَابٍ ككِتَابٍ، وَهُوَ الْجِلْدُ قَبْلَ أَنْ يُدْبِغَ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ مَطْلَقًا، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: «وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْإِهَابُ: الْجِلْدُ، وَهَذَا الْإِطْلَاقُ مَحْمُولٌ عَلَى مَا قَبْدَهُ الْأَكْثَرُ، فَإِنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّهَا إِهَابُ دُبْعٍ» يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَجَمْعُهُ أَهْبٌ بِضَمَّتَيْنِ عَلَى الْقِيَاسِ ككِتَابٍ وَكُتُبٍ، وَأَهْبٌ بِفَتْحَتَيْنِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِعَالٌ يُجْمَعُ عَلَى فَعَلٍ بِفَتْحَتَيْنِ إِلَّا إِهَابٌ وَأَهْبٌ وَعِمَادٌ وَعَمَدٌ، قَالَ: وَرَبَّمَا اسْتُعِيرَ الْإِهَابُ لِجِلْدِ الْإِنْسَانِ» ١. هـ مصباح [أهب].

وَفِي اللِّسَانِ: «الْإِهَابُ ككِتَابٍ: الْجِلْدُ مِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ وَالْوَحْشِ مَا لَمْ يُدْبِغَ، وَالْجَمْعُ الْقَلِيلُ أَهْبَةٌ، أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

سُودَ الْوُجُوهِ بِأَكْلُونِ الْآهْبَةِ

والكثيرُ أَهَبُ بضمَّتين، وأَهَبَ بفتحَتين على غير قياس كَأَدَمَ وَأَفَقَ وَعَمَدَ جَمَعَ أَدِيمَ وَأَفِيقَ وَعَمُودَ، وقال سيبويه [الكتاب ٦٢٦/٣]: «أَهَبَ بفتحَتين اسمٌ للجَمع وليس بجمع إِهَابٌ لأنَّ فعلاً ليس ممَّا يكسَّر عليه فِعَالٌ»، وفي الحديث: «لو جُعِلَ القرآنُ في إِهَابٍ ثم أُلقِيَ في النَّارِ ما احترقَ»، قال ابن الأثير: «قيل: كان هذا معجزةً للقرآن في زمنه ﷺ كما تكون الآياتُ في عصور الأنبياء، وقيل: المعنى: مَنْ علَّمه اللهُ القرآنَ لم تحرقه نارُ الآخرة، فجعل جسمُ حافظ القرآن كالإِهَابِ له»، وفي الحديث: «أَبُها إِهَابٌ دُبِعَ فقد طَهَّرَ»^١. ه لسان [أهَب].
وقوله فيما تقدَّم في تفسير الزُّقِّ: «وَطَبًا» قال في التاج: «الوَطْبُ: سِقَاءُ اللَّبَنِ، وفي «مجمع البحار»: الوَطْبُ: الزُّقُّ الذي يكون فيه السَّمْنُ واللَّبَنُ، وهو جِلْدُ الجَدَعِ فما فوقه، قال: ويقال لجلد الرِّضِيعِ الذي يُجْعَلُ فيه اللَّبَنُ شَكْوَةً وجِلْدِ الفَطِيمِ: بَدْرَةٌ، ويقال لمثل الشَّكْوَةِ ممَّا يكون فيه السَّمْنُ عُكَّةً، ومثل البَدْرَةِ المِسْأَدُ» [وطب].

وقال في مادة (ب د ر): «البَدْرَةُ: جِلْدُ السَّخْلَةِ بعد الفِطَامِ، ولفظه إذا فُطِمَ، والجَمْعُ بَدُورٌ وبِدْرٌ، قال الفارسيُّ: ولا نظير لبَدْرَةٍ وبِدْرٍ إلا بَضْعَةٌ وبِضْعٌ، وهَضْبَةٌ وهِضْبٌ» والهَضْبَةُ بفتح فسكون: الجبل المنبسط، والذي خُلِقَ من صخرة واحدة، وأيضاً: المطرة الدائمة العظيمة القطر، وجمع كلِّ منهما هِضْبٌ بكسر ففتح، وهِضَابٌ ككِتَابٍ^١. ه تاج باختصار.
«وفي الصحاح: والبَدْرَةُ: مَسْكُ السَّخْلَةِ لِأَنَّها ما دامت ترضع فَمَسْكُها لَبَنٌ شَكْوَةٌ وللسَّمْنِ عُكَّةً، فإذا فُطِمَتْ فَمَسْكُها لَبَنٌ بَدْرَةٌ وللسَّمْنِ مِسْأَدٌ، فإذا أَجْدَعَتْ فَمَسْكُها لَبَنٌ وَطْبٌ وللسَّمْنِ نَحْيٌ، ومثله قولُ أبي زيد»^١. ه من التاج من مادة (ب د ر)، وهو تفصيل نفيس جداً فلنحفظه.

وقوله أيضاً في تفسير الزُّقِّ: «أَوْ حَمِيَّتًا»، قال في اللسان [حمت]: «الحَمِيَّتُ: وعاء السَّمْنِ كالعُكَّةِ، وقيل: وعاء السَّمْنِ الذي مُتَّنَ بالرُّبِّ» [حمت]، وفيه: «تمتين القوس بالعقب والسَّقَاءُ بالرُّبِّ: شدُّه وإِصلاحُه بذلك» [متن].

وفي القاموس: «العَقَبُ محرَّكةٌ: العَصَبُ الذي تُعملُ منه الأوتارُ، الواحدة عَقَبَةٌ» [عقب]، وفيه: «العَصَبُ محرَّكةٌ: أطنابُ المفاصل» [عصب]، قال في التاج: «العَصَبُ عَصَبُ الإنسان والدابة، والأعصابُ: أطنابُ المفاصل، يكون ذلك للإنسان وغيره كالبقرة والغنم والطبَّاء والنعام والشَّاء» [عصب] ١.هـ.

وفي اللسان: «الرُّبُّ: الطَّلَاءُ الخائر، وقيل: دِبْسُ كُلِّ ثمرة، وهو سُلَافَةٌ خُثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمعُ الرُّبُوبُ والرِّبابُ، قال: ورَبَبْتُ الأَمْرَ أَرُبُهُ رَبًّا ورِبَابَةً: أصلحتهُ ومنتتهُ، ورَبَبْتُ الدَّهْنَ: طَيَّبْتُهُ وأَجَدْتُهُ، وقال اللِّحْيَانِيُّ: رَبَبْتُ الدَّهْنَ: غَدَوْتُهُ بالياسمين أو بعض الرِّياحين، قال: ويجوز فيه رَبَبْتُهُ، ودُهْنٌ مُرَبَّبٌ إذا رُبَّ الحَبُّ الذي أُتُّخِذَ منه بالطَّيب» ١.هـ لسان [رب]. ويقال: مَتَّنَ الشَّيْءَ تَمْتِنًا: قَوَّاه، متعديٌّ مَتَّنَ أَي صَلَّبَ وَقَوَّى.

«وقيل: الحَمِيْتُ أصغرُ من النَّحْيِ، وقيل: هو الزُّقُّ الصغير، والجمعُ حُمْتُ بضمَّتين، وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه: «قال لرجل أتاه سائلًا فقال: هلكتُ فقال له: أهلكتُ وأنت تَبْتُ نَيْثُ الحَمِيْتُ؟»، قال الأَحمَرُ^(١): الحَمِيْتُ: الزُّقُّ المُشعَرُ الذي يُجَعَلُ فيه السَّمْنُ والعسلُ والزيتُ، وقال الجوهريُّ [الصَّحاح (حمت)]: الحَمِيْتُ: الزُّقُّ الذي لا شَعَرَ عليه، وهو للسَّمْنِ، قال ابن السكيت: «فإذا جُعِلَ في نَحْيِ السَّمْنِ الرُّبُّ فهو الحَمِيْتُ، وإنما سُمِّيَ حَمِيَّتًا لأنَّهُ مُتَّنٌ بالرُّبِّ، فإنَّ الحَمِيَّتَ من كُلِّ شَيْءٍ المَتِينِ، يقال: تَمَّرَ حَمِيَّتٌ وَعَسَلٌ حَمِيَّتٌ، وما أَكَلْتُ تَمْرًا أَحَمَّتَ حَلَاوَةٌ من البَعُضُوضِ أَي أَمَتَنَ، وغَضِبُ حَمِيَّتٌ: شديدٌ، قال رؤبة: [ديوانه ٢٦]

حَتَّى يَبُوحَ الغَضَبُ الحَمِيَّتُ

أَي الشديدُ، ويَبُوحُ أَي يَنكسرُ وَيَسكُنُ» ١.هـ لسان [حمت].

(١) هو علي بن المبارك الأحمري صاحب الكسائي، توفي ٢٠٦هـ.

وقوله في حديث عمر: «تَنَّثُ»، قال في اللسان: «النَّثُ: نشر الحديث، نَثَّهُ يَنْثُهُ نَثًّا:

أفشاه، ويُروى قولُ قيس بن الخطيم الأنصاري: [ديوانه ١٠٥]

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ بَنَثٌ وَتَكَثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينٌ

ورجلٌ نَثَّ نَثًّا وَمِنَّثَ، أبو عمرو: النَّثَّاتُ، المغتابون للمسلمين، وَنَثَّ الْعِظْمُ نَثًّا: سَالَ وَدَكَّهُ، وَنَثَّ يَنْثُ نَثِيثًا، وَمَثَّ يَمِثُّ: عَرِقَ مِنْ سِمْنِهِ، فَرَأَيْتَ عَلَى سَحْتَتِهِ وَجِلْدَهُ مِثْلَ الدَّهْنِ، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ يَسْأَلُهُ فَقَالَ: هَلَكْتُ، فَقَالَ عُمَرُ: اسْكُتْ، أَهَلَكْتَ وَأَنْتَ تَنْثُ نَثَّ الْحَمِيمِ؟، وَيُروى: نَثِيثُ الْحَمِيمِ، نَثَّ الزَّقُّ يَنْثُ بِالْكَسْرِ نَثِيثًا وَنَثًّا: إِذَا رَشَحَ بِهَا فِيهِ مِنَ السَّمَنِ، أَرَادَ أَتَهْلِكُ وَجِسْدُكَ كَأَنَّهُ يَقْطُرُ دَسْمًا؟ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: النَّثِيثُ أَنْ يَعْزِقَ وَيَرْشَحَ مِنْ عِظْمِهِ وَكَثْرَةِ لَحْمِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: نَثَّ الْحَمِيمِ وَمَثَّ بِالنُّونِ وَالْمِيمِ إِذَا رَشَحَ مَا فِيهِ مِنَ السَّمَنِ يَنْثُ وَيَمِثُّ، وَفِي التَّهْذِيبِ: أَمَا قَوْلُكَ: نَثَّ الْحَدِيثَ يَنْثُهُ فَهُوَ بَضْمُ النُّونِ لَا غَيْرَ، أَيِ أَذَاعَهُ وَأَفْشَاهُ، وَالنَّثُ: الْحَائِطُ النَّدِيُّ الْمُسْتَرْخِي، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: أَظَنَّهُ فَعِلًا كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَبِيوِيهِ فِي طَبِّ وَبَرِّ، وَكَلَامٌ غَثُّ نَثُّ، إِتْبَاعُ أ. هَلْسَانِ [نث]. وَفِيهِ [غث]: «الغث: الرديء من كل شيء».

وقد بُعد العهد بالبيت الذي أنا بصدد شرحه لما دعاني حبُّ الوقوف على الحقائق إليه ممَّا استطرده لأدنى مناسبة وأوردته لسبب ما، وهأنا أعيده لك خشية أن تكون نسيته، وهو:

فَاعْتَرَضْتُ دُونَ الَّذِي رَامَ وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْجِدُّ اللَّهُمَّ الْأَرْبَى

أَيِ ظَهَرْتُ لَهُ الدَاهِيَةَ الدَّهْيَاءَ وَالْبَلِيَّةَ الْعَظِيمَةَ، وَبَدَتْ لَهُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى مَا رَامَ، وَقَوْلُهُ: «وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْجِدُّ» سَيُفْسَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ، وَيُروى «التي» عوض الذي، فعلى الأول دون الغرض والأمر الذي رامه، وعلى الثاني دون الحاجة والغاية التي رامها وطمح بصرها إليه، والعلم عند الله، وبعده:

٣٩- هل أنا بدعٌ من عرانيينِ علًا جارَ عليهم صرْفُ دهرٍ واعتدى

في المختار [بدع]: «شيءٌ بدعٌ بالكسر: مبتدع، وفلان بدعٌ في هذا الأمر أي بديع»، قال في التاج: «البدع بالكسر: الأمر الذي يكون أولاً، وكذلك البديع، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٤٦/٩]، أي ما كنتُ أولَ مَنْ أُرسلَ، قد أُرسلَ قبلي رسلٌ كثير، ويقال: فلان بدعٌ في هذا الأمر، أي أولٌ لم يسبقه أحدٌ، والبدعُ: الغاية في كلِّ شيءٍ، ويقال: رجلٌ بدعٌ وامرأةٌ بدعةٌ، وذلك [أي البدعُ] [إنما يقال للرجل] إذا كان شجاعاً أو شريفاً أو عالماً، وقال الكسائيُّ: البدعُ يكون في الخير والشرِّ، والجمعُ أبداع، يقال: رجال أبداعٌ وقوم أبداعٌ» اهـ تاج [بدع].

وفي المصباح: «فلان بدعٌ في هذا الأمر، أي هو أولٌ مَنْ فعَله، فيكون اسمَ فاعلٍ بمعنى مبتدع، والبديع فَعِيلٌ من هذا، فكان معناه هو منفردٌ بذلك من بين نظائره، وفيه معنى التعجب، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾، أي ما كنتُ أولَ مَنْ جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع، بل أُرسلَ اللهُ تعالى الرسلَ قبلي مبشِّرين ومُنذرين، فأنا على هُداهم» اهـ مصباح [بدع]. وفي اللسان [بدع]: «البديع: المحدثُ العجيب» اهـ.

«مِنَ عَرَانِينَ عَلًا»، العرانيين جمعُ عَرْنِين، قال في اللسان [عرن]: «عَرَانِينُ النَّاسِ: وجوههم، وعَرَانِينُ الْقَوْمِ: ساداتهم وأشرفهم، قال العجَّاج يذكر جيشاً: [ديوانه ٤٦/١] تَهْدِي قَدَامَهُ عَرَانِينَ مُصْرَ

«الْقَدَامَى كَسْكَارَى: الْقَدَمَاءُ، قَالَ الْقَطَامِي: [ديوانه ١٤٤]

وقد علمت شيوخهمُ القدامى إذا قعدوا كآتهمُ النَّسَارُ
النَّسَارُ: جمعُ النَّسْرِ، كذا في اللسان في مادة (ق د م). وفي التاج: «قَدَمٌ كَرَّمٌ قَدَامَةٌ وَقَدَمًا كَعَبٌ، أَي تَقَادَمَ فَهُوَ قَدِيمٌ وَقَدَامٌ كَطَوِيلٌ وَطُوالٌ، وفي حديث الطُّفَيْلِ بن عمرو: ففينا الشُّعْرُ وَالْمُلْكُ الْقَدَامُ

(أي القديم المتقدم، كذا في اللسان)، والجمع قَدَماء ككُرماء، وقَدَامَى بالضَّمِّ، وأنشد الأزهريُّ للقطامي:

وقد علمت شيوخهم القدامى إذا قعدوا كَأَتَمِّ النَّسَارِ
ويُجمع أيضاً على قَدَائِمٍ» ١. هـ تاج [قدم]. وفيه أيضاً: «والقَدَامَى كحَبَارَى: أربُع أو عشر ريشات في مقدّم الجناح، ومثله القَوَادِم، والواحدة قادمة، قال: واللّواتي بعدهنَّ إلى أسفل الجناح المَنَاكِب، والحوافي ما بعد المَنَاكِب، والأباهرُ من بعد الحَوَافِي، قال: وقال ابن بري: القَدَامَى يكون واحداً كشكاعى، ويكون جمعاً كسكارى، وأنشد للقطامي: وقد علمت شيوخهم القَدَامَى»، وقد تقدّم.

والشُّكَاعَى: نبتٌ يُشبهُ الحُلاوَى، قاله في اللسان والتاج [شكع]، «وروى أبو عبيد عن الأصمعيّ في باب فعاليّ بالضّمّ والقصر خَزَامَى ورُخَامَى وحُلاوَى، كلُّهنَّ نبتٌ، وقال الأزهري: رأيت الشُّكَاعَى بالبادية، وهو من أحرار البُقُول، قيل: هو مثل الحُلاوَى، لا يكاد يُفرق بينهما، وهما كثيرتا الشوك، ولهما ورق صغير مثل ورق السذاب، وقد يقال: شُكَاعَى بالفتح، وأنكره ابن سيده» ١. هـ لسان [شكع].

وفي التاج في المستدرَك: «أحرارُ البُقُول: ما أكل غير مطبوخ، وهو من المجاز، وقيل: ما رَقَّ منها ورطب، وذكورها ما غلظ وحشَن» ١. هـ تاج [حرر]. وفي اللسان مثله، قالوا: «والواحدُ أي واحدُ أحرار البُقُول حُرٌّ»، قال في اللسان: «وأحرارُ البُقُول: ما أكل غير مطبوخ، واحدها حُرٌّ، وقيل: هو ما حشَنَ منها، وهي ثلاثة، النَّقْل والحُرْبُث والقَفْعَاء، وقيل: الحُرٌّ: نبات من نجيل السِّبَاخ»، وذكر في اللسان أيضاً: أن الحُرَّ: كلُّ شيءٍ فاحر من شعر أو غيره، وقال الجوهريّ النَّقْلُ: نَبْتُ، قال القطامي:

ثم استمرَّ بها الحادي وجنبها بطن التي نبتها الحوذان والنقل

١. هـ لسان [نفل]. والحُرْبُ والحُرْبُ بالضمّ: نبات أسود، وزهرته بيضاء، وهو يتسَطَّح قُضباناً، أنشد ابن الأعرابي:

غَرَّكَ مِنِّي شَعْنِي وَلَبَّثِي وَلِمَمَّ حَوْلَكَ مِثْلَ الحُرْبِ
قال: شبه لِمَمَ الصَّيَّانِ في سوادها بالحُرْبِ، ويقال: أَطِيبُ الغنمَ لَبْنًا ما أَكَلَ الحُرْبَ
والسَّعدان» ١. هـ لسان [حرث].

وفي اللسان: «اللَّبْتُ بفتح فسكون: المكث، وكذلك التلبُّث، قال: وهو على غير قياس؛ لأن المصدر من فَعَلَ بالكسر قياسه التحريكُ إذا لم يتعدَّ، كَتَعَبَ تَعَبًا، قال: وقد جاء في الشعر على القياس، وفسره، فقال: معناه أنه شيخ كبير فأخبر أنه إذا مَشَى لم يلحق من ضعفه، فهو يتلبَّثُ، وشبهه لِمَمَ الشُّبانِ في سوادها بالحُرْبِ، وهو نبت أسودٌ سهليٌّ» ١. هـ لسان [لبث].
والسَّعْت: تلبُّد الشعرِ واغْبِرار الرأسِ لعدمِ الأدهان. [اللسان (شعث)]

وفي التاج [عرن]: «العَرْنِينُ: السيِّدُ الشريف، وهو مجاز، وأصله الأنفُ كلُّه أو ما صُلِبَ من عظمه، وقيل: عَرْنِينُ الأنفِ تحت مجتمَعِ الحاجبين، وهو أولُ الأنفِ حيث يكون فيه الشَّمَمُ، وهو الارتفاع، والعَرْنِينُ من كلِّ شيءٍ أولُّه، ومنه عَرانِينُ السَّحابِ: أوائلُ المطر، وعَرانِينُ الناسِ: وجوههم وساداتهم وأشرفهم، قال العجاج يصف جيشاً:
تَهْدِي قُدَاماه عَرانِينُ مُضَرَّ
١. هـ، وقد تقدَّم مثله عن اللسان [عرن].

وتقدَّم تفسير القُدَامَى قريباً، وفي اللسان مثله، وعبارته: «عَرْنِينُ كلِّ شيءٍ أولُّه، وعَرْنِينُ الأنفِ تحت مجتمَعِ الحاجبين، وهو أولُ الأنفِ حيث يكون فيه الشَّمَمُ، يقال: هم شُمَّ العَرانِينِ، والعَرْنِينُ: الأنفُ كلُّه، وقيل: ما صُلِبَ من عظمه، قال ذو الرُّمة: [ديوانه ٣٩٥]
تَثْنِي النَّقَابَ عَلَى عَرْنِينِ أَرْبَةِ شَمَاءَ مَارِئِهَا بِالْمِسْكِ مَرْثُومٌ
وفي صفته ﷺ «أَقْنَى العَرْنِينِ» أي الأنفِ، وقيل: رأسُ الأنفِ، والأَقْنَى اسمُ فاعلٍ من القَنَا، وهو ارتفاعُ في أعلى الأنفِ بين القَصْبَةِ والمارِنِ من غيرِ قُبْح.

وقال ابن سيده: القَنَا: ارتفاعٌ في أعلى الأنفِ واحديداً في وسطه، وسُبُوغٌ في طرفه، وقيل: هو نُتوءٌ وَسَطُ القَصْبَةِ، وإِشْرَافُهُ وَضِيقُ المَنخَرينِ، رَجُلٌ أَقْنَى وامرأةٌ قَنَوَاءٌ، والمصدر القَنَا» [اللسان (عرن)].

وفي الأساس: «ومن المستعار قولهم للأشراف: عَرَانين»، وفي المصباح: «العَرَانين من كل شيء: أوله، ومنه عَرْنينُ الأنفِ لأوله، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين، وهو موضع الشَّمَم، وهم شُمَّ العَرَانين، وقد يُطلق العَرْنينُ على الأنفِ» ا.هـ مصباح [عرن].

وفيه: «الشَّمَم: ارتفاعُ الأنفِ، من باب تَعَبَ، فهو أَشَمٌّ وهي شَمَاءٌ، وهم شُمَّ كَأَحرٍ وحرَاءٍ ومُحَرٌّ» ا.هـ مصباح [شمم]. قال كعبُ بن زهير: [شرح بانت سعاد ٣٣٣]

شُمَّ العَرَانينِ أَبطالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ داوِدَ في الهَيْجَا سَرَايِلُ
قال في اللسان: «السَّرَايِلُ في البيت: الدُّرُوع»، فالعَرَانينُ هنا الأنوفُ، وأنشدَ جَارُ الله

في الأساس في مادة (ح س د): [ديوان عمرو بن لجأ ١٣٨]

إِنَّ العَرَانينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرى لِلنَّاسِ حُسَّاداً
فالعَرَانينُ هنا: الأشرافُ والسَّادَةُ، والمحسَّد: المحسود، قال: [ديوان أبي الأسود الدؤلي ٤٠٣]
وتَرى اللَّيْبَ مُحَسَّداً لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرِّجَالِ وَعَرَضَهُ مَشْتُومٌ
قال في التاج فيما استدركه على القاموس: «الجُرمُ بالضم: التعدي، وقالوا: اجترَمَ الذنبَ فعدَّوه، قال الشاعر – أنشده ثعلبُ:

وتَرى اللَّيْبَ مُحَسَّداً لَمْ يَجْتَرِمِ عَرَضَ الرِّجَالِ وَعَرَضَهُ مَشْتُومٌ
وتجرَمَ عليّ فلان: ادَّعى عليّ ذنباً لم أفعله» ا.هـ من التاج [جرم].

ومثله في اللسان: «والحسدُ أن تتمنى زوالَ نعمة المحسود إليك»، وقوله: «عَرَضَ

الرجالِ» كذا فيهما في مادة (ج ر م)، وفي مادة (ح س د) من اللسان «شتم الرجال».

والمراذُ بالعَرانين في بيت الناظم الأشرافُ والسَّادةُ والرؤساءُ والأكابرُ.

وقوله: «عَلَا»، في الصحاح [علا]: «العُلا والعَلَاء: الرَّفعة والشرفُ، وكذا المَعْلَاءُ، وجمعُ هذه مَعَالِي»، والعُلَى أيضاً جمعُ عَلِيَا كما في التاج واللسان، وعبارتهما: «والعَلَاءُ: الشرفُ [أي بالفتح والمدّ]، وذو العَلَاء: صاحبُ الصفات العُلا، والعُلَى جمعُ العُلِيَا، أي جمعُ الصفة العُلِيَا والكلمة العُلِيَا، ويكون العُلَى جمعَ الاسم الأعلى، وصفةُ الله العُلِيَا شهادةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فهذه أعلى الصفات، لَا يُوصَفُ بها غيرهُ سبحانه وتعالى».

وقال أيضاً: «واللهُ عزَّ وجلَّ هو العُلِيُّ المتعالي العالِي الأعلى ذو العَلَا، [أي بالضمِّ والقصر]، والعَلَاءُ والمعَالِي تعالَى عمّا يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً، والعُلِيُّ: الشريفُ، فَعِيلٌ من عَالَا يَعْلُو، وهو بمعنى العالِي، أي الذي ليس فوقه شيءٌ، عَلَا الحَلَقُ فقهرهم بقدرته، والمتعالي: الذي جَلَّ عن إِفْكِ المفتريين، وتنزَّه عن وَسَاوسِ المتحيرين، وقد يكون المتعالي بمعنى العالِي، وأمَّا الأعلى فهو الله الذي هو أعلى من كلِّ عالٍ»^١. اهـ لسان [علا]. وفي التاج: «العُلا بوزن الهُدَى: الشرف والرَّفعة»، كذا فيما استدركه على القاموس.

و«الرَّفعة بالكسر: ارتفاعُ القدرِ وعُلوُه» كذا في التاج [رفع]، وفي الأساس في مادة (ف

ت و): «هذا فتى بَيْنَ الفتوةِ، وهي الحرِّيَّة والكرمُ، قال عبد الرحمن بن حسان:

إِنَّ الْفَتَى لَفَتَى الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى لَيْسَ الْفَتَى بِمُعْمَلَجِ الصَّبِيَانِ»

«فالفتوةُ: الكرمُ والسَّخَاءُ، وعند أهل التحقيق: أَنْ يُؤْثِرَ الخَلْقُ على نفسه بالدنيا

والآخرة، وصاحبُ الفتوةِ يقال له: الْفَتَى، ومنه: «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ»، وقول الشاعر:

فَإِنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَصَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

وعبر عنها في الشريعة بمكارم الأخلاق، ولم يجئ لفظُ الفتوةِ في الكتاب والسنة، وإنما

جاء في كلام السلف، وأقدم من تكلم فيها جعفر الصادق^(١) ثم الفضيل^(٢) ثم الإمام أحمد^(٣) وسهل^(٤) والجنيدي^(٥) «ا.ه تاج [فتا].

قوله: «لضّر عدو»، الضّر بالفتح ويضم، لغتان: ضدّ النفع، أو بالفتح مصدر، وبالضم اسم مصدر، وقيل: هما لغتان، كالشّهد والشّهد، فإذا جمعت بين الضّر والنفع فتحت، وإذا أفردت الضّر ضممت إذا لم تستعمله مصدراً، كقولك: ضررتُ ضراً، وقال أبو الدقيش: كل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضراً أي بالضم، وما كان ضدّاً للنفع فهو ضراً أي بالفتح» ا.ه تاج، ومثله في اللسان [ضرر] بزيادة بيان.

والمكارم جمع المكرمة، وهي فعل الكرم، وقوله: المغمّج، كذا في الأساس [فتي] بميم ثم غين ثم ميم ثم لام ثم جيم، ولم أقف عليه، وأظنه محرّفاً من الغمّج بفتح الغين والميم واللام المشددة ثم جيم آخره، يقال: «رجل غمّج إذا كان مرّةً قارناً ومرّةً شاطراً ومرّةً سخياً ومرّةً بخيلاً ومرّةً شجاعاً ومرّةً جباناً ومرّةً حسن الخلق ومرّةً سيئه، لا يثبت على حالة واحدة، وهو مذموم مألوم عند العرب، ومثله أي ومثل الغمّج الذي تقدّم على وزن عمّلس غمّج كجعفر وغمّيج وغمّلاج وغمّالج، كل هذا يوصف به الذي لا يستقيم على وجه واحد، بل يخلط، فيحسن تارةً ويُسِيءُ أخرى» ا.ه لسان، ومثله في التاج [غمّج].

ومعنى البيت إنما الفتى من يتحلّى دائماً بالأوصاف الجميلة ويتخلّى أبداً عن كلّ دناءة وخصلة رذيلة، لا من يُحسن طوراً ويُسِيءُ آخر، ويستقيم مرّةً ويروغُ أخرى، فهذا بالذمّ أولى وأحرى.

(١) هو أبو عبد الله جعفر، أحد الأئمة الاثني عشر، توفي ١٤٨ هـ.

(٢) هو الفضيل بن عياض الزاهد المشهور، توفي ١٨٧ هـ.

(٣) هو أحمد بن حنبل، إمام المحدثين، توفي ٢٤١ هـ.

(٤) لعله أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي الفقيه الشافعي، توفي ٣٨٧ هـ.

(٥) هو أبو القاسم بن محمد بن الجنيدي الزاهد المشهور، توفي ٢٩٧ هـ.

وقوله: «من الصبيان» يريد أن الفتوة ليست مختصة بالشبان، بل تكون في الشيوخ والكهول والهرمى كما تكون في أولئك، والعلم عند الله.

وقوله في تفسير «الغملج»: «شاطراً»، قال في اللسان: «شَطَرَ عن أهله شَطوراً وشُطورةً وشَطارةً إذا نَزَحَ عنهم [أي بَعَدَ] وترَكهم مُراغماً أو مخالِفاً، وأَعْيَاهم [أي أَعَجَزَهُم] حُبناً، والشاطر مأخوذٌ منه، وأراه مولداً، وقد شَطَرَ شَطوراً وشَطارةً، وهو الذي أَعْيَا أهله ومؤدبه حُبناً» ١. ه لسان [شطر]. وبأبه قَتَلَ كما في المصباح.

وفي المصباح [علو]: «العليا خلاف السفلى، وجمعها على، مثل كُبرى وكُبر» ١. ه منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه: ٢٠ / ١-٢﴾ أي «لتتعب بها فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل، أي خفف عن نفسك»، «وقيل: «لتشقى»: لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر، وقيل: رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته: إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به».

﴿إلا﴾: لكن أنزلناه، الاستثناء منقطع، ولذلك فُسر «إلا» بـ«لكن»، لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء.

﴿نذكرة﴾ به ﴿لَمَنْ يَحْشَى﴾ [طه: ٣ / ٢٠] يخاف الله ويتأثر بالمواعظ لرقّة قلبه، ﴿تَنْزِيلاً﴾ الأصل نزله تنزيلاً، فحذف الفعل وجوباً لنيابة المصدر عنه في المعنى والعمل. ﴿مَمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤ / ٢٠] جمع علياً ككُبرى وكُبر، ١. ه من حاشية أحمد الصاوي على الجلالين مع عبارة الجلالين [٤١٨/٢-٤١٩].

وكذا قوله تعالى في سورة طه [٧٤ / ٢٠] أيضاً: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾، أي كافراً كفرعون». كذا في الجلالين [٤٣٤ / ٢]، وفي الحاشية المذكورة: «بأن يموت على كفره، ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴿فَيَسْتَرِيحَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ وَلَا يَحْيَى ﴿أَي حَيَاةً تَنْفَعُهُ بَأَن تَكُونَ هَنِيئَةً مَرِيَّةً،
 ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ [طه: ٢٠/٧٥] الفرائض والنوافل، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ
 الدَّرَجَاتُ العُلَى﴾، جمعُ عُلْيَا مؤنثُ أَعْلَى انتهى من الجلالين مع حاشية الصاوي عليه
 .[٢/٤٣٣-٤٣٤].

«جَارَ عَلَيْهِم»، جَارَ: فعل ماضٍ من الجور، وهو الظلم، وهو نقيض العدل، يقال:
 جَارَ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ، أَي ظَلَمَهُ، وَهُم جَوْرَةٌ وَجَارَةٌ، أَي ظَلَمْتُهُ، وَالْجَوْرُ: الْمَيْلُ، وَكُلُّ مَا مَالَ
 فَقَدْ جَارَ، كَذَا فِي التَّاجِ [جور].

وَفِي الْأَسَاسِ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَوْرِ وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَقَوْمٌ جَارَةٌ وَجَوْرَةٌ،
 وَجَوْرُهُ نَقِيضُ عَدْلِهِ، وَجَارَ عَلَيْهِمْ وَجَارَ عَنِ الْقَصْدِ، وَطَعَنَهُ فَجَوَّرَهُ، وَهُوَ مِنَ الْجَوْرِ:
 الْمَيْلُ»، ١. هـ من الأساس [جور].

وَفِي التَّاجِ: «الْجَوْرُ ضِدُّ الْقَصْدِ وَالْجَائِرُ، وَفِي حَدِيثِ مِيقَاتِ الْحَجِّ: «وَهُوَ جَوْرٌ عَنِ
 طَرِيقِنَا» [البخاري: ١٥٣١]، أَي مَائِلٌ عَنْهُ لَيْسَ عَلَى جَادَّتِهِ، مِنْ جَارَ يَجْوِرُ، إِذَا ضَلَّ وَمَالَ،
 وَقَوْمٌ جَوْرَةٌ مُحَرَّكَةٌ، وَتَصْحِيحُهُ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ، وَجَارَةٌ مِنْ بَابِ قَاذَةٍ، وَضَرَبَهُ فَجَوَّرَهُ،
 أَي صَرَعَهُ كَكَوَّرَهُ فَتَجَوَّرَ أَي انْصَرَعَ وَسَقَطَ، وَجَوَّرَهُ: نَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ، وَجَوَّرَ الْبِنَاءَ وَالْخِبَاءَ
 وَغَيْرَهُمَا أَي صَرَعَهُ وَقَلَبَهُ وَقَوَّضَهُ فَتَجَوَّرَ، أَي تَهَدَّمَ وَانْقَلَبَ وَتَقَوَّضَ» ١. هـ تاج [جور].

وَقَوْلُهُ: «ضِدُّ الْقَصْدِ» قَالَ: «الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ
 السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩/١٦] أَي تَبَيَّنُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ وَالدَّعَاءُ إِلَيْهِ بِالْحُجْجِ وَالْبِرَاهِينِ
 الْوَاضِحَةِ، ﴿وَمِنْهَا جَاوِرٌ﴾، أَي وَمِنْهَا طَرِيقٌ غَيْرُ قَاصِدٍ، وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ،
 كَأَنَّهُ يَقْصِدُ الْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَمُّ السَّالِكُ لَا يَعْدِلُ عَنْهُ [أَي لَا يَمِيلُ وَلَا يَحِيدُ]، فَهُوَ كَنَهْرٍ جَارٍ،
 وَأُورِدَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْأَسَاسِ مِنَ الْمَجَازِ» ١. هـ تاج [قصد].

وفيه: «القاصدُ: القريب، وفي التنزيل: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢/٩]، أي غير شاق ولا مُتناهِي البُعد، وفي الحديث: «عليكم هَدْيًا قاصدًا»، أي طريقاً مُعتدلاً، وَبَيْنَنَا لَيْلَةٌ قاصدةٌ، أي هَيْئَةُ السَّيرِ، لا تعبَ ولا بَطْءَ، وليالٍ قَواصِدُ» ا.هـ تاج [قصد].
ومثله في اللسان، وفي اللسان أيضاً: «والقَصْدُ: العَدْلُ، قال أبو اللِّحَّامِ التَّغْلِبِيُّ وَيُرْوَى لعبد الرحمن بن الحكم، والأوَّلُ الصحيحُ:

على الحُكْمِ المَأْتِي يوماً إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ
قال الأَخْفَشُ: أراد: وينبغي أن يَقْصِدَ، فَلَمَّا حَذَفَهُ وَأَوْقَعَ «يَقْصِدُ» مَوْقِعَ «ينبغي» رَفَعَهُ لوقوعه مَوْقِعَ المرفوع، وقال الفَرَّاءُ: رَفَعَهُ للمخالفة؛ لأنَّ معناه مَخَالَفَ لَمَّا قَبْلَهُ، فَخَوْلَفَ بَيْنَهُمَا فِي الإِعْرَابِ، قال ابن بري: معناه: على الحُكْمِ المَرْضِيِّ بِحُكْمِهِ المَأْتِي إِلَيْهِ لِحُكْمِ أَنْ لَا يَجُورَ فِي حُكْمِهِ، بل يَقْصِدُ، أَي يَعْدُلُ، ولهذا رَفَعَهُ ولم ينصبه عطفاً على قوله: «أَنْ لَا يَجُورَ» لفساد المعنى، لأنَّه يصير التقدير: عليه أَنْ لَا يَجُورَ وعليه أَنْ لَا يَقْصِدَ، وليس المعنى على ذلك، بل المعنى: وينبغي أَنْ يَقْصِدَ، وهو خبرٌ بمعنى الأمر، أَي: وليَقْصِدَ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣/٢]، أَي: لِيُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ» ا.هـ لسان من مادة (ق ص د).

فِيؤْخَذُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الجُورَ يُسْتَعْمَلُ بِمعنى الظُّلمِ وبمعنى الميل على وجه الحقيقة في كليهما، كما يُؤْخَذُ مِنَ الأساس، والعَدْلُ نَقِيضُهُ فِي أَحَدِ معنِيهِ، ونظيره فِي أَحَدِ معنِيهِ، فيقال: جَارَ فِي القَضِيَّةِ، نَقِيضُ «عَدَلَ فِيهَا»، وَجَارَ عَنِ الطَّرِيقِ: مَالَ وَحَادَ، مِثْلُ عَدَلَ عَنْهُ، وَالظُّلْمُ: الحُكْمُ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ الجُورُ، والعَدْلُ: الحُكْمُ بِالْحَقِّ، وَهُوَ الإِنصَافُ.

قال في اللسان: «يُقَالُ: أَنْصَفَ الرَّجُلُ إِذَا أَعْطَى الحَقَّ وَأَخَذَ الحَقَّ، وَيُقَالُ: أَنْصَفَ أَي: عَدَلَ» ا.هـ لسان [نصف]. وفي المصباح: «أَنْصَفَهُ: عَامَلَهُ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ»، وفيه «قَسَطَ

قَسَطًا من باب صَرَبَ وقُسُوطًا: جَارَ وعدَلَ أيضاً، فهو من الأضداد، قال ابن القطاع: وأقسط بالالف: عدل، والاسم القسط بالكسر، والقسط: النصب، والجمع أقساط، مثل حمل وأحمال، وقسط الخراج تقسيطاً إذا جعله أجزاء معلومة، والقسط بالضم: بخور معروف، قال ابن فارس: عربي، والقسطاس: الميزان، قيل: عربي مأخوذ من القسط، وهو العدل، وقيل: رومي معرب، بضم القاف وكسرهما، وقريئ بهما في السبعة، والجمع قساطيس^١ مصباح [قسط].

وفي المختار: «القُسط: الجور والعدول عن الحق، وبأبه جلس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ٧٢/١٥]، والقسط بالكسر: العدل، وفعله أقسط إقساطاً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢/٥]، والقسط أيضاً: الحصة والنصيب، يقال: تقسطن الشيء بيننا^١ اه مختار [قسط].

وفي اللسان: «جاء «قسط» بغير ألف في معنى عدل أيضاً، ففي العدل لغتان قسط وأقسط، وفي الجور لغة واحدة، وهي قسط بغير ألف، ومصدره القُسط، وفي حديث علي كرم الله وجهه ورضي عنه: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»، فالناكثون: أهل الجمل لأنهم نكثوا بيعتهم، والقاسطون: أهل صفين، لأنهم جازوا في الحكم وبعوا عليه، والمارقون: الخوارج، لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية^١ اه لسان [قسط].
فمعنى «جار عليهم» ظلمهم وطلب أذاهم وبعى عليهم واستطال عليهم وسعى بإفساد أحوالهم وتشتيت أمورهم.

قال في المصباح [بغى]: «بغى: ظلم واعتدى، وبغى: سعى بالفساد»، وقال: «استطال عليه: قهره وغلبه». وفي المختار: «البغى: التعدي، وبغى عليه: استطال، وبأبه رمى، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغى»، وفيه: «استطال عليه: تطاول عليه، وقد يكون بمعنى طال».

وفي الأساس [طول]: «تَطَاوَلَ عَلَى النَّاسِ وَاسْتَطَالَ، وَلَهُ عَلَيْهِمْ تَطَاوُلٌ وَاسْتِطَالَةٌ، وَتَطَاوَلَ اللَّيْلُ: طَالَ»، فَصَارَ «تَطَاوَلَ» أَيْضاً يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى طَالَ كَاسْتِطَالَ فِيمَا تَقَدَّمَ. قَالَ:

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الدُّبَّيْلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَاَنْزِلِ
الدُّبَّيْلَ كَرُّعٍ جَمْعُ ذَابِلٍ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «ذَبَّلَ الْفَرَسُ: ضَمَّرَ وَضَمَرَ كَقَعَدَ ضُمُوراً، وَضَمَّرَ ضُمُوراً كَقَرَّبَ قُرْباً: دَقَّ وَقَلَّ لِحْمُهُ، وَالْيَعْمَلَاتُ: النَّيَاقُ، وَيُقَالُ: تَطَاوَلَ إِذَا تَمَدَّدَ قَائِماً لِيَنْظَرَ إِلَى بَعِيدٍ»، وَعِبَارَةٌ غَيْرُهُ «قَامَ عَلَى أَصْبَاعِ رِجْلَيْهِ وَمَدَّ قَوَامَهُ لِيَنْظَرَ إِلَى الشَّيْءِ وَغَيْرِهِ مَدَّ عُنُقَهُ يَنْظُرُ إِلَى الشَّيْءِ يَبْعُدُ عَنْهُ، قَالَ:

تَطَاوَلْتُ كَمَا يَبْدُو الْحَصِيرُ فَمَا بَدَا لِعَيْنِي وَيَا لَيْتَ الْحَصِيرَ بَدَا لِيَا
وَمِثْلُ تَطَاوَلَ هَذَا الْمَعْنَى تَطَالَ، وَالْأَوَّلُ مِنَ الطَّوْلِ وَالثَّانِي مِنَ الطَّلْلِ، وَهُوَ مَا شَخَّصَ، أَيَّ ظَهَرَ وَارْتَفَعَ مِنَ الشَّيْءِ، وَالطَّلُّ: مَا شَخَّصَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ مَا كَانَ لاصِقاً بِالْأَرْضِ»، كَذَا فِي التَّاجِ [طَوَّل]. وَتُسْتَعْمَلُ الْاسْتِطَالَةُ وَالتَّطَاوُلُ بِمَعْنَى التَّفَضُّلِ وَرُؤْيَةِ الْمَزِيَّةِ عَلَى الْغَيْرِ وَالْاسْتِعْلَاءِ بِالْفَضْلِ، مِنَ الطَّوْلِ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْفَضْلُ، وَرَبَّماً اسْتَعْمَلَا بِمَعْنَى التَّكَبُّرِ وَوُضْعاً مَوْضِعَهُ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ [طَوَّل].

قَوْلُهُ: «صَرَفُ دَهْرٍ»، فِي التَّاجِ [صَرَف]: «الصَّرْفُ مِنَ الدَّهْرِ: حَدَثَانُهُ وَنَوَائِبُهُ لِأَنَّهُ يَصْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَنْ وُجُوهِهَا، وَالصَّرْفُ أَيْضاً اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُمَا صَرَفَانِ بِالْفَتْحِ، وَيُكْسَرُ»، وَمِثْلُهُ الصَّرْعَانِ بِالْكَسْرِ كَمَا فِي مَادَّةِ (ص ر ع).

وَمِثْلُهُ فِي اللِّسَانِ، قَالَ: «الصَّرْفُ: حَدَثَانُ الدَّهْرِ، اسْمٌ لَهُ لِأَنَّهُ يَصْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَنْ وُجُوهِهَا، فَإِنَّ أَصْلَ الصَّرْفِ مَصْدَرٌ صَرَفَ الشَّيْءَ يَصْرِفُهُ أَيَّ رَدَّهُ عَنْ وَجْهِهِ وَنَوَاهٍ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَقَوْلُ صَخْرٍ الْغَيِّ: [أَشْعَارُ الْهَذَلِيِّينَ ٢٥٤]

عَاوَدَنِي حُبُّهَا وَقَدْ شَحَطْتُ صَرَفُ نَوَاهٍ فَاِنِّي كَمَدُّ

أَنْتَ الصَّرْفَ لِتَعْلِيْقِهِ بِالنَّوَى، وَجَمْعُهُ صُرُوفٌ. ا.هـ. لِسَانِ [شَحَط].

وَقَوْلُهُ: «شَحَطْتُ» بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا، أَيَّ نَأْتُ وَبَعُدْتُ، قَالَ فِي التَّاجِ: «شَحَطَ الْمَزَارُ

كَمَنَعَ شَحَطًا وَشَحَطًا بِالْفَتْحِ وَبِالتَّحْرِيكِ وَشُحُوطًا وَمَشْحَطًا كَمَطْلَبٍ كَشَحِطٍ شَحَطًا
كَفَرِحَ فَرِحًا» ١.هـ تاج [شحط]. وفي المصباح [صرف]: «صَرَفُ الدَّهْرِ: حَادِثُهُ، وَالْجَمْعُ
صُرُوفٌ، كَفَلَسَ وَفُلَّوسٌ» ١.هـ وفي المختار: «صَرَفُ الدَّهْرِ: حَدَثَانُهُ وَنَوَائِبُهُ» ١.هـ.

وقولهم: الحَدَثَانُ فِي تَفْسِيرِ الصَّرْفِ هُوَ بِفَتْحَاتٍ عَلَى صِيغَةٍ مِثْلَى حَدَثٍ بِالتَّحْرِيكِ،
إِلَّا أَنْ إِعْرَابَهُ بِالْحَرَكَاتِ عَلَى النُّونِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ مُضْبُوطًا بِكسْرِ
فَسُكُونِ حَدَثَانٍ، وَهُوَ سَهْوٌ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي هَامِشِ لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَةِ (حَدَث).

قال في المختار [حدث]: «الْحَدَثُ بِفَتْحَتَيْنِ، وَالْحَدَثِيُّ بِوِزْنِ الْكُبْرِيِّ، وَالْحَادِثَةُ وَالْحَدَثَانُ
بِفَتْحَتَيْنِ، كُلُّهُ بِمَعْنَى» ١.هـ. وفي التاج: «الْحَدَثَانُ: صُرُوفُ الدَّهْرِ وَنَوَائِبُهُ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا،
وَهِيَ النَّوَازِلُ وَالْمَصَائِبُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ وَتَصِيبُهُمْ» حَمَانَا اللَّهُ مِنْهَا.

و«اعْتَدَى»: جَارَ وَظَلَمَ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «عَدَا عَلَيْهِ يَعْدُو عَدْوًا وَعَدَاءً وَعُدْوًا
وَعُدْوَانًا وَعِدْوَانًا وَعُدْوَى وَتَعَدَّى تَعَدِّيًّا، وَاعْتَدَى اعْتِدَاءً، كُلُّهُ بِمَعْنَى ظَلَمَ وَجَارَ، وَأَصْلُ
العَدَاءِ تَجَاوَزَ الحَدِّ، وَمِثْلُهُ التَّعَدَّى وَالِاعْتِدَاءُ، قَالَ: يُقَالُ تَعَدَّيْتُ الحَقَّ وَاعْتَدَيْتُهُ وَعَدَوْتُهُ أَي
جَاوَزْتُهُ، وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ: اعْتَدَى فُلَانٌ عَنِ الحَقِّ وَاعْتَدَى فَوْقَ الحَقِّ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ جَاوَزَ عَنِ
الحَقِّ إِلَى الظُّلْمِ» ١.هـ من اللسان [عدا].

يقول: لَسْتُ بِأَوَّلَ مَنْ بَهَظَّتْهُ النُّوَازِلُ وَفَدَحَّتْهُ الخُطُوبُ وَأَكْرَثَّتْهُ الحَوَادِثُ وَتَوَالَتْ
عَلَيْهِ الصُّرُوفُ الكَوَارِثُ، بَلْ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَافِ المِصَابِينِ وَالسَّادَاتِ المِتْحَمِلِينَ هَوَاهَا
وَالوَجُوهِ الصَّابِرِينَ عَلَى أَثْقَالِ المِهْمَاتِ المَرْمِيَّةِ بِالرِّزَايَا الحَامِلِينَ لَهَا، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ أَنْ
تَكُونَ البَلَايَا مَقْسُومَةً بَيْنَ الْعِبَادِ عَلَى وَفْقِ مَا اسْتَعَدُّوا لَهُ، فَمَنْ كَانَ مُسْتَعَدًّا لِنَيْلِ الرُّتَبِ
العَالِيَةِ وَمَتَأَهَّلًا لِلشُّؤُونِ العَظِيمَةِ وَمَتَرَشَّحًا لِلْأُمُورِ الخَطِيرَةِ الرَفِيعَةِ كَانَ أَوْفَرَ نَصِيبًا مِنَ
المِصَابِ، وَمَنْ كَانَ بِالْعَكْسِ كَانَ بِالْعَكْسِ، فَعَلَى قَدْرِ التَّخَلِّيِّ مِنَ المَعَايِبِ يَكُونُ نَزْوُلُ
البَلَايَا وَالْمِصَابِ، فَلَسْتُ حِينَئِذٍ بِيَدَعٍ إِذَا جَارَ عَلَيَّ صَرَفُ الدَّهْرِ وَاعْتَدَى، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَجْعَلَنَا مِنَ المُنْعَمِ عَلَيْهِمُ المَحْسِنِ إِلَيْهِمْ، وَيُلْهِمَنَا الصَّبْرَ الحُكْمَةَ وَالرِّضَى بِقَضَائِهِ وَقَدْرَهُ.

٤٠- فَإِنْ أَنَا لَتْنِي الْمَقَادِيرُ الَّذِي أَكْبَدُهُ لَمْ أَلْ فِي رَأْبِ الثَّأْيِ

«أَنَا لَتْنِي» من أَنَال، متعدّي نال الرجل الأمر يناله، أي أصابه ووجده ووصل إليه، وَأَنَا لَهُ إِيَّاهُ: أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَظْفَرَهُ بِهِ، قال في المصباح: «نال من عدوّه ينال، من باب تَعَبَ نَيْلًا: بلغ منه مقصوده، ومنه قيل: نال من امرأته ما أراد، ونال من مطلوبه، ويتعدّى بالهمزة إلى اثنين، فيقال: أُنْتُ زيداَ مطلوبه فنالَه زيدٌ، فهو أي زيدٌ نائلٌ أي بالغٌ مُرَادَه، وذلك أي الشيء المدرك الذي حصّله زيدٌ مَنِيْلٌ، فَعِيْلٌ بمعنى مفعول، لأن أصله مَنِيُولٌ، فَأَعْلٌ إِعْلَالٌ مَبِيْعٌ» ١.هـ ببعض زيادة توضيح [نيل].

وقوله: «من باب تَعَبَ» أي كقولهم: خاف الفرسُ يَخِيفُ خَيْفًا بالتحريك وهو أي الخَيْفُ أن تكون إحدى العينين من الفرس زرقاء والأخرى كحلاء، فالفرس أَخِيْفٌ «والناسُ أَخِيْفٌ، أي مختلفون، ومنه قيل لإخوة الأُمِّ: أَخِيْفٌ لاختلافهم في نسب الآباء» كذا في المصباح [خيف]. والأصلُ في كلِّ منهما نَيْلٌ كَعَلِمَ يَنْيِلُ كَيْعَلِمُ، وَخَيْفَ يَخْيِفُ، والإعْلَالُ معلومٌ، وفي المختار [خيف]: «نال خيراَ أي أصاب، وأصله نَيْلٌ يَنْيِلُ كَفَهْمَ يَفْهَمُ، والأمرُ نَلٌ بفتح النون، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون» ١.هـ.

وهو يائيٌّ، وأما الواوِيُّ فهو بمعنى آخر، قال في المصباح [نول]: «نَوَّلْتُهُ المَالَ تَنْوِيْلًا، أي أعطيته إيَّاهُ، والاسمُ النَّوَالُ، ونُلتُ بالعطيّة أنوُلُ له نَوَالًا، من باب مَالٍ، ونُلتُهُ العطيّة أيضًا كذلك» ١.هـ.

وفي المختار [نول]: «النَّوَالُ: العطاءُ، والنائلُ مثله، يقال: نالَ له بالعطيّة من باب قال، ونالَه إيَّاهُ ونَوَّلَه تَنْوِيْلًا: أعطاه نَوَالًا، وناولَه الشيءَ فتناوَلَه» ١.هـ مختار.

فمعنى ناله يناله ظفر به، ومعنى ناله يُنَوِّلُهُ أعطاه كما ظهرَ ممَّا تقدّم، فنالَ الشيءَ ظَفَرَ به وأدركه ووصلَ إليه وبلغه وفازَ به، وقولهم في تفسير نال: أي أصاب، هي كلمةٌ تُستعملُ في عدّة معانٍ، فيقال: أصاب السهمُ الهدفَ، أي الغرضَ والقُرطاسَ، وهو ما يسدُّ السهمَ

نحوه، أي وصل إليه، وفيه لغتان أخريان، وهما صابه يَصُوبُه من باب قال، وصابه يَصِيبُه من باب باع، أي وصل إلى الغرض ولم يُخطئ، وأصاب رأئ فلان: وافق الصواب وصادفه، فهو مُصِيبٌ، وأصاب زيد الشيءَ أرادَه، ومنه قولهم: أصاب الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ، أي: أرادَ الصوابَ فلم يَهتدِ إلى الجوابِ، وأصاب في قوله وفعله ضدُّ أخطأَ، والاسمُ منه الصوابُ ضدُّ الخطأَ، والصَّوبُ كَفَلَسَ لغةٌ فيه، وأصابَ زيداً أمرٌ: حلَّ به ونزلَ عليه وأدركَه، ومنه يقال: أصابه من قول الناس ما أصابه، ومنه المصيبةُ وهي الشدَّةُ النازلةُ، ويقال: أصابَ بُغيتهُ أي أدركَ حاجتهُ وبلغَ مطلوبه وفازَ به وناله. اهـ المصباح [صوب] بزيادة إيضاح.

والمرادُ من معاني «أصابَ» الواقعة في تفسير «نال» المعنى الأخيرُ، فمعنى ناله وأصابه، أي وجدَه وأخذَه وصادفه، وحازَه، وألفاه، وحواه، وكلُّها مترادفاتٌ معانيها متَّحدةٌ، وألفاظها مختلفاتٌ، أتيتُ بها ليتقوى ظهورُ المعاني، ويكتسبَ بأنواعٍ مختلفةٍ من حُللِ المباني، فيبرزَ في معرضِ الوضوح، ولا يُجوجَ الناظرُ فيه إلى السَّيرِ في طريقِ التدقيقِ والتحقيقِ، فربَّما أداه إلى الإعياءِ والكلالِ، إن لم يعثره السَّأمُ والمألُ، والعلمُ لله وحده، جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

«المقاديرُ»: جمعُ مقدار، قال في لسان العرب: «القَدْرُ والمِقْدَارُ: مَبْلَغُ الشَّيْءِ» ونصُّه: «قَدْرُ الشَّيْءِ ومقداره: مَبْلَغُه، والمِقْدَارُ أيضاً: الموتُ، قال اللَّيْثُ: المِقْدَارُ اسمُ القَدْرِ، قال: والقَدْرُ والقَدْرُ يكونان بمعنى واحد، إذا بلغَ العبدُ المِقْدَارَ ماتَ، وأنشد:

لو كان خَلْفَكَ أو أَمَامَكَ هائِباً
بَشِراً سِوَاكَ لَهَابَكَ المِقْدَارُ
يعني الموتَ، والمِقْدَارُ أيضاً الهِنْدازُ، تقول: ينزلُ المطرُ بمِقْدَارِ، أي بقَدْرِ وقَدَرِ، وهو مَبْلَغُ الشَّيْءِ» اهـ لسان [قدر]. وفي المصباح: «هم قَدْرٌ مائةٍ وقَدْرٌ مائةٍ، وأخذَ بقَدْرِ حَقِّه وبقَدَرِه أي بمِقْدَارِه، وهو ما يساويه، وقرأَ بقَدْرِ الفاتحةِ وبقَدَرِها وبقَدَرِها» اهـ. وفي

التاج: «القدر: مَبْلَغُ الشَّيْءِ، وَيُضَمُّ كَالْمِقْدَارِ، وَأَيْضاً مِقْدَارُ كُلِّ شَيْءٍ: مِقْيَاسُهُ، وَالْمِقْدَارُ أَيْضاً الْهِنْدَاذُ، وَالْمِقْدَارُ أَيْضاً: الْمَوْتُ، وَجَمْعُهُ مَقَادِيرٌ» ا.هـ تاج [قدر].

والمراد بالمقادير في البيت التقديرات الإلهية، ولم يُصرح بهذا المعنى إلا الزمخشري، فإنه قال: «والأُمُورُ تُجْرَى بِقَدَرِ اللَّهِ وَمِقْدَارِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَأَقْدَارِهِ وَمَقَادِيرِهِ»، ا.هـ من الأساس، وهو واضح جداً.

قولهم في تفسير المقدار: هِنْدَاذٌ، الْهِنْدَاذُ مَعْرَبٌ، وَأَصْلُهُ بِالْفَارْسِيَّةِ أَنْدَازُهُ، وَهُوَ بِالْكَسْرِ، وَمَعْنَاهُ الْحُدُّ، يُقَالُ: أَعْطَاهُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا هِنْدَاذٍ، وَمِنْهُ الْمُهَنْدِزُ، وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ مَجَارِيَ الْقُنْيِيِّ وَالْأَبْنِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ صَيَّرُوا الزَّاي سِيناً فَقَالُوا: مُهَنْدِسٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ زَائٍ قَبْلَهَا دَالٌ، وَإِنَّمَا كَسَرُوا أَوَّلَ الْهِنْدَاذِ مَعَ أَنَّهُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الْمَنْقُولِ عَنْهَا أَنْدَازُهُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ لِعِزَّةِ بِنَاءِ فَعْلَالٍ بِالْفَتْحِ وَقَلَّتْ فِي غَيْرِ الْمَضَاعِفِ.

والهندازة بالكسر: اسمٌ للذراع الذي تُذْرَعُ بِهِ الثِيَابُ وَنَحْوُهَا، وَهُوَ أَيْضاً أَعْجَمِيٌّ مَعْرَبٌ، وَرَجُلٌ هِنْدَوُزٌ كَفِرْدَوْسٌ: جَيِّدُ النَّظَرِ صَحِيحُهُ مَجْرَبٌ، وَهُمْ هِنَادِرَةٌ هَذَا الْأَمْرُ أَي الْعِلْمَاءُ بِهِ» ا.هـ من التاج واللسان [هندز].

فالمراد بالمقادير في البيت الأحكام الإلهية التي تجري الأمور على حسب مقتضاها، فإن مفرداً مقدار، وهو هنا بمعنى القدر، «والقدر تقدير الله، وتقدير الله الأمور على نوعين:

أحدهما: بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا إما وجوباً وإما إمكاناً، وعلى ذلك

قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَدَجَعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٦٥/٣].

والثاني: بإعطاء القدرة عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣/٨٧]، أي أعطى كل شيء ما فيه مصلحته وهداه لما فيه خلاص، إما بالتسخير وإما بالتعليم، كما قال:

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠/٢٠]، كذا في التاج [قدر]، والمراد هنا من النوعين الأول.

وقد يكون الخلق بمعنى التقدير، قال في اللسان: «خَلَقَ الْأَدِيمَ أَي الْجِلْدَ يُخْلَقُهُ خَلْقًا: قَدَرَهُ لَمَا يَرِيدُ قَبْلَ الْقَطْعِ، وَقَاسَهُ لِيَقْطَعَ مِنْهُ مَزَادَةً أَوْ قَرِيبَةً أَوْ حُفًّا، قَالَ زَهْرٌ يَمْدَحُ رَجُلًا: [ديوانه ٨٢]

ولأنت تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبِعَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي يقول: أنت إذا قَدَّرتَ أَمْرًا قَطَعْتَهُ وَأَمْضَيْتَهُ، وَغَيْرُكَ يُقَدِّرُ مَا لَا يَقْطَعُهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِبَاضِي الْعِزْمِ، وَأَنْتَ مَضَاءٌ عَلَى مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ» ا.هـ لسان [خلق]. وليس هذا مراداً، والتقدير على وجوه من المعاني:

أحدها: التَّروِيَةُ والتفكير في تسوية أمر وتهيئته بحسب نظر العقل وبناء الأمر عليه، وذلك محمودٌ. والثاني: بعلامات يقطعُه عليها. والثالث: أَنْ تَنْوِي أَمْرًا بِعَقْدِكَ، تقول: قَدَّرْتُ أَمْرًا كَذَا وَكَذَا، أَي نَوَيْتُهُ وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ.

وقال بعضهم بعد الأول ما نصُّه: والثاني: أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ التَّهْيِئَةِ وَالشَّهْوَةِ قَالَ: وَذَلِكَ مَذْمُومٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُلَّ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨-١٩]، وقال: كلاهما من الإنسان، وقال: وَأَمَّا تَقْدِيرُ اللَّهِ لِلْأُمُورِ فَعَلَى نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بِالْحُكْمِ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ كَذَا أَوْ لَا يَكُونَ كَذَا إِمَّا وَجُوبًا أَوْ إِمْكَانًا...» إلخ ما تقدّم، وكلُّ هذا عن تاج العروس من مادة (ق د ر). فتقديرُ الله هو ما سبق في علمه سبحانه وتعالى أنه يقع أو لا يقع، ويحصل أو لا ويكون أو لا.

وقال في اللسان والتاج في مادة (ق ض ي) في معنى القدر الذي استعمل المقدار هنا بمعناه ما رُبما يزداد به المعنى وضوحاً لديك، ونصُّها: «أصل القضاء: القطع والفصل، يقال: قضى أي حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق، وقال الزهرري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكلُّ ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي أداءً أو أوجب أو أعلم، أو أنفذ أو أمضي فقد

قُضِي، قال: وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث، ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ٤١/١٢]، أي خلقهن، فالقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما وهو القدر بمنزلة الأساس، والآخر وهو القضاء بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

وقال أيضاً: والقضاء: الحُتْمُ والأمرُ، وقضى أي حكم، ومنه القضاء والقدر اهـ من اللسان بلا زيادة ولا نقصان، ومثله في التاج [قضي]. فقضاء الله سبحانه وتعالى للأمر يكون بعد تقديره؛ لأنه على ما يفهم مما تقدم يكون أي القضاء بمعنى الخلق والإيجاد، والتقدير بمعنى سبق العلم الإلهي بحال الأشياء وجوداً وعدماً ووجوباً وإمكاناً وجوازاً واستحالة، والله أعلم.

وقال أبو البقاء في «الكليات» في صحيفة (٢٨١) بعد كلام طويل لم أفهم أكثره ما نصه: «والنفضيل أن القضاء هو الحُكْمُ الكليّ الإجماليّ على أعيان الموجودات بأحوالها من الأزل إلى الأبد، مثل الحكم بأن كل نفس ذائقة الموت، والقدر هو تفصيل هذا الحكم بتعيين الأسباب وتخصيص إيجاد الأعيان بأوقات وأزمان بحسب قابليّاتها واستعداداتها المقتضية للوقوع منها، وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معيّن وسبب مخصوص، مثل الحكم بموت زيد في اليوم الفلاني بالمرض الفلاني» اهـ.

فإن أردت زيادة الاطلاع فعليك بالكليات التي نقلت منها هذا التفصيل المتقدم، فقد أطلّ أبو البقاء البحث في بيان هاتين اللفظتين، أعني القضاء والقدر، وأشبع الكلام عليهما، وأما أنا فقد أُلجأت في ضيق المجال إلى الرجوع إلى ما أنا بصدده، على أي قد أطلت رجاء الوقوف على الحقيقة، أطلعنا الله عليها من كل موضوع.

«أَكِيدُهُ»، مضارع «كاد» التي بمعنى «طَلَبَ» و«أَرَادَ»، قال في اللسان [كيد]: «يقال:

فلان يَكِيدُ أمراً ما أدري ما هو، إذا كان يُرِيغُهُ ويحتال له ويسعى له ويَحْتَلُهُ، يقال: بلغ الأمر الذي كاده، أي أرادَه أو طلبَه» ا.هـ. وفي التاج: «الكَيْدُ: الحِيْلَةُ، قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠/٢٠]، وقوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥/١٢]، أي يَحْتَالُوا احتيالاً، وفلانٌ يَكِيدُ أمراً أي يُرِيغُهُ ويحتال له ويسعى له ويَحْتَلُهُ، وكلُّ شيءٍ تُعَالِجُهُ، [أي تُمَارِسُهُ وتُزَاوِلُهُ وتُعَانِيهِ وتَعْمَلُ بِهِ] فَأَنْتَ تَكِيدُهُ» ا.هـ.

ومعنى «تُرِيغُهُ» تَطْلُبُهُ وتريده، «يقال: أَرَاغُ الشيءَ وَأَلَاصُهُ وَأَنَاصُهُ بالنون بدل اللام أي طلبه، ويقال: فلان يُرِيغُنِي على الأمر وعنه، أي يُرَاوِدُنِي ويطلبه مني، ومنه حديث قيس: «خَرَجْتُ أُرِيغُ بَعيراً شَرَدَ مِنِّي» أي أَطْلُبُهُ بكلِّ طريق، قال: ومنه رَوَّغَانُ الثعلب، وهو مَيْلُهُ وَحَيْدُودَتُهُ وَرِيغَانُهُ عن الطريق مَكراً منه وَخِدَاعاً، ويقال: أَرَاغَهُ أَيضاً أي خَادَعَهُ، وكذلك رَاوَعَهُ، تقول: ما زِلْتُ أَرَاوَعُهُ عن كذا وَأَرَاوِدُهُ، ومنه الرُّوَيْغَةُ كَجُهَيْنَةَ، وهي الحِيْلَةُ، يقال: أَخَذْتَنِي بِالرُّوَيْغَةِ، وهي من الرُّوُغِ بِالْفَتْحِ وهو المَيْلُ وَالانْحِرَافُ فِي اسْتِخْفَاءٍ. وقال الراغب: أَصْلُ معنى الرُّوُغِ: المَيْلُ فِي جَانِبٍ لِيَخْدَعَ مَنْ خَلْفَهُ، وهو مصدر رَاغَ، ومثله الرُّوَّغَانُ بِالْتَحْرِيكِ، وَالاسْمُ الرُّوَّاعُ كَسَحَابٍ، وَالرُّوَّاعُ كَشَدَّادٍ: الثعلب» ا.هـ. تاج [روغ].

وقوله في تفسير يَكِيدُهُ: يَحْتَالُ لَهُ، معنى «يحتال» ظاهرٌ، وهو من الاحتِيَالِ، وهو الحِدْقُ وَجَوْدَةُ النَّظَرِ وَالْقَدْرَةُ عَلَى دَقَّةِ التَّصَرُّفِ، وفي المصباح: «الحِدْقُ بتدبير الأمور، وهو تَقْلِيْبُ الفِكرِ حَتَّى يَهْتَدِيَ إِلَى المَقْصُودِ».

«وقال أبو البقاء: الحِيْلَةُ من التَّحْوِيلِ، لَأَنَّهَا يَتَحَوَّلُ أَي يَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ بنوع تدبيرٍ وَطُفٍّ، وقيل: الحِيْلَةُ من الحَوَالِ، لَكِنَّ قُلُبْتَ الوَاوِ يَاءً لِانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا، ومنه قيل للرجل الدَّاهِي: حُوِّلَ» ا.هـ. تاج [حيل].

وقوله: الحَذَقُ: إتقان الشيء والمهارة فيه ومعرفة غوامضه ودقائقه وقوله: «وَيَحْتَلُّهُ»،
حَتَلَهُ من باي ضربَ وَنَصَرَ إِذَا خَدَعَهُ أَي أَرَادَ بِهِ الْمَكْرَ من حيث لا يشعر ولا يعلم،
ويَقْرُبُ من الحَتَلِ والحِدَاعِ الْمَكْرُ والكَيْدُ.

وفي التاج: «قال شيخنا: ظاهرُ كلامهم أَنَّ الكَيْدَ والمَكْرَ مترادفان، وهو الظاهر، وقد
فَرَّقَ بينهما بعضُ فقهاء اللغة فقال: الكَيْدُ: الْمَصْرَّةُ، والمَكْرُ: إخفاء الكيد وإيصال المَصْرَّةِ،
وقيل: الكيد: الأخذُ على خَفَاءٍ، ولا يُعتبر فيه إظهارُ خلافِ الباطن، ويُعتبر ذلك في المَكْرِ،
والله أعلم» ١. هـ تاج [كيد].

«لم آل»: لم أَقْصِرْ، يقال: أَلَا يَأْتُو إِذَا قَصَرَ فِي الأَمْرِ وَفَرَطَ فِيهِ وَتَوَانَى، قال في اللسان
[ألا]: «عن ابن الأعرابي في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨/٣] أَي لا
يَقْصِرُونَ فِي فسادكم، وفي الحديث: «ما مِنْ وَاٍ إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمعروف
وتَنْهَاهُ عن المنكر، وبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبَالًا». أَي لا تُقْصِرُ فِي إفساد حاله».

وفي التاج: «البِطَانَةُ: السَّرِيرَةُ، يقال: هو ذو بَطَانَةٍ بفلان، أَي ذو عِلْمٍ بداخلة أمره،
والبِطَانَةُ: الصاحب للسر الذي يُشاورُ فِي الأحوال، وفي الحديث «ما بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ ولا
استخلفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كانتَ لَهُ بِطَانَتَانِ، بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالخير وتَحْضُمُهُ عَلَيْهِ وبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ
بالشرِّ وتَحْتُمُهُ عَلَيْهِ» [البخاري: ٧١٩٨]، وفي الصحاح [بطن]: البِطَانَةُ: الوَلِيْجَةُ، وهو الذي
يَخْتَصُّ بالوُلُوجِ والاطلاعِ على باطن الأمر، قال الراغب: وهو مُسْتَعَارٌ مِنْ بَطَانَةِ الثوبِ
بدليل قولهم: لَيْسَتْ فُلاناً إِذا اخْتَصَمْتُهُ، وفلانٌ شِعاري ودِثاري، وبِطَانَةُ الثوبِ خِلافُ
ظَهَارَتِهِ، وقد بَطَّنَهُ تَبْطِيناً وَأَبْطَنَهُ إِبطاناً أَي جعلَ لَهُ بِطَانَةً، قال الله تعالى: ﴿بَطَّائِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤/٥٥] ١. هـ لسان [بطن].

«والإِسْتَبْرَقُ مَعْرَبٌ عن السَّرِيانِيَّةِ، وهو الدِّيْباجُ الغليظُ، أو دِيْباجٌ يُعْمَلُ بالذهبِ، وبه

فُسِرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٧٦ / ٢١]، أَوْ ثِيَابٌ حَرِيرٌ صِفَاقٌ

نَحْوُ الدِّيَابِجِ، وَقِيلَ: هُوَ مَا غَلَّظَ مِنَ الحَرِيرِ وَالإِبْرِيْسَمِ، قَالَه ابن الأَثِيرِ «أه تاج [برق]».

قَوْلُهُ: صِفَاقٌ هُوَ جَمْعُ صَفِيقٍ، يُقَالُ: ثَوْبٌ صَفِيقٌ أَي مَتِينٌ جَيِّدُ النَّسْجِ كَثِيفُهُ كَثِيرُ الغَزْلِ، وَفَعَلَهُ كَكَرَّمْ، وَالسَّيْنُ لَغَةٌ فِيهِ، يُقَالُ: سَفِيقٌ، وَقَدْ سَفِيقَ: وَضَدَهُ السَّخِيفُ، وَهُوَ الرَّقِيقُ الدَّقِيقُ لِقَلَّةِ غَزْلِهِ، وَفَعَلَهُ كَفَعَلَهُ.

وَفِي المَخْتَارِ [ألا]: «أَلَا يَأْلُو أَلْوَأَيَ قَصَّرَ، وَفُلَانٌ لَا يَأْلُوكَ نُصْحًا»^١، أَي لَا يَقْصُرُ فِي نُصْحِكَ، وَمَعْنَى التَّقْصِيرِ فِي الأَمْرِ التَّوَانِي فِيهِ، وَمَعْنَى التَّوَانِي فِي الأَمْرِ عَدَمُ الإِهْتِمَامِ بِهِ، وَتَرْكُ المَبَادَرَةِ إِلَى ضَبْطِهِ.

قَالَ فِي المَصْبَاحِ: «تَوَانَى فِي الأَمْرِ تَوَانِيًا لَمْ يُبَادِرْ إِلَى ضَبْطِهِ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِهِ، فَهُوَ مُتَوَانٍ أَي غَيْرُ مَهْتَمٍّ وَلَا مُتَحَفِّلٍ»^١، أَه مَصْبَاح [وَنِي].

وَمَعْنَى «ضَبَطَ الأَمْرَ» «حَفِظَهُ حِفْظًا بَلِيغًا، وَمِنْهُ قِيلَ: ضَبَطْتُ البَلَادَ وَغَيْرَهَا إِذَا قَمْتُ بِأَمْرِهَا قِيَامًا لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ» كَذَا فِي المَصْبَاحِ [ضَبَط].

وَالإِهْتِمَامُ بِالشَّيْءِ وَالإِحْتِفَالُ بِهِ وَالإِعْتِنَاءُ بِهِ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهِ بِكَلِيَّتِكَ وَتَقُومَ بِهِ كَمَا لَ القِيَامُ، قَالَ صَاحِبُ المَقْصُورَةِ: «الإِحْتِفَالُ: حُسْنُ القِيَامِ بِالأُمُورِ». كَذَا فِي التَّاجِ [حَفَل]. فَمَعْنَى «لَمْ أَلْ» لَمْ أَقْصُرْ وَلَمْ أَتَوَانَ.

«فِي رَأْبِ الثَّأْيِ» أَي فِي إِصْلَاحِ الفَاسِدِ وَسَدِّ الحَلَلِ، وَالثَّأْيُ بوزن السَّعْيِ وَالثَّرَى: الإِفْسَادُ، وَقَالَ فِي اللِّسَانِ: «رَأْبٌ إِذَا أَصْلَحَ، وَرَأْبُ الصَّدَعِ وَالإِنَاءِ يَرَأْبُهُ رَأْبًا وَرَأْبَةٌ: شَعْبَةٌ وَأَصْلَحَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَرَأْبُ الصَّدَعُ وَالثَّأْيُ بَرَصِيْنٍ مِنْ سَجَايَا آرَائِهِ وَيَغْيِرُ

الثَّأْيُ: الفَسَادُ، أَي يُصْلِحُهُ، وَيَغْيِرُ أَي يَمِيرُ، وَقَالَ الفَرَزْدَقُ: [ديوانه ٢٩ / ٢]

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ يَتَّقَى العِدَا وَرَأْبُ الثَّأْيِ وَالجَانِبُ المُتَخَوِّفُ

أراد وبهم رَبُّ الثَّأْيِ، فحذف الباء لتقدمها في قوله: بهم يُتَقَى العِدَا، وإن كانت حالاهما مختلفين، ألا ترى أن الباء في قوله: «بهم يُتَقَى العِدَا» منصوبةً الموضع لتعلقها بالفعل الظاهر الذي هو «يُتَقَى» كقولك: بالسيف يضربُ زيدٌ، والباء في قوله: «وبهم رَبُّ الثَّأْيِ» مرفوعةً الموضع، وعلى كلِّ حال فهي متعلقةً بمحذوف ورافعةُ الرَّأْبِ. اهـ لسان من مادة (رَأْب) أي أصلح. وفي التاج: «رَأْبٌ إِذَا أَصْلَحَ، وَرَأْبَ الصَّدَعُ وَالْإِنَاءُ يَرَأْبُهُ رَأْبًا كَمَنْعَ: أَصْلَحَهُ وَشَعَبَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَرَأْبُ الصَّدَعُ وَالثَّأْيُ بِرِصِينٍ مِنْ سَجَايَا آرَائِهِ وَيَغِيرُ
 كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ اللِّسَانِ، وَهُوَ مِرَأْبٌ وَرَأْبٌ كَمِنْبَرٍ وَشَدَادٍ إِذَا كَانَ يَشْعَبُ صُدُوعَ
 الْأَقْدَاحِ وَيُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ، أَوْ يُصْلِحُ رَأْبَ الْأَشْيَاءِ، وَقَوْمٌ مَرَائِبٌ، قَالَ الطَّرِمَّاحُ يمدح
 قوماً: [ديوانه ٢٧٦]

نُصِرٌ لِلذَّلِيلِ فِي نَدْوَةِ الْحَيْمِ — فِي مَرَائِبُ لِلثَّأْيِ الْمِنْهَاضِ
 وَكُلُّ مَا أَصْلَحْتَهُ فَقَدْ رَأْبْتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ ارْأَبْ بَيْنَهُمْ، أَيِ أَصْلِحْ، وَكُلُّ صَدَعٍ
 لِأَمْتِهِ فَقَدْ رَأْبْتَهُ، وَالرُّؤْبَةُ بِالضَّمِّ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَشْبِ الَّتِي يُرَأَّبُ بِهَا الْإِنَاءُ، أَيِ يُشْعَبُ
 وَيُصْلِحُ وَتُسَدُّ بِهَا ثُلْمَةُ الْجَفْنَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي دَعَاءِ لِبَعْضِ الْأَكْبَابِ «ارْأَبْ حَالَنَا»، وَهُوَ مَجَازٌ،
 وَعَنْ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَقُولُ: رَبُّ، وَهِيَ لَعْنَةٌ جَيِّدَةٌ كَسَلٌ وَاسْأَلٌ، قَالَ: وَمِنْ الْمَجَازِ
 «هُوَ أَرْبَةٌ عَقْدُ الْإِخَاءِ وَرُؤْبَةُ صَدَعِ الصَّفَاءِ»، وَهَذِهِ مِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ،
 وَقَالَ بَعْدَهَا: «وَالْأَرْبَةُ: الْعُقْدَةُ الْمَحْكَمَةُ، مَأْخُودَةٌ مِنَ التَّأْرِبِ» [أرب] اهـ.

وَتَأْرِبُ الْعُقْدُ: إِحْكَامُ شَدِّهِ وَعَقْدِهِ، وَفِي اللِّسَانِ: «الْأَرْبَةُ: الْعُقْدَةُ الَّتِي لَا تَنْحَلُّ حَتَّى
 تُحَلَّ حَلًّا». «وَالْمِنْهَاضُ» فِي الْبَيْتِ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ، وَهَآكِهِ «الشَّعْبُ: الْجَمْعُ وَالتَّفْرِيقُ،
 وَالْإِصْلَاحُ وَالْإِفْسَادُ، صَدُّ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ: «وَشَعْبٌ صَغِيرٌ مِنْ شَعْبٍ كَبِيرٍ»، أَيِ
 صِلَاحٌ قَلِيلٌ مِنْ فِسَادٍ كَثِيرٍ، وَيُقَالُ: شَعَبَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَشَتَّتَ، أَيِ جَمَعَهُ، وَشَعَبَ

ما تَجَمَّعَ من أمرهم: فَرَّقَهُ وَشَتَّتَهُ، ضِدُّ، وَشَعْبُ الصَّدْعِ فِي الْإِنَاءِ إِنَّمَا هُوَ إِصْلَاحُهُ وَمَلَائِمَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «اتَّخَذَ مَكَانَ الشَّعْبِ سِلْسِلَةً» [البخاري: ٣١٠٩]، أَي مَكَانَ الصَّدْعِ وَالشَّقِّ، قَالَ: وَتَقُولُ: التَّامَ شَعْبُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا بَعْدَ التَّفَرُّقِ، وَتَفَرَّقَ شَعْبُهُمْ إِذَا تَفَرَّقُوا بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ كَلَامِهِمْ، وَالشُّعْبَةُ: الرُّؤْبَةُ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَهِيَ الَّتِي يُشَعَّبُ، أَي يُصْلَحُ وَيُرَآبُ بِهَا الْإِنَاءُ. وَالشَّعْبُ شَعْبُ الرَّأْسِ، وَهُوَ شَأْنُهُ الَّذِي يَضُمُّ قِبَائِلَهُ، وَفِي الرَّأْسِ أَرْبَعُ قِبَائِلَ، وَأَنْشَدَ: [ديوان يزيد بن مفرغ ١٥٦]

فَإِنْ أَوْدَى مَعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ فَبَشَّرَ شَعْبَ رَأْسِكَ بِانْصِدَاعِ

١. هـ لسان من مادة (ش ع ب). «الصَّدْعُ: الشَّقُّ فِي شَيْءٍ صُلْبٍ كَالزُّجَاجَةِ وَالْحَائِطِ وَنَحْوِهِمَا، وَصَدَعَهُ كَمَنْعَهُ: شَقَّهُ، أَوْ شَقَّه نَصْفَيْنِ، وَصَدَعَهُ تَصْدِيعًا شَقًّا».

«وَلَامٌ الشَّيْءِ مِنْ بَابِ نَفَعٍ، وَوَلَاءٌ مَهْ وَلِئَامَةٌ وَأَلَامَةٌ: أَصْلَحَهُ فَالْتَّامَ وَتَلَّامٌ، وَكُلُّ شَيْئَيْنِ اتَّفَقَا فَقَدْ التَّامَا» كَذَا فِي اللِّسَانِ [لَام]. وَفِي الْمَصْبَاحِ [لوم]: «لَامٌ الْحَرَقُ مِنْ بَابِ نَفَعٍ: أَصْلَحَهُ، وَالتَّامًا: اتَّفَقَا وَاجْتَمَعَا وَالتَّحَمَا، وَوَلَاءٌ بَيْنَ الْقَوْمِ: صَالَحَ وَزَنًا وَمَعْنَى» ١. هـ.

فَقَدْ عَرَفْتَ بِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الشَّعْبَ وَالصَّدْعَ وَالشَّقَّ وَالْحَرَقَ وَالثَّقَبَ بِالْفَتْحِ، وَيُضْمُ، وَالْحَلَّلَ وَالْفُرْجَةَ وَالثُّلْمَةَ - وَهُوَ الْمَوْضِعُ أَصَابَهُ الْإِنْتِلَامُ أَي الْإِنْشِقَاقُ، وَانْتَلَمَ الْإِنَاءُ: انْكَسَرَ حَرْفُ شَفْتِهِ.

وَقَالَ فِي الْمَصْبَاحِ فِي (شَعْبٍ): «شَعْبَ الْقَوْمِ كَنَفَعٍ: جَمَعَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ، ضِدُّ، قَالَ الْخَلِيلُ: وَاسْتَعْمَلَ الشَّيْءَ فِي الضَّدِّيْنَ مِنْ عَجَائِبِ الْكَلَامِ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: لَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ، وَإِنَّمَا هُمَا لِعَتَانِ لِقَوْمَيْنِ، وَمِنْ التَّفْرِيقِ اسْتَقَّ اسْمُ الْمَنِيَّةِ شُعُوبٌ، وَزَانَ رَسُولٌ، لِأَنَّهَا تَفَرَّقَ الْخَلَائِقُ، وَصَارَ عَلِمًا عَلَيْهَا غَيْرَ مَنْصَرَفٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْخَلُ عَلَيْهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ لِمَحَا لِلصَّفَةِ فِي الْأَصْلِ، وَسُمِّيَ الرَّجُلُ بِهَذَا الْاسْمِ لِشِدَّتِهِ» ١. هـ. مَصْبَاحِ [شَعْب].

وَقَوْلُهُ: «الْمِنْهَاضُ» أَي الْمَنْكِسِرُ الْمَفْضُوضُ، فِي اللِّسَانِ: «هَاضَهُ وَهَاتَاضَهُ: كَسَرَهُ بَعْدَ

الجُبُور، أو بعد ما كاد يَنْجبر، فاهتاضه واهتاض، والهَيْضُ: أشدُّ ما يكون من الكسر؛ لأنَّ الكسر بعد جُبُور العظم كالتكسر في المرض، فإنه يقال: نُكِسَ الرجلُ، مجهولاً، أي عاوده المرض بعد أن زابله، فكان ناكِساً، نكسه أي قلبه وحوّله وردّه وصرّفه وعطفه وأرجعه إليه، أي إلى المرض، ورُوي عن عائشة أنها قالت في أبيها رضي الله عنه لما تُوفي نبينا محمداً رسول الله ﷺ: «والله لو نزل بالجمال الرّاسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وفسره ابن الأعرابي فقال: أي لألأنها، وقال القطاميّ: [ديوانه ١٤٢]

إِذَا مَا قَلْتُ قَدْ جُبِرْتُ صُدُوعٌ تِهَاضٌ وَمَا لِي مَا هِيَصُ أَنْجِبَارُ
 أَي: سُدَّتْ ثُلْمٌ وَلَيْمَتْ خُرُوقٌ وَشُقُوقٌ.

«يقال: جبرْتُ العظمَ والفقيرَ واليتيمَ، من باب قتل، أصلحتُ كلاً على حسبه، فجبرَ كلُّ منهم، واجتبرَ وأنجبرَ وتجرَّبَ فجبرَ، لازمٌ متعدُّ، والبواقي مطاوعةٌ لازمه». كما في التاج [جبر]، وقال دَعْفَلٌ: يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصُدَعُهُ
 أَي يَكْسِرُهُ مَرَّةً وَيَشُقُّهُ أُخْرَى»، ا.هـ لسان [هيض].

واسمُ الشاعر الذي تقدّم، أعني القُطامي، «هو بالضمِّ والفتح، علمٌ على الصَّقْر، فَيَسُّ يَفْتَحُونَ، وسائرُ العرب يَضُمُّون، وقال اللَّيْثُ: هو من أسماء الشَّاهين» كذا في اللسان، ثمَّ قال فيه بعد كلام طويل: «والقُطامي بالضمِّ من شعرائهم من تغلب، واسمُه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ» ا.هـ من اللسان [قطم].

وفي التاج [قطم]: «القُطاميّ بالفتح ويضم: الصَّقْر واللَّحْمُ منه، وقد غلب عليه اسماً مأخوذاً من القَطْمِ ككَتِفٍ، وهو المشتبه باللحم وغيره، كالقَطَامِ كَسَحَابٍ، يقال: صَقَّرَ قَطَامٌ وَقُطَامِيّ أَي لَحْمٌ، والقُطاميّ: الحديدُ البَصْر، وشاعرٌ كلبِيّ اسمه الحُصَيْنُ بن حمّال أبو الشَّرقيّ [بسكون الراء، وضبطه بعضهم بفتحها]، واسمُ الشَّرقيّ الوليدُ، والقُطاميّ شاعر آخر تغلبيّ، واسمُه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ من بني جُشَمَ بن بكر بن الأَرْقَم» ا.هـ منه.

وقوله: «لَحْم» قال: «اللَّحْمُ كَكَتَف: الأسد، كالمُستلحم، واللَّحْمُ: الكثير لحم الجسد، كاللَّحِيم كأمير، واللَّحْم أيضاً: الأَكُول لِلحَم القَرْمُ إليه، أي المشتبه» وهذا المراد فيما تقدّم، والله أعلم.

والمعنى فإن مكنتني تقادير مما أريدُ وساعدتني على ما أبتغي وأظفرتني بما أطلب، وأوصلتني إلى ما أسمى لتحصيله وبلغتني ما أتمناه وأحظتني بما أترجى وأنالني إياه لم أقصر في إصلاح الفساد وسدّ الثلم ورفع الحرق، ولم أتوان في رأب الصدع ورتق الفتق وتنظيم خلل الأمور وتقويم الأحوال وجبر الوهن والوهي وتصحيح الغلط وجعل الأشياء على أتم ما يكون من الاستقامة ورّم رثها وضمّ نشرها ولم شعثها، والله أعلم.

٤١- وقد سَمّا عمرو إلى أوتاره فاحتطّ منها كلّ المُستَمَى

«سَمّا» فعلٌ ماضٍ من السَمَوُ، وهو الارتفاع والعلوّ، ويقال: فلان يَسْمو إلى معالي الأمور، أي تطاول إليها، كذا في اللسان [سما]، أي امتدّ إليها واشربّت نفسه إلى نيلها، وطمّح بصره إلى إدراكها وتحصيلها. «عمرو» هو ابن أخت ملك العرب جذيمة الأبرش، وسيأتي بيان حاله على غاية من الإيضاح، إن شاء الله تعالى.

«الأوتار» جمعٌ وتَر بالتحريك، وهو الشَّرعة، وهي التي تُشدُّ في القوس، في اللسان: «الوتر: واحد أوتار القوس، وقال ابن سيده: الوتر: شرعة القوس ومعلّقها، وأوتر القوس [بالألّف]: جعل لها وترًا، ووترها [بالتخفيف كوعد] ووترها [بالتشديد]: شدّ وترها، وقال اللحياني: وترها [بالتشديد] وأوترها [بالألّف]: شدّ وترها، وفي المثل: «إنباضٌ بغير توتير»، قال ابن سيده: ومن أمثالهم «لا تعجل بالإنباض قبل التوتير»، وهذا مثلٌ في استعجال الأمر قبل بلوغ إناه، قال: وقال بعضهم: وترها بالتخفيف: علّق عليها وترها، والوترة: مجرى السهم من القوس العربية، عنها يزلّ السهم إذا أراد الرّامي أن يرمي، وتوتر عصبه: اشتدّ وتوترت عروقه» اهـ من اللسان من مادة (وت ر).

والأوتار أيضاً التّرات، واحِدُها وتِرةٌ وتِرةٌ، قال في اللسان: «الوِتر [بالفتح] والوِتر [بالكسر] والتّرة [كعِدّة] والوِتيرة: الظلم في الدّخل، وقيل: هو الدّخل عامّةً» وفيه: «الدّخل: الثّار، وقيل: طلبُ مكافأةٍ بجنايةٍ جُنيت عليك، أو عداوةٍ أُتيت إليك، وقيل: هو العداوة والحقد، والجمع أذحال ودُحُول، وهو [أي الدّخل] التّرة، يقال: طلبَ بذخله أي بثّاره، وفي حديث عامر بن الملوّح «ما كان رجلٌ ليقْتلَ هذا الغلامَ بذخله إلا قد استوفى، الدّخل: الوِتر وطلبُ المكافأةِ بجنايةٍ جُنيت عليك من قتل أو جرح ونحو ذلك» انتهت مادة (ذ ح ل) على ما في اللسان.

وفيه: «الثّارُ والثُّورة: الدّخل، ابن سيده: الثّار: الطلبُ بالدمّ وقيل: الدمُّ نفسه، والجمعُ آثارٌ وآثارٌ على القلب، وقيل: الثّارُ قاتلُ حميمك، والاسمُ الثُّورةُ، ثارتُ القتيْلُ وبه ثاراً وثُّورةً، فأنا ثائرٌ، أي قتلتُ قاتله» اهـ لسان [ثاراً].

وفي الأساس [وتر]: «يقال: هو طَلاب الأوتار والتّرات» اهـ. وفي المصباح: «الوِتر: الفرد، والوِتر: الدّخل بالكسر فيهما لتميم، وبفتح العدد وكسر الدّخل لأهل العالية وبالعكس، وهو فتح الدّخل وكسر العدد لأهل الحجاز» اهـ بحروفه.

وفي المصباح أيضاً [ذحل]: «الدّخل بفتح الحاء وسكونها: الحقد، والجمع أذحال ودُحُول كَأَسباب وفُلوس، وطلبَ بذخله أي بثّاره» اهـ. وفيه: «الثّارُ بالهمز ويُخفف: الدّخل، وثارتُ القتيْلُ وثارتُ به، من باب نَفَع: قتلتُ قاتله» اهـ.

وفيه: «الحقد: الانطواء على العداوة والبغضاء، وحقدَ عليه كضرب، وكتعبَ لغّةً، وجمعُ الحقدِ أحقاد» اهـ، كضغنٌ وأضغانٌ وزناً ومعنى، ويقال منه: ضغنَ صدره ضغنًا كتعبَ حقدَ، ومثلُ الحقدِ والضغنِ معنى الشّحناء، فإنها العداوة والبغضاء، وفعله شحَنَ عليه شحناً، من باب تعبَ، أي حقدَ وأظهرَ العداوة، وكَنَفَعَ لغّةً، وكلُّ هذا في المصباح [ثاراً]. وقولُ اللسان في تفسير الدّخل والثّار: «بجناية»، الجناية مصدرٌ «جنى على قومه ينجني

جِنَايَةً، أَي أَدْنَبَ ذَنْبًا يُؤَاخَذُ بِهِ، وَغَلَبَتْ الْجِنَايَةُ فِي أَلْسِنَةِ الْفُقَهَاءِ عَلَى الْجُرْحِ وَالْقَطْعِ، وَالْجَمْعُ جِنَايَاتٌ، وَجِنَايَا كَعَطَايَا قَلِيلٌ فِيهِ، كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ [جني].

والمراءُ بالآوتار في البيت الذُّحُول والآثَار، وقد عرفتَ ممَّا تقدَّم معناهما.

«فاحتَطَّ مِنْهَا كُلُّ عَالِي الْمُسْتَمَى»: يقال: حَطَّه واحْتَطَّه، أَي وضعه، في المصباح [حطط]: «حططتُ الرَّحْلَ وَغَيْرَهُ حَطًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ، أَي أَنْزَلْتُهُ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سُفْلٍ، وَحَطَّطْتُ مِنَ الدِّينِ: أَسْقَطْتُ، وَالْحَطِيطَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، وَاسْتَحَطَّه مِنَ الثَّمَنِ كَذَا فَحَطَّه لَهُ، وَانْحَطَّ السَّعْرُ: نَقَصَ» ١.هـ منه.

في الأساس: «حَطُّوا الْأَحْمَالَ عَنْ ظُهُورِ الدَّوَابِّ، وَحَطُّ كُلِّ شَيْءٍ: حَدْرُهُ، وَأَخَذُوا فِي الْحُطُّوطِ أَي فِي الْحُدُورِ، وَمِنْ الْمَجَازِ «حَطَّ اللَّهُ أَوْزَارَنَا، وَاسْتَحَطَّطْنَا أَوْزَارَنَا، وَحَطَّ فِي هَوَاهِ وَانْحَطَّ فِيهِ [أَي اندفع وأسرع]، يقال: أَكَلَ مِنْ حَلْوَاتِهِمْ فَاِنْحَطَّ فِي أَهْوَاتِهِمْ، وَأَتَانَا بِطَعَامِ فَحَطَّطْنَا فِيهِ أَي أَكْثَرْنَا، وَأَحَطَّطْنَا أَي: أَقْلَلْنَا مِنْهُ»، كُلُّهُ مِنَ الْأَسَاسِ [حطط].

وقوله: «حَدْرُهُ، وَالْحُدُورُ» «الحدر بالفتح: الحطُّ من عُلُوِّ إِلَى سُفْلٍ، وَانْحَدَرَ الشَّيْءُ: انْحَطَّ وَانْهَبَطَ، وَالْحُدُورُ بِالْفَتْحِ: الْمَوْضِعُ الْمُنْحَدِرُ الْمُنْهَبِطُ، فَإِنْ كُلَّ مَوْضِعٍ مُنْحَدِرٍ يُقَالُ لَهُ: حَدُورٌ وَهَبُوطٌ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا، وَأَمَّا بضمِّهما فهو الفعل، يقال: حَدَرْتُ حُدُورًا وَهَبَطْتُ هُبُوطًا، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَكُلُّ شَيْءٍ أُرْسِلَتْهُ إِلَى أَسْفَلٍ فَقَدْ حَدَرْتَهُ حَدْرًا وَحُدُورًا، قَالَ: وَلَمْ أَسْمِعْهُ بِالْأَلْفِ أَحَدَرْتُ». ١.هـ لسان [حدر].

فحدرته وهبطته وحططته ووضعته بمعنى، في المصباح [هبط]: «هَبَطَ هَبْطًا كَضَرَبَ: نَزَلَ، وَفِي لُغِيَّةٍ يَهْبُطُ هُبُوطًا كَقَعَدَ، وَهَبَطْتُهُ: أَنْزَلْتُهُ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى» ١.هـ. وفي التاج: «هَبَطَ كَضَرَبَ وَنَصَرَ هُبُوطًا مَصْدَرُ الْبَابَيْنِ، وَهَبَطَهُ كَنَصَرَهُ: أَنْزَلَهُ كَأَهْبَطَهُ» ١.هـ.

«مِنْهَا كُلُّ عَالِي الْمُسْتَمَى»، مِنْهَا: أَي مِنْ أَوْتَارِهِ، كُلُّ عَالِي: أَي كُلُّ مَرْتَبِعٍ سَامٍ، الْمُسْتَمَى: قَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ [الصاوي]: «هُوَ الْمُسْتَعْلَى، وَهُوَ مُسْتَفْعَلٌ مِنَ السُّمُوِّ» ١.هـ.

وفي اللسان: «سَمَاوَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: شَخْصُهُ وَطَلْعَتُهُ، وَاسْتِمَاهُ: نَظَرٌ إِلَى سَمَاوَتِهِ وَسَمَاوَةٌ الْهَلَالُ: شَخْصُهُ إِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْأَفْقِ شَيْئًا، وَيُقَالُ: الصَّائِدُ يَسْمُو الْوَحْشَ وَيَسْتَمِيهَا أَيَّ يَتَعَيَّنُ شَخْصَهَا وَيَطْلُبُهَا، وَالِاسْتِمَاءُ أَيضًا أَنْ يَتَجَوَّرَبَ الصَّائِدُ لِصَيْدِ الطَّبَاءِ، وَذَلِكَ فِي الْحَرِّ، وَاسْتِمَاهُ: اسْتِعَارَ مِنْهُ جَوْرَبًا لِذَلِكَ، وَاسْمُ الْجَوْرَبِ الْمِسْمَاءُ، وَهُوَ يَلْبَسُهُ الصَّيَّادُ لِيَقِيَهُ حَرَّ الرَّمِضَاءِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَرَبَّصَ نِصْفَ النَّهَارِ، وَقَدْ سَمَوْا وَاسْتَمَوْا إِذَا خَرَجُوا لِلصَّيْدِ، وَقَالَ ثَعْلَبُ: اسْتَمَانَا: أَصَادَنَا، وَاسْتَمَى: تَصَيَّدَ، وَخَرَجَ فُلَانٌ يَسْتَمِي الْوَحْشَ أَيَّ يَطْلُبُهَا» ا.هـ لسان [سما]. وفي التاج: «وَاسْتَمَيْتُهُ: تَعَمَّدْتُهُ بِالزِّيَارَةِ، أَوْ تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ، الْأَوَّلُ مِنْ سَمَا، وَالثَّانِي مِنْ وَسَمٍ» ا.هـ. وقوله: «أَصَادَنَا»، فِي اللِّسَانِ: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ لَهُ: أَصَدْتُمْ، يُقَالُ: أَصَدْتُ غَيْرِي أَيَّ حَمَلْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ وَأَغْرَيْتُهُ بِهِ» ا.هـ.

وقال بعض الشُّرَاحِ [الصَّاوِي]: «الْمُسْتَمَى: الْمَكَانُ الْعَالِي الْمَرْتَفِعُ، وَهُوَ مُفْتَعَلٌ مِنْ «سَمَا» إِذَا ارْتَفَعَ، وَزِيدَتْ التَّاءُ فِيهِ لِبِنَاءِ افْتَعَلَ، كَمَا زِيدَتْ فِي اسْتَجَابَ» ا.هـ. فَاَلْمُسْتَمَى: الْمَكَانُ الْعَالِي الْمَرْتَفِعُ كَرَوْسُ الْجِبَالِ، وَهِيَ الْقَلْلُ وَالْقَنْنُ وَالذُّرَى وَالشَّنَاخِيبُ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ الْمَكَانَ الْعَالِي حَقِيقَةً، بَلِ الْمَرَادُ الْأَمْرُ الْبَعِيدُ الْمُنَالِ الصَّعْبُ الْإِدْرَاكُ.

ومعنى البيت: وَقَدْ طَمَحَتْ نَفْسُ عَمْرٍو وَاشْرَأَبَتْ إِلَى إِدْرَاكِ أَوْتَارِهِ وَالْأَخْذِ بِثَأْرِهِ بِأَنْ يَقِيدَ قَاتِلَ جَدِيمَةَ فَيَدْرِكُ مَآرَبَهُ، وَيُنَالُ مَطَالِبَهُ، وَيُظْفِرُ مِنْ أَوْتَارِهِ بِمَا يَرِيدُ، وَيُنَالُ مِنْ أَثَارِهِ مُنَاهُ، فَاحْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي الْمُسْتَمَى وَاسْتَنْزَلَ مِنْهَا كُلَّ بَعِيدِ الْحَصُولِ، وَوَضَعَ مِنْهَا كُلَّ مَرْتَفِعِ الْمَكَانِ صَعْبِ الْمَرَامِ، وَاسْتَوَى مِنْهَا عَلَى كُلِّ مَا أَرَادَ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مُلْكِهَا وَبَلَغَ مِنْهَا الْمَرَادَ. قَالَ النَّازِمُ:

٤٢- فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَاءَ قَسْرًا وَهِيَ مِنْ عَقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُسْتَمَى

قوله: «فَاسْتَنْزَلَ» قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ [نَزَلَ]: «يُقَالُ: نَزَلْتُ بِهِ وَأَنْزَلْتُهُ وَنَزَلْتُهُ وَاسْتَنْزَلْتُهُ

بمعنى أنزلته» ا.هـ، وأنزلته متعدي نزل أي انهبط من علو إلى سفلى، وأنزله: وضعه من علو إلى سفلى. و«الزبَاء»: اسم الملكة الرومىة، مُدُّ وتُقصر، وهي ملكة الجزيرة، وتعدُّ من ملوك الطوائف، وهو لقب لها، وأمَّا اسمُها ففيه اختلاف، فقيل: بارعة، وقيل: نابلة، وقيل: ميسون، وهي بنت عمرو بن الظرب، أحدُ أشرف العرب وحكامهم، خدعه جديمة الأبرش وأخذ عليه ملكه وقتله، وقامت هي بأخذ ثاره في قصة طويلة سأفردُها بالشرح إن شاء الله تعالى.

«قَسْرًا»، القَسْرُ: القَهْر والغَلَبَة والإِكْرَاه على الأمر، قال في اللسان: «قَسْرَه يَقْسِرُهُ قَسْرًا واقْتَسَرَه: غلبه وقهره، وقسره على الأمر قَسْرًا: أكرهه عليه، واقْتَسَرْتُهُ أَعْمُ، وفي حديث علي رضي الله عنه: «مَرْبُوبُونَ اقْتَسَرُوا»، الاقْتِسَارُ اقْتِعَالٌ من القَسْرِ، وهو القَهْر والغَلَبَة» ا.هـ لسان [قسر].

وفي المصباح: «قَسْرَه على الأمر من باب ضَرَبَ: قهره، واقْتَسَرَه كذلك» ا.هـ، ومعنى قهره: غلبه، ومعنى أكرهه: أجبره، يقال: أكرهه على كذا أي اضطره وأجأه إليه وحمله عليه كرهاً، وجعله يفعلُه من غير رضاه، يقال: فعله على كرهه وعلى مشقة وتكلف وإباء أي امتناع وعدم رضى به، فمعنى «قَسْرًا» قَهْرًا وكرهاً ورغماً.

«العُقَاب» بالضم: اسم طائر من الجوارح، كذا في المصباح [عقب]، وفي اللسان: «العُقَاب»: طائر من العتاق، مؤنثه، وقيل: يقع على الذكر والأنثى إلا أن يقولوا: هذا عُقَاب ذكر، وقال ابن الأعرابي: عتاق الطير العقبان وسباع الطير التي تصيد، والذي لم يصد الحشاش» ا.هـ.

وفيه [جرح]: «الجوارح من الطير والسباع والكلاب ذوات الصيد لأنها تخرج أي تكسب، الواحدة جارحة، فالبازي جارحة والكلب الصاري جارحة، قال الأزهرى: سُميت بذلك لأنها كواسب أنفسها، من قولك: جرح واجترح، وجوارح الإنسان: أعضاؤه

وعوامل جسده كيديه ورجليه، وحدثها جارحة لأنهنَّ يجرحن الخيرَ والشرَّ أي يكسبنه»^١هـ. وفيه: «عتاق الطير الجوارح منها» [عتق]، وفي المختار: «الجوارح من السباع والطيور: ذوات الصيد»، وفي القاموس: «العتاق كتاب من الطير الجوارح»، وفي اللسان: «الحشاش من دواب الأرض والطيور ما لا دماغ له كالحية والنعامه والكروان»^١هـ.

والكروان بالتحريك كما صرح به غير واحد من أئمة اللغة، وإن كان صنيع القاموس يقتضي أنه بالفتح، وهو طائر صغير، ويشبه الكروان بالدليل والنعام بالأعزة، كذا في التاج. فالعقاب طائر من الجوارح الكواسب التي تصطاد وتجرح، أي تكسب لأنفسها.

«لُوحِ الجَوِّ»، «اللُّوح بالضم: الهواء بين السماء والأرض، قال: [ديوان طرفه ١٤٢]

لِطَائِرٍ ظَلَّ بِنَايُحُوتٍ يَنْصَبُ فِي اللُّوحِ فَمَا يَفُوتُ

وقال اللحياني: هو اللُّوح واللُّوح، لم يحك فيه الفتح غيره، ويقال: لا أفعل ذلك ولو نزلت في اللُّوح، أي ولو نزلت في السُّكَّك، والسُّكَّك: الهواء الذي يلاقي أعنان السماء»^١هـ. لسان [لوح].

وقوله: «الأعنان» قال في شرح القاموس [عن]: «الأعنان من السماء: نواحيها، قال يونس بن حبيب: أعنان كل شيء نواحيه، وقال: ليس لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيأفوخه أعنان السماء. وأمَّا العنان كسحاب فهو السحاب، وقيل: السحاب التي تمسك الماء، الواحدة عناة»^١هـ، وفي اللسان كذلك وزيادة، قال: «العناة بالفتح: السحابة، والجمع عنان، وأمَّا الأعنان قال يونس بن حبيب: أعنان كل شيء: نواحيه، فأما الذي نحكيه نحن فأعنان السماء نواحيها، وفي الحديث: «مرت به سحابة فقال: هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا: هذه السحاب، قال: والمزُن؟ قالوا: والمزُن، قال: والعنان، قالوا: والعنان»، وقيل: العنان التي تمسك الماء، وأعنان السماء: نواحيها، واحدتها عنن وعنن، وأعنان السماء: صفائحها وما اعترض من أقطارها، كأنه جمع عنن، قال يونس: ليس

لمنقوصِ البيان بهاءٌ ولو حَكَ بَيَافُوخه أَعنانَ السماءِ - كما تقدَّم عن التاج - قال: وقيل:
عَنانُ السماءِ: ما عَنَ لك منها إذا نظرتَ إليها، أي ما بدا لك منها» ١. هـ لسان [عنن]،
وعَرَضَ وظَهَرَ.

وفي اللسان والتاج (س ك ك): «واللُّوحُ والسُّكَّكُ والسُّكَّاةُ: الهوَاءُ بين السماءِ
والأرضِ، وقيل: هو الهوَاءُ المُلَاقِي أَعنانَ السماءِ، ومنه قوهُمُ: لا أفعَلُه ولو نزوتَ في
السُّكَّكِ، أي ولو وثبتَ وطَفَرَتَ وقفزَتَ في السماءِ، وفي حديث الصبيِّة المفقودة: «قالت:
فحملني على خافية من خوافيه ثم دَوَمَ بي [أي دارَ بي] في السُّكَّكِ، قال: السُّكَّكُ
والسُّكَّاةُ: الجُوُّ، وهو ما بين السماء والأرضِ، وجمعُ السُّكَّاةِ سَكَّاتُك، كدَوَّابة ودَوَّاب،
وفي حديث عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه ورضي عنه: «ثم أنشأ سبحانه فتقَّ الأجواءَ وشقَّ الأرجاءَ
وسكَّاتِكَ الهوَاءِ» ١. هـ منها تفسيرٌ ما تقدَّم.

«الخافية» واحدة الخَوَافِي، «وهي ريشات الطائر التي إذا ضمَّ جناحيه خَفِيَتْ، وقال
الأصمعي: مادون الرِّيشات العشر من مقدَّم الجناح، وفي الحديث: «إنَّ مدينة لوط حملها
جبريلُ عليه السلام على خوافي جناحه»، قال: هي الرِّيشات الصَّغار التي في جناح الطائر،
ضدَّ القَوَادِم، وواحدةٌ هذه قادمةٌ، وفي حديث أبي سفيان (ومعي خَنْجَرٌ مثلُ خافية النَّسْرِ)،
يريد أنه صغير» ١. هـ لسان [خفا].

والخَنْجَرُ بالفتح كَجَعْفَر، ويكسرُ أولُه فيكون كِدْرَهُم، كما في القاموس [خنجر]، وزاد
في المصباح لغةً ثالثةً، وهي كسرُ أوله وثالثه، فيكون كزِبرج، وهو السِّكين أو العظيمة منها.
و«دَوَمَ» أي حلَّقَ في الجوّ وارتفع ودارَ، قال في اللسان [جندب]: «قال ذو الرُّمَّة
يصفُ جُنْدَباً:

مُعْرُورِيّاً رَمَضَ الرِّضْرَاضِ يَرُكِّضُه والشَّمْسُ حَيْرِي لها في الجَوِّ تَدْوِيمُ
كأنها لا تَمْضِي، أي قد ركبَ حَرَ الرِّضْرَاضِ [أي الحَصَى أو صغارها وما دَقَّ منها]،

والرَّمْضُ: شدة الحرِّ، مصدرُ رَمَضَ يَرْمُضُ، ويَرَكُضُه: يضره برجله، وكذا يفعل الجُنْدُب، قال أبو الهيثم: معنى قوله: والشمسُ حيرى، تقفُ الشمسُ بالهاجرة عن المسير مقدار ستين فرسخاً تدور على مكانها، ويقال: تحيرَ الماءُ في الروضة إذا لم يكن له جهة يمضي فيها، فيقول: كأنها متحيرة لدورانها.

قال: والتدويم: الدوران، ودوم الطائر: تحرك في طيرانه، وقيل: سکن جناحه كطيران الحدأ والرَّخَم، ودوم الطائر واستدام: حلَّق في السماء، وقال الجوهريُّ: تدويم الطائر: تحليقه في طيرانه ليرتفع في السماء، قال الفارسيُّ: وقد اختلفوا في الفرق بين التدويم والتدوية، فقيل: الأول في السماء، والثاني في الأرض، وهو الصحيح، وفي حديث الجارية المفقودة: «فحملني على خافية ثم دَوَمَ بي في السكاك» أي أدارني في الجوَّ ا.هـ لسان [دوم].

وقوله: «فتقَّ الأجواءَ وشقَّ الأرجاءَ وسكَّاتك الهواء»، «الفتقُّ مصدر فتقَّ الشيءَ من حدِّي نصرَ وضرب إذا شقَّه، وهو ضدُّ رتقه يرثقه رتقاً، فهذا معناه سدُّ الفرجة وردُّم الثلثة ورُمها والوصلُّ بين المنفصلين، وذاك معناه القطعُ بين المتصلين وفصلُ الشيء بعضه من بعض، قال تعالى: ﴿كَأَنَّا رَتَقًا فَقَنَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٢١/٣٠]، قال الزجاج: كانت السماء مع الأرض جميعاً [أي لا فرجةَ بينهما] ففتقها الله بالهواء الذي جعله بينهما ا.هـ تاج [فتق] ببعض الزيادة. والأجواء جمعُ جوِّ، وهو ما بين السماء والأرض، و«شقَّ» معلوم، والأرجاء: النواحي، والسكَّاتك تقدَّم تفسيرها. واستشهادُه للوح بقوله:

لَطَائِرٌ ظَلَّ بِنَايُحُوتٍ يَنْصَبُ فِي اللُّوحِ فَمَا يَفُوتُ

قال في التاج [خوت]: «خات البازي والعقابُ يحوتُ خواتاً وخواتةً واختات: انقضَّ على الصيد ليأخذه فسمعتَ لجناحيه صوتاً كأنخات» ا.هـ.

وفي اللسان [خوت]: «خواتُ الطير [كسحاب]: صوتها، وقد خوتت، وقيل: كلُّ ما صوتَ فقد خوت، والحواتُ [أيضاً]: دويُّ جناح العقاب، خاتتُ وانخاتتُ إذا انقضَّت

على الصيد لتأخذه فسمعتَ لجناحيها صوتاً، والخائنة: العُقاب التي تَحْتَات، وهو صوت جناحيها، فسمعتَ صوتَ انقضاها وله حفيفٌ» ١.هـ.

حفيفٌ جناح الطائر: دَوِيٌّ جَرِيه، والمرادُ باللُّوحِ الشُّكَّك، على أن معناه الهواءُ المَلَاقِي لعَنان السماء، والجوُّ: الهواء الذي بين السماء والأرض، ومنه قولُ ذي الرِّمَّة السابق:
والشمسُ حَيْرَى لها في الجوِّ تَدْوِيمُ

قال في اللسان: «وقال أيضاً أي ذو الرِّمَّة: [ديوانه ١٣٦٧]

وظَلَّ لِلأَعْيَسِ المَزْجِي نَوَاهِضَه فِي نَفْنَفِ الجَوِّ تَصْوِيبٌ وَتَصْعِيدُ
قال: ويروى «في نَفْنَفِ اللُّوْحِ»، والجمعُ أَجْوَاء، ومنه حديث علي: «فتقَّ الأجواءَ وشقَّ الأَرْجَاءَ»، وقال تعالى: ﴿الْمُرِيرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: ٧٩/١٦]، قال قتادة: أي في كَبِدِ السماء، ويقال: كَبِيداء السماء»، ١.هـ لسان [جوا].

وفيه: «قال اللَّيْث: كَبِدُ السماء: ما استقبلك من وسطها، يقال: حلقَّ الطائر حتى صار في كَبِدِ السماء وكَبِيداء السماء، إِذَا صَغَّرُوا جعلوها كالنعت، وكذا يقولون في سُويداء القلب، قال: وهما نادران حُفظتا عن العرب هكذا، وقال أيضاً: كَبِدُ الرَّمْلِ والسماء وكَبِيدَاتُهَا وكَبِيدَاؤُهَا: وَسَطُهَا ومعظمُهَا» ١.هـ لسان [كبد].

والجوُّ ما بين السماء والأرض مطلقاً، وأما اللُّوْحُ السابقُ تفسيرُهُ فالمرادُ به في بيت الناظم الهواء المَلَاقِي لأَعنان السماء نواحيها وأَرْجائها وأَقطارها.

«أَعْلَى مُتَمَمِي»، أَعْلَى أَفْعَلُ تفضيل من عَلَا يَعْلُو عَلَوًّا كَسَمَا يَسْمُو سُمُوًّا وَزناً ومعنى، وَعَلِيَّ كَرَضِيَّيْ كَمَا فِي القاموس [علي] يَعْلَى عَلَاءً كَذَلِكَ، ومنه العَلَا بالضمِّ والقصر، وهو الشرف ونيلُ المكارم والمجدُّ والرَّفْعَةُ، ومعنى عَلَا ارتفع وَسَمًا وَصَعِدَ وَرَقِيَّ وَارْتَقَى وَتَرَقَّى إِلَى مَكَانٍ عَالٍ مَرْتَفِعٍ ذَاهِبٍ إِلَى جِهَةِ السَّحَابِ كَالْجِبَالِ وَنَحْوِهَا، وَأَعْلَى جِبَلِ بِيَلَادِ العَرَبِ جِبَلٌ يَسْمَى بِشَرِيْفِ كَرْبِيْرٍ، قال الفيروزآبادي صاحبُ القاموس فيه: «وقد

صَعِدْتُهُ» [صعدا]، قال شارحه: «وقال ابن السكيت: الشَّرْفُ: كَبِدُ نَجْدٍ، وكان من منازل الملوك من بني آكل المَرَار من كِنْدَةَ» ا.هـ.

ومجموع مادّة الشَّرْف تدلُّ على العُلُوّ والارتفاع والسُّمو، قال في التاج: «الشَّرْف محرّكة العُلُوّ والمكان العالي، وقال شمر: الشَّرْف: كُلُّ نَشَزٍ فِي الْأَرْضِ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَا حَوْلَهُ، يقال: أَشْرَفَ لِي شَرَفٌ فَمَا زِلْتُ أَرْكُضُ حَتَّى عَلَوْتُهُ، وقولُ الشاعر:

آيَ النَّدِيِّ فَلَا يُقَرِّبُ مَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرْفِ الرَّفِيعِ حِمَارِي
معناه أَنِي خَرِفْتُ فَلَا يُتَنَفَعُ بِرَأْيِي، وَكَبِرْتُ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْكَبَ مِنَ الْأَرْضِ حِمَارِي
إِلَّا مِنْ مَكَانٍ عَالٍ» ا.هـ. تاج [شرف] ببعض تصرّف واختصار. ونحوه في اللسان، وفيه: «يقال: أَشْرَفَ الشَّيْءُ: عَلَا وَارْتَفَعَ» ا.هـ. لسان.

وقوله في آخر الصحيفة السابقة لهذه «نَشَزٌ» في التاج: «النَّشَزُ بِالْفَتْحِ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ كَالنَّشَازِ بِالْفَتْحِ كَسَحَابٍ، وَالنَّشَزُ مُحَرَّكَةٌ، وَجَمْعُ الْأَوَّلِ نُشُوزٌ كَفُلْسٌ وَفُلُوسٌ، وَجَمْعُ الثَّانِي أَنْشَازٌ كَسَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَنَشَازٌ كَجَبَلٍ وَأَجْبَالٍ وَجِبَالٍ.

وَالنَّشَزُ: الْارْتِفَاعُ فِي مَكَانٍ، وَقَدْ نَشَزَ الرَّجُلُ يَنْشُزُ وَيَنْشُزُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: ارْتَفَعَ قَلِيلًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١/٥٨] فُرِيَ بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَضَمِّهَا، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَيُّ: إِذَا قِيلَ: انْهَضُوا فَانْهَضُوا وَقَوْمُوا» ا.هـ. تاج [نشز].

وَفِي اللِّسَانِ: «نَشَزَ فِي مَجْلِسِهِ يَنْشُزُ وَيَنْشُزُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: ارْتَفَعَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ.

وقوله: «أَعْلَى مُتَمَمِي» قال بعض الشُّرَاحِ [الصاوي]: «أَيُّ مَوْضِعٍ مُرْتَفَعٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُفْتَعَلٌ مِنْ نَهْأَ إِذَا رَفَعَهُ» ا.هـ. وَأَقُولُ: هُوَ إِمَّا مُصَدَّرٌ مِمِّيٌّ بِمَعْنَى الْإِنْتِهَاءِ، وَهُوَ الْارْتِفَاعُ، أَوْ اسْمٌ مَكَانٍ بِمَعْنَى الْمَوْضِعِ الْعَالِيِّ الرَّفِيعِ، يُقَالُ: أَنْتَمِي أَنْتَمِيَّ أَنْتَمِيَّ أَيُّ ارْتَفَعَ، قَالَ فِي

اللسان: «كُلُّ ارتفاع انْتِماء، يقال: انتمى فلان فوق الوِسَادَة [أي ارتفعَ عليها وعلاها]،
ومنه قولُ الجَعْدِي: [ديوانه ٢١٩]

إِذَا انْتَمَيْتَا فَوْقَ الْفِرَاشِ عَلَاهُمَا تَضَوُّعُ رِيَّا رِيحِ مِسْكِ وَعَنْبِرِ
ويقال: نَمَا الْخِضَابُ أَي ازْدَاد حُمْرَةً وَسَوَادًا، وَأَنشَد:
يَا حُبَّ لَيْلٍ لَا تَغَيِّرْ وَازْدِدِ وَأَنْتُمْ كَمَا يَنْمِي، وَفُلَانٌ يَنْتَمِي إِلَى فُلَانٍ أَي يَرْتَفِعُ
إِلَيْهِ [والمراد أن نسبه يصل إليه]، قال: وَأَنْتَمَى الْبَازِي وَالصَّقْرُ وَغَيْرُهُمَا وَتَنَمَّى: اِرْتَفَعَ مِنْ
مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ: [أشعار الهذليين ١٤٣]
تَنَمَّى بِهَا الْيَعْسُوبُ حَتَّى أَقَرَّهَا إِلَى مَأْلَفٍ رَحْبِ الْمَاءِ عَاسِلٍ
أَي ذِي عَسَلٍ، انْتَهَى مِنَ الْلسَانِ [نمي].

قال في التاج: «الْيَعْسُوبُ: أَمِيرُ النَحْلِ وَذَكَرَهَا، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الرَّئِيسِ الْكَبِيرِ
وَالسَيِّدِ الْمَقْدَمِ، وَأَصْلُهُ فَحْلُ النَحْلِ كَالْعَسُوبِ كَصَبُورٍ، وَالْيَعْسُوبُ أَيضاً: ضَرْبٌ أَي نَوْعٌ
مِنَ الْحِجْلَانِ [بالكسر جمع حَجَلٍ لِلطَّائِرِ الْمَعْرُوفِ]، وَطَائِرٌ أَصْغَرُ مِنَ الْجَرَادَةِ، وَقِيلَ:
أَعْظَمُ، طَوِيلُ الذَّنْبِ، لَا يَضُمُّ جَنَاحَيْهِ إِذَا وَقَعَ، تُشَبِّهُ بِهِ الْخَيْلُ فِي الضُّمْرِ، قَالَ بَشْرٌ:
[ديوانه ٨٤]

أَبُو صَبِيئَةَ شُعْثٍ يُطِيفُ بِشَخِصِهِ كَوَالِحِ أَمْثَالِ الْيَعَاسِيْبِ ضَمَّرُ
وَالْيَعْسُوبُ اسْمُ فَرَسٍ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُ فَرَسِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ، وَالْيَعْسُوبُ أَيضاً: عُرَّةٌ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ ١. اهتاج ولسان [عسب].
وَأَقْرَبُهَا مَتَعَدِّي قَرَّرَ يَقْرَرُ وَيَقْرَرُ مِنْ بَابِي ضَرْبٍ وَعَلِمٍ، وَالْأَوَّلُ أَعْلَى أَي أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، ثَبَّتَهُ
وَسَكَّنَهُ وَجَعَلَهُ مُسْتَقَرًّا.

والمألّف من أَلِفَ كَعَلِمَ موضع الألفة، وهي الأنس والمحبة والالتئام والاجتماع، وفي

التاج [ألف]: «المألّف: موضعُ الأوائف [لجمع ألفة] من الإنسان أو الإبل، والمألّف أيضاً: الشجر المورق، يدنو إليه الصيد لآلفه إيّاه» ١.هـ.

والرّحْب: الواسع كالرّحيب والرّحاب بالضمّ، والمبَاءة، قال في التاج: «المنزل ويقال: هو رَحِيبُ المَبَاءة أي سَخِيٌّ واسعُ المعروف، وقرأتُ في «مُشْكِل القرآن» لابن قتيبة، وأنشد:

وَبَوَّاتٌ بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبِ المَبَاءةِ وَالْمَسْرَحِ
كَيْفِيَةُ العُقَاةِ كِلَابِ القِرَى وَنَبْحِ الكِلَابِ المُسْتَبِحِ

قال [التاج (بوأ)]: والمبَاءة أيضاً: بيت النحل في الجبل، وفي التهذيب: هو المراح الذي تَبَيَّتُ فيه، والمبَاءة أيضاً: مُتَبَوِّأُ الولد من الرَّحِمِ، وَكِنَاسُ الثور الوحشيّ، والمعْطَنُ: مُنَاخُ الإبل ومَبْرَكُهَا كالعَطَن بالتحريك، وأما المَرْبِضُ والرَّبِضُ فهو كَمَجْلِسٍ وَسَبَبٍ. وفي اللسان: «المبَاءة: معْطِنُ القوم للإبل حيث تُنَاخُ في الموارد، ومبَاءةُ الغنم: منزلها الذي تأوي إليه، وهو المُتَبَوِّأُ، وبوَّأه منزلاً وبوَّأه له وبوَّأه فيه بمعنى هيَّأه له وأنزله ومكَّن له فيه، قال: [ديوان ابن هرمة ٤٩]

وَبَوَّاتٌ فِي صَمِيمٍ مَعْشَرِهَا وَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوِّؤُهَا

أي نزلت من الكرم في صميم النَّسب» ١.هـ لسان [بوأ]، أي أصله وخالصه ومخضه. وقوله في آخر البيت: «عاسِلٍ» فسره صاحبُ اللسان محمد بن مكرم فقال: «أي ذي عسلٍ»، وقد تقدّم. وقوله بعده: قال بشر:

أَبُو صَبِيئَةَ شُعْثٍ يُطِيفُ بِشَخْصِهِ كَوَالِحِ أمْثَالِ اليَعَاسِيْبِ ضَمَّرُ

الشُّعْثُ من الناس هم الذين أصابهم الشُّعْثُ بالتحريك، وهو تلبُّد الشعر واغبراره وانتشاره من عدم الأدهان، والشُّعْثُ من الخيل هي الغيرُ المُفْرَجَنَةُ، والمُفْرَجَنَةُ هي المحسوسة، قال في اللسان [فرجن]: «الفِرْجُونُ: المِحْسَةُ، وقد فَرَجَنَ الدَابَّةَ بالفِرْجُونِ، أي بالمِحْسَةِ، أي حَسَّهَا، والله أعلم» انتهى.

وفي التاج [حسس]: «الحَسُّ: القتل والاستئصال، ومن المجاز استعماله أي الحَسُّ في نَفْضِ التراب عن الدَابَّةِ بِالْمِحْسَةِ» ١.هـ.

وقوله: «يُطِيفُ»، قال في اللسان: «طَافَ بِهِ [بلا ألف]: حَامَ حَوْلَهُ، وَأَطَافَ بِهِ [بالألف] وعليه: طَرَفَهُ لَيْلًا، وقال الفراء في قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافِيٌّ﴾ [القلم: ١٩/٦٨] قال: لا يكون الطائف إلا لَيْلًا، ولا يكون نهارًا، وقد تتكلم به العرب فيقولون: أَطَافَ بِهِ نهارًا، وليس موضعه بالنهار، ولكنه بمنزلة قولك: لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ، لِأَنَّ القَطَا لا يَسْرِي لَيْلًا، وَأَنشَدَ أَبُو الجَرَّاحِ:

أَطَفْتُ بِهَا نَهَارًا غَيْرَ لَيْلٍ وَأَهْمَى رَهَبًا طَلَبُ الرِّجَالِ
ويقال: أَطَافَ عَلَيْهِ، أَي دَارَ حَوْلَهُ» ١.هـ لسان [طوف].

وقوله: «بَشَخَصَهُ»، «الشَّخْصُ: سَوَادُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، تَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَقِيلَ: لا يُسْمَى شَخْصًا إِلَّا جِسْمٌ مَوْلَّفٌ لَهُ شُخُوصٌ وَارْتِفَاعٌ» ١.هـ تاج [شخص]. وفي اللسان: «الشَّخْصُ: جماعة شَخْصِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مَذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْخَاصٌ وَشُخُوصٌ وَشِخَاصٌ، وَقَوْلُ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: [ديوانه ١٢٦]

فَكَانَ مَجْنِيًّا دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثَ شُخُوصٍ كَاعِبَانَ وَمُعْصِرُ
أَرَادَ بِالشَّخْصِ الْمَرْأَةَ، وَالشَّخْصُ: سَوَادُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، تَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ تَقُولُ: ثَلَاثَةٌ أَشْخِصُ، وَكُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ جُسْمَانَهُ فَقَدْ رَأَيْتَ شَخْصَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»، الشَّخْصُ: كُلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، وَالْمَرَادُ بِهِ إِثْبَاتُ الذَّاتِ، فَاسْتَعِيرَ لَهَا لَفْظَ الشَّخْصِ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: لا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لا يَنْبَغِي لِشَخْصِ أَنْ يَكُونَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَالشُّخُوصُ [الارتفاع وهو] ضِدُّ الْهُبُوطِ، وَالشُّخُوصُ أَيْضًا: السَّيْرُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ» ١.هـ لسان [شخص].

قوله: «كَوَالِحٍ» قال في اللسان: «الكُلُوحُ: تَكَسَّرَ فِي عُبُوسٍ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: الكُلُوحُ

والكَلَّاح، بُدُوُ الأَسنان عند العُبوس، كَلَّحَ كمنَع، وَتَكَلَّحَ وَأَكَلَّحَهُ الأَمْرُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَفْلَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٠٤]، قال أبو إسحاق: الكالِحُ: الذي قد قَلَصَتْ شَفْتُهُ عن أَسنانه ١. هـ لسان باختصار، ومثله في التاج [كلح]. وقوله: «قَلَصَتْ» أي انزوت وارتفعت، قال في التاج: «قَلَصَتْ شَفْتُهُ: أي انزوت وشَمَرَتْ ونَقَصَتْ، قال عنترَةُ العَبْسِيُّ: [ديوانه ٢١٥]

ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عن وَصَحِ الفَمِ
وفي المصباح [قلص]: «قَلَصَتْ شَفْتُهُ من باب صَرَب: انزوت، والظَّلُّ ارتفع، والثوبُ انزوى بعد غسله» ١. هـ. وقولُ عنترَةَ: «ولقد حَفِظْتُ وَصَاةً... إلخ، الوصَاة: قال في اللسان [وصا]: «قال الليث: الوصَاة كالوصِيَّة، وأنشد:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي يَزِيداً وَصَاةً مِنْ أَخِي ثَقَّةٍ وَدُودٍ»
١. هـ. منه. وقوله: «إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ» تقدَّم أن معناه ترتفع وتنزوي وتَنشِمُرُ وتَنكَمِشُ وتتقبَّضُ وتَنضَمُّ وتَجتمعُ، أرادَ أن الشمس لشدَّة حرارتها قد أثرت في الشِّفاه وأذبلتها وأذوتها وامتصت رطوبتها حتى غادرتها كجلدة قَرُبَتْ من النار فانزوت لذلك، أي انضمت واجتمعت. قال في اللسان: «رَوَى ما بين عَيْنَيْهِ فانزوى، أي جمعه وقبضه فاجتمع وأنقبض، قال الأعشى: [ديوانه ٧٩]

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدِي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلِيَّ المَحَاجِمُ
فَلَا يَنْبِسُ مَنْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ ما انزوى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
وفي هامشه: قوله: عندي، في الصحاح: دوني» [زوي] ١. هـ.

و«المحاجِمُ» جمعُ مَحْجَمٍ ومَحْجَمَةٌ بكسر ميمها، وهما اسمان للقارورة التي يُجْجَمُ بها: وقال ابن الأثير: المَحْجَمُ بالكسر: الآلة التي يُجمع فيها دَمُ الحِجَامَةِ عند المَصِّ، والمَحْجَمُ أيضاً: مِسْرَطُ الحِجَامِ» ١. هـ. تاج [حجم]. «قال زهير في دِيَاتٍ جُعِلَتْ نُجوماً على العاقلة: [ديوانه ٢٦]

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ عَرَامَةً وَلَمْ يَهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مَلَأَ مَحْجَمُ

وتنجيمُ المال أن يؤدَّى نُجوماً، قال في التاج [نجم]: «تنجيمُ الدِّين هو أن يقدرَ عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة مُشاهرةً أو مُساناةً، ومنه تنجيمُ المُكاتب» ١.هـ.

قال في المصباح: «النَّجْم: الكوكب، وكانت العرب تؤقَّت بطلوع النَّجم، لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب، وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواء، وكانوا يسمُّون الوقت الذي يَحِلُّ فيه الأداءُ نَجْماً تجوزاً، لأنَّ الأداء لا يُعرفُ إلا بالنجم، ثم توسَّعوا حتى سمَّوا الوظيفة نجماً لوقوعها في الأصل في الوقت الذي يطلع فيه النجم، واشتقُّوا منه فقالوا: نَجَمْتُ الدِّينَ بالثقل، إذا جعلته نجوماً.

قال ابن فارس [المقاييس (نجم)]: النَّجْم وظيفة كلِّ شيء، وكلُّ وظيفة نَجْمٌ، وإذا أُطلقت العربُ النجمَ أرادوا الثرياً، وهو عَلَمٌ عليها بالألف واللام» ١.هـ.
مصباحُ فاستضيء بنوره، فلله دُرٌّ مؤلفه حيث أجادَ تأليفه، ولم يبق للشكوك والإشكالات في صدور المرتابين مجالاً، أثارَ الله برهانه، ولنرجعُ إلى ما نحن بصدده، وهو قوله: «أعلى مُتَمَى».

قال الفيوميُّ في المصباح [نمى]: «نَمَى الشيءُ يَنُمِي من باب رَمَى نَمَاءً بالفتح، والمدُّ كثر، وفي لغة يَنُمُو نُموً، ويتعدَّى بالهمزة، ونَمَيْتُهُ إلى أبيه نَمِيّاً: نسبته، وانتمى إليه انتسب» ١.هـ. وفي المختار: «نَمَى المألٌ وغيره يَنُمِي بالكسر نَمَاءً بالفتح والمدُّ، وربَّما جاء من باب سَمَا، ونَمَى الحديثُ إلى فلان: أسنده له ورفعَه، ونَمَاه إلى أبيه: نسبه، وبأبهما رَمَى، وانتمى هو انتسب، قال الأصمعيُّ: نَمَيْتُ الحديثَ مَخْفَفاً أي بَلَّغْتُهُ على وجه الإِصلاح والخير، ونَمَيْتُهُ تَنْمِيَةً أي بَلَّغْتُهُ على وجه التَّنْمِيَةِ والإِفساد» ١.هـ.

وكلُّ هذا ليس ممَّا نحن فيه، والمُتَمَى هنا مأخوذٌ من ائتمى بمعنى ارتفع، قال في اللسان: «كلُّ ارتفاعٍ انتهاءً، يقال: ائتمى فلانٌ فوق الوِسادَةِ، ومنه قولُ الجعديِّ:

إذا ائتمى فوقَ الفراشِ علاهما تَضوُّعُ رِيَّارِيحِ مَسْكِ وَعَنْبَرُ

وَأَنْتَمَى الْبَازِي وَالصَّقْرُ وَغَيْرُهُمَا وَتَنَمَّى: ارتفع من مكان إلى آخر» ا.هـ لسان [نما]. ومثله في التاج، وقال في مستدركه: «وَأَنْتَمَى إِلَى الْجَبَلِ صَعِدًا» ا.هـ تاج.

فَالْمُنْتَمَى فِي الْبَيْتِ: الْمَوْضِعُ الْعَالِي الْمَرْفَعُ الَّذِي يُجْتَاجُ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ إِلَى الصُّعُودِ وَالِارْتِقَاءِ، وَقَدْ أَرَدْتُ بَيَانَ أَصْلِ هَذِهِ الْمَادَّةِ بِأَوْضَحٍ مِمَّا تَقَدَّمَ لَمَّا فِيهَا مِنْ خِلَافٍ، فَهَآكِهَآ، قَالَ فِي التَّاجِ [نَمَى]: «نَمَى الْمَالُ يَنْمِي، وَرَبَّنَا قِيلَ: يَنْمُو نُمُوًّا، قَالَ الْكَسَائِيُّ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا مِنْ أَحْوَيْنِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ فِي بَنِي سُلَيْمٍ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالْوَاوِ، وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ يَنْمُو وَيَنْمِي» انتهى، وَفِي الْمَحْكَمِ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَالَ الْكَسَائِيُّ: فَسَاقَ الْعِبَارَةَ كَسِيَاقِ الْجَوْهَرِيِّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَقَالَ: يَنْمُو وَيَنْمِي فَسَوَّى بَيْنَهُمَا، قَالَ شَيْخُنَا: وَاقْتَصَرَ ثَعْلَبُ فِي «فَصِيحِهِ» عَلَى «يَنْمِي»، وَأَمَّا يَنْمُو فَأَنْكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وفيه: «نَمَا يَنْمُو نُمُوًّا: زَادَ، وَالْحِضَابُ فِي الْيَدِ وَالشَّعْرُ يَنْمُو: أَزْدَادَ حُمْرَةً وَسَوَادًا، وَهُوَ مَجَازٌ، قَالَ اللَّحْيَانِيُّ: وَزَعَمَ الْكَسَائِيُّ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ أَنْشَدَهُ:

يَا حُبَّ لَيْلٍ لَا تَغَيِّرْ وَأَزْدِدِ وَأَنْمُ كَمَا يَنْمُو الْحِضَابُ فِي الْيَدِ
قال ابن سيده: «والرواية المشهورة «وَأَنْمَ كَمَا يَنْمِي»، وَنَمَوْتُ الْحَدِيثَ نُمُوًّا: أَسْنَدْتُهُ وَنَقَلْتُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ، وَنَمَا يَنْمُو كَنَمَى يَنْمِي نَمِيًّا بِالْفَتْحِ وَنُمِيًّا كَعُنِيَّ وَنَمَاءً وَنَمِيَّةً كَعَطِيَّةِ أَيَّ زَادَ وَكَثُرَ، وَأَنْمَى وَنَمَّى بِالْتَشْدِيدِ، وَهُمَا لِأَزْمَانٍ كُنَمَا وَمَتَعِدِّيَانِ، يُقَالُ: أَنْمَاهُ اللَّهُ إِينَاءً أَيَّ وَنَمَاهُ تَنْمِيَةً كَذَلِكَ، وَنَمَى الْمَخْفَفُ يُسْتَعْمَلُ أَيْضًا لِأَزْمَانٍ وَمَتَعِدِيًّا»، وَنَصُّ الرَّيْدِيِّ فِي التَّاجِ [نَمَى]: «وَمِمَّا يَسْتَدْرِكُ عَلَيْهِ أَنْمَاهُ اللَّهُ إِينَاءً: زَادَهُ، نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ، زَادَ ابْنُ بَرِي وَنَمَاهُ اللَّهُ كَذَلِكَ، يَعْدَى بغير همزة وَنَمَاهُ تَنْمِيَّةً» ا.هـ.

ومعنى البيت: فَأَنْزَلَ الرَّبَّاءَ عَلَى رَعْمِهَا وَخَفَضَهَا مِنْ مَكَانِهَا عَلَى كَرْهِهَا وَمَشَقَّتِهَا وَقَهَرَهَا وَقَسَرَهَا وَغَلَبَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مُلْكِهَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابِ

الجوِّ وأحمى من زُبْرَةِ الأسد، وكانت أعلى من الهواء الذي يلاقي عَنَانَ السماء ارتفاعاً وأبعدَ من آخرِ الجوِّ سُمُوماً وعلوّاً وارتقاءً. قال الناظم:

٤٣- وسيفٌ استعلتْ به هِمَّتُه حتى رَمَى أبعدَ شأوِ المرْتَمَى

«سيفٌ» ستأتي ترجمته. «استعلتْ به هِمَّتُه» أي رفَعته هِمَّتُه وسمتْ به وارتفعتْ وصعدتْ، قال في التاج [علا]: «عَلَا عَلُوّاً وَعَلِيَّ كَرَضِي وَتَعَلَّى، وَقِيلَ إِذَا عَلَا فِي مُهْلَةٍ وَعَلَاهُ وَعَلَا بِهِ عَلُوّاً وَاسْتَعْلَاهُ وَأَعْلَوَاهُ وَأَعْلَاهُ وَعَلَاهُ بِالتَّشْدِيدِ وَعَلَاهُ وَعَالَى بِهِ، كُلُّ ذَلِكَ إِذَا صَعِدَهُ جَبَلًا كَانَ أَوْ دَابَّةً، وَعَلَا النَّهَارُ: ارْتَفَعَ، كَاعْتَلَى وَاسْتَعَلَى» انتهى.

قال في اللسان: «الهِمَّةُ: واحِدَةُ الهمَمِ»، وقال أيضاً: «والهِمَّةُ: ما همَّ به من أمرٍ ليفعله»، وقال أيضاً: «والهِمَّةُ: الهَوَى» اه، وقال: «همَّ بالشيء يَهْمُّ: نَوَاهُ وَأَرَادَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ» اه لسان [همم].

وفي التاج [همم]: «الهِمَّةُ بالكسر ويُفْتَحُ: ما همَّ به من أمرٍ ليفعله، يقال: إنه لبعيدُ الهِمَّةِ والهِمَّةُ، وقال العُكْبَرِيُّ: الهِمَّةُ: اعتناءُ القلبِ بالشيءِ، وقال ابنُ الكَمَالِ: قوَّةُ راسخَةٍ في النفسِ طالِبَةٌ لمعالِي الأمورِ وهارِبَةٌ من خَسَائِسِهَا، والهِمَّةُ الهَوَى» انتهى.

وفي المصباح: «والهِمَّةُ بالكسر: أَوَّلُ العَزْمِ، وقد تُطْلَقُ على العَزْمِ القويِّ فيقال: له هِمَّةٌ عاليةٌ، والهمُّ بالفتح: أَوَّلُ العَزِيمَةِ أيضاً، قال ابنُ فارس: الهمُّ: ما هممتْ به، وهممتُّ بالشيءِ هَمًّا، من بابِ قَتَلَ: أَرَدْتُهُ ولم أفعله» اه مصباح [همم].

والهمُّ بالكسر: الشيخ الكبير البالي والأُنثَى: هِمَّةٌ، وعليها قلتُ هذه السَّجْعَةَ: ما أشبه المرءَ الصغيرَ الهِمَّةَ بالمرأةَ الكبيرةَ الهِمَّةَ.

«حتى رَمَى أبعدَ شأوِ المرْتَمَى». رَمَى: نبذَ وطرحَ، يقال: رميتُ وقذفتُ ونبذتُ وطرحتُ وألقيتُ بمعنى واحد.

«أبعدَ» أفعلُ تفضيل من بعدَ يبعُدُ بعداً كقُرْبَ يقربُ قُرْباً وزناً، وضدُّه معنىً، ومثله

بَعْدَ يَبْعَدُ بَعْدًا، على وزن تَعَبَ يَتَعَبُ تَعَبًا، ويقال أيضاً: بَعْدَ بَعْدًا وَبَعْدَ بَعْدًا بمعنى هَلَكَ، كما في اللسان [بعد]، وليس المراد هنا، بل المرادُ الأَوَّلُ الذي بمعنى التباعُد، ضدَّ القُرْبِ.
 و«الشَّأُو»، في اللسان: «الشَّأُو: الطَّلَقُ والشَّوْطُ، والشَّأُو: الغايَةُ والأَمْدُ»، وقال أيضاً:
 «الشَّأُو: الشَّوْطُ والمَدَى، والشَّأُو أيضاً: السَّبْقُ، وهو مصدر شَأَوْتُ القَوْمَ شَأَوًّا أَي سبقتُهُم، كشأيتُهُم شَأِيًّا، قال امرؤ القيس:

فكان تَنادِينا وَعَقْدَ عِذارِهِ وقال صِحابي قد شَأَوْنَاكَ فاطْلُبِ
 قال: قال ابن بري: الواو ههنا بمعنى «مع»، أي مع عقْدِ عِذارِهِ، فأَعْنَتُ عن الخبرِ على حدِّ قولهم: «كُلُّ رجلٍ وَصِيْعَتُهُ»، ويقال أيضاً: شَأَنِي الشَّيْءُ شَأَوًّا: أَعْجَبَنِي، وقيل: حَزَنَنِي، وقيل: طَرَبَنِي، وقيل: شاقَنِي» ا.هـ لسان [شأى].

ومعنى «شاقني» شَوَّقَنِي، يقال: شاقني حُسْنُها وَذِكْرُها وَحُبُّها وشَوَّقَنِي أَي هَيَّجَ شوقِي، والشَّوْقُ: نِزاعُ النَفْسِ إلى الشَّيْءِ بالاشتِياقِ، يقال: بَرَحَ بي الشَّوْقُ، وقال ابن الأعرابي: الشَّوْقُ حركةُ الهوى، والجمعُ أشواقٌ كذا في التاج [شوق].

وفيه: «نَزَعَ الغَريبُ إلى أهله نِزاعَةً كسَحابةٍ ونِزاعاً بالكسر ونُزوعاً بالضمُّ أَي: حَنَّ واشتاقَ كَنازعٍ، يقال: نَزَعَ إلىهِ نِزاعاً، ونازَعْتَهُ نَفْسُهُ إلىهِ، وقال الشاعر:

لا يَمْنَعَنَّكَ حَفْضُ العَيْشِ في دَعَةِ نُزُوعِ نَفْسٍ إلى أَهْلِ وَأوطانِ
 تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ إنْ حلَّتْ بِها أَهلاً بِأَهْلِ وَجيراناً بِجيرانِ»
 ا.هـ تاج [نزع]. وفي المصباح: «نازَعَتِ النَفْسُ إلى الشَّيْءِ نُزُوعاً وَنِزاعاً: اشتاقتُ، وَنَزَعَ إلى أَهله يَنْزِعُ من بابِ صَرَبَ» ا.هـ ومثله في المختار، أَي حَنَّ واشتاقَ.

وقولُهُم في تفسِيرِ الشَّأُو: الطَّلَقُ، هو بالتحريك: جَرِيُّ الفرسِ لا تَحْتَبِسُ إلى الغايَةِ، يقال: عدا الفرسُ طَلَقاً أو طَلَقَيْنِ كما يقال: شَوْطاً أو شَوْطَيْنِ» كذا في المصباح [طلق]، وفيه [شوط]: «الشَّوْطُ: الجِري مرَّةً إلى الغايَةِ، وهو الطَّلَقُ، والجمعُ أشواطُ، وطافَ ثلاثة

أشواط، كُلُّ مَرَّةٍ مِنَ الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ شَوْطٌ» ١.هـ. وفيه [غوي]: «الغاية: المدى، والجمعُ غايٌّ وغاياتٌ، والغاية: الرّاية، والجمعُ غاياتٌ، وغايتُك أن تفعلَ كذا، أي نهايةُ طاقتِك أو فِعْلِك» ١.هـ.

ومدى الشيء مُنتهاه وغايته، كذا فيه [مدي] أيضاً، وفيه: «الأمْدُ: الغاية، وبلغَ أمده أي غايته، وأمدَ يأمِدُ أمداً، أي غضِبَ» ١.هـ.

فالشَّوْطُ: الطَّلُقُ، وكلاهما بمعنى المسافة التي تُقطعُ بمرّة، والغايةُ والمدى والأمدُ بمعنى واحد، وهو مُنتهى تلك المسافة ومُنْتَهَى كُلِّ شيءٍ، وتنفردُ الغايةُ عنهما بمعنى الرّاية، وهي العَلَمُ والبَنْدُ واللَّوَاءُ، وهو الذي يُعقدُ لأمير الجيش.

«المُرْتَمَى» موضعُ الارتماء، والارتماءُ مطاوعُ الرمي، يقال: رميتُ الشيءَ من يدي، أي ألقَيْتُهُ فارتَمَى، أي طاحَ ووقعَ وسقطَ، أو المُرْتَمَى من ارتَمَى القومُ إذا رمى بعضهم بعضاً كتراموا، أو المُرْتَمَى: موضعُ الصّيد، يقال: خرجتُ أرتمى، وخرجَ يَرْتَمِي إذا خرجَ يرمي القَنْصَ، وقال الشَّماخُ: [ديوانه ٢١١]

خَلَّتْ غَيْرَ آثَارِ الْأَرَاجِيلِ تَرْتَمِي تَقَعَّعُ فِي الْأَبَاطِ مِنْهَا وَفَاضَهَا
قال: تَرْتَمِي أي ترمي الصّيدَ، والأَرَاجِيلُ: رِجَالَةُ لُصُوصٍ. وكلُّ ما تقدّم من معاني الارتماء نقلته من اللسان، وفيه أيضاً: «وفلانٌ مُرْتَمَى للقومِ ومُرْتَبَى أي طليعةٌ» ١.هـ لسان [رمي]. وفي التاج: «رَمَى الشيءَ ورَمَى به: ألقاه: كَأَرَمَى ومطاوعٌ رَمَاهُ بلا ألفٍ اَرْتَمَى، ومنه قوله: [ديوان عمرو بن كلثوم ٨٦]

وُسُوقاً بِالْأَبَاعِ يَرْتَمِينَا

كذا فيه، وفي اللسان [معز]: «بالأماعز»، قالوا: «أراد يَطْحَنَ وَيَجْرُزَنَ»، والأماعز جمعُ الأَمْعُزِ، وهو الأرضُ الحَزَنَةُ الغليظة ذاتُ الحجارة، ويُجمع أيضاً على مُعْزٍ على توهُمِ الصفة، وأما الأماعز فعلى ملاحظة الاسميّة، ومثله المَعْزَاءُ وتجمعُ على مَعْزَاوَاتٍ. وقال في التاج: «وهو مُرْتَمٍ لَنَا أَي طليعةٌ كَمُرْتَبٍ وَمُنْتَمٍ».

وفي اللسان [ربأ]: «رَبَأْتُ القومَ وربأتُ لهم وارتبأتهم أي رَقَبْتُهُم، وذلك إذا كنتَ لهم طليعةً فوقَ شرفٍ [أي مكانٍ عالٍ]، واسمُ الموضعِ منه مَرَبَأً ومَرَبَأَةٌ ومَرَبَأٌ، وهو المَرَقَبَةُ»
 ١.هـ. وقالوا عن تهذيب الأزهري: «أرَمَيْتُ الحِمْلَ عن ظهر البعير فارتَمَى عنه إذا طاح، وارتَمُوا ورتَمُوا: رمى بعضهم بعضاً، وخرج يَرْتَمِي أي يَرْمِي القَنْصَ، قال: والمَرْمَى: موضع الهدف الذي تُرمى إليه السهامُ» ١.هـ تاج [رمي].

والقَنْصُ يكون مصدرًا وبمعنى اسم المفعول، قال في اللسان: «قَنَّصَ الصيْدَ يَقْنِصُهُ قَنَّصًا وقَنَّصًا واقْتَنَّصَهُ وتقَنَّصَهُ صَادَهُ، كقولك: صَادَهُ واصطادَهُ وتصيَّدَهُ، والقَنَّصُ والقَنَّيْصُ: ما اقْتَنَّصَ» ١.هـ لسان [قنص].

يقول: «إنَّ سيفاً قد علَّتْ به همَّتُهُ ورفعته شيمتُهُ وعزيمتُهُ حتى تمكَّنَ من رَمِي أَقْصَى ما يمكنُ رميهِ من الهدف، وأُوصلَ مُرادَهُ إلى حيث يريد بحُسن رأيه وقوَّة عزمه وقذفِ سهامِ آراءِ المصيبةِ إلى غاية موضع الارتماء، والله أعلمُ.

وقد علمت أن الارتماءَ يكون بمعنى التَّرامِي، وهو رمي القوم بعضهم بعضاً وبمعنى وقوع المرميات كما في قولك: رميتُ السهامَ فارتمتُ، أي وقعتُ وسقطتُ وخرتُ وطاحتُ، وبمعنى الاصطياد والاقْتناص، كما يقال: خرج الأمير ليرتَمِي أي ليتصيَّدَ ويقتنِصَ، فخذ من هذه المعاني ما تراه موافقاً واقتنِصَ.

٤٤- فَجَرَعُ الأَحْبُوشِ سُماً نَاعِياً واحْتِلَّ مِنْ غَمْدَانِ مِحْرَابِ الدُّمَى

«جَرَعٌ» بالتشديد متعدِّي جَرَعَ المَاءَ يَجْرَعُهُ جَرَعاً من باب نَفَعَ، وَجَرَعْتُ أَجْرَعُ من باب تَعَبَ لَعْنَةً، وهو الابتلاع، و«الجُرْعَةُ من الماء كاللُّقْمَةُ من الطعام، وهو ما يُجْرَعُ مرَّةً واحدةً، والجمعُ جُرْعٌ كغُرفٍ، واجترَعَ مثل جَرَعَ وَجَرَعٌ، و«تَجَرَّعَ الغُصَصَ» مستعارٌ من ذلك مثلُ قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٦/٣]، كنايةٌ عن النزول به والإحاطة «كذا في المصباح [جرع].

وفي اللسان: «جَرَّعَهُ غُصَصَ الْغَيْظِ فَتَجَرَّعَهُ، أَي كَظَّمَهُ، وَيُقَالُ: مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحْمَدَ عُقْبَانًا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ تَكْظِمُهَا» ١. هـ لسان [جرع].

والغَيْظُ: الغضب، وقيل: الكأَمِنْ عَجْزًا، وهو أَشَدُّ مِنَ الغضب، وقيل: هو سَوْرَتُهُ [أَي حَدَّثَتْهُ] وَأَوَّلُهُ «كَذَا فِي اللِّسَانِ [غَيْظٌ].

وَالكَظْمُ أَنْ تَمْنَعَ نَفْسَكَ مِنَ التَّشْفِيِّ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «كَظَمَ الرَّجُلُ غَيْظَهُ يَكْظِمُهُ إِذَا اجْتَرَعَهُ وَرَدَّهُ وَحَبَسَهُ، فَهُوَ رَجُلٌ كَظِيمٌ، وَذَلِكَ الْغَيْظُ مَكْظُومٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

﴿وَالْكَظِيمِينَ الْغَيْظُ﴾ [آل عمران: ٣/١٣٤]، فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ فَقَالَ: يَعْنِي الْحَابِسِينَ الْغَيْظَ لَا يُجَازُونَ عَلَيْهِ، وَقَالَ الرَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ أَعَدَّتْ الْجَنَّةُ لِلَّذِينَ جَرَى ذِكْرُهُمْ وَلِلَّذِينَ يَكْظِمُونَ الْغَيْظَ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا الْإِنْسَانُ أَكْظَمَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [ابن ماجه: ٤١٨٩]، وَيُقَالُ: كَظَمْتُ الْغَيْظَ أَكْظِمُهُ إِذَا أَمْسَكَتَ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ، وَقَالَ أَيضًا: كَظَمْتُ الْغَيْظَ: تَجَرَّعُهُ وَاحْتِمَالُ سَبِيهِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ» [مسلم: ٧٤١٥]، أَي لِيَحْبِسَهُ مَعَهَا أَمْكَنَهُ» ١. هـ لسان [كظم].

والمَرَادُ مِنَ التَّجْرِيعِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ السَّقْيِ بَعْنَفٍ وَشِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ، وَلَا يَكُونُ مَفْعُولُهُ إِلَّا مَكْرُوهًا كَالصَّبْرِ وَالْحَنْظَلِ وَالْعَلَقَمِ وَالْأَلَاءِ، وَهُوَ بوزن العلاء، أَي مَفْتُوحٌ مَمْدُودٌ، قَالَ فِي التَّاجِ: «وَقَدْ سُمِعَ بِالقَصْرِ وَالْمَدِّ، وَهُوَ مُرُّ الطَّعْمِ جَدًّا، وَلِذَلِكَ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ مِنْ جَمَلَةِ سَجْعَاتِهِ الْبَدِيعَةِ: «طَعْمُ الْأَلَاءِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ، وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ الْأَلَاءِ عِنْدَ الْمَنِّ»، وَقَالَ ابْنُ عَنَمَةَ يَرِثِي بُسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ:

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسِّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ

يقول: فسقط وأنصرع ووقع على الشجرة التي تسمى بالألاءة حالة كونه لم يرد به التوسيد، من وسدته المحددة، وهي الوسادة، أي جعلتها تحت رأسه ليضعه عليها فتوسدها

أَيَّ اتَّكَأَ عَلَيْهَا وَنَامَ، أَيَّ لَمْ يَقْصِدْ بِبُسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ أَنْ يُجْعَلَ تِلْكَ الشَّجَرَةُ الَّتِي هِيَ الْأَلَاءَةُ مُسْتَنَدًا وَمُتَّكَأً لَهُ لَيْسْتَنَدٌ وَيَتَّكَى عَلَيْهَا فَيَسْتَرِيحُ، وَإِنَّمَا صَادَفَ عِنْدَ وَقُوعِهِ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ عَلَى غَيْرِ قِصْدٍ فَكَأَنَّهُ وَسَّدَهَا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوسِّدْهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ الْمَعْنَى.

وَقَوْلُ الرَّخْشَرِيِّ: «طَعْمُ الْأَلَاءِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ، وَهُوَ عِنْدَ الْأَلَاءِ أَمْرٌ مِنَ الْمَنِّ» مَعْنَاهُ أَنَّ لَذَّةَ النَّعْمِ تَزِيدُ عَلَى لَذَّةِ الْمَنِّ، وَهُوَ شَيْءٌ شَبِيهُهُ بِالْعَسَلِ الْحَامِسِ حَلَاوَةٌ، كَانَ يُنْزَلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ هَمُّ فِي التَّيِّهِ مِنَ السَّمَاءِ عَفْوًا بَلَا تَعَبٍ مِنْهُمْ وَلَا عِلَاجٍ، وَإِنَّمَا يُصْبِحُونَ فَيَجِدُونَهُ فِي أَفْنِيَّتِهِمْ وَعَرَصَاتِهِمْ فَيَتَنَاوَلُونَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ» [ابن ماجه: ٣٤٥٣]، قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: أَيُّ لَا مُؤْنَةَ فِيهَا بَيِّنٌ وَلَا سَقْيٌ وَلَا غَيْرُهُمَا، فَهِيَ مِنْهُ بِهَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِي الْمَنِّ مَلْخُصٌّ مِنْ أَقْوَالِ نَقَلَهَا الرَّبِيدِيُّ فِي التَّاجِ [منن]:

وَقَوْلُهُ: «الْعَسَلُ الْحَامِسُ» كَذَا فِي التَّاجِ، أَيُّ الشَّدِيدُ الْحَلَاوَةِ، مِنْ حَمَسَ الْأَمْرُ كَفَرَحَ أَيُّ حَمَشَ، أَيُّ اشْتَدَّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَمِيَّ الْوَطِيسُ وَحَمَسَ قِتَالُ الْحَمِيسِ، وَالْحَمِيسُ: الْجَيْشُ، وَلَمْ أَرَ لِلْحَامِسِ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا أَقْدَمْتُ عَلَى تَفْسِيرِهِ بِرَأْيِي، وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْأَجَلَّةِ نَقْلًا عَنْ بَعْضِ النَّحَارِيرِ «الْعَادَةُ طَبِيعَةُ حَامِسَةً» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، أَيُّ شَدِيدَةُ قُوَّةٍ، قَالَ: وَالْحَاءُ الْمَعْجَمَةُ فِيهَا تَصْحِيفٌ، فَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَلَى أَنَّهُ يَرِدُ عَلَيْنَا أَنَّ «حَمَسَ الْأَمْرُ: اشْتَدَّ» لَا يَجِيءُ مِنْهُ حَامِسٌ قِيَاسًا، لِأَنَّ قِيَاسَ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ إِذَا كَانَ لَازِمًا أَنْ يَكُونَ عَلَى فِعْلِ بَفَتْحٍ فَكَسْرٌ، كَأَشْرَ فَهُوَ أَشْرٌ وَبَطَرَ فَهُوَ بَطْرٌ وَنَضَرَ فَهُوَ نَضْرٌ.

قَالَ فِي التَّاجِ [نضر]: «النَّضْرَةُ: النَّعْمَةُ وَالْعَيْشُ وَالْغِنَى، وَقِيلَ: الْحُسْنُ وَالرَّوْنُقُ كَالنُّضُورِ وَالنَّضَارَةِ بِالْفَتْحِ، وَالنَّضْرُ بِالتَّحْرِيكِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ كَنَضَرَ وَكَرَّمُ وَفَرِحَ، وَالْفَاعِلُ عَلَى نَاضِرٍ وَنَضِيرٍ وَنَضْرٌ» ا.هـ.

وهو على اللَّفِّ والنَّشْرِ المرتَّب، أي الفاعل من نَصَرَ كَنَصَرَ ناصِرٍ كناصر، وهكذا الثاني والثالث، اللهمَّ إِلَّا إِنْ سُمِعَ مَنَّ يُوَثَّقُ بعربيته «العادة طبيعةٌ حامسةٌ»، فيلحقُ بها شَدَّ قياساً لا استعمالاً «كأَمِنَ فهو آمِنٌ وسَلِمَ فهو سالمٌ، وعَقَرْتُ المرأةُ فهي عاقِرٌ»، كذا في ابن عقيل [١٣٥/٢]، وكندِمَ فهو نادِمٌ وأثِمَ فهو آثِمٌ.

قال في التاج [عقر]: «قال ابن القَطَّاع في تهذيبه: عَقَرَتِ المرأةُ وعَقَرَتْ وعَقَرَتْ، أي من حدَّ ضَرَبَ وكَرُمَ وعَلِمَ - كما هو مضبوط مصحَّح - عُقْرًا بالضمِّ وعَقَارًا بالفتح أي انقطع حملها» انتهى.

ونقل عن المحكم [١٠٣/١] واللسان أن مصادره عَقَّارة وعَقَّارة كسحابة وكتابة وعَقْرًا، فالشذوذ فيه أن تشتقَّ عاقِرًا من عَقَرَ كَعَلِمَ كما علمت، أو يكون منقولاً عن بعض كتب أئمة اللغة.

وقوله: «وهو أمرٌ من الألاء عند المَنَّ» أي وطعمُ الألاء التي هي النِّعمُ أمرٌ أي أشدُّ مرارةً من هذا الشجر المسمَّى بالألاء عند المَنَّ، والمَنَّ هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢/٢٦٤]، قال الصَّاوي على الجلائن: «المَنَّ هو تعدادُ النِّعمِ، وهو حرامٌ مُحِبِّطٌ للعملِ إِلَّا من الوالد على ولده والشيخ على تلميذه والسيد على عبده، فليس بحرام، والأذَى من عطفِ العامِّ على الخاصِّ لأنَّ المَنَّ من جُملة الأذَى» ا.هـ.

وهو ظاهر، أي لا تُحبطوا أجورَ صدقاتكم بمننكم على المتصدِّق عليهم وأذيتكم إيَّاهم بالفعل أو القول، وإيذاء الناس إيصالُ المكروه إليهم.

وفي المصباح ما يُنعش الأرواحَ بحُسن البيان وكمال الإفصاح والإيضاح، قال [منن]: «مَنَّ عليه بالعتق وغيره منَّا كقتل: أنعمَ عليه به، وامتنَّ عليه كذلك»، قال: «والاسمُ المِنَّةُ بالكسر،

وجمعها مَنَنْ، وَمَنْ عَلَيْهِ مَنَّا كَقَتْلٍ أَيْضاً: عَدَدَ لَهُ مَا فَعَلَهُ مِنَ الصَّنَائِعِ، كَأَنَّ قَالَ لَهُ: قَدْ أُعْطَيْتَكَ كَذَا، وَفَعَلْتُ لِأَجْلِكَ كَذَا»، قَالَ: «وَهُوَ تَكْدِيرٌ وَتَغْيِيرٌ تَنْكَسِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَلِهَذَا نَهَى الشَّارِعُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾»، وَمِنْ هُنَا يُقَالُ: الْمَنْ أَخُو الْمَنْ، أَيْ الْاِمْتِنَانُ بِتَعْدِيدِ الصَّنَائِعِ أَخُو الْقَطْعِ وَالْهَدْمِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ الشَّيْءُ مَنَّا أَيْ قَطَعَهُ، فَهُوَ مَمْنُونٌ: وَالْمَمْنُونُ: الْمَنِيَّةُ، وَهِيَ الْمَوْتُ، وَكَأَنَّهَا اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْمَنْ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْقَطْعِ لِأَنَّهَا تَقْطَعُ الْأَعْمَارَ، وَالْمَمْنُونُ: الدَّهْرُ، وَالْمَنْ: شَيْءٌ يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ فَيُجِنِّي «أ.هـ. منه، رَحِمَ اللهُ مُؤَلَّفَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَسْكَنَهُ أَعْلَى الْفَرَادِيسِ عَلَى هَذَا الْأَثَرِ الْجَلِيلِ النَّفْعَ الْجَمِيلَ الْوَقْعَ.

وَفِي التَّاجِ: أَنَّ «الْاِمْتِنَانَ بِتَعْدَادِ الصَّنَائِعِ مُسْتَقْبِحٌ مَكْرُوهٌ إِلَّا عِنْدَ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، وَلِقُبْحِ ذَلِكَ قَالُوا: الْمِنَّةُ تَهْدُمُ الصَّنِيعَةَ، «وَالصَّنِيعَةُ هُنَا الْإِحْسَانُ وَالْمَعْرُوفُ وَالْيَدُ وَالنِّعْمَةُ، وَكُلُّ مَا اصْطَنَعْتَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَجَمْعُهَا صَنَائِعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ» أ.هـ. تَاجِ [صَنِيعٌ]، وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، وَحُسْنُ ذِكْرِهَا عِنْدَ الْكُفْرَانِ قِيلَ: إِذَا كُفِرَتْ النِّعْمَةُ حَسُنَتْ الْمِنَّةُ». أ.هـ. تَاجِ [مَنْ].

«فَجَرَعَ الْأُحْبُوشَ»، «فَجَرَعَ» تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ بِإِيضَاحٍ، وَالْأُحْبُوشُ: قَالَ الزَّبِيدِيُّ فِي

التَّاجِ [حَبَشٌ]: «هُوَ بِالضَّمِّ جَمَاعَةُ الْحَبَشِ، قَالَ الْعَجَّاجُ: [ديوانه ١/ ٣٨١]

كَأَنَّ صِيرَانَ الْمَهَا الْأَخْلَاطِ بِالرَّمْلِ أُحْبُوشٌ مِنَ الْأَنْبَاطِ

قَالَ: وَقِيلَ: هُمُ الْجَمَاعَةُ أَيَّاءُ كَانُوا، لِأَنَّهُمْ إِذَا تَجَمَّعُوا اسْوَدُّوا» أ.هـ. وَمِثْلُهُ فِي اللِّسَانِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَيِّدِ الْأُحْبُوشَ بِالضَّمِّ كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ التَّاجِ.

وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّ صِيرَانَ» الْبَيْتِ، «الصَّيْرَانُ جَمْعُ صَوْرٍ بِالْفَتْحِ كَفَلَسٍ، وَالصَّوْرُ: النَّخْلُ

الصَّغَارُ أَوْ الْمَجْتَمِعُ، وَيُقَالُ [أَيْضاً] لِغَيْرِ النَّخْلِ مِنَ الشَّجَرِ صَوْرٌ وَصِيرَانٌ، وَفِي حَدِيثِ بَدْرِ: إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ بَعَثَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَحْرَقَا صَوْرًا مِنْ صِيرَانِ الْعُرَيْضِ» كَذَا فِي التَّاجِ [صَوْرٌ].

وفيه [عرض]: «وَعُرِيضُ كَزْبِيرٍ: وادٍ بالمدينة، على ساكنها أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، به أموالٌ لأهلها، ومنه حديث أبي سفيان أنه خرج من مكة حتى بلغ العُرِيضَ. والحديث الآخر: ساقٌ خَلِيجاً من العُرِيضِ» ١. هـ منه.

وفيه: «والخَلِيجُ: نهرٌ يقطعُ من النهرِ الأعظمِ إلى موضعٍ يُتَنَفَّعُ به فيه، والخَلِيجُ أيضاً: شُعبَةٌ من ماء البحرِ تُؤخَذُ منه إلى مكانٍ آخر، كأنها إنما سُميت بذلك لأنها خُلِجَتْ أي اجتذبتُ واقتطعتُ منه، وخَلِيجُ البحرِ هو الذي يقال له: الشَّرْمُ بالفتح» [التاج (خلج)].

«والصَّيرَانُ» أيضاً جمعُ صَوَارٍ وَصَوَارٍ بكسر الصاد وضمِّها ككِتَابٍ وَعُرَابٍ، وهو القطيعُ من البقرِ، كما أنه أي الصَّوَارُ وَالصَّوَارُ ككِتَابٍ وَعُرَابٍ يُطَلَّقُ على وعاءِ المِسْكِ، وقد جمعها مَنْ قال:

إِذَا لَاحَ الصُّوَارُ ذَكَرْتُ لَيْلِي وَأَذْكَرُهَا إِذَا نَفَحَ الصُّوَارُ

وقال آخر يصف الجوارى: [ديوان ذي الرمة ١١٥١]

أَشْبَهْنَ مَنْ بَقَرَ الخُلْصَاءِ أَعْيُنَهَا وَهَنَّ أَحْسَنُ مِنْ صَيْرَانِهَا صُورًا

فالصُّوَارُ في قوله: «لَا حَ الصُّوَارُ» قطعُ البقرِ، والثاني وعاءُ المِسْكِ، «ومعنى نَفَحَ فَاحٌ، يقال: نَفَحَ الطَّيْبُ يَنْفَحُ نَفْحًا وَنَفْحًا وَنَفْحًا كَعُرَابٍ وَنَفْحَانًا بالتحريك: أَرَجَ وَفَاحَ وَتَصَوَّعَ وانتشرت رائحته، وَنَفَحَتِ الرِّيحُ تَنْفِخُ مِثْلَ نَسَمَتِ أَي تَحَرَّكَتْ وَهَبَّتْ، وله نَفْحَاتٌ من معروفٍ أَي دُفَعَاتٌ، وَنَفَحَهُ بِالْمَالِ: أَعْطَاهُ، ومنه النَّفْحَةُ أَي العَطِيَّةُ، وفي الحديث: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفْحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»، وفي حديثٍ آخر: «تَعَرَّضُوا لِلنَّفْحَاتِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ» وشاهدُ «نَفَحَ الطَّيْبُ إِذَا فَاحَ رِيحُهُ» قولُ جِرَانَ العَوْدِ يَذْكَرُ امرأته: [ديوانه ٣٥]

لَقَدْ عَاجَلْتَنِي بِالْقَبِيحِ وَتَوْبَهَا جَدِيدٌ وَمِنْ أَرْدَانِهَا المِسْكِ يَنْفَحُ
أي: يَفُوحُ طَبِيبُهُ» ١. هـ من اللسان والتاج والمصباح [نفح]. وقوله:

أَشْبَهْنَ مَنْ بَقَرَ الخُلْصَاءِ أَعْيُنَهَا وَهَنَّ أَحْسَنُ مِنْ صَيْرَانِهَا صُورًا

ذكره الجوهريُّ شاهداً على أَنَّ الصَّوَرَ بكسر الصاد لغةٌ في الصُّورِ بضمِّها جمعاً
لصُّورة، وذكره في اللسان نقلاً عنه كذلك، ومثله التاجُ، وفَسَّرَ الصُّورة بالشكل والهيئة
والحقيقة والصفة، وفي المصباح [صور]: «الصُّورة: التَّمثال، وقد تُطلق ويُرادُّ بها الصِّفةُ
كقولهم: صورةُ الأمرِ كذا، أي صفتُهُ» ١.هـ.

«والخَلْصاءُ» على وزن الخَضراءِ: ماءٌ بالبادية، وقيل: موضعٌ، وقيل: موضعٌ فيه عينُ
ماءٍ «كذا في اللسان [خلص]، ثم استشهدَ بالبيت، ثم قال: «وقيل هو موضعٌ بالدَّهْناءِ
معروفٌ»، وفيه: «الدَّهْناءُ: الفَلَاةُ، والدَّهْناءُ: موضعٌ كلُّه رملٌ، وقيل: هو موضعٌ من بلاد
بني تميم، مسيرة ثلاثة أيام، لا ماء فيه، يُمدُّ ويُقصر، قال:

لَسْتُ عَلَى أُمَّكَ بِالذَّهْناءِ تَدِلُّ

قوله: «تَدِلُّ» هو من قولك: «دَلَّتْ المرأَةُ على زوجها تَدِلُّ ودَلَّاهُ كَتَبَبَ وَضَرَبَ
كَتَدَلَّتْ تَدِلُّواً، والاسمُ الدَّلَالُ بالفتح، وهو جُرأتها في تَكسُّرٍ وتَغَنُّجٍ وَخَنَثٍ كأنها مَخالِفَةٌ
وليس بها خِلافٌ»، «والخَنَثُ بالتحريك: مصدرٌ خَنَثَ كَتَبَبَ إِذا كان فيه لِينٌ وَتَكسُّرٌ» ١.هـ.
من المصباح [دل]. قال في اللسان: «أَنشده - أي أَنشدَ قوله:

لَسْتُ عَلَى أُمَّكَ بِالذَّهْناءِ تَدِلُّ

ابنُ الأعرابيِّ، وقال: يُضْرَبُ للمتسَخِّطِ على مَنْ لا يُبالي بتسَخُّطه، والنسبةُ إليه
دَهْناءِيٌّ» قال: «والدَّهْناءُ اسمٌ بنتُ مِسْحَلِ أَحَدِ بني مالِكِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مَناءِ بنِ تميم،
وهي امرأةُ العجَّاجِ، وكان قد عُنِنَ عنها، فقال فيها: [ملحقات ديوانه ٢/ ٣١١]

أَظَنَّتْ الدَّهْناءُ وَظَنَّ مِسْحَلٌ أَنَّ الأَميرَ بالقِضاءِ يَعْجَلُ

عَنْ كَسالَتِي وَالْحِصانُ يُكْسَلُ عَنْ السَّفادِ وَهُوَ طِرْفٌ هَيْكَلُ

١.هـ. لسان، ومثله في التاج [دهن]، وكتبَ مِصححُ اللسانِ في هامشه ما نصُّه: «قوله: أَظَنَّتْ
الدَّهْناءُ وَظَنَّ» إلخ قال الصَّغاني: الإنشادُ مُحْتَلٌّ والروايةُ بعد قوله: يَعْجَلُ:

كَلًّا ولم يُقَضَّ القضاءُ الفِصْلُ وإن كَسِلْتُ فالْحِصَانُ يُكْسَلُ
عن السَّفَادِ وهو طِرْفٌ يُؤَكَّلُ عند الرِّوَاقِ مُقَرَّبٌ مُجَلَّلٌ
ا.هـ، ولعلَّه الفِصْلُ بدل الفِصِيلِ، وهَيْكَلٌ بدل يُوَكَّلُ.

والكَسَلُ بالتحريك معلوم، وهو الفُتور والتَّواني، وبأبه تَعَبٌ، فهو كَسِلٌ وكَسْلَانٌ،
وهي كَسِيلَةٌ وكَسَلَى، وكَسْلَانَةٌ قليلةٌ، والجمع كُسَالَى بالفتح والضمِّ، والكسر فيه قليل، وإن
شئت كسرت اللَّام كما قيل: الصَّحَارَى والصَّحَارِي.

وفي اللسان: «الكَسَلُ: التثاقلُ عَمَّا لا ينبغي أن يُثاقلَ عنه، والفعلُ كَسِلَ وأكْسَلَ،
وأَنشد أبو عبيدة للعجاج:

أَطَنَّتْ الدَّهْنُ وَظَنَّ مَسْحَلٌ أَنَّ الأَمِيرَ بالقِضَاءِ يَعْجَلُ
عن كَسَالَتِي والحِصَانُ يُكْسَلُ عن السَّفَادِ وهو طِرْفٌ هَيْكَلٌ
قال أبو عبيدة: «وسمعتُ رُوْبَةَ يُنْشِدُهَا «فالجِوَادُ يُكْسَلُ»، قال: وسمعتُ غيره من
ربيعَةَ الجُوعِ يرويه: «يُكْسَلُ»، قال ابن بري: فَمَنْ روى «يُكْسَلُ» فمعناه يُثْقَلُ، ومَنْ روى:
«يُكْسَلُ» فمعناه تنقطعُ شهوتهُ عند الجماعِ قبل أن يصلَ إلى حاجته» ا.هـ لسان [كسل].

ولنرجع إلى تفسير ما نحن بصدده، وهو الأَحْبُوشُ، وقد تقدَّم أنه بالضمِّ: جماعة
الحبش، أو الجماعة أَيْ كانوا لأنهم إذا تجمَّعوا اسودُّوا، واستشهدوا بقول العجاج:

كَأَنَّ صَيْرَانَ المَهَا الأَخْلَاطِ بِالرَّمْلِ أَحْبُوشٌ مِنَ الأَنْبَاطِ

وقد مرَّ تفسير الصَّيرَانِ [٣٥٤/١]، وهي في البيت أَقَاطِيعُ البقرِ، والأَقَاطِيعُ جمعُ قَاطِيعٍ
كحديثٍ وأحاديثٍ على غير قياس، قال سيبويه: «وهو ممَّا جُمع على غير بناءٍ واحده»،
والقَاطِيعُ: الطائفة من الغنم والنَّعم ونحو ذلك، ويُجمع أيضاً على أَقْطَاعٍ كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ
وعلى قُطْعَانٍ بالضمِّ كَصَلِيبٍ وَصُلْبَانٍ وَجَرِيبٍ وَجُرْبَانٍ [قطع]، قال في المصباح [صلب]:
«صَلِيبُ النَّصَارَى جمعه صُلْبَانٌ»، وقال: «الجَرِيبُ: الوادي، ثمَّ استعير للقطعة المتميِّزة من

الأرض، فقيل فيها: جَرِيب، وجمعها أَجْرِبَةٌ وَجُرْبَانٌ بِالضَّمِّ، ويختلف مقدارُها بحسب اصطلاح أهل الأقاليم كاختلافهم في مقدار الرَّطْلِ وَالكَيْلِ وَالذَّرَاعِ»، ثم قال: «وفي كتاب «المساحة» للسموأل» [جرب]، وذكر بحثاً جيِّداً إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ، فلهذا تركته. و«المها»: بقر الوحش التي لأولادها الجَاذِرُ وَالْأَخْلَاطُ، أي المختلطُ ببعضها ببعض، وهو إما جمعُ خِلْطٍ بالكسر، وهو بمعنى المختلط المتداخل الأجزاء، كما في التاج [مها]، أو من قولهم: في الدار أَخْلَاطٌ، أي أوباش مجتمعون مختلطون، وهذا لا واحد له من لفظه. وقوله: «بالرَّمْل» أي بأرض الرَّمْلِ أو بِكُثْبَانِ الرَّمْلِ.

«أحبوش»: أي جماعة من الأنباط، والأنباط قال الزبيدي في التاج: «جِيلٌ ينزلون البطائح بين العراقيين، كذا في الصحاح [نبط]، وفي التهذيب: ينزلون السَّوَادَ، وفي المحكم: «سواد العراق» كالنَّبِيطِ وَالنَّبِطِ عَلَى وَزْنِ حَبِيشٍ كَأَمِيرٍ وَحَبَشٍ كَحَنْشٍ» ١. هـ منه. وفي المصباح [نبط]: «النَّبِطُ: جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَنْزِلُونَ سَوَادَ الْعِرَاقِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي أَخْلَاطِ النَّاسِ [أي أوباشهم] وعوامهم، والجمع أنباط كسبب وأسباب» ١. هـ منه.

والبطائح في اللغة جمع بطيحة، وهو كل مسيل واسع فيه دُقاق الحصى، وفي التاج [دقق]: «دُقاق العِيدَانِ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ كُسَاؤُهَا، وَقِيلَ: الدُّقَاقُ كَعُرَابٍ: فُتَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ دَقٌّ، وَالدُّقَاقُ أَيضاً: الدَّقِيقُ كالدَّقِّ بِالْكَسْرِ، وَمِنْهُ حُمَّى الدَّقِّ أَجَارَنَا اللهُ مِنْهَا، وَقَوْلُهُمْ: أَخَذْتُ دِقَّةً وَجِلَّةً كَمَا يُقَالُ: أَخَذْتُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ، وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً وَجِلَّةً».

«قال ابن بري: والفرق بين الدقيق والرقيق أنه بالدال خلاف الغليظ، وبالراء خلاف الثخين، فيقال: حساءٌ رقيقٌ وحساءٌ ثخين، وسيفٌ دقيقٌ والمضربٌ ورُمحٌ دقيقٌ وغصنٌ دقيقٌ وحبلٌ دقيقٌ، كما يقال: رُمحٌ غليظٌ وغصنٌ غليظٌ وحبلٌ غليظٌ، وقد يكون الدقيق من صفة الأمر الحقيق الصغير فيكون ضده الجليل» ١. هـ تاج [دقق].

وقوله: «وجِلَّه» «الجِلُّ بالكسر والفتح الجليل كالجلال كغراب ورمان، وجُلُّ الشيء بالضم: مُعظَّمُه» كذا فيه.

وقوله: «حَسَاء» «هو بالفتح على وزن سَمَاء، ويُقصر اسمُ الشيء الذي يُحْتَسَى، والاحتِسَاء: شربُ الأشياء الرقيقة من مَرَق ونحوه، قال: شَمِر: يقال: جعلتُ له حَسَوًا وحَسَاءً وحَسِيَّةً كدَلُو وسَمَاءً وغَنِيَّةً، أي طبختُ له الشيء الرقيق يتحسأه إذا اشتكى صدره وقد جاء ذكرُ الحَسَاء في الحديث، قال ابن الأثير وصاحب اللسان: «هو بالفتح والمدُّ، طَبِخٌ يُتَخَذُ من دَقِيق وماء ودُهْن، وقد يُجَلَّى، ويكون رقيقاً يُحْسَى»، والحسوة بالفتح بناءً مرّةً، وبالضم: قدرٌ ما يُحْسَى بمرّةً، فيقال: حَسَوْتُ حَسَوَةً، أي شربتُ مرّةً، وبقي في الإناء حُسُوَةٌ أي قدرٌ ما يُحْسَى بمرّةً، فبالفتح الفعل مرّةً، وبالضم اسمُ المحسوّ أي المشروب مرّةً، وفي الحديث: «ما أَسْكَرَ منه الفَرْقُ فالحُسُوَةُ منه حرامٌ»، قال في اللسان [حسا] بعد هذا الحديث: «الحُسُوَةُ بالضم الجزعة بقدرٍ ما يُحْسَى مرّةً واحدةً، وبالفتح المرة» ا.هـ. «والفرق بالتحريك أي بفتحتين: مِكْيال، يقال: إنه يَسَعُ ستة عشر رَطلاً» كذا في المصباح [فرق].

وفي التاج وفي الصحاح [بطح]: «وبَطَّاحُ النَّبَط بين العراقيين»، وفي اللسان «البَطِيحَةُ ما بين واسط والبصرة، وهو ماء مُسْتَنْقَعٌ لا يُرى طرفاه من سَعْتِه، وهو مَغِيضٌ ماء دجلة والفُرات، وكذا مَغَايِضٌ ما بين بَصْرَةَ والأهواز، والطَّفُّ: ساحل البَطِيحَةِ، وهي البَطَّاحُ والبَطَّاحان».

وقولهم: سَوَادُ الْعِرَاق، قال في المصباح [سود]: «العرب تسمي الأَخْضَرَ أَسْوَدَ لَأَنَّهُ يُرَى كَذَلِكَ على بُعْد، ومنه سَوَادُ الْعِرَاقِ لِحُضْرَةِ أَشْجَارِهِ وَزُرُوعِهِ» ا.هـ.

وفي التاج: «والسَّوَادُ من البَلْدَةِ قُرَاهَا، وقد يقال: كُوزَةٌ كَذَا وكَذَا وَسَوَادُهَا، أي ما حوَالِي قَصَبَتِهَا وَفُسْطَاطِهَا من قُرَاهَا وَرَسَاتِيحِهَا، وَسَوَادُ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ: قُرَاهُمَا» ا.هـ. تاج [سود].

وفيه [رزق]: «الرُّسْتاق والرُّزْداق والرُّسْداق: السَّوَادُ والقُرَى، وقال ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أَنَّهُم يَعْنُونَ بالرُّسْتاق كُلَّ موضع فيه مُزْدَرَعٌ وقُرَى، ولا يقال ذلك للمُدُن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السَّوَاد عند أهل بغداد، فهو أَخْصُّ من الكُورَة والإِسْتان» ١.هـ.

«والكُورَة: المدينة والصَّقْعُ (والصَّقْعُ يُطلق على الناحية وعلى الجهة وعلى المحلّة كما في المصباح) [صقع]، والجمع كُورٌ، يقال: دخلتُ كُورَةً من كُور خراسان، وقال ابن سيده: الكُورَة من البلاد: المِخْلَافُ، وهي القرية من قُرَى اليمن، قال ابن دريد: لا أَحْسَبُه عربيًّا» [التاج (كور)].

وفي التاج أيضاً: «المِخْلَاف: الكثير الإخلاف للوعد، والمِخْلَاف أيضاً: الكُور، ومنه مِخْلَيفُ اليمن، قال أبو عمرو: ويقال: استعمل فلانٌ على مِخْلَيفِ الطائف أي أطرافها ونواحيها، وقال ابن بري: «المِخْلَيفُ لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام، والكُورُ لأهل العراق، والرَّسَاتِيقُ لأهل الجبال والطَّسَاسِيجُ لأهل الأهواز، هذا ما نقله أئمة اللغة» ١.هـ من التاج من مادة (خ ل ف)، والطَّسَاسِيجُ جمع طَسُوجٍ على وزن تَتُورٍ وسَفُودٍ، وهو الناحية كما في القاموس [طسج]. فالأحْبُوش: جماعة الحَبَشَة، أو مطلق جماعة، والله أعلم.

«سَمًّا نَاقِعًا» أي قاتلاً في الحال، والسَّمُّ هذا القاتل المعروف، وهو مثلث السِّين، وضمُّه أَفْصَحُ، وهو بالتثنية أيضاً: الثَّقْبُ والحَرْقُ والمنْقَدُ الضيِّقُ، كخرق الإبرة وثقب الأنف والأذن، والمشهور فيه الفتح، كذا نقل في التاج [سم] عن شيخه، ونصّه: «قال شيخنا: قالوا: المشهورُ في الثقبِ الفتحُ كما في التنزيل: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾» [الأعراف: ٤٠/٧]، والأفصحُ في القاتِلِ الضمُّ» انتهى.

والثَّقْبُ والحَرْقُ والسَّقُّ والحَرْتُ بالفتح فيها بمعنى واحد، والأخيرُ يُضمُّ، وفي المصباح [سم]: «أنَّ الفتح فيما يقتل أكثر، فإنه قال: «السَّمُّ ما يقتل بالفتح في الأكثر وجمعه»

سُموم كَفَلَسَ وفُلُوسٌ، وَسِامٌ كَسَهُمْ وَسِهَامٌ، والضمُّ لغَةٌ لأهل العالِيَّةِ، والكسر لغة لبني تميم وَسَمَّ الطَّعَامَ كَقَتَلَ جَعَلَ فِيهِ السَّمَّ». قال: «والسُّمُّ: ثُقْبُ الإِبْرَةِ وفيه اللغات الثلاث، وجمعه سِامٌ».

«والمَسْمُ بفتح الميم والسين يكون مصدرًا للفعل ويكون موضع الثَّفُودِ، والجمعُ المَسَامُ وَمَسَامُ البَدَنِ: ثُقْبُهُ التي يَبْرُزُ عِرْقُهُ وبخارٌ بطنه منها، قال الأزهريُّ: سَمَّيتَ مَسَامًا لأنَّ فيها خُرُوقًا خَفِيَّةً». وفيه [أي في التاج (ثقب)]: «الثَّقْبُ: خَرَقٌ لا عُمَقَ له، ويقال: خَرَقَ نازِلٌ في الأَرْضِ، والجمعُ ثُقُوبٌ كَفَلَسَ وفُلُوسٌ، والثَّقْبُ مثالُ قُفْلٍ لغَةٌ، والثَّقْبَةُ مثله، والجمعُ ثُقُبٌ، كَعُرْفَةٍ وَعُرْفٌ» ١هـ. وفي المختار [سمم]: «السُّمُّ: الثَّقْبُ، ومنه سُمُّ الحِيطِاطِ بفتح السين وضمِّها، وكذا القاتِلُ يُفْتَحُ ويُضَمُّ ويُجْمَعُ على سُمُومٍ وَسِامٍ» ١هـ منه، ولم يذكر الكسرَ لمرجوحِيَّتِهِ، والله أعلم.

والحِيطِاطُ: ما يُحِاطُ به، ومثله المِخِيطُ، وهما على وزن حِافٍ ومِلْحَفٍ وإِزارٍ ومُتَزَّرٍ كذا في المصباح [خيط]، وفسَّرا في المختار بالإِبْرَةِ.

«ناقِعًا» أي مُزهِقًا لِلرُّوحِ مُعَدِّمًا للحياة، قال في التاج: «ويقال: سُمُّ ناقِعٌ أي بالغٌ قاتِلٌ، من نَقَعَهُ إِذا قَتَلَهُ، وقال أبو نصر: أي ثابتٌ مجتمِعٌ، من نَقَعَ الماءُ إِذا اجتمعَ، قال النابغة الذبيانيُّ: [ديوانه ٣٣]

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَئِيلَةٌ من الرُّقْشِ فِي أُنْيَاهِ السُّمِّ ناقِعٌ»
انتهى من التاج [نقع]. تفسير أَلْفَاظِ البَيْتِ.

فَبِتُّ: أي فَصِرْتُ أو فَكَنْتُ في اللَّيْلِ كَأَنِّي... إلخ، يقال: باتَ يَبِيتُ وَيَبَاتُ يفعلُ كذا أي تَلَبَّسَ بفعله ليلًا، كما يقال: ظلَّ يصنعُ كذا لما يُفَعَّلُ نهارًا، قال في المختار [بيت]: «باتَ الرجلُ يَبِيتُ وَيَبَاتُ يَبِيتُوتَةً، وباتَ يفعلُ كذا إِذا فعَلَهُ ليلًا»، وفي المصباح: «باتَ يَبِيتُ يَبِيتُوتَةً وَمَبَاتًا فهو بَائِتٌ، وتأتي نادرًا بمعنى نام ليلًا، وفي الأعمِّ الأَعْلَبُ بمعنى فعلَ

ذلك الفعل بالليل، كما اختصَّ الفعلُ في «ظَلَّ» بالنهار، فإذا قلت: بات يفعلُ كذا فمعناه فعله بالليل، ولا يكون إلا مع سهرِ الليل، وعليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٦٤]، وقال اللَّيْثُ: مَنْ قال: بات بمعنى نام فقد أخطأ، ألا ترى أنك تقول: بات يرعى النُّجومَ، ومعناه ينظر إليها، وقد تأتي بمعنى صار، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام: «فإنَّه لا يدري أين باتت يده» [البخاري: ١٦٢] وبات يبات من باب تَعَبَ لَغَةً فيه». وعن الزبيدي عن ابن كيسان أن «بات» يجوز أن تكون بمعنى «نام»، وبمعنى «كان» أيضاً، انظر التاج [بيت].

«ساوَرْتَنِي» قال في التاج: «ساوَرَه: أخذَ برأسه وتناوَلَه، وساوَرَه: واثبه وقاتله، وفي قصيد كعب بن زهير: [شرح بانث سعاد ٣٢٢]

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَآ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهُوَ مَجْدُولٌ
والقِرْنَ بالكسر: كفؤك في الشجاعة، والمجدول: المصروع المرمي على الجدالة كسحابة، وهي الأرض الصُّلبة، وقيل: ذات الرمل الرقيق، ومثله المجدل من التجديل للمبالغة، ومنه قول عليٍّ كرم الله وجهه ورضي عنه يومَ الجمل لما وقف على طلحة رضي الله عنه وهو صريعٌ: «أعزُّ عليٍّ أبا محمدٍ أن أراك مجذلاً تحت نجوم السماء في بطون الأودية، شفيت نفسي وقتلت معشري، إلى الله أشكو عُجْرِي وُبُجْرِي» أي همومي وأحزاني، وأصل العُجْر العُقْدُ الناتئة في العصب، والبُجْر في البطن.

والمطاوَعُ: الأنجدال والتجدل، ومن الأول الحديث المشهور: إني عند الله مكتوبٌ خاتم النبیین، وإنَّ آدمَ لمُنجدِلٌ في طينت» ا.هـ تاج [جدل].

وفي اللسان بعد هذا الحديث: «قال شمر: المُنجدِلُ: الساقط، والمجدلُ: الملقى بالجدالة، وهي الأرض»، وقال في تفسير حديث عليٍّ: «المجدلُ: الملقى على الأرض قتيلاً».

والضَّيْبِلَة: الحية الدقيقة الصغيرة. والرَّقْش: جمعُ أَرْقَشِ ورَقْشَاءِ من الرَّقْشَة، وهي لون فيه كُدْرَة وسواد، وفي اللسان: «الرَّقْش كالنَّفْس والرَّقْش والرَّقْشَة: لونٌ فيه كُدْرَة وسوادٌ ونحوهما، جُنْدُبُ أَرْقَشِ وحية رَقْشَاءِ فيها نُقْطُ سوادٍ وبياض». وفي التاج [رقش]: «والرَّقْش والترْقِيش: الكتابة والتنقيط» ا.هـ. وفي الأساس [نقع]: «نَقَعَ السَّمُّ في ناب الحية: اجتمع فيه، قال النابغة:

..... في أنيابها السَّمُّ نَاقِعٌ

ونَقَعَ الماءُ في بطن الوادي: ثَبَتَ واجتمعَ كاستنقعَ» انتهى. وفي المختار: «سَمُّ نَاقِعٌ أَي بالغٌ وقيل: ثابتٌ»، وفي اللسان: «نَقَعَ الماءُ يَنْقَعُ نُقُوعاً [من باب نَفَع، أي من الباب الثالث] في المسيل ونحوه، واستنقعَ: اجتمعَ وثبتَ، وفي حديث محمد بن كعب: «إذا استنقعتُ نفسُ المؤمنِ جاءه ملكُ الموتِ»، أي إذا اجتمعتُ في فيه تريد الخروجَ كما يستنقعُ الماءُ في قَراره، وأراد بالنفسِ الرُّوحَ، قال الأزهرِيُّ: ولهذا الحديثِ مَحْرَجٌ آخَرٌ، وهو من قولهم: نَقَعْتُهُ إِذَا قَتَلْتَهُ.

ونَقَعَ السَّمُّ في أنياب الحية: اجتمعَ، وأنقَعته الحيةُ، وقيل: أنقَعَ السَّمُّ: عتَقَه، ويقال: سَمُّ نَاقِعٌ أَي بالغٌ قاتلٌ، وقد نَفَعَه أَي قتلَه، وقيل: ثابتٌ مجتمِعٌ من «نَقَعَ الماءُ»، ويقال: سَمُّ نَاقِعٌ ومنقوعٌ ونَقِيعٌ، قال النابغة:

فِيتُ كَأَيِّ سَاورِثِي ضَيبِلَةً من الرَّقْشِ في أنيابها السَّمُّ نَاقِعٌ
وقد تقدّم قريباً تفسيرُ هذا البيت.

فتحصّل ممّا تقدّم أنّ معنى قوله: فجَرَعَ الأُجْبُوشَ سَمّاً نَاقِعاً
فسَقَى هذا الجليلُ المسمّى بالأُجْبُوشَ هذا الشرابَ القاتلَ، وقد رأيتُ في بعض الشروح [الصاوي ٤٩] أنّ الأُجْبُوشَ مَلِكُ الحبشة، ولم أظفر بنقلٍ فيه عن أحدٍ من اللغويين. وبعده:
واحتلَّ من عُمدانِ مِحْرَابِ الدُّمَى

قال في اللسان [حلل]: «حَلَّه واحتلَّه واحتلَّ به أي نَزَلَ به، قال: وقال اللَّيْثُ: الحُلُّ أيضاً الحُلُولُ والنُّزُولُ، قال الأزهرِيُّ: حَلَّ يَحُلُّ حَلًّا، قال المَثْبُوبُ العَبْدِيُّ: [ديوانه ١٩٨] أكل الدَّهْرَ حَلًّا وارتحالاً أَمَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَقِينِي»
 ا.هـ. ومعنى «تُبْقِي عَلَيَّ»: تَرَحُّمِي وَتَحْنُو وَتُشْفِقُ وَتَعْطِفُ عَلَيَّ، يقال: أَبْقَى عَلَيْهِ أَي رَجَمَهُ، ومثلها أَرَعَى عَلَيْهِ يُرْعِي إِرْعَاءً، وفي اللسان أيضاً: «حَلَّ بالقوم وحلَّهم واحتلَّ بهم واحتلَّهم، فإِما أَنْ تكونا لغتين كِلْتاهما وَضَع، وإِما أَنْ يكون الأَصْلُ حَلَّ بهم، ثم حُذِفَت الباءُ وأُوصِلَ الفِعْلُ إِلَى ما بعده فقيِل: حَلَّه» ا.هـ لسان [حلل]. وفي المصباح: «حللتُ بالبلد حُلُولاً من باب قَعَد: نزلتُ به، ويتعدى أيضاً بنفسه فيقال: حللتُ البلدَ» ا.هـ.

«عُمدان»: قال في اللسان: «عُمدان: حِصْنٌ في رَأْسِ جِبلِ بِناحيةِ صِنْعاءَ، وفيه يقول:

.....
 في رَأْسِ عُمدانَ داراً منك مَحْلالاً

يقال: روضة مَحْلالٌ: أَكْثَرُ الناسِ الحُلُولَ بها، وقال ابن سيده: وعندي أَنها تُحْلَلُ الناس كثيراً، لَأَنَّ مِفْعَلاً إِنما هي في معنى فاعِلٍ لا في معنى مفعول، وكذا أَرْضُ مَحْلالٍ، ا.هـ لسان [حلل] باختصار.

«وعُمدان: قُبَّةُ سيفِ بن ذِي يَزَنَ، وقيل: قَصْرٌ معروف باليمن، وعُمدان: موضع» [اللسان (عمد)]. وقال أيضاً: «ووردَ في الحديث ذَكَرَ عُمدانَ بضمِّ الغين وسكون الميم: البناء العظيم بناحية صِنْعاءَ اليمن، قيل: هو من بناء سَلِيانَ، على نَبِيئنا وعليه الصلاة والسلام، له ذَكَرٌ في حديث سيفِ بن ذِي يَزَنَ» ا.هـ من اللسان حرفياً.

وقوله: صِنْعاءَ، في التاج: «هي بالمدِّ وَيَقْصَرُ للضرورة، كقوله:

لا بَدَّ مِنْ صِنْعاءِ وَإِنْ طالَ السَّفَرُ

وقال الأَنْسَبِيُّ، وهو من الشعراء المتأخرين:

أَلَا حَيِّ ذاكَ الحَيِّ مِنْ ساكِني صِنْعاءَ فكم أَطْلَقوا أَسْرَى وكم أَحَسَنوا صِنْعاءَ

يقال: صنَع إليه معروفاً كمنَع صنْعاً بالضمّ أي قدّمه كاصطنَعه، وصنَع الشيءَ صنْعاً وصُنْعاً بالفتح والضمّ أي عملَه» ١. ه تاج [صنع].

فقوله في البيت: «أحسنوا صنْعاً» يُقرأ بفتح الصاد على معنى العمل كما تقدّم، وهي - أي صنْعاء - بلدٌ باليمن وهي قصبُها، أي قاعدةٌ ملكها ودارٌ سلطنتها تشبهُ دمشق الشام في المروج والأنهار، وصنْعاءُ أيضاً: قريةٌ بباب دمشق، والأولى هي المرادة فيما تقدّم كما لا يخفى. وفي التاج [غمد]: «غُمدان كعثمان: قصر مشهور من مضارب الأمثال باليمن في مقرّ ملكها، وهو صنْعاء، ولم يزل قائماً حتى هدّمه عثمانُ بن عفّان، رضي الله تعالى عنه، واختلّف في بانيه، فقيل: هو سليمان بن داود عليها السلام، بناه لبليّس زوجته، ومال إليه كثيرٌ من المفسّرين».

«وبليّس هي بالكسر: ملكةٌ سبأ التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٧/٢٣]، وكانت أمّها جنيّةً، واسمُها ركانة بنتُ السكن الذي كان ملكَ الجنّ، خطبها الهدهاؤُ منه فزوّجه بها» ١. ه تاج [بلقيس]، والهدهاد أبوها، وقال أيضاً: «وفي الرّوض الأنف [للسهيلي ١/٥٨]: «غمدان حصنٌ كان لهوذة بن علي ملك اليمامة»، وفيه أيضاً: «ذكر ابن هشام أن غُمدان أنشأه يعرّب بن قحطان وأكملّه بعده وائل بن حميد بن سبأ، وكان ملكاً متوجّجاً كأبيه وجدّه، وله ذكر في حديث سيف بن ذي يزن، والذي رجّحه جماعةٌ واعتمده المصنّف [أي المجد] أنه بناه يشرخ هكذا بالشين والخاء المعجمتين، وفي بعض النسخ بالمهملات، وفي بعضها بزيادة اللام على التحتيّة، وهو لقب، والأكثرُ أنه اسمه، وهو يشرخ بن الحرث بن صيفي بن سبأ، جدُّ بلقيس، بناه بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كلّ سقوفين، وفي بعض النسخ: بين كلّ سقف بالإفراد [أربعون ذراعاً]، وفي بعض التواريخ قيل: كان ارتفاعُ سقفه مائتي ذراع» ١. ه من التاج على القاموس [غمد] حرفياً.

«مِحْرَابِ الدَّمَى»، المِحْرَابُ يُطْلَقُ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ آثَرَتْ ذِكْرَهَا وَسَرَدَهَا هُنَا تَعْظِيمًا
 وتعميمًا للفائدة، قال في اللسان: «المِحْرَابُ: صُدْرُ الْبَيْتِ وَأَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِيهِ، وَالْجَمْعُ
 الْمَحَارِبُ، وَهُوَ أَيْضًا الْعُرْفَةُ، قَالَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ: [ديوانه ٨٤]
 رَبَّةٌ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتَهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلْمًا
 وَأَنْشَدَ الْأَزْهَرِيُّ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ: [ديوانه ٣٤]

كغزلانٍ رملٍ في محارِبِ أقالٍ
 الأَقْوَالُ: الْمَلُوكُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ، وَقِيلَ: الْمَلُوكُ مِنْ حَمِيرٍ خَاصَّةً، كَالْأَقْيَالِ وَالْمَقَاوِلِ، كَمَا فِي
 الْقَامُوسِ [قَوْل]، قَالَ: وَالْمِحْرَابُ عِنْدَ الْعَامَّةِ: الَّذِي يُقِيمُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ مُقَامَ الْإِمَامِ فِي
 الْمَسْجِدِ، وَقَالَ الزَّجَاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوًا الْخَصِمَ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص:
 ٣٨ / ٢١]، قَالَ: الْمِحْرَابُ أَرْفَعُ بَيْتٍ فِي الدَّارِ، وَأَرْفَعُ مَكَانًا فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: وَالْمِحْرَابُ هَهُنَا
 كَالْعُرْفَةِ، وَأَنْشَدَ بَيْتَ وَضَّاحِ الْيَمَنِ الْمَتَقَدِّمِ، وَهُوَ:

رَبَّةٌ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتَهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلْمًا
 وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قَوْمِهِ بِالطَّائِفِ،
 فَأَتَاهُمْ وَدَخَلَ مِحْرَابًا لَهُ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْفَجْرِ، ثُمَّ أَدْنَى لِلصَّلَاةِ، قَالَ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ
 عُرْفَةٌ يَرْتَقَى إِلَيْهَا.

وَالْمَحَارِبُ: صُدُورُ الْمَجَالِسِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ، وَمِنْهُ مَحَارِبُ عُمْدَانَ
 بِالْيَمَنِ، وَالْمِحْرَابُ: الْقِبْلَةُ، وَمِحْرَابُ الْمَسْجِدِ: صَدْرُهُ وَأَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِيهِ، وَمَحَارِبُ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ: مَسَاجِدُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا، وَفِي التَّهْذِيبِ: يَجْتَمِعُونَ فِيهَا لِلصَّلَاةِ، وَقَوْلُ
 الْأَعْشَى: [ديوانه ٢١٥]

وَتَرَى مَجْلِسًا يَعْصُ بِهِ الْمِحْرَابُ مَلْقُومٍ وَالثِّيَابُ رِقَاقُ
 قَالَ: أَرَاهُ يَعْنِي الْمَجْلِسَ، وَقَوْلُهُ: «مَلْقُومٌ» قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَرَادَ مِنَ الْقَوْمِ وَفِي حَدِيثِ

أنس أنه كان يكره المحارب، أي لم يكن يُحِبُّ أن يجلس في صدر المجلس ويترفع على الناس، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ [مريم: ١٩/١١] قالوا: من المسجد، والمحراب: أكرم مجالس الملوك عن أبي حنيفة، وقال أبو عبيدة: المحراب سيّد المجالس ومقدمها وأشرفها، وقال الأصمعيّ: العرب تسمي القصر محراباً لشرفه، وأنشد:

أَوْ ذُمِّيَّةٌ صُورَ مِحْرَابِهَا أَوْ ذُرَّةٌ شِيئَتْ إِلَى تَاجِرِ

قال: أراد بالذميمة الصورة وبالمحراب القصر، قلت: قوله: شِيئَتْ يقال: شِيئَتْ الدراهم أي جليت وصقلت، والفعل شاف يشوف شَوْفاً، وشِيئَتْ الجارية أي: زينت، وفي التاج «سيقت» بالسين بدل الشين والقاف بدل الفاء فليتأمل.

قال: وروى الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء: دخلت محراباً من محارِبِ جَمِيرٍ فَنَفَخَ في وجهي رِيحَ الْمِسْكِ، أراد قصرًا أو ما يُشبهه، وقيل: المحراب: الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتبعده من الناس، وقال الفراء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِنْ مَحْرَبٍ وَتَمَثِيلٍ﴾ [سبأ: ٣٤/١٣]: ذكر أنها صورُ الأنبياء والملائكة، كانت تصوّر في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادةً، وقال الزجاج: هي واحدة المحراب الذي يصلّى فيه، والمحراب أيضاً: عنق الدابة، قال الراجز: كَأَنَّهَا لَمَّا سَمَا مِحْرَابِهَا

والمحرابُ أيضاً: مأوى الأسد وبيته كالعرين والغيل والخيس والعريسة، والمحراب: مجلس الناس ومجتمعهم، والمحراب أيضاً: الشديد الحُرب الشجاع كالمحرب، وهو من أوزان المبالغة، كالمعطاء من العطاء، وفي حديث عليّ كرم الله وجهه: «فابعث عليهم رجلاً محراباً»، كذا في النهاية [١/٣٥٢]، وفي اللسان والتاج: محراباً بلا ألف، وهو سهو من الناسخ لتمثيلهم إياه بمعطاء. [حرب]

مِحْرَاباً: أي معروفاً بالحرب عارفاً بها، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال في عليّ كرم الله وجهه: «ما رأيتُ محراباً مثله»، اهل لسان [حرب].

وفي التاج نحو منه، ومن الأخير: «ما أحسن المحراب في المحراب»، ومن طُرف الزمخشري في أساسه في هذه المادة [حرب] قوله: أخذوا الحِرَابَ للحِرَابِ. ا.هـ. فاللفظ واحد والمعنى متباعدٌ، فالأول جمعُ حَرْبَةٍ، وهي من آلات الحرب، تكون دون الرُّمَحِ، والثاني مصدرُ حاربَ، يقال: حاربَه مُحَارَبَةٌ وحِرَابًا، كقاتله مُقَاتَلَةٌ وقتالاً. قال: «وحاربه: باعده، كأن بينهما عداوةً وحرباً، ومنه قولُ الطائيِّ: [ديوانه ٧٧/٣]

لا تُنْكِرْنَ عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ العَالِيِ
ا.هـ. أساس [حرب].

والعطل بالتحريك أصله مصدرُ عَطَلَتِ المرأَةُ كَفَرِحَ إذا خلا جِيدُها من القلائدِ، فلم يكن عليها حِلِّيٌّ، ولم تلبس الزَّيْنَةَ، ثم استعاره في البيت لخلو الكريم من المال. وفي المصباح [حرب]: «المحراب: صدرُ المجلس، ويقال: هو أشرفُ المجالس، وهو حيث يجلس الملوك والسَّادات والعظماء، ومنه محرابُ المصلِّي، ويقال: محرابُ المصلِّي مأخوذٌ من المُحَارَبَةِ؛ لأنَّ المصلِّي يحاربُ الشيطانَ ويحاربُ نفسه بإحضار قلبه، وقد يُطلقُ على العُرْفَةِ، ومنه عند بعضهم ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ [مريم: ١٩/١١] أي من العُرْفَةِ». ولم يذكر في المختار للمحراب إلا معنيين، صدرُ المجلس والعُرْفَةُ، وجعل محراب المسجد من الأول.

وغرضنا في قوله: «ومنه محارِبُ عُمدان باليمن»، والضميرُ في «منه» يرجع إلى قوله: «والمحارِبُ صدور المجالس»، ونصُّه: «والمحارِب: صدور المجالس، ومنه سمِّي محراب المسجد، ومنه محارِبُ عُمدان باليمن». ا.هـ. [اللسان (حرب)]

فهذا يدلُّ على أن المراد بمحارِب عُمدان أشرفُ مواضعه وأكرمُها، وأشرفُ مواضع قصرٍ بسبعة سُقُوف، بين كلِّ سقْفين أربعون ذراعاً، قيل: وكان ارتفاعُ سقفه مائتي ذراعٍ، كما تقدَّم أنفاً عن التاج، والله أعلم.

«الدَّمَى: جمعُ دُمِيَّةٍ، وهي الصورة المنقَّشة من الرُّخام [كغَرَاب]، وفي الصحاح [دمي]: الصورة من العاج ونحوه، أو عامٌّ من كلِّ شيء مُستحسن في البياض، أو الصُّورَةُ عامَّة، (والعاج: أنيابُ الفيل، وأيضاً: ظهرُ السُّلحفاة البحريَّة، كذا في المصباح) [عوج]، وقال أبو العلاء: سمَّيت دُمِيَّةً لأنها كانت أولاً تُصوَّرُ بالحمرة، فكأنها أخذت من الدَّم، تُشَبَّه بها المليحةُ لأنها مزِينَةٌ، وفي حديث الحليَّة [أي صفةِ النبي ﷺ]: كَانَ عُنُقَهُ حَيْدُ دُمِيَّة. [التاج (دمي)]

وفي اللسان [دمي]: «عُنُقُ دُمِيَّة»، قال ابن الأثير: هي الصُّورَةُ المصوَّرةُ لأنها يُنَوَّقُ في صَنَعَتِهَا وَيَبَالِغُ في تَحْسِينِهَا، والدُّمِيَّةُ أيضاً: الصَّنَمُ، والجمعُ دُمَى، وفي الرُّوض: تُسمى الأَصْنَامُ دُمَى لأنَّ الدَّمَاءَ تُرَأَى عندها تقرباً.

«قال شيخنا: في هذا الاشتقاق نظراً، ولو قيل: لتزيينها وتنقيشها كالدمى المصوَّرة لكان أظهرَ. ومن أيَّمان الجاهلية «لا والدَّمَى» يريدون الأصنام، ويروى «لا والدَّمَاء» بالكسر والمدِّ، يعني دماء ما يُذبح على النُّصْب» كذا في النهاية، كذا في التاج [دمي].

والنُّصْبُ: ما نُصِبَ لِعِبَادَةِ من دون الله، وفي المصباح [نصب]: «النُّصْبُ بضمَّتين: حَجْرٌ نُصِبَ وَعُبدَ من دون الله، وجمعه أنصاب، وقيل: النُّصْبُ جمعٌ واحدها نِصَاب، قيل: هي الأصنام، وقيل: غيرها، فإنَّ الأصنامَ مصوَّرة منقوشة والأَنْصَابُ بخلافها» ١هـ منه.

وفي اللسان: «ويقال للمرأة الدُمِيَّة، يُكنى عن المرأة بها، عربيَّة، وجمعها دُمَى»، وقد تقال الدَّمَى للثياب التي فيها تصاويرٌ وتهاويل، كما يُؤخذ من اللسان، في التاج: «التهاويل: زينة التَّصاوِير والنقوش والوشى والسِّلاح والثياب والحلي» ١هـ، وكذا في اللسان [هول].

ومعنى البيت: فسقى سيفُ الحبش الذي هو هذا الجليل من السودان أو ملكهم على تفسير الأخبوش به كما مرَّ عن بعض الشُّراح سَقِيًّا بَعْنَفٍ وشِدَّةٍ وإزعاج هذا الشراب القاتل المزهق للروح وحيّاً أي حالاً بسرعة، واستولى على مِحْرَابِ الدَّمَى الذي هو من أرض

عُمدان، وسأفرد عُمدان بترجمة شافية وافية، إن يسّر الله ذلك، وقال بعض الشّراح [الصاوي

٥٠]: «والدُّمى: الصُّور، واحدها دُمىة قال الشاعر: [ديوان النابغة ٩٢]

أَوْ دُمِيَّةٍ مِنْ مَرْمَرٍ غَوَّاصُهَا بِهَجٍّ مَتَى تَرَهَا تَهَلُّ وَتَسْجِدُ

١. هـ. والبيت يقتضي أن الدُّمىة فيه صورة الصنم، وبيان الدُّمىة مرّ تفسيره بها لا مزيد عليه.

والمَرْمَر: الرُّخام [كغراب] أو نوعٌ منه صُلب، أي شديدٌ قويٌّ يابس جداً، وفي المصباح

[مرمر]: «المَرْمَر: نوع من الرُّخام إلا أنه أصلبُ وأشدُّ صفاءً»، وفي اللسان، واحده مَرْمَرَة،

قال: وقال الأعشى:

كُدُمِيَّةٍ صُوِّرَ حِرَابُهَا بِمُذْهِبٍ فِي مَرْمَرٍ مَائِرِ

والمَرْمَر أيضاً: ضربٌ من تقطيع ثياب النساء، كذا في التاج واللسان [مرمر]، والمائِر:

اسمٌ فاعلٌ من مارَ يَمُورُ مَوْرًا بمعنى ماَجَ أي تحرَّكَ واضطربَ أو من مارَ يَمِيرُ مِيرًا بمعنى

سارَ يسيرَ سَيْرًا، ويكون المعنى ذا مَرْمَرٍ يتحرَّكُ ويضطربُ ويَمُوجُ في نظر الرائي لشدة

صفائه والتماعه لا حقيقةً، والله أعلم، فإني فسرتُ هذه الكلمة برأبي، فإن أصبْتُ الصوابَ

فذاك الذي تحريتُ، وإلا فأنا جدير بالخطأ والخطَل. ثم قال الناظم:

٤٥- ثُمَّ ابْنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِزَانُهُ يَوْمَ أَوَارَةَ تَمِيمًا بِالصَّالَا

ابنُ هند هذا عمرو الذي يقال له مُضَرَّطُ الحِجَارَةِ لشدّته وصرامته، كما نقله الجوهري

[ضرط]، وفي الأساس [ضرط]: «لهيبتة»، كذا في التاج، وهو اسم فاعل من ضَرَطَه تَضْرِيطًا

إذا عَمِلَ به ما ضَرَطَ منه، أي فَعَلَ به فَعَلًا حصل منه ذلك، كأضْرَطَه إِضْرَاطًا فَضْرَطَ هو

أي رَدَمَ، وبأبه ضَرَبَ، وكفَرِحَ لغَةً، ومصدره ضَرَطًا بالفتح، وضَرِطًا بفتح فكسر، وهو

مصدر عزيز، وضَرِيطًا وضَرِاطًا، كما في التاج.

وقوله: «رَدَمَ» في اللسان: «رَدَمَ يَرْدُمُ بالضّمِّ رَدْمًا: ضَرَطَ، والاسمُ الرَّدَامُ بالضّمِّ

كالضَّرِاطِ وزنًا ومعنى»، وأما الرَّدْمُ الذي هو سدُّ الثُّلْمَةِ ونحوها فمن باب ضَرَبَ، قال في

اللسان: «رَدَمَ البابَ والثُّلْمَةَ ونحوهما يَرُدُّهُمُ بالكسر رَدْمًا: سدَّهُ، قال: وقيل: الرَّدْمُ أَكْثَرُ من السَّدِّ لِأَنَّ الرَّدْمَ ما جُعِلَ بَعْضُهُ على بَعْضٍ» كذا في اللسان [ردم]، لكن في المصباح: «رَدَمَ الثُّلْمَةَ من باب قَتَلَ»، ولعلَّه سَبَقَ قَلَمٌ أو لُغَةٌ أُخْرَى في رَدَمَ يَرُدُّمُ بالكسر، وفي المختار: «رَدَمَ الثُّلْمَةَ: سدَّها، وبأبه ضَرَبَ» ا.هـ.

ويلقَّبُ عمرو بن هند أيضاً بِمُحَرَّقٍ، قال في التاج [حرق]: «المُحَرَّقُ بوزن مُحَدَّثٍ لقبُ عمرو بن هند لِأَنَّهُ حَرَّقَ مائةً من بني تميم يومَ أوارَةَ تِسْعَةَ وتسعين من بني دارِمٍ، وواحدًا من البراجِمِ، قال: ويقال له: المُحَرَّقُ الثاني، ويقال له أيضاً مُضَرَّطُ الحجارَةِ، وقيل: لتحريقه نَخَلَ مَلْهَمٍ» ا.هـ.

وقوله: «المُحَرَّقُ الثاني» يظهر ممَّا ذكره بعده، قال: «والمُحَرَّقُ لقبُ الحارث ابن عمرو ملكِ الشام من آلِ جَفْنَةَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَرَّقَ العَرَبَ في ديارهم، فهم يُدْعون آلَ مُحَرَّقٍ»، قال: «وأيضاً لقبُ امرئ القيس بن عمرو بن عديّ اللخميّ، وهو المُحَرَّقُ الأكبر، وهو المرادُ في قول الأسود بن يَعْفَرَ النَّهْشَلِيِّ: [ديوانه ٢٦]

ماذا أوَّملَ بعد آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكوها منازلهم وبعد إِيادٍ

انتهى. قوله: «مَلْهَمٍ» قال في مادة (ل ه م): «مَلْهَمٌ كَمَقْعَدٍ: موضع كثير النخل»، قال: «وقد ذكره الأزهرِيُّ في الرباعيِّ أي في مادة (م ل ه م)، قال: قال: وهي قرية باليامة» ا.هـ باختصار.

وفي اللسان: «مَلْهَمٌ: قرية باليامة، قال ابن بري: هي لبني يَشْكُرَ وأخلاقٍ من بكر وائلٍ»، وقال أيضاً: «مَلْهَمٌ بالفتح: موضع، وهي أرض كثيرة النخل، قال جريرٌ وشبَّه ما على الهوادج من الرِّقْمِ بالبُسرِ اليبانِ حُمْرته وُصْفرتَه: [ديوانه ٥٤٣]

كَأَنَّ حُمُولَ الحَيِّ زُلْنَ بِيانِعٍ من الواردِ البَطْحاءِ مِنْ نَخْلِ مَلْهَمِها

ويومُ مَلْهَمٍ: حربٌ لبني تميمٍ وحنيفة، ومَلْهَمٌ: أرض، قال طرفه: [ديوانه ٩٩]

يظُلُّ نساءَ الحَيِّ يَعْكُفْنَ حوْلَهُ يَقْلُنَ عَسِيْبٌ مِنْ سَرارَةِ مَلْهَمِها

وقال: ومَلْهَمٌ وقرآن: قربتان قريبتان من اليمامة معروفتان» ا.ه لسان [ملهم].

«والعسيب: جريدة من النخل، وهي السَّعْفَةُ ممَّا لا يَنْبُتُ عليه الخوصُّ «وهو ورق

النخل» ا.ه لسان [عسب] عن ابن الأثير.

وسرارة الوادي: وسطه وأكرم موضع فيه، وهي بفتح السين كسحابة، وقوله:

«يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ» قال في التاج: «عَكَفَهُ يَعْكُفُهُ وَيَعْكُفُهُ بِالضَّمِّ والكسر عَكْفًا: حَبَسَهُ،

وعَكَفَ عَلَيْهِ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ عَكْفًا وَعُكُوفًا: أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَاطِبًا، وَعَكَفَ الْقَوْمُ حَوْلَهُ:

استداروا، قال عمرو بن كلثوم: [ديوانه ٨٣]

تَرَكْنَا الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْتَبْتَهَا صُفُونًا

صُفُونًا، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ﴾ [ص: ٣٨ / ٧٣]

قال في اللسان: «صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُونًا: صَفَّ قَدَمَيْهِ، وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي صِفَةِ فَرَسٍ:

أَلْفَ الصُّفُونِ فَلَا يَزَالُ كَانَهُ مَمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا

قوله: «مَمَّا يَقُومُ» لم يرد من قيامه، وإنما أراد من الجنس الذي يقوم على الثلاث، وجعل

كسيرا حالاً من ذلك النوع الزمن لا من الفرس المذكور في أول البيت، قال الشيخ: جعل

ما اسماً منكوراً» ا.ه لسان [صفن]، ا.ه شرح قوله:

يَظُلُّ نِسَاءَ الْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقْلُنَ عَسَيْبٌ مِنْ سَرَارَةٍ مَلْهَمًا

وأما شرح الذي قبله وهو:

كَأَنَّ حُمُولَ الْحَيِّ زُلْنَ بِيَانٍ مِنَ الْوَارِدِ الْبَطْحَاءِ مِنْ نَخْلِ مَلْهَمًا

في اللسان: «قال ابن بري في الحُمُولِ التي عليها الهوادجُ كان فيها نساءٌ أو لم يكن:

الأصلُ فيها الأحمالُ، ثم يتسعُ فيها فتوقعُ على الإبلِ التي عليها الهوادجُ، (والهوادجُ: مَرَكَبٌ

له قَبَّةٌ تُسْتَرُ بِالثَّيَابِ يَرَكِبُ فِيهِ النِّسَاءُ) وعليه قولُ أَبِي ذُؤَيْبٍ: [أشعار الهذليين ١٦٤]

يَا هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الْحَيِّ غَادِيَةً كَالنَّخْلِ زَيْنَهَا يَنْعُ وَإِفْضَاخُ

شَبَّهَ الْإِبِلَ بِهَا عَلَيْهَا مِنَ الْهَوَادِجِ بِالنَّخْلِ الَّذِي أَزْهَى» ا.ه لسان [حمل].

أَيَّ ظَهَرَتْ فِيهِ الْحُمْرَةُ أَوْ الصُّفْرَةُ، وَالْيَنْعُ بِالْفَتْحِ وَالضَّمُّ: إِدْرَاكُ الثَّمَارِ وَنُضْجُهَا،
وَالْيَنْعُ بِالْفَتْحِ جَمْعُ يَانِعٍ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ كصَاحِبٍ وَصَحْبٍ، كَمَا فِي التَّاجِ
[ينع]، وَالْإِفْضَاخُ مَصْدَرٌ أَفْضَخَ الْعَنْقَوْدُ إِذَا حَانَ لَهُ وَصَلَحَ أَنْ يُفْتَضَخَ أَيَّ يُكْسَرَ وَيُعْتَصَرُ
مَا فِيهِ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ [فضخ].

وقوله: «من الوارد البطحاء»، [الوارد: الشعر المسترسل الطويل، قال طرفه: [ديوانه ٥٤]

وَعَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهَا وَارِدٌ حَسَنُ النَّبْتِ أَثِيْتُ مُسْبِكِرٌ

وشجرة واردة الأغصان: إِذَا تَدَلَّتْ أَغْصَانُهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلُواوَأَرَادَهُمْ﴾ [يوسف:
١٢/١٩]، أَي سَابِقَهُمْ» ا.هـ لسان [ورد]. وقول طرفه: وَعَلَى الْمَتْنَيْنِ... إِخ، الْمَتْنَانِ: جَانِبَا
الظَّهْرِ، وَالْأَثِيْتُ: الْغَزِيرُ الطَّوِيلُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُّ الْكَثِيفُ الْعَظِيمُ، يُوصَفُ بِهِ النَّبْتُ وَالشَّعْرُ،
«وَالْمُسْبِكِرُ: الْمُسْتَرْسِلُ، وَقِيلَ: الْمَعْتَدِلُ وَقِيلَ: الْمُتَّصِبُ، أَي التَّامُّ الْبَارِزُ، وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ
الْكَلَابِيُّ: الْمُسْبِكِرُ: الشَّابُّ الْمَعْتَدِلُ التَّامُّ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: [ديوانه ١٨]

إِلَى مِثْلِهَا يَزْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَبٍ
وَفِي هَامِشِهِ: «قَوْلُهُ: وَمِجْوَبٌ كَذَا بِالْأَصْلِ الْمَعْوَلُ عَلَيْهِ، وَالَّذِي فِي الصَّحَاحِ فِي مَادَةِ
(س ب ك ر) وَمَادَةِ (ج و ل): مِجْوَلٌ».

وقوله: «شباب مُسْبِكِرٌ» كَذَا بِهِ أَيْضاً، وَلَعَلَّهُ شَابٌّ بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ ا.هـ. ثُمَّ قَالَ فِي الْمَتْنِ:
«وَشَبَابٌ مُسْبِكِرٌ: مَعْتَدِلٌ تَامٌّ رَخِصٌ، وَاسْبَكَرَ النَّبْتُ: طَالَ وَتَمَّ، وَشَعْرٌ مُسْبِكِرٌ أَي
مُسْتَرْسِلٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ امْتَدَّ وَطَالَ فَهُوَ مُسْبِكِرٌ، كَالشَّعْرِ وَغَيْرِهِ» ا.هـ لسان [سبكر].

وقوله: «البطحاء» هِيَ الْمَسِيلُ الْوَاسِعُ الَّذِي فِيهِ دُقَاقُ الْحَصَى، وَالذُّقَاقُ كَغُرَابٍ فُتَاتٌ
كُلُّ شَيْءٍ، أَي مَا تَفْتَتَّتْ مِنْهُ، وَلَمْ أَذْرِ مَعْنَى مَجْمُوعِ قَوْلِهِ:

.....
مِنَ الْوَارِدِ الْبَطْحَاءِ مِنْ نَخْلِ مَلْهَمَا

فَلْيَتَأَمَّلْ. وَقَوْلُهُ: «بَاشَرْتُ نِيرَانَهُ»، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «الْمَبَاشِرَةُ: الْمَلَامَسَةُ، وَأَصْلُهُ مِنْ كَمَسَ

بَشْرَةَ الرَّجْلِ بَشْرَةَ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ يَرُدُّ بِمَعْنَى الْوَطْءِ فِي الْفَرْجِ وَخَارِجاً مِنْهُ»، قَالَ: «وَبَاشِرٌ الْأَمْرَ: وَكَلِمَةٌ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مِثْلُ بَدَلِكِ، لِأَنَّهُ لَا بَشْرَةَ لِلْأَمْرِ، إِذْ لَيْسَ بَعَيْنٌ، وَفِي حَدِيثٍ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: «فَبَاشِرُوا رُوحَ الْيَقِينِ»، فَاسْتَعَارَهُ لِرُوحِ الْيَقِينِ؛ لِأَنَّ رُوحَ الْيَقِينِ عَرَضٌ، وَبَيِّنُ أَنَّ الْعَرَضَ لَيْسَتْ لَهُ بَشْرَةٌ.

قال: ومباشرة الأمر أن تحضره بنفسك وتليه بنفسك» ا.هـ لسان [بشر].

وفي المصباح [بشر]: «باشر الرجل زوجته: تمتع ببشرتها، أي ظاهر جلدتها، وباشر الأمر: تولاه ببشرته، وهي يده، ثم كثر حتى استعمل في الملاحظة» ا.هـ.

وفي التاج: «ومن فصول الإنسان الممتاز بها عن جميع الحيوان بادي البشّر، وهي ظاهر جلد الإنسان، قيل: وغيره، كالحية، قال: وعن الليث: البشرة أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان، ويعني به اللون والرقة، قال: ومنه اشتقت مباشرة الرجل امرأته لتضام أبشارهما، والأبشار جمع بشر، والبشر جمع بشرة، قال: وباشر المرأة: جامعها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴿﴾ [البقرة: ١٨٧/٢]، قال: المباشرة: الجماع، وكان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعود إلى المسجد، قال: أو باشرها إذا صار في ثوب واحد فباشرت بشرته بشرتها، ومنه الحديث: «كَانَ يُقْبَلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ» [البخاري: ١٩٢٧]، وأراد به الملامسة، قال: وأصله من لمس بشرة الرجل بشرة المرأة، قال: وقد يرد بمعنى الوطء في الفرج وخارجاً منه» ا.هـ تاج [بشر].

وفي الأساس [بشر]: «ومن المجاز باشر الأمر: حضره بنفسه» ا.هـ، وقال بعض الشراح [الصاوي ٥٠]: باشرت نيرانه أي خالطت.

وقوله: «نيرانه»، «النيران جمع نار، وهو اللهب الذي يبدو وقد، يُطلق على مجرد الحرارة، وهي أنثى وقد تذكر عن أبي حنيفة، وأنشد:

فَمَنْ يَأْتِنَا يُلِمُّمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا يَجِدُ أَثْرًا دَعَسًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

ورواية سيويه: «يَجِدُ حَطْبًا جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا»، قال: ويُجْمَعُ على أنوار، كذا في النسخ، وفي اللسان [نور]: «أَنْوَرُ كَأَفْلَسٍ وَنِيرَةٌ كَقِرْدَةٍ»، قال الزبيدي: «كذا في النسخ، والصواب نِيرَةٌ بكسر فسكون، ولا نظيرَ له إلا قاع وقِيعَةٌ وجار وجِيرة، حَقَّقَهُ ابنُ جَنِّي في كتاب الشواذ [لعله: المحتسب]، قال: وعلى نُورٍ بالضمِّ ونِيارٍ بالكسرِ وأنيارٍ، وأصلُ هذا أنوارٌ لأنها من الواو كما جاء في رِيحٍ وعِيدٍ أزياحٍ وأعيادٍ، وهما من الواو» اهـ تاج [نور].

وفي المصباح [سوح]: «جمعُ النارِ نيرانٌ، قال أبو زيد: وجمعت على نُورٍ، قال أبو علي الفارسي: مثل ساحة وسُوح» اهـ، وفيه: «ساحة الدار: المتسعُ أمامها، والجمعُ ساحات وساحٌ مثل ساعة وساعات وساع» اهـ. وفي اللسان: «الساحة: الناحية، وهي أيضاً فضاءٌ يكون بين دُورِ الحيِّ، وساحة الدار: باحثها، والجمعُ ساحٌ وسُوحٌ وساحات، والتصغيرُ سُويحة» اهـ.

«يومٌ أُوَارَةٌ» قال في القاموس [أور]: «أُوَارَةٌ بالضمِّ: ماءٌ أو جبلٌ لتميمٍ»، قلت: ولعله تأنيث الأُوَارِ كَعُرَابٍ، وهو حرُّ النارِ والشمسِ والعطشُ وأيضاً الدُّخانُ الرقيقُ اللطيفُ.

وقال في لسان العرب في مادة (ب ر ج م): البرَّجْمَةُ [بالفتح]: غِلْظُ الكلامِ، وفي حديث الحَجَّاجِ: «أَمِنْ أَهْلِ الرَّهْمَسَةِ وَالْبَرْجَمَةِ أَنْتَ؟»، البرَّجْمَةُ: غِلْظُ في الكلامِ، (وفي التاج [رهس]: «الرَّهْمَسَةُ: السَّرَارُ»، وذكر قول الحَجَّاجِ ثم قال: «كَأَنَّهُ أَرَادَ الْمَسَارَةَ فِي إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَشَقَّ الْعَصَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقِيلَ: هُوَ التَّعْرِيفُ بِالشَّرِّ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَ الْحَجَّاجِ»، انتهى)، الجوهريُّ: البُرْجُمَةُ واحدة البَرَاجمِ، وهي مفاصلُ الأصابعِ التي بين الأشاجعِ والرَّواجِبِ، وهي رؤوسُ السُّلَامِيَّاتِ من ظَهْرِ الكَفِّ إِذَا قَبَضَ القَابِضُ كَفَّهُ تَشَرَّتْ وارتفعت، وقال ابن سيده: البُرْجُمَةُ: المَفْصِلُ الظاهرُ من المفاصلِ، وقيل الباطنُ، وقيل: البَرَاجمُ: مفاصلُ الأصابعِ كُلِّها، وقيل: هي ظهورُ القَصَبِ من الأصابعِ، والبُرْجُمَةُ: الأَصْبُعُ الوسطى من كلِّ طائرٍ، والبَرَاجمُ: أحياءٌ من بني تميمٍ من ذلك، وذلك أَنَّ آبَهُمْ قَبَضَ أَصَابِعَهُ وَقَالَ: كُونُوا كَبَرَاجمِ

يدي هذه، أي لا تفرّقوا، وذلك أعزّ لكم، قال أبو عبيدة: خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم يقال لهم البراجمة.

قال ابن الأعرابي: البراجم في بني تميم عمرو وقيسٌ وغالبٌ وكُلفَةُ وظَلِيمٌ، وهم بنو حنظلة بن زيد مائة، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع، ومن أمثالهم: «إنَّ الشقيِّ راكبُ البراجم»، وكان عمرو بن هند له أخٌ فقتله نفرٌ من تميم فآلى [أي حلفَ وأقسم] أن يقتل به منهم مائة، فقتل تسعةً وتسعين، وكان نازلاً في ديار بني تميم، فأحرق القتلى بالنار، فمرَّ رجلٌ من البراجم وراح (في المصباح: راح الرّيح يَراحها رَوْحاً من باب خاف: اشتَمَّها، وراحها رِيحاً من باب سارَ، وأراحها بالألف كذلك) [روح، ١.هـ] رائحة القتلى فحسبه قُتارَ الشّواء (القُتار بضمّ القاف كغبار: ريحُ الشّواء إذا ضُهبَ على الحجر)، كذا في التاج [قتر]، وفيه [ضهب] «تضهيب اللحم: أن يُشوى ولا يبالغ في نُضجه، وقيل: إذا سُوي على حجارة محمّاة، أو مسخنة، قال امرؤ القيس: [ديوانه ٥٤]

نَمُسُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكُنَّا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مَضَهَبٍ
وفيه [مشش] قال: «المش: مسح اليد بالشيء الحشن لتنظيفها وقلع وقطع دسمها»، وأنشد هذا البيت، وقال فيه: «المضهَب: الذي لم يكمل نُضجه، يريد أنهم أكلوا شرائح اللحم التي شوّوها على النار قبل نُضجها، ولم يدعوها إلى أن تَنشَفَ فأكلوها وفيها بقيَّة من ماء» ١.هـ منه.

وعنى بالأعراف أعراف الخيل، وعُرفُ الفرس: الشَّعر من الناصية إلى المنسج ومُنْبِتُه المَعْرِفَةُ بالفتح، «ومَنسجُ الدابة بكسر الميم وفتح السين ومَنسج بفتح الميم وكسر السين: أسفل من حاركه، وقيل: هو الحارك، وفي الحديث «بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى جذام فأولَّ مَنْ لقيهم رجلٌ على فرس أذهبَ كان ذكُره على منسج فرسه»، قال: المنسج ما بين مَعْرِز العنق إلى مُنْقَطع الحارك في الصُّلب، وقيل: المنسج والحارك والكاهل: ما

شَخَصَ وظَهَرَ من فروع الكَتْفَيْنِ إلى أصل العنق، وقيل: المِنْسُجُ للفرس بمنزلة الكاهل من الإنسان والحارِك من البعير» ١. هـ لسان [نسج]، رجَع الحديث، قال بعد قوله: قُتِرَ الشَّوَاءُ: «فَمَالَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُو قَالَ لَهُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاجِمِ فَقَالَ حَيْثُذِ: إِنَّ الشَّقِيَّ رَاكِبُ الْبَرَاجِمِ، وَأَمَرَ فُقُتِلَ وَأُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَبَرَّتْ بِهِ يَمِينُهُ، وَفِي الصَّحَاحِ: إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاجِمِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ كَانَ حَلَفَ لِيُحْرَقَنَّ بِأَخِيهِ سَعْدِ بْنِ الْمَنْذَرِ مَائَةً، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَسَمَّتِ الْعَرَبُ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ مُحْرَقًا لِذَلِكَ» ١. هـ من اللسان من مادة (ب ر ج م) حرفياً مع تفسير بعض كلامه.

«تَمِيمًا بِالصَّلَاةِ»، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «تَمِيمٌ قَبِيلَةٌ، وَهُوَ تَمِيمٌ بِنُ مَرِّ بْنِ أُدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ، قَالَ سَبِيوِيهِ: «مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: هَذِهِ تَمِيمٌ يَجْعَلُهُ اسْمًا لِلْأَبِ وَيَصْرِفُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ اسْمًا لِقَبِيلَةٍ فَلَا يَصْرِفُ»، وَقَالَ: «قَالُوا: تَمِيمٌ بِنْتُ مَرِّ فَانْثَوَا وَلَمْ يَقُولُوا: ابْنُ»، وَتَمَّ الرَّجُلُ: صَارَ هُوَا تَمِيمِيًّا، وَتَمَّمَ: انْتَسَبَ إِلَى تَمِيمٍ، وَقَوْلُ الْعَجَّاجِ: [ديوانه ١٢٧/٢] إِذَا دَعَا يَالَ تَمِيمٍ تَمَّوْا.

قال ابن سيدة: أراه من هذا، أي أسرعوا إلى الدعوة، وقال الليث: تَمَّمَ الرَّجُلُ إِذَا صَارَ تَمِيمِيًّا الرَّأْيِ وَالهُوَى وَالْمَحَلَّةَ، قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: «وَقِيَاسُ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ تَمَّمَ بِنَاءَيْنِ كَمَا يُقَالُ: تَمَّصَرَ وَتَنَزَّرَ: [إِذَا انْتَسَبَ إِلَى مُضَرَ وَنَزَارَ]، وَكَأَنَّهُمْ حَذَفُوا إِحْدَى التَّائِيْنِ اسْتِثْقَالًا لِلْجَمْعِ بَيْنَهَا، وَتَتَامَوْا: جَاؤُوا كُلَّهُمْ وَتَمَّوْا» ١. هـ لسان [تم].

وفي الأساس [تم]: «رَجُلٌ تَمِيمٌ وَامْرَأَةٌ تَمِيمَةٌ أَيْ تَامًا الْخَلْقَ وَثِيْقَاهُ» ١. هـ، وَالْوَثِيْقُ: الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ الْمَحْكَمُ.

«الصَّلَاةُ فِي الْمَصْبَاحِ: «صَلَّى بِالنَّارِ وَصَلِيَهَا صَلَّى كَتَعَبَ: وَجَدَ حَرَّهَا، وَالصَّلَاءُ كَكِسَاءَ: حَرُّ النَّارِ» ١. هـ منه، وَفِي اللِّسَانِ: «صَلَّى بِالنَّارِ وَصَلِيَهَا صَلَّى وَصَلِيًّا وَصَلِيًّا وَصَلَّى وَصَلَاءً وَاصْطَلَى بِهَا وَتَصَلَّاهَا: قَاسَى حَرَّهَا، وَصَلَّى اللَّحْمَ فِي النَّارِ وَأَصْلَاهُ وَصَلَّاهُ: أَلْقَاهُ لِلْإِحْرَاقِ، قَالَ: [ديوان الأخطل ١٥٠]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى فَوَادِكِ بِالْجَمْرِ
 قال: أَرَادَ أَنَّهُ قَتَلَ قَوْمَهَا فَأَحْرَقَ فَوَادَهَا بِالْحَزْنِ عَلَيْهِمْ» ا.هـ لسان [صلا]. فصار معنى
 البيت: ثم إنَّ نيران عمرو بن هند خالطت أبشار بني تميم أي جلودها بحرَّها وهبها وتوقُّدُها
 واشتعالها وضرامها وخميتها ووهجها، نعوذ بالله من كلِّ شرٍّ ونعتصم به من كلِّ ضرٍّ.

٤٦ - ما اعتنَّ لي بأسِّ يُناجِي هَمَّتِي إِلَّا تَحَدَّاهُ رَجَاءً فَاحْتَمَى (١)

اعتنَّ لي: أي تصدَّى لي وعرض لي، قال المرتضى في التاج: «عَنَ الشَّيْءُ يُعِنُّ وَيَعْنُ مِنْ
 حَدِّي ضَرَبَ وَنَصَرَ عَنَّا وَعَنَّا بِالْفِكَ وَعُنُونًا إِذَا ظَهَرَ أَمَامَكَ، وَعَنَّ يَعْنُ وَيَعْنُ أَيْضًا
 اعْتَرَضَ وَعَرَضَ كَاعْتَنَ، وَقَوْلُهُمْ: «لَا أَفْعَلُهُ مَا عَنَّ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ» أَي عَرَضَ، وَالْمِعْنُ
 كِمَسْنٍ: مَنْ يَدْخُلُ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَعْرِضُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْعُنَّةُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمُّ: الِاعْتِرَاضُ
 بِالْفُضُولِ، وَالْعُنُنُ بضمَّتين: الْمُعْتَرِضُونَ بِالْفُضُولِ» ا.هـ تاج [عن].

«والعانُّ من السَّحاب: الذي يعترض في الأفق» كذا في اللسان، ويقال له أيضاً
 العارض، قال تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا﴾ [الأحقاف: ٤٦/٢٤]، قال في المختار: «أَي مُّطِرٌ
 لَنَا، لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِعَارِضٍ، وَهُوَ نَكْرَةٌ، وَالْعَرَبُ إِنَّمَا تَفْعَلُ هَذَا فِي
 الْأَسْمَاءِ الْمَشْتَقَّةِ مِنَ الْأَفْعَالِ دُونَ غَيْرِهَا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: هَذَا رَجُلٌ غَلَامُنَا، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ
 بَعْدَ الْفِطْرِ: رَبِّ صَائِمَةٍ لَنْ يَصُومَهُ وَقَائِمَةٍ لَنْ يَقُومَهُ، فَجَعَلَهُ نَعْتًا لِلنَّكَرَةِ وَأَضَافَهُ إِلَى
 الْمَعْرِفَةِ» ا.هـ مختار [عرض].

وفي اللسان: «العارض: السحاب المَطْلُ [أَي المُشْرِفُ] يعترض في الأفق، وفي التنزيل
 في قضية قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا﴾، أَي قالوا: هذا
 الذي وُعدنا به سحابٌ فيه الغيثُ، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) في شروح ابن خالويه: ٢١٠، واللخمي: ٢٤٩، والتبريزي: ٥٢، والصاوي: ٥١: «فاكتمى».

[الأحقاف: ٢٤/٤٦]، وقيل: أي مُمَطَّرٌ لنا لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة، والعربُ إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها، قال جرير: [ديوانه ٥٩٥]

يَا رَبَّ غَابِطِنَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُكُمْ لَأَقَى مُبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحِرْمَانَا
وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: هَذَا رَجُلٌ غَلَامُنَا، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ بَعْدَ عِيدِ الْفِطْرِ: رَبُّ صَائِمِهِ لَنْ
يَصُومَهُ وَقَائِمِهِ لَنْ يَقُومَهُ، فَجَعَلَهُ نَعْتًا لِلنَّكَرَةِ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ^١ ا.هـ. لسان [عرض].

والتقدير ظاهر، وهو في الأول، أي في البيت: رَبُّ رَجُلٍ غَابِطِنَا... إلخ، وفي الثاني
رَبُّ رَجُلٍ صَائِمِهِ وَرَبُّ رَجُلٍ قَائِمِهِ إلخ، ويقال: سَنَحَ فِي مَعْنَى عَنَّ وَعَرَضَ، قَالَ فِي التَّاجِ
[سنح]: «سَنَحَ لِي رَأْيِي كَمَنْعَ سُئُوحًا وَسُنْحًا بَضْمًا فَسُكُونٌ وَسُنْحًا بَضْمَتَيْنِ أَيْ عَرَضَ لِي»،
وَفِي الْمِصْبَاحِ: «سَنَحَ لِي رَأْيِي فِي كَذَا أَيْ ظَهَرَ»، وَفِي الْمُخْتَارِ: «سَنَحَ لِي رَأْيِي فِي كَذَا أَيْ
عَرَضَ، وَبَابُهُ خَضَعَ» ا.هـ.

فَتَبَيَّنَ لَكَ مِنْ هَذَا أَنَّ عَرَضَ بِمَعْنَى ظَهَرَ وَبَدَأَ وَبَانَ وَعَنَّ، وَخَطَرَ لِي خَاطِرٌ بِمَعْنَى
سَنَحَ لِي وَعَرَضَ وَعَنَّ، فَتَأَمَّلْ، وَكَذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنَ الْأَسَاسِ، قَالَ: «لَا أَفْعَلُهُ مَا عَنَّ فِي
السَّمَاءِ نَجْمٌ أَيْ عَرَضَ وَظَهَرَ، وَبَلَغَ عَنَّانَ السَّمَاءِ أَيْ مَا ظَهَرَ مِنْهَا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا، وَأَعْنَاهَا:
نَوَاحِيهَا»، قَالَ: «وَهُوَ مَعَنَّ مَفْنٌ أَيْ عَرِيضٌ ذُو فَنُونٍ» ا.هـ. أساس [عنن].

«يَأْسٌ»، الْيَأْسُ: الْقُنُوطُ، وَهُوَ ضِدُّ الرَّجَاءِ أَوْ هُوَ قَطْعُ الْأَمَلِ عَنِ الشَّيْءِ وَالْكَفُّ عَنِ
الطَّمَعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: الْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ، وَالرَّاحَةُ الْأُخْرَى هِيَ الظَّفَرُ بِالشَّيْءِ وَنَيْلُهُ
وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الْيَأْسُ رَاحَةً لِأَنَّ مَعَ الطَّمَعِ الْقَلَقَ وَمَعَ انْقِطَاعِهِ السُّكُونَ
وَالرُّكُونَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، كَمَا فِي التَّاجِ فِي آخِرِ مَادَّةِ (يِ أَس).

وَفِي الْمِصْبَاحِ: «يَيْسَ مِنَ الشَّيْءِ يَيْأَسُ مِنْ بَابِ تَعَبَ فَهُوَ يَأْسٌ، وَالشَّيْءُ مَيُّوْسٌ مِنْهُ،
وَمَصْدَرُهُ الْيَأْسُ بوزن فَلَس، وَبِهِ سَمِّيَ، وَيَجُوزُ قَلْبُ الْفِعْلِ دُونَ الْمَصْدَرِ فَيُقَالُ: أَيْسَ مِنْهُ،

وقد تقدّم، وكسر المضارع لغّة، قال أبو زيد: الكسر في ذلك وشبهه لغة علباء مَصْر، والفتح لغة سُفْلاها، ويقال: يئست المرأة إذا عَقِمَتْ (قال المرتضى: عَقِمَتْ الرحمُ كَفَرِحَ ونَصَرَ وكُرْمٌ وعُنِي عَقْمًا محرّكةً وعَقْمًا بالفتح ويُضْمُّ، وعَقَمَهَا اللهُ من باب ضَرَبَ وَأَعَقَمَهَا. هـ منه باختصار) [عقم]. فهي يائس كما يقال: حائض وطامث، فإن لم يُذكر الموصوفُ قلت: يائسة، وأيأسها اللهُ إِيَّاسًا ككِتَاب، وبه سَمِّي، وأصله إِيَّاسٌ بسكون الياء ومدّ الهَمْزة على وزن إِيَّان، وقد يُستعمل الإِيَّاسُ مصدرًا للثلاثي لتقارب المعنى، أو لأنَّ الرباعيَّ يتضمَّنُ الثلاثيَّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧/٧١]، ويأتي «يئس» بمعنى «عَلِمَ» في لغة النَّخَع، وعليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: ٣١/١٣]، وتتمّة الآية: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. وفي المصباح أيضًا: «أَيْسٌ من باب تَعَبَ، وكسر المضارع لغّة، واسمُ الفاعل أَيْسٌ على فَعِلٍ وفاعِلٍ، وبعضهم يقول: هو مقلوب من يئس» ا.هـ مصباح [أيس].

وفي اللسان: «قال الجوهري: أَيْسْتُ منه أَيْسٌ يَأْسًا لغةً في يئسْتُ منه أَيَّاسٌ يَأْسًا ومصدرُهما واحد، وأيسني منه كأَيَّسَنِي، وكذلك التأييس، قال ابن سيده: أَيْسْتُ من الشيء مقلوبٌ من يئسْتُ، وليس بلغة فيه، ولولا ذلك لأعلوه فقالوا: إِسْتُ أَسُّ كِهَيْتُ أَهَابٌ، فظهوره صحيحاً يدلُّ على أنه إنما صحَّ لأنه مقلوب عمّا تصحَّ عينه، وهو يئسْتُ لتكون الصحةً دليلاً على ذلك المعنى، كما كانت صحة عَوَرَ دليلاً على ما لا بدَّ من صحته، وهو عَوَرَ وكان له مصدر، فأما إِيَّاسٌ اسمُ رجل فليس من ذلك، إنما هو من الأوس الذي هو العَوْس على نحو تسميتهم للرجل عَطِيَّةً تَفْوُلاً (تفءال بالشيء بالمدِّ وتفءال بالتشديد أي استبشر به وسرَّ) بالعطية، ومثله تسميتهم عِيَّاسًا، وهو مذكور في موضعه [أي في فصل ع

و ض]، وقال الكسائي: سمعتُ غير قبيلة يقولون: أَيَسَ يَأْسُ بغير همز» ا.هـ لسان [أيس].
 وفي التاج: «أَيْسٌ مِنْهُ كَسَمِعَ إِيَاسًا قَنِطَ لَغَةً فِي يَيْسٍ مِنْهُ يَأْسًا، وَفِي خُطْبَةِ الْمُحَكَّمِ: وَأَمَّا
 يَيْسٌ وَأَيْسٌ فَالْأَخِيرَةُ مَقْلُوبَةٌ عَنِ الْأُولَى لِأَنَّهُ لَا مَصْدَرَ لِأَيْسٍ، وَلَا يُحْتَجُّ بِإِيَّاسٍ اسْمَ رَجُلٍ،
 فَإِنَّهُ فِعَالٌ مِنَ الْأَوْسِ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، فَتَأَمَّلْ، وَأَيْسْتُهُ وَأَيْسْتُهُ وَيَأْسْتُهُ بِمَعْنَى، وَالْإِيَّاسُ:
 انْقِطَاعُ الطَّمَعِ» ا.هـ تاج [أيس].

وعن اللسان أيضاً: «الْيَأْسُ: الْقُنُوطُ، وَقِيلَ: الْيَأْسُ: نَقِيضُ الرَّجَاءِ، يَيْسُ مِنَ الشَّيْءِ
 يِيَّاسٌ وَيِيَّسُ نَادِرٌ عَنِ سَبِيوِيهِ، وَيَيْسُ عَنْهُ أَيْضاً [كَبْرَثٌ] وَهُوَ شَاذٌ، قَالَ: وَإِنَّمَا حَذَفُوا
 كِرَاهِيَةَ الْكَسْرِ مَعَ الْيَاءِ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَالْمَصْدَرُ الْيَأْسُ وَالْيَأْسَةُ وَالْيَأْسُ، وَإِنَّ لِيَأْسٍ وَيَيْسٍ
 وَيُؤُوسٌ وَيُؤُسٌ، وَالْجَمْعُ يُؤُوسٌ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ: وَأَمَّا يَيْسٌ وَأَيْسٌ فَالْأَخِيرَةُ
 مَقْلُوبَةٌ عَنِ الْأَوْسِ لِأَنَّهُ لَا مَصْدَرَ لِأَيْسٍ، وَلَا يُحْتَجُّ بِإِيَّاسٍ اسْمَ رَجُلٍ، فَإِنَّهُ فِعَالٌ مِنَ
 الْأَوْسِ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، كَمَا يَسْمَى الرَّجُلُ عَطِيَّةَ اللَّهِ وَهَبَةَ اللَّهِ وَالْفَضْلَ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: عَلِيَاءُ
 مُضَرَّ تَقُولُ: يَحْسِبُ وَيَنْعَمُ وَيَيْسُ، وَسُفْلَاهَا بِالْفَتْحِ، قَالَ سَبِيوِيهِ: وَهَذَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا إِنَّمَا
 يَجِيءُ عَلَى لُغَتَيْنِ - يَعْنِي يَيْسُ يِيَّاسٌ وَيَأْسُ يِيَّسُ لُغَتَانِ، ثُمَّ يُرَكَّبُ مِنْهَا لُغَةٌ، وَأَمَّا وَمِقْ
 يَمِقْ، وَوَفِقْ يَمِقْ، وَوَرِمَ يَرِمْ، وَوَلِي يَلِي، وَوَثِقَ يَثِقُ، وَرِثَ يَرِثُ، فَلَا يَجُوزُ فِيهِنَّ إِلَّا الْكَسْرُ،
 لُغَةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَيْسَهُ مِنْ كَذَا فَاسْتِيَّاسٌ مِنْهُ بِمَعْنَى أَيْسٍ وَأَتَّاسٌ أَيْضاً، وَهُوَ افْتَعَلَ فَأَدْغَمَ مِثْلَ
 اتَّعَدَ» ا.هـ لسان [يأس].

وقولهم فيما تقدم: عَلِيَاءُ مُضَرَّ وَسُفْلَاهَا، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «وَعُلِيَاءُ مُضَرَّ: أَعْلَاهَا، وَهَمَّ
 قَرِيشٍ وَقَيْسٍ» [علا]، وَقَالَ فِي مَادَّةِ (س ف ل): «السُّفْلَى: نَقِيضُ الْعُلْيَا»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَعْنَى
 سُفْلَى مُضَرَّ فِيهَا رَأَيْتَ، وَقَالَ الْمُرْتَضَى فِي التَّاجِ: «عُلِيَاءُ مُضَرَّ بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ: أَعْلَاهَا، وَقِيلَ:
 قَرِيشٍ وَقَيْسٍ، وَمَا عَدَاهُمْ سُفْلَى مُضَرَّ وَالْعُلْيَا تَأْنِيثُ الْأَعْلَى، وَالْجَمْعُ عَلَا كَكُبْرَى وَكُبْرٌ»
 ا.هـ تاج.

وقال في اللسان [مضر]: «قيل لمُضَرَّ الحمراء ولربيعَةَ الفرس، لأنهما لما اقتسما الميراث أعطى مضرُ الذهبَ، وهو يؤنثُ، وأعطى ربيعةُ الخيلَ، ويقال: كان شعارُهم في الحرب العمامَ والراياتِ الحمَرِ، ولأهل اليمن الصُفْرُ».

وفي التاج [مضر]: «مُضَرُّ كُرْفَر: أبو قبيلة مشهورة، وهو مُضَرُّ الحمراء، قال ابن سيده: سُمِّيَ به لولعِهِ بشرب اللبن الماضر (وهو الحامض، كذا في المصباح) أو لبياض لونه من مَضِيرَةِ الطبخ، والمَضِيرَةُ: مَرِيْقَةٌ تطبخ بلبن وأشياء».

وفي اللسان [حذا]: «مَضَرُ اللَّبْنِ يَمُضِرُ مُضَوْرًا حَمِضًا وَايَضَّ، وكذلك النَبِيدُ إِذَا حَمِضَ، وَمَضَرَ اللَّبْنُ أَي صَارَ مَاضِرًا، وهو الذي يَحْذِي اللِّسَانَ قَبْلَ أَنْ يَرُوبَ (يقال: حَذَى اللَّبْنُ وَالنَّبِيدُ وَالخَلُّ اللِّسَانَ يَحْذِيهِ حَذْيًا: قَرَصَهُ وَأَحْرَقَهُ بِحُمُوضَتِهِ ا.هـ.)، (ومعنى يَرُوبُ يَحْتُرُ، رَابَ اللَّبْنُ أَي حَتَرَ وَتَحَنَ وَاشْتَدَّ).

قال: «ولبنٌ مَضِيرٌ: حَامِضٌ شَدِيدٌ الحَمُوضَةِ، قال اللَّيْثُ: يقال: إِذَا مَضَرَ كان مَوْلَعًا بِشُرْبِهِ فَسُمِّيَ مَضَرَ بِهِ، قال ابن سيده: مُضَرٌ اسْمُ رَجُلٍ قِيلَ: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ كان مَوْلَعًا بِشُرْبِ اللَّبَنِ المَاضِرِ، وهو مُضَرٌ بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، وقيل: سُمِّيَ بِهِ لِبياض لونه من مَضِيرَةِ الطبخ، وهي مَرِيْقَةٌ تُطْبَخُ بلبن وأشياء، وقيل: طَبِيخٌ يُتَّخَذُ مِنَ اللَّبَنِ المَاضِرِ، قال أبو منصور: المَضِيرَةُ عند العرب أَن يُطْبَخَ اللَّحْمُ بِاللَّبَنِ البَحْتِ الصريح الذي قد حَذَى اللِّسَانَ حَتَّى يَنْضَجَ اللَّحْمُ وَتَحْتُرُ المَضِيرَةُ، وَرَبِّهَا خَلَطُوا الحليبَ بِالْحَقِيقِ وهو حَيْثُذُ أَطِيبُ ما يكون، ويقال: فلان يَتَمَضَّرُ أَي يَتَعَصَّبُ لِمُضَرٍ، ونقل لي متحدثٌ أَنَّ فِي «الرَّوَضِ الأَنْفِ» لِلشَّهيلي، قال في الحديث: «لا تَسْبُوا مُضَرَ ولا ربيعةَ فَإِنَّها كانا مؤمِنين» ا.هـ. لسان [مضر].

وفي اللسان [حمر]: «مُضَرُّ الحمراءِ بِالإضافة نذكرها في (م ض ر)» ا.هـ. وقد نقلتها من هناك أَنفًا فراجعها إن شئت.

وفي التاج في مادة (ح م ر) في آخرها: «ومضّر الحمراء بالإضافة لأنه أُعطيَ الذهبَ من ميراث أبيه، وأخوه ربيعةٌ أُعطيَ الخيلَ، فلقّب بالفرّس، أو لأنّ شعارهم كان في الحرب الراياتِ الحُمْرُ» ١.هـ.

وفي التاج أيضاً في مادة (ف ر س): «وربيعةُ الفرّس تقدّم سببُ تلقيبه في (ح م ر)، وقد تقدّم آنفاً، قال: وهو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان أخو مُضَرٍّ وأنهار» ١.هـ.

وفي مادة (ن م ر) منه: «وأنهار بن نزار بن معدّ بن عدنان، ويقال له أنهارُ الشاة، وقال ابن الجوّاني^(١) النسابةُ في «المقدّمة الفاضليّة»: وأما قولهم: ربيعةُ الفرّس ومُضَرُّ الحمراء فرعم بعض النسّابين أنّ نزاراً لما توفّي اقتسم بنوه ميراثه واستهموا عليه فذكرهم إلى أن قال: وكان لنزار قدحٌ كبيرٌ يسقي به الضيوف اللّبن، فأصابه أنهارٌ، ثم قال: وقيل: إنّ نزاراً لما حضرته الوفاة قسّم ميراثه على بنيّه المذكورين، وقال: إنّ أشكلَ عليكم الأمرُ فعليكم بالأفْعَى الجُرهميِّ حكّم العرب، فلما مات نزار واختلفوا مضوا إليه، فذكر القصة إلى أن قال: وقضى لأنهار بالدراهم والأرض، وقال سيبويه: «النسبُ إلى أنهار أنماريٌّ لأنه اسم للواحد» ١.هـ تاج [نمر].

قال في اللسان [جرهم]: «جرهم: حيٌّ من اليمن، نزلوا مكة وتزوَّجَ فيهم إسماعيلُ ابن إبراهيم عليهما السلام، وهم أصهاره، ثم أُلْحِدُوا في الحَرَم، فأبادهم الله تعالى، والجرهم لغةٌ: الجريء المقدام»، وقوله: «ألْحِدُوا» يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاِمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٢/٢٥].

وفي التاج: «جرهم كقنفذ: حيٌّ من اليمن، وهو ابن قحطان بن عابر بن شالخ [كهاجر فيهما] بن ارفخشذ بن سام بن نوح، نزلوا مكة، وتزوَّجَ فيهم إسماعيلُ، وهم أصهاره، ثم أُلْحِدُوا في الحَرَم، فأبادهم الله تعالى، كذا في التاج [جرهم].

(١) أبو علي، محمد بن أسعد بن علي الحسيني الجواني النسابة، توفي ٥٨٨هـ، لسان الميزان: ٦/٥٦٢.

ولنرجع الآن إلى ما نحن بصدده، فاليأس والقنوط بمعنى واحد، وهو ضدُّ الرجاء، يقال: يئسُّ من كذا وقنطُ أي قطعُ رجائي وأملِي منه، قال في المختار [يئس]: «اليأس: القنوط، وقد يئس منه من باب فهِم، وفيه لغةٌ أخرى يئسُّ بالكَسر فيهما، وهو شاذُّ، وفيه [قنط]: «القنوط، وبأبه جَلَس ودخَلَ وطَرَبَ وسَلِم، فأما قَنَطَ يَقْنَطُ بالفتح فيهما، وقَنَطَ يَقْنِطُ بالكسر فيهما فعلى الجمع بين اللغتين» ١.هـ.

وفي المصباح: «القنوط بالضم: الإيأس من رحمة الله تعالى، وقنَطَ يَقْنِطُ من بابي ضَرَبَ وتَعَبَ، وهو قانط وقنوط، وحكى الجوهرِيُّ لغةً ثالثةً من باب قَعَد، ويُعدَّى بالهمزة» ١.هـ مصباح [قنط].

وفي القاموس: «قَنَطَ كَنَصَرَ وضَرَبَ وكَرَّمَ وكَفَرَاحَ قَنَطًا وقَنَاطَةً، وكَمَنَعَ وحَسِبَ، وهاتان على الجمع بين اللغتين، وقنَطَهُ تَقْنِيطًا: آيَسَهُ»، يقال: شرُّ الناس الذين يُقْنِطون الناس من رحمة الله، أي يؤيسونهم»، كذا في التاج.

«يُنَاجِي هَمَّتِي»: أي يُحدِّثُ نفسي ويمرُّ ببالي ويجري بقلبي، وقوله: يُنَاجِي فعلٌ مضارع من المُنَاجاة وهي المُسَاوَرَة، قال في مصباح [نجا]: «نَاجِيَتُهُ سَارَرَتُهُ، والاسم النَّجْوَى، وتَنَاجَى القَوْمُ: نَاجَى بعضهم بعضاً» ١.هـ منه، وفي اللسان: «نَاجَى الرَّجُلَ مُنَاجَاةً وَنِجَاءً: سَاوَرَهُ، وانتَجَى القَوْمُ وتَنَاجَوْا: تَسَاوَرُوا، وأنشد ابن بري:

قالت جَوَارِي الحَيِّ لَمَّا جِئْنَا وَهَنَّ يَلْعَبْنَ وَيَتَّجِنَا

مَا لِمَطَايَا القَوْمِ قَدِ وَجِئْنَا

وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ١٢/٨٠]، أي

اعتزلوا مُتَنَاجِينَ، وجمعُ النَّجِيِّ أَنْجِيَةٌ، قال سَحِيمُ بْنُ وَثِيلِ الْيَرْبُوعِيِّ:

إِنِّي إِذَا مَا القَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَةً واضطربَ القَوْمُ اضطرابَ

هُنَاكَ أَوْصِنِي وَلَا تُوصِي بِيَهُ

قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره أنه يصف قوماً أتعبهم السير والسفر فرقدوا على ركا بهم واضطربوا عليها، وشدَّ بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها، وقيل: إنما ضربته مثلاً لنزول الأمر المهم، وبخطَّ علي بن حمزة هناك بكسر الكاف، وبخطَّه أيضاً: «أوصيني ولا تُوصي» بإثبات الياء لأنه يخاطب مؤثماً، وروى عن أبي العباس أنه يرويه: واختلف القوم اختلاف الأرشية قال: وهو الأشهر في الرواية، وروى أيضاً: والتبس القوم التباس الأرشية ورواه الزجاج: «واختلف القول» ١. هـ لسان [نجا].

وفيه: «وقد يكون النجى والتجوى اسماً ومصدراً، وحديث الدعاء: «اللهم بمحمد نبيك وبموسى نبيك» هو المناجي المخاطب للإنسان والمحدث له» ١. هـ منه. وقوله: «همتي» قال في المصباح: «الهمة بالكسر: أول العزم، وقد تطلق على العزم القوي، فيقال: له همة عالية، والهمة أيضاً: المرأة الفانية، والشيخ هم ١. هـ. وفي التاج: «الهمة بالكسر ويُفتح: ما هممت به من أمر لتفعله، يقال: إنه لبعيد المهم والهمة، وقال العكبري: الهمة: اعتناء القلب بالشيء، وقال ابن الكمال الهمة: قوة راسخة في النفس طالبة لمعالى الأمور هاربة من حسائسها» ١. هـ، ومعنى «هممت به» نويته وأردته وعزمت عليه، كذا في التاج [همم].

وبهذه المناسبة أذكر هنا ما قاله أبو البقاء في «كلياته» في باب الهاء: «الهمم بالفتح: الحزن والقلق، والهمم أيضاً: دواعي الإنسان إلى الفعل من خير أو شر، والدواعي على مراتب، السانح ثم الخاطر ثم الفكر ثم الإرادة ثم الهمم ثم العزم، فالهمم: اجتماع النفس على الأمر والإجماع عليه، والعزم هو القصد على إمضائه، فالهمم فوق الإرادة دون العزم وأول العزيمة، والهمم همان، هم ثابت، وهو ما إذا كان معه عزم وعقد ورضى، كههم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهمم عارض، وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم،

كهمّ يوسف عليه السلام، والعبْدُ غيرُ مأخوذ به ما لم يتكلّم أو يعمل لأنّ تصوّر المعاصي والأخلاق الذميمة لا يعاقبُ به عليها ما لم تُوجد في الأعيان» ١. هـ منه، وبعده: إِلَّا تَحَدَّاهُ رَجَاءً فَاتَّكَمْتُمُ.

«تَحَدَّاهُ» أي عَارَضَهُ وَمَانَعَهُ، وفي اللسان: «عن أبي عمرو الحادي: المتعمّد للشيء، يقال: حَدَاهُ وَتَحَدَّاهُ وَتَحَرَّاهُ بمعنى واحد، قال: ومنه قول مجاهد: كنت أتحدى القراء فأقرأ، أي أتعمّدُهم، وقال الجوهري: تحدّاه: باراه في فعل ونازعه الغلبة، يقال: أنا حديّك في هذا الأمر، أي ابرز لي فيه وجارني» ١. هـ لسان [حد]. وفي التاج أوضح، قال: «الحديّ كالثريّ: المنازعة والمباراة، وتحدّاه: باراه ونازعه الغلبة، ومنه تحدى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن، وتحدى صاحبه القراءة والصراع لينظر أيّهما أقرأ وأصرع، قال الزمخشري: وأصله في الحداء [كغراب وكتاب] يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدّى كلُّ منهما صاحبه، أي يطلبُ حُداءه كما تقول: توفّاه بمعنى استوفاه» انتهى.

قلت: يريد أنّ «تحدى» الذي هو على تفعّل قد يجيء بمعنى استعمل الذي يستعمل بمعنى طلب الفعل، وهو ظاهر، بل جليّ.

ومعنى قوله: «الحداء» الغناء للإبل لأجل أن تُسرّع في سيرها، وقد يستعمل بمعنى رفع الصوت لأجل التطريب مطلقاً، قال في التاج [حد]: «حدّا الإبل وبها حدواً بالفتح وحداءً كغراب [أي بالضم] وحداءً ككتاب [أي بالكسر]: زجرها وساقها، وعن الجوهري: الحدو: سوق الإبل والغناء لها، ومنه تحدّات الإبل إذا ساق بعضها بعضاً»، وفي المصباح: «حدّا بالإبل: حثّها على السير بالحداء كغراب، وهو الغناء لها، وحدّاه على كذا: بعثه عليه» [حدو].

قلت: أي حمّله على فعله، والله أعلم، ثم قال: «وتحدّيت الناس القرآن: طلبت إظهار ما عندهم ليُعرف أيّنا أقرأ، وهو في المعنى مثل قول الشخص الذي يُفاخر الناس بقومه:

هاتوا قوماً مثل قومي أو مثل واحد منهم» ا.ه مصباح [حدو]، وهو في غاية الإيضاح والإفصاح.

وفي المختار: «الحدو: سوق الإبل والغنأ لها، وقد حدا الإبل من باب عدا، وحداً أيضاً بالضم والمد، وتحديته: باريتُه في فعل ونازعتُه الغلبة» ا.ه مختار [حد].

وقولهم: باراه ونازعه معنى باراه عارضه، وذلك إذا فعل مثل فعله، يقال: فلان يُباري الريح سخاءً، وتبارياً: تعارضاً، ومعنى المعارضة والتعارض أن يأتي المعارض والمعارض بمثل فعل من يعارضه ويتعارض معه، والمباراة أيضاً المجارة والمسابقة كذا في مستدرک المرتضى، أعني التاج، ومعنى المعارضة يظهر لك من هذا الحديث: «من طلب العلم ليُجاري به العلماء أو ليُباري به السفهاء أو يصرّف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار». [الترمذي ٢٦٥٤]

«ليُجاري به العلماء» أي يجري معهم في المناظرة والجدل ليظهر علمه رياءً وسمعة، و«ليُباري به السفهاء» أي يجاججهم ويجادلهم به مباحةً وفخراً، و«يصرّف به وجوه الناس إليه» أي يطلبه بنية تحصيل المال والجاه وإقبال العامة عليه، «أدخله الله النار» أي جزاء بما عمل، جعل المارة مع السفهاء سبباً لدخول النار لظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة، وهما من صفات الشيطنة في الآدمي» ا.ه من كتاب التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي [٢/٤٣٠].

ومعنى المنازعة المخاصمة، وأصلها المجاذبة، يقال: تنازع القوم الشيء أي تجاذبوه، أي جعل كل يجذبُه ويسحبه إلى ناحيته، ثم عبر بها عن المخاصمة، يقال: نازعه الكلام أي خاصمه فيه، والمنازعة أيضاً مجاذبة الحجاج فيما يتنازع فيه الخصمان، والتنازع كذلك أصله التجاذب، ويستعمل بمعنى التخاصم، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرَ بِكُمْ مِنْهُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِكُفْرَانٍ مِنْهُ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِكُلِّ غَيْرِهِ﴾ [الأنفال: ٨/٤٦]، أي فتضعفوا وتزول قوتكم وغلبتكم ودولتكم، وقوله تعالى:

﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَزُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩/٤]، وهي في سورة النساء في الحزب الذي أوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨/٤].

وقد تحصل مما مضى في تفسير التحدي أنه يكون بمعنى التعمد والتحري وبمعنى المباراة والمنازعة والمفاخرة والمعارضة، ومعناها تقدم، وأما معنى التعمد والتحري فالتعمد: القصد والأتم والنحو والعمد والاعتد، يقال: قصدته وأتمته بالتخفيف وأتمته بالتشديد وتأتمته ويتمته ونحوته وعمدته أعمدته [كضرب] وعمدت إليه وله وتعمدته واعتمدته وتقصدته، كله بمعنى ملت إليه وقصدته وأقبلت عليه وتوجهت إليه.

«والتحري» قصد الشيء، والتحري أيضاً طلب أحرى الأمرين، أي أولاهما وأحقها وأجدرهما، ومثل التحري التوخي، يقال: توخيت الشيء أتوخاه توخياً قصدت إليه وتعمدت فعله وتحريت فيه، ويقال: وخی يحيى وخياً: توجه لوجهه، ووخيت وخيك قصدت قصدك، ووخى الأمر: قصدته، قال:

قالت ولم تقصد له ولم تحه ما بال شيخ أض من تشيخه

كالكرز المربوط من أفرجه

«ولم تحه» أي: لم تتحرر فيه الصواب، والكرز كسكر: البازي يشد فيسقط ريشه، وقيل: الصقر والبازي في السنة الثانية، وقيل غير ذلك كما في التاج واللسان [كرز]، وقال الشاعر:

«لو أبصرت أبكم أعمى أصلحاً إذا لسمي واهتدي أنى وخی

أي أنى توجه، وخی يحيى وخياً، والله أعلم»، «والأصلح: الأصم الذي لا يسمع ألبنة ومثله الأصلح، وفعلها صلح يصلح صلحاً وصلح يصلح صلجاً، قال ابن الأعرابي: أجمع الكوفيون على أن هذا الحرف بالخاء، وأما أهل البصرة ومن في ذلك السق من العرب فإنهم يقولونه بالجيم، قال الأزهرى: وسمعت أعرابياً يقول: فلان يتصلح علينا أي

يَتَصَامَمُ، قال: ورأيت أمةً صماءً كانت تُعرف بالصَّلْجاء، قال: فهما لغتان جيِّدتان بالخاء والجيم، وقد صلَّح سمعه وصلَّح ورجلٌ أصلُح بين الصَّلْخ، قال ابن الأعرابي: فإذا بالغوا بالأصمِّ قالوا: أصمُّ أصلُح، والصَّلْخ لغةٌ في السَّلْخ، وهو الأسودُ من الحيات، حكاه أبو حاتم بالصاد والسين) ١. اهـ لسان [صلخ].

«رجاء» أي أملٌ وتوقعٌ لحصول المتمنى، قال في اللسان: «الرجاء من الأمل نقيض اليأس، وفي الحديث ذُكر الرجاء، وهو بمعنى التوقع والأمل، ورجيّه ورجاه وازنجاه وترجّاه بمعنى، وشاهد رجى قول بشر يخاطب بنته: [ديوانه ٢٦]

فَرَجَّيَ الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي إِيَّابِي إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِيَّ أَبَا
١. اهـ لسان [رجا]. و«القارظ العنزّي» مثلٌ لما لا يرجى، قال ابن مكرم: «ومن أمثالهم: لا يكون ذلك حتى يؤوب القارظان»، وهما رجلان أحدهما من عنزة والآخر عامر بن تميم بن يقدم بن عنزة، خرجا يتحيان القرظ ويجتنيانه (والقرظ: حبٌ يخرج في غلف كالعدس من شجر العضاة يدبغ به، والعضاة ككتاب من شجر الشوك كالطلح والعوسج والعرفط والسمر، فهذا ونحوه ممّا له شوك يُقال له عضاة) فلم يرجعا، فُضرب بهما المثل، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ١٤٧]

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ويُنشَر في القتلِ كليبٌ لوائل
(وفي الصحاح: كليب بن وائل، ولعلّهما روايتان، كذا في هامش اللسان)، وقال ابن الكلبي^(١): هما قارظان، وكلاهما من عنزة، فالأكبرُ منها يدكُر بن عنزة كان لصلبه، والأصغرُ هو رهم بن عامر من عنزة، وكان من حديث الأول أنّ خزيمة بن هذيل كان عشيَق ابنته فاطمة بنت يدكُر، وأما الأصغرُ منها فإنه خرج يطلب القرظ فلم يرجع، فصار مثلاً في انقطاع العيبة، وإيّاها أراد أبو ذؤيب بقوله: وحتى يؤوب القارظان كلاهما.

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عالم بالنسب، توفي ٢٠٤ هـ، نزهة الألباء: ٨٩ - ٩٠.

قال ابن برِّي: ذكرَ القَزَازُ^(١) في كتاب «الظَّاء» أن أحدَ القارِظِينَ يُقَدِّمُ بنَ عَنزَةَ، والآخَرَ عامِرُ بنَ هَيْصَمَ بنَ يُقَدِّمَ بنَ عَنزَةَ، قال ابن سيده: ولا آتِيكَ القارِظُ العَنزِيَّ، أي: ما غابَ القارِظُ العَنزِيَّ، فأقامَ القارِظُ العَنزِيَّ مُقامَ الدهرِ، ونصبَه على الظرفِ، وهذا اتِّساعٌ، وله نظائرٌ، فالقارِظُ العَنزِيُّ مثلُ للمفقودِ الذي يُؤَيِّسُ منه^١. ا. هـ لسان [قرظ].

«والقارِظُ اسمٌ فاعلٌ من قرِظَ يُقرِظُ قرِظاً من باب ضربٍ إذا جنى القرِظَ أو جمعه»، كما في المصباح، وفي الأساس أن «القرِظَ ورُقُ السِّلَمِ»، والسِّلَمُ هو شجرُ العِصاهِ، الواحدةُ سَلَمَةٌ كقَصَبٍ وقَصَبَةٍ، إلا أن الفيوميَّ خطأً من فسَّرَ القرِظَ بغيرِ الحَبِّ فراجع.

«فاكْتَمَى» أي فاختَفَى وتَوَارَى واستترَ واختبأ، قال المرتضى الزبيدي في التاج: «واكْتَمَى: استترَ»، كذا فيه في آخر مادة (ك م ي) ممَّا استدرَكه على القاموس، قلت: والذي يظهر أنَّه مطاوع كَمَى يَكْمِي كَرَمَى يَرْمِي، أي سترَ وغطَّى، قال في التاج: «كَمَى شهادته يَكْمِيها: كتمها، ونفسه: سترها بالدرع والبيضة، وفي الصحاح: كَمَى نفسه بالتشديد إذا سترها» إلخ ومنه الكَمِيُّ، وهو الذي تَسْتَرَّ وتَغَطَّى بالسلاح، وجمعه كُماةٌ وأكْماءٌ، ويُقال أيضاً: انكَمَى الرجلُ أي استخفى كاكْتَمَى، وتكَمَّاه: قصده واعتمده، وتكَمَّتْهُمُ الفتنُ: غَشِيَتْهُمُ، والكَمِيُّ أيضاً الحافظُ لسرِّه، يقال: ما فلان بكَمِيٍّ ولا نَكِيٍّ، أي لا يَكْمِي سرَّه ولا يَنْكِي عدوّه، يُقال: نكى العدوَّ وفيه نكايَةٌ بالكسر إذا أصابَ منه وقتلَ وجرحَ، قال أبو النجم: [ديوانه ٢٧١]

نحن منعنا وادِّي لَصافا نُنْكِى العِدَى ونُكْرِمُ الأَصِيفا

لَصاف: اسم موضع، قال في التاج: «لَصافٍ كَقَطامٍ وسَحابٍ ويكسِر: جبل لبني تميم، وفي الصحاح: موضعٌ من منازلهم، قال أبو المهوِّش الأَسديُّ: [ديوان بني أسد ٤٨٠ و ٤٨٣]

قد كُنْتُ أَحسَبُكُمْ أَسودَ خَفِيَّةٍ فإذا لَصافٍ تَبَيُّضُ فيه الحُمَرُ

(١) هو محمد بن جعفر أبو عبد الله التميمي، النحوي القيرواني المعروف بالقزاز، توفي ٤١٢ هـ.

وإذا تَسْرَكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ
 قال الجوهري: وبعضهم يُعرب لَصَافٍ ويُجريه مُجْرَى ما لا ينصرف من الأسماء»
 [لصف]، وفي اللسان: «الحُمَّر: ضربٌ من العصافير، قال أبو المهوَّش الأَسديُّ يهجو تَمِيمًا:
 قد كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فإذا لَصَافٍ تَبَيَّضَ فِيهِ الحُمَّرُ
 يقول: قد كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ شَجْعَانًا، فإذا أَنْتُمْ جُبْنَاءُ، وَخَفِيَّةٌ: موضعٌ تُنسبُ إليه
 الأَسدُ، وَلَصَافٍ: موضعٌ من منازل بني تَمِيمٍ، فجعلهم في لَصَافٍ بمنزلة الحُمَّرِ متى وَرَدَ
 عليها أَدْنَى واردةٍ طارتُ فتركتُ بِيَضِّها جُبْنُها وخوفها على نَفْسِها» ١. ه لسان [حمر].

فمعنى البيت - والله أعلم - ما عَرَضَ لي يَأْسٌ يدعو هَمَّتِي إلى إجابته إِلَّا قَصَدَه رجاءٌ
 وأملٌ فاستتر ذلك اليأس واختفى، وإن شئت قلت: ما سَنَحَ لي خاطرٌ يدعوني إلى القنوط
 واليأس وقطع الأمل إِلَّا عَارَضَه خاطرٌ آخرٌ يحملني على الرجاء والأمل وتوقع وقوع ما
 طمعتُ فيه وترقب حصول ما أملتُه وانتظار وجود ما رجوتُه، ومرآة بيأن ما تخلق به من
 قوة العزيمة إذا همَّ بشيءٍ وشدَّة الدؤوب والإدمان والمواظبة على طلب ما يريده: وكانَّ
 الشاعر عَناه بقوله: [لسعد بن ناشب كما في الشعر والشعراء: ٦٩٦]

إذا همَّ أَلْقَى بين عَيْنَيْهِ عَزَمَه وَنَكَّبَ عن ذَكَرِ العواقِبِ جانبا
 ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ رُجْحِه ولم يَرِضْ إِلَّا قائِمَ السيفِ صاحبا
 وفي اللسان: «قائمُ السيفِ وقائمتُه: مَقْبِضُه، وقول الفرزدق يصف السيفَ:
 إذا هيَ شَيِمَتْ فالقوائمُ تحَها وإن لم تُشَمَّ يوماً عَلتَها القوائمُ
 تُشَمُّ أي تُسَلُّ، والقوائمُ: مَقَابِضُ السيفِ» ١. ه لسان [قوم]. قال المرتضى في التاج
 [قوم]: «وقيل: مَقْبِضُ السيفِ هو القائمُ، وما سوى ذلك فهو قائمة كقائمة الخِوانِ
 والسَّريرِ والدابَّة» ١. ه.

وفي التاج: «المَقْبِضُ كَمَنْزِلِ والمَقْبِضُ كَمَقْعَدِ، نقله اللَّيْثُ، قال: والكسْرُ أي للباء أَعْمُ

وأعرف، قال: ويُقال أيضاً: المَقْبُضُ كَمِنْبَرٍ، قال: وما رأيتُ أحداً من الأئمة ذكره، يعني هذا الأخير، قال: والمَقْبُضَةُ بهاءٍ فيهنَّ هو ما يُقبض عليه بجمع الكفِّ من السيف وغيره، كالسكِّين والقوسِ»، ا. ه تاج. وبعده:

٤٧- أَلْيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْمِي بِهَا النَّجَاءَ بَيْنَ أَجْوَاذِ الْفَلَاحِ
«أَلْيَّةٌ» أَي قَسْماً وَحَلِيفاً وَيَمِيناً بِالْيَعْمَلَاتِ، قال في المصباح: «الألْيَّةُ: الحَلِيفُ، والجمعُ أَلْيَا، كَعَطِيَّةٍ وَعَطَايَا، قال الشاعر:

قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ فَإِنْ سَبَقْتُ مِنْهُ الْأَلْيَّةُ بَرَّتِ
وَأَلَى إِيْلَاءٌ كَأْتَى إِيْتَاءً: حَلَفَ، فَهُوَ مُؤَلِّ وَتَأَلَّى وَاتَّأَلَى كَذَلِكَ» ا. ه منه، وفي المختار كذلك، قال: «أَلَى يُؤَلِي إِيْلَاءً: حَلَفَ، وَتَأَلَّى وَاتَّأَلَى مِثْلَهُ، وَالْأَلْيَّةُ: الْيَمِينُ، وَجَمْعُهَا أَلْيَا» ا. ه [ألى].
وفي اللسان والتاج: «الألوةُ بتثليث الهمزة وسكون اللام، والألْيَّةُ على فَعِيلَةٍ، والألْيَا بقلب التاء ألفاً، كلُّه بمعنى اليمين، والجمعُ أَلْيَا، قال الشاعر:

قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ وَإِنْ سَبَقْتُ مِنْهُ الْأَلْيَّةُ بَرَّتِ
قال: ورواه ابن خالويه «قليل الإلآء»، قال: يريد الإيلاءَ فحذف الياء، قال: والفعلُ أَلَى يُؤَلِي إِيْلَاءً وَتَأَلَّى تَأَلَّى وَاتَّأَلَى اتَّأَلَى، وفي الحديث: «مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ»، أَي مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ وَحَلَفَ، كقولك: وَاللَّهِ لِيُدْخِلَنَّ اللَّهُ فُلَانًا النَّارَ وَيُنْجِحَنَّ سَعِيَّ فُلَانٍ، وفي الحديث أيضاً: «وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي» [البخاري: ٢٧٠٥]، يعني الذين يَحْكُمُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي النَّارِ، وَفُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ» ا. ه لسان [ألا].

وقول الشاعر في البيت المتقدم: وَإِنْ سَبَقْتُ مِنْهُ الْأَلْيَّةُ بَرَّتِ
قال محمد بن مكرم في اللسان: «بَرَّتْ يَمِينُهُ تَبَرَّتْ وَتَبَرَّتْ بَرًّا وَبِرًّا وَبُرُورًا: صَدَقْتُ، وَأَبْرَهَا: أَمْضَاهَا عَلَى الصِّدْقِ، يُقَالُ: أَبْرَ فُلَانٌ قَسَمَ فُلَانٌ وَأَحْتَشَهُ، فَأَمَّا أَبْرَ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَجَابَهُ إِلَى مَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ، وَأَحْتَشَهُ إِذَا لَمْ يُجِبه» ا. ه لسان [برر] بحروفه وحركاته.

«باليَعْمَلَاتِ»: بالتثوق النَّجَائِبِ، قال في لسان العرب: «اليَعْمَلَةُ من الإِبِلِ: النَّجِيبةُ المعْتَمَلَةُ المطبوعة على العمل، ولا يقال ذلك إلاَّ لِلأُنْثَى، هذا قول أهل اللغة، وقد حكى أبو عليٍّ يَعْمَلٌ وَيَعْمَلَةٌ، واليَعْمَلُ عند سيبويه اسمٌ لأنه لا يقال: جَمَلٌ يَعْمَلُ ولا ناقةٌ يَعْمَلَةٌ، وإنما يقال: يَعْمَلُ وَيَعْمَلَةٌ، فيُعلم أنه يُعنى بهما البعير والناقة، ولذلك قال: «لا نعلم يُفَعَّلًا جاء وصفاً»، وقال في باب ما لا ينصرف: «إِنْ سَمَّيْتَهُ بِيَعْمَلٍ جَمَعَ يَعْمَلَةٌ فَحَجَّرَ بلفظ الجمع أن يكون صفةً للواحد المذكور»، وبعضهم يردُّ هذا ويجعل اليَعْمَلُ وصفاً، وقال كراع: اليَعْمَلَةُ: الناقة السريعة، اشتقَّ لها اسمٌ من العمل (وهو المهنة والفعل . ا.هـ لسان [عمل])، والجمع اليَعْمَلَاتِ، قال الراجز:

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلَاتِ الدُّبَلِ تطاوَلَ الليلُ عليكِ فانزِلِ

قال: وذكر النحاس في «الطبقات»: «أنَّ هذين البيتين لعبد الله بن رواحة» ا.هـ لسان.

وفي التاج: «اليَعْمَلَةُ بفتح الميم من الإِبِلِ: الناقة النَّجِيبةُ المعْتَمَلَةُ المطبوعة على العمل، ولا يقال ذلك إلاَّ لِلأُنْثَى، وقال كراع: هي السريعة، وأنشد:

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلَاتِ الدُّبَلِ تطاوَلَ الليلُ عليكِ فانزِلِ

ونقل عن بعضهم «الجَمَلُ يَعْمَلُ»، وهو النَّجِيبُ، وأنشد:

إِذْ لا أَرَأَى على أَقْتادِ نَاجِيَةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أَوْ يَعْمَلٍ جَمَلِ

أراد أَوْ جَمَلٍ يَعْمَلٍ، وناقةٌ عَمَلَةٌ كَفَرِحَةٍ: فارهة مثل اليَعْمَلَةِ» ا.هـ منه باختصار تفسيرُ المعْتَمَلَةِ، و«فَحَجَّرَ»، والبيت، قال في اللسان: «العَمَلُ: المهنة والفعل، والجمع أعمال، وأعماله غيره واستعمله، واعتمَلَ الرجلُ: عملَ بنفسه، أنشد سيبويه:

إِنَّ الكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَحِدْ يَوْمًا على مَنْ يَتَكَلَّمُ

فَيَكْتَسِي مَنْ بَعْدَهَا وَيَكْتَحِلُ

أراد مَنْ يَتَكَلَّمُ عليه، فحذف «عليه» هذه، وزاد «على» متقدِّمةً، ألا ترى أنَّه يَعْتَمِلُ إِنْ لَمْ

يُجَدُّ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ؟، وَقِيلَ: الْعَمَلُ لِغَيْرِهِ وَالِاعْتِمَالُ لِنَفْسِهِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هَذَا كَمَا يُقَالُ: اخْتَدَمَ إِذَا خَدَمَ نَفْسَهُ وَاقْتَرَأَ إِذَا قَرَأَ السَّلَامَ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ أَيضاً: اعْتَمَلَ أَيِ اضْطَرَبَ فِي الْعَمَلِ»، وَقَالَ: «وَفِي حَدِيثِ خَيْبَرَ: «دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِلُوهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» [مُسْلِمٌ: ٣٤٩٣]. قَالَ: الْاِعْتِمَالُ اِفْتِعَالٌ مِنَ الْعَمَلِ، أَيِ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِمَارَةِ وَزِرَاعَةٍ وَتَلْقِيحٍ وَحِرَاسَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ»، كُلُّ هَذَا عَنِ اللِّسَانِ [عَمَلٌ].

وَفِي الْمَصْبُوحِ: «عَمَلَهُ: صَنَعَهُ، وَعَمَلَ عَلَى الصَّدَقَةِ: سَعَى فِي جَمْعِهَا» ١. هـ، وَفِيهِ [مِهْنٌ]: «وَهُوَ فِي مِهْنَةٍ أَهْلُهُ أَيِ خِدْمَتِهِمْ، وَخَرَجَ فِي ثِيَابِ مِهْنَتِهِ أَيِ الَّتِي يَلْبَسُهَا فِي أَشْغَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَمَهْنٌ مِنْ بَابِ قَتَلَ وَنَفَعَ، خَدَمَ غَيْرَهُ وَأَمْنَهُ: اسْتَعْمَلَهُ وَامْتَنَهَنَهُ: ابْتَدَأَهُ» ١. هـ. وَقَوْلُ سَيِّبِيهِ: «فَحَجَّرٌ» أَيِ امْنَعُ مَنَعًا قَوِيًّا، وَهُوَ مِبَالِغَةٌ حَجَرَ عَلَيْهِ مِنْ [بَابِ] نَصَرَ إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ [المصباح (حجر)].

وَقَوْلُهُ: يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ.....إِلخ. فزَيْدٌ الْأَوَّلُ مَفْرَدٌ عَلَّمَ مَنَادَى، وَلِذَلِكَ بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ، وَالثَّانِي يُجِبُ نَصْبُهُ لِأَنَّهُ عَطْفٌ بَيَانٌ أَوْ بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ كُلِّ عَلَى تَقْدِيرِ إِحْلَالِهِ مَحَلَّ الْأَوَّلِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: يَا زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ، فَلَهُ حَكْمُ الْمَنَادَى الْمُضَافِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «الْوَاجِبُ نَصْبُهُ فِي النِّدَاءِ هُوَ التَّابِعُ الْمُضَافُ، مِثَالُهُ فِي النِّعْتِ: يَا زَيْدُ صَاحِبَ عَمْرٍو، وَفِي التَّوَكِيدِ: يَا تَمِيمُ كُلَّكُمْ، وَفِي الْبَيَانِ: يَا زَيْدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَالْجَائِزُ فِيهِ الْوَجْهَانِ التَّابِعُ الْمَفْرَدُ، نَحْوُ: يَا زَيْدُ الْفَاضِلُ وَالْفَاضِلُ، وَيَا تَمِيمُ أَجْمَعُونَ وَأَجْمَعِينَ»، كَذَا فِي «عُنْيَةِ الطَّالِبِ» [ص ٥٩] لِلْعَالِمِ الْجَلِيلِ أَحْمَدَ صَاحِبِ «الْجَوَائِبِ».

وَالذُّبْلُ جَمْعُ ذَابِلٍ، وَهُوَ الرُّمَحُ الرَّقِيقُ اللَّاصِقُ اللَّيْطُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِاللَّيْطِ، وَاللَّيْطُ: قِشْرُ كُلِّ شَيْءٍ، فَجَعَلَتْ ضَوَامِرُ الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الرَّمَاحِ، فَوُصِفَتْ بِمَا تُوصَفُ بِهِ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى ذُبُلٍ بَضْمَتَيْنِ كَكُتُبٍ، وَالْأَوَّلُ كَرُكْعٍ، وَبِهِ يُقْرَأُ فِي الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ.

وقوله: «تَطَاوَلَ اللَّيْلُ» أي طال، قال الله تعالى: ﴿فَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [القصص:

٢٨/٤٥]، أي طال، ومثله قول الشاعر: [ديوان امرئ القيس ١٨٥]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْإِثْمِدِ وَنَامَ الْحَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

كذا في التاج [طول]، وفيه [ثمد]: أتمد كأحمد، وبضم الميم لغة في إثمُد بالمثلثة، وفيه: «أتمد بالمثلثة» كأحمد، ونقل فيه المثناة الفوقية، وبها روي قول الشاعر:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْإِثْمِدِ الْبَيْتِ ...

موضع، وبضم الميم، فهي ثلاث لغات «ا.هـ. قلت: بل أربع لغات كما ترى، وإنما وقع «ثلاث» سهواً. وقوله فيما تقدم:

إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى أَقْتَادِ نَاجِيَةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٌ أَوْ يَعْمَلِ جَمَلِ

في اللسان والتاج [قتد]: «الْقَتْدُ وَالْقِتْدُ: خَشْبُ الرَّحْلِ، وَقِيلَ: مِنْ أَدْوَاتِ الرَّحْلِ، وَقِيلَ: جَمِيعُ أَدَاتِهِ، وَالْجَمْعُ أَقْتَادٌ وَأَقْتَدُ وَأَقْتُودُ»^١.هـ. والرَّحْلُ للبعير كالإكاف للحمار، ويقال له القُتْبُ والقُتَبُ كجمل وسبب، والناجية: السريعة، تنجو بمن يركبها، والصَّهْبَاءُ من الصُّهْبَةِ، وهي الشُّقْرَةُ في شعر الرأس كالصُّهْبَةِ والصَّهْبِ محرَّكَةً، وقال الأزهرِيُّ: هي لون حُمْرَةٌ في شعر الرأس واللَّحْيَةِ إِذَا كَانَ فِي الظَّاهِرِ حُمْرَةً وَفِي الْبَاطِنِ اسْوَدَادًا، وَكَذَلِكَ فِي لَوْنِ الْإِبِلِ، يُقَالُ: بَعِيرٌ أَصْهَبٌ وَصُهَابِيٌّ، وَنَاقَةٌ صَهْبَاءٌ وَصُهَابِيَّةٌ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: قُرَيْشُ الْإِبِلِ صُهْبَاءُ وَأُدْمُهَا، يَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى تَشْرِيفِهَا عَلَى سَائِرِ الْإِبِلِ، وَقَدْ أَوْضَحُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: خَيْرُ الْإِبِلِ صُهْبَاءُ وَحُمْرُهَا، فَجَعَلُوهَا خَيْرَ الْإِبِلِ، كَمَا أَنَّ قُرَيْشًا خَيْرُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ، وَقِيلَ: الْأَصْهَبُ مِنَ الْإِبِلِ: الَّذِي يَخَالِطُ بِيَاضَهُ حُمْرَةً، وَهُوَ أَنْ يَحْمَرَ أَعْلَى الْوَبْرِ وَتَبَيَّضَ أَجْوَاهُ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْأَدْمُ مِنَ الْإِبِلِ الْأَبْيَضُ، فَإِنْ خَالَطَتْهُ حُمْرَةٌ فَهُوَ أَصْهَبٌ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: قَالَ حُنَيْفُ الْحَنَاتِمِ وَكَانَ أَبَلُ النَّاسِ: (أَيَّ أَشَدَّهُمْ تَأْتِقًا فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهَا، وَيُقَالُ: أَبَلُ كَضَرَ وَفَرِحَ أَبَالَةً كَسَحَابَةِ وَأَبَالًا بِالتَّحْرِيكِ فَهُوَ أَبَلُ كصاحب، وَأَبَلُ كَكَتِفَ أَيَّ حَدَقَ

مصلحة الإبل والشاء، والإبالة: السِّياسة وزناً ومعنىً وحُسْنُ القيام على المال. ١. هـ تاج [صهب] ببعض تصرف): الرَّمْكَاءُ بُهَيَا (الرَّمْكَاء: التي لوئها كلون الرَّماد) والحمراءُ صُبْرَى والخَوَّارَةُ غُزْرَى والصَّهْبَاءُ سُرْعَى، قال: والصُّهْبَةُ أشهرُ الألوان وأحسنها حين تنظر إليها، ورأيت في حاشية: البُهَيَا تَأْنِيثُ البَهِيَّةِ، وهي الرائعة، وجَمَلٌ صُهَابِيٌّ أَي أَصْهَبُ اللَّوْنِ، ويقال: هو منسوب إلى صُهَابِ اسمِ فحْلٍ أَوْ موضع، وإبل صُهَابِيَّةٌ منسوبة إلى فحل اسمه صُهَابِ، ويقال للأعداء: صُهَبِ السَّبَالِ وسُوْدُ الأَكْبَادِ، وإن لم يكونوا صُهَبِ السَّبَالِ قال:

جاؤوا يَجْرُونَ الحديدَ جَرًّا صُهَبِ السَّبَالِ يَبْتَغُونَ الشَّرًّا

وإنما يريد أن عدوتهم لنا كعداوة الروم، والروم صُهَبُ السَّبَالِ والشعور، وإلَّا فهم عربٌ، وألوانهم الأذمة والسُمرة والسَّواد، وقال ابن قيس الرُّقيات: [ديوانه ١١٣]

فِظْلًا السَّيْفِ شَيِّنَ رَأْسِي وَاغْتِنَاقِي فِي الْقَوْمِ صُهَبِ السَّبَالِ

ويقال: أصله للروم، لأنَّ الصُّهْبَةَ فيهم، وهم أعداء العرب» ١. هـ لسان [صهب].

ومن كلام حُنيْفِ الحَنَاتِمِ المذكور آنفاً: «مَنْ قَاظَ الشَّرْفَ وَتَرَبَّعَ الحَزْنَ وَتَشَّتَى فَقَدَ أَصَابَ المَرَعَى، وَمَنْ أَبَالَتِهِ أَنْ ظِمَّ إِبْلُهُ كَانَ غِبًّا بَعْدَ العَشْرِ» كذا في التاج في مادة (أ ب ل).

قَاظَ بالمكان من باب باع: أقام به مدَّة القَيْظِ، والقَيْظُ الفِصْلُ الذي يُسميه الناس صَيْفًا، والقَيْظُ: شِدَّةُ الحَرِّ، والشَّرْفُ: كَبِدٌ نَجْدٌ، وكان من منازل الملوك من بني آكِلِ المُرَّارِ من كِنْدَةَ، والشَّرْفُ: اسمٌ لعدَّة مواضع أُخَرَ، كما في التاج [قَيْظ].

وفي اللسان [ربع]: «تَرَبَّعَ القَوْمُ المَوْضِعَ وبه، وارتبعوه: أقاموا فيه زمن الربيع، ويقال:

تَرَبَّعْنَا الحَزْنَ والصَّحْنَ، أَي رَعِينَا بقولها في الشتاء» ١. هـ.

وفيه: «تَشَّتَى المَكَانَ: أقام به في الشَّتْوَةِ، وهي الفِصْلُ المَعْلُومُ الذي هو أَحَدُ أَرْبَاعِ السَّنَةِ، قال ابن السَّكَيْتِ: السَّنَةُ عِنْدَ العَرَبِ اسمٌ لاثني عشر شهرًا، ثم قسموا السَّنَةَ فجعَلوها نِصْفَيْنِ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، فبدأوا بأول السَّنَةِ أَوَّلَ الشِّتَاءِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ،

والصيفُ أنثى، ثم جعلوا الشتاء نصفين، فالشَّتَوِيُّ أوَّلُهُ، والرَّبِيعُ آخِرُهُ، فصار الشَّتَوِيُّ ثلاثة أشهر والرَّبِيعُ ثلاثة أشهر، وجعلوا الصيف ثلاثة أشهر والقَيْظُ ثلاثة أشهر، فذلك اثنا عشر شهراً، وقال غيره: الشتاء أحدُ أرباع السنة، وهي الشَّتْوَةُ، وقيل: الشتاء جمعُ شَتْوَةٍ، قال الجوهريُّ: وجمعُ الشتاء أَشْتِيَّةٌ، والنسبةُ إلى الشَّتْوَةِ شَتَوِيٌّ وَشَتَوِيٌّ، مثلُ خَرْفِيٍّ وَخَرْفِيٍّ «ا.هـ لسان [شتا].»

وفي التاج: «الخريف كأمير أحدُ فصول السنة الذي تَحْتَرِفُ فيه الثمارُ، قال اللَّيْثُ: هو ثلاثة أشهر بين آخر القَيْظِ وأوَّلِ الشتاء، سُمِّيَ خريفاً لأنه تَحْتَرِفُ فيها الثمارُ، والنسبةُ إليها خَرْفِيٌّ بالفتح ويكسَرُ، ويحْرَكُ كُلُّ ذلك على غير قياس» ا.هـ تاج [خرف].»

ولنرجعُ إلى ما نحن بصدده، فالعَمَلَاتُ هي النِّيَاقُ العِتَاقُ النَّجِيَّاتُ التي يُسَابِقُ عليها، ويقال: النَّجِيبُ من الإبل: الخفيف السريع القويُّ الكريمُ العَتِيقُ، وهو خيرُها، والعَتِيقُ بالكسر: الكرم والشرف والنَّجَابَةُ والجَمَالُ والحريَّةُ، والعَتِيقُ: الخيار من كلِّ شيء، وفي المصباح: «عَتَقَ كَسَبَقَ وزناً ومعنى، ومنه فرسٌ عَاتِقٌ إذا سبقَ الخيلَ، والعَتِيقُ: الكريمُ وزناً ومعنى، والجمعُ كالجمع، عِتَاقٌ ككِرَامٍ»، وفي الأساس: «فرسٌ عَتِيقٌ أي رائعٌ، وعِتَاقُ الخيلِ والطير: كرائمُها، وهو عَتِيقُ الوجه أي كريمُه، وسُمي الصُّدِيقُ رضي الله عنه عتيقاً لجماله» [عتق].»

وفي المصباح [نجب]: «نَجَبَ بالضمِّ نَجَابَةً فهو نجيبٌ ككُرْمٍ فهو كريمٌ، والجمعُ نُجَبَاءُ ككُرَمَاءَ، وهي نجبيةٌ وهنَّ نَجَائِبُ ككريمَةٍ وكرائمٍ، والمماثلةُ في جميع ما ذكر وزناً ومعنى» ا.هـ منه ببعض زيادة.

وفيه [كرم]: «كُرْمَ الشيءُ: نَفَسَ وَعَزَّ فهو كريمٌ، وكرائمُ الأموال: نفائسُها وخيارُها»، وفيه [نفس]: «نَفَسَ الشيءُ بالضمِّ نَفَاسَةً: كُرْمٌ، فهو نَفِيسٌ وَأَنْفَسَ مثله فهو مُنْفَسٌ، وَنَفِستُ به مثلُ صَنِنْتُ به لنفَاسته وزناً ومعنى» ا.هـ.

وفي اللسان: «نَفَسٌ بِالضَّمِّ فَهُوَ نَفِيسٌ وَنَافِيسٌ: رَفَعٌ وَصَارَ مَرغوباً فِيهِ، وَكَذَلِكَ رَجُلٌ نَافِيسٌ وَنَفِيسٌ، وَالْجَمْعُ نَفَاسٌ، وَأَنْفَسَ صَارَ نَفِيساً، وَهَذَا أَنْفَسٌ مَالِي أَي أَحَبُّهُ وَأَكْرَمُهُ عِنْدِي، وَقَالَ اللَّحْيَانِي: النَّفِيسُ وَالْمُنْفِيسُ: الْمَالُ لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ، ثُمَّ عَمَّ فَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ لَهُ خَطَرٌ وَقَدْرٌ فَهُوَ نَفِيسٌ وَمُنْفِيسٌ، قَالَ النَّمْرُ بْنُ تَوَلَبٍ: [ديوانه ٧٢]

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِيساً أَهْلَكْتَهُ فَإِذَا هَلَكْتَ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي

١. هـ لسان [نفس].

وهو هكذا بنصب «مُنْفِيساً» كما ترى، وقد استشهد به ابن عقيل في باب الاشتغال من الألفية على أنه مرفوع، ونصه بعد هذا البيت:

«وَالنَّصْبُ حَتْمٌ إِنْ تَلَا السَّابِقُ مَا يَخْتَصُّ بِالفِعْلِ كَأَنَّ وَحَيْثُما
يجب نصب الاسم السابق إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل كأدوات الشرط، نحو
إِنْ وَحَيْثُما، فتقول: إِنْ زَيْداً أَكْرَمْتَهُ أَكْرَمْتُكَ، وَحَيْثُما زَيْداً تَلَّقْتَهُ فَأَكْرَمْتَهُ، وَلَا يَجُوزُ الرِّفْعُ عَلَى
الابتداء، إذ لا يقع بعد هذه الأدوات، وَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ كَقَوْلِهِ: لَا تَجْزَعِي. البيت، تقديره:
إِنْ هَلَكَ مُنْفِيسٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» ١. هـ منه باختصار. [ابن عقيل ١/ ٥٢٠]

وفي الأساس والتاج في مادة (ن ف س): «مُنْفِيساً» بالنصب كما في اللسان، تفسير
ألفاظه: الجزع: أَنْ تَضْعَفَ قُوَّةَ الْإِنْسَانِ عَنْ حَمَلِ مَا نَزَلَ بِهِ وَلَا يَجِدُ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ،
وَالْمُنْفِيسُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَنْفَسَ اللَّغَةِ فِي نَفْسٍ، وَالْمَرَادُ الْمَالُ النَّفِيسُ. وَالْإِهْلَاكُ: الْإِفْنَاءُ،
وَالْمَعْنَى لَا يَكُنْ عِنْدَكَ جِزْعٌ وَعَدَمُ صَبْرٍ إِذَا اسْتَهْلَكْتَ الْمَالَ النَّفِيسَ وَأَفْنَيْتَهُ بِالْإِنْفَاقِ،
وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَكَ الْجِزْعُ إِذَا أَنَا مِتُّ وَفْنَيْتُ، وَكَذَا فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ ابْنِ عَقِيلٍ لِلْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ
مُحَمَّدِ قِطْعَةِ الْعُدُويِّ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ تَفْسِيرِهِ مَا نَصَّهُ: «وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: إِنْ مُنْفِيسٌ أَهْلَكْتَهُ،
حَيْثُ وَقَعَ الْاسْمُ السَّابِقُ الْمَشْتِغَلُ عَنْهُ بَعْدَ أَدَاةٍ لَا يَلِيهَا إِلَّا الْفِعْلُ، وَلَمْ يُنْصَبْ، بَلْ جَاءَ
مَرْفُوعاً» ١. هـ.

وقال في إعرابه: «مُنْفِسٌ: فاعل فعل محذوف مطاوع للفعل المذكور، والتقدير: إن هَلَكَ مُنْفِسٌ، وهذا الفعل المقدر هو فعل الشرط، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي فلا تُجْزَعِي» انتهى منه باختصار.

وقولهم في تفسير كَرَمَ: عَزَّ، وفي تفسير نَفْسَ: رَفَعَ، عَزَّ من باب ضَرَبَ وَكَرَّمَ كما في التاج [عززا]، وَرَفَعَ بالضم من الرِّفْعَةِ، أي شَرَّفَ وَعَلَا قدره وارتفع.

«يَرْتَمِي»، قال الجوهري: «رَمَيْتُ الشَّيْءَ من يَدِي، أي أَلْقَيْتُهُ فَارْتَمَى» كذا في اللسان [رمى]، ووقع في اللسان والتاج في مادة (ر م ي) تفسيرُ ارْتَمَى بِ طَاحَ وَخَرَّ، فمعنى طَاحَ على ما في المختار هَلَكَ وَسَقَطَ، والبَابُ قال وباع، والمراد في تفسير ارْتَمَى الثاني، ومعنى خَرَّ كذلك سَقَطَ، أي وَقَعَ، فسَقَطَ وَارْتَمَى وَخَرَّ وَطَاحَ بمعنى واحد، وإن كان لكل منها موضعٌ لا يَلِيْقُ به غَيْرُهُ.

«النَّجَاءُ»، في اللسان: «النَّجَاءُ: السرعة في السَّيرِ، وقد نَجَا نَجَاءً بِالْمَدِّ، وهو يَنْجُو في السرعة نَجَاءً، وهو نَاجٍ سَرِيعٌ، وَنَجَوْتُ نَجَاءً أي أَسْرَعْتُ وَسَبَقْتُ، وقالوا: النَّجَاءُ النَّجَاءُ والنَّجَا والنَّجَا، فمدُّوا وقصروا، قال الشاعر:

إِذَا أَخَذَتِ النَّهْبَ فَالنَّجَا النَّجَا

وقالوا: النَّجَاكَ، فأدخلوا الكاف للتخصيص بالخطاب، ولا موضع لها من الإعراب لأن الألف واللام مُعَاقِبَةٌ للإضافة، فثبتَ أَنَّهَا ككاف ذلك وأرأيتك زيدا أبو من هو؟ وفي الحديث: «وأنا النذيرُ العُرْيَانُ، فالنَّجَاءُ النَّجَاءُ»، أي انجُوا بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر أي انجُوا النَّجَاءُ، والنَّجَاءُ: السرعة، وفي الحديث: «أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ» أي مسرعاتٍ، وناقة ناجية ونجاة: سريعة، وقيل: تقطع الأرضَ بسيرها، ولا يُوصَفُ بذلك البعيرُ، الجوهريُّ: النَاجِيَّةُ والنَّجَاةُ: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها، قال: والبعيرُ

ناجٍ، وقال: [ديوان روضة ١٦٨]

أَيَّ قَلْوَصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا»

ا. هـ لسان [نجا].

وفيه: «قال العدوي^(١): القلوص: أول ما يُركب من إناث الإبل إلى أن تُثني فإذا أثنى فهو جمل، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصاً، قال: وقد تسمى قلوصاً ساعة تُوضع، والجمع قلائص وقلاص وقُلص، وقُلصان جمع الجمع، وحاليها القلاص» ا. هـ لسان [قلص].

وفي المصباح: «القلوص من الإبل بمنزلة الجارية من النساء، وهي الشابة» ا. هـ، وهذا قول أكثر أهل اللغة، وقد ذكره اللسان قبل غيره من التفسيرات التي ذكرت في القلوص إلى أن ذكر ما نقلته عنه في غرة هذه الصحيفة.

وفي الأساس: «ناقة ناجية وثوق نواج، ونجا ينجو نجاءً: أسرع، والنجاءك النجاءك» ا. هـ منه، ومن سجعاته في هذه المادة: «شهدت منهم أنديه فوجدتهم أنجيه، والأنجية جمع نجى، وهم المتناجون، قال:

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطربت أعناقهم كالأرشية»
كذا في الأساس [نجا]، وفي اللسان: «النجي: المتسارون المتناجون، قال سحيم ابن وثيل اليربوعي:

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الأرشية
هناك أوصيني ولا تُوصي بيّه

قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره أنه يصف قوماً أتعبهم السير والسفر فرقدوا على ركبهم واضطربوا عليها وشدَّ بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها، وقيل: إنما ضربته مثلاً لنزول الأمر المهم، ويخطئ علي بن حمزة «هناك» بكسر

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد اليزيدي، توفي ٢٠٢ هـ.

الكاف، وبخطّه أيضاً «أوصيني ولا تُوصي» بإثبات الياء لأنه يخاطب مؤنثاً، ورُوي عن أبي العباس أنه يرويه: واختلف القوم اختلاف الأرشية قال: وهو الأشهر في الرواية، ورُوي أيضاً: والتبس القوم التباس الأرشية ورواه الزجاج: «واختلف القول» ١. هلسان.

والأندية جمع نديّ كغنيّ، وهو المجلس، ويُطلق على القوم المجتمعين مثل النادي، قال في اللسان: «النادي: المجلس، يندو [أي ينزع] إليه من حوائيه ولا يُسمى نادياً حتى يكون فيه أهله، وهو أيضاً النديّ، والجمع أندية، وفي حديث أمّ زرع: «قريب البيت من النادي» [البخاري: ٥١٨٩] هو مجتمع القوم وأهل المجلس، فيقع على المجلس وأهله، تقول: إن بيته وسط الحلة أو قريباً منه ليغشاه الأضياف والطراق، وفي الحديث: «واجعلني في النديّ الأعلى» [أبو داود: ٥٠٥٤]، أي اجعلني مع الملاء الأعلى من الملائكة، وفي رواية «في النداء الأعلى»، أراد نداء أهل الجنة أهل النار: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤/٧]، وفي حديث سريّة بني سليم: «ما كانوا ليقتلوا عامراً وبني سليم، وهم النديّ» أي القوم المجتمعون ١. ه. وكلّه من اللسان [ندي].

والأرشية: الحبال والأشطان والأسباب، الواحد رشاء ككتاب، والشطن والسبب متحذان وزناً ومعنى، أي بمعنى الحبل.

وقول الناظم: يئن أجواز الفلا، أي أوساطها، قال في اللسان: «وقول كثير:

عسوف بأجواز الفلا حميريّة مريش بذئبان السبب تليها

قال: الأجواز: الأوساط، وجوز كل شيء وسطه» [جوز] ١. ه.

قلت: وفي السماء بُرج يُسمى بالجوزاء لكونه معترضاً في جوز السماء أي وسطها، كما في التاج [شفر]، وفي اللسان: «الجوزاء: نجم يُقال: إنه يعترض في جوز السماء، والجوزاء من بروج السماء، واسم امرأة سُميت باسم هذا البرج» [شفر] ١. ه.

وفي مادة (ذأب): «قال أبو عمرو: الذُّبَان: الشَّعر على عُنق البعير ومِشْفَره. المِشْفَر بالكسر للبعير كالشَّفة لنا، والجَحْفلة للفرس، ويُفتح، والجمع مَشَافِر، وقد يُستعمل في الناس على الاستعارة وكذا في الفرس، كما صرَّح به الجوهريُّ حيث قال: ومَشَافِرُ الفرس مستعارة منه، ا.هـ تاج [شفر]، وقال الفراء: الذُّبَان: بقيَّة الوبر، قال الشيخ أبو محمد بن بري: لم يذكر الجوهريُّ شاهداً على هذا، ورأيتُ في الحاشية بيتاً شاهداً عليه لكثيرٍ يصف ناقهً:

عَسُوفٌ بِأَجْوَزِ الْفَلَاحِمِيَّةِ مَرِيْشٌ بِذُبَّانِ السَّيْبِ تَلِيْهَا

قال: والعسوف: التي تمرُّ على غير هداية، فتركبُ رأسها في السير ولا يثنيها شيءٌ، والأجواز: الأوساط، وحِمِيَّةٌ أراد مَهْرِيَّةً لَأَنَّ مَهْرَةَ من حِمِيرٍ، والتَّلِيلُ: العنق، والسَّيْبُ: الشَّعر الذي يكون متدلِّياً على وجه الفرس من ناصيته، جعلَ الشَّعرَ الذي على عيني الناقه بمنزلة السَّيْبِ» ا.هـ من اللسان من مادة (ذأب).

وفي مادة (س ب ب) منه: «والسَّيْب من الفرس: شَعر الذَّنْب والعُرْف والناصية، وفي الصحاح: السَّيْب: شَعر الناصية والعُرْف والذَّنْب، ولم يذكر الفرس، وقال الرِّياشيُّ: هو شعر الذَّنْب، وقال أبو عبيدة: هو شعر الناصية، وأنشد:

بِوَافِي السَّيْبِ طَوِيلِ الذَّنْبِ

والسَّيْب والسَّيْبَة: الخُصْلَة من الشَّعر، وفي حديث استِقاء عمرَ رضي الله عنه: «رأيت العباسَ رضي الله عنه وقد طالَ عُمَرُ وعيناه تَنْضَمَانُ وسبائبُه تَجُولُ على صدره»، يعني ذَوَائِبَه، قال ابن الأثير: «وفي كتاب الهرويِّ على اختلاف نسخته: «وقد طالَ عُمَرُ»، وإنما هو طالَ عُمَرُ، أي كان أطولَ منه لَأَنَّ عُمَرَ لَمَّا استسقى أخذ العباسَ إليه وقال: اللهمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وكان إلى جانبه فراه الراوي وقد طاله، أي كان أطولَ منه» ا.هـ لسان.

وفيه: «العَسْف: السيرُ بغير هداية والأخذُ على غير الطريق، وكذلك التعسُّفُ والاعتسافُ، والعَسْفُ: ركوبُ المفازة وقطعُها بغير قصد ولا هداية ولا توحِّي صوبٍ ولا طريق مسلوكة [وهو من باب ضَرَبَ]، ومنه رجلٌ عَسُوفٌ إذا لم يقصد قصدَ الحقِّ، وقولُ كثيرٍ: عَسُوفٌ بأجوازِ الفلأَجْمِرِيَّةِ»

العَسُوفُ: التي تمرُّ على غير هداية، فتركبُ رأسها في السيرِ ولا يُتَّهَى شيءٌ»^١. هـ منه [عسف].
وفيه: «ومَهْرَةٌ بِنُ حَيْدَانَ: أبو قبيلة، وهم حيٌّ عظيم، وإبلٌ مَهْرِيَّةٌ منسوبةٌ إليهم، والجمعُ مَهَارِيٌّ ومَهَارٍ ومَهَارَى مخففةُ الياء»^١. هـ لسان [مهر].

وفي التاج: «ومَهْرَةٌ بِنُ حَيْدَانَ بن عمرو بن الحافِ بن قضاة بالفتح أبو قبيلة، وهم حيٌّ عظيم، والإبلُ المَهْرِيَّةٌ منسوبةٌ إليهم، والجمعُ مَهَارَى كسَكَارَى، هكذا هو مضبوط في النسخ، وفي اللسان بكسر الراء وتخفيف الياء، ومَهَارٍ بحذف الياء، ومَهَارِيٌّ بكسر الراء وتشديد الياء»^١. هـ تاج [مهر].

وقد رأيتَ نصَّ اللسان آنفاً، وأظنُّ أنَّ الصوابَ مَهَارَى كسَكَارَى، ويؤوَّلُ قوله: «مخففةُ الياء»، وإلا فكان قوله: مَهَارٍ بحذف الياء يُعني عنه كما لا يخفى، فليُتأمل، وقد تقدَّم أنَّ التَّلِيلَ هو العنق، وشاهدُه قولُ لبيد: [ديوانه ١٩٠]

تَتَّقِينِي بِتَلِيلِ ذِي خُصَلِّ

أي بعنق ذي خُصَلِّ من الشعر، «الخُصَلُّ جمعُ خُصَلَّة بالضم، وهي الشعرُ المجتمع، وقال اللَّيْثُ: اللَّفِيْفَةُ من الشعر».

ولم يبقَ في البيت لفظةٌ إلا وقد فُسرَتْ إِلا المَرِيْشَ، فلم يتعرَّض لتفسيرها مع تفسير البيت أحد، والظاهر أنه اسم مفعول من رَاشَهُ يَرِيْشُهُ رِيْشاً بالفتح إذا أَلزَقَ عليه الرِيْشَ وركبَه، يقال: رَاشَ السهمَ رِيْشاً، أي أَلزَقَ الرِيْشَ وركبَه عليه، فهو رَاشٌ، والسهمُ مَرِيْشٌ، ومنه قولهم: ما له أَقْدٌ ولا مَرِيْشٌ، أي ليس له شيء، والأقْدُ: السهمُ الذي لم يُرِشْ،

وهو من المقلوب؛ لأنَّ القُدَّةَ الرِّيشَ، كما يقال للملْسوع: سليمٌ، وكما يقال للسَّهم الذي انكسر فُوقُه: أَفُوقٌ (والفُوق: موضع الوتر من السهم، وقال اللَّيث: هو مَشَقُّ رأس السهم حيث يقع الوترُ، كذا في التاج) ، ويقال ما أَصَبْتُ منه أَقَدَّ ولا مَرِيشاً، أي لم أَصِبْ منه شيئاً [اللسان (ريش)].

فالْمَرِيشُ: السهم الذي عليه ريشٌ، «والأَقَدُّ: الذي لا ريشَ عليه، وروى ابن هانئ^(١) عن أبي مالك^(٢): ما أَصَبْتُ منه أَقَدَّ ولا مَرِيشاً بالفاء من الفَدُّ الفرد» ا.هـ لسان من مادة (ق ذ ذ).

وفي مادة (ف ذ ذ) منه: «قال أبو مالك: ما أَصَبْتُ منه أَقَدَّ ولا مَرِيشاً، الأَقَدُّ: القِدْح الذي ليس عليه ريش، والمَرِيشُ: الذي قد ريشَ، قال: ولا يجوز غير هذا أَلْبَتَةً» ا.هـ لسان. والقِدْح بكسر فسكون: اسمُ السهم قبل أن يُراش ويُرَكَّب نَصْلُه»، كما في المصباح [قدح]، «والنَّصْلُ: حديدة السهم والرمح والسيف والسكين» كما في الصحاح، وفي اللسان: «النَّصْلُ للسهم والسيف والسكين والرمح، وفي المحكم: حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مَقْبِضٌ، فإذا كان لها مَقْبِضٌ فهو سيف، ولذلك أَضَافَ الشاعر النَّصْلَ إلى السيف فقال:

قد علمتْ جاريةٌ عَطْبُولُ أَنِّي بِنَصْلِ السيفِ خَنْشَلِيلُ

ونَصْلُ السيف: حديده، قال أبو حنيفة: قال أبو زياد: النَّصْلُ: كُلُّ حديدة من حدائد السهام، والجمعُ أَنْصُلٌ ونُصُولٌ ونِصَالٌ، والنَّصْلان: النَّصْلُ والزُّجُّ، قال أعشى باهلة:
عَشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
وقد سُمِّيَ الزُّجُّ وحده نَصْلاً» ا.هـ لسان [نصل].

(١) هو أبو عبد الله بن محمد بن هانئ النيسابوري، من أئمة اللغة، توفي ٢٣٦هـ.

(٢) هو عمرو بن كركرة، أبو مالك الأعرابي، دخل الحاضرة، وأخذ الناس عنه اللغة، إنباه الرواة: ٣٦٠ / ٢.

والمقبض كمنزل ومقعد ومنبر، والمقبضة بهاء فيهن: ما يقبض عليه بجُمع الكف من
السيف وغيره، كالسكين والقوس، وقال ابن شميل: المقبضة موضع اليد من القناة، كذا في
التاج [قبض]، قال: «والوزن الأول أي ما كمنزل أعم وأعرف، وعليه اقتصر الجوهرِيُّ،
وأما الأخير أي ما كمنبر فما رأيتُ أحداً من الأئمة ذكره»، كذا قال الزبيديُّ.
وقوله: قد علمتُ جاريةً عَطْبُولٌ... إلخ.

في اللسان: «جارية عَطْبُولٌ وعَطْبُولَةٌ وعَيْطَبُولٌ: جميلة فتية ممتلئة طويلة
العُنق، والعَطْبُولُ: الحسنة التامة، وأنشد الجوهرِيُّ لعمر بن أبي ربيعة: [ديوانه ٣٣٨]
إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولِ
قال ابن بري: ولا يقال: رجلٌ عَطْبُولٌ، إنَّها يقال: رجلٌ أَجِيدٌ، إذا كان طويلَ العُنق»
ا.هـ لسان [عطبل].

وفيه: «خَنَشَلُ الرَّجُلِ: اضْطَرَبَ مِنَ الْكِبَرِ، وَرَجُلٌ خَنَشَلِيٌّ أَي مَاضٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ:
رَجُلٌ خَنَشَلٌ وَخَنَشَلِيٌّ، وَهُوَ الْمَسْنُ الْقَوِيُّ، وَأَنشَدَ:

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةَ عَطْبُولُ أَنِّي بَنَصَلَ السِّيفِ خَنَشَلِيٌّ
أَي عَمُولٌ بِهِ، وَالْخَنَشَلُ: السَّرِيعُ الْمَاضِي وَكَذَا الْخَنَشَلِيٌّ، وَالْخَنَشَلِيٌّ أَيضاً: الْجَيِّدُ
الضَّرْبُ بِالسِّيفِ، يُقَالُ: إِنَّهُ لَخَنَشَلِيٌّ بِالسِّيفِ، وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ: [ديوانه ١٢٠]
قَدْ رَاعَنِي الدَّهْرُ فَبُؤَسَاءَ لَهْ بِفَارِسِ الْفُرْسَانِ وَالْخَنَشَلِيٌّ»

ا.هـ لسان [خنشل]. و«الفلأ»: المفاوز، واحدها فلأة، وواحد المفاوز مفازة، قال في التاج
[فوز]: «قال ابن الأعرابي: سُميت المفازة من فَوَزَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ، وَقِيلَ: مِنَ الْفَوْزِ، وَهُوَ
النَّجَاءُ مِنَ الْعَذَابِ وَالشَّرِّ، وَالظَّفَرُ بِالْخَيْرِ وَالْأُمْنِيَّةُ تَفَاوُلًا بِالسَّلَامَةِ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ،
حَقَّقَهُ ابْنُ فَارِسٍ فِي الْمَجْمَلِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ أَبُو حَيَّانٍ فِي «شرح التسهيل» حيث قال:
السَّلِيمُ: اللَّدِيغُ، مِنْ سَلَمْتِهِ الْحَيَّةُ إِذَا لَدَغَتْهُ، وَلَا تَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ

التفاؤل، فقد غلط في ذلك جماعة من العلماء كما غلطوا في قوهم: إن المفازة سُميت من الفوز على التفاؤل، وإنها سُميت من فاز الإنسان وفوزَ إذا مات وهلك، قال شيخنا: وما نفاه وجعله غلطاً رواه جماعة عن الأصمعيّ، قال: وصحّ أقوام ما ذهب إليه أبو حيّان، وأنشدوا:

أحبّ الفال حين رأى كثيراً أبوه عن اقتناء المجد عاجز
فسمّاه لقلّته كثيراً كتسمية المهالك بالمفاوز

قال: والمفازة: البرية، وكلُّ قفر مفازة، وقيل: هي التي لا ماء بها، وقال ابن الأعرابي أيضاً: سُميت الصحراء مفازةً لأن من خرج منها وقطعها فاز. ١. ه. تاج باختصار.

وفي اللسان: «الفلاة: المفازة، والفلاة: القفر من الأرض لأنها فُليت عن كل خير، أي فُطمت وعُزلت، وقيل: هي التي لا ماء فيها، فأقلّها للابل ربيع وأقلّها للحمر والغنم غب، وأكثرها ما بلغت ممّا لا ماء فيه، وقيل: هي الصحراء الواسعة، والجمع فلاّ وفلوات وفليّ وفليّ، قال حميد بن ثور: [ديوانه ٥٤]

وتأوي إلى زغبٍ مراضيعٍ دونها فلاّ لا تحطّاه الرقاب مهوب
(الزغب: الفراع، والزغب بالتحريك: ريشها، وقيل: هو أول ما يبدو من شعر الصبيّ والمهر، وريش الفرخ واحده زغبة، والمراضيع: ذوات الأولاد الرضع كالمطافيل لذوات الأطفال، وتحطّاه أي تتجاوزّه والمهوب: المخوف) [اللسان (زغب)].

قال: وقال ابن شميل: الفلاة: التي لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت مكلّنة (من أكلاّت الأرض إذا كثرت كالأها أي عشبها ١. ه. لسان) [كلاّ]، قال: ويقال: الفلاة المستوية التي ليس فيها شيء، وأفلّ القوم: صاروا إلى فلاة، قال الأزهرّي: وسمعتُ العرب تقول: نزل بنو فلان على ماء كذا وهم يفتنون الفلاة من ناحية كذا، أي يرعون كلاّ البلد ويردون الماء من تلك الجهة، وافتلاؤها: رعيها وطلب ما فيها من لمع الكلاّ كما يُفلى الرأس، قال: وجمع الفلاّ فليّ على فُعول، مثل عصا وعصيّ، وأنشد أبو زيد:

موصولة وضلاً بها الفليّ القبيّ ثم القبيّ ثم القبيّ

١. هـ لسان من مادة (ف ل ي). والقِيُّ بكسر القاف وشدّ الياء: القَفْرُ من الأَرْضِ، لا أحد فيها كالقَفْوَاءِ بالفتح والمدّ، كما في اللسان [قوا]. وفي التاج: «الْفَلَاة: القَفْرُ أو المَفَاة لا ماء فيها، أو التي أقلّها للإبل رِبْعٌ وللحُمُر والغنم غِبٌّ، أو الصحراء الواسعة، والجمع فَلَا كحَصَاة وحَصَى، ومنه قول حميد بن ثور:

وتَأْوِي إلى زُغْبٍ مَرَاضِيَعٍ دَوَمَهَا فَالاً لا تَخَطُّهُ الرِّقَابُ مَهُوبٌ
وقال أبو عليّ القائيّ: الفلَا يُكتب بالألف لأنه من الواو، وأنشد الفراء:

بَاتَتْ تَنْوُسُ الحَوْضِ نَوْشاً مِنْ عَلا نَوْشاً بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَازَ الفَلا
قال: وفلوات بالتحريك في أدنى العدد كحَصَاة وحَصَوَات، قال: ومنه قولهم: أترك الناس للصلوات أهل الفلوات، وفليّ كعتي على فُعُول، وأنشد أبو زيد كما تقدّم:

موصولة وصلّا بها الفليّ القِيّ ثم القِيّ ثم القِيّ

وفليّ بكسر الفاء واللام مع شدّ الياء، وجمع الفلَا أفلاء، وأفلى الرجل: صار إليها ودخلها» ١. هـ تاج [فلا].

وقولهم فيما تقدّم للإبل: رِبْعٌ وللحُمُر والغنم: غِبٌّ، قال في القاموس [ربع]: «رَبَعَت الإبل: وردت الرّبْع [بالكسر] بأن حُبِسَتْ عن الماء ثلاثة أيام أو أربعة أو ثلاث ليالٍ ووردت في اليوم الرابع»، وقال شارحُه المرتضى هنا: «والرّبْع: ظمٌّ من أظماء الإبل، قيل: هو أن تُحْبَسَ عن الماء أربعاً ثم تردّ الخامس، وقيل: هو أن تردّ يوماً وتدعّ يومين، ثم تردّ اليوم الرابع، وقيل: هو ثلاث ليالٍ وأربعة أيام» ثم قال: «وقد أشار لذلك المصنّف في سياق كلامه مع تأمّلٍ فيه» [ربع] ١. هـ.

والظاهر أنّه أشار بالتأمّل إلى أن قوله: «بأن حُبِسَتْ عن الماء ثلاثة أيام» ينبغي أن يكون يومين لأنه هو القول الثاني من الأقوال الثلاثة في كلام الشارح، فطبّق تُحَقِّقُ وتُصَدِّقُ.

والغَبُّ يُطْلَقُ عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ، مِنْهَا غَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ، كَمَعَبَتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ

خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: [مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٢/٣]

لِللَّهِ دَرٌّ رَافِعٌ أَنْتَى اهْتَدَى فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
خَمْسًا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بِكَى مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْسٌ يُرَى
غَبَّ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى وَتَنْجِي عَنْهُمْ غَيَاةَ الْكَرَى
وَيُرَى:

خَمْسًا إِذَا سَارَهَا الْجَيْشُ بِكَى

وَفِي مَعْجَمِ يَاقُوتَ «الْجَيْشِ» بَدَلَ الْجَيْشِ، وَلَعَلَّهَا رَوَايَتَانِ، إِذِ الْمَعْنَى عَلَى كُلِّ صَحِيحٍ،
وَعبارة ياقوت: «قُرَاقِرٌ: وَادٍ نَزَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عِنْدَ قَصْدِهِ الشَّامَ»، وَفِيهِ: قِيلَ: لِلَّهِ دَرٌّ رَافِعٌ
إِلْخَ». وَمَعْنَى فَوَزَّ: مَضَى فِي الْمَفَازَةِ وَجَابَهَا أَيِ قَطَعَهَا، وَفَوَزَّ بِإِبْلِهِ أَيِ رَكَبَ بِهَا الْمَفَازَةَ،
وَقُرَاقِرٌ وَسُوَى مَاءَانٍ لِكَلْبٍ، وَيُرَوَّى قَبْلَ قَوْلِهِ: «غَبَّ الصَّبَاحِ»:

«مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْسٌ يُرَى»، كَمَا فِي مَعْجَمِ يَاقُوتَ.

وَالْخَمْسُ بِالْكَسْرِ مِنْ أَظْهَاءِ الْإِبْلِ، وَهُوَ أَنْ تَرَدَّ الْإِبْلُ الْمَاءَ الْيَوْمَ الْخَامِسَ وَالْجَمْعُ
أَخْمَاسٌ كَمَا فِي اللِّسَانِ، وَضُبِطَ فِي بَعْضِ مَوَادِّ اللِّسَانِ خَمْسًا بِالْفَتْحِ [خمس]، وَهُوَ حَيْثُ نَزِدِ وَاقِعَ
مَوْقِعَ مَنْعُوتِهِ، وَمَنْعُوتُهُ اللَّيَالِي، أَيِ لَيَالِي خَمْسًا.

وَالْجَيْشُ ظَاهِرٌ، وَأَمَّا الْجَيْشُ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْبَاءِ الرَّدِيِّ الدَّنِيِّ اللَّثِيمِ الثَّقِيلِ الرُّوحِ
الْفَدْمِ الْجَبَانَ الَّذِي لَا يُجِيبُ إِلَى خَيْرٍ، وَالْجَمْعُ أَجْبَاسٌ وَجُبُوسٌ وَرَوَايَةُ «الْجَيْشِ» أَظْهَرُ.

وَالْغَيَاةُ قَالَتْ فِي اللِّسَانِ فِي فَصْلِ (غ ي ي): «عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: الْغَيَاةُ: كُلُّ شَيْءٍ أَظْلَمَ
الْإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالسَّحَابَةِ وَالْغَبْرَةِ وَالظَّلِّ، وَالْجَمْعُ غَيَاةَاتُ، وَأَمَّا الْغَيَابَةُ بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ
فَهِيَ الْهَبْطَةُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمِنْهُ غَيَابَةُ الْجُبِّ لِقَعْرِهِ، وَكَذَلِكَ غَيَابَةُ الْوَادِي وَنَحْوِهِ» كَمَا
فِي اللِّسَانِ.

فإذا أُنعمت النظر عرفت أن المراد في كلام خالد الغيايات بالمشناة التحتية. «ويقال: جئته غيب كذا أي بعده، والغيب: ورد يوم وظمء آخر، وقيل: هو ليوم وليلتين، وقيل: هو أن ترعى يوماً وترد من الغد، ومن كلامهم: لأضربنك غيب الحمار وظاهرة الفرس، فغيب الحمار أن يرعى يوماً ويشرب يوماً، وظاهرة الفرس أن تشرب كل يوم نصف النهار، وغبت الماشية تغب غباً وغبواً: شربت غباً، وأغبتها صاحبها، ومنه الغيب من الحمى وهو أن تأخذ يوماً وتدع آخر، وفي الحديث: «أغبوا في عيادة المريض وأزبعوا»، يقول: عد يوماً ودع يوماً أو دع يومين وعد الثالث، أي لا تعودوه في كل يوم لما يجده من ثقل العود، وغب الرجل إذا جاء زائراً يوماً بعد أيام، ومنه «زر غباً تردد حباً»، وقال الحسن: الغيب في الزيارة أن تكون في كل أسبوع» اهـ لسان [غيب]. وقوله:

باتت تنوش الحوض نوشاً من عالا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

قال في اللسان في مادة (ن و ش): «الناقة تنوش الحوض بفيها، قال غيلان ابن حريث:

فهي تنوش الحوض نوشاً من عالا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

الضمير في قوله: فهي للإبل، وتنوش الحوض: تتناول ملاًه، وقوله: من عالا أي من فوق، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات، والأجواز جمع جوز وهو الوسط، أي تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شرباً كثيراً، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر» اهـ لسان.

وفي التاج واللسان: «يقال: أتيت من علو بسكون اللام وضم الواو، ومن علو ومن

علو ومن عل بضم ومن علو بواو ساكنة بعدها، ومن علي بكسرها وياء ساكنة بعدها، قال

الجوهري: أتيت من عل الدار بكسر اللام، أي من عال، قال امرؤ القيس: [ديوانه ١٩]

مكر مفر مقبل مذب معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وأتيت من عالا، وشاهده قول أبي النجم أو غيلان بن حريث الربعي:

باتت تنوش الحوض نوشاً من عالا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وكذلك أتيت من عَلٍ بضم اللام» ا.هـ منها [علا]. ومعنى من عَلِ المكان، أي من فوقه، قال في اللسان [علا]: «رمى به من عَلِ الجبل أي من فوقه».

ومعنى «أَجْوَزَ الفَلا» الأَمَكَنَةُ التي تُحيط بها القفارُ من جميع جهاتها، وتُحَدِّقُ بها الصحارى من سائر نواحيها، لأنهم قالوا: أَجْوَزَ الفَلا: أوساطها، وجَوَزُ السماء وَسَطُها، والوَسَطُ: ما تساوت أطرافه، وقد يُراد به ما يُكْتَنَفُ من جوانبه ولو من غير تساوي، كما قيل: إن صلاة الظهر هي الوَسَطُ، ويقال: ضربت وَسَطَ رأسه لأنه اسم لما يكتنفه من جهاته غيره، ويكون فاعلاً وغيره، فيقال: اتسع وسطه، وضربت وسطه، وجلست في وسطه، ووسطه خيرٌ من طرفه.

وأما وَسَطٌ بالسكون فهو بمعنى بَيْنَ ووزنها، وهو لازم للظرفية، وفي اللسان [وسط]: «الوَسَطُ بالسكون يقال فيما كان متفرق الأجزاء غير متصل كالناس والدواب والسُّبْحَة والعقد، فإذا كان متصلها كالدار والرأس والراحة أي بطن الكف فهو بالفتح، وكل ما يصلح فيه «بين» فهو ساكن وما لا فهو مفتوح، وقيل: كلُّ منهما يقع موقع الآخر، قال: وكأنه الأشبه» ا.هـ لسان ببعض تصرف واختصار.

وفي التاج بعد كلام طويل في الفرق بينهما ما نصه: «وقديماً كنت أسمع شيوخنا يقولون في الفرق بينهما كلاماً شاملاً لما ذكروه، وهو الساكن متحرك والمتحرك ساكن، وما فصلناه مُدْرَجٌ تحت هذا الكامن» ا.هـ.

وهي نُكْتة لطيفة من أحسن ما يسطر بل ما يُحفظ ويُذكر، والمراد هنا الوَسَطُ بالتحريك الذي هو اسم لما يُحيطُ به غيره ويكتنفه من جميع جوانبه، فأجواز الفَلا: المواضع التي استدارت الفلوات عليها، وأطافت القفارُ بها وأحاطت المفاوزُ بها واكتنفتها من حوالها كما تحيط الدائرة بنقطة مركزها التي يدور عليها المحور، والله أعلم.

٤٨ - حُوصٍ كَأَشْبَاحِ الحَنَيا ضَمِّرٍ يَرِغُفْنَ بالأشباحِ مِنْ جَذْبِ البَرى

الْحَوْصُ جمعُ أَخَوْصٍ وَخَوْصَاءٍ، اسما فاعل من الْحَوْصَ مَحْرَكَةً، وهو في اللسان: «ضَيْقُ الْعَيْنِ وَصِغْرُهَا وَعُثُورُهَا، وقيل: أن تكون إحدى العينين أصغرَ من الأخرى، وقيل: ضَيْقٌ مَشَقُّهَا خَلْقَةً أَوْ دَاءً، وقيل: هو عُثُورُ الْعَيْنِ فِي الرَّأْسِ، وَالْفِعْلُ خَوْصَ يَخَوْصُ خَوْصًا كَفَرِحَ يَفْرِحُ فَرِحًا فَهُوَ أَخَوْصٌ وَهِيَ خَوْصَاءٌ، ومنه قولهم: رَكِيَّةٌ خَوْصَاءٌ غَائِرَةٌ، وَبَثْرٌ خَوْصَاءٌ أَي بَعِيدَةٌ الْقَعْرِ لَا يُرَوِي مَائِهَا الْمَالَ، وَأَنشَد:

وَمَنْهَلٍ أَخَوْصَ طَامٍ خَالٍ

وقال أبو منصور: كُلُّ مَا حُكِيَ فِي الْحَوْصِ صَحِيحٌ غَيْرَ ضَيْقِ الْعَيْنِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ ضَيْقَهَا جَعَلُوهُ الْحَوْصَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، فَقَالُوا: رَجُلٌ أَخَوْصٌ وَامْرَأَةٌ خَوْصَاءٌ إِذَا كَانَا ضَيْقِيَّيَ الْعَيْنِ، وَإِذَا أَرَادُوا عُثُورَ الْعَيْنِ فَهُوَ الْحَوْصُ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ فَوْقِ» ا.هـ لسان [خوص].

وفي التاج مثله، وفي الأساس ما نصّه: «عَيْنٌ خَوْصَاءٌ: صَغِيرَةٌ غَائِرَةٌ وَفِيهَا خَوْصٌ، وَإِبْلٌ خَوْصُ الْعِيُونِ» ا.هـ، وفي مادة (خوص) بالحاء المهملة منه ما نصّه: «خَوْصَتْ عَيْنُهُ: ضَاقَ مَوْخَرُهَا، كَأَنَّا حِيَصَ جَانِبٌ مِنْهَا، وَعَيْنٌ خَوْصَاءٌ، وَرَجُلٌ أَخَوْصٌ أَخَوْصٌ: ضَيْقُ الْعَيْنِ غَائِرُهَا كَعَيْنِ التَّرْكِيِّ الْمَجْهُودِ، وَمَنْ الْمَجَازُ بَثْرٌ خَوْصَاءٌ: ضَيْقَةٌ» ا.هـ من الأساس حرفياً.

وقوله: «مَوْخَرُ الْعَيْنِ» فِي اللِّسَانِ: «مَوْخَرٌ كُلُّ شَيْءٍ بِالتَّشْدِيدِ: خِلَافٌ مُقَدَّمُهُ، يُقَالُ: ضَرَبَ مُقَدَّمَ رَأْسِهِ وَمَوْخَرَهُ، وَآخِرَهُ الْعَيْنِ وَمَوْخَرُهَا وَمَوْخَرَتُهَا: مَا وَلِيَ اللَّحَاطِ، وَلَا يُقَالُ كَذَلِكَ إِلَّا فِي مَوْخَرِ الْعَيْنِ، وَمَوْخَرُ الْعَيْنِ عَلَى وَزْنِ مُؤْمِنٍ: الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ، وَمُقَدِّمُهَا: الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ، يُقَالُ: نَظَرَ إِلَيْهِ بِمَوْخَرِ عَيْنِهِ وَبِمُقَدِّمِ عَيْنِهِ، وَمَوْخَرُ الْعَيْنِ وَمُقَدِّمُهَا جَاءَ فِي الْعَيْنِ بِالتَّخْفِيفِ خَاصَةً» ا.هـ لسان [أخر].

وقوله: «اللَّحَاطُ» قَالَ فِي الْمُخْتَارِ: «اللَّحَاطُ بِالتَّحْتِ: مَوْخَرُ الْعَيْنِ، وَبِالتَّكْسِيرِ مُصَدَّرٌ لِاحْطَهَ أَي رَاعَاهُ» [لحظ].

وفي التاج: «اللَّحَاطُ كَسَحَابٍ: مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ، كَذَا فِي الصَّحَاحِ، قَالَ شَيْخُنَا: وَبَعْضُ الْمُتَشَدِّقِينَ يَكْسِرُهُ، وَهُوَ وَهْمٌ كَمَا أَوْضَحْتُهُ فِي «شَرْحِ نَظْمِ الْفَصِيحِ»، قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي خَطَأَهُ قَدْ وَجَدَ بِخَطِّ الْأَزْهَرِيِّ فِي التَّهْذِيبِ، الْمَاقُ وَالْمُوقُ: طَرَفُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ، وَاللَّحَاطُ: مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصُّدْغَ بِكَسْرِ اللَّامِ، وَلَكِنْ ابْنُ بَرِي صَرَّحَ بِأَنَّ الْمُشْهُورَ فِي لِحَاطِ الْكَسْرِ لَا غَيْرُ». ١. ه تاج بالحرف.

وفي اللسان كذلك وزيادة: «قال الأزهرِيُّ: الماق والموق: طرف العين الذي يلي الأنف، واللحاط: مؤخر العين مما يلي الصدغ، والجمع حُطْط، والملاحظة أن ينظر الرجل بلحاط عينه إلى الشيء سزراً وهو شقُّ العين الذي يلي الصدغ، وقال أيضاً: واللحاط بالفتح: مؤخر العين، وبالكسر مصدر لاحظته إذا راعيته، وقال: والملاحظة: مفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشقِّ العين الذي يلي الصدغ، وأمّا ما يلي الأنف فلماق والموق، قال ابن بري: المشهور في لحاظ العين الكسر لا غير، وهو مؤخرها مما يلي الصدغ» ١. ه لسان [لحظ].
والصدغ: ما بين العين والأذن، وفي المصباح: «الصدغ ما بين لحاظ العين إلى أصل الأذن، والجمع أصداغ، كقفل وأقفال، ويسمى الشعر الذي يتدلَّى على هذا الموضع صدغاً» ١. ه. فالخوُّص بالخاء: الصغيرات العيون الغائرات كما تقدّم عن الأساس، وهي خلاصة ما تقدّم.

«كأشباه الحنأيا»، الحنأيا، القياس من حناه يحنوه حنواً، عطفه، كحناه يحنيه حنياً من بابي عدا ورمى، كما في المختار، وحناية بالكسر كما في القاموس [حنا]، «والجمع حنيي وحنأيا وقد حنوتها أحنوها حنواً» [أي صنعتها]، وقال أيضاً: «وفي حديث عمر «لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنأيا» هي جمع حنيّة أو حنيي، وهما القوس، فعيل بمعنى مفعول، لأنها حنيّة، أي معطوفة، ومنه حديث عائشة «فحنت لها قوسها» أي وترت، لأنها إذا وترتها عطفتها، ويجوز أن يكون «فحنت لها قوسها» بالتشديد أي صوتت»، ١. ه لسان

[حنا]. في التاج: «حَنَا يَدُهُ: لَوَاهَا، وَالْحَنِيَّةُ كَغَنِيَّةِ: القوس، والجمع حَنِيٌّ كَغَنِيٍّ وَحَنَايَا، وفي التهذيب: «الْحَنِيَّةُ: القوس، وجمعها حَنَايَا» ثُمَّ ذَكَرَ مَا مَرَّ عَنِ اللِّسَانِ بَاخْتِصَارٍ، وَنُصِّهَ: «وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ: «لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا، جَمَعَ حَنِيَّةً أَوْ حَنِيٍّ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، لِأَنَّهَا مَحْنِيَّةٌ، أَي مَعْطُوفَةٌ».

وقولهما: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ يُشْعِرُ بِأَنَّ الحَنِيَّ مفرد، فَإِنْ صَحَّ فَالْحَنَايَا جَمْعٌ أَوَّلٌ، وَإِلَّا فَهِيَ جَمْعُ الجَمْعِ عَلَى أَحَدِ القَوْلِينَ كَمَا لَا يَحْفَى.

«وَتَرَّتْ»، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «الْوَتْرُ: شِرْعَةُ القَوْسِ وَمَعْلَقُهَا، وَالجَمْعُ أوتار (في القاموس: «الشَّرْعَةُ بالكسر: الوتر ويفتح)، وَأَوْتَرُ القَوْسَ: جَعَلَ لَهَا وَتْرًا، وَوَتَّرَهَا وَوَتَّرَهَا: شَدَّ وَتَرَهَا، وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: وَتَّرَهَا وَأَوْتَرَهَا: شَدَّ وَتَرَهَا، وَفِي المِثْلِ: «إِنْبَاضٌ بغير توتير»، قَالَ ابن سَيِّدِهِ: وَمِنْ أَمْثَلِهِمْ «لَا تَعْجَلْ بِالإِنْبَاضِ قَبْلَ التُّوتِيرِ»، وَيُضْرَبُ فِي اسْتِعْجَالِ الأَمْرِ قَبْلَ بُلُوغِ إِينَاهُ (في المِخْتَارِ: «أَنَّى يَأْنِي إِنيَّ بِالكسر: حان، وَأَنَّى أَيضًا: أَدْرَكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٥٣]»، قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَتَرَهَا خَفِيفَةً: عَلَّقَ عَلَيْهَا وَتَرَهَا» ا.هـ لسان [وتر].

وفي المِخْتَارِ: «أَوْتَرُ القَوْسَ وَوَتَّرَهَا تَوْتِيرًا بِمَعْنَى»، وَفِي المِصْبَاحِ: «أَوْتَرَهَا بِالألف: شَدَّ وَتَرَهَا»، وَلَمْ يَذْكَرْ «وَتَّرَهَا» بِالتَّشْدِيدِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ المِثْبَاقَ مُقَدَّمٌ عَلَى النَافِي، وَقَدْ مَرَّ مِنْ أَثْبَتَ. وَالإِنْبَاضُ أَنْ تَجْدَبَ الوترَ ثُمَّ تُرْسَلَهُ لِيَرْنَ أَي يَصَوَّتْ، وَقَالَ فِي اللِّسَانِ: «أَنْبَضَ القَوْسَ كَأَنْبَضَها: جَدَبَ وَتَرَهَا لَتُصَوَّتْ، وَنَبَضَ المَاءُ: سَالَ، مِثْلُ نَضَبَ» قَالَ: «وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَنْبَضَ فِي قَوْسِهِ وَنَبَضَ أَصَاتَهَا، وَأَنْشَدَ:

لِئِنْ نَصَبْتَ لِي الرَّوْقَيْنِ مُعْتَرِضًا لَأُزْمِنَنَّكَ رَمِيًّا غَيْرَ تَنْبِضِ
أَي لَا يَكُونُ نَزْعِي [أَي جَذْبِي لِقَوْسِي] تَنْبِضًا وَتَنْقِيرًا، يَعْنِي لَا يَكُونُ تَوْعُدًا بَلْ إِيقَاعًا» ا.هـ لسان [نبض].

والرَّوْقَان: القَرْنَان، وَمِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ لِقَوْلِهِمْ: وَتَرَّهَا الْمَشْدَدَةُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا الْقَوْسُ وَتَرَّهَا أَيَّدُ رَمَى فَأَصَابَ الْكُلَى وَالذَّرَا

ومعناه على ما في اللسان في مادة (أ ي د): «إِذَا اللَّهُ تَعَالَى وَتَرَّ الْقَوْسَ الَّتِي فِي السَّحَابِ رَمَى كُلِّي الْإِبِلِ وَأَسْنِمَتَهَا بِالشَّحْمِ، يَعْنِي مِنَ النَّبَاتِ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْمَطَرِ، وَالْأَيَّدُ بِالتَّشْدِيدِ: الْقَوِيُّ»، هذه عبارة اللسان فيه.

وقوله: «التي في السحاب» يريد قوس الله، قال في اللسان أيضاً في مادة (ق ز ح): «قوس قُزَح: طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع، زاد الأزهرِيُّ: غَبَّ الْمَطَرُ، بِحُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وَخُضْرَةٍ، وَهُوَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ، وَلَا يُفْصَلُ قُزَحٌ مِنْ قَوْسٍ، لَا يُقَالُ: تَأْمَلُ قُزَحًا فَمَا أَبْيَنَ قَوْسَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «لَا تَقُولُوا: قَوْسٌ قُزَحٌ، فَإِنَّ قُزَحَ اسْمُ شَيْطَانٍ، وَقُولُوا: قَوْسُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، قِيلَ: سُمِّيَ بِهِ لِتَسْوِيلِهِ لِلنَّاسِ وَتَحْسِينِهِ إِلَيْهِمُ الْمَعَاصِي مِنْ التَّقْزِيحِ وَهُوَ التَّحْسِينُ، وَقِيلَ: مِنَ الْقُزْحِ، وَهِيَ الطَّرَائِقُ وَالْأَلْوَانُ الَّتِي فِي الْقَوْسِ، الْوَاحِدَةُ قُزْحَةٌ، أَوْ مِنْ قَزَحَ الشَّيْءُ إِذَا ارْتَفَعَ، كَأَنَّهُ كَرِهَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُقَالَ: قَوْسُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُرْفَعُ قَدْرُهَا كَمَا يُقَالُ: بَيْتُ اللَّهِ، وَقَالُوا: قَوْسُ اللَّهِ أَمَانٌ مِنَ الْعَرَقِ، وَالْقُزْحَةُ: الطَّرِيقَةُ الَّتِي فِي تِلْكَ الْقَوْسِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْقُسْطَانُ: قَوْسٌ قُزَحٌ، وَسُئِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ صَرْفِ قُزَحٍ فَقَالَ: مَنْ جَعَلَهُ اسْمَ شَيْطَانٍ أَلْحَقَهُ بَزُحَلٌ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: لَا يَنْصَرَفُ زُحَلٌ لِأَنَّ فِيهِ الْعَلَّتَيْنِ الْمَعْرِفَةَ وَالْعَدْلَ، قَالَ ثَعْلَبُ: وَيُقَالُ: إِنْ قُزْحًا جَمَعَ قُزْحَةٌ، وَهِيَ خَطُوطٌ مِنْ صُفْرَةٍ وَحُمْرَةٍ وَخُضْرَةٍ، فَإِذَا كَانَ هَذَا أَلْحَقَتْهُ بَزَيْدٌ، قَالَ: وَيُقَالُ: قُزْحٌ: اسْمُ مَلِكٍ مَوَكَّلٍ بِهِ، قَالَ: فَإِذَا كَانَ هَكَذَا أَلْحَقَتْهُ بِعُمَرَ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَعُمَرُ لَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَيَنْصَرَفُ فِي النُّكْرَةِ، وَقَوَازِحُ الْمَاءِ: نُفَاحَاتُهُ الَّتِي تَنْتَفِخُ فَتَذْهَبُ» اهـ لسان.

وقوله: القُسطان، قال في مادة (ق س ط ن) في اللسان: «القُسطانيَّة: نُذاة قوس قُزَح، أي عَوْجُه، وأنشد:

وَنُؤِي كُفُسطانيَّةِ الدَّجِنِ مُلبِدِ

(النُّؤي: الحفير حول الحِباء أو الخيمة يدفع عنها السيلَ يَمِيناً وشمالاً ويُبَعده، والدَّجِن: ظلُّ الغيم في اليوم المطير، وقال ابن سيده: الدَّجِن: إلباس الغيم الأرض، وقيل: إلباسه أقطار السماء، ويومٌ دَجِنٌ: ذو مطر ويومٌ دَعْنٌ: ذو غيم بلا مطر، والدَّجِن: المطر الكثير، والمُلبِد: اسم فاعل من أَلْبَدَ إِذَا لَصِقَ بالأرض، كَلَبَدَ يَلْبُدُ كَنَصَرَ لُبُوداً، وَلَبَدَ يَلْبُدُ لَبَدًا كَفَرِحَ)، قال: وقال ابن الأعرابي: القُسطالة: قوس قُزَح، وهي القُسطانة، وقال أبو عمرو: القُسطان والكُسطان بفتحها: الغبار، وأنشد:

يُثِيرُ قُسطانَ غبارِ ذِي وَهَجٍ.

اه. لسان [قسط]. يُثير أي يُهبج، والوهج: حرارة الشمس والنار من بعيد كالوهج بالسكون، والوهج أيضاً: تالؤ الشيء وتوقده، وتوهج الجوهر: تالؤاً، ونجمٌ وهَّجٌ وقَّادٌ، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ٧٨/١٣]، قيل: يعني الشمس، ووهج الطيب ووهجه: انتشاره وأرجه، وتوهجت رائحة الطيب: توقدت والتوهج أيضاً: حرارة الشمس والنار من بعيد، والوهج بالتسكين مصدر وهجت النار تهج إذا اضطربت، وتوقدت، كما في اللسان [وهج].

ولنرجع إلى الحنأيا، قال في الأساس: «خرَجوا بالحنأيا يبتغون الرمايا، قال: وهي القسي، الواحدة حنيَّة» ومن سجعاته: «في أيديهم الحنيُّ المعطفُ واللذنُ المثقفُ» [حني]، وهذا يشهد بأن الحنيُّ مفرد، واللذنُ بالفتح: الرمح، والجمع بالضمِّ، وأصله اللين من كلِّ شيء من عود أو حبل أو خلق، والأنثى لدنة، والجمع لدان كسهام، ولذن بضم فسكون، والفعل منه لدن لدونة ولدانة، أي لان، ولدنه: لينه كذا في اللسان، وفيه: «وقناة لدنة: لينة المهزة، وامرأة لدنة: رياء الشباب ناعمة، وكلُّ رطبٍ مأدٍ لدنٌ» انتهى [لدن].

وفيه [مأد]: «المأد من النبات: اللين الناعم، قال الأصمعيّ: قيل لبعض العرب أصب لنا موضعاً، فقال رائدهم: وجدت مكاناً تُأد مأداً، قال: ومأد الشباب: نَعْمَتُهُ، ومأد العود يُمَادُ مأداً إذا امتلأ من الرّي في أول ما يجري الماء في العود، فلا يزال مائداً ما كان رطباً، والمأد من النبات: ما قد ارتوى، يقال: نبات مأدٌ وعُصن مأدٌ: ناعمٌ يهترٌ ويتثنى لطراءته ولينه»، والثاد أيضاً: النبات الناعم، قال في التاج: «الثاد محرّكة: الشرى والندى، ومكان تُتد ككتيف: ند، قال الأصمعيّ: قيل لبعض العرب أصب لنا موضعاً، أي اطلب، قال رائدهم: وجدت مكاناً تُتد مأداً منداً، وقال زيد بن كثوة: بعثوا رائداً فجاء، وقال: عشبٌ تُاد مأد، كأنه أسوق نساء بني سعد»
 ا. هـ من التاج [تأد]، ومثله في اللسان.

وقوله [قسطن]: «ندأة القوس» فيه [ندأ] «الندأة، والندأة: الكثرة من المال كالندهة والندهة والندأة والندأة: دارة القمر والشمس، وقيل: هما قوس قزح»، ثم ذكر لها عدّة معانٍ، فراجعهُ إن شئت، وقال المرتضى في التاج: «الندأة والندأة هما قوس الله، ونهى أن يقال: قوس قزح» ا. هـ منه [ندأ].

وفيه: «القسطان والقسطاني والقسطانية بضمهم: قوس الله، ويقال أيضاً: قوس المزن، وهي خيوط تُحيط بالقمر، وهي من علامة المطر» [قسطن].

وفيه: «القسطل والقسطال والقسطلاني بفتحهنّ والقسطول كزنبور: الغبار الساطع، القسطل بالصاد لغة فيه، قال: وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثي رجلاً: [ديوانه ١٠٨]

ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا والخيل خارجة من القسطال
 وقال آخر: كأنه قسطال ریح ذي رهج

وفي خبر وقعة نهاوند لما التقى المسلمون والفُرس «غشيتهم قسطلانية»، أي كثرة الغبار (وقوله: المستضيف هو المستغيث، ويقال: استضاف من فلان إلى فلان: إذا لجأ إليه، كذا في التاج) [ضيف].

و«الأشباح» الأجسام، وفي الأساس: «لاح لي شبح أي شخص، وهم أشباح بلا أرواح، وأدق من شبح باطل، وهو الهباء، وقيل: الأسماء ضربان، أسماء الأشباح، وهي التي أدركتها الرؤية والحس، وأسماء الأعمال، وهي التي لا تدركها الرؤية ولا الحس، وهو كقولهم: أسماء الأعيان وأسماء المعاني» اهـ أساس [شبح].

وفي المصباح: «الشَّيْح: الشخص، والجمعُ أشباح، كسَبَب وأسباب»، وفيه: «الشخص: سواد الإنسان تراه من بعد، ثم استعمل في ذاته، قال الخطابي^(١): «ولا يسمى شخصاً إلا جسم مؤلف له شخص وارتفاع، وشخص يشخص بفتحين شخوصاً: ارتفع»، وفيه: «كلُّ شخص من إنسان أو غيره يُسمى سواداً، والجمع أسود، كجناح وأجنحة، والسواد: العدد الكثير، والشاة تمشي في سواد وتأكل في سواد وتنظر في سواد، يُراد بذلك سواد قوائمها وفيها وما حول عينيها، والعربُ تُسمي الأخضر أسوداً لأنه يرى كذلك على بعد، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه، والسواد لونٌ معروف» اهـ من المصباح [سود].

والمراد بسواد الشخص الأول كما هو واضح جلياً.

وفي اللسان: «الشَّيْح: ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق، يقال: شبح لنا أي مثل، وأنشد:

رَمَقْتُ بعيني كلَّ شبحٍ وحائلٍ

ثم قال: «الشَّيْح والشَّيْح: الشخص، والجمعُ أشباح وشبوح، وقال في التصريف: الأسماء ضربان: أسماء الأشباح، وهي التي أدركتها الرؤية والحس، وأسماء الأعمال، وهي التي لا تدركها الرؤية والحس، وهو كقولهم: أسماء الأعيان وأسماء المعاني» [شبح] كما تقدّم عن الأساس، ومثله في التاج.

(١) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، توفي سنة ٣٨٨ أو ٣٨٦ هـ.

وفي التاج: «وَشَبَحَ لَكَ الشَّيْءُ كَمَنْعَ: بَدَأَ، وَالشَّبَحَ: مَا بَدَأَ لَكَ شَخْصُهُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَشَبَحَ فُلَانٌ لَنَا كَمَنْعَ: مَثَلٌ» ا.هـ. وفي المصباح: «مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُثُولًا: أَنْتَصَبَ قَائِمًا» [مثل] ا.هـ.

وقوله أنفأ: (رَمَمْتُ بَعَيْنِي كُلَّ شَبْحٍ وَحَائِلٍ) «رَمَمَهُ يَرْمُقُهُ رَمَقًا: نَظَرَ إِلَيْهِ كِرَامَقَهُ وَرَمَمَهُ بَبَصَرِهِ: اتَّبَعَهُ إِيَّاهُ يَتَعَهَّدُهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَرْقُبُهُ كِرَامَقَهُ أَيْضًا» كَذَا فِي اللِّسَانِ [رمق]، وَفِي المِصْبَاحِ: «رَمَمَهُ يَرْمُقُهُ رَمَقًا مِنَ البَابِ الأوَّلِ: أَطَالَ النِّظَرَ إِلَيْهِ».

وقوله: «كَلَّ شَبْحٍ» فَقَدْ فَسَّرَ الشَّبْحَ فِيهَا مَرًّا، وَلَأَجْلَهُ ذَكَرَ الشُّطْرَ، وَالحَائِلَ لَمْ أَرَّ مَنْ فَسَّرَ المِرَادَ مِنْهُ فِي هَذَا البَيْتِ، وَلَعَلَّهُ بِمَعْنَى الحَاجِزِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مِنْ حَجَزٍ بَيْنَهُمَا أَيْ فَصَلٍ وَمَنْعٍ الِاتِّصَالِ كَمَا هُوَ حَالٌ مَنْ اعْتَرَضَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَحَالٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَهُوَ العَلِيُّ العَلِيمُ.

«ضُمَّرَ»، الضُّمَّرُ جَمْعُ ضَامِرٍ، قَالَ فِي المِخْتَارِ: «الضُّمَّرُ بِسُكُونِ المِيمِ وَضُمَّهَا: الهُزَالُ وَخَفَّةُ اللِّحْمِ، وَقَدْ ضَمَرَ الفَرَسُ مِنْ بَابِ دَخَلَ، وَضُمِرَ أَيْضًا بِالضُّمِّ ضُمْرًا كَقُفْلٍ فَهُوَ ضَامِرٌ فِيهِمَا، وَأَضْمَرَهُ صَاحِبُهُ وَضَمَّرَهُ تَضْمِيرًا فَاضْطَمَرَ هُوَ، وَنَاقَةُ ضَامِرٍ وَضَامِرَةٌ، وَتَضْمِيرُ الفَرَسِ: أَنْ تَعْلِفَهُ حَتَّى يَسْمَنَ، ثُمَّ تَرُدَّهُ إِلَى القُوَّةِ، وَذَلِكَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهَذِهِ المُدَّةُ تُسَمَّى المِضْمَارَ، وَالمَوْضِعُ الَّذِي تُضْمَرُ فِيهِ الخَيْلُ مِضْمَارٌ» ا.هـ. مِخْتَارِ [ضمير].

وَفِي المِصْبَاحِ: «ضَمَرَ الفَرَسُ ضُمُورًا كَقَعْدٍ، وَضُمِرَ ضُمْرًا كَقُرْبٍ قُرْبًا: دَقٌّ وَقَلَّ لِحْمُهُ، وَضَمَّرْتُهُ وَأَضْمَرْتُهُ: أَعَدَدْتُهُ لِلسَّبَاقِ، وَهُوَ أَنْ تَعْلِفَهُ قُوْتًا بَعْدَ السَّمَنِ، فَهُوَ ضَامِرٌ، وَخَيْلٌ ضَامِرَةٌ وَضَوَامِرٌ، وَالمِضْمَارُ: المَوْضِعُ الَّذِي تُضْمَرُ فِيهِ الخَيْلُ» ا.هـ.

«وَمِنَ المِجَازِ: الغِنَاءُ مِضْمَارُ الشُّعْرِ، قَالَ:

تَغَنَّ بِالشُّعْرِ إِمَّا كُنْتَ ذَا بَصَرٍ إِنَّ الغِنَاءَ لِهَذَا الشُّعْرِ مِضْمَارٌ»

كَذَا فِي الأَسَاسِ [ضمير]. وَفِي اللِّسَانِ: «الضُّمَّرُ وَالمِضْمَارُ كَالعُسْرِ وَالعُسْرُ: الهُزَالُ وَالحَاقُ البَطْنِ، قَالَ المَرَّارُ الحَنْظَلِيُّ يَصِفُ فَرَسًا:

قد بلّوناهُ على عِلاته وعلى التيسورِ منه والضّمُرُ
ذو مِراحٍ فإذا وقَّرتَه فذلولٌ حسنُ الخلقِ يسرُ

التيسور: السمن، وذو مِراح، أي ذو نشاط، وذلول: ليس بصعب «ويسر: سهل،
ودابة حسنة التيسور أي حسنة نقل القوائم، ويسر الفرس: صنعه، أي أحسن القيام عليه
والخدمة له، وفرس حسن التيسور أي حسن السمن، وهو اسم «كالتعضوض لتمر لذيذ
شهوي شديد الحلاوة، ومعدنه بهجر وقراها» قال أبو الدقيش: يسر فلان فرسه فهو ميسور،
أي مصنوع سمين، وقد ضمّر الفرس بالفتح وضمّر بالضم واضطمر، قال أبو
ذؤيب: [أشعار الهدلين ٢٠٢]

بعيد الغزاة فما إن يزا ل مضطمرًا طرتاه طليحا

وفي الحديث: «إذا أبصر أحدكم امرأة فليات أهله، فإن ذلك يُضمّر ما في نفسه»
[مسلم: ٣٣٩٣] أي يضعفه ويُقلله، من الضمور، وهو الهزال والضعف، وجمل ضامر وناق
ضامر بغير هاء أيضاً على النسب [أي ذات ضمور]، والضمر من الرجال بالفتح: الضامر
البطن، وفي التهذيب: المهضم: (في اللسان: «رجل أهضم الكشحين أي منضمّهما،
والهضم: خمض البطون ولطف الكشح، رجل أهضم وامرأة هضاء وهضم، وكذلك
بطن هضم ومهزوم وأهضم، قال طرفة: [ديوانه ٩٩]

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحاً إذا قام أهضما

والهضم: اللطيف [هضم]، ولم أجد مهضم كمعظم بالتشديد فليحرر (البطن،
اللطيف الجسم، والأنثى ضمرة، وفرس ضمّر: دقيق الحجاجين (والحجاج: عظم ينبت
عليه الحاجب، وهو بالفتح والكسر، كسحاب وكتاب، والجمع أحجّة، وفي الحديث:
«كانت الضبُع وأولادها في حجاج عين رجل من العماليق»، قال: الحجاج بالكسر والفتح:
العظم المستدير حول العين. ١. هـ) [حجج].

وقضيب ضامر: إذا ذهب مأؤه، وكذلك مُنْضَمِر، وقد انْضَمَرَ، والضمير: العنبُ الذابل، يقال: أطمعونا من ضميركم، وقال الصَّاعَانِيُّ: هو ما ضَمُرَ من العنب، فليس عنباً ولا زيبياً.

وقوله: «بعيد الغزاة» إلخ البيت، قال في اللسان في مادة (طرر): «وقول أبي ذؤيب:

بَعِيدَ الْغَزَاةِ فَمَا إِنَّ يَزَا لُ مُضْطَمِرًا طَرَّتَاهُ طَلِيحًا

فإن ابن جني ذهب بالطَّرتينِ إلى الشَّعر، قال ابن سيده: وهذا خطأ لأنَّ الشَّعر لا يكون مضطرباً، وإنما عنى ضَمَرَ كَشَحِيه، يمدح بذلك عبد الله بن الزُّبير، قال ابن جني: «ويجوز أيضاً أن تكون طرَّته بدلاً من الضمير في مُضْطَمِرًا، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَتَابٍ ٤٩ ﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿﴾ [ص: ٤٩/٣٨-٥٠]، إذا جعلت في «مفتحة» ضميراً وجعلت الأبواب بدلاً من ذلك الضمير، ولم تكن «مفتحة لهم الأبواب» منها على أن تُخْلِي مفتحة من ضمير، ثم قال: وطَّرر الوادي: نواحيه، وكذلك أطرارُ البلاد والطريق، واحدها طَّرٌّ، وفي التهذيب: الواحدة طُرة، وطُرة كلُّ شيء: ناحيته وطُرة النهر والوادي: شفيره، وأطرار البلاد: أطرافها، والطَّرُّ مصدر طَرَّه يطُرُّه أي شَقَّه وقصَّه وقطَّعه فهو طارٌّ وطَّرار، ومنه الطُّرة من الشَّعر لأنها مقطوعة من جملته، قال الجوهرِيُّ: والطُّرتان من الحمار: خَطَّان سَوْدَاوان على كتفيه» اهـ لسان [طرر].

والطَّلِيح: المُعَيى المهزول، قال في اللسان: «طَلَحَ (أي كمنَعَ كما في التاج) طَلْحًا: أضمَّره الكلال والإعياء، ويقال: سار على الناقة حتى طَلَحَهَا وطلَّحَهَا، وإنه لَطَلِيح سفرٍ وطلَّحُه ورَجِيْعُه ورَدِيْتُه بمعنى واحد، ومن كلام العرب: ركبُ الناقة طَلِيحان، أي والناقة، لكن حُذِف المعطوفُ لأمرين:

أحدهما: تقدُّم ذكر الناقة، والشيء إذا تقدَّم دَلَّ على مثله، ومثله من حذف المعطوف

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فقلنا اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ ﴾ [البقرة: ٦٠/٢]، أي

فَضْرَبَ فَاَنْفَجَرْتُ، فَحَذَفَ «فَضْرَبَ»، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «فَقَلْنَا»، وَكَذَلِكَ قَوْلُ
التَّغْلِبِيِّ: [ديوان عمرو بن كلثوم ٧٥]

إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

أَيُّ فِشْرُنَاهَا سَخِينَا، فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا كَانَ التَّقْدِيرُ عَلَى حَذْفِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، أَيُّ النَّاقَةِ
وَرَاكِبُ النَّاقَةِ طَلِيحَانٌ، قِيلَ: يَبْعُدُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْحَذْفَ اتِّسَاعٌ، وَالِاتِّسَاعُ بِأَبْهِ آخِرُ الْكَلَامِ وَأَوْسَطُهُ لَا صَدْرُهُ وَأَوَّلُهُ، أَلَا
تَرَى أَنَّ مَنْ اتَّسَعَ بِزِيَادَةِ كَانَ حَشْوًا أَوْ آخِرًا لَا يَجِيزُ زِيَادَتَهَا أَوْلًا.

وَالْآخَرُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَقْدِيرُهُ «النَّاقَةُ وَرَاكِبُ النَّاقَةِ طَلِيحَانٌ» لَكَانَ قَدْ حَذَفَ حَرْفَ
العَطْفِ وَبَقِيَ الْمَعْطُوفَ بِهِ، وَهَذَا شَاذٌّ، إِنَّمَا حَكَى مِنْهُ أَبُو عِثْمَانَ «أَكَلْتُ خَبْزًا سَمَكًا تَمْرًا»
وَالْآخَرُ: أَنَّ يَكُونُ الْكَلَامُ مَحْمُولًا عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ، أَيُّ رَاكِبُ النَّاقَةِ أَحَدُ طَلِيحَيْنِ،
فَحُذِفَ الْمِضَافُ وَأُقِيمَ الْمِضَافُ إِلَيْهِ مُقَامَهُ^١ «ه. لسان [طلح]»، وَمِثْلُهُ فِي التَّاجِ.

وَفِي الْمِصْبَاحِ: «بَعِيرٌ طَلِيحٌ: مَهْزُولٌ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ، يُقَالُ: طَلَحَهُ يَطْلُحُهُ
بِفَتْحَتَيْنِ: هَزَلَهُ»، وَفِيهِ «هَزَلَ الدَّابَّةَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ هَزْلًا بِالضَّمِّ كَقَفْلٍ: أَضْعَفَهَا بِإِسَاءَةِ
الْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَالِاسْمُ الْهَزَالُ، وَهَزِلْتُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ فَهِيَ مَهْزُولَةٌ، فَإِنْ ضَعُفَتْ مِنْ غَيْرِ
فَعِلَ الْمَالِكُ قِيلَ: أَهْزَلَ الرَّجُلُ بِالْأَلْفِ، أَيُّ وَقَعَ فِي مَالِهِ الْهَزَالُ» [هزل] هـ.

وَالْآيَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي اللِّسَانِ فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي سُورَةِ ص، وَتُسَمَّى سُورَةُ دَاوُدَ قَالَ فِي
الْجَلَالِينِ: «هَذَا ذِكْرٌ لَهُمُ بِالْثَنَاءِ الْجَمِيلِ هُنَا، وَإِنَّ لِلْمَتَّقِينَ الشَّامِلِينَ لَهُمْ، لِحُسْنِ مَأَبٍ: مَرْجِعٌ
فِي الْآخِرَةِ، جَنَّاتٍ عَدْنٍ: بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ، لِحُسْنِ مَأَبٍ، مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ مِنْهَا،
مَتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
حَابِسَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَرْوَاجِهِنَّ، أَتْرَابٌ: أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ، وَهِنَّ بَنَاتُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً».
وَفِي الصَّوَابِيِّ عَلَيْهِ: «قَوْلُهُ: مُفْتَحَةٌ حَالٌ مِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَا فِي الْمُتَّقِينَ مِنْ
مَعْنَى الْفِعْلِ، وَالْأَبْوَابُ مَرْفُوعَةٌ بِاسْمِ الْمَفْعُولِ، وَأَلْ عَوْضٌ عَنِ الضَّمِيرِ» ه. صَاوِي عَلَى الْجَلَالِينِ.

ولنرجع إلى تميم التضمير عن اللسان، قال: «وَضَمَّرْتُ الخَيْلَ: علفْتُها القُوتَ بعد السَّمْنِ، والمُضْمَارُ: الموضع الذي تُضَمَّرُ فيه الخَيْلُ، وتضميرُها أن تُعلَفَ قُوتاً بعد سِمْنِها، قال أبو منصور: ويكون المُضْمَارُ وقتاً للأيام التي تُضَمَّرُ فيها الخَيْلُ للسِّبَاقِ أو للركُضِ إلى العَدُوِّ، وتضميرُها أن تُشدَّ عليها سُروجُها وتُجَلَّلَ بالأَجَلَّةِ (وهي جمع جِلال، وجِلال جمعُ جُلِّ بالضمِّ وبالفتح كما في القاموس، ويجمعُ أيضاً على أَجْلال، وهو ما تلبسه الدابة لِتُصانَ به، كذا في القاموس [جلل]، وفي المصباح: هو لها كالثوب للإنسان يقيه البرد، وقد جَلَلْتُ الفرسَ تجليلاً وجَلَلْتُها بالتخفيف، فهي مجللة ومجلولة) [جلل] حتى تَعْرَقَ تحتها فيذهبَ رَهْلُها (رَهْلٌ لحمُه بالكسر رَهْلاً: اضطرب واسترخى أو انتفخ أو ورم من غير داء، ولكنه رَخاوة إلى السَّمْنِ) ويشتدَّ لحمُها ويُحمَلُ عليها غلمانٌ خِفَافٌ يُجْرُونها ولا يُعْنَفُونَ بها (كذا فيه بالتشديد، والصواب يُعْنَفُونَ بالتخفيف، قال الزبيدي في التاج: «والعنف مثلثة العين، واقتصر الجوهريُّ والصاغانيُّ والجماعة على الضمِّ: الخُرْقُ بالآخر وقلةُ الرِّفقِ به، وهو ضدُّ الرِّفقِ، عُنْفٌ به وعليه ككُرْمٍ يَعْنُفُ عُنْفاً وَعِنْفَةً، وأَعْنَفَهُ وَعِنْفَهُ تعنيفاً: عيَّره ولامه وويَّخه بالتقريع، والعنيف اسم فاعل من عُنْفَ: الذي لا يكون رقيقاً في أمره، والعنيف: الذي لا رِفْقَ له بركوب الخيل ولا يُحسِنُه، وقيل: الذي لا عهدَ له به، والجمعُ عُنْفٌ، قال:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدما هَرَموا فهم ثَقَالٌ على أَكْتافِها عُنْفٌ
واعْتَنَفَ الأمرُ: أَحَدَهُ بعُنْفٍ، وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ تعالى يُعْطِي على الرِّفقِ ما لا يُعْطِي على العُنْفِ»، هو بالضمِّ الشُّدَّةُ والمشقَّةُ، وكلُّ ما في الرِّفقِ من الخير ففي العُنْفِ من الشرِّ مثله، واعتنفَ الأمرُ: أتاها ولم يكن له به عِلْمٌ، قال أبو نُخَيْلَةَ السَّعْدِيُّ يَرِثِي ضَرارَ بنِ الحارثِ العَنبرِيِّ [التاج (عنف)]:

نَعَيْتُ امرأً رَيْنًا إِذَا تُعَقِدَ الحَبَا وَإِنْ أَطْلَقْتُ لَمْ تَعْتَنِفْهُ الوَقَائِعُ

يريد لم تجده الوقائع جاهلاً بها، قال الباهلي^(١): أكلت طعاماً فاعتنفته أي أنكرته، قال الأزهري: «وذلك إذا لم يوافقته، ويقال: طريق معتنف أي غير قاصد، وقد اعتنفت إذا جاز ولم يقصد، وأصله من اعتنفت الشيء إذا أخذه أو أتاه غير حاذق به ولا عالم»، وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يعنفها» [مسلم: ٦٥٤٤]، أي لا يوبخها ويقرعها ويلمها، أي لا يجمع عليها بين الحد والتوبيخ، وقال الخطابي: أراد لا يمنع بتوبيخها على فعلها بل يقيم عليها الحد، لأنهم لا ينكرون زنا الإماء، ولم يكن عندهم عيباً^١. هـ من التاج مع بعض عبارة اللسان [عنف]، فإذا فعل بها أمن عليها البهر الشديد عند حضرها (والبهر: انقطاع النفس من الإعياء، وقد أنبهر وبهر فهو مبهور وبهير، قال الأعشى: [ديوانه ٩٣]

إذا ماتتني يريد القيام تهادى كما قد رأيت البهيرا
والبهر أيضاً: تتابع النفس من الإعياء، وبالفتح المصدر، بهره الحمل يبهره بهراً، أي أوقع عليه البهر فأنبهر، أي تتابع نفسه، ويقال: بهر الرجل إذا عدا (والعدو ضرب من السرعة، نحو الهزولة) حتى غلبه البهر، وهو الرئو وبهر البعير: ركضه حتى ينقطع، وقال ابن شميل: البهر: تكلف الجهد، إذا كلف فوق ذرعه، يقال: بهره إذا قطع بهره إذا قطع نفسه بضرب أو خنق أو ما كان، وأنشد: [ديوان الأخطل ٢٥٠]

إن البخيل إذا سألت بهرتة وترى الكريم يراح كالمختال

١. هـ من التاج واللسان [بهر].

«والحضر: ارتفاع الفرس في عدوه، وفسره بعضهم بالعدو نفسه، ومعنى عدا قارب الهزولة في جريه كما تقدم، وهو أي الحضر اسم من أحضر الفرس إحضاراً أي عدا كاحضر، وفرس محضير ومحضار: شديد الحضر، وقال بعضهم: لا يقال: محضار، وهو

(١) هو أحمد بن حاتم، أبو نصر، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد، توفي ٢٣١ هـ.

قول غريب، وحاصرتُ فلاناً حِضاراً: عَدَوْتُ معه» ا.هـ لسان وتاج) [حضر] ولم يَقْطَعُهَا الشَّدُّ (والشَّدُّ: العَدُوُّ والحِضْرُ، والفعلُ اشْتَدَّ، قال ابنُ رُمَيْضٍ العنبريُّ ويقال: رُمِضَ بالصاد المهملة: هذا أوْانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زَيْمٌ.

وزَيْمٌ اسمُ فرسه، وفي حديث الحجاج «هذا أوْانُ الحَرْبِ فاشتدِّي زَيْمٌ»، زَيْمٌ: اسم ناقته أو فرسه، وفي حديث السَّعِي «لا يَقْطَعُ الوادي إِلا شَدًّا» [البخاري: ٣٨٤٧]، وفي حديث أُحُد: «حتى رأيتُ النساءَ يَشْتَدِدْنَ في الجبل» أي يَعْدُونَ، قال ابن الأثير: هكذا جاءت اللفظة في كتاب الحميدي^(١)، والذي جاء في كتاب البخاري «يشتدُّ بدالٍ واحدة، والذي جاء في غيرهما «يُسْنِدُن» أي يُصَعَّدُن فيه، فإن صحَّت الكلمة على ما في البخاري - وكثيراً ما يجيء أمثالها في كتب الحديث، فهو قبيح في العربية؛ لأن الإِدْغامَ إنَّما جاز في الحرف المضعَّف لما سَكَنَ الأوَّلُ وتحركَ الثاني، فأما مع جماعة النساء فإنَّ التضعيفَ يظهر لأن ما قبل نون النسوة لا يكون إِلا ساكناً، فيلْتَقِي ساكنان، فيُحْرِكُ الأوَّلُ وَيَنْفِكُ الإِدْغامَ، فتقول: يَشْتَدِدْنَ، فيُمكن تخريجه على لغة بعض العرب من بكر من وائل، يقولون: رَدَّتْ وَرَدَّتْ وَرَدَّنْ، يريدون رَدَدْتُ وَرَدَدْتُ وَرَدَدَّنْ، قال الخليل: كأْتهم قَدَرُوا قبل دخول التاء والنون فيكون لفظ الحديث يَشْتَدِّن.

وشَدَّ في العَدُوِّ واشْتَدَّ: أَسْرَعُ وَعَدَا، وشَدَّ على القوم في القتال يَشِدُّ وَيَشُدُّ شَدًّا وشُدوداً: حَمَلَ عَلَيْهِم، والشَّدَّةُ بالفتح: الحَمْلَةُ، والشَّدَّةُ بالكسر: النَّجْدَةُ وثباتُ القلب، والشَّدَّةُ أيضاً: الصَّلابة، وهي نقيض اللين، تكون في الجواهر والأعراض، والجمعُ شَدَدٌ عن سيبويه، قال: «جاء على الأصل لأنَّه لم يُشَبَّه الفعل»، وقد شَدَّه يَشُدُّه وَيَشِدُّه شَدًّا فاشتدَّ، وكلُّ ما أَحْكَمَ فقد شَدَّ وشُدَّد، وشيءٌ شَدِيدٌ مُشْتَدُّ: قويٌّ» ا.هـ لسان [شدد].

قال: فذلك التَّضمير الذي شاهدتُ العربَ تفعله، يُسمون ذلك مِضْماراً وتَّضميراً،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي الأندلسي، توفي في ٤٨٨ هـ.

«وقال: الجوهرِيُّ: «وقد أضمَرْتُهُ أَنَا، وضمَرْتُهُ تضميراً فاضطَمَر هو قال: وتضمير الفرس أيضاً أن تعلّفه حتى يسمَن ثم تَرَدّه إلى القُوت، وذلك في أربعين يوماً، وهذه المدّة تُسمى المِضْمَار، وفي الحديث: «مَن صام يوماً في سبيل الله باعدّه الله من النار سبعين خريفاً للمِضْمَر المُجيد»، المِضْمَر: هو الذي يُضمَر خيله لغزو أو سباق، وتضمير الخيل هو أن يُظَاهِر عليها بالعلف (مُظَاهرة الشيء: مُضَاعَفْتُهُ، قال في اللسان: «يقال: ظَاهَرَ بين نعلين وثوبين إذا لبس أحدهما على الآخر، وذلك إذا طَارَقَ بينهما وطابَقَ، وكذلك ظَاهَرَ بين درعين، وقيل: ظَاهَرَ الدَّرْع: لَأَمَّ بعضُها على بعض، وفي الحديث: «أنه ظَاهَرَ بين درعين يوم أحد»، أي جمعَ ولبسَ أحدهما فوق الأخرى، وكأنه من التظاهر وهو التعاون والتساعُد، وقولُ ورَقَاءَ بن زهير: [الأغاني ١١/٧٨]

رَأَيْتُ زَهِيراً تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَجِئْتُ إِلَيْهِ كَالعَجُولِ أَبَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِداً وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المِظَاهِرُ
إِنَّمَا عَنَى بالحديد هنا الدَّرْعَ، فَسَمَّى النَوْعَ الذي هو الدَّرْعَ باسم الجنس الذي هو الحديد، وظاهره: أعانته ونصره وكان ظهيراً أي عوناً له) حتى تَسْمَنَ ثم لا تُعلَفَ إلا قُوتاً، والمُجيد: صاحب الجياد، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يُباعده من النار مسافة سبعين سنة تقطعها الخيل المِضْمَرَة الجياد ركضاً، ومِضْمَارُ الفرس: غايته في السِّبَاق، وفي حديث حُذيفة أنه خطبَ فقال: «اليوم المِضْمَارُ وغداً السِّبَاقُ»، والسابق مَنْ سبق إلى الجنة، قال شمر: أراد أن اليومَ العملُ في الدنيا للاستباق إلى الجنة كالفرس يُضمَر قبل أن يُسابق عليه، ويُروى هذا الكلام لعليّ كَرَّمَ اللهُ وجهه ورضي عنه. ولؤلؤُ مُضْطَمِر: مُنْضَمٌّ، وأنشد الأزهريُّ بيت الراعي: [ديوانه ٢٠٦]

تَلَأَلَاتِ الثَّرِيَابِ فَاسْتَنَارَتْ تَلَأَلُ لَوْلُؤٍ فِيهِ اضْطِطَارُ
واللؤلؤُ المُضْطَمِر: الذي في وسطه بعضُ الانضمام، وتَضَمَّرَ وجهه: انضَمَّتْ جِلْدَتُهُ من الهُزَالِ، والضمير: السُّرُّ وداخلُ الخاطر، والجمعُ الضَّائِرُ، وقال اللَّيْثُ: الضمير: الشيء

الذي تُضمّره في قلبك، تقول: أضمّرتُ صرفَ الحرفِ إذا كان متحرّكاً فأسكنتُهُ،
وأضمّرتُ في نفسي شيئاً، والاسمُ الضميرُ، والجمعُ الضمائرُ، والمضمَرُ: الموضعُ والمفعولُ،
وقال الأخوص بن محمد الأنصاريّ: [ديوانه ١٢٠]

سَيِّقِي لها في مُضْمَرِ القلبِ والحشا سَرِيرَةٌ وُدِّيومٌ تُبَلَى السَّرائِرُ
وكلُّ خَلِيطٍ لا مَحالَةَ أَنَّهُ إلى فُرْقَةٍ يوماً من الدَّهرِ صائرُ
ومَنْ يَحْذِرُ الأمرَ الذي هو واقِعٌ يُصِبهُ وإن لم يَهْوَهُ ما يُجاذِرُ
وأضمّرتُه: أخفيتهُ، وهوى مُضْمَرٌ وضمْرٌ كأنّه اعتقدَ مصدرًا على حذف الزيادة:
مُخْفِيٌّ، قال طُريحُ:

به دَخيلٌ هوىّ ضَمْرٍ إذا ذُكرتُ سَلَمَى له جاش في الأحشاء والتَّهبا
وأضمّرتُه الأرضُ: غيبتُه إما بموتٍ وإما بسفرٍ، قال الأعشى: [ديوانه ٤١]
أرانا إذا أضمّرتك البِلا دُجْجَفَى وتُقَطَعُ مِنّا الرِّجْمُ
أي إذا غيبتك البلادُ [ضمْر].

وفي الأساس: «أضمّرتُه البلادُ: سافرَ سَفْرًا بعيداً فغيبتُه» وذكر قول الأعشى وبعده
قول الطرمّاح: [ديوانه ١٤٦]

يَبْدُو وتُضمِّره البلادُ كأنّه سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغَمَدُ
والغناء مضمّارُ الشعرِ، قال:
تَغَنَّ بالشُّعرِ إمّا كنتَ ذا بَصَرٍ إِنَّ الغِناءَ لهذا الشُّعرِ مضمّارُ
أ.هـ من الأساس [ضمْر].

والمقصود من جميع ما تقدّم في تفسير الضمّر أنّ الضمور الهُرّال (الهُرّال: نقيض السمن،
وفعله هَزَلَ كعُنِي وهَزَلَ كَنَصَرَ هُزالاً وهَزَلَ بالفتح ويضمُّ، وأنشد أبو إسحاق:
والله لولا حَنَفُ برِجِلِهِ ودِقَّةُ في ساقِهِ من هَزَلِهِ
ما كان في فُتيانكم من مثله

وقال ابن بري: كلُّ ضَرٍّ هُزَالٌ «كذا في التاج [هزل]»، وفعله ضَمَرَ وَضَمَرَ كَنَصَرَ
 وَكُرِّمَ، وله أسباب كثيرة كالمرض وإساءة القيام على الدوابِّ ونحو ذلك، والمرادُ فيها نحن
 بصدده الضُّمُورُ الذي يَحْصُلُ بواسطة التضمير، وقد تقدَّم آنفاً أن تضمير الخيل أن تُشَدَّ
 عليها سُروُجُها وتُجَلَّلَ بالأجَلَّةِ حتى تَعْرَقَ تحتها، فيذهب رَهْلُها ويشتدَّ لحمُها ويُحْمَلُ
 عليها غلمانٌ خِفافٌ يُجْرُونها ولا يَعْنِفُونَ بها إلخ.

وقد مرَّ تفسير ما في هذه الألفاظ من الغموض والدقَّة، فارجعْ إليه تجده قريباً، وفي
 معنى الضُّمُورِ اللُّحُوقِ بالضَّمِّ، وفعله كَسَمِعَ، ومنه لاحقٌ اسم فرس.

يَرْعُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرَى

قال في المختار: «الرُّعَافُ: الدَّمُ يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفِ، وَقَدْ رَعَفَ يَرْعُفُ كَنَصَرَ وَيَرْعُفُ
 بِالْفَتْحِ كَيَقْطَعُ، وَرَعُفَ بَضْمٌ الْعَيْنِ لَغَةً فِيهِ ضَعِيفَةٌ» اهـ. [رعف].

وفي المصباح: «رَعَفَ رَعْفًا مِنْ بَابِي قَتَلَ وَنَفَعَ، وَرَعُفَ بِالضَّمِّ لَغَةً، وَالاسْمُ الرُّعَافُ،
 وَهُوَ خُرُوجُ الدَّمِ مِنَ الْأَنْفِ، وَيُقَالُ: الرُّعَافُ: الدَّمُ نَفْسُهُ، وَأَصْلُهُ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ، وَفَرَسٌ
 رَاعِفٌ أَي سَابِقٌ، فَإِنَّ الرُّعَافَ سَبَقَ عِلْمَ الرَّاعِفِ وَتَقَدَّمَ» اهـ. منه.

ومن سجعات الأساس: «مَنْ عَرَفَ الْقُرْآنَ رَعَفَ الْأَقْرَانَ» فلله دَرُّهُ من ساجع.

وفي التاج: «رَعَفَ الرَّجُلُ كَنَصَرَ وَمَنَعَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ وَالْجُمْهُرَةِ [ص ٧٦٥]، وَرَعُفَ
 مِثْلُ كُرِّمَ، لَغَةً فِيهِ ضَعِيفَةٌ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، قَالَ الصَّاعِقَانِي: وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْأَصْمَعِيُّ كَمَا لَمْ يَعْرِفْ
 رُعِفَ مِثْلُ عُنِي، وَنَصُّ الْأَزْهَرِيِّ: «لَمْ يَعْرِفْ رُعِفَ وَلَا رَعُفَ فِي فِعْلِ الرُّعَافِ، وَكَذَلِكَ
 رَعَفَ كَسَمِعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: رَعِفَ كَسَمِعَ فِي التَّقَدُّمِ وَالسَّبْقِ، وَرَعَفَ كَنَصَرَ فِي الرُّعَافِ
 خَرَجَ مِنْ أَنْفِهِ الدَّمُ رَعْفًا بِالْفَتْحِ وَرُعَافًا كَغُرَابٍ، وَالرُّعَافُ أَيْضًا: الدَّمُ الْخَارِجُ مِنَ الْأَنْفِ
 بَعِيْنُهُ، فَهُوَ حَيْثُ اسْمٌ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ دُرَيْدٍ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سُمِّيَ بِهِ لِسَبْقِهِ عِلْمَ
 الرَّاعِفِ، قَلْتُ: فَهُوَ إِذَا مَجَازٌ، وَفَرَّقَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْأَسَاسِ فَقَالَ: الرُّعَافُ: الدَّمُ الْخَارِجُ

من الأنف، ثم ذكر فيما بعد: ومن المجاز رَعَفَ أَنْفَهُ: سَبَقَ دُمَهُ، والرُّعَافُ: الدَّمُ السابق [رَعَفَ]، لأنَّ الأَصْلَ في رَعَفَ السَّبْقُ والمبادرَة، ومنه أُخذ الرُّعَافُ.

قال شيخنا: فإن قيل: المتبادرُ في الرُّعَافِ أَنَّهُ رُعَافُ الأنفِ، والتبادرُ علامة الحقيقة فالجواب أَنَّهُ في أَصْلِ اللُّغَةِ السَّبْقُ، ثم صار حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً في رُعَافِ الأنفِ، فلا إشكال.

وَرَعَفَ الفرسُ الخيلَ كَمَنَعَ ونَصَرَ: سَبَقَ وتقدَّم، كاسترَعَفَ وارتَعَفَ، ومن سَجَعَاتِ الأساس: مَنْ عَرَفَ القِرَانَ رَعَفَ الأَقْرَانَ» [رَعَفَ] ١. هـ. تاج باختصار.

وفي اللسان: «الرَّعْفُ: السَّبْقُ والتقدُّم، قال الأَعشى: [ديوانه ٥٣]

بِهِ تَرَعَفُ الأَلْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثَارَا

وَأَنشَد ابن بري لذي الرُّمَّة: [ديوانه ١٦٤٦]

..... بالمُنْعَلَاتِ الرَّوَاعِفِ

أَي السَّوَابِقِ، «والمُنْعَلَاتُ من أَنْعَلَ الفرسَ أَي أَلْبَسَ حوافِرَها أَطْباقاً من حديد تقيها الحجارَة، فإنَّ نَعْلَ الدَّابَّةِ هو ما وُقِيَ بِهِ حافِرَها وخَفِّها، وقال الجوهريُّ: النَعْلُ: الحِذاء، ويقال: نَعَلَ الدَّابَّةَ كَمَنَعَ وَأَنعَلَهَا إِنعَالاً ونَعَلَهَا تَعْيِلاً، وَأَنكَرَ الثَّلاثِيَّةَ الجوهريُّ وجوزَها ابن عبَّاد»، كذا في التاج [نعل].

ثم قال في اللسان: «والرُّعَافُ: دَمٌ يَسْبِقُ من الأنفِ، رَعَفَ يَرَعُفُ وَيَرَعُفُ رَعْفاً ورُعَافاً، ورَعَفَ ورَعِيفٌ، قال الأزهرِيُّ: ولم يَعْرِفْ رُعِيفٌ ولا رَعُفٌ في فعلِ الرُّعَافِ، قال الجوهريُّ: ورَعُفٌ بالضمِّ لَغَةٌ فيه ضعيفَة، قال الأزهرِيُّ: وقيل للَّذي يَخْرُجُ من الأنفِ رُعَافٌ لسبقه عِلْمَ الرَّاعِفِ، وفي حديثِ أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّهُ كانَ في عُرْسٍ فسمعَ جاريةً تَضْرِبُ بالدُّفِّ فقالَ لها: ارْعَيْني، أَي تقدِّمي، يقالَ منه رَعِيفٌ بالكسرِ يَرَعُفُ بالفتح، ومن الرُّعَافِ رَعَفَ بالفتح يَرَعُفُ بالضمِّ، ورَعَفَ الفرسُ يَرَعُفُ وَيَرَعُفُ أَي سَبَقَ وتقدَّم، والرَّاعِفُ: الفرسُ الذي يتقدَّم الخيلَ، والرَّاعِفُ: طرفُ الأَرزُبَةِ لتقدُّمه، صفةٌ غالبَةٌ، وقيل: هو عامَّةُ الأنفِ،

ويقال للمرأة: لُوْثِي عَلَى مَرَاعِفِكَ أَي تَلْثَمِي، وَمَرَاعِفُهَا: الْأَنْفُ وَمَا حَوْلَهُ، وَيُقَالُ: فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَرَاعِفِهِ، مِثْلَ مَرَاغِمِهِ، وَالرَّاعِفُ: أَنْفُ الْجَبَلِ عَلَى التَّشْبِيهِ، وَجَمْعُهُ الرَّوَاعِفُ، وَالرَّوَاعِفُ أَيضاً: الرَّمَاحُ، صِفَةٌ غَالِبَةٌ إِمَّا لِتَقَدُّمِهَا لِلطَّعْنِ وَإِمَّا لِسَيْلَانِ الدَّمِ مِنْهَا، وَالرَّعْفُ: سُرْعَةُ الطَّعْنِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَيْنَا نَحْنُ نَذْكُرُ فَلَانَا رَعَفَ بِهِ الْبَابُ، أَي دَخَلَ عَلَيْنَا مِنَ الْبَابِ»
 ١. هـ من اللسان بحروفه [رعف].

وبعد قوله: «يَرْعُفُنَ» - «بِالْأَمْشَاجِ»، قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «الْمَشْجُ وَالْمَشِيْجُ: كُلُّ لَوْيْنٍ اخْتَلَطَا، وَقِيلَ: هُوَ مَا اخْتَلَطَ مِنْ حُمْرَةٍ وَبِيَاضٍ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ شَيْئَيْنِ مُخْتَلَطَيْنِ، وَالْجَمْعُ أَمْشَاجٌ كَيْتِيمٌ وَأَيْتَامٌ، وَمَشَجْتُ بَيْنَهُمَا مَشْجًا: خَلَطْتُ، وَالشَّيْءُ مَشِيْجٌ أَي مَخْلُوطٌ، وَالْمَشِيْجُ: مَاءُ الرَّجْلِ يَخْتَلِطُ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي سُورَةِ ﴿هَلْ أَتَى﴾ وَتُسَمَّى سُورَةُ الْإِنْسَانِ وَسُورَةُ الْأَمْشَاجِ وَسُورَةُ الدَّهْرِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢/٧٦]، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَمْشَاجُ هِيَ الْأَخْلَاطُ، مَاءُ الرَّجْلِ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ وَالدَّمُ وَالْعَلَقَةُ، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ مِنْ هَذَا خِلْطٌ مَشِيْجٌ، كَقَوْلِكَ: خَلِيطٌ وَمَشْجُوجٌ، كَقَوْلِكَ: مَخْلُوطٌ، مُشِجَتْ بَدَمٌ، وَذَلِكَ الدَّمُ دَمُ الْحَيْضِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْأَمْشَاجُ: الْأَخْلَاطُ، يَرِيدُ بِالْأَخْلَاطِ النُّطْفَةَ لِأَنَّهَا مُتَمَرِّجَةٌ مِنْ أَنْوَاعٍ، وَلِذَلِكَ يُوَلَّدُ الْإِنْسَانُ ذَا طَبَائِعَ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمْشَاجٌ أَخْلَاطٌ مِنْ مَنِيٍّ وَدَمٍ، ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَيُقَالُ: نُطْفَةٌ أَمْشَاجٌ لِمَاءِ الرَّجْلِ يَخْتَلِطُ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ وَدَمِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ فِي صِفَةِ الْمَوْلُودِ: «ثُمَّ يَكُونُ مَشْجًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، الْمَشِيْجُ: الْمَخْتَلِطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَخْلُوطٌ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَحَطَّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ»، يَرِيدُ الْمَنِيَّ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْجَنِينُ.

وَالْأَمْشَاجُ: أَخْلَاطُ الْكَيْمُوسَاتِ الْأَرْبَعِ، وَهِيَ الْمِرَارُ الْأَحْمَرُ وَالْمِرَارُ الْأَسْوَدُ وَالدَّمُ وَالْمَنِيَّ، أَرَادَ بِالْمَشْجِ اخْتِلَاطَ الدَّمِ بِالنُّطْفَةِ، هَذَا أَصْلُهُ، (قَالَ فِي النَّاجِ: «الْكَيْمُوسُ: الْخِلْطُ،

سُرْيَانِيَّة، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَأَمَّا الْكَيْمُوسَاتُ فِي قَوْلِ الْأَطْبَاءِ فَإِنَّهَا الطَّبَائِعُ الْأَرْبَعُ (وَفِيهِ الْمِزَاجُ مِنْ الْبَدَنِ مَا رُكِبَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ، الدَّمُ وَالْمَرْتَيْنُ وَالْبَلْغَمُ، وَهُوَ أَيُّ الْمِزَاجِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ كَيْفِيَّةٌ حَاصِلَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتٍ مُتَضَادَّةٍ، وَفِي الْأَسَاسِ: يُقَالُ: هُوَ صَحِيحُ الْمِزَاجِ أَوْ فَاسِدُهُ، وَهُوَ مَا أُسِّسَ عَلَيْهِ الْبَدَنُ مِنَ الْأَخْلَاطِ، وَأَمْرُجَةُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ) لَيْسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ، وَلَكِنَّهَا يُونَانِيَّةٌ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي حَدِيثِ قُسِّ فِي تَمْجِيدِ اللَّهِ تَعَالَى: لَيْسَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ وَلَا كَيْمُوسِيَّةٌ، الْكَيْمُوسِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ وَالغِذَاءِ، وَالْكَيْمُوسُ فِي عِبَارَةِ الْأَطْبَاءِ هُوَ الطَّعَامُ إِذَا انْهَضَ فِي الْمَعْدَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَرَّفَ عَنْهَا وَيَصِيرَ دَمًا وَيُسَمَّوْنَهُ أَيْضًا الْكَيْلُوسُ) ١. هـ. مِنْ التَّاجِ [مَشْح].

وَفِيهِ [التَّاجُ (مَرَّرَ)]: (الْمِرَّةُ بِالْكَسْرِ: مِزَاجٌ مِنْ أَمْرُجَةِ الْبَدَنِ، وَهِيَ إِحْدَى الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعَةِ، وَالْمِرَّةُ: قُوَّةُ الْخَلْقِ وَشِدَّتُهُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لَغْنِيٍّ وَلَا لَذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ» [الْتَرْمِذِيُّ: ٦٥٢]، الْمِرَّةُ: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ، وَالسَّوِيُّ: الصَّحِيحُ الْأَعْضَاءُ) ١. هـ. تَاجٌ بِاخْتِصَارٍ.

وَعَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْشَاجٌ﴾ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ إِذَا اسْتَعْجَلَ مَشَّجٌ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: أَمْشَاجُ الْبَدَنِ: طَبَائِعُهُ، وَاحِدُهَا مَشَّجٌ وَمَشَّجٌ وَمَشَّيْجٌ عَنِ أَبِي عَيْبَةَ، وَعَلَيْهِ أَمْشَاجُ غَزُولٍ، أَيُّ دَاخِلَةٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، يَعْنِي الْبُرُودُ فِيهَا أَلْوَانُ الْغَزُولِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَمْشَاجٌ وَأَوْشَاجٌ غَزُولٌ دَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ١. هـ. مِنْ اللِّسَانِ بِحُرُوفِهِ.

وَفِي التَّاجِ: «مَشَّجٌ بَيْنَهُمَا: خَلَطٌ، وَشَيْءٌ مَشَّيْجٌ وَمَشَّجٌ وَمَشَّجٌ وَمَشَّجٌ كَقَتِيلٍ وَسَبَبٌ وَكَيْفٌ فِي لُغَتِهِ بِفَتْحٍ فَسُكُونٌ وَكَسْرٌ، وَهُوَ كُلُّ لَوْنَيْنِ اخْتَلَطَا، وَقِيلَ: هُوَ مَا اخْتَلَطَ مِنْ حُمْرَةٍ وَبِيَاضٍ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ شَيْئَيْنِ مُخْتَلَطَيْنِ وَالْجَمْعُ أَمْشَاجٌ كَيْتِيمٌ وَأَيْتَامٌ وَسَبَبٌ وَأَسْبَابٌ وَكَيْفٌ وَأَكْتِنَافٌ، قَالَ: وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الْإِنْسَانُ: ٢/٧٦]، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَمْشَاجُ هِيَ الْأَخْلَاطُ، مَاءُ الرَّجُلِ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ وَالدَّمُ

والعَلَقَة، وقال ابن السكِّيت: الأَمْشَاج: الأَخْلَاط يريد النُّطْفَةَ لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة، وقال أبو إسحاق: أَمْشَاجُ أَي أَخْلَاطُ مِنْ مَنِيٍّ وَدَمٍ، ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَيُقَالُ: نُطْفَةُ أَمْشَاجٍ أَي مَخْتَلِطَةٌ بِهَاءِ الْمَرْأَةِ وَدَمِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ فِي صِفَةِ الْمَوْلُودِ: «ثُمَّ يَكُونُ مَشِيحاً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، وَالْأَمْشَاجُ: الَّتِي تَجْتَمِعُ فِي السَّرَّةِ^١ اهـ تاج [مشج].

قلت: وخلاصة مادّة (م ش ج) أن المشج مصدر مشجّه إذا خلطه ومزجه (قال في المصباح: قال المرزوقي^(١): أصل الخلط: تداخل أجزاء الأشياء بعضها في بعض اهـ باختصار) [خلط]، والمفعول منه مشيح وممشوج وممشج، فالأول كجريح وطريح وقريح، وهذه بمعنى جريح، والثاني قياسي، والثالث كالحبّ والنقض والقبض والهدم بمعنى المخبوط والمقبوض والمقبوض والمهدوم، كذا في التاج.

وباب مَشَجَ نَصَرَ كما هو صَنِيعُ الْمَجْدِ فِي قَامُوسِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: «مَشَجَ بَيْنَهُمَا: خَلَطًا»، وَلَمْ يَذْكُرِ الْآتِي أَي الْمَضَارِعَ، وَمِنْ قَوَاعِدِهِ وَاصْطِلَاحَاتِهِ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الْمَصْدَرَ مُطْلَقاً أَوْ الْمَاضِي بَدُونَ الْآتِي، أَي بغير المستقبل ولا مانع فالفعل على مثال كَتَبَ، أَي مَفْتُوحُ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي مضمومها في المضارع كما في مقدمته، وقد ذكر الموانع مفصلة السيد المرتضى، وليس في مَشَجَ شَيْءٌ مِنْهَا، فَهِيَ حَيْثُذِي مِنْ بَابِ نَصَرَ، عَلَى أَنَّهُمْ قَالُوا: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْفِعْلُ مَشْهُوراً أَي معروفاً متداولاً وكان ماضيه على فَعَلَ بِالْفَتْحِ فَأَنْتَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ ضَمِّ الْعَيْنِ وَكسرها، فالوجهان أي الضم والكسر مستعملان فيما لا يعرف مستقبله، ومتساويان فيه، فكيفما نطقت أصبت، وليس الضم أولى من الكسر، ولا الكسر أولى من الضم.

وقيل: إذا عُرف أن الماضي على فَعَلَ بفتح العين ولم يُعرف المضارع فالوجه أن يُجعل يَفْعَلُ بالكسر، وعبارة بعضهم في هذا: إِذَا أَشْكَلَ يَفْعَلُ أَوْ يَفْعَلُ فِتْ عَلَى يَفْعَلُ بالكسر، فإنه الباب عندهم^١ اهـ من شرح مقدمة المجد للسيد المرتضى الزبيدي باختصار.

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، أبو علي، عالم في الأدب والنحو، توفي ٤٢١هـ.

فإن أردت الوقوف على غاية هذا البحث فعليك به، فإنه نقل ما يكفي ويشفي.
هذا وقد صرح في المختار بأن مشج من باب ضرب، وهو مخالف لما تقدم من أنه في
القاموس من باب نصر بناءً على اصطلاحات المجد فيه فليحرر.

ومثل مشج مزج، قال في المصباح: «مزج الشيء بالماء مزجاً من باب قتل: خلطه،
وقالوا للعسل: مزج، لأنه يخلط بالشراب، ومزاج الجسد بالكسر: طباعته التي يأتلف
منها، ومزاج الخمر كافور، يعني ريحها لا طعمها، والجمع أمزجة، كسلاح وأسلحة» اهـ.
وفيه: «خلط الشيء بغيره من باب ضرب خلطاً: ضمّه إليه فاختلف هو، وقد يمكن
التمييز بعد ذلك، كما في خلط الحيوانات، وقد لا يمكن، كخلط المائعات، فيكون مزجاً،
قال المرزوقي: أصل الخلط تداخل أجزاء الأشياء بعضها في بعض، وقد توسع فيه حتى
قيل: رجل خليل إذا اختلط بالناس كثيراً، والجمع الخلطاء كشريف وشرفاء، ومن هنا
قال ابن فارس: الخليل: المجاور. والخليط: الشريك، والخلط طيب معروف، والجمع
أخلاط كحمل وأحمال، والخلطة: العشرة وزناً ومعنى، والخلطة بالضم اسم من الاختلاط
كالفرقة من الافتراق، وقد يُكنى بالمخالطة عن الجماع، ومنه قول الفقهاء: خالطها مخالطة
الأزواج، يريدون الجماع، قال الأزهري: والخلاط: مخالطة الرجل أهله إذا جامعها»
ا.هـ مصباح [خلط].

وفي اللسان: «خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً وخالطه فاختلط: مزجه فامتزج،
وخالطه مخالطة وخالطاً: مازجه، والخلط ما خالط الشيء، وجمعه أخلاط، والخلط بكسر
فسكون أيضاً: واحد أخلاط الطيب، والخلط: اسم كل نوع من الأخلاط، كأخلاط الدواء
ونحوه، وفي حديث سعد: «وإن كان أحدنا ليضع ما تضع الشاة ما له خلط»، أي لا يخلط
نحوهم أي غائطهم بعضه ببعض لجفافه ويؤسسه، فإنهم كانوا يأكلون خبز الشعير وورق
الشجر لفقرهم وحاجتهم، وأخلاط الإنسان: أمزجته الأربعة» ا.هـ لسان.

وفيه: «المزج: خلط المزاج بالشيء، ومزج الشراب: خلطه بغيره، ومزاج الشراب: ما يمزج به، ومزج الشيء يمزجه مزجاً فامتزج، أي خلطه، وشرابٌ مزج: ممزوج، وكلُّ نوعين امتزجا فكلُّ واحد منهما لصاحبه مزج ومزاج، ومزاج البدن: ما أُسس عليه من مرة، وفي التهذيب: ومزاج الجسم: ما أُسس عليه البدن من الدم، والمزج والمزج والمزج: العسل، وفي التهذيب: الشَّهْد، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ٩٦]

فجاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ
 (الضَّحْكُ: الثَّغْرُ الْأَبْيَضُ، وَالضَّحْكُ: الْعَسَلُ، شُبِّهَ بِهِ لِشِدَّةِ بِيَاضِهِ، وَقِيلَ: الضَّحْكُ
 هُنَا الشَّهْدُ، وَقِيلَ: الرُّبْدُ، وَقِيلَ: الثَّلْجُ، وَالضَّحْكُ أَيْضاً: طَلَعَ النَّحْلُ حِينَ يَنْشَقُّ) قَالَ أَبُو
 حَنِيفَةَ: سُمِّيَ الْعَسَلُ مِزْجاً لِأَنَّهُ مِزَاجُ كُلِّ شَرَابٍ حُلُو طَيِّبٍ بِهِ، وَسَمَّى أَبُو ذُوَيْبِ الْمَاءَ
 الَّذِي تُمَزَّجُ بِهِ الْخَمْرُ مِزْجاً؛ لِأَنَّ كَلًّا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ يُمَارِجُ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: [أشعار الهذليين
 ١١٥]

بِمِزْجٍ مِنَ الْعَذْبِ عَذْبِ السَّرَاةِ يُزْعِرُهُ الرِّيحُ بَعْدَ الْمَطْرِ
 يُزْعِرُهُ: يُحْرِكُهُ وَيُصَفِّقُهُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «الرَّعْرَعَةُ: تَحْرِيكُ الشَّيْءِ، زَعْرَعَهُ زَعْرَعَةً
 فَتَزْعَرَعُ، أَيْ حَرَّكَه لِيَقْلَعَهُ، قَالَ:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَزَوَّرَ جَانِبُهُ وَأَرَقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ أَدْعِبُهُ
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَزَعْرَعَتْ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
 وَيُرْوَى «لَوْلَا اللَّهُ أَنِّي أَرَأَيْتُهُ»، وَزَعْرَعَتْ الرِّيحُ الشَّجَرَةَ، وَقَوْلُهُ:
 أَلَا حَبَّذَا رِيحُ الصَّبَاحِينَ زَعْرَعَتْ بِقُضْبَانِهِ بَعْدَ الظُّلَالِ جَنُوبُ
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «زَعْرَعَتْ بِهِ» لَعْنَةً فِي زَعْرَعَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ ضَمَّنَ زَعْرَعَتْ مَعْنَى دَفَعْتُ أ. هـ
 لِسَانِ [زَعْرَعَتْ]. وَقَوْلُهُ: «السَّرَاةُ» قَالَ فِي اللِّسَانِ: «وَالسَّرَاةُ: جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الطَّائِفِ، قَالَ ابْنُ
 السَّكَيْتِ: الطُّودُ: الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى عَرَفَةَ يَنْقَادُ إِلَى صَنْعَاءَ يُقَالُ لَهُ السَّرَاةُ فَأَوْلُهُ سَرَاةٌ تُقَيَّفُ
 ثُمَّ سَرَاةٌ فَهَمٌّ وَعَدْوَانٌ ثُمَّ سَرَاةٌ الْأَزْدُ ثُمَّ سَرَاةٌ الْحَرَّةُ آخِرُ ذَلِكَ» أ. هـ لِسَانِ [سَرَاةٌ].

فمعنى «يَرْعُضْنَ بِالْأَمْشَاجِ» يَرْمِينُ بِالدَّمِّ الْمُخْتَلِطِ بِالْمَخَاطِ مِنْ أُنُوفِهِنَّ مِنْ شِدَّةِ جَذْبِ
الْبُرَى، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿هَلْ أَتَىٰ أَيُّ قَدِ أَتَىٰ، وَقِيلَ: اسْتَفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ أُرِيدُ بِهِ الْإِزَامَ
الْمُنْكَرَ لِلْبَعْثِ أَنْ يَعْرِفَ وَيَعْتَرَفَ بِهِ، لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَىٰ إِيجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ
الْفَنَاءِ، ﴿عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾، أَلْ فِيهِ
لِلْجِنْسِ، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أَيُّ أَخْلَاطٍ، أَيُّ مِنْ مَاءِ الرَّجْلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ الْمُخْتَلِطَيْنِ
الْمَمْتَزَجَيْنِ، وَالْأَمْشَاجِ: جَمْعُ مَشْجٍ بَفَتْحَتَيْنِ كَسَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، أَوْ مَشْجٍ بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ كَجَمَلٍ
وَأَحْمَالٍ وَعَدْلٍ وَأَعْدَالٍ، أَوْ مَشِيجٍ كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ وَالْمَعْنَى: مِنْ نُطْفَةٍ قَدْ امْتَزَجَ فِيهَا
الْمَاءَانِ، وَكُلُّ مِنْهَا مُخْتَلِطٌ الْأَجْزَاءِ مَتَبَايِنُ الْأَوْصَافِ فِي الرَّقَّةِ وَالنُّخَنِ (أَيُّ الْغَلِظِ وَالْكَثَافَةِ
وَالصَّلَابَةِ، كَمَا فِي اللِّسَانِ) [نُخَنِ]، فَمَاءُ الرَّجْلِ غَلِيظٌ أَبْيَضٌ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرٌ، فَأَيُّهُمَا
عَلَا كَانَ الشَّبَهُ لَه، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الرَّجْلِ كَانَ الْوَلَدُ ذَكَرًا، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ كَانَ أُنْثَى، وَإِنْ
اسْتَوَيَا فَخُنْثَى مُشْكَلٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَخْتَلِطُ مَاءُ الرَّجْلِ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ، فَيُخَلِّقُ مِنْهَا الْوَلَدَ، فَمَا
كَانَ مِنْ عَصَبٍ وَعَظْمٍ وَقُوَّةٍ فَمِنْ نُطْفَةِ الرَّجْلِ وَمَا كَانَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَشَعْرٍ فَمِنْ مَاءِ الْمَرْأَةِ.
وَجَمَعَ الْأَمْشَاجَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَوْصَافِ فِي الْمَاءَيْنِ مِنْ رَقَّةٍ وَثَخْنٍ وَتَلَوْنٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
وَأَصْلُ النُّطْفَةِ الْمَاءُ الصَّافِي قَلٌّ أَوْ كَثُرٌ.

﴿تَبْتَلِيهِ﴾: نَخْتَبِرُهُ بِالتَّكْلِيفِ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَوْ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ أَيُّ مُرِيدِينَ ابْتِلَاءَهُ،
﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فِرَادَةُ الْإِبْتِلَاءِ سَبَبٌ لَجَعْلِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا، وَجَعَلَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا
سَبَبٌ لِلْإِبْتِلَاءِ بِالْفِعْلِ أَيُّ بِالتَّخْيِيرِ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَنْفَعُ الْحَوَاسِّ، وَقَدَّمَ السَّمْعَ لِأَنَّهُ
أَنْفَعُ فِي الْمَخَاطَبَاتِ، وَلِأَنَّ الْآيَاتِ الْمَسْمُوعَةَ أَبْيَنُ مِنَ الْآيَاتِ الْمُرْتِيَّةِ، وَلِأَنَّ الْبَصَرَ يَعْمُ
الْبَصِيرَةَ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ الْجَمِيعَ، فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ، أ.هـ. مِنَ الْجَلَالَيْنِ
وَحَاشِيَتِهِ لِلصَّائِي بِنُوعِ اخْتِصَارِ وَزِيَادَةِ بَعْضِ إِيْضَاحٍ [٤/٢٩٨-٢٩٩].

والحواس جمع حاسة، وهي مشاعر الإنسان الخمس، السمع والبصر والشَّم والذوق
واللَّمس، وهي فيما أحسب من حسَّ يُحسُّ بالشيء من باب رَدَّ حَسًّا وحَسًّا بالكسر والفتح
وحَسِيصاً إذا فَطِنَ له وأدركه وعلمه وعرفه وشعر به، كما أن المَشاعِرَ من شَعَرَ بالشيء
كنَصَرَ وكَرَمَ، والأولى - أعني المفتوحة العين - هي الفصيحة - إذا عَقَلَه وفَطِنَ له وعلمَ
به وتنبَّه له، والله أعلم.

«مِنْ جَذَبِ الْبُرَى»، الجذب: المدُّ والشدُّ والسحب والجرُّ كالجذب، وبأبهما صَرَبَ، قال
في اللسان: «قال سيبويه: جَذَبَهُ: حَوَّلَهُ عن موضعه: واجتَذَبَهُ: اسْتَلَبَهُ، وقال ثعلب: قال
مُطَرِّفٌ - قال ابن سيده: وأراه يَعْنِي مطرّف بن الشُّخَيْرِ^(١) - : وجدتُ الإنسان مُلْقَى بين
الله وبين الشيطان فإن لم يَجْتَذِبْهُ اللهُ إليه جَذَبَهُ الشيطان، قال: وجاذبه كجَذَبَهُ، وقوله:

ذَكَرْتُ وَالْأَهْوَاءُ تَدْعُو لِلْهَوَى وَالْعَيْسُ بِالرُّكْبِ يُجَاذِبُنَ الْبُرَى
قال: يكون يُجَاذِبُنَ هنا في معنى يَجْذِبُنَ، وقد يكون للمباراة والمنازعة، فكأنه يُجَاذِبُنَ
الْبُرَى»، كذا في اللسان [جذب]. وفيه أيضاً: «وَجَذَبَ فلان حبلَ وصاله وجَذَمَهُ بالباء
والميم، أي قطعَه، وجَذَابٍ مَبْنِيَّةٌ عَلِمٌ لِلْمَنِيَّةِ لأنها تَجْذِبُ النفوسَ، وقولهم: سِيرٌ جَذْبٌ أي
سريع، قال:

قَطَعْتُ أَخْشَاهُ بِسِيرٍ جَذْبٍ

وقوله: «أَخْشَاهُ» في موضع الحال، أي خاشياً له، وقد يجوز أن يريد بأخشاه أَخْوَفَهُ،
يعني أشدَّه إخافة، فعلى هذا ليس له فعلٌ «أه لسان [جذب].

وفي التاج: «جَذَبَ الشَّيْءَ يَجْذِبُهُ بالكسر جَذْباً، وجَبَذَهُ على القلب لغَةً تَمِيمٌ مَدَّهُ
كاجتَذَبَهُ، وقد يكون ذلك في العَرَضِ، وعن سيبويه «جَذَبَهُ: حَوَّلَهُ عن موضعه واجتَذَبَهُ:
استَلَبَهُ كجاذبه، وقوله الشاعر:

(١) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير، أحد التابعين، توفي ٩٥هـ.

ذَكَرْتُ وَالْأَهْوَاءُ تَدْعُو لِلْهَوَى وَالْعَيْسُ بِالرَّكْبِ يُجَاذِبْنَ الْبُرَى
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى يَجْذِبْنَ أَوْ بِمَعْنَى الْمُبَارَاةِ وَالْمَنَارَعَةِ، وَجَذَبَ فُلَانٌ حَبْلًا وَصَالَهُ:
قَطَعَهُ» [جذب]. وفي الأساس: «ومن المجاز جَذَبَ فُلَانٌ الْحَبْلَ بَيْنَنَا إِذَا قَاطَعَ» ا.هـ. وفي
التاج: «وفي الأساس: جَذَبَ الْحَبْلَ وَغَيْرَهُ وَاجْتَذَبَهُ: مَدَّهُ، وَجَاذَبَهُ الثَّوبَ وَتَجَاذَبَوْهُ، وَمَنْ
الْمَجَازُ جَذَبَ الْمُهْرَ عَنِ أُمِّهِ: فَطَمَهُ، وَجَذَبَ فُلَانٌ الْحَبْلَ بَيْنَنَا إِذَا قَاطَعَ، وَتَجَاذَبُوا أَطْرَافَ
الْكَلَامِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُجَاذَبَاتٌ ثُمَّ اتَّفَقُوا»، أَي مَنَارَعَاتٌ وَنَخَاصِمَاتٌ.

وفي مادة (ج ذ م) من اللسان: «الجذم: القطع، جَذَمَهُ يَجْذِمُهُ جَذْمًا: قَطَعَهُ فَهُوَ جَذِمٌ،
وَجَذَمَهُ فَانْجَذِمَ وَتَجَذَّمَ، وَجَذَبَ فُلَانٌ حَبْلًا وَصَالَهُ وَجَذَمَهُ إِذَا قَطَعَهُ، قَالَ الْبَعْيْثُ: أَلَّا
أَصْبَحْتُ خَنَسَاءُ جَاذِمَةَ الْوَضِلِ وَرَجُلٌ مَجْذَامٌ وَمِجْذَامَةٌ: قَاطِعٌ لِلْأُمُورِ فَيَصِلُ، وَقَالَ
اللَّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ مِجْذَامَةٌ لِلْحَرْبِ وَالسَّيْرِ وَالْهَوَى أَي يَقْطَعُ هَوَاهُ وَيَدْعُهُ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ:
«رَجُلٌ مِجْذَامَةٌ أَي سَرِيعُ الْقَطْعِ لِلْمُودَّةِ، وَأَنشَدَ ابْنُ بَرِي:

وَإِنِّي لَبَاقِي الْوُدِّ مِجْذَامَةٌ الْهَوَى إِذَا الْإِلْفُ أَبَدَى صَفْحَةً غَيْرَ طَائِلِ

وقال أيضاً: والجذم والحثم: القطع، والانجذام: الانقطاع، قال النابغة: [ديوانه ٦١]

بَأْتَتْ سَعَادٌ فَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْجَذَمًا وَاحْتَلَّتْ الشَّرِيعَ فَلَا جِرَاعَ مِنْ إِضْمًا

ا.هـ لسان [جذم].

والحثم بالحاء المهملة أيضاً القطع، فالجذم والحثم والحذم بالجيم والخاء والحاء
والذال معجمةً فيهنَّ بمعنى القطع، وباب الكلِّ صَرَبَ، ومعنى المدُّ الذي ذكره بإزاء
الجذب يظهر لك من قول السيد المرتضى في التاج: «مددت الشيء: جذبته، والمدُّ: المطل،
وقال المصنّف في البصائر: أصل المدُّ جرُّ شيء في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة،
وفي حديث عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه: «قائل كلمة الزور والذي يمدُّ بحبلها في الإثم
سواءً»، مثل قائلها بالماتح الذي يملأ الدلو في أسفل البئر وحاكها بالماتح الذي يجذب

الحبل على رأس البئر ويمدّه، ولهذا يقال: الراوية أحد الكاذبين» ا.ه منه [مدد]. وحديث عليّ في اللسان المذكور كما تقدّم بلا زيادة ولا نقص.

وقوله: «المطل» في اللسان: «المطل: التسويف والمدافعة بالعدة والدين وليّانه، مطّله حقّه وبه يمّطّله وامتطّله وماطّله به مماطّلة ومطّالاً، ورجل مطّول ومطّال، وفي الحديث: «مطلّ الغنيّ ظلم» [البخاري: ٢٢٧٨]، (قوله [لوا]: وليّانه، فيه «لواه دينه وبه ليّاً وليّاً وليّاناً، قال ذو الرّمّة في اللّيان: [ديوانه ١٣٠٦]

تطيلين ليّاني وأنّ مليّة وأحسن يا ذات الوشاح التّقاضيا
قال أبو الهيثم: لم يجي من المصادر على فعّلان إلاّ ليّان، وحكى ابن بري عن أبي زيد
قال: ليّان بالكسر لغيّة، وفي حديث المطلّ: «أي الواجد يُجِلُّ عِرْضَه وعقوبته، ا.ه منه)، ثم
قال: «والمطلّ: المدّ، يقال: مطّّل الحبل وغيره يمّطّله مطّلاً فامطّّل، ومطّّل الحديدية: ضربها ومدّها لتطول».

وقال أيضاً: «مطلّ الحديدية يمّطّلهَا مطّلاً: ضربها ومدّها وسبّكها وأدارها ثم طبعها
فصاعها بيضةً، وهي المطّيلة، وكذلك الحديدية تُذاب للسيوف ثم تُحمى وتُضرب وتُمدّد
وتُرَبّع ثم تُطَبّع بعد المطل فتجعل صفيحة، وكلُّ ممدود ممطول، والمطلّ في الحقّ والدين
مأخوذ منه، وهو تطويل العدة التي يضرها الغريم للطالب» ا.ه لسان [مطل].

وهو واضح جليّ، اللهمّ أطلعنا على حقائق الأشياء ودقائقها، وعلمنا علماً لا يُغيره
شكٌّ ولا تذهب به شُبّهة.

وفي المصباح: «جذبته جذباً من باب صَرَب، وجذبتُ الماء نفساً أو نفسين أو صلّته إلى
الحياشيم، وتجاذبوا الشيء مجاذبة: جذبَه كلُّ واحدٍ إلى نفسه» ا.ه منه [جذب].

وقوله: «نفساً أو نفسين» قال في اللسان: «يقال للرجل إذا كَرَعَ في الإناء نفساً أو
نفسين: جذبَ منه نفساً أو نفسين».

وقوله: «الحياشيم» جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف، ومنهم من يطلقه عليه كله، وقوله: «مُجاذبة» كذا فيه، والقياس يقتضي تجاذباً، لأن المجاذبة مصدر جاذب، وأما مُجاذب فمصدره التَّجاذب، قال في اللسان: «التجاذب: التنازع»، وعن اللسان أيضاً: «النَّفس: خروج الرِّيح من الأنف والفم، وكلُّ تَرُوح بين شربتين نَفْس، والتننُّس: استمداد النَّفس، وكلُّ ذي رئة مُتنفِّس، ودوابُّ الماء لا رئات لها، والنفس أيضاً: الجرعة، يقال: اكرع في الإناء نفساً أو نفسين أي جرعة أو جرعتين، والجمع أنفاس كسبب وأسباب، قال جرير: [ديوانه ٩٧]

تُعَلَّلُ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَّاحِ
قال محمد بن المكرم: قوله: النفس: الجرعة واكرع في الإناء نفساً أو نفسين أي جرعة أو جرعتين فيه نظراً، وذلك أن النفس الواحد يجرع الإنسان فيه عدة جرع، يزيد وينقص على قدر طول نفس الشارب وقصره، حتى إننا نرى الإنسان يشرب الإناء الكبير في نفس واحد على عدة جرع، ويقال: شرب الإناء كله على نفس واحد.. والله أعلم» انتهى منه [نفس].
وفي المختار [جذب]: «الجذب: المدُّ، جذبَه وجذبَه من باب ضَرَبَ، واجتذبه أيضاً وبينني وبين المنزل جذبة أي بعداً» ا.هـ.

وفي اللسان: «عن ابن شميل: بيننا وبين فلان نبذة وجذبة، أي هم منا قريب، ويقال: بينني وبين المنزل جذبة، أي قطعة، يعني «بعداً»» ا.هـ.

ومثله في التاج، والظاهر أن الجذبة من الأضداد، وتُستعملُ في البعد والقرب، إلا أنه لو كان كذلك لنص عليه في التاج أو في اللسان، أو لعلها اكتفياً بكون التضاد ظاهراً، فلم يُقيداه بأنه ضدُّ، ولا يُنافي هذا تقييدهما كغيرهما أكثر الأضداد بذلك، والله أعلم.

«البرى»، قال الفيومي صاحب المصباح فيه: «البرة محذوفة اللام هي حلقة تُجعل في أنف البعير، تكون من صُفْر ونحوه، والخشاش من خشب والحزامة من شعر، وأبريتُ البعير بالألف: جعلتُ له برة» [برى] ا.هـ.

وفيه: «الصُّفْرُ بالضمِّ كقُفْلٍ، وكسْرُ الصَّادِ لَغَةٌ: النَّحَاسُ» ا.هـ، وفيه: «الخَشَّاشُ: عُودٌ يُجْعَلُ فِي عَظْمِ أَنْفِ البَعِيرِ، وَالْجَمْعُ أَخِشَّةٌ، كَسِنَانٍ وَأَسِنَّةٍ وَخَشَّاشِ الأَرْضِ بِالْفَتْحِ، وَالْكَسْرُ لَغَةٌ: دَوَابُّهَا وَالوَاحِدَةُ خَشَّاشَةٌ، وَهِيَ الحِشْرَةُ وَالهَامَّةُ» [خشش] ا.هـ.

وفيه: «الْحِزَامَةُ بِالْكَسْرِ: مَا يُعْمَلُ مِنَ الشَّعْرِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَثْقُوبِ الأَنْفِ مَخْرُومٌ، وَجَمْعُ الحِزَامَةِ حِزَامَاتٌ وَخِزَائِمٌ» ا.هـ منه [خزم].

وفي اللسان: «البُرَّةُ: الحَلْقَةُ فِي أَنْفِ البَعِيرِ، وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: هِيَ الحَلْقَةُ مِنْ صُفْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، تُجْعَلُ فِي لَحْمِ أَنْفِ البَعِيرِ، وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: تُجْعَلُ فِي أَحَدِ جَانِبَيْ المَنْخَرَيْنِ، وَبَرَوْتُ النَّاقَةَ وَأَبْرَيْتُهَا: جَعَلْتُ فِي أَنْفِهَا بُرَّةً، فَهِيَ مَبْرُوءَةٌ وَمُبْرَأَةٌ، وَشَاهِدُ الثَّانِيَةِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الجَعْدِيِّ:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَأَةً نَحَالٌ ضُلُوعَهَا مِنْ المَاسِخِيَّاتِ القِيسِيِّ المَوْتَرَا
وَكُلَّ حَلْقَةٍ مِنْ سِوَارٍ وَقُرْطٍ وَخَلْخَالٍ وَمَا أَشْبَهَهَا بُرَّةً، وَقَالَ:

وَقَعَّقَعْنَ الحَلَالَخِلَ وَالبُرَيْنَا

تَقَعَّقَعْنَ: اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ، وَقَعَّقَعْتُهُ أَنَا، وَالمَاسِخِيَّاتُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «مَاسِخَةٌ: اسْمُ رَجُلٍ مِنَ الأَزْدِ، وَالمَاسِخِيَّةُ: القِيسِيُّ، مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَهَا»، قَالَ: «والمَاسِخِيُّ: القَوَّاسُ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: زَعَمُوا أَنَّ مَاسِخَةَ رَجُلٍ مِنَ الأَزْدِ السَّرَّاءِ، كَانَ قَوَّاسًا، قَالَ ابْنُ الكَلْبِيِّ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَ القِيسِيُّ مِنَ العَرَبِ، قَالَ: وَالقَوَّاسُونَ وَالنَّبَّالُونَ مِنْ أَهْلِ السَّرَّاءِ كَثِيرٌ لِكثْرَةِ الشَّجَرِ بِالسَّرَّاءِ، قَالُوا: فَلَمَّا كَثُرَتِ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ وَتَقَادَمَ ذَلِكَ قِيلَ لِكُلِّ قَوَّاسٍ:

مَاسِخِيٌّ، وَفِي تَسْمِيَةِ كُلِّ قَوَّاسٍ مَاسِخِيًّا قَالَ الشَّيْخُ فِي وَصْفِ نَاقَتِهِ: [ديوانه ٤٢٩]

عَنَّسْ مَذَكَّرَةٌ كَأَنَّ ضُلُوعَهَا أُطِرَّ حَنَاهَا المَاسِخِيُّ بِيَثْرِبِ

والمَاسِخِيَّاتُ: القِيسِيُّ، نِسْبَةٌ إِلَى مَاسِخَةَ، قَالَ الشَّيْخُ بَنِ ضَرَّارٍ:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَأَةً نَحَالٌ ضُلُوعَهَا مِنْ المَاسِخِيَّاتِ القِيسِيِّ المَوْتَرَا

أَرَادَ بِالمُبْرَأَةِ نَاقَةَ فِي أَنْفِهَا بُرَّةً» ا.هـ لسان [مسخ].

وقوله: «عَنْسٌ» إلخ، «العَنْسُ: الناقة القويّة الضخمة التامة السنّ المشتدّة القوّة الوافرة العظام والأعضاء، وقال ابن الأعرابي: العَنْسُ: البازل الصُّلبة من النوق، وأصل العَنْس الصَّخْرَةُ، فشُبِّهت الناقةُ بها لصلابتها كما شُبِّهت بالعلّاء، وهي سندان الحدّاد الذي يدقُّ عليه الحديد، ويقال لها: زُبْرَةُ الحدّاد، وهي قطعة ضخمة من الحديد يُطْرَق عليها الحديد، قال الراجز: [ديوان العجاج ٢ / ١٩٥]

كم قد حَسَرْنَا مِنْ عَلَاةٍ عَنْسٍ

أي طالما أتعبنا ناقةً شديدة قويّة، كأنها قطعة حديد ضخمة أو جُلمود صخر صلد.

والمذكّرة: الناقة الشبيهة بالذكر أي بالجمل في الخلق والخلق، ومثلها الجماليّة الشبيهة

بالجمل في عِظَم الخلق، قال ذو الرُّمة يصف ناقة: [ديوانه ٤٧١]

جَمَالِيَّةٌ حَرْفٌ سِنَادٌ يَشْلُهَا وَظَيْفٌ أَرْجُ الحَطْوِ ظَمَانٌ سَهَوُوقُ

قال في اللسان في مادة (ز ج ج): «جَمَالِيَّةٌ أي عظيمة الخلق كأنها جمل، وحَرْفٌ قويّة،

وَسِنَادٌ: مُشْرِفة، وَأَرْجُ الحَطْوِ: بعيده واسعه، والوَظَيْفُ: عِظَم الساق، والسَّهَوُوقُ: الطويل،

ويشْلُها: يَطْرُدُها» ا.هـ. «وفي قصيدة كعب: [شرح بانت سعاد ٢٣٢]

عَلْبَاءُ وَجَنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفْهَاسَعَةٍ قُدَّامُهَا مَيْلُ

وهي عَلْبَاءٌ وهو أَعْلَبٌ، وفي حديث ابن ذي يَزَنَ:

بَيْضُ مَرَازِبَةٍ عُلْبٌ جَحَاجِحَةٌ

قال محمد بن مكرم: «وهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها، قال كعب:

عَلْبَاءُ وَجَنَاءُ إلخ» [اللسان (غلب)].

«والوَجَنَاءُ: التامة الخلق الغليظة لحم الوجنة، وهي أعلى الخد، مشتقة من الوَجِين

التي هي الأرض الصُّلبة أو الحجارة» كذا في اللسان [وجن]، وقيل: الوَجَنَاءُ غير ذلك.

والعُلْكُومُ: الغليظة الخلق الموثقة، وقيل: الجَسِيمة السَّمِينة، وعَلَكَمْتُها عِظَمُ سَنَامِها [علكم].

في دَفَّها: أي في جانبها، قال في اللسان [ذفف]: «دَفًّا البعير: جَنَباه»، «قَدَامُها مِيلٌ» كنايةً عن طُول عُنُقِها، وأصلُ المِيلِ: المسافة التي يكون مقدارُها مَدَى البصر، في المصباح: «وعند القدماء من أهل الهَيْئَةِ ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلافُ لفظيٌّ، لأنهم اتَّفَقوا على أن مقداره سِتَّةٌ وتسعون ألفَ إصْبِعٍ، والإصْبِعُ سِتُّ شُعيرات، بَطْنُ كُلِّ واحدةٍ إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع: اثنتان وثلاثون إصْبِعاً، والمحدثون يقولون: أربعٌ وعشرون إصْبِعاً، فإذا قُسم المِيلُ على رأي القدماء كُلُّ ذراع اثنين وثلاثين كان المتحصَّلُ ثلاثة آلاف ذراع، وإن قُسم على رأي المحدثين أربعاً وعشرين كان المتحصَّلُ أربعة آلاف ذراع.

والفرَسُخ عند الكلِّ ثلاثة أميال، وإذا قُدر المِيلُ بالغلَّوات وكانت كُلُّ غَلْوَةٍ أربعاً مائة ذراع كان ثلاثين غَلْوَةً، وإن كان كُلُّ غَلْوَةٍ مائتي ذراع كان ستين غَلْوَةً.

ويقال للأعلام المبنية في طريق مكة أميالاً لأنها بُنيت على مقادير مَدَى البصر من المِيل إلى المِيل، وإنما أُضيفَ إلى بني هاشم فقيلاً: المِيلُ الهاشميُّ لأن بني هاشم حدَّدوه وأعلَمَوه»
 ١. هـ من المصباح [ميل]. وقوله: [أي الشاخ]

أَطَّرَ حَنَاها الماسِخِي بِيَثْرِبِ

أراد بالأَطَّرَ القياس، من أَطَّرَ الشياءَ يَأْطِرُها ويَأْطِرُها أَطْراً إذا حَنَاها وعَطَفَها وَأَطَّرَها تَأْطِيراً كذلك فأنأَطَّرَ وتَأْطَّرَ أي انعطف وانحنى وانثنى، قال أبو زيد: أَطَّرْتُ القوسَ أَطَّرَها أَطْراً إذا حنيتها.

ولنرجع إلى تفسير البري، قال في التاج: «البُرة: الخَلخال، حكاها ابن سيده فيما يكتب بالياء، وفي الصحاح: كُلُّ حَلْقَةٍ من سِوارٍ وفُرْطٍ وخَلخالٍ وما أشبهها بُرَّةً، والجمع بُراتٌ بالتاء المطوَّلة كما هو نصُّ المحكم والصحاح، وبُرَيْنٌ بالضمِّ وبُرَيْنٌ بالكسر، وأنشد الجوهريُّ: وَقَعَقَعَنَ الخَلخالِ والبُرَيْنِ

قال: والبُرة: حلقة في أنف البعير، وقال اللحياني: من صُفِر، أي نُحاسٍ بضم الصاد وكسرها وغيره، وقال ابن جنِّي: من فضة أو صُفِر تُجعل في أنفها إذا كانت رقيقة معطوفة الطرفين، قال شيخنا: كأنهم يقصدون بها الزينة أو التذليل أو تُجعل في لحمه أنفه، وقال الأصمعيُّ: تُجعل في أحد جانبي المنخرين، قال: وربما كانت البُرة من شعر فهي الخِزامة، والجمع بُرى كخُصلة وخُصل وغُرْفَة وغُرْف؛ لأن أصل البُرة بُرّوة، وبروتُ الناقة وأبريتُها: جعلت في أنفها بُرّة، قال الجوهريُّ: خششتُ الناقة وعرنتُها وخزمتُها وزممتُها وخطمتُها وأبريتُها، هذه وحدها بالألف، فهي مُبراة، قال الشاعر وهو الجعديُّ:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَاةً تَحَالَ ضُلُوعَهَا مِنْ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسِيِّ الْمَوْتَرَا

ا.هـ تاج [بر]ا، وقد تقدّم هذا البيت مشروحة ألفاظه قريباً.

قوله: «خَشَشْتُ...» إلخ، «حَشَّ البعيرَ يُحَشُّه حَشًّا: أدخل في أنفه الخِشَّاش، وهو عُوْدٌ يُجعل في أنف البعير يُشدُّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده، ومنه: «خُشُوا بين كلامكم لا إله إلا الله»، أي أدخلوا، وقال الجوهريُّ: «الخِشَّاش: هو الذي يُدخل في عظم أنف البعير، وهو من خشب، والبُرة من صُفِر أي نحاسٍ، والخِزامة من شعر، وقال الأصمعيُّ: الخِشَّاش: ما كان في العظم إذا كان عوداً، والعِران: ما كان في اللحم فوق الأنف، وعَرََنَ البعيرَ من بايٍ ضَرَبَ ونَصَرَ عَرْنًا: وضع في أنفه العِران لعودٍ يُجعل في وتره أنفه، وهي ما بين المنخرين، وقال الأصمعيُّ: الخِشَّاش: ما يكون من عُوْدٍ أو غيره، يُجعل في عظم أنف البعير، والعِران: ما كان في الأنف فوق اللحم» كذا في التاج [خشش].

وهو مخالف لما نقله آناً عن الأصمعيِّ في كون الخِشَّاش من خشب: ولعلَّ تقييده

بقوله: «من خشب» لا مفهوم له فليتأمل.

و«خَزَمَهُ يُخَزِمُهُ خَزَمًا: شَكَّه، وخَزَمَ البعيرَ: جعل في جانب منخره الخِزامة، ككتابة، وهي حلقة من شعر تُجعل في وتره أنفه يُشدُّ بها الزمام، وقال الليث: إن كانت من صُفِر

فهي بُرّة، وإن كانت من شعر فهي خِزامة، وقال شمر: الخِزامة إذا كانت من عَقَب فهي ضانّة [خزم].

وفي مادة (ض و ن) منه: «الضّانة غيرُ مهموز: البُرّة التي يُبرى بها البعيرُ إذا كانت من صُفر، قال ابن سيده: وقضينا أنّ ألفها واو لأنّها عين» ا.هـ.

وفي اللسان: «العَقَب: العَصَب الذي تُعملُ منه الأوتارُ، الواحدة عَقَبَة، وفي الحديث: «أنّه مَضَع عَقَباً وهو صائم»، قال ابن الأثير: هو بفتح القاف: العَصَب، والعَقَب من كلِّ شيء: عَصَب المَتْنِ والساقين والوظيفين يَخْتَلط باللحم، يُمَشَّق منه مَشَقاً ويُهَذَّب ويُنَقَى من اللحم ويُسَوَّى منه الوترُ، واحدته عَقَبَة، وقد يكون في جنبي البعير، والعَصَب: العِلْبَاء الغليظ، لا خيرَ فيه، والفرق بين العَقَب والعَصَب أن العَصَب يَضْرِبُ إلى الصُّفْرَة، والعَقَب يَضْرِبُ إلى البياض، وهو أصلبها وأمتنّها، وعَقَب الشيء يَعْقِبُهُ وَيَعْقِبُهُ عَقَباً وعَقَبَهُ: شدّه، وعَقَب السهمَ والقِدْحَ والقوسَ عَقَباً: لَوَى شيئاً من العَقَب عليه» ا.هـ لسان [عقب].

وقوله: يُمَشَّق منه مَشَقاً، قال في اللسان: «مَشَق القِدْحُ مَشَقاً: حُمِلَ عليه في البرّي لِيَدُق، والمَشَق: جذبُ الشيء لِيَمْتَدَّ وَيَطُول، والسَيْرُ يُمَشَّقُ حتى يَلِين، والوترُ يُمَشَّقُ حتى يَلِين وَيُجوف كما يَمَشَّقُ الخِيَّاطُ خِيَطَهُ بِخُرَيْقَة، ومَشَقَ الوترَ: جذبَهُ لِيَمْتَدَّ، وقال ابن شميل: الشَّرْعَة أَقْلُ الأوتارِ وَأشدُّها مَشَقاً، والمَشَقُ أن يَلحمَ وَيَقشرَ حتى يَسقطَ كُلُّ سَقَطٍ مِنْهُ، وذلك أن العَقَبَ يُؤخَذُ مِنَ المَتْنِ وَيُحَالطُهُ اللحمُ فَيَبْسُ، ثم يُنْسَطُ حتى لا يَبقى فِيهِ إِلَّا مُشَاقُ العَقَبِ وَقَلبُهُ، وقد هَذَبُوهُ مِنْ أَسقاطِهِ كُلِّها، ومُشَاقُ العَقَبِ أَجودُهُ، قال: العَقَبُ فِي الساقينَ وَفِي المَتْنِ، وما سواهما فَإِنِما هُوَ العَصَبُ، قال: وَالعِلْبَاءُ: عَصَبَةٌ لا يَكُونُ مِنْهُ وَترٌ، ولا خَيْرَ فِيهِ» [مشق] ا.هـ.

وقوله: «زَمَّتْها وَخَطَمَتْها»، «زَمَّ البعيرَ وَالناقَةَ يَزُمُّها زَمّاً: عَلَّقَ عَلَيْها الزِّمامَ، وَهُوَ الحَبْلُ الَّذِي يُجْعَلُ فِي البُرّةِ وَالخَشَبَةِ، وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ: الزِّمامُ: الحِيطُ الَّذِي يُشَدُّ فِي البُرّةِ أَوْ فِي الخِشاشِ، ثُمَّ يُشَدُّ فِي طَرَفِهِ المِقوَدُ، وَقَدْ يُسَمَّى المِقوَدُ زِمَماً».

والمقود، قال في التاج: «ما يُقادُ به، مثل القياد بالكسر، قال: وفي الصحاح: المقود: الحبل يُشدُّ في الزمام أو اللجام تُقادُ به الدابة، والمقود أيضاً: خيط أو سير يُجعل في عنق الكلب أو الدابة يُقادُ به»^١. هـ تاج [قود].

وخطمت البعيرَ أخطمهُ من باب ضرب: جعلتُ الخطامَ على أنفه، قال في اللسان: «روى عبد الرحمن بن القاسم^(١) عن أبيه، قال: أوصى أبو بكر أن يُكفَّن في ثوبين كانا عليه، وأن يُجعل معهما ثوبٌ آخر، فأرادت عائشة أن تبتاع له أثواباً جُددًا فقال عمر: لا يُكفَّن إلا فيما أوصى به فقالت عائشة: يا عمر والله ما وضعتُ الخطمَ على أنفنا، فبكى عمر وقال: كفني أباك فيما شئت، قال شمر: معنى قولها: «ما وضعتُ الخطمَ على أنفنا» ما ملكتنا بعدُ فتنهانا أن نصنع ما نريد في أملاكنا.

والخطم جمع خطام، وهو الحبل الذي يُقاد به البعير، ويقال للبعير إذ غلب أن يُخطم: منع خطامه، قال الأعشى: [ديوانه ٣٠١]

أرادوا نَحَتَ أَثْلَتِنَا وَكَنَّا نَمْعَ الْخُطَامِ

قال ابن سيده: والخطام: كلُّ ما وُضع في أنف البعير ليُقَادَ به، والجمع خُطَم، وخطم به يُخطمُه خطأً وخطمَه: جعله على أنفه، وكذلك إذا حَزَّ أنفه حَزًّا غيرَ عميق ليضع عليه الخطام، وناقة مخطومة ونوق مخطمة، وقال ابن الأثير: خطامُ البعير أن يؤخذ حبلٌ من لِينف أو شعر أو كتان فيُجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يُشدُّ فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يُقلد البعيرَ ثم يثنى على مخطمته، وأما الذي يُجعل في الأنف دقيقاً فهو الزمام، وقال ابن شميل: الخطام: كلُّ حبلٍ يُعلق في حلق البعير ثم يُعقد على أنفه كان من جلد أو صوف أو لِينف أو قنب، ثم قال بعد: فإذا ضُفِر من الأدم فهو جرير، وقيل: الخطام: الحبل يُجعل في طرفه حلقة ثم يُقلد البعيرَ ثم يثنى على مخطمته، قال: وخطمَه بالخطام: علَّقه في حلقة ثم

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي بالولاء، أبو عبد الله، فقيه مالكي، توفي ١٩١هـ.

ثَنَاهُ عَلَى أَنْفِهِ، وَلَا يُثَقَّبُ لَهُ الْأَنْفُ، وَالْحَطْمُ بِالْفَتْحِ وَالْمَخْطُمُ كَمَجْلِسٍ وَالْمِخْطَمُ كَمَنْبَرٍ:
الْأَنْفُ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: يُقَالُ لِلأُنُوفِ الْمَخَاطِمُ، وَاحِدُهَا مَخْطِمٌ بِكَسْرِ الطَّاءِ «ا.هـ.
لسان [خطم]. وفي المصباح: «مَخْطِمٌ وَمَخَاطِمٌ كَمَجْلِسٍ وَمَجَالِسٍ».

وقوله: الْجَرِيرُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ حَبْلٌ يُجْعَلُ لِلْبَعِيرِ بِمَنْزِلَةِ الْعِدَارِ لِلدَّابَّةِ غَيْرِ الزَّمَامِ، وَبِهِ
سُمِّيَ الرَّجُلُ جَرِيرًا، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الصَّحَابَةَ نَارَعُوا جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زِمَامَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «خَلُّوا بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْجَرِيرِ» أَي دَعُّوا لَهُ زِمَامَهُ، فَيَا لِلَّهِ مَا أَحْلَى كَلَامَهُ وَأَبْدَعَ سَبْكَهُ وَنِظَامَهُ،
اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيْهِ مُنْتَهَى عِلْمِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. قَالَ النَّاظِمُ:

٤٩- يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَبِالضُّحَى يَطْفُونَ فِي الْأَلِ إِذَا الْأَلُ طَفَا

«يَرْسُبْنَ» مِنَ الرَّسُوبِ: الذَّهَابُ سُفْلًا، قَالَ فِي النَّجَاحِ: «رَسَبَ الشَّيْءُ فِي الْمَاءِ كَنَصَرَ
وَكَرُمَ رُسُوبًا: ذَهَبَ سُفْلًا، وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ يَصِفُ أَهْلَ النَّارِ: «إِذَا طَفَّتْ بِهِمِ النَّارُ
أَرَسَبْتَهُمُ الْأَغْلَالَ»، أَي إِذَا رَفَعْتَهُمْ وَأَظْهَرْتَهُمْ حَطَّتْهُمُ الْأَغْلَالُ بِثِقَلِهَا إِلَى أَسْفَلِهَا» كَذَا فِي
النَّجَاحِ، وَمِثْلُهُ فِي اللِّسَانِ [رَسَبَ].

وَمَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ الْمَارَّ «طَفَّتْ بِهِمُ»: عَلَتْ وَارْتَفَعَتْ بِهِمُ، قَالَ فِي الْمِصْبَاحِ: «طَفَا
الشَّيْءُ فَوْقَ الْمَاءِ طَفُوءًا مِنْ بَابِ قَالَ، وَطَفُوءًا عَلَى فُعُولٍ إِذَا عَلَا وَلَمْ يَرْسُبْ، وَمِنْهُ السَّمَكُ
الطَّافِي، وَهُوَ الَّذِي يَمُوتُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَعْلُو فَوْقَ وَجْهِهِ» ا.هـ.

وَفِي اللِّسَانِ: «طَفَا الشَّيْءُ فَوْقَ الْمَاءِ يَطْفُو طَفُوءًا وَطَفُوءًا: ظَهَرَ وَعَلَا وَلَمْ يَرْسُبْ، وَفِي
الْحَدِيثِ أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ» [البخاري: ٦٩٩٩]، وَسُئِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ
عَنْ تَفْسِيرِهِ فَقَالَ: الطَّافِيَةُ مِنَ الْعَنْبِ: الْحَبَّةُ الَّتِي قَدْ خَرَجَتْ عَنْ حَدِّ نَيْتَةِ أَخْوَاتِمِهَا مِنَ الْحَبِّ
فَتَنَّتْ وَظَهَرَتْ وَارْتَفَعَتْ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْحَبَّةَ الطَّافِيَةَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، شَبَّهَ عَيْنَهُ بِهَا،
وَمِنْهُ الطَّافِيُ مِنَ السَّمَكِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلُو وَيُظْهِرُ عَلَى رَأْسِ الْمَاءِ «ا.هـ لسان [طفا]. فَمَعْنَى
«يَرْسُبْنَ» يَغْرُقْنَ.

«في بَحْرِ الدُّجَى»، أي في الدُّجَى الذي كالبحر في تراكم بعضه على بعض وتكاثفه، والدُّجَى جمع دُجِيَّة، وهذه الكلمة واوِيَّة وياثِيَّة بتقارب المعنى، كذا في اللسان. قال: «والدُّجِيَّة: الظُّلْمَة، والدِّيَاجِي كالدُّجَى، وفي حديث عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه ورضي اللهُ عنه: «يُوشِكُ أَنْ يَعْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمَهُ»، أي ظُلْمُهَا، واحداها داجية، ودَيَاجِي الليل: حنَادِسُهُ، كأنه جمع دَيَاجِيَة».

وفي أول المادة من اللسان: الدُّجَى: سوادُ اللَّيْلِ مع غَيْمٍ وأن لا تَرَى نَجْمًا ولا قمرًا، وقيل: هو إذا ألبَسَ كُلَّ شيءٍ، وليس هو من الظُّلْمَة، وقالوا: ليلة دُجَى ويليالٍ دُجَى، لا يُجمع لأنه مصدر وُصف به، وقد دَجَا اللَّيْلُ يَدْجُو دَجْوًا ودُجْوًا فهو داجٍ ودَجِيٌّ، وكذلك أَدَجَى وتَدَجَى، قال ليبيد: [ديوانه ١٨٠]

واضِبُ اللَّيْلِ إِذَا رُمْتَ السُّرَى وَتَدَجَى بَعْدَ فَوْرٍ وَاَعْتَدَلْ
فَوْرْتُهُ: ظُلْمَتُهُ، وَتَدَجِيَّة: سَكُونُهُ، وَشَاهِدُ «أَدَجَى اللَّيْلُ» قَوْلُ الْأَجْدَعِ الْهُمْدَانِي:
إِذَا اللَّيْلُ أَدَجَى وَاسْتَقَلَّتْ نَجْوْمُهُ وَصَاحَ مِنَ الْأَفْرَاطِ هَامٌ جَوَاثِمُ
الْأَفْرَاطِ جَمْعُ فُرْطٍ وَهِيَ الْأَكْمَةُ [دجا].

وفي مادة (ف ر ط) منه أيضاً ما نصّه: «الْفَرْطُ بفتح الفاء: الجبل الصغير، وجمعه فُرْطُ، الجوهريُّ: الْفُرْطُ واحدُ الْأَفْرَاطِ، وهي آكام شبيهات بالجبال، يقال: الْبُومُ تَنْوُحُ عَلَى الْأَفْرَاطِ، وقال الْفَرْطُ: الْعَلَمُ الْمُسْتَقِيمُ يُهْتَدَى بِهِ، وَالْفَرْطُ: رَأْسُ الْأَكْمَةِ وَشَخْصُهَا، وَالْجَمْعُ أَفْرَاطٌ وَأَفْرُطٌ، قال ابن بَرَّاقَة:

إِذَا اللَّيْلُ أَدَجَى وَانْفَهَرَّتْ نَجْوْمُهُ وَصَاحَ مِنَ الْأَفْرَاطِ بُومٌ جَوَاثِمُ
وقيل: الْأَفْرَاطُ ههنا تَبَاشِيرُ الصَّبْحِ؛ لِأَنَّ الْهَامَ تَزُقُّوْهُ عِنْدَ ذَلِكَ، قال: وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَنَسَبَ ابْنُ بَرِي هَذَا الْبَيْتَ لِلْأَجْدَعِ الْهُمْدَانِي، وَقَالَ: أَرَادَ كَأَنَّ الْهَامَ لَمَّا أَحَسَّتْ بِالصَّبْحِ صرختُ» اهـ لسان.

وفي التاج: «دَجَا اللَّيْلُ يَدْجُو دَجْوًا بِالْفَتْحِ وَدُجُوًّا كَسْمُوًّا: أَظْلَمَ، فَهُوَ دَاجٍ وَدَجِيٌّ كَأَدَجِيٍّ وَتَدَجَّى، قَالَ الْأَجْدَعُ الْهَمْدَانِي:

إِذَا اللَّيْلُ أَدَجَى وَاسْتَقَلَّتْ نَجْوْمُهُ وَصَاحَ مِنَ الْأَفْرَاطِ هَامٌ جَوَاثِمٌ وَقَالَ لَبِيد:

وَاضْبِطِ اللَّيْلَ إِذَا رُمْتَ السَّرَى وَتَدَجَّى بَعْدَ فَوْرٍ وَاعْتَدَلْ
قِيلَ: أَرَادَ بِتَدَجَّى هُنَا سَكَنَ»، وَفِي اللِّسَانِ [فَوْرًا]: «فَوْرَةُ الْعِشَاءِ: بَعْدُهُ، وَفِي حَدِيثِ
ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا لَمْ يَسْقُطْ فَوْرُ الشَّفَقِ» [مُسْلِمٌ: ٦١٢]، وَهُوَ حُمْرَةُ الشَّمْسِ فِي
الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ، سُمِّيَ فَوْرًا لِسُطُوْعِهِ وَحُمْرَتِهِ» ١.هـ.

وَفِي مَادَّةِ (ث و ر) مِنْهُ أَيْضًا: «وَفِي الْحَدِيثِ: «صَلَاةُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةُ إِذَا سَقَطَ نَوْرُ
الشَّفَقِ» [مُسْلِمٌ: ١٣٥٨]، وَهُوَ انْتِشَارُهُ، وَثَوْرَانُهُ: حُمْرَتُهُ وَمَعْظَمُهُ» ١.هـ).

وَإِذْجَوْجَى اللَّيْلِ: أَظْلَمَ، وَلَيْلَةٌ دَاجِيَةٌ: مَظْلَمَةٌ، وَدِيَاجِي اللَّيْلِ: حِنَادُسُهُ كَأَنَّهُ جَمْعُ دَيْجَاةٍ،
وَ دَجَا الْإِسْلَامُ: قَوِيٌّ وَانْتَشَرَ وَأَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ مَعْنَى «دَجَا اللَّيْلُ» هَدَأَ
وَسَكَنَ، وَالدَّوَّاجِي: الظُّلْمُ وَاحِدُهَا دَاجِيَةٌ، وَأَبُو الدُّجَى كُنْيَةُ عَنْتَرَةَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

أَبُو الدُّجَى حَادِثَةُ اللَّيَالِي

وَفِي التَّاجِ وَاللِّسَانِ [دَجَا]: «الدُّجَا: سَوَادُ اللَّيْلِ مَعَ غَيْمٍ وَأَنْ لَا تَرَى نَجْمًا وَلَا قَمَرًا،
وَقِيلَ: هُوَ إِذَا لَبَسَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَيُقَالُ: لَيْلَةٌ دَجَا وَلَيْالٍ دَجَا، وَلَا يُجْمَعُ
لَأَنَّهُ مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ، وَدَجَا الْإِسْلَامُ: قَوِيٌّ وَانْتَشَرَ وَأَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ» ١.هـ.

وَفِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ: «فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ بَعَثَ عُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرٍ حِينَ أَسْلَمَ النَّاسُ وَدَجَا
الْإِسْلَامُ فَأَغَارَ عَلَى بَنِي عَدِيِّ بْنِ جُنْدُبٍ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، دَجَا الْإِسْلَامُ، أَيَّ شَاعَ وَكَثُرَ، مِنْ
«دَجَا اللَّيْلُ» إِذَا تَمَّتْ ظِلْمَتُهُ وَأَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ وَدَجَا أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّ صَلَحَ، وَمِنْهُ
الْحَدِيثُ: «مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي إِسْلَامٍ دَاجٍ» وَيُرْوَى «دَامِجٍ»، وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلِيٍّ

كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «يُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ» أَي ظُلْمُهَا، وَاحِدَهَا دَاجِيَةٌ، وَقَوْلُهُ: دَاجِيٌّ فِيهِ «مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي إِسْلَامٍ دَاجِيٍّ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»، الدَّاجِيُّ: المَجْتَمِعُ، وَالدُّمُوجُ: دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «بَلْ انْدَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحِثَ بِهِ لِاضْطِرَّتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ»، أَي بَلْ اجْتَمَعَتْ وَانْدَرَجَتْ وَانْطَوَيْتُ عَلَى مَسْتَوْرٍ فَنٌّ وَمَصُونٍ اِطْلَاعٍ لَوْ أَفْشَيْتُهُ لَكُمْ وَأَذَعْتُهُ لَوْ قَعَ بَيْنَكُمْ مِنَ الاضْطِرَابِ مَا يَقَعُ فِي الْأَشْطَانِ أَي الْحَبَالِ الْمُتَدَلِّيَةِ فِي الْبَيْرِ الْمَطْوِيَّةِ الْعَمِيقَةِ الْبَعِيدَةِ الْقَعْرِ، وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَخِلَاصُهُ مَا قِيلَ فِي الدُّجَى أَنَّهُ سِوَادُ اللَّيْلِ أَوْ الْبَاسُ وَسِتْرُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَغْطِيتهُ إِيَّاهُ، أَوْ هُوَ هَدْوُ اللَّيْلِ وَسُكُونُهُ، أَوْ هُوَ تَمَامُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَالْبَاسُ وَتَغْطِيتهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَوْرَةُ اللَّيْلِ: ظُلْمَتُهُ، وَتَدَجِّيهِ: سُكُونُهُ، وَمَرَجَعُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَوْ غَالِبُ مَا أَخَذَهَا مِنَ اللِّسَانِ، وَهَآكِ مَا قَالَه جَارُ اللهِ فِيهَا: «لَيْلَةٌ ذَاتُ دُجَى، وَهِيَ الظُّلْمُ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْ شَمْسِ الصُّحَى وَبَدْرِ الدُّجَى، وَلَيْلٌ دَاجٍ، قَالَ:

وَاللَّيْلِ دَاجٍ كَنَفًا جَلْبَابِهِ

وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ وَأَدَجَى، وَمِنَ الْمَجَازِ: ثَوَّبٌ دَاجٍ: سَابِغٌ غَطَّى الَّذِي فِي جِسْدِهِ كَلَّةٌ، وَدَجَا عَلَيْهِ ثَوَّبٌ: سَبِغَ، وَدَجَا شَعْرُهُ، وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: بِمَ تَعْرِفُ حَمَلَ شَاتِكَ؟ قَالَ: إِذَا اسْتَفَاضَتْ خَاصِرَتُهَا، وَدَجَتْ شَعْرَتُهَا، أَي وَقَتَ فَسْتَرْتَهَا، وَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْجَا الْإِسْلَامِ، وَكَانَ ذَلِكَ وَثَوَّبُ الْإِسْلَامِ دَاجٍ، وَدَجَا عَلَيْهِمُ الْأَمْنُ وَالْخَصْبُ، وَإِنَّهُ لَفِي عَيْشِ دَاجٍ، وَأَدَجِيَتِ الْبَيْتَ: سَدَلَتْ سِتْرَهُ، وَفُلَانٌ يُدَاجِيكَ: يُسَاتِرُكَ الْعِدَاوَةَ» ١. هُوَ مِنَ الْأَسَاسِ لِحَارِ اللهُ [دَجَا].

«بِالصُّحَى»، قَالَ الْمَجْدُ: «الصُّحُو وَالصُّحُوة وَالصُّحِيَّة كَعَشِيَّة: ارْتِفَاعُ النَّهَارِ، وَالصُّحَى: فُؤَيْقُهُ، وَيُصْغَرُ صُحَيًّا بِلَاهَاءِ، وَالصُّحَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ إِذَا قَرَّبَ انْتِصَافُ النَّهَارِ،

والضحي أيضاً بالضم والقصر: الشمس» [ضحاً]، وقال الجوهرِيُّ: «ضخوة النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحي، وهو حين تُشرق الشمس [أي نُضيء] ثم بعده - أي بعد الضحي - الضحاء بالفتح والمد، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى». وقال الفيوميُّ في تأليفه المصباح: «الضحاء بالفتح والمد: امتداد النهار، وهو مذكّر، كأنه اسم للوقت، والضخوة مثله، والجمع ضحى، كقرية وفري، وارتفعت الضحى أي ارتفعت الشمس، ثم استعملت الضحى استعمال المفرد وسمي بها [أي سمي الوقت بها] حتى صُغرت على ضحىي بغير هاء، قال الفراء: كرهوا إدخال الهاء لئلا يلتبس بتصغير ضخوة» ا.هـ مصباح [ضحاً].

قال في التاج واللسان: «وقيل: الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيّض جداً، ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار، وفسر بعضهم ضحى الشمس بضيائها، وقال بعضهم: الضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها، والضحاء بالفتح والمد إذا ارتفع النهار واشتدّ وقع الشمس، وقيل: هو إذا علت الشمس إلى رُبع السماء فما بعده».

قال الزبيدي: «والأكثر على أنها تعني الضحى كهدى بالضم والقصر مرادفة لما قبلها أي للضحو والضخوة والضحية، نقله شيخنا، وقال الراغب: الضحى انبساط الشمس وامتداد النهار، وسمي الوقت به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢] [أي سكن ودام، وقيل: سکن وأظلم]، ﴿وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ ضُحَىٰ﴾ [طه: ٥٩/٢٠] قال شيخنا: واختلف في وزنها، فقيل: فُعل بضم فتح، كما قاله المبرّد، وقيل: فُعلَى كبُشري، كما قال ثعلب في مناظرته مع المبرّد عند محمد ابن عبد الله بن طاهر، وفي المحكم: وقد تُسمى الشمس ضحى لظهورها في ذلك الوقت» والله أعلى وأعلم.

وبالجمع بين ما تقدّم من الأقوال يُطلق الضحى على ما بين مبدأ إشراق الشمس إلى قرب نصف النهار، وقد يُطلق على الشمس، والمراد بالضحى في البيت ما بين ارتفاع الشمس قدر رُمح أو رُمحين إلى الطّفل، وهو وقت اصفرار الشمس، والله أعلم.

«يَطْفُونَ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا».

يَطْفُونَ أَي يَرْتَفِعُونَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَيُظْهِرُونَ فَوْقَهُ، مِنْ طَفَا الشَّيْءُ فَوْقَ الْمَاءِ يَطْفُو طَفْوًا وَطَفْوًا: ظَهَرَ وَعَلَا وَلَمْ يَرْسُبْ، وَفِي التَّاجِ: «طَفَا الشَّيْءُ فَوْقَ الْمَاءِ طَفْوًا وَطَفْوًا: عَلَا وَلَمْ يَرْسُبْ، وَمِنْهُ السَّمَكُ الطَّافِي، وَهُوَ الَّذِي يَمُوتُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَعْلُو فَوْقَ وَجْهِهِ، وَمِنْ الْمَجَازِ طَفَّتِ الْخُوصَةُ (وَهِيَ وَاحِدَةُ الْخُوصِ وَهُوَ وَرَقُ النَّخْلِ وَالْمُقْلُ وَالنَّارِجِيلُ) فَوْقَ الشَّجَرَةِ إِذَا ظَهَرَتْ، وَمِنْ الْمَجَازِ طَفَا الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ إِذَا عَلَا الْأَكْمَ وَالرَّمَالَ، قَالَ الْعَجَّاجُ: [ديوانه ٢٤٣]

إِذَا تَلَقَّتْهُ الدَّهَاسُ حَظْرَفَا وَإِنْ تَلَقَّتْهُ الْعَقَاقِيلُ طَفَا

(الدَّهَاسُ كَسَحَابٍ: الْمَكَانُ السَّهْلُ اللَّيِّنُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَبَعْضُهُمْ يَكْسِرُ دَالَهُ، وَحَظْرَفَا: فَعَلٌ مَاضٍ مِنَ الْحَظْرَفَةِ بِالْحَاءِ وَالضَّاءِ الْمَعْجَمَتَيْنِ ثُمَّ الرَّاءِ ثُمَّ التَّاءِ: الْإِسْرَاعُ وَتَوَسَّعَ الْحِطْوُ، وَمِثْلُهُ الْحَذْرَفَةُ، كَمَا فِي اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ (خَ ظ ر ف). وَالْعَقَاقِيلُ جَمْعُ عَقَنْقَلٍ كَسَفَرَجَلٍ، وَهُوَ الْوَادِي الْعَظِيمُ الْمَتَّسِعُ، وَقِيلَ: هُوَ الْكَثِيبُ الْمَتْرَاكِمُ الْمَتَدَاخِلُ الْمَتَعَقِّلُ بَعْضُهُ بِيَعُضٍ، وَالْجَمْعُ عَقَاقِيلٌ وَعَقَاقِيلٌ وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَقَنْقَلَاتٍ، كَمَا فِي التَّاجِ [عقل]، وَيُقَالُ: مَرَّ الظُّبْيُ يَطْفُو إِذَا خَفَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَاشْتَدَّ عَدْوُهُ، وَقَوْلُهُ:

عَبْدٌ إِذَا مَا رَسَبَ الْقَوْمُ طَفَا

أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ: طَفَا أَي نَزَا بِجَهْلِهِ إِذَا تَرَزَّنَ الْحَلِيمُ «كَذَا فِي اللِّسَانِ [طفا]، وَ«تَرَزَّنَ الرَّجُلُ فِي مَجْلِسِهِ، أَي تَوَقَّرَ، مِنَ الرَّزَانَةِ، وَهِيَ الْوَقَارُ، وَقَدْ رَزَّنَ رَزَانَةً وَرُزُونًا: وَقَرَّ» كَذَا فِي اللِّسَانِ [رزن].

وَالْأَلُّ: السَّرَابُ، وَهُوَ مَا يُرَى فِي الصَّحْرَاوَاتِ لِاطْتِنَانِ أَي لِاصْتِقَاعِ بِالْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ جَارٍ، الْأَوَّلُ مِنَ الْآلِ، وَهُوَ الشَّخْصُ، وَالشَّخْصُ كُلُّ جَسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، كَذَا فِي اللِّسَانِ [أول]، وَفِي الْمَصْبَاحِ: «كُلُّ جَسْمٍ مُؤَلَّفٍ لَهُ شُخُوصٌ وَارْتِفَاعٌ» ١. هـ وَالشُّخُوصُ:

الارتفاع، وقد اختلف في الآل على أقوال كثيرة، وهالك عبارة اللسان بنصها: «والآل: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض، يرفع الشحوص ويؤهاها (زها السراب الشيء يزهاه: رفعه، يقال: السراب يزها القور والحمول، كأنه يرفعها، وزهت الأمواج السفينة كذلك، ويقال أيضاً: زفا السراب الشيء يزفيه: رفعه كزهاه، قال: يقال: زفى السراب الآل يزفيه وزهاه، ونحوه أيضاً حزاه يحزيه حزياً، وأنشد: [ديوان الراعي ١٠١]

فلما حزاهنَّ السرابُ بعينه على البيد أذرى عبرةً وتتبعها

وقال الجوهري: حزا السراب الشخص يحزوه ويحزيه إذا رفعه، وروى الأزهرى عن ابن الأعرابي قال: إذا رُفع له شخص الشيء فقد حزي وأنشد:

فلما حزاهنَّ السرابُ البيت ا.ه لسان [حزا].

فأمَّا السرابُ فهو الذي يكون نصفَ النهار لاطئاً بالأرض، كأنه ماء جارٍ، وقال

ثعلب: الآل في أول النهار، وأنشد: [ديوان الأعشى ١٠٣]

إذ يرفعُ الآلُ رأسَ الكلبِ فارتفعاً

وقال اللحياني: السراب يُذكر ويؤنث، وفي حديث قس بن ساعدة: «قطعت مَهْمَهاً وآلاً فالآل»، الآل: السراب، والمهمه: القفر، وقال الأصمعي: الآل والسراب واحد، وخالفه غيره فقال: الآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر، واحتجوا بأن الآل يرفع كل شيء حتى يصير الآل أي شخصاً، وأل كل شيء شخصه، وأن السراب يخفض كل شيء فيه حتى يصير لاصقاً بالأرض لا شخص له، وقال يونس: تقول العرب: الآل مُدْ عُدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى، ثم هو سرابٌ سائر اليوم، وقال ابن السكيت: الآل الذي يرفع الشحوص، وهو يكون بالضحى، والسراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وهو نصف النهار، قال الأزهرى: وهو الذي رأيتُ العرب بالبادية

يقولونه، وقال الجوهرِيُّ: الآل: الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشُّخوصَ،
وليس هو السَّرَابُ، قال الجعديُّ: [ديوانه ١٠٦]

حتى لِحَقْنَا بِهِمْ تُعَدِّي فَوَارِسْنَا كَأَنَّ رَعْنَ قُفٌّ يَرْفَعُ الْآلَا
أراد يرفعه الآل فقلبه، قال ابن سيده: وجه كون الفاعل فيه مرفوعاً والمفعول منصوباً
باسم قائم مقول به، وذلك أن رَعْنَ هذا القُفُّ لما (والقُفُّ: ما ارتفع من الأرض وصلبت
حجارتُه) رفعه الآل فرئي فيه ظهر به الآل إلى مرآة العين ظهوراً لولا هذا الرَعْنَ لم يَبْنِ
للعين بيانه إذا كان فيه، ألا ترى أن الآل إذا بَرَقَ للبصر رافعاً شخصه كان أبدي للناظر إليه
منه لو لم يلاق شخصاً يزهاه فيزداد بالصورة التي حملها سفوراً، وفي مَسْرَحِ الطَّرْفِ تَجَلِيًّا
وظهوراً.

فإن قلت: فقد قال الأعشى: إذ يرفع الآل رأس الكلبِ فارتفعاً
فجعل الآل هو الفاعل والشخص هو المفعول، قيل: ليس في هذا أكثر من أن هذا
جائر، وليس فيه دليل على أن غيره ليس بجائر، ألا ترى أنك إذا قلت: ما جاءني غير زيد
فإنما في هذا دليل على أن الذي هو غيره لم يأتك، فأما زيد نفسه فلم يعرض للإخبار بإثبات
مجيء له أو نفيه عنه، فقد يجوز أن يكون قد جاء وأن يكون أيضاً لم يَجْءِ [أول].
وقد ذكر للال معاني كثيرة يُطلق عليها كما يُطلق على ما تقدّم من السَّرَابِ، قال
الشاعر: آل على آلٍ تَحْمَلُ آلا

قال: «فالأول: الرجل، والثاني: السَّرَابُ والثالث: الحَشْبُ، قال: وآل الجبل: أطرافه
ونواحيه، وآل الرجل: أهله وعياله»، إلى آخر ما قال فراجع إن شئت.

قال في اللسان في مادة (س ر ب): «السَّرَابُ: الآل، وقيل: السَّرَابُ الذي يكون
نصفَ النهار لاطئاً بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء جارٍ، والآل الذي يكون بالضحى يرفع
الشُّخوصَ ويَزْهاها [أي يرفعهما] كالملا بين السماء والأرض، وقال ابن السكيت: السَّرَابُ

الذي يَجْرِي على وجه الأَرْض، كأنه الماء، وهو يكون نصفَ النهار، وقال الأصمعيُّ: الآل والسَّراب واحد، وخالفه غيره، فقال: الآل من الضُّحى إلى زوال الشمس، والسَّراب بعد الزَّوال إلى صلاةِ العصر، واحتجُّوا بأن الآل يرفعُ كلَّ شيءٍ حتى يصيرُ آلاً أي شخصاً، وأن السَّراب يخفضُ كلَّ شيءٍ حتى يصيرُ لازقاً بالأرض لا شخصَ له، وقال يونس: تقول العرب: الآل من غُدوةٍ إلى ارتفاعِ الضُّحى الأعلى، ثم هو سرابٌ سائرُ اليوم، وقال ابن السكيت: الآل الذي يرفعُ الشُّخصَ، وهو يكون بالضُّحى، والسَّرابُ: الذي يَجْرِي على وجه الأرض كأنه الماء، وهو نصفَ النهار، قال الأزهرِيُّ: وهو الذي رأيتُ العربَ بالبادية يقولونه، وقال أبو الهيثم: سُمي السَّرابُ سراباً لأنه يَسْرُبُ سُروباً، أي يَجْرِي جرياً، يقال: سَرَبَ الماءُ يَسْرُبُ سُروباً. اهـ لسان.

ولما بين الآل والسَّراب من الخلاف بين الأئمة في أنها هل بينهما فرق أم لا نقلتُ ما مرَّ عن التاج ولسان العرب مع طوله.

وفي الجلائن والصابوي عليه عند قوله تعالى في سورة الثور: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: ٢٤/٣٩]، القَيْعَةُ جمعُ قَاعٍ كَجِيْرَةٍ جمعِ جَارٍ، وقيل: القَيْعَةُ مفرد بمعنى القاع أي الفلاة، والسَّرابُ: شعاع يُرى في الفلاة نصفَ النهار في شدَّة الحرِّ، يُشبهُ الماءَ الجاري، يعني أن الكافر يَحْسَبُ أن عمله الصالح كصدقةٍ وعنتٍ ونحوهما ممَّا لا يتوقفُ على نيَّةٍ ينفعه حتى إذا مات وقَدِمَ على ربِّه لم يجد عمله، أي لم ينفعه» اهـ باختصار. قال الناظم:

٥٠- أَخْفَاهُنَّ مِنْ حَفَىٍّ وَمِنْ وَجَىٍّ مَرْتُوْمَةٌ تُخْضَبُ مُبْيَضَّ الْحَصَا

في اللسان: «الخُفُّ: خُفُّ البعير، وهو مجَمَعُ فِرْسِنِ البعير والناقَةِ، تقول العرب: هذا خُفُّ البعير، وهذه فِرْسِنُهُ، وقال الجوهريُّ: الخُفُّ: واحد أخفافِ البعير، وهو للبعير كالحافر

للفرس، قال ابن سيده: وقد يكون الخُفُّ للنعام، سوّوا بينها للتشابه، وخُفُّ الإنسان: ما أصاب الأرض من باطن قدمه، وقيل: لا يكون الخُفُّ من الحيوان إلا للبعير والنعام، قال: ويُستعار خُفُّ البعير لقدم الإنسان مجازاً، والخُفُّ: الذي يُلبَسُ، والخُفُّ في الأرض أعلظ من النعل، والجمعُ من كلِّ ذلك أخفاف وخفاف» اهـ لسان [خفف].

ومعلومٌ أن المراد هنا فراسين النوق اليعمّلات، وقال الفيومي في المصباح [فرس]: «الفَرَسُ بكسر الفاء والسّين للبعير كالحافر للدابة، وقال ابن الأنباري: فرَسُ الجُرُور والبقرة، مؤنثة، وقال في «البارع»: لا يكون الفَرَسُ إلا للبعير وهي له كالقدم للإنسان، والنون زائدة، والجمع فراسين» اهـ.

وقوله: «والنون زائدة» أي: ولذلك، في مادة (ف ر س).

وقال السيد المرتضى في التاج: «الفَرَسُ كزبرج للبعير كالحافر للدابة، أنثى، والجمع فراسين، وفي الفراسين السّلامى، وهي عظام الفَرَسِ وقصبها، ثم الرُّسغ فوق ذلك، ثم الوظيف، ثم فوق الوظيف من يد البعير الذراع، وفي رجله بعد الفَرَسِ الرُّسغ، ثم الوظيف ثم السّاق ثم الفخذ، وربّما استُعيّر للشاة، ومنه الحديث: «لا تحقرون من المعروف شيئاً ولو فرَسين شاة» اهـ تاج [فرس].

وفي اللسان: «وفي الفراسين السّلامى، وهي عظام الفَرَسِ وقصبها، ثم الرُّسغ فوق ذلك ثم الوظيف ثم فوق الوظيف من يد البعير الذراع، ثم فوق الذراع العَضُد، ثم فوق العَضُد الكَتِفُ، وفي رجله بعد الفَرَسِ الرُّسغ ثم الوظيف ثم السّاق ثم الفخذ ثم الورك، ويقال لموضع الفَرَسِ من الخيل الحافر ثم الرُّسغ، والفَرَسِ من البعير بمنزلة الحافر من الدابة» قال: «وربّما استُعيّر في الشاة، وأما الذي لها حقيقة فهو الظلف، وفي الحديث: «لا تحقرون من المعروف شيئاً ولو فرَسين شاة»، قال: «الفَرَسِ: عظم قليل اللحم، وهو خُفُّ البعير كالحافر للدابة» اهـ لسان بحروفه [فرس].

«مِنْ حَفَىٍّ وَمِنْ وَجَى» الحَفَى: رَقَّةُ القَدَمِ والحَافِرِ والحُفِّ من كَثْرَةِ المَشْيِ بلا نَعْلِ ولا حُفٍّ، قال في المَخْتار [حفا]: «حَفِي بالكسر حِفْوَةٌ وحِفْيَةٌ وحِفايَةٌ بكسر حائِثِنَّ وحِفاً أَيضاً بالمدِّ فهو حَافٍ، أَي صار يمشي بلا حُفٍّ ولا نَعْلِ، وحَفِيَّ من باب صَدِي، فهو حَفٍ، رَقَّتْ قَدَمُهُ أو حَافِرُهُ من كَثْرَةِ المَشْيِ» ١٠هـ.

وفي المصباح: «حَفِي الرَّجُلُ يَحْفَى من باب تَعِبَ حَفَاءً كَسَلَامَ: مَشَى بغير نَعْلِ ولا حُفٍّ، فهو حَافٍ، والجمع حُفَاةٌ، كقَاضٍ وقُضَاةٌ، والحِفاةُ بالكسر والمدِّ اسمٌ منه، وحَفِيَّ من كَثْرَةِ المَشْيِ حَتَّى رَقَّتْ قَدَمُهُ حَفَىً فهو حَفٍ من باب تَعِبَ» ١٠هـ مصباح.

«والوَجَى» قال في اللسان: «الوَجَى: الحَفَا، وقيل: شَدَّتْهُ، وَجِيَّ وَجَىً فهو وَجٍ وَوَجِيَّ، وأنشد ابن الأعرابي: يَنْهَضْنَ مَهْضَ الغائِبِ الوَجِيَّ

وجمعها وَجِيَاءٌ، ويقال: وَجِيَتْ الدَابَّةُ تَوَجَّى وَجَىً، وإِنَّه لَيَتَوَجَّى في مَشِيَّتِهِ وهو وَجٍ، وقيل: الوَجَى قبل الحَفَا ثم الحَفَا ثم النَّقْبُ، وقيل: هو أَشَدُّ من الحَفَا، وتَوَجَّى في جَمِيعِ ذلك كَوَجِيَّ، ابن السكِّيت: الوَجَى: أَن يَشْتَكِيَ البعير باطِنَ حُفِّهِ، والفرسُ باطِنَ حَافِرِهِ، أَبُو عبيدة: الوَجَى قبل الحَفَا والحَفَا قبل النَّقْبِ، وَوَجِيَّ الفرسُ بالكسر، وهو أَن يَجِدَ وَجَعاً في حَافِرِهِ، فهو وَجٍ، والأُنثى وَجِيَاءٌ، وَأَوْجِيَّتُهُ أَنَا، وإِنَّه لَيَتَوَجَّى» ١٠هـ لسان بحر وفه [وجا].

وفي المصباح [نقب]: «نَقَبَ الحُفُّ كَتَعَبَ: رَقَّ، ونَقَبَ أَيضاً: تَحَرَّقَ، ويتعدَّى بالحركة، فيقال: نَقَبْتُهُ، من باب قَتَلَ، أَي خَرَقْتُهُ» ١٠هـ.

ويؤخذ من اللسان أَن النَّقْبَ رَقَّةُ جُلُودِ الأَخْفَافِ وتَحَرَّقُها ومَجْلُها وتَنقُطُها من كَثْرَةِ المَشْيِ، وهو أَن يَظْهَرُ فيها قُرُوحٌ وبُثورٌ وخُراجٌ من كَثْرَةِ مَمارَسَتِها لوطءِ صِلابِ الحِجارَةِ وصَمِّ الجِلاميدِ ومَما تُنكِّئُها الحِجارَةُ والجِنادِلُ أَي تُصِيبُها فُتْرُهُها أَي تَضغُطُها ضَغْطاً شَدِيداً حَتَّى تُوهِنُها وتُوهيها، والله أَعْلَمُ.

«مَرْتُومَةٌ»، يقال: حُفُّ مَرْتُومٍ ومَلْتُومٍ إِذا أَصابَتْهُ الحِجارَةُ حَتَّى أَدمَتْهُ، وأَصْلُ الرِّثْمِ

كسر الشيء، يقال: رَثَمَ أَنفَهُ وفاه يَرُثِمُهُ رَثْمًا فهو مَرَثُومٌ ورَثِيمٌ إذا كَسَرَهُ حتى تَقَطَّرَ منه الدَّمُ، وكذلك رَثَمَهُ يَرِثِمُهُ رَثْمًا بالتاء المثناة الفوقية إذا كَسَرَهُ ودَقَّهُ، ورَثَمَ مَنْسِمَ البعير: دَمِي، ويقال أيضاً مَنْسِمَ رَثِيمٍ إذا أَدَمَّتْهُ الحِجَارَةُ، وَحَصَى رَثِيمٌ ورَثَمٌ إذا انكسر، قال أبو منصور: وكلُّ كَسْرٍ نَزَمَ ورَثَمَ ورَثَمَ. اهـ لسان [رثم].

وفيه أيضاً: «وُخِفُّ مَلْثُومٌ ومُلْثَمٌ: جرحته الحِجَارَةُ، وأنشد ابن الأعرابي:

يَرْمِي الصُّوَى بِمُجْمَرَاتٍ سُمِرٍ مَلْثَمَاتٍ كَمَرَادِي الصَّخْرِ
الجوهريُّ: لَثَمَ البعيرُ الحِجَارَةَ بِخُفِّهِ يَلْثِمُهَا (كَضَرَبَ. تاج) إذا كَسَرَهَا، وَخِفُّ مِلْثَمٌ (كَمَنْبَرٍ. تاج) يَصُكُّ الحِجَارَةَ، ويقال أيضاً: لَثَمَتِ الحِجَارَةُ خُفَّ البعيرِ إذا أَصَابَتْهُ وَأَدَمَّتْهُ» [لثم] اهـ.

«تَخْضِبُ» أي تَصْبُغُ، قال في اللسان: «خَضَبَ الشَّيْءَ يَخْضِبُهُ خَضْبًا وَخَضَبَهُ غَيْرَ لَوْنِهِ بِحُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وفي الحديث: «بكى حتى خَضَبَ دَمْعُهُ الحِصَا» [البخاري: ٣٠٣٥]. قال ابن الأثير: أي بَلَّهَا من طريق الاستعارة، قال: والأشبه أن يكون أراد المبالغة في البكاء حتى احمَرَّ دَمْعُهُ فَخَضَبَ الحِصَا» اهـ لسان [خضب].

وفي التاج: «خَضَبَهُ يَخْضِبُهُ خَضْبًا: لَوْنُهُ أَوْ غَيْرَ لَوْنِهِ بِحُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا كَخَضَبِهِ تَخْضِيبًا، وكلُّ ما غَيَّرَ لَوْنَهُ فهو مَخْضُوبٌ وَخَضِيبٌ» اهـ.

وبابُ خَضَبَ ضَرَبَ كما في المختار والمصباح [خضب]، وأما صَبَغَ فَمِنْ بَابِي نَفَعَ وَنَصَرَ كما فيها، وزاد في المصباح: «وَصَبَغَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ لَعْنَةً»، والمعنى ظاهر واضح.

«مُبَيِّضُ الحِصَى»، أي الحصى الذي لَوْنُهُ البَيَاضُ، اسمُ فاعِلٍ مِنْ ابْيَضَ الشَّيْءُ ابْيَاضًا إذا صار ذا بَيَاضٍ، كما في المصباح، ومثله ابْيَاضَ ابْيَاضًا كما في اللسان، وكذلك في المختار، قال: «بَيَّضَهُ تَبْيِيضًا (أي جعله أبيض أو غيَّرَ لَوْنَهُ الذي كان عليه إلى لون البياض) فابْيَضَ ابْيَاضًا وَاِبْيَاضَ ابْيِيضًا، أي صار أبيضًا.

«الحَصَى»: (صغار الحجارة، الواحدة حَصَاة، وجمعها حَصِيَّات وَحَصَى وَحُصَيَّ، قال ابن شميل: الحَصَى: ما حذفت به حَذْفًا، وهو ما كان مثل بعر الغنم، وقال أبو أسلم: العظيم مثل بعر البعير من الحَصَى) ١. هـ لسان [حصى]. قال الناظم:

٥١- يَحْمَلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُخْفَوِّفٍ مِنْ طُولِ تَدَابِغِ الْغُدُوِّ وَالسَّرَى

يَحْمَلْنَ، أي يُقَلِّلْنَ ويرفعن على ظُهورهنَّ، يقال: حملَ المتاعَ يَحْمَلُهُ حَمْلًا من باب ضَرَبَ، الشَّاحِبُ: المتغيِّرُ من جوع أو عمل أو سفر، وفي الصحاح: «المتغيِّرُ بلا تقييد بشيء، قال: والشاحِبُ: المهزول، قال:

وقد يَجْمَعُ المَالَ الفَتَى وَهُوَ شَاحِبٌ وَقَدْ يُدْرِكُ المَوْتَ السَّمِينُ الْبَلْدَحَا
والبَلْدَحُ: الفَدَمُ الثَّقِيلُ لا يَنْهَضُ لخير»، قال الزبيديُّ في التاج: «شَحَبَ بالحاء المهملة لونه وجسمه كجمع ونصر وكرم وعني: تغيَّرَ من هُزال أو عمل أو جوع أو سفر أو مرض أو جَزَع أو جَهْد».

وفي اللسان [شحب]: «شَحَبَ لونه وجسمه يَشْحَبُ وَيَشْحَبُ شُحُوبًا وَشَحْبَ شُحُوبَةً: تغيَّرَ من هُزال أو عمل أو جوع أو سفر، ولم يُقيد في الصحاح التغيُّر بسبب، بل قال: شَحَبَ جسمه: إذا تغيَّرَ، وأنشد للنَّوْبِ بنِ تَوَلَّبَ: [ديوانه ١٠٥]

وفي جسمِ راعيها شُحُوبٌ كأنه هُزالٌ وما من قَلَّةِ الطَّعْمِ يُهْزَلُ

وقال لبيد في الأول: [ديوانه ١٠٠]

رَأْتَنِي قَدْ شَحَبْتُ وَسَلَّ جِسْمِي طِلَابُ النَّازِحَاتِ مِنَ الْمُهْمومِ

وقول تَابَّطَ شَرًّا: [ديوانه ١٧٩]

ولكنني أروي من الحَمْرِ هَامَتِي وَأَنْضُو المَالَ بالشَّاحِبِ الْمُتَشَلِّشِ
والمُتَشَلِّشُ على هذا: الذي نَحَدَدَ لحمه وقَلَّ، وقيل: الشاحِبُ هنا: السيف يتغيَّر لونه بما ييس عليه من الدَّم، فالمُتَشَلِّشُ عليه هو الذي يَتَشَلِّشُ بالدَّم [أي يتقاطر به ويصبه]،

وَأَنْصُو [أَيَ أَقْطَعُ وَ] أَنْزِعْ وَأَكْشِفُ، (يقول: ولكنني أسقي هامتي من الخمر حتى تروى، و«أَنْصُو الْمَلَا بِالشَّاحِبِ الْمُتَشَلِّشِ» أَي أَقْطَعُ الْفَلَا الَّتِي فِيهَا حَرٌّ شَدِيدٌ مَعَ الشَّاحِبِ الْمُتَشَلِّشِ، أَي مَعَ الصَّاحِبِ الَّذِي تَخَدَّدَ لِحُمِّهِ وَهَزِلَ جِسْمُهُ، وَقِيلَ: مَعَ السِّيفِ الَّذِي يَصُبُّ الدَّمَ وَيَقْطُرُهُ، وَالْمَلَا: الْفَلَا الَّتِي فِيهَا حَرٌّ، وَقِيلَ: الْمَلَا: الصَّحْرَاءُ مَطْلَقًا، وَنَصَاهَا: قَطَعَهَا وَجَابَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)، وَالشَّاحِبُ: الْمَهْزُولُ، قَالَ:

وَقَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ الْفَتَى وَهُوَ شَاحِبٌ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَوْتَ السَّمِينُ الْبَلْدَحَا
 (وَالْبَلْدَحُ: الْقَصِيرُ السَّمِينُ وَأَيْضًا الْقَدَمُ الثَّقِيلُ الْمَتَفِخُ الَّذِي لَا يَنْهَضُ لِخَيْرٍ، أ.هـ. تاج [بلدح]). وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ أَشْعَثَ شَاحِبٍ» وَالشَّاحِبُ: الْمَتَغَيَّرُ اللَّوْنُ لِعَارِضٍ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الْأَكْوَعِ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاحِبًا شَاكِيًا»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَلْقَى شَيْطَانُ الْكَافِرِ شَيْطَانَ الْمُؤْمِنِ شَاحِبًا»، وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ: «لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا شَاحِبًا» لِأَنَّ الشُّحُوبَ مِنْ آثَارِ الْخَوْفِ وَقَلَّةِ الْمَأْكَلِ وَالنَّعْمِ، وَشَحَبَ وَجَهَ الْأَرْضِ يَشْحَبُ شَحْبًا: قَشَرَهُ، يَمَانِيَّةٌ. أ.هـ. لِسَانِ [شحب].

«وَالْمُحَقَّقُفُ»: الْمُنْحِنِيُّ الْمَعْوِجُ الطَّوِيلُ، فِي اللِّسَانِ: «الْحِقْفُ مِنَ الرَّمْلِ: الْمَعْوِجُ، وَجَمْعُهُ أَحْقَافٌ وَحُقُوفٌ وَحِقَافٌ وَحِقْفَةٌ، وَمِنْهُ قِيلَ لَمَّا اعْوَجَّ: مُحَقَّقُفٌ»، وَفِيهِ أَحْقَوْقَفَ الرَّمْلُ إِذَا طَالَ وَاعْوَجَّ، وَأَحْقَوْقَفَ الْهَلَالَ: اعْوَجَّ، وَكُلُّ مَا طَالَ وَاعْوَجَّ فَقَدْ أَحْقَوْقَفَ، كظَهَرَ الْبَعِيرُ وَشَخَصَ الْهَلَالَ، قَالَ الْعِجَاجُ: [ديوانه ٢ / ٢٣١]

نَاجٍ طَوَاهِ الْأَيْنُ مَّمَا وَجَفَا طَيِّ اللَّيَالِي زُلْفًا زُلْفًا
 سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى أَحْقَوْقَفَا

أ.هـ. لِسَانِ [حقف]. وَالنَّاجِي: الْبَعِيرُ السَّرِيعُ يَنْجُو بِمَنْ رَكَبَهُ، وَطَوَاهِ: أَهْزَلَهُ وَأَنْصَاهُ وَأَضْنَاهُ وَجَعَلَهُ مَنْطُوبًا مَنْحِيًا مُنْشِيًا لَشُحُوبِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: [ديوان أبي العتاهية ٦٧٨]
 طَوْتُكَ خُطُوبٌ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٣٩/٦٧] أي مُهْلَكَاتُ، قاله في التاج [طوى]، وقال أيضاً: «طَوَاهُ السَّيْرُ: هَزَلُهُ، وَالْأَيْنُ: الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ، وَجَفَّ يَجْفُ وَجَفًّا وَوَجِيفًا: أَسْرَعُ، الزَّلْفُ وَالزُّلْفَةُ وَالزُّلْفَى: الْقُرْبَةُ وَالدَّرَجَةُ وَالْمَنْزَلَةُ، يَقُولُ: مَنْزَلَةٌ بَعْدَ مَنْزَلَةٍ وَدَرَجَةٌ بَعْدَ دَرَجَةٍ» كَذَا فِي اللِّسَانِ [زلف] فِي تَفْسِيرِ هَذَا الرَّجْزِ، وَقَالَ فِي مَادَّةِ (س م و): «سَمَاوَةُ الْهَلَالِ: شَخْصُهُ إِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْأَفْقِ شَيْئًا، وَأَنْشَدَ:

نَاجِ طَوَاهُ الْأَيْنِ... إِنْخِ الرَّجْزِ الْمَذْكُورِ».

وقوله: طَيَّ اللَّيَالِي مَصْدَرٌ مضاف لفاعله، ومفعولٌ هذا المصدر سَمَاوَةٌ، أي كَمَا تَطْوِي اللَّيَالِي سَمَاوَةَ الْهَلَالِ وَشَخْصَهُ دَرَجَةٌ بَعْدَ دَرَجَةٍ وَمَنْزَلَةٌ بَعْدَ مَنْزَلَةٍ حَتَّى يَحْتَقِوْفَ الْهَلَالِ، أَي يَعُوجُّ وَيَنْحِنِي، وَإِنَّمَا يَعُوجُّ وَيَنْحِنِي فِي آخِرِ الشَّهْرِ وَمُنْتَهَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«مِنْ طُولِ تَدَابِ الْغُدُوِّ وَالسَّرَى» الطُّولُ: نَقِيضُ الْقِصْرِ، وَكُلُّ مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي الْأَجْسَامِ وَالْمَعَانِي، فَيُقَالُ: طَالَ ابْنِي وَمُهْرِي وَجِدَارُ بَيْتِي وَذَيْلُ ثَوْبِي كَمَا يُقَالُ: طَالَ هُمٌّ وَلِيْلُهُ، وَفِي التَّاجِ: «طَالَ يَطُولُ طَوْلًا بِالضَّمِّ أَي امْتَدَّ، وَكُلُّ مَا امْتَدَّ مِنْ زَمَنٍ أَوْ لَزِمَ مِنْ هَمٍّ وَنَحْوِهِ فَقَدْ طَالَ، وَالطُّولُ خِلَافُ الْعَرَضِ، كَمَا فِي الصَّحَاحِ [طول]، وَفِي الْمَحْكَمِ: هُوَ نَقِيضُ الْقِصْرِ، يَكُونُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْمَوَاتِ، (الْمَوَاتِ بِالْفَتْحِ يُطْلَقُ عَلَى شَيْئَيْنِ، عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَا مَالِكَ لَهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا أَحَدٌ، وَقِيلَ: الَّتِي لَمْ تُزْرَعْ وَلَمْ تُعْمَرْ وَلَا جَرَى عَلَيْهَا مَلِكٌ أَحَدٌ، وَمِثْلُهَا الْمَوْتَانِ بِالْفَتْحِ، وَيُطْلَقُ الْمَوَاتُ أَيْضًا عَلَى مَا لَا رُوحَ فِيهِ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْجَمَادِ، وَمِثْلُهُ فِي هَذَا أَيْضًا الْمَوْتَانِ، وَهُمَا حِينْتِذَا ضَدُّ الْحَيَوَانِ، يُقَالُ: اشْتَرَى الْمَوْتَانَ وَلَا تَشْتَرِي الْحَيَوَانَ، أَي اشْتَرَى الْأَرْضِيْنَ وَالذُّوْرَ وَلَا تَشْتَرِي الرَّقِيقَ وَالدُّوَابَّ، كَمَا فِي اللِّسَانِ [موت]).»

قال الراغب: «الطُّولُ وَالْقِصْرُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَضَايِفَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَعْرَاضِ كَالزَّمَانِ وَنَحْوِهِ» ١. هـ. مِنَ التَّاجِ [طول].

وفيه: «فهو طويل وطوال كغراب، وأنشد ابن بري لطفيل: [ديوانه ٩٧]

طَوَالُ السَّاعِدَيْنِ يَهْزُلُ لَدُنَّا يَلُوحُ سِنَانُهُ مِثْلَ الشَّهَابِ

١.هـ. وفي اللسان: «الطَّوَالُ بِالضَّمِّ: الْمَفْرُطُ الطُّوْلُ» وأنشد بيت طفيل.

«تَدَابِ الْعُدُوِّ وَالسَّرَى» إدمان السَّير بكرةً وسُحرةً، التَّدَابُ عَلَى تَفْعَالٍ، مصدر دَابَّ الرجلُ فِي عمله دَابًّا ودُؤوبًا: إِذَا جَدَّ وتعبَ، قال الفيومي في المصباح: «فصل: يجيء المصدر من فعل ثلاثي على تَفْعَالٍ بفتح التاء، نحو التَّضْرَابِ والتَّقْتَالِ، قالوا: ولم يجيء بالكسر إِلَّا تَبْيَانٌ وتَلْقَاءٌ والتَّنْضَالُ من المناضلة: وقيل: هو اسمٌ، والمصدرُ تَنْضَالٌ على الباب» ١.هـ مصباح [٣٥٩].

وهذا البناء - أعني تَفْعَالٌ - يُرَادُ بِهِ الكثرةُ لِأَنَّهُ موضوعٌ للتكثير، قال السيّد المرتضى في التاج: «قال سيبويه: «والتَّقْتَالُ: القتلُ، وهو بناءٌ موضوعٌ للتكثير»، وقال في مادة (س ي ر): «التَّسْيَارُ بِالْفَتْحِ يُذْهَبُ بِهِ إِلَى الكثرة، وهو تَفْعَالٌ من السَّيْرِ، قال: [ديوان بني أسد ٢٧٣]

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ مِنْهَا وَخِيَمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بِيضٌ مَحَافِرُهُ

(يقال: خِيَمَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ، وَيُقَالُ: خِيَمَ الْقَوْمُ: دَخَلُوا فِي الخِيْمَةِ، وَخِيَمُوا خِيْمَةً: بَنَوْهَا، ١.هـ، والمرادُ الأَوَّلُ، والأَرْجَاءُ: النواحي، ولم يَنكشِفْ لي حَقِيقَةُ معنى قوله: «بِيضٌ مَحَافِرُهُ» فليَتَأَمَّلْ، وفي ذهني أَنِي رأيتُ هَذَا البيتَ فِي الجزءِ الثَّانِي من كَامِلِ المبرِّدِ بلفظ «زرق مَحَافِرُهُ» بدل بِيضٍ). وقال أيضاً فِي مَصَادِرِ شَرِبَ تَشْرَاباً بِالْفَتْحِ عَلَى تَفْعَالٍ يُبْنَى عِنْدَ إِرادَةِ التَّكْثِيرِ» [التاج (شرب)] ١.هـ.

وذكر بعضهم أَنَّ التَّشْرَابَ يُكْسَرُ وَيُفْتَحُ، إِلَّا أَنَّهُمْ لم يذكروه مع المصادر التي على تَفْعَالٍ بالكسر، أعني التَّلْقَاءُ والتَّبْيَانُ والتَّمْثَالُ فيما ذكر بعضهم، قال: وهو مصدرٌ مَثَلْتُ الشيءَ تَمْثِلاً وِتَمْثالاً، وزاد ومعنى مثله تَمْثِلاً: صَوَّرَهُ، وعِبارةُ السيّدِ المرتضى فِي التَّاجِ فِي مادة (ب ي ن): «التَّبْيَانُ بِالْكَسْرِ وَيُفْتَحُ مصدرٌ يَبْنِي الشَّيْءَ تَبْيِيناً، وهو شاذٌّ، وعِبارةُ

الجوهري رحمه الله تعالى: «والتبنيان مصدر شاذ لأن المصادر إنما تحيء على التفعال كالتدكار (في القاموس: «الدكر: الحفظ للشيء كالتدكار) والتكرار (في التاج: «كّر عليه كراً وكُروراً وتكراراً بالفتح عطف وعنه رجع، وكّرّه تكريراً وتكراراً أعاده مرّة بعد أخرى، قال أبو سعيد الضّرير^(١): ما بين تفعال وتفعال؟ فقال: تفعال اسم وتفعال بالفتح مصدر» ١.٥هـ) والتوكاف (وهو مصدر وكف البيت كيف إذا هطل وقطر وكذلك السطح» كما في اللسان)، ولم يجيء بالكسر إلا حرفان، وهما التلقاء والتبنيان» ١.٥هـ.

وأيضاً «حكاية الفتح غير معروفة إلا على رأي من يُجيز القياس مع السماع، وهو رأي مرجوح، قال شيخنا: جزم الجماهير بانحصار تفعال في هذين اللفظين، وزعم بعضهم أنه سمع التمثال مصدر مثله تمثيلاً، وزاد الحريري في الدرّة على الأوّلين تفعال مصدر ناضله إذا راماه، وزاد الشهاب في شرح الدرّة شرب الخمر تشراباً، وزعم أنه سمع فيه الفتح على القياس والكسر على غير القياس، وأنكر بعضهم مجيء تفعال بالكسر مصدرًا بالكلية، وقال: كل ما نُقل من ذلك على صحته إنما هو من استعمال الاسم موضع المصدر، كما وقع الطعام وهو المأكل موقع المصدر، وهو الإطعام.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ١٦/٨٩]، أي بين لك فيه ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين»، ثم قال: «والعرب تقول بيئته تبيناً وتبيناً بالكسر، وتفعال بالكسر يكون اسماً، فأما المصدر فإنه يجيء على تفعال بالفتح كالتكذاب والتصدق وشبهه، وفي المصادر حرفان نادران، وهما التلقاء والتبنيان، ولا يقاس عليهما، وقال سيويه في قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قال: هو التبنيان وليس على الفعل، إنما هو بناء على حدة، ولو كان مصدرًا لفتح كالتقتال، فإنها هو من بيئت كالغارة من أغرت، وقال كراع: التبنيان مصدر ولا نظير له إلا التلقاء» ١.٥هـ تاج العروس [بين].

(١) هو أحمد بن خالد، أبو سعيد البغدادي الضرير، لغوي، لقي أبا عمرو الشيباني، توفي ٢٨٢هـ.

وكذلك في اللسان قال: «وقوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي بيّن لك فيه كلّ ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين، وهذا من العامّ المراد به الخاصّ، والعرب تقول: بيّنتُ الشيءَ تبيناً وتبيناً بالكسر، وتُفعل بالكسر يكون اسماً، فأما المصدرُ فإنه يجيء على تفعال بالفتح، كالتكذاب والتصدّاق وما أشبهه، وفي المصادر حرفان نادران التلقاء والتبين، قال: ولا يقاس عليهما، وقال سيبويه في قوله تعالى: ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قال: وهو التبين، وليس على الفعل، إنّما هو بناء على حدة، ولو كان مصدراً لفتحَت كالتقتال، فإنها هو من بيّنتُ كالغارة من أَعْرْتُ، وقال كراع: التبين مصدر ولا نظير له إلاّ التلقاء» ا.هـ لسان بلا زيادة ولا نقصان.

وفي اللسان: «التَّجْوَالُ: التَّطَوُّفُ، يقال: جالَ واجتالَ وأنجالَ بمعنى، وجوّلَ وطوَّفَ: جالَ وطافَسَ كثيراً، قال ابن سيده: جوّلَ تجوّالاً عن سيبويه، قال: والتَّفَعُّالُ بناء موضوع للكثرة كفعّلتُ في فعّلتُ، والمَجْوُولُ: ثوب صغير تجوّل فيه الجارية، وقيل: ثوب يُثْنَى ويُخَاط من أحد شِقَيْهِ ويُجعل له جيبٌ تجوّل فيه المرأة، وقيل: هو للصبيّة، والدَّرْعُ للمرأة، قال امرؤ القيس:

إلى مثلها يرئو الحلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَّرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمَجْوَلٍ
يرنو: ينظر، والصَّبَابَةُ: الشوق، وقيل: رَقَّتْهُ وحرارته، وقيل: رَقَّةُ الهوى، واسبكرت الجارية: اعتدلت واستقامت، ودرع المرأة: قميصها» ا.هـ لسان [جول].

التَّطَوُّافُ مصدر طافَ كالتَّطَوُّفِ والطَّوْفِ والطَّوْفَانِ، قال في اللسان: «يقال: طوَّفَ تطويفاً وتطوفاً، وطوَّفَ مبالغَةً طاف، وفي الحديث: «كانت المرأة تطوِّف بالبيت وهي عُرْيَانة تقول: مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوِّفًا» تجعله على فَرْجِهَا، قال: هذا على حذف المضاف، أي ذا تطوِّف، ورواه بعضهم بكسر التاء، قال: وهو الثوب الذي يُطَافُ به، قال: ويجوز أن يكون مصدراً» ا.هـ لسان [طوف].

والتَّجْفَافُ مصدر جَفَفَهُ، قال في التاج: عن اللَّيْث: التَّجْفَافُ بالفتح: التَّيْبِيسُ كالتَّجْفِيفِ، وقد جَفَفَهُ تَجْفِيفًا، والتَّجْفَافُ بالكسر: آلة للحرب من حديد وغيره يلبسه الفرس، وقد يلبسه الإنسان ليقه في الحرب، والجمعُ التَّجَافِيفُ، ومنه حديثُ أبي موسى: «كان على تجافيفه الدُّبِاجُ»، ذهبوا فيه إلى معنى الجُفُوفِ والصَّلَابَةِ، وفي الحديث: «أعدَّ للفقر تجفافًا» [الترمذي: ٢٣٥٠]. التَّجْفَافُ: ما جُلِّلَ به الفرس من سلاح وآلة تقيه الحرب، وجَفَفَ الفرسَ تَجْفِيفًا: ألبسه إِيَّاهُ، وفي حديث الحُدَيْبِيَّةِ: «فجاء يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرسٍ مُجَفَّفٍ»، أي عليه تَجْفَافٌ، وقد يلبسه الإنسان أيضًا، وفي اللسان أيضًا [جفف]: «التَّجْفَافُ والتَّجْفَافُ: الذي يُوضَعُ على الخيل من حديد أو غيره في الحرب» ١. هـ.

التَّهْجَاعُ: النَّومُ كالهَجُوعِ، هَجَعَ كَمَنَعَ: نام مطلقًا، وقيل: ليلاً، قال تعالى: ﴿كَأَنزُلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ [الذاريات: ١٧/٥١]، والهَجُوعُ كالهَجُوعِ، وقد يكون الهَجُوعُ بغير نوم: قال زهير بن أبي سلمى: [ديوانه ٢٤٤]

قَفَّرَ هَجَعْتُ بِهَا وَلَسْتُ بِنَائِمٍ وَذِرَاعٌ مُلْقِيَةٌ الْجِرَانِ وَسَادِي
وقيل: التَّهْجَاعُ: النَّوْمَةُ الخفيفة، والهَجُوعُ: النَّومُ مطلقًا، قال أبو قيس بن الأَسَلْتِ: [ديوانه ٧٨]
قَدِ حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ
١. هـ من اللسان والتاج [هجع]. قلت: ولا يبعد أن يكون التَّهْجَاعُ مصدر «هجع الرجل» بالتشديد كالتَّهْجِيعِ أو مصدر مبالغة لهجع بالتخفيف، ومعنى هَجَعَ بالتشديد نام كثيرًا، قال في اللسان: «هَجَعَ القَوْمُ تَهْجِيعًا أَي نَوَّموا»، وقال في التاج: «نَوْمُ الرَّجُلِ تَنْوِيمًا، مبالغة في نام» ١. هـ، والتَّهْجَاعُ في البيت يدلُّ على أن معناه النَّوْمَةُ الخفيفة.

والتَّأْخَاذُ تَفْعَالٌ أَيضًا مِنْ أَخَذَ، قال في لسان العرب: «والتَّأْخَاذُ تَفْعَالٌ مِنَ الْأَخْذِ، قال الأَعَشِيُّ: [ديوانه ٢٣٧]

لِيُعَوِّدَنَّ لَمَعْدٍ عَكْرَةً وَلِجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنْحِ

قال ابن بري: والذي في شعر الأعشى:

لِيُعِيدَنَّ لَمَعْدَ عَكْرَهَا دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنْخِ

أي عطفها، يقال: رجع فلان إلى عكره، أي إلى ما كان عليه، وفسر العكر بقوله:

دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنْخِ

والمِنْخُ جمعُ مَنْحَةٍ، وهي الناقة يُعيرها صاحبها لمن يَلْبِها وَيَنْتَفِعُ بها ثم يُعيدها» ا.هـ من

اللسان من مادة (أ خ ذ).

وفيه في مادة (ع ك ر) ما نصّه: «العكر بالكسر: الأصل مثل العتر، ورجع فلان إلى

عكره، قال الأعشى:

لِيُعِيدَنَّ لَمَعْدَ عَكْرَهَا دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنْخِ

وعادوا إلى عكرهم، أي إلى أصل مذهبهم، وفي المثل: «عادت لعكرها ليس»، وقيل:

العكر: العادة والديّن» ا.هـ لسان.

وفيه عن الجوهري: «أذلج إذلاجاً: سار من أول الليل، والاسم الذلج بالتحريك،

والدلجة والدلجة بالضم والفتح كما يقال: برهة وبرهة: فإن ساروا من آخر الليل فقد

أذلجوا بتشديد الدال»، قال: «والاسم الدلجة والدلجة» ا.هـ لسان [دلج].

والتسأل تفعال أيضاً بفتح التاء كما في اللسان والتاج [سأل].

قلت: وهل التفعال مقيس في كل فعل ثلاثي كما يشير إليه قولهم: لم يجيء تفعال بالكسر

إلا التبيان والتلقاء وكذا التمثال والتنضال والتشراب فيما قاله بعضهم، أو مسموع كما يؤخذ

من تخصيصهم بعض الأفعال بذكر ما جاء من مصادرها على تفعال، ولم أطلع على تحقيق

هذه المسألة، وهالك نص الفيومي في المصباح: «فصل: يجيء المصدر من فعل ثلاثي على

تفعال بفتح التاء، نحو التضراب والتقتال، قالوا: ولم يجيء بالكسر إلا تبيان وتلقاء والتنضال

من المناصلة، وقيل: هذا اسم، والمصدر تنضال على الباب» ا.هـ مصباح [٣٥٩].

وقد اطلعت الآن والحمد لله على ما قطع دابر الشك وحسم أثر الارتباب وإياك إياه، قال في المصباح في مادة (ع س ف) ما نصه: «عَسَفَه عَسْفًا كَصَرَبَ: أَخَذَهُ بِقُوَّةٍ، وَالْفَاعِلُ عَسُوفٌ، وَعَسَّافٌ مِبَالِغَةٌ، وَعَسَفَ فِي الْأَمْرِ: فَعَلَهُ مِنْ غَيْرِ رُوِيَّةٍ، وَمِنْهُ عَسَفَ الطَّرِيقَ إِذَا سَلَكَهُ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ، وَالتَّعَسَّفُ وَالِاعْتِسَافُ مِثْلُهُ، وَهُوَ رَاكِبُ التَّعَاسِيفِ، وَكَأَنَّهُ جَمَعَ تَعَسَافًا بِالْفَتْحِ كَالْتَضْرَابِ وَالتَّقْتَالِ وَالتَّرْحَالِ مِنَ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ وَالرَّحِيلِ، وَالتَّقْعَالُ مَطْرُودٌ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ، وَبَاتَ يَعْسِفُ اللَّيْلَ عَسْفًا إِذَا حَبَطَهُ يَطْلُبُ شَيْئًا، وَمِنْهُ الْعَسِيفُ وَهُوَ الْأَجِيرُ، لِأَنَّهُ يَعْسِفُ الطَّرِيقَ مَتَرَدِّدًا فِي الْأَشْغَالِ، وَالْجَمْعُ عَسْفَاءُ كَأَجِيرٍ وَأَجْرَاءُ، وَعُسْفَانٌ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ» ١. هـ. من المصباح.

وفي اللسان [عسف]: «وقيل: عُسْفَانٌ: مَنْهَلَةٌ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا خَلِيلِي ارْبَعَا وَاسْ — تَخْبِرَا رَسْمًا بَعْسْفَانًا»

والتَّردَادُ أَيْضًا تَفْعَالٌ مِنَ الرَّدِّ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ فِي اللِّسَانِ: «الرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيْءِ وَرَجْعُهُ، وَالرَّدُّ مَصْدَرٌ رَدَدْتُ الشَّيْءَ، يُقَالُ: رَدَّهَ عَنْ وَجْهِهِ رَدًّا وَمَرَدًّا وَتَرَدَادًا: صَرَفَهُ، وَهُوَ بِنَاءٍ لِلتَّكْثِيرِ، قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ: «قَالَ سَيَّبِيُّهُ: «هَذَا بَابٌ مَا تَكَثَّرَ فِيهِ الْمَصْدَرُ مِنْ فَعَلْتُ فَتُلْحَقُ الزَّائِدُ وَتَبْنِيهِ بِنَاءٍ آخَرَ، كَمَا أَنْكَ قَلْتَ فِي فَعَلْتُ: فَعَلْتُ حِينَ كَثُرَتِ الْفِعْلُ»، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَصَادِرَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى التَّفْعَالِ، نَحْوُ التَّرْدَادِ وَالتَّلْعَابِ وَالتَّهْذَارِ وَالتَّصْفَاقِ وَالتَّقْتَالِ وَالتَّسْيَارِ وَأَخْوَاتِهَا، قَالَ: «وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا مَصْدَرٌ فَعَّلْتُ، وَلَكِنْ لَمَّا أُرِدَتِ التَّكْثِيرُ بِنَيْتِ الْمَصْدَرِ عَلَى هَذَا كَمَا بِنَيْتِ فَعَّلْتُ عَلَى فَعَّلْتُ» ١. هـ. لسان [ردد].

التَّلْعَابُ بِالْفَتْحِ، وَالتَّهْذَارُ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ فِي الْخَطَأِ وَالْبَاطِلِ كَالْهَدَرِ مُحَرَّكَةً، قَالَ فِي التَّاجِ [هذر]: «التَّهْذَارُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى التَّفْعَالِ، وَهُوَ بِنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ سَيَّبِيُّهُ فِي الْكِتَابِ» ١. هـ.

التَّصْفَاقُ هُوَ مَصْدَرٌ صَفَّقَ الْكَفَّ عَلَى الْأُخْرَى، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «صَفَّقَ يَدَهُ بِالْبَيْعَةِ

والبَيْع وعلى يده صَفَقًا: ضرب بيده على يده، وذلك عند وجوب البيع، والاسم منها الصَّفَق والصَّفَقِي، حكاه سيويه اسماً، قال السيرافي: «يجوز أن يكون من «صَفَق الكَفَّ على الأخرى»، وهو التَّصْفَاق يُذهب به إلى التَّكثِير، قال سيويه: «هذا باب ما تكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ فتُلحِقُ الزوائد وتَبْنِيه بناءً آخر، كما أنك قلت في بناء فَعَلْتُ: فَعَلْتُ حين كَثُرَتِ الفَعْلُ»، ثم ذُكِرَتِ المَصَادِرُ التي جاءت على التَّفْعَالِ كالتَّصْفَاق وأخواتها، قال: «وليس هو مصدر فَعَلْتُ، ولكن لما أَرَدتِ التَّكثِيرَ بِنَيْتِ المَصْدَرِ على هذا كما بِنَيْتِ فَعَلْتُ على فَعَلْتُ»، اهلسان [صَفَق].

ولأهميَّة البحث آثرتُ أن أنقلَ ما حكاه سيويه في هذا الباب من كتابه، وهاك نصّه: «هذا باب ما تكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ فتُلحِقُ الزوائد وتَبْنِيه بناءً آخر، كما أنك قلت في فَعَلْتُ: فَعَلْتُ حين كَثُرَتِ الفَعْلُ، وذلك قولك في الهُدْر: التَّهْدَار وفي اللَّعِب: التَّلْعَاب وفي الصَّفَق: التَّصْفَاق وفي الرَّدِّ: التَّرْدَاد وفي الجَوْلَان: التَّجْوَال، والتَّقْتَال والتَّسْيَار، وليس شيء من هذا مصدر فَعَلْتُ، ولكن لما أَرَدتِ التَّكثِيرَ بِنَيْتِ المَصْدَرِ على هذا، كما بِنَيْتِ فَعَلْتُ على فَعَلْتُ.

وأما التَّبْيَان فليس على شيء من الفعل لحقته الزيادة، ولكنه بُنِيَ هذا البناء فلحقته الزيادة كما لحقت الرِّئْمان، وهو من الثلاثة، وليس من باب التَّقْتَال، ولو كان أصلها من ذلك فتحوا التاء، فإنها هي من بَيَّنْتُ كالغارة من أَعْرْتُ والتَّبَات من أُنْبِتَ، ونظيرها التَّلْقَاء، وإنما يريدون اللُّقْيَان، قال الراعي: [ديوانه ٢٣٣]

أَمَلْتُ خَيْرَكَ هَل تَأْتِي مَوَاعِدُهُ فَالْيَوْمَ قَصَّرَ عَنِ تَلْقَائِكَ الْأَمَلُ

١. ه من الصحيفة الخامسة والأربعين بعد الثلاثمائة من الجزء الثاني من كتاب سيويه.

قال شارح شواهد يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّتْمَرِي ما نصّه: «وأنشد في باب

تكثر المصدر من فَعَلْتُ للراعي:

أَمَلْتُ خَيْرَكَ أَنْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ فَالْيَوْمَ قَصَّرَ عَنِ تَلْقَائِكَ الْأَمَلُ

الشاهد في قوله: تَلْقَائِكَ بالكسر، وهو بمعنى اللِّقَاء، والمطرَّد في المصادر إذا بُنِيَ

للمبالغة بزيادة التاء أن تكون على تفعال بالفتح، نحو التَّضْرَابِ والتَّقْتَالِ إِلَّا التَّلْقَاءَ والتَّيْبَانَ، فَإِنَّهُمَا شَدًّا فَاتِيًا بِالْكَسْرِ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمَصَادِرِ، نَحْوُ التَّمْسَاحِ وَالتَّقْصَارِ، وَهُوَ الْقِلَادَةُ، وَهَذَا فِي الْأَسْمَاءِ كَثِيرٌ، يَقُولُ: أَمَلْتُ مِنْ خَيْرِكَ مَا قَصَّرَ الْأَمَلُ عَمَّا نَلْتُ مِنْهُ عِنْدَ لِقَائِكَ، أَيَّ أَعْطَيْتَنِي أَكْثَرَ مِمَّا أَمَلْتُ»^١. هـ من شرح الشواهد المسمى «تحصيل عين الذهب من معدن جَوْهر الأَدب في عِلْمِ مَجَازَاتِ الْعَرَبِ»، لِمُؤَلِّفِهِ الْعَلَّامَةُ يَوْسُفُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَيْسَى الشُّتَمِيرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ الْجَمِيعَ وَنَفَعْنَا بِهِمْ وَنَفَعْنَا بِنَفَحَاتِهِمْ.

والتَّمْسَاحُ بِالْكَسْرِ مِنَ الرِّجَالِ: الْمَارِدُ الْخَيْثُ كَالْتَّمْسِيحِ وَالتَّمْسَحِ، وَالتَّمْسَاحُ أَيْضًا: خَلَقَ كَالسُّلْحَفَاءِ، ضَخْمٌ طَوْلُهُ نَحْوُ خَمْسَةِ أَدْرُعٍ، يُحْطَفُ الْإِنْسَانُ وَالْبَقَرُ وَيَعُوصُ بِهِ فِي الْمَاءِ فَيَأْكُلُهُ، وَهُوَ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ، يَكُونُ بَيْنَ مِصْرَ وَبَنِي مِصْرَ وَبَنِي السُّنْدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ نَهْرُ مِهْرَانَ، وَهَذَا اسْتَدَلُّوا أَنَّ بَيْنَهُمَا اتِّصَالًا»^١. هـ من التاج [مسح].

ولنرجع إلى ما نحن بصدد تفسيره، وهو قوله:

يَجْمَلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُحْقُوقِفٍ مِنْ طُولِ تَدَابِّ الْعُدُوِّ وَالسُّرَى

تَقَدَّمَ أَنَّ الشَّاحِبَ الْمَهْزُولُ، وَالشَّاحِبُ أَيْضًا: الْمَتَغَيِّرُ اللَّوْنُ لِعَارِضٍ مِنْ مَرَضٍ أَوْ جُوعٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، وَالْمُحْقُوقِفُ مِنَ احْتَقُوقَفَ، «وَكُلُّ مَا طَالَ وَعَوجَّ فَقَدْ احْتَقُوقَفَ كَطَهْرَ الْبَعِيرِ وَشَخْصَ الْهَلَالِ، وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا الْمُنْحَنِي مِنْ عَارِضِ السَّفَرِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحِقْفِ بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْمَعُوجُّ مِنَ الرَّمْلِ، وَقِيلَ: هُوَ الرَّمْلُ الْعَظِيمُ الْمُسْتَدِيرُ، وَقِيلَ: هُوَ الْكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ إِذَا تَقَوَّسَ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ - كَمَا فِي التَّاجِ - : «وَقِيلَ: هُوَ الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمَشْرِفُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْحِقْفُ: أَصْلُ الرَّمْلِ وَأَصْلُ الْجَبَلِ وَأَصْلُ الْحَائِطِ»^١. هـ تاج [حقف].

وَجَمْعُهُ أَحْقَافٌ، وَمِنْهُ الْأَحْقَافُ لِذِيَارِ عَادٍ، وَكَانَتْ مَنَازِلَهُمْ فِي الرَّمَالِ: وَهِيَ الْأَحْقَافُ، وَكَانَتْ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«وَالْتَدَابُّ: كَثْرَةُ الدُّوُوبِ، وَهِيَ الْمَوَاطَبَةُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْجِدُّ وَالْكَدُّ وَالتَّعَبُ، وَأَيْضًا

الدُّؤُوبُ المبالغة في السَّير» كما في اللسان، ونصّه: «الدُّؤُوبُ: المبالغة في السَّير، وأدَّأَبَ دأَبته إِدْأَباً: أَتَعَبَهَا، ولازِمُهُ دَأَبَتْ الناقَةُ تَدَأَبُ دُؤُوباً، والدَّأَبُ: العادة والملازِمة، يقال: ما زال ذلك دأَبه ودَيْنُه ودَيْدَنُه ودَيْدُونُه، كلُّه من العادة» ا.هـ لسان [دأَب].

وسبق أَنَّ التَّفْعَالَ لتكثير المصدر، فصار معنى التَّدَأَب كثرة المبالغة في السَّير، ولا يَخْفَى حُسْنُ هذا المعنى في البيت.

و«العُدُوُّ والسَّرَى» اسمان لفعلين في وقتين مخصوصين، فالعُدُوُّ: الانطلاق عُدُوَّةً، وهو نقيض الرِّوَّاح، والسَّرَى: الانطلاق ليلاً، وهو نقيض التَّأْوِيب.

في المصباح: «عَدَا عُدُوًّا كَقَعَدَ [أَي قَبْلَ القَلْبِ] ذَهَبَ عُدُوَّةً، وهي ما بين صلاة الصُّبْحِ وطلوع الشمس، والجمعُ عُدَى كُمُدِيَّةٍ ومُدَى، هذا أصله، ثم كَثُرَ حتى اسْتَعْمَلَ في الذَّهَابِ والانطلاق أَيَّ وقتٍ كان، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «واَعْدُ يا أَيُّس» [البخاري: ٢٣١٤] أَي وانطَلِقْ» ا.هـ مصباح [غدا].

وفي اللسان: «العُدُوَّةُ بالضمُّ: البُكْرَةُ ما بين صلاة العَدَاة وطلوع الشمس، ومثلها العَدَاة، وَعَدَا عليه عَدُوًّا وَعُدُوًّا، واغْتَدَى: بَكَرَ»، وقال أيضاً: «العُدُوُّ نقيض الرِّوَّاح، وقولُه تعالى: ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [النور: ٢٤/٣٦] أَي بِالْعَدَوَاتِ، فَعَبَّرَ بالفعل عن الوقت، كما يقال: أَتَيْتُكَ طُلُوعَ الشمسِ، أَي في وقت طلوع الشمس، وفي الحديث: «لِعُدُوَّةٍ أَوْ رَوْحَةٍ في سَبِيلِ الله» [مسلم: ٤٨٥٠]، العُدُوَّةُ: المَرَّةُ من العُدُوِّ، وهو سَيْرٌ أَوَّلَ النهار، نقيضُ الرِّوَّاحِ» ا.هـ لسان [غدا].

وفي شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي: «(لِعُدُوَّةٍ) بفتح الغين المعجمة (في سبيل الله)، وهي السَّير من أَوَّلِ النهار إلى انتصافه، (أَوْ رَوْحَةٍ) بفتح الراء هي السَّير من الزَّوالِ إلى آخر النهار، وأوَّ للتقسيم لا للشكِّ، (خيرٌ): أَي ثوابٌ ذلك في الجَنَّةِ أَفْضَلُ من الدنيا وما فيها، أَي التَّنْعَمُ بِثَوَابِ ما تَرْتَّبَ على ذلك خيرٌ من التَّنْعَمِ بِجَمِيعِ مَلَأْدِ الدنيا،

لأنه زائل، ونعيم الآخرة باقٍ، و(لقاب): بالرفع عطفٌ على غدوة، (قوسٍ أحدكم): أي قدره (أو موضعٌ قدّه): بكسر القاف وشدّ الدال، والمرادُ به السَّوطُ، (في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها) يعني ما صَغُرَ في الجنة من المواضع خيرٌ من الدنيا وما فيها، والحاصلُ أن المرادَ تعظيمُ أمر الجهاد، (ولو اطلَّعتُ امرأةٌ من نساء أهل الجنةِ إلى الأرض)، أي نظرتُ إليها وأشرفتُ عليها (لملأت ما بينهما رِيحاً) طيبةً (ولأضاءت ما بينهما) من نور بهائها (ولنصيفُها) بفتح النون وكسر الصاد المهملة فَتَحْتِيَّة: الخِمار (على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها) لأن الجنةَ وما فيها باقٍ، والدنيا مع ما فيها فانٍ» ا.هـ من كتاب التيسير بشرح الجامع الصغير للشيخ عبد الرؤوف المناوي [٢/٢٩٤-٢٩٥].

فحقيقة معنى الغدو هي البكور، قال في اللسان: «البُكْرَة: الغدوة، والبُكور والتبكير: الخروج في ذلك الوقت، والإبكار: الدُخول فيه، بَكَرَ عليه يَبْكُرُ بُكُوراً وبَكَرَ تبكيراً وابتَكَرَ وأَبَكَرَ وباكِرَه: أتاه بُكْرَةً، كلُّه بمعنى» ا.هـ لسان [بكر].

وفي المصباح: «بَكَرَ إليه كَقَعَدَ: أسرع أيَّ وقتٍ كان، وأنشد أبو زيد في النوادر:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى

قال الفارسيُّ أي عَجَلْتُ، ولم يُرد بُكُورُ الغدو، وقال أبو زيد في كتاب المصادر: «بَكَرَ بُكُوراً وَعَدَا غَدَوًا، هذان من أول النهار»، قال ابن جنِّي: «الأبْنِيَّةُ الثلاثة بمعنى الإسراع أيَّ وقتٍ كان، وباكِرته بمعنى بَكَرْتُ إليه، وأتاني بُكْرَةً وباكراً بمعنى» ا.هـ مصباح.

قلت: وأراد بالأبنية الثلاثة بكر كقعد وبكر بالتشديد وأبكر بالألف لأنها المذكورة قبل قول ابن جنِّي، وهي قوله قبله: «بكر كقعد: أسرع أيَّ وقتٍ كان، وبكر تبكيراً مثله، وأبكر إبكاراً: فعل ذلك بُكْرَةً» ا.هـ.

«والسرى»، قال السيّد المرتضى في التاج: «السرى كاهدى: سيرٌ عامّة الليل لا بعضه كما توهمه الفناري، قاله شيخنا، وفي المصباح: قال أبو زيد: ويكون أول الليل وأوسطه

وآخره [سرى]، والذي في المحكم: سيرُ الليلِ عامته، وبالتأمل يظهر أن ما ذهب إليه
الفتاري ليس بوهم.

وأما قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١٧/١] وإن كان
السرى لا يكون إلا ليلاً إلا أنه تأكيد، كقولهم: سرتُ أمسِ نهاراً والبارحة ليلاً، أو معناه
سيره، وقال السخاوي: لأن المدة التي أسرى به فيها لا تقطع في أقل من أربعين يوماً،
فقطعتُ به في ليل واحد، فكان المعنى سبحان الذي أسرى بعبدِه في ليل واحد من كذا
وكذا، وهو موضع التعجب، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل لأنهم إذا قالوا: سرى ليلة كان
ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى، فقيل: ليلاً، أي في ليل «انتهى باختصار قليل
من التاج [سرى]. وفي اللسان: «السرى: سيرُ الليلِ عامته، وقيل: السرى: سيرُ الليلِ
كله»^(١)، وفي مادة (س ي ر) منه: «السيرُ عندهم بالنهار والليل، وأما السرى فلا يكون إلا
ليلاً»^{١.هـ}، وفي (س ر ي) منه: «السرى تذكره العرب وتوثته، قال: ولم يعرف اللحياني إلا
التأنيث، وقولُ لبيد: [ديوانه ١٨٢]

قلتُ هججنا فقد طال السرى وقد رنا إن خنى الدهر غفل
قد يكون على لغة من ذكر، قال: وقد يجوز أن يريد «طالت السرى» فحذف علامة
التأنيث لأنه ليس بمؤنث حقيقي»^{١.هـ}.

وهذا البيت للبيد يصف رفيقاً في السفر غلبه النعاس، وقبله: [ديوانه ١٨١]
ومجود من صبابات الكرى عاطف الثمرق صدق المبتذل
قوله: «هججنا» أمر من التهجد، وهو التثويم، كأنه قال: نؤمنا، فإن السرى طال حتى
غلبنا النوم، و«خنى الدهر»: آفأته، وأخنى عليهم الدهر أهلكهم وأتى عليهم، قال
النابعة: [ديوانه ١٦]

أضحت خلاءً وأضحى أهلها اختملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدي
ورأيتُه في غير محلٍّ «أمسّت خلاءً وأمسى» إلخ، واختملوا مجهولاً أي حملوا ونقلوا،

يقال: اِحْتَمَلَه بمعنى حمّله، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [الرعد: ١٣/١٧]، ولُبْدُ اسم آخر نُسور لقمان بن عاد، سمّاه بذلك لأنّه لَبَدٌ فبقي لا يذهب ولا يموت كاللَبَدِ كَكَتِفٍ من الرّجال اللّازم لرحله لا يفارقه، ولُبْدٌ ينصرف لأنّه ليس بمعدول، قال في اللسان: «وتزعم العرب أنّ لقمان هو الذي بعثه عادٌ في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلکوا خیر لقمان بين بقاء سبع بعرات سُمرٍ من أظبٍ عُقرٍ في جبلٍ وعَرٍ لا يمشها القطر، أو بقاء سبعة أنسر، كلما أهلک أنسرٌ خلفَ بعده نسرٌ، فاختر النُسور، فكان آخر نُسوره يُسمى لُبْدًا، وفي المثل «طال الأبدُ على لُبْدٍ» اه لسان [لبد].

وفي غير موضع من اللسان: «خنى الليل»، قال: والمَجُود: الذي أصابه الجُودُ من النُّعاس، مثلُ المَجُود الذي أصابه الجُودُ من المطر. يقول: هو منعمٌ مُترَفٌ، فإذا صار في السَّفَرِ تَبَدَّلَ، وتبدُّله صبره على غير فراش ولا وِطَاءٍ. وفي مادة (ج و د) منه: «ويقال للذي غلبه النُّومُ مَجُودٌ، كأنَّ النَّومَ جاده أي مَطَرَه، قال: والمَجُود: الذي يُجهدُ من النُّعاس وغيره، وأنشد للبيد: ومَجُودٍ من صُبَاباتٍ ... إلخ البيت

وقال: أي هو صابر على الفراش الممهّد وعن الوِطَاءِ، يعني أنه عَطَفَ نُمْرُقَه ووضعها تحت رأسه، وقيل: معنى قوله: «ومَجُودٍ من صُبَابات الكرى» سَيِّقٌ، وقال الأصمعيُّ: معناه صبَّ عليه من جُودِ المطر، وهو الكثير منه، والجُوداد: النُّعاس، وجاده النُّعاس: غلبه، وجاده هواها: شاقه» اه لسان [جود].

وفيه [بذل]: «وفي حديث الاستسقاء «فخرج متبذلاً متخصّصاً»، التبذُّل: تركُ التزيّن والتهيؤِ بالهيئة الحسنّة الجميلة على جهة التواضع، وابتذال الثوب: امتهانه، والمتبذُّل والمتبذِّل: الذي يلي العمل بنفسه، وفلان صدقُ المتبذِّل إذا كان صلباً فيما يتبذُّل به نفسه» اه. وفي مادة (ع ط ف) منه: «عطفَ الرجلُ وساده: ثناه ليرتفقَ عليه ويتكى، قال لبيد:

ومَجُودٍ من صُبَابات الكرى عَاطِفٍ النُّمْرُقِ صَدَقِ المُتَبذِّلِ

ا.هـ. وفيه: «التَّمْرُقُ والتَّمْرُقَةُ والتَّمْرُقَةُ: الوِسَادَةُ، وقيل: وِسَادَةٌ صَغِيرَةٌ، وَرَبَّمَا سَمَّوَا الطَّنْفَسَةَ الَّتِي فَوْقَ الرَّحْلِ تُمْرَقَةٌ، وَاجْمَعُ نَهَارِقًا» ا.هـ. لسان [نمرق].

وفي القاموس: «الطنفسة مثلثة الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس واحدة الطَّنَافِسُ، وهي التَّمْرُقَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ، قِيلَ: الطَّنَافِسُ لِلْبُسْطِ وَالثِّيَابِ وَالْحَصِيرِ مِنْ سَعَفٍ عَرَضَهُ ذِرَاعٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ «وَالْحَصْرُ مِنْ سَيْفٍ» إِلَى آخِرِهِ» ا.هـ. شرح القاموس أعني التاج [طنفس].

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من تفسير الشَّرى، وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد النحويُّ في الصحيفة الثالثة والستين من الجزء الأول من الكامل، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر: «الشَّرى لَا يَكُونُ إِلَّا سَيْرَ اللَّيْلِ» ا.هـ. تم الآن تفسير قوله:

يَجْمَلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُحْقَوقِفٍ مِنْ طُولِ تَدَابِيبِ الْعُدُوِّ وَالشَّرَى

وبعده:

٥٢- بَرِّ بَرَى طُؤْلَ الطَّوَى جُثْمَانَهُ فَهَوَ كَقِدْحِ النَّبَعِ مَخْنِي الْقَرَا

بَرٌّ صِفَةٌ شَاحِبٍ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ، وَلَهُ عِدَّةٌ مَعَانٍ هَاكِ إِيَّاهَا، «الْبَرُّ: الصَّادِقُ وَأَيْضًا الْكَثِيرُ الْبِرِّ كَالْبَارِّ، وَخُصَّتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَرَّةِ دُونَ الْأَبْرَارِ فِي حَدِيثِ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَبْلَغُ، فَإِنَّهُ جَمَعَ بَرًّا، وَأَمَّا الْأَبْرَارُ فَجَمَعَ بَارًّا، وَبَرٌّ أَبْلَغُ مِنْ بَارٍّ، كَمَا أَنَّ عَدْلًا أَبْلَغُ مِنْ عَادِلٍ»، كَذَا فِي التَّاجِ [برر].

وفي المصباح: «الْبَرُّ: الصَّادِقُ وَالتَّقِيُّ، وَهُوَ خِلَافُ الْفَاجِرِ» ا.هـ. وَالْبَرُّ أَيْضًا: الْمَطِيعُ لَوَالِدِيهِ الْمُتَحَرِّيِّ لِمَحَابِّهَا الْمُتَوَقِّئِ لِمَكَارِهِمَا الْقَائِمِ حَقَّ الْقِيَامِ بِحَقُوقِهَا مِنْ إِحْسَانِهَا وَصِلَةِ رَحْمَتِهَا، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْتُبَنِي فِي أُمَّ الْكِتَابِ مِنَ الْبَرَّةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَرَّةِ، وَضَدُّهُ الْعَاقُّ، مِنْ عَقَّهَ يَعُقُّهُ، مِنْ بَابِ رَدٍّ، إِذَا شَقَّ عَصَا طَاعَتِهِ وَقَطَعَهُ، كَمَا فِي اللِّسَانِ [عقق].

والبَرُّ أيضاً الذي يصدُق في أقواله، ويُمضي أيامه على الصدق، كما يؤخذ من المصباح [برر]. والبرُّ أيضاً: الشفيق، ومنه الحديث: «تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ فَإِنَّهَا بَرَّةٌ بِكُمْ»، قال ابن الأثير: «أي مُشْفِقَةٌ عَلَيْكُمْ كَالْوَالِدَةِ الْبَرَّةِ بِأَوْلَادِهَا، يَعْنِي أَنَّ مِنْهَا خَلَقَكُمْ وَفِيهَا مَعَاشِكُمْ، وَإِلَيْهَا بَعْدَ الْمَوْتِ مَعَادُكُمْ» ١.هـ.

وفي المصباح: «البرُّ بالكسر: الخير والفضل، وبرَّ الرجلُ يبرُّ بَرًّا كَعَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا، فهو بَرٌّ بِالْفَتْحِ وَبَارٌّ أَيْضًا، أَي صَادِقٌ أَوْ تَقِيٌّ، وَهُوَ خِلَافُ الْفَاجِرِ، وَجَمْعُ الْأَوَّلِ أَبْرَارٌ، وَجَمْعُ الثَّانِي بَرَرَةٌ، عَلَى وَزْنِ ضِدِّهِ كَافِرٌ وَكَفَرَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْمَوْذُنِ: صَدَقَتْ وَبَرَرَتْ، أَي صَدَقَتْ فِي دَعْوَاكَ إِلَى الطَّاعَةِ، وَصُرْتُ بَارًّا دَعَاءً لَهُ بِذَلِكَ وَدَعَاءً لَهُ بِالْقَبُولِ، وَالْأَصْلُ بَرٌّ عَمَلٌ» ١.هـ مصباح [برر].

والمراءُ بالبرِّ في البيت فيما يظهر البرُّ بأصحابه في السفر بحيث يؤثرهم على نفسه، ويقوم عنهم بأعباء أمورهم، ولا يُخالفهم فيما يُشيرون عليه به.

«بَرَى طُولَ الطَّوَى جُثْمَانَهُ». «بَرَى الْعُودَ وَالْقَلَمَ وَالقِدْحَ وَغَيْرَهَا يَبْرِيهِ بَرِيًّا: نَحَتَهُ، وَابْتَرَاهُ كَبْرَاهُ، وَبَرَاهُ السَّفَرَ يَبْرِيهِ بَرِيًّا: هَزَلَهُ، وَبَرِيْتُ الْبَعِيرَ إِذَا حَسَرْتُهُ وَأَذْهَبْتُ لِحْمَهُ، وَفِي حَدِيثِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ أَنَّهَا خَرَجَتْ فِي سَنَةِ حُمْرَاءَ قَدِ بَرَّتِ الْمَالَ، أَي هَزَلَتْ الْإِبْلُ وَأَخَذَتْ مِنْ لِحْمِهَا، مِنَ الْبَرِيِّ الْقَطْعِ» كذا في اللسان [بري].

قوله: «هزله»، أي أضعفه، في المصباح: «هَزَلَ الدَّابَّةَ يَهْزِلُهَا كَضَرَبَ هُزْلًا كَقُفْلٍ: أَضْعَفَهَا بِإِسَاءَةِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَالاسْمُ الْهَزَالُ، وَهَزَلْتُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهِ مَهْزُولَةٌ، فَإِنْ ضَعُفَتْ مِنْ غَيْرِ فَعَلِ الْمَالِكُ قِيلَ: أَهْزَلَ الرَّجُلُ بِالْأَلْفِ، أَي وَقَعَ فِي مَالِهِ الْهَزَالُ» [هزل] ١.هـ. وفي اللسان: «هَزَلَ الْفَرَسُ وَهَزَلَهُ صَاحِبُهُ [يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ] وَأَهْزَلَهُ وَهَزَلَهُ وَتَقُولُ: هَزَلْتُهَا فَعَجِفْتُ، وَفِي حَدِيثِ مَازِنٍ: «فَأَذْهَبْنَا الْأَمْوَالَ وَأَهْزَلْنَا الدَّرَارِيَّ وَالْعِيَالَ»، أَي أَضْعَفْنَاهُمْ،

وهي لغة في هَزَل، وليست بالعالية، والهزَال نقيض السَّمْن، وقد هُزِلَ الرَّجُلُ والدَّابَّةٌ هُزَالًا
 على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهزَل هو هَزَلًا وهَزَلًا وهَزَلْتُهُ أَهَزَلْتُهُ هَزَلًا، فهو مهزول، وأنشد:
 والله لولا حَنَفُ بَرَجِلِهِ ودِقَّةُ فِي سَاقِهِ مِنْ هُزْلِهِ
 ما كان في فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ»

ا.ه لسان بحروفه [هزل].

وقوله: «حَسَرْتُهُ» في تفسير بَرَيْتُ البعير أَي أَتَعَبْتُهُ، في التاج واللسان: «حَسَرَ البعيرُ
 من بابي ضَرَبَ وفَرِحَ حَسْرًا وحُسورًا وأَحْسَرًا أَيضًا تَعَبَتْ وأَعْيَتْ وكَلَّتْ، وحَسَرها السيرُ
 يَحْسِرُها ويَحْسِرُها حَسْرًا وحُسورًا، وأَحْسَرها وحَسَرها ومعنى حَسَرَ الرَّجُلُ دَابَّتَهُ: سَيَّرها
 حتى ينقطع سيرها من شدة ما جَهِدَها» ا.ه منها بتصرف جزئي يكشف المعنى ولا يُجَلُّ
 بعبارتها [حسر].

«طُولُ الطَّوَى» الطُّول: خلاف العَرَض، ومصدر طَالَ الشَّيْءُ إِذَا امْتَدَّ، وهذا الثاني هو
 المراد في البيت، قال في التاج: «طَالَ يَطُولُ طُولًا بِالضَّمِّ أَي امْتَدَّ، وكُلُّ ما امْتَدَّ مِنْ زَمَنٍ أَوْ
 لَزِمَ مِنْ هَمٍّ ونحوه فقد طَالَ، كقولك: طَالَ الهَمُّ وطَالَ اللَّيْلُ، والطُّولُ خلافُ العَرَضِ،
 وفي المحكم: نقيض القِصْر» ا.ه من التاج [طول].

والأظهر هنا أن يُراد بطُول الطَّوَى ملازمتُه وامتدادُ زَمَنٍ مصاحبته لذلك البرِّ
 الشاحب المَحْقُوف، والعلم عند الله تعالى.

«الطَّوَى»: فراغ الجَوْفِ من الطعام، قال في التاج: «ورجل طَيَّانٌ: لم يأكل شيئاً، وقد
 طَوِيَ كَرَضِي طَوَى بالكسر والفتح عن سيبويه، وأَطَوَى فهو طَاوٍ وطَوٍ: حَمَصَ، فإن تَعَمَّدَ
 ذلك فَطَوَى يَطْوِي طَيًّا كَرَمَى، وهي طَيِّى وطاوية، وجمع الكلِّ طِوَاءٌ» ا.ه تاج [طوى].

وعبارة اللسان [طوى]: «رجل طَيَّانٌ: لم يأكل شيئاً، والأثنى طَيِّى والجمع طِوَاءٌ، وقد

طَوِي يَطْوِي بالكسر طَوَى و طَوَى عن سيبويه: حَمَصَ من الجوع، فإذا تَعَمَّدَ ذلك قيل: طَوَى يَطْوِي بالفتح طَيًّا، وعن اللَّيْث: الطَّيَّان: الطَّاوِي البطن، والمرأة طَيَّى وطاوية، وقال: طَوَى نهارَه جائعاً يَطْوِي طَوَى فهو طاوٍ و طَوَى، أي خالي البطن جائعٌ لم يأكل. وفي الحديث: «يَبِيْتُ شَبْعَانَ وَجَارَهُ طَاوٍ»، وفي الحديث أنه كان يَطْوِي بطنَه عن جاره، أي يُجِيع نفسه ويؤثر جاره بطعامه، وفي الحديث أنه كان يَطْوِي يَوْمَيْنِ، أي لا يأكل فيهما ولا يشرب» ١. هـ من اللسان بحروفه وضبطه.

وفي المختار: «طَوَاهُ يَطْوِيهِ طَيًّا فَانطَوَى، والطَّوَى: الجوع، وبأبه صَدِي، فهو طاوٍ و طَيَّان، و طَوَى يَطْوِي بالكسر طَيًّا إِذَا تَعَمَّدَ ذَلِكَ» ١. هـ منه. و صَدِي بكسر عين الماضي وفتحها في الآتي والمصدر، تقول: صَدِي يَصْدِي صَدَى ومعناها عَطِشَ.

ومما فَاتَنِي نقلُه من اللسان ما نصُّه: «والطَّوَى: الجوع، وفي حديث فاطمة قال لها: «لا أُخْدِمُكَ وَأَتْرُكُ أَهْلَ الصَّفَّةِ تَطْوِي بِطَوِئِهِمْ»، فتلخَّصَ أَنَّ الطَّوَى بفتح الطاء وكسرهما مقصوراً خِلاَءَ البطنِ من الطعامِ جوعاً، والطَّيُّ تركُ الطعامِ حتى يخلو البطنُ منه.

«جُثْمَانُهُ»، «الجُثْمَانُ: الجِسْمُ، في التهذيب: الجُثْمَانُ بمنزلة الجُثْمَانِ جامعٌ لكلِّ شيءٍ تريد به جسمه وألواحَه، ويقال: ما أَحْسَنَ جُثْمَانَ الرَّجْلِ وَجُثْمَانَهُ، أي جَسَدَهُ، وقال الأصمعيُّ: الجُثْمَانُ: الشَّخْصُ، والجُثْمَانُ: الجِسْمُ» وفيه أيضاً: «الجِسْمُ: جماعةُ البدنِ أو الأَعْضَاءِ من الناسِ والإبلِ والدوابِّ وغيرهم من الأنواع العظيمة الخلق، واستعاره بعض الخطباء للأعراض فقال يذُكُرُ عِلْمَ القَوافي: لا ما يَتَعاطاه الآن أَكْثَرُ الناسِ من التَّحَلِّيِّ بِاسْمِهِ دونِ مِباشرةِ جِوهره وَجِسْمِهِ، وكأنه إِنما كَتَبَ بِذلك عن الحقيقة، لأنَّ جِسْمَ الشَّيءِ حَقِيقَةٌ، واسمُه ليس بحَقِيقَةٌ، أَلَّا تَرى أَنَّ العَرَضَ ليس بِذي جِسْمٍ ولا جِوهر، وإِنما ذلك كُلُّهُ استعارةٌ ومثَلٌ، والجمعُ أَجسامٌ وَجُسُومٌ، والجُثْمَانُ: جماعةُ الجِسْمِ وَجُثْمَانِ الرَّجْلِ

وَجُثْمَانَهُ جِسْمُهُ، وَرَجُلٌ جُسْمَانِيٌّ وَجُثْمَانِيٌّ صَخْمُ الْجُثْمَةِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْجِسْمُ: الْجَسَدُ كَالْجُسْمَانِ وَالْجُثْمَانُ الشَّخْصُ» ١. هـ لسان [جسم].

وَفِي الْمَصْبَاحِ: «الْجُثْمَانُ بِالضَّمِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ: الْجُسْمَانُ، وَالْأَصْمَعِيُّ: الْجُثْمَانُ: الشَّخْصُ، وَالْجُسْمَانُ هُوَ الْجِسْمُ وَالْجَسَدُ»، التَّهْدِيبُ: الْجِسْمُ: مَجْمَعُ الْبَدَنِ وَأَعْضَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ وَالْإِبِلِ وَالِدَوَابِّ وَنَحْوِهَا مِمَّا عَظُمَ مِنَ الْخَلْقِ الْجَسِيمِ، وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ دُرَيْدٍ يَكُونُ الْجِسْمُ حَيَوَانًا وَجَمَادًا وَنَبَاتًا، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي زَيْدٍ، وَالْجُسْمَانُ بِالضَّمِّ: الْجُثْمَانُ».

وَفِي التَّاجِ: «الْبَدَنُ مَحْرَكَةٌ مِنَ الْجَسَدِ مَا سِوَى الرَّأْسِ وَالشَّوَى، أَيِ الْأَطْرَافِ، وَفِي «الْمَغْرَبِ»: الْبَدَنُ مِنَ الْمَنْكِبِ [مَجْتَمِعَ رَأْسِ الْعَضُدِ وَالْكَتِفِ] إِلَى الْأَلْيَةِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: يُطْلَقُ عَلَى جُمْلَةِ الْجَسَدِ كَثِيرًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ١٠/٩٢]، قَالُوا: بِجَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ» ١. هـ تاج [بدن].

فَالْجُسْمَانُ وَالْجُثْمَانُ بضمهما، والجسد والبدن بتحريكهما، والجسم بالكسر والشخص بالفتح ألفاظٌ متقاربةٌ إن لم نقل مترادفة. وقولُه:

فَهُوَ كَقِدْحِ النَّبْعِ مَحْنِي الْقَرَا

الْقِدْحُ بِالْكَسْرِ: الْعُودُ الْمَهْيَأُ لِأَن يُجْعَلَ سَهْمًا، فِي اللِّسَانِ: «عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ الْقِدْحُ: الْعُودُ إِذَا بَلَغَ فَشُدْبَ عَنْهُ الْغَصْنُ، وَقُطِعَ عَلَى مِقْدَارِ النَّبْلِ الَّذِي يُرَادُ مِنَ الطُّولِ وَالْقَصْرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ عَمْرًا «كَانَ يُقَوِّمُهُمْ فِي الصَّفِّ كَمَا يُقَوِّمُ الْقِدَّاحُ الْقِدْحُ» [أبو داود: ٦٣٣]، قَالَ: وَأَوَّلُ مَا يُقْتَطَعُ وَيُقْتَضَبُ يُسَمَّى قِطْعًا، وَجَمْعُهُ قُطُوعٌ، ثُمَّ يُبْرَى فَيُسَمَّى بَرِيًّا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُقَوْمَ، فَإِذَا قَوْمٌ وَأَنْىَ أَيِ أَنْ وَحَانَ لَهُ أَنْ يُرَاشَ وَيُنْصَلَ فَهُوَ الْقِدْحُ، فَإِذَا رِيشٌ وَرَكَّبَ نَصْلُهُ فِيهِ صَارَ نَصْلًا» ١. هـ لسان [قدح].

وَفِي الْمَصْبَاحِ: «الْقِدْحُ بِالْكَسْرِ اسْمُ السَّهْمِ قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ وَيُرَكَّبَ نَصْلُهُ». ١. هـ، وَفِي التَّاجِ: «الْقِدْحُ بِالْكَسْرِ: السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ وَيُنْصَلَ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْقِدْحُ: الْعُودُ إِذَا بَلَغَ

فَشُدْبُ عَنْهُ الْغَصْنُ... إلخ ما تقدّم عنه، وفي حديث عمر أنه كان يُسَوِّي الصَّفوفَ حتّى يدَعَمَها مثل القِدْحِ أو الرِّقِيمِ، أي السَّهْمِ أو سَطْرِ الكِتَابَةِ» ١.هـ.

«النَّبَعُ» شَجَرٌ صُلْبٌ الْمَكْسَرُ جَدًّا يَنْبُتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ، كَانَتْ تُتَّخَذُ مِنْهُ السَّهَامُ الْعَرَبِيَّةَ لِكَوْنِهِ أَفْضَلَ مَا أُتَّخَذَتْ مِنْهُ.

في اللسان: «وفي الحديث ذُكِرَ النَّبَعُ، قيل: كان شَجَرًا يَطْوُلُ فِدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «لَا أَطَالُكَ اللَّهُ مِنْ عُدُوِّ»، فلم يَطُلْ بَعْدُ، وقال أبو حنيفة مرّةً: النَّبَعُ: شَجَرٌ أَصْفَرُ الْعُودِ رَزِينُهُ ثَقِيلُهُ فِي الْيَدِ، وَإِذَا تَقَادَمَ أَحْمَرٌ، وَكُلُّ الْقِسِيِّ إِذَا ضُمْتُ إِلَى قَوْسِ النَّبَعِ كَرَمَتْهَا قَوْسٌ النَّبَعُ لِأَنَّهَا أَجْمَعُ الْقِسِيَّ لِلأَرْزِ وَاللَّيْنِ، يَعْنِي بِالأَرْزِ الشَّدَّةَ، قال: ولا يكون العودُ كَرِيمًا حتّى يكون كذلك، ومن أغصانه تُتَّخَذُ السَّهَامُ، وعن المبرد: النَّبَعُ والشَّوْحَطُ والشَّرِيانُ شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ، ولكنها تختلف أَسْمَاءُهَا لِاخْتِلَافِ مَنَابِتِهَا، فَمَا كَانَ فِي قَلَّةِ الْجَبَلِ فَهُوَ النَّبَعُ، وَمَا كَانَ فِي سَفْحِهِ فَهُوَ الشَّرِيانُ، وَمَا كَانَ فِي الْحَضِيضِ فَهُوَ الشَّوْحَطُ، والنَّبَعُ لا نارَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فيقال: لو افْتَدَحَ فُلَانٌ بِالنَّبَعِ لِأَوْرَى نارًا، إِذَا وُصِفَ بِجُودَةِ الرَّأْيِ وَالْحَذَقِ بِالْأُمُورِ»، وفيه: «وَرَبِّمَا افْتَدَحَ بِالنَّبَعِ، قال الأَعَشَى: [ديوانه ٥٣]

وَلَوْ رُمْتَ فِي ظُلْمَةٍ قَادِحًا حَصَاةً بَنَبَعٍ لِأَوْرَيْتَ نارًا
يعني أنه مُؤَتَّى لَهُ حتّى لو قَدَحَ حَصَاةً بَنَبَعٍ لِأَوْرَى لَهُ، وَذَلِكَ ما لا يَتَأَتَّى لِأَحَدٍ،
وَجَعَلَ النَّبَعُ مِثْلًا فِي قَلَّةِ النّارِ، حكاها أبو حنيفة، وقال مرّةً: النَّبَعُ: شَجَرٌ أَصْفَرُ الْعُودِ رَزِينُهُ
ثَقِيلُهُ إلخ ما تقدّم عنه، وواحدةُ النَّبَعِ نَبْعَةٌ» ١.هـ لسان [نبع].

وفيه: «الشَّرِيانُ بفتح الشين وكسرهما (وفي التاج: الكسرُ أشهرُ): نَباتُ السُّدْرِ، يَسْنُو كما يَسْنُو السُّدْرُ وَيَتَسَّعُ، وله أيضًا بَبَقَةٌ صَفراءُ حُلُوةٌ، قال: وقوسُ الشَّرِيانِ جيّدةٌ، إلاّ أنّها
سوداءُ مُشْرِبةٌ حَمْرَةٌ، وزعموا أنّ عودَهُ لا يكادُ يَعُوجُ».

وفيه في مادة (ش ر ن): «الشَّريَان بالكسر: شجر صُلبٌ تُتخذ منه القِسيُّ، واحِدُهُ

شِريَانة، وهو كجِرْيَال ملحَقٌ بِسِرْدَاح، قال: [ديوان أحمد بن محمد بن عبد ربه ١٩٣]

وَقَوْسُكَ شِريَانَةٌ وَنَبْلُكَ جَمْرُ الغَصَى

١.هـ. وفيه: «الشَّوْحَط: ضَرْبٌ مِنَ النَّبَعِ تُتخذ منه القِيَّاسُ، وهي من شجر جبال السَّرَاة،

قال الأَعشى: [ديوانه ٩]

وَجِيَاداً كَأَنَّهَا قُضِبُ الشَّوِّ حَطٍ يَحْمِلُنَ شَكَّةَ الأَبطَالِ

١.هـ لسان العرب [شحط].

«مَحْنِيَّ القَرَا»، أي معوِّج الظهر، والمَحْنِيُّ: اسم مفعول من حَنَاهُ يَحْنِيهِ حَنِياً كَرَمَى

يَرْمِي رَمْياً إِذَا عَطَفَهُ وَثَنَاهُ كَمَا يَفْعَلُ بِالْعُودِ لِيَجْعَلَهُ قَوْساً، قال في المصباح: «حَنِيتُ العُودَ

أَحْنِيَهُ حَنِياً: ثَنَيْتُهُ، ويقال للرجل إِذَا انْحَنَى مِنَ الكِبَرِ: حَنَاهُ الدهرُ فَهُوَ مَحْنِيٌّ» قال: «ويقال:

حَنَاهُ يَحْنُوهُ حَنْوً حَنْوً بفتح فسكون، فعلى هذا هو مَحْنُوٌّ»، والحاصل أَن حَنَاهُ وَثَنَاهُ وَعَطَفَهُ وَلَوَاهُ

وآدَهُ بِمعنى أَمَالَهُ وجعله أعوج، ضدُّ قَوْمَهُ وَسَوَى أَوَدَهُ.

«القَرَا»: «الظَّهْر، ومثله المَطَا وَزَنَا ومعنى، ويُطلق المَتْنُ أيضاً على الظَّهْر عند اللِّحيَانِيّ،

وقيل: المَتْنَانُ مُكْتَتَفَا الصُّلْبِ من يَمِينٍ وَشِمَالٍ، والظَّهْرُ معروف، وهو خلاف البطن من

كُلِّ شَيْءٍ، ومن الإنسان من لُدُنٌ مَوْخَرٌ الكاهلِ إِلى أَدْنَى العَجْزِ» كما في اللسان [قرا].

وشاهدُ القَرَا بِمعنى الظَّهْر قولُ العَلَّامة جَارِ اللهُ أَبِي القاسمِ الزمخشرِيِّ: [ديوانه ٥٦٨]

أَلَا أَفْقَرَ اللهُ عِبْداً أَبَتْ عَلَيْهِ الدَّنَاءَةُ أَنْ يُفْقِرَا

وَمَنْ لَا يُعِيرُ قَرَا مَرْكَبٍ فَقُلْ كَيْفَ يَعْقِرُهُ لِلقَرَى

أَفْقَرَ زَيْدٌ عَمراً بِعيره: أَعَارَهُ إِيَّاهُ مِنْ فَقَارِ الظَّهْرِ لِحَرَزَاتِهِ، وَأَفْقَرَهُ اللهُ ضُدُّ أَغْنَاهُ، وَقَرَا

مَرْكَبٌ: ظَهْرٌ مَا يُرْكَبُ، والمَرْكَبُ كَمَقْعَدٍ يُطلق على الدَابَّةِ والسفينة، ويكون مصدراً بِمعنى

الرُّكُوبِ، واسمَ زَمَانٍ بِمعنى وَقْتِهِ، ومكانٍ بِمعنى مَوْضِعِهِ» كما في التاج [قرا].

وعقره كضربه: جرحه، والبعير: قطع قوائمه، وربما قيل: عقره إذا نحره كما في المصباح [عقر]، وهو المراد في البيت، والقرى بالكسر والقصر وزان رضى مصدر قرى الضيف يقره إذا قام بحقوقه وأحسن إليه وأقبل بوجه طليق عليه، والاسم القراء بالفتح والمد، وزان سحاب وسما.

وهذان البيتان ذكرهما السيد المرتضى الزبيدي في التاج شرح القاموس في مادة (ف ق ر) معزوين للزخشي نفسه، فليله دره من نابغة ماهر وبلغ باهر، وقد تذكرت به قول القائل:

عليك بالتكرار والتأني فالعلم لا يدرك بالتمني
كم أعجمي أكن أحن أدرك بالتكرار كل فن

جعلنا الله كمن جد في طلب المعالي، ودأب في اجتهادها حتى ظفر بقصارى طلبته وفاز من سعادة الدارين بكمال مراده. وبعده:

٥٣- ينوي التي فضلها رب العلاء لما دحا ثربتها على البنى

«ينوي التي» أي يعزم على الذهاب إلى التي، في المصباح: «نويته أنويه قصدته، والنية: عزم القلب على أمر من الأمور، والنية أيضاً: الأمر والوجه الذي تنويه» ا.هـ باختصار [نوى]. وفي اللسان: «في حديث ابن مسعود: من ينو الدنيا تُعجزه، أي من يسع لها يحب، يقال: نويت الشيء إذا جددت في طلبه»، ومعنى قصده طلبه كما في المصباح [قصد].

«فضلها»: حكّم لها بالفضل على غيرها، أو صيرها أفضل من غيرها، قال في اللسان: «فضّلته على غيره تفضيلاً: حكمت له بذلك، أو صيرته كذلك» [فضل]. ا.هـ.

ويرادف التفضيل التمزية، يقال: مزاه وفضله بمعنى، وكذلك أمزاه بالألف ومثله أفضاه، قال في اللسان: «أففى الرجل على صاحبه: فضّله، قال غيلان الربعي يصف فرساً: مَفَفَى على الحيّ قصير الأظهاء.

وَالْقَفِيَّةُ: الْمَزِيَّةُ، تَقُولُ: لَهُ عِنْدِي قَفِيَّةٌ وَمَزِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ» [قفنا] ١.هـ.
فَالفَضِيلَةُ وَالْمَزِيَّةُ وَالْقَفِيَّةُ أَلْفَاظٌ مُتَرَادِفَةٌ تَخْتَلِفُ لَفْظًا وَتَتَّحِدُ مَعْنَى، وَكَذَا فَضَّلَهُ وَمَزَّاهُ
وَأَمَزَاهُ وَأَقْفَاهُ، لَكِنْ مَنَعَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُبَيَّنَ مِنَ الْمَزِيَّةِ فَعَلٌ كَمَا فِي الْمَصْبَاحِ [مزي].

قَالَ فِي النَّجَاحِ: «الْمَزِيَّةُ: الْفَضِيلَةُ، وَالْجَمْعُ الْمَزَايَا، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَلَا يُبَيَّنُ مِنْهُ فَعْلٌ، ثُمَّ
قَالَ: وَمَمَزَيْتَ عَلَيْنَا يَا فُلَانًا، أَيَّ رَأَيْتَ لَكَ الْفَضْلَ عَلَيْنَا، وَمَمَزَيْتَهُ: قَرَّظْتَهُ وَفَضَّلْتَهُ، وَمَمَزَيْتَ
مَتَاعَهُ حَتَّى نَفَقَ، كَمَا فِي الْأَسَاسِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُبَيَّنُ مِنْهُ فَعْلٌ خِلَافًا لِلْجَوْهَرِيِّ،
ابْنُ بَرِيٍّ: أَمَزَيْتَهُ عَلَيْهِ: فَضَّلْتَهُ، وَفِي التَّهْذِيبِ: رَوَى ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ يَقَالُ: أَقْفَيْتُهُ
وَلَا يَقَالُ: أَمَزَيْتُهُ، وَالتَّمَازِي: التَّفَاضُلُ» ١.هـ. مَادَّةُ (م ز و).

وَفِي مَادَّةِ (م ز ي) مِنْهُ: «التَّمَزِيَّةُ: الْمَدْحُ وَالتَّقْرِيبُ: وَتَمَازَوْا: تَفَاضَلُوا، وَأَمَزَاهُ عَلَيْهِ:
فَضَّلَهُ، وَأَبَاهَا ثَعْلَبٌ» ١.هـ. وَفِي اللِّسَانِ [قرظ]: «التَّقْرِيبُ: مَدْحُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ حَيٌّ، وَالتَّابِينَ
مَدْحُهُ مَيَّنًا» ١.هـ.

«رَبُّ الْعَالَا»: صَاحِبُ الصِّفَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْمُقَدَّسَةِ جَلَّ جَلَالُهُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «وَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْمُتَعَالِي الْعَالِي الْأَعْلَى، ذُو الْعُلَى وَالْعَلَاءِ وَالْمَعَالِي تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا، وَهُوَ الْأَعْلَى سَبْحَانَهُ بِمَعْنَى الْعَالِي وَتَعَالَى أَيَّ جَلٍّ وَنَبَا عَنْ كُلِّ ثَنَاءٍ، فَهُوَ أَعْظَمُ
وَأَجَلُّ وَأَعْلَى مِمَّا يُبَيَّنُّ عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَقْرُبُ
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

فَالْعَلِيُّ: الشَّرِيفُ، فَعِيلٌ مِنْ عَلَا يَعْلُو، وَهُوَ بِمَعْنَى الْعَالِي، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ،
وَيَقَالُ: هُوَ الَّذِي عَلَا الْخَلْقَ فَفَقَّهَرَهُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَمَّا الْمُتَعَالِي فَهُوَ الَّذِي جَلَّ عَنْ إِفْكَ الْمَفْتَرِينَ
وَتَنَزَّهَ عَنْ وَسَاوِسِ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُتَعَالِي بِمَعْنَى الْعَالِي، وَالْأَعْلَى هُوَ اللَّهُ الَّذِي هُوَ
أَعْلَى مِنْ كُلِّ عَالٍ، وَاسْمُهُ الْأَعْلَى أَيَّ صِفَتُهُ أَعْلَى الصِّفَاتِ، وَالْعَلَاءُ: الشَّرْفُ، وَذُو الْعَالَا:
صَاحِبُ الصِّفَاتِ الْعَالَا، وَالْعَالَا جَمْعُ الْعُلِيَا، أَيَّ الصِّفَةِ الْعُلِيَا وَالْكَلِمَةُ الْعُلِيَا، وَيَكُونُ الْعَلَى

جمع الاسم الأعلى، وصفة الله العُلْيَا شهادةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فهذه أعلى الصفات ولا يُوصف بها غيرُ الله وحده لا شريك له، ولم يزل الله علياً عالياً مُتعالياً، تعالى الله عن إحداح الملحدِين، وهو العليُّ العظيم» اهـ لسان [علا].

«رَبُّ الْعَلَا»، أي مالكُ الْعَلَا ومستحقُّها، في اللسان: «الرَّبُّ هو الله عزَّ وجلَّ، هو رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، أي مالكُه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رَبُّ الْأَرْبابِ، ومالكُ الملوِك والأَملاك، ولا يقال الرَّبُّ في غير الله إِلَّا بِالإِضَافَةِ، فيقال: رَبُّ البستان لصاحبه، ورَبُّ الكتاب، ونحوه، وقيل: يقال: الرَّبُّ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لغير الله، وقد قالوه في الجاهلية لِلْمَلِكِ: قال الحارث بن حِلْزَةَ: [ديوانه ٧٠]

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءٍ
وَالاسْمُ الرَّبَابَةُ، قال:

يا هِنْدُ أَسْقَاكِ بِلَا حِسَابِهِ سُقِيَا مَلِيكَ حَسَنِ الرَّبَابَةِ
والرُّبُوبِيَّةُ كَالرُّبَابَةِ. وفي مادة (ح س ب): «والْحِسَابُ وَالْحِسَابَةُ: عَدُّ الشَّيْءِ، يقال: حَسَبَهُ يَحْسِبُهُ بِالضَّمِّ حَسَبًا وَحِسَابًا وَحِسَابَةً: عَدَّهُ، أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِمَنْظُورِ ابْنِ مَرْثَدِ الْأَسَدِيِّ:

يا جُمْلُ أُسْقِيْتِ بِلَا حِسَابِهِ سُقِيَا مَلِيكَ حَسَنِ الرَّبَابَةِ
قَتَلْتَنِي بِالذَّلِّ وَالْخِلَابَةِ

أَيُّ أُسْقِيْتِ بِلَا حِسَابٍ وَلَا هِنْدَا، وَيَجُوزُ فِي «حَسَنِ» الرِّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالْجُرْ، وَأُورِدَ الْجَوْهَرِيُّ هَذَا الرَّجْزَ: «يا جُمْلُ أُسْقَاكِ»، وَصَوَّبَ إِِنْشَادَهُ «يا جُمْلُ أُسْقِيْتِ»، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي رَجْزِهِ [اللسان (حسب)].

«وَالرُّبَابَةُ بِالْكَسْرِ: الْقِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ بِإِصْلَاحِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَمِنْهُ: رَبَّ النِّعْمَةَ يَرْبُهَا رَبًّا وَرَبَابَةً» [اللسان (رب)].

وفي مادة (خ ل ب) منه: «الْخِلَابَةُ بِالْكَسْرِ: الْمَخَادَعَةُ، وَقِيلَ: الْخُدَيْعَةُ بِاللِّسَانِ خَلْبُهُ يُخْلَبُهُ خَلْبًا وَخِلَابَةً، وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ كَانَ يُخْدَعُ فِي بَيْعِهِ: «إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ» أَي لَا خِدَاعَ، وَالْخِلَابَةُ أَنْ تُخْدَعَ الْمَرْأَةُ قَلْبَ الرَّجُلِ بِالْقَوْلِ اللَّطِيفِ» ١. هـ لسان باختصار.

وفيه: «فِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: «وَأَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّهَا أَوْ رَبَّتَهَا»، قَالَ: الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمَرْبِيِّ وَالْقَيِّمِ وَالْمَنْعَمِ، قَالَ: وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مِضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أُضِيفَ فَقِيلَ: رَبُّ كَذَا، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ فِي الشُّعْرِ مَطْلَقًا عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ، وَلَمْ يَذَكَرْ فِي غَيْرِ الشُّعْرِ، قَالَ: وَأَرَادَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمَوْلَى أَوْ السَّيِّدَ، يَعْنِي أَنَّ الْأُمَّةَ تَلِدُ لِسَيِّدِهَا وَلِدًا فَيَكُونُ كَالْمَوْلَى لَهَا، لِأَنَّهُ فِي الْحَسَبِ كَأَبِيهِ، أَرَادَ أَنْ السَّبَبِي يَكْثُرُ، وَالنَّعْمَةُ تَظْهَرُ فِي النَّاسِ، فَتَكْثُرُ السَّرَارِي.

وفي حديث إجابة المؤذّن: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ» [البخاري: ٦١٤] أي صاحبها، وقيل: المتّم لها والزائد في أهلها والعمل بها والإجابة لها.

وأما الحديث في ضالة الإبل: «حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا» فَإِنَّ الْبَهَائِمَ غَيْرَ مُتَعَبِّدَةٍ وَلَا مَخَاطَبَةٍ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَجُوزُ إِضَافَةَ مَالِكِهَا إِلَيْهَا، وَجَعَلَهُمْ أَرْبَابًا لَهَا، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَبُّ الصَّرِيمَةِ وَرَبُّ الْغَنِيمَةِ» ١. هـ لسان باختصار [رب].

وفيه: «الصَّرِيمَةُ: الْقَطِيعُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، قِيلَ: هِيَ مِنَ الْعَشْرِينَ إِلَى الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ، وَقِيلَ: إِلَى الْخَمْسِينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ السَّتِينَ فَهِيَ الصَّدْعَةُ كَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ هَذَا الْعَدَدَ تَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهَا فَيَصْرُمُهَا صَاحِبُهَا، أَي يَقْطَعُهَا صَاحِبُهَا عَنْ مَعْظَمِ إِبْلِهِ وَغَنَمِهِ.

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال لمولاه: أَدْخِلْ رَبَّ الصَّرِيمَةِ وَالْغَنِيمَةَ، يَعْنِي فِي الْحِمَى وَالْمَرْعَى، يَرِيدُ صَاحِبَ الْإِبِلِ الْقَلِيلَةَ وَالْغَنَمَ الْقَلِيلَةَ» ١. هـ لسان باختصار [صرم].

«لَمَّا دَخَا تُرْبَتَهَا عَلَى النَّبِيِّ» دَحَاها: بَسَطَهَا وَمَدَّهَا، وَحَقِيقَةُ الْبَسْطِ النَّشْرُ وَالتَّوَسُّيعُ، كَمَا

فِي التَّاجِ [دحا]، قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ: [ديوانه ٣٩٤]

دَحَوْتُ الْبِلَادَ فَسَوَّيْتُهَا وَأَنْتَ عَلَى طَيْهَا قَادِرٌ

وقال الزمخشريُّ: دَحَاها: مهَّدها، والتمهيد والتوطئة متقاربان، وفي اللسان: «دَحَا الأَرْضَ: بَسَطها، وكذا قال الفراء في قوله عزَّ وجلَّ في تنزيله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٧٩/٣٠]. وقال شمر: أنشدتني أعرابية:

الحمدُ لله الذي أطاقا بنى السَّماءِ فوقنا طباقا
ثمَّ دَحَا الأَرْضَ فما أَصاقا

قال شمر: وفسرته فقالت: دَحَا الأَرْضَ: أَوْسَعها (أَطاقَ أي قَدَرَ، وطَباقًا: بعضُها فوق بعض، يقال: طابَقَ بين قَميصيه إذا لَبَسَ أحدهما على الآخر، وقولها: فما أَصاقا أي فما ضَيَّقَ عن ابن جنِّي، يقال: أَصاقَ الشيءَ وضَيَّقَه - كما في التاج - إذا جعله ضَيِّقًا)، وأنشد ابن بري لزيد بن عمرو بن نُعَيْل:

دَحَاها فلمَّا رآها اسْتوتَ على الماءِ أَرْسَى عليها الجبالا

ودَحَا الأَرْضَ يَدَحَاها دَحِيًّا لَغَةً في دَحَاها يَدْحُوها دَحْوًا، يقال: دَحَا يَدْحُو وَيَدْحِي، أي بَسَطَ ووسَّعَ. اهـ لسان [دحا].

وفيه: «وفي حديث عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه ورضي عنه: «اللهمَّ داحيَ المَدْحُوَّاتِ» يعني باسِطَ الأَرْضين وموسَّعها، ويروى: «داحيَ المَدْحِيَّاتِ» اهـ. وهو من الدَّحْيِ لأنَّه واويٌّ يائيٌّ كما تقدَّم.

والحاصل أنَّ ذلك راجعٌ لمعنى البَسَطِ، وتُسمى الأَرْضُ بالبَسِيطَةِ، يقال: ما على البَسِيطَةِ مثله، وكذا في التاج [بسط]، والظاهر أنَّها منقولة من البَسِيطَةِ التي بمعنى المبسوطة، كالحقيقة لِذات الشيء وماهيَّته اللَّازمة له بناءً على أنَّها من حَقَّ الشيءَ يَحِقُّه إذا أثبتَه وجعلَه لازماً ثابتاً، والله أعلم.

وقولها: «تُرْبَتها» التُّرْبَةُ: الطائفة من التُّرابِ والقطعة منه، وقال في اللسان: «عن اللَّيْث: التُّرْبُ والتُّرابُ واحدٌ، إلَّا أنَّهم إذا أنشوا قالوا: التُّرْبَةُ، يقال: أرضٌ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، أي خِلْقَةُ

تراها، وفي الحديث: «خلق الله التُّربةَ يومَ السَّبْتِ» [مسلم: ٦٨٩٥] يعني الأرض، وخلق فيها الجبال يومَ الأحد، وخلق الشَّجَرَ يومَ الاثنين» ا.هـ من اللسان [ترب].

وفيه: «التُّربة: الطائفة من التُّراب» ا.هـ، وفي مختار الصحاح أن التُّرب والتُّربة بالضم كلاهما بمعنى التُّراب، وعبارة القاموس تُشعر أيضاً بأنَّ التُّربة بمعنى التُّراب.

وفي التُّراب لغاتٌ، قال في اللسان: «التُّرب والتُّراب والتُّرباء والتُّورب والتُّيرب والتُّوراب والتُّيراب والتُّيرب والتُّيرب كلُّه واحد» ا.هـ، وفي التاج: «التُّرباء: الأرض نفسها، وفي الأساس: ما بين الجُرباء والتُّرباء أي السماء والأرض» ا.هـ.

فعلى هذا تقول: ما أَظَلَّتْ الجُرباءُ ولا أَقَلَّتْ التُّرباءُ مثلَ فلان، على نَسَقٍ ما جاء في الحديث في مدح أبي ذرٍّ، وهو «ما أَظَلَّتْ الحُضراءُ ولا أَقَلَّتْ العُبراءُ أَصْدَقُ لهجَةً من أبي ذرٍّ»، فالْحُضراءُ: السماء، والعُبراءُ: الأرض، كذا في اللسان في مادة (خ ض ر).

فتلخَّصَ ممَّا مرَّ أن التُّربةَ القطعة والطائفة من التُّراب، وتكون مرادفةً للتُّراب أي بمعناه، وتكون بمعنى الأرض كالتُّرباء، والله أعلم، والمرادُ في البيت الأرض، أي لما دحا أرضها على البنى، أي على المباني، وهي الأبنية، وتشمل سائر البلدان والضيع والقرى والمدن والأمصار وكلَّ مكان اتصلت به الأبنية، وهي جمعُ بُنيه، قال في القاموس: «البُنية بالضم والكسر: ما بنيته، والجمع البنى بالكسر، والبنى بالضم مقصوران» [بني].

وفي اللسان: «البُنية والبُنية: ما بنيته، وهو البنى والبنى، وأنشد الفارسي عن أبي

الحسن [بيت الحطيئة]: [ديوانه ٦٥]

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
ويروى «أحسنوا البنى»، قال أبو إسحاق: إنما أراد بالبنى جمع بنية، وإن أراد البناء الذي هو ممدود جاز قصره في الشعر.

وقال ابن الأعرابي: البنى: الأبنية من المَدَر أو الصُوف، وكذلك البنى من الكرم، وأنشد بيت الحطيئة: أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا..... إلخ

وقال غيره: يقال: بِنِيَّة، وهي مثل رِشْوَةِ ورِشَاءٍ، كأنَّ البِنِيَّةَ الهِيئَةُ التي بُنِيَ عليها كالمِشِيَّة والرُّكْبَةُ».

وفيه: «بَنَّا فِي الشَّرْفِ يَبْنُو، وَعَلَى هَذَا يُؤَوَّلُ قَوْلُ الحَطِيئَةِ: «أَوْلَيْتُكَ قَوْمَ» البَيْتِ، قَالَ ابْنُ سِيْدِهِ: «قَالُوا: إِنَّهُ جَمْعُ بُنُوَّةٍ أَوْ بِنُوَّةٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَنْشَدْتُ أَعْرَابِيًّا هَذَا البَيْتَ: «أَحْسَنُوا البِنِيَّ»، فَقَالَ: أَيُّ بِنَا، أَحْسَنُوا البِنَا، أَرَادَ بِالأَوَّلِ أَيُّ بُنِيٍّ»^١، هـ، أَي فَخَفَفَ وَقَلَبَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالذِّي فَهَمَهُ الزَّبِيدِيُّ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ أَنَّ البِنِيَّ مَفْرَدٌ لَا جَمْعَ، وَهَآكِ نَصٌّ عِبَارَتُهُ مَعَ عِبَارَةِ المَجْدِ: «والبِنِيَّةُ بِالضَّمِّ وَالكسْرِ مَا بَنِيْتَهُ حِج البِنِيَّ بِالكسْرِ، وَالبِنِيَّ بِالضَّمِّ مَقْصُورًا جَعَلَهَا جَمْعَيْنِ، وَسِيَاقُ الجَوْهَرِيِّ وَالمَحْكَمُ أَنَّهُمَا مَفْرَدَانِ، وَالبِنِيَّ بِالضَّمِّ مَقْصُورَةٌ مِثْلُ البِنِيَّ، يُقَالُ: بُنِيَّةٌ وَبُنِيٌّ وَبِنِيَّةٌ وَبِنِيٌّ بِالكسْرِ كَجِرِيَّةٌ وَجِرِيٌّ، وَفِي المَحْكَمِ [١٠/٤٩٩]: وَالبِنِيَّةُ وَالبِنِيَّةُ: مَا بَنِيْتَهُ، وَهُوَ البِنِيَّ وَالبِنِيَّ، وَأَنْشَدَ الفَارِسِيُّ عَنِ أَبِي الحَسَنِ لِلحَطِيئَةِ:

أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البِنِيَّ وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَيُرْوَى «أَحْسَنُوا البِنِيَّ»، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَرَادَ جَمْعَ بُنِيَّةٍ، قَالَ: وَإِنْ أَرَادَ البِنَاءَ المَحْدُودَ جَازَ قِصْرُهُ فِي الشَّعْرِ، وَفِي المَحْكَمِ أَيْضًا: بَنَّا فِي الشَّرْفِ يَبْنُو، وَعَلَى هَذَا يُؤَوَّلُ قَوْلُ الحَطِيئَةِ: «أَحْسَنُوا البِنِيَّ»، قَالَ: وَهُوَ جَمْعُ بُنُوَّةٍ أَوْ بِنُوَّةٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَنْشَدْتُ أَعْرَابِيًّا هَذَا البَيْتَ بِكسْرِ البَاءِ، فَقَالَ: أَيُّ بِنَا أَحْسَنُوا البِنِيَّ، أَرَادَ بِالأَوَّلِ يَا بُنِيَّ، وَجَعَلَ قَوْمُ البِنِيَّةِ بِالكسْرِ فِي المَحْسُوسَاتِ، وَبِالضَّمِّ فِي المَعَانِي وَالمَجْدِ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلُ الحَطِيئَةِ، قَالُوا: الرِّوَايَةُ فِيهِ بِالضَّمِّ، انْتَهَى، وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: البِنَاءُ: الأَبْنِيَّةُ مِنَ المَدَّرِ وَالصُّوفِ، وَكَذَلِكَ البِنَاءُ مِنَ الكَرَمِ، وَأَنْشَدَ بَيْتَ الحَطِيئَةِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يُقَالُ: بِنِيَّةٌ وَهِيَ مِثْلُ رِشْوَةِ وَرِشَى كَأَنَّ البِنِيَّةَ الهِيئَةُ الَّتِي بَنِيَ عَلَيْهَا كالمِشِيَّةِ وَالرُّكْبَةُ»^١ هـ مِنَ التَّاجِ [بِنِي].

أَيُّ يَقْصِدُ البَلَدَةَ الَّتِي فَضَّلَهَا مَالِكُ العُلَا وَمَيَّزَهَا صَاحِبُ الصِّفَاتِ العَالِيَةِ رَبُّنَا الوَاجِبُ الوجودِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأُثْبِتَ لَهَا زِيَادَةَ الفَضْلِ وَالشَّرْفِ وَالفَخْرِ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الأَرْضِ

من الأبنية من مُدن وقرى وبلدان وأمصار وكل مجتمَع، وكان إثبات ذلك الامتياز لها منذ دُحُو الأرض وبسطها وفيها البيت الذي قال فيه تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، وهذا نزل لما قالوا حين حُولت القبلة: لِمَ تَحَوَّلْتِ عَنْ قِبَلْتِنَا مَعَ كَوْنِهَا أَقْدَمَ وَأَفْضَلَ، «وُضِعَ» أي متعبداً للناس في الأرض، وبكَّة لغةٌ في مكَّة، أُبدلت الميم بَاءً. وَرَدَّ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ تَطُوفُ بِهِ اشْتِاقَتْ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ لِبَيْتٍ مِثْلِهِ، فَأَمَرُوا بِبِنَاءِ بَيْتٍ مُخَازِلٍ لَهُ، وَكَانَ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءٍ وَطَافَتْ بِهِ قَبْلَ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ.

وَأَمَّا الْأَقْصَى أَي بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَوَاضِعُهُ آدَمُ بَعْدَ بِنَائِهِ هُوَ أَيْضاً الْبَيْتَ الْحَرَامَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِيهِ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، أَي الْحَجْرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ، فَأَثَرُ قَدَمَاهُ فِيهِ وَغَاصَّتَا، وَبَقِيَ إِلَى الْآنَ مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ وَتَدَاوُلِ الْأَيْدِي عَلَيْهِ، وَمِنْهَا تَضْعِيفُ الْحَسَنَاتِ فِيهِ، فَالصَّلَاةُ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَمِنْهَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَعْלוهُ وَلَا يَطِيرُ فِيهَا يُجَازِي سَمَاءَهُ مِنَ الْجَوِّ، إِلَّا إِذَا كَانَ بِهِ مَرَضٌ، فَيَمُرُّ فِي هَوَائِهِ الْمُسَامِتِ لِسَقْفِهِ اسْتِشْفَاءً بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِدَاخِلِهِ بِقَتْلِ لَوْ قَصَاصاً، كَذَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ وَيَدْخُلُ فَلَا يُهَاجُ مَا دَامَ فِيهِ، وَأَمَّا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَعِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ إِنْ قَتَلَ اقْتَصَصَ مِنْهُ فِيهِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ لَا، وَإِنَّمَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ حَتَّى يُخْرَجَ، وَهَذَا هُوَ الْأَمْنُ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمُضَاعَفَةُ الْحَسَنَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْجَلَالِينَ وَالصَّوَابِي عَلَيْهِ بَعْضُ تَصَرُّفٍ [١/٢٢٤].

وَيُهَاجُ أَي يُنْفَرُ وَيُزَعِّجُ كَمَا فِي اللَّسَانِ [هَيْج]، انْتَهَى تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:

يَنُوي التِّي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعَلَى لَمَّا دَحَا تُرْبَتَهَا عَلَى الْبُئَى

أَي قِطْعَةً تُرَابَهَا، أَوْ الطَّائِفَةَ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَبَعْدَهُ:

٥٤ - حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا اسْتَعْبَرَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى

في لسان العرب [قبل]: «المقابلة: المواجهة كالتقابل» وفيه: «المواجهة: المقابلة، ولقيته وجاهاً ومواجهةً: قابل وجهه بوجهه، وتواجه المنزلان والرجلان: تقابلاً» [وجه] ا.هـ، ولعل أصل المقابلة اجتماع القبلتين، فإن القبلة في الأصل الجهة، كما في اللسان، أو من القبال والقبالة، وهما بمعنى الوجه، يقال: جلس قبالته أي تجاهه، وكذا قبالة، كما في التاج والصحاح، تقول: هذا قبال هذا كما تقول: حياله أي تلقاه، ومثله وقف حذاءه وإزاءه، كما أن المواجهة مفاعلة من الوجه وأصل الوجه الجهة كما في المصباح، أو من قعد تجاهه ووجاهه بضمها، أي مستقبلاً له، والله أعلم.

«استعبر الرجل»: جرت عبرته أي دمعه، ففي اللسان: «وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه ذكر النبي ﷺ ثم استعبر فبكى، هو استفعل من العبرة، وهي تحلب الدمع»، وقال أيضاً: «العبرة: الدمعة، وقيل: هو أن ينهمل الدمع ولا يسمع البكاء، وقيل: الدمعة قبل أن تفيض، وقيل: تردد البكاء في الصدر، وقيل: الحزن بغير بكاء، والصحيح الأول، ومنه قوله: [ديوان امرئ القيس ٩]

وإن شفائي عبرة لو سفحتها ا.هـ لسان [عبر].

وهي أي العبرة المتقدم تفسيرها بالفتح، وأما إذا كسرت فهي الاتعاض، أي قبول الموعظة بمن أصيب، والتذكر لأحوال الماضين وأتباع ما حسن منه وكانت عاقبته النجاح، واجتناب ما قبح منه وكانت نهايته الدمار والدبار، ومنه قولهم كما في المصباح: «لا عبرة بعبرة مستعبر ما لم تكن عبرة معتبر»، وكأني رأيت في «مجمع الأمثال» أو نحوه من الأمثال السائرة: في الاعتبار غنى عن الاختبار والمعنى صحيح صريح كما ترى.

وفي التاج: «العبرة: الاعتبار، وهو التدبر والنظر، وفي البصائر للمصنف يعني المجد: العبرة والاعتبار: الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد» ا.هـ.

فالاعتبار الاستدلال بالواقع من الوقائع على ما لم يقع، أو قياس ما لم يقع بما وقع، ولنرجع إلى تفسير «استعبر»، في القاموس: «استعبر: جرت عبرته وحزن، وفي المستدرك عليه: «استعبرت عينه: دمعت» ١.هـ، يقال: دمعت العين من الباب الثالث، أي انصب دمعها وجرى ماؤها.

وتقدير البيت والله أعلم: مازال يسيرٌ ويجوبُ الفيافي ويفري الموامي حتى انتهى إليها، يعني الكعبة المكرمة، فلما قابلها أي صار قبالتها أي تجاهها واستقبلها بوجهه همت دموعه وتحدرت، واستهلقت شؤونه وتقاطرت، وذلك لحنيه إلى رؤيتها، وتشوقه إلى طلعتها ولفرط سروره وفرحه إذ حلَّ بطيب بُقعتها، فلم يستطع حبس دمعه الجاري حيث انبعث من زفير شوقه وحرَّ وجده الناري، أدخلنا الله في حرمة، ووفقنا لحفظ حدوده واحترام حرمة، وجعلنا ممن يُدفن في تلك البقعة الكريمة لنرد من عفو الله وغفرانه وفضله ورحمته أعذب منهل تمدُّه أعظم ديمة.

وما أعظم فرحة من ترقرت على صفحات خده مثل هذه العبرات الباردة، فإنها على عظيم انشراحه وجدله وحُبورها دالة وبه شاهدة، وهذه الدمعة التي انسكبت من عين هذا البر الذي برى طول الطوى جثمانه عندما وقعت عينه على شخص الكعبة المكرمة تدلُّ على أنه رقيق القلب صادق الإيثار مخلص النية في قصد هذه البنية؛ لأن الدمع لا ينشأ إلا عن حزن أو سرور، أما الأول فغير حاصل هنا قطعاً، فتعيّن الثاني، وأنه ممتلئ سروراً، وسروره بمشاهدة بيت الله الحرام يدلُّ على حبه لصاحب هذا البيت سبحانه وسعدانه.

قال في تاج العروس [دمع] ما معناه: الدمع: ماء العين من حزن أو سرور، فإن كان الأول فحاراً، أو الثاني فبارداً ١.هـ.

ومنه قولهم: أقرَّ الله عينه، وحقيقته كما قال الأصمعي أبرد الله دمعه؛ لأن دمعة السرور باردة، وهو من القر بالضم، ويثلث كما في التاج [قرر]، وهو البرد، وضده قولهم: أسخن الله عينه، أي أحزنه وأبكاه، وجعل دمعه حارّة، والله أعلم. وبعده:

٥٥- تُمَّتَ طَافَ وَانْتَنَى مُسْتَلِمًا^(١) تُمَّتَ جَاءَ الْمَرَوِّينَ فَسَعَى

قوله: «تُمَّتَ» هي ثَمَّ العاطفة زيد عليها التاء لتأنيث اللفظ، قال في لسان العرب:
«تزيدُ ثَمَّ تَاءً، تقول: فعلتُ كذا وكذا تُمَّتَ فعلتُ كذا، وقال الشاعر:

ولقد أُمِّرُ على اللِّيمِ يسْبُني فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِينِي
وقال الشاعر:

تُمَّتَ يَنْبَاغُ أَنْبَاغَ الشُّجَاعِ

[أَي يَثْبُ وَثُوبَ الشُّجَاعِ]، وَثَمَّ حرف عطف يدلُّ على الترتيب والتراخي^١. اهـ لسان
[ثم]. وفي التاج عن الجوهري: «ثَمَّ حرف عطف يدلُّ على الترتيب والتراخي، وربما
أدخلوا عليها التاء كما قال:

ولقد أُمِّرُ على اللِّيمِ يسْبُني فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِينِي
ويقال أيضاً: تُمَّتَ بسكون التاء، ويقال: فَمَّ بالفاء بدلَ التاء^١. اهـ تاج [ثم].

يقال: جاء زيدٌ فَمَّ عمرو، وقال الفاضل الأجلُّ محمد قطة العدوي في شرح شواهد
ابن عَقِيلَ فيها أوْلُهُ واو:

«ولقد أُمِّرُ على اللِّيمِ يسْبُني فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِينِي
هو لرجل من بني سَلُول، وبعده:

غَضَبَانَ مُمْتَلَأًا عَلِيَّ إِهَابِهِ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِي

اللُّؤْمُ ضُدُّ الْكُرْمِ، فَيُطْلَقُ اللَّيْمُ عَلَى الشَّحِيحِ وَالذَّنِيءِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَعْرَفٌ بِأَلِ
الْجَنَسِيَّةِ، وَجَمَلَةٌ «يَسْبُني» فِي مَحَلِّ جَرِّ صِفَةٍ لَهُ، وَالسَّبُّ: الشَّتْمُ، وَقَوْلُهُ: فَمَضَيْتُ مَعْطُوفٌ
عَلَى «أُمِّرُ» أَي: فَأَمَضِي، وَهُوَ مِنَ الْمَضِيِّ بِمَعْنَى الذَّهَابِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْمَاضِي إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ
مَتَحَقِّقٌ مِنْ نَفْسِهِ وَعَازِمٌ عَلَى تَرْكِ هَذَا السَّابِّ وَالذَّهَابِ عَنْهُ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ وَاقِعًا بِالْفِعْلِ،

(١) في شرح التبريزي: ٥٤ «مستلماً».

وثنَّ حرف عطف، والتاء لتأنيث اللفظ، ويعنيني: يقصدني، من عناه يعنيه، من باب رمى، إذا قصده، والمعنى والله لقد أمرت على الشاتم لي فأتركه وأذهب عنه، وأقول في نفسي إنه لا يقصدني بالشم.

والشاهد في قوله: اللثيم يسبني حيث وقعت الجملة صفة للمعرف بأل الجنسية؛ لأنه في معنى النكرة، وهو غير متعين لجواز أن تكون حالاً نظراً إلى كونه معرفة لفظاً. اهـ منه [ابن عقيل ٢٠٠].

وقوله: «طاف» قال في التاج: «طاف حول الكعبة وبها طَوْفاً وطَوَافاً وطَوَافاً محرَّكةً، واستطاف وتطَوَّفَ وطَوَّفَ بمعنى دارَ حولها، قال شيخنا: وقد قصد المصنِّف إلى الطَّوْفِ الشرعي الذي أوضحه الشارع، وترك أصله في اللغة، وقد أورده الرَّاعِبُ وفسره بمطلق المشي، أو مَشَى فيه استدارة أو غير ذلك» اهـ.

ومن المستدرَك: «واطَّوَّفَ اطَّوَّافاً، والأصل تَطَوَّفَ تَطَوُّفاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩/٢٢] والتَّطَوُّاف مصدر، وبالكسر: الثوب الذي يُطاف به» [طوف] اهـ.

و«انثنى مُستلماً» أي انعطف وعاج ومال مُعتقاً الحجرَ الأسودَ الأسعدَ أو مقبلاً إياه، أو لامساً بيده.

انثنى: انعطف، يقال: عطفه فانعطف، أي أماله فمال، ومثله عاجه فانعاج، إلا أن عاج لها استعمالان، متعديةً ولازمةً، يقال: عاج زيدٌ ناقته نحو كذا فعاجتُ هي، أي أمالها ولفتها وصرفها فمالت والتفتت وانصرفت وانعاجت.

«استلمَ الحجرَ»، قال في لسان العرب: «واستلمَ الحجرَ واستلَّامَه: قبَّله أو اعتنقه، وعن ابن السكيت: استلَّامتُ الحجرَ إنما هو من السَّلام، وهي الحجارة، وكان الأصل استلَّمتُ، وقال غيره: استلَّامُ الحجرِ افتعال في التقدير، مأخوذٌ من السَّلام وهي الحجارة، تقول:

استلمتُ الحجرَ إذا لمسته، من السَّلام، كما تقول: اكتحلتُ من الكحل، قال الأزهرِيُّ: وهذا قولُ القُتَيْبِيِّ، قال: والذي عندي في استِلام الحجر أنه أفتعال من السَّلام، وهو التَّحيَّة، وروى أبو الطفيل قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطُوف على راحلته يَسْتَلِمُ بِمِخْجَنِهِ وَيَقْبَلُ المِخْجَنَ، قال الليث: استِلامُ الحجر تناوُلُهُ باليد وبالقبلة ومسحُه بالكفِّ، قال الأزهرِيُّ: وهذا صحيح، وعن الجوهريِّ: استلمَ الحجرَ: لمسه إما بالقبلة أو باليد، لا يُهمز لأنَّه مأخوذ من السَّلام: الحجارة، كما تقول: استنَوَّقَ الجمُل، وبعضهم يهمزه «اهلسان [سلم].

والسَّلام بالكسر: الحجارة، جمعُ سَلِمة ككَلِمة بفتح فكسر، قال بُجَيْرُ بن عَنَمَةَ الطائِيّ أحدُ بني بَوْلان:

وَإِنَّ مَوْلَايَ ذُو يُعَاعِتِبْنِي لَا إِحْنَةٌ عِنْدَهُ وَلَا جَرِمَهُ

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاعِتِبْنِي يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلِمَهُ

يريد: الذي يُعَاتِبُنِي، كذا أنشدَهما في اللسان في حرف الألف اللَّيِّنة في (ذو وذات)، وفي هامشه: قوله: ذو يُعَاعِتِبْنِي تقدّم في «حرم» «ذو يُعَاعِرُنِي» وقوله: «ذو يُعَاعِتِبْنِي» في المغني [٤٨]: «وذو يُوَأِصِّلُنِي» اهـ مصحَّحه، اهـ.

وفي مادة (ج ر م): «الجَرِمة: الجُرْم كالجريمة، قال الشاعر:

وَإِنَّ مَوْلَايَ ذُو يُعَاعِرُنِي لَا إِحْنَةٌ عِنْدَهُ وَلَا جَرِمَهُ

اهـ. وفي مادة (س ل م): «السَّلام بكسر السين: الحجارة الصُّلبة، سُميت بها لسلامتها من الرِّخاوة»، وقال أيضاً: «والسَلِمة واحدة السَلِمْ»، وهي الحجارة، وأنشد:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاعِتِبْنِي يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلِمَهُ

أراد بالسَّهم والسَلِمة، وهي من لغات حمير، قال ابن بَرِي: هو لُبْجَيْرُ بن عَنَمَةَ الطائِيّ، قال: وصوابه:

وَإِنَّ مَوْلَايَ ذُو يُعَاعِتِبْنِي لَا إِحْنَةٌ عِنْدَهُ وَلَا جَرِمَهُ

يَنْصَرُنِي مِنْكَ غَيْرَ مُعْتَذِرٍ يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلِمَهُ

١. هـ لسان [سلم]. والجريمة على وزن كلمة: الذنب كالجريمة كسفينة، والجزم بالضم، تم تفسير صدر البيت: «ثُمَّتَ طَافَ وَأُنْشَى مُسْتَلِمًا»، وبعده:

ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ فَسَعَى

ثُمَّتَ: تقدّم الكلام على نظيرها في صدر البيت، وأراد بالمروتين الصفا والمروة، وأصل المروة الحجارة البيض المتلائية، قال السيد المرتضى في التاج: «المرو حجارة بيض براءة ثوري النار، الواحدة بهاء، وتكون المروة كجمع الإنسان (وجمع الإنسان بالضم حين يقبضها، معروف) وأصغر وأكبر، قال الأزهرى: وسألت عنها أعرابياً من بني أسد فقال: هي هذه القداحات التي تُقدح منها النار، وقال أبو خيرة^(١): المروة: الحجر الأبيض الهش تكون فيه النار، وقيل: أصله الحجارة، وهو قول أبي حنيفة، وزعم أن النعام تبتلعه، وزعم أن بعض الملوك عجب من ذلك ودفعه حتى أشهده إياه المدعي.

والمروة بهاء: جبل بمكة، ويذكر مع الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨/٢]، قال الأصمعي: سمي لكون حجراته بيضاً براءة^١. هـ تاج [مرا].

وفي مادة (ص ف و) منه: «الصفا من مشاعر الحج، شرفها الله تعالى، وهو جبل صغير بلحف جبل أبي قبيس، قال صاحب القاموس: «وابتنيت على مئته داراً فيحاء، أي وبها ختم المصنف كتابه هذا».

وفي الجلالين: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، الصفا والمروة جبلان بمكة، شعائر الله: أعلام دينه، جمع شعيرة، حج: تلبس بالحج، واعتمر: تلبس بالعمرة، وأصلهما القصد والزيارة، والجناح: الإثم، أن يطوف: أصله يتطوف، قلبت التاء طاءً، ثم أدغمت في الطاء، بها: بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا

(١) هو نهشل بن زيد، أعرابي من بني عدي، دخل الحاضرة، أخذ الناس عنه.

يطوفون بها وعليهما صنمان، وهما إساف ونائلة، قال الصّاوي: «وذلك أن رجلاً اسمه إساف وامرأة اسمها نائلة زنيا في الكعبة، فمسخا حجرين على صورتها الأصلية، فلما تقادم الزمان عبدتهما الجاهليّة، فأبطل الإسلام ذلك ونسخه» اهـ، وعن ابن عباس أن السّعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم عن التخيير ووافق ابن حنبل اهـ صاوي عليه [٩٥/١]، وقال الشافعي وغيره: ركن، وبين ﷺ فرضيته بقوله: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السّعي»، ورواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدؤوا بما بدأ الله به»، يعني الصّفا، رواه مسلم» اهـ جلال [٩٥/١].

وفي حاشية الصّاوي عليه: «الصّفا: جمع صفاة، اسم للحجر الأملس، والمراد هنا الجبل المعروف الذي يُبتدأ السّعي منه، والمزوة في الأصل: اسم للمكان الرّخو، والمراد الجبل الذي ينتهي السّعي إليه، وهما أي الصّفا والمزوة جبلان بمكة بجوار المسجد الحرام، وشعائر الله: أمور دينه التي تعبّدنا بها، فمن أنكر كون السّعي من أمور الدين فقد كفر. والحجّ في اللّغة: القصد، وفي الشّرع: عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعا وسعي بين الصّفا والمزوة كذلك، ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجّة على وجه مخصوص. والعُمرة في اللّغة: الزيارة، وفي الشّرع: عبادة يلزمها طواف وسعي على وجه مخصوص» اهـ بحروفه [٩٥/١].

وفي المصباح [صفو]: «الصّفا: الحجارة، ويقال: الملس، الواحدة بهاء كحصى وحصاة ومنه الصّفا لموضع بمكة» اهـ.

«فسعى» أي بين الصّفا والمزوة، قال السيّد المرتضى في التاج [سعى]: «سعى أي مشى، زاد الراغب: بسرعة، ومنه أخذ السّعي بين الصّفا والمزوة» اهـ.

وفي المصباح: «سعى في مشيه: هرّول، وإلى الصّلاة: ذهب على أيّ وجه كان، وأصل السّعي التصرف في كلّ عمل، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم:

٣٩/٥٣] أَي إِلَّا مَا عَمِلَ «ا.ه. وفيه: «إِذَا أُطْلِقَ السَّاعِي أَنْصَرَفَ إِلَى عَامِلِ الصَّدَقَةِ، وَالْجَمْعُ سَعَاةٌ» ا.ه. وفيه [سعى]: «هَرَوَلٌ هَرَوَلَةٌ: أَسْرَعُ دُونَ الْحَبِّ، وَلِهَذَا يُقَالُ: هُوَ بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعَدْوِ» ا.ه. وفيه [خب]: «خَبٌّ فِي الْأَمْرِ خَبِيًّا مِنْ بَابِ طَلَبٍ: أَسْرَعُ الْأَخْذِ فِيهِ، وَمِنْهُ الْحَبُّ لَضَرْبٍ مِنَ الْعَدْوِ، وَهُوَ خَطْوٌ فَسِيحٌ دُونَ الْعَنْقِ» ا.ه. وفيه [عدو]: «عَدَا فِي مَشْيِهِ يَعْدُو عَدْوًا: قَارَبَ الْهَرَوَلَةَ، وَهُوَ دُونَ الْجَرْيِ، وَهُوَ عَدَاءٌ»، وفيه [عنق]: «الْعَنْقُ بَفَتْحَتَيْنِ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ فَسِيحٌ سَرِيعٌ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَعْنَقَ إِعْنَاقًا» ا.ه. تفسير البيت المتقدم، أعني:

ثُمَّتَ طَافَ وَائْتَنَى مُسْتَلِمًا ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرَوْتَيْنِ فَسَعَى

وقال بعض الشُّرَّاحِ [يعني الصاوي]: «عَلَبَ الْمَرْوَةَ عَلَى الصِّفَا فَقَالَ: الْمَرَوْتَيْنِ لِأَنَّهَا أَشْهُرٌ مِنَ الصِّفَا، سَمَّاهَا بِاسْمِ وَاحِدٍ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: الْقَمَرَانِ، يَعْنُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَوْلُهُ: فَسَعَى أَي مَشَى، وَالسَّعَى: الْمَشْيُ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى عَمِلَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾» ا.ه. ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/١٩]، جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَنَا مَشْكُورًا. وبعده:

٥٦- وَأَوْجِبَ الْحَجَّ وَتَنَى عُمْرَةً مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا

أَوْجِبَ الْحَجَّ: أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِهِ، وَالْحَجُّ عِبَادَةٌ مَعْرُوفَةٌ مَعْلُومَةٌ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: «حَجَّ حَجًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ: قَصَدَ، فَهُوَ حَاجٌّ، هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ قُصِرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الشَّرْعِ عَلَى قَصْدِ الْكَعْبَةِ لِلْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: مَا حَجَّ وَلَكِنْ دَجَّ، فَالْحَجُّ الْقَصْدُ لِلنُّسْكِ، وَالذَّجُّ: الْقَصْدُ لِلتَّجَارَةِ، وَالاسْمُ الْحَجُّ بِالْكَسْرِ، وَالْحِجَّةُ بِالْكَسْرِ الْمَرَّةُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَبِهَا سُمِّيَ الشَّهْرُ ذُو الْحِجَّةِ، وَبَعْضُهُمْ يَفْتَحُ فِيهِ» ا.ه. مصباح [حجج].

قوله: «وَتَنَى عُمْرَةً»، قَالَ فِي اللِّسَانِ [ثني]: «تَنَاهُ تَنْنِيَةً: جَعَلَهُ اثْنَيْنِ»، قَالَ: «وَإِذَا فَعَلَ الرَّجُلُ أَمْرًا ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمْرًا آخَرَ قِيلَ: ثَنَى بِالْأَمْرِ الثَّانِي يُثْنِي تَنْنِيَةً» ا.ه. وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا،

إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ مَا وَصَلَ، وَكَانَ الْأَصْلُ: وَثْنِي بِعُمْرَةٍ، أَي جَعَلَ الْحَجَّ اثْنَيْنِ بَضْمَ الْعُمْرَةِ
إِلَيْهِ، فَحُذِفَ الْحَرْفُ وَأَوْصَلَ الْحَجَّ، فَالْعُمْرَةُ مَنْصُوبَةٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ جَرِيرٍ:
[ديوانه ٥١٢]

تَمْرُونِ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامٌ
قال العلامة محمد قطة العدوي في شرحه شواهد ابن عقيل ما نصه: «الدِّيار جمع دار،
وهو منصوب على نزع الخافض، ومعنى تَعُوجُوا تَرَجَعُوا وَتَعَطَّفُوا، وَإِذَا حَرْفُ جَزَاءٍ
وَمُكَافَأَةٍ لَشَرْطِ مَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَحَيْثُ مَرَرْتُمْ وَلَمْ تَعُوجُوا إِذَا كَلَامُكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ.
وَإِذَا هَذِهِ قِيلَ: تَكْتَبُ بِالْأَلْفِ إِشْعَارًا بِصُورَةِ الْوَقْفِ عَلَيْهَا، إِذْ لَا يُوقَفُ عَلَيْهَا إِلَّا
بِالْأَلْفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ، وَقِيلَ: بِالنُّونِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ اعْتِبَارًا بِاللَّفْظِ
وَفَرَقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ «إِذَا» فِي الصُّورَةِ.

والمعنى تمرُّون على الدِّيار ولم تعطفوا عليها وتميلوا نحوها، وحيث وقع منكم ذلك
فقد حرمتُ على نفسي كلامكم مجازةً لكم على ما وقع منكم، والشاهد في قوله: «تمرُّون
الدِّيار» حيث وصل الفعل اللازم إلى المفعول بنفسه بعد حذف الجارِّ، وهو مقصورٌ على
السَّمْعِ» ١. هـ منه. «وفي ألفية ابن مالك [ص ٢٨]:

وَعَدَّ لَازِمًا بِحَرْفِ جَرٍّ وَإِنْ حُذِفَ فَالِنُصْبُ لِلْمُنْجَرِّ
نَقْلًا وَفِي أَنَّ وَأَنَّ يَطْرُدُ مَعَ أَمْنٍ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا
أَي مِنْ أَنْ يُعْطُوا الدِّيَةَ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْفِعْلَ اللَّازِمَ يَصِلُ إِلَى مَفْعُولِهِ بِحَرْفِ الْجَرِّ، ثُمَّ
إِنْ كَانَ الْمَجْرُورُ غَيْرَ أَنَّ وَأَنَّ لَمْ يَجْزِ حَذْفُ الْجَرِّ إِلَّا سَمَاعًا، وَإِنْ كَانَ أَنَّ وَأَنَّ جَازَ قِيَاسًا عِنْدَ
أَمْنِ اللَّبْسِ» ١. هـ [ابن عقيل ٤٢١].

وفي لسان العرب: «مَرَّ عَلَيْهِ وَبِهِ يَمُرُّ مَرًّا أَي اجْتَازَ، وَمَرَّ يَمُرُّ مَرًّا وَمُرُورًا: ذَهَبَ،
وَاسْتَمَرَ مِثْلَهُ، قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ: مَرَّ يَمُرُّ مَرًّا وَمُرُورًا: جَازَ وَذَهَبَ، وَمَرَّ بِهِ وَمَرَّهَ: جَازَ عَلَيْهِ،

وهذا قد يجوز أن يكون ممّا يتعدّى بحرف وغيره، وأن يكون ممّا حُذف فيه الحرف فأوصل الفعل، وعلى هذين الوجهين يُحمل بيت جرير:

تمرّون الدّيارَ ولم تُعوجوا كلامكم عليّ إذا حرام

وقال بعضهم: إنّها الرواية: «مررتُم بالديار ولم تُعوجوا»، فدلّ هذا على أنه فرق من تعدّيه بغير حرف، وأمّا ابن الأعرابيّ فقال: مرّ زيدا في معنى مرّ به لا على الحذف، ولكن على التعدّي الصحيح، ألا ترى أن ابن جنّي قال: لا تقول: مررتُ زيدا في لغة مشهورة إلاّ في شيء حكاه ابن الأعرابيّ، قال: ولم يره أصحابنا، وامترّ به وعليه كمرّ [مرر].

«عمرة» في لسان العرب: «طاعة الله عزّ وجلّ، والعمرة في الحجّ معروفة، وقد اعتمر، وأصله من الزيارة، والجمع العمّر، وقوله تعالى: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196/2]، قال الزجاج: «معنى العمرة في العمل الطّواف بالبيت والسعي بين الصّفا والمروة فقط، والفرق بين الحجّ والعمرة أن العمرة تكون للإنسان في السنّة كلّها، والحجّ وقت واحد في السنّة، قال: ولا يجوز أن يُجرّم به إلاّ في أشهر الحجّ شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجّة، وتأمم العمرة أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصّفا والمروة، والحجّ لا يكون إلاّ مع الوقوف بعرفة يوم عرفة.

والعمرة مأخوذة من الاعتبار، وهو الزيارة، ومعنى اعتمر في قصد البيت أنه إنّما خصّ بهذا لأنه قصد بعمل في موضع عامر، ولذلك قيل للمحرم بالعمرة: مُعتمر، وقال كراع: الاعتمار: العمرة، سمّاها بالمصدر، وفي الحديث: ذُكر العمرة والاعتمار في غير موضع، وهو الزيارة والقصد، وهو في الشّرع: زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة، وفي حديث الأسود قال: «خرجنا عمّاراً، فلما انصرفنا مررنا بأبي ذرّ فقال: أحلقتُم الشّعثَ وقضيتُم التّفثَ عمّاراً، أي مُعتمرين» [اه لسان [عمر].

الشّعث بالتحريك: تلبّد الشّعر واغبرأزه من قلة الادّهان، أي الشّعر ذي الشّعث،

والتَّتَفُّ: نَتَفُّ الشَّعْرِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَتَنْكُبُ كُلُّ مَا يَحْرُمُ عَلَى الْمُحْرِمِ، وَكَأَنَّهُ الْخُرُوجُ مِنَ
الإِحْرَامِ إِلَى الْإِحْلَالِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٢/٢٩] هـ تفسير قوله: وَأَوْجَبَ الْحَجَّ وَثَنِي عُمْرَةً

وبعده: مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا

«عَجَّ عَجًّا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَعَجِجًا أَيْضًا: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، وَأَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ
وَالثَّجُّ» [المصباح (عجج)] ١. هـ.

وفيه [ثجج]: «ثَجَّ الْمَاءُ يُثَجُّ ثَجًّا كَضَرَبَ: هَمَلٌ، فَهُوَ ثَجَّاجٌ، وَيَتَعَدَّى بِالْحِرْكَةِ فَيُقَالُ:
ثَجَّجْتُهُ ثَجًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ إِذَا صَبَبْتَهُ وَأَسَلْتَهُ، وَأَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ، فَالْعَجُّ رَفَعُ
الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وَالثَّجُّ: إِسَالَةُ دِمَاءِ الْهَدْيِ» ١. هـ.

وفيه [لبب]: «لَبَّى تَلْبِيَةٌ قَالُوا: لَبَّيْكَ، وَلَبَّى بِالْحَجِّ كَذَلِكَ» ١. هـ، وفيه: «الْهَدْيُ: مَا يُهْدَى
إِلَى الْحَرَمِ مِنَ النَّعَمِ، يُثَقَّلُ وَيُخَفَّفُ، الْوَاحِدَةُ هَدْيَةٌ بِالتَّثْقِيلِ وَالتَّخْفِيفِ أَيْضًا، وَقِيلَ: الْمَثْقَلُ
جَمْعُ الْمُخَفَّفِ، وَأَهْدَيْتُ لِلرَّجُلِ كَذَا بِالْأَلْفِ: بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ إِكْرَامًا، فَهُوَ هَدْيَةٌ بِالتَّثْقِيلِ لَا
غَيْرَ، وَأَهْدَيْتُ الْهَدْيَ إِلَى الْحَرَمِ: سُقْتُهُ» ١. هـ مصباح [هدي].

قال في لسان العرب: «وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦/٢] وُقِرَى:
«حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ».

ونصُّ لسان العرب: «عَجَّ يَعِجُّ وَيَعِجُّ عَجًّا وَعَجِجًا، وَضَجَّ يَضْجُجُ: رَفَعَ صَوْتَهُ وَصَاحَ،
وَقَيْدُهُ فِي التَّهْذِيبِ فَقَالَ: بِالذُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ»
[الترمذي: ٨١٣]، الْعَجُّ: رَفَعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وَالثَّجُّ: صَبُّ الدَّمِ وَسَيْلَانُ دِمَاءِ الْهَدْيِ، يَعْنِي
الذَّبْحَ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «كُنْ عَجَّاجًا ثَجَّاجًا»، وَفِي الْحَدِيثِ:
«مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَعَجَّهَ الْقَوْمَ وَعَجِجَهُمْ: صَيَّاحَهُمْ

وَجَلَبْتُهُمْ، وفي الحديث: «مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي عَجَّتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» أَي مَنْ وَحَدَّهُ عِلَانِيَةً بِرَفْعِ صَوْتِهِ، وَعَجَجَعَ: رَدَّدَ عَجِيجَهُ وَكَرَّرَهُ» ١. هـ لسان [عجج]. فتلخَّص أن معنى عَجَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالاِسْتِغَاثَةِ وَبِالتَّلْبِيَةِ.

«وَدَعَا»، قال في المصباح: «دَعَوْتُ اللَّهَ: ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيهَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَعَوْتُ زَيْدًا: نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إِقْبَالَه، وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَهوَ دَاعٍ، وَالْجَمْعُ دُعَاةٌ وَدَاعُونَ كَقَاضِيٍّ وَقُضَاةٍ وَقَاضُونَ، وَالنَّبِيُّ دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ» ١. هـ مصباح [دعو]. وبعده:

٥٧- ثُمَّتَ رَاحٌ فِي الْمُبْتَلِينَ إِلَى حَيْثُ تَحَجَّى الْمَأْزَمَانَ وَمِنَى

ثُمَّ حَرَفَ عَطْفَ، وَالتَّاءُ الْمَفْتُوحَةُ، وَتَسَكَّنَ لِتَأْنِيثِهَا عَلَى مَعْنَى الْكَلِمَةِ، وَهِيَ مِنْ مَا صَدَقَاتِ الْكَلِمَةِ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: «تَاءُ التَّأْنِيثِ تَلْحَقُ الْحَرْفَ، وَذَلِكَ لِاتِّمَامِ وَرُبَّتْ، وَهِيَ مَتَحَرِّكَةٌ، وَأَمَّا تَسْكِينُهَا مَعَ ثَمَّ وَرُبَّ فَقَلِيلٌ»، وَفِي التَّاجِ: «قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «ثَمَّ حَرَفَ عَطْفَ يَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّرَاخِي، وَرَبَّهَا أَدَخَلُوا عَلَيْهَا التَّاءَ كَمَا قَالَ:

وَلَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسْبُئُنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قَلْتُ لَا يَغْنِينِي
وَيُقَالُ أَيْضًا: ثُمَّتَ بِسُكُونِ التَّاءِ، وَفَمَّ بِالْفَاءِ بَدَلَ التَّاءِ لَعْنَةً» ١. هـ تاج، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْبَحْثُ عَلَى ثَمَّ قَرِيبًا مَعَ تَمَامِ الْإِسْتِيفَاءِ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَهُ.

و«رَاحٌ فِي الْمُبْتَلِينَ» أَي ذَهَبَ فِي جُمْلَتِهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ، قَالَ الْفَيْهِيُّ فِي الْمَصْبَاحِ: «رَاحَ يَرُوحُ رَوَاحًا وَتَرُوحَ مِثْلَهُ، يَكُونُ بِمَعْنَى الْعُدُوِّ وَبِمَعْنَى الرُّجُوعِ وَقَدْ طَابَقَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَدُوْهُمَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهُمَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢/٣٤]، وَقَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الرُّوَّاحَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي آخِرِ النَّهَارِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الرُّوَّاحُ وَالْعُدُوُّ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْمَسِيرِ أَيَّ وَقْتٍ كَانَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَلَهُ كَذَا»، أَي مَنْ ذَهَبَ، ثُمَّ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَأَمَّا رَاحَتْ

الإبل فهي رائحة فلا يكون إلا بالعشي، إذا أراحها راعيها على أهلها، يقال: سرحت بالعادة إلى الرعي، وراحت بالعشي على أهلها، أي رجعت من المرعى إليهم، وقال ابن فارس: الرواح رَوَّاح العشي وهو من الزوال إلى الليل^١. هـ مصباح [روح]. وهو في غاية النفاسة من التحقيق، فرحم الله مؤلف المصباح من بين المؤلفين ووالى على جدته شأيب الرحمة، وأسقاه صيب الرضوان، وجعلنا ممن يُبقي مثل أثره في هذه الدار.

ذي المعالي فليعل من قد تعالى، هكذا هكذا، وإلا فلا لا

ومحصل ما رأيته في كتب اللغة أن الرواح في الأصل السير في العشي، ويستعمل في مطلق السير، كما أن العدو في الأصل السير عدوة، أي بكرة، ويستعمل في مطلق السير، وكلام أئمة اللغة فيها طويل فيه اختلاف كثير، فإن شئت فراجع لسان العرب وتاج العروس، فهما الغاية في هذا الباب.

«في الملبين» أي في جملتهم، والظرفية هنا غير حقيقية، فهي على حد قولهم: دخلت في عمار الناس، قال في تاج العروس: «وتأتي للمصاحبة، قيل: أي بمعنى مع، كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨/٧]، وقوله تعالى: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦/٤٦]، أي معهم، وقول المصنف فيما بعد: وبمعنى مع يُخالفه، وفي شرح المنار لابن مالك أن باء المصاحبة لاستدامة المصاحبة، ومع لا ابتدائها، قال شيخنا: قولهم: «باء المصاحبة بمعنى مع» يعنون في الجملة لا من كل وجه لتباين معنى الاسم والحرف، وقد تبع المصنف الجمهور فيما يأتي إذ قال في الباء: وللمصاحبة ﴿أَهْبِطْ بِسَلَمٍ﴾ [هود: ٤٨/١١]، أي معه فتأمل»^١. هـ تاج [في].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً (٢٨) فَأَدْخِلِي فِي

عِبْدِي (٢٩) وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧/٨٩-٣٠].

قال في الجلالين [٤/٣٧١]: «في جملة عبادي»، وهذا بناء على أن المراد بالنفس الذات وأما إن أريد بها الروح فالظرفية حيثند حقيقتي، أي في أجساد عبادي كما هو ظاهر، وذكر الوجهين العلامة الزمخشري في الكشاف [٤/٢١٢] تفسيره المقول فيه:

إِنَّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنْيَا بِلَا عَدَدٍ وَلَيْسَ فِيهَا لِعَمْرِي مِثْلُ كَشَافِي
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْهُدَى فَالزَّمْ قِرَاءَتَهُ فَالْجَهْلُ كَالدَّاءِ وَالْكَشَافُ كَالشَّافِي

وذكرهما الجمل في حاشيته على الجلالين [٤/٥٣٦] بتفصيل فانظره إن شئت.

«المُلبَّن» جمع مُلبِّ، اسم فاعل من لَبَّى يُلبِّي تلبيةً، وقد تقدّم تفسيرها قريباً.

«إلى حيثُ نَحَجِّي المَأْزِمَانَ وَمِنَى» أي إلى المكان الذي أقام فيه المَأْزِمَانَ وَمِنَى وتقابلاً فيه؛ لأن «حيث» ظرف مكان، قال في تاج العروس: «حيث كلمة دالة على المكان لأنه ظرف في الأمكنة، كحين في الزمان، وهو مذهب الجمهور، قال شيخنا: وقد خالف الأَخْفَشُ فادعى أنها تأتي للزَّمان» اهـ تاج العروس [حيث].

«نَحَجِّي» ثبت وأقام، يقال: حَجَا يَحْجُو حَجْوًا وَنَحَجِّي يَنْحَجِّي نَحْجِيًا إِذَا أَقَامَ وَثَبَتَ واستقرَّ، كما في التاج شرح القاموس واللسان [حجا].

وقوله: «المَأْزِمَانَ» قال في المصباح: «المَأْزِمُ بوزن مَسْجِد: الطريق الضيق بين الجبلين، ومنه قيل لموضع الحرب: مَأْزِمٌ لِضِيقِ المَجَالِ وَعُسْرِ الخِلاصِ منه، ويقال للموضع الذي بين عَرَفَةَ والمَشْعَرِ المَأْزِمَانَ» اهـ مصباح [أزم].

وفي لسان العرب: «المَأْزِمُ: كُلُّ طَرِيقٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَمَوْضِعُ الحَرْبِ أَيضاً مَأْزِمٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ المَوْضِعُ الَّذِي بَيْنَ المَشْعَرِ وَعَرَفَةَ مَأْزِمِينَ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ: المَأْزِمُ فِي سَنَدِ مَضِيقٍ بَيْنَ جَمْعٍ وَعَرَفَةَ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ: «إِذَا كُنْتَ بَيْنَ المَأْزِمِينَ دُونَ مِنَى فَإِنَّ هُنَاكَ سَرْحَةً سُرَّتْ تَحْتَهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا»، وَفِي الحَدِيثِ: إِنِّي حَرَمْتُ المَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمِيهَا، المَأْزِمُ: المَضِيقُ فِي الجِبَالِ حَتَّى يَلْتَقِيَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَيَتَسَعَّ مَا وَرَاءَهُ، وَالمِيمُ زَائِدَةٌ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الأَزْمِ، القُوَّةُ وَالشَّدَّةُ» اهـ لسان [أزم].

وفي التاج: «المأزم بوزن منزل، ويقال: المأزمان مثناء، مَضِيْقٌ بين جَمْعٍ وعرفَةٍ، والمأزمان: موضع آخر بين مكة ومِنَى، ومنه حديث ابن عمر: «إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْمَأْزَمَيْنِ فَإِنَّ هُنَاكَ سَرْحَةً سَرَّ تَحْتَهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا» ا.هـ.

والذي ظهر لي أن المأزم اسمُ مكانٍ من أزمَ يَأْزِمُ، من باب ضَرَبَ، كما يؤخَذُ من التاج، أي «انضمَّ وانكمشَ وتقبَّضَ» كما في اللسان، ومثله أزمَ يَأْزِمُ كَفَرِحَ كما في القاموس، إِذَا انقبَضَ وانضمَّ، فالمأزم: المكان الذي حصل فيه انضمامٌ وتقبُّضٌ، وهو وجهٌ بين واستخراجه هِيْنٌ، ولو اشتقَّ من أزمَ كَفَرِحَ التي هي لغة في أزمَ كَضَرَبَ كما مرَّ لكان بفتح الزاي كما لا يخفى على الصرْفِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْمَسْمُوعَ الْمَأْزِمَ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ، وَصَارَ الْمَأْزِمَانُ عِلْمًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ، وَمِثْلُ الْمَأْزِمِ فِي الْمَعْنَى وَالْوِزْنَ الْمَأْزِلَ وَالْمَأْزِقَ بِاللَّامِ وَالْقَافِ، فَإِنَّهَا يُطْلَقَانِ عَلَى الْمَوْضِعِ الضَّيِّقِ وَعَلَى مَوْضِعِ الْحَرْبِ لَضَيْقِهِ، كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَكَذَا الْمَاقِطُ كَمَجْلِسٍ، كَمَا هُوَ وَزْنُ الْكَلِّ.

و«مِنَى»، عن الفيومي في المصباح: «مِنَى: اسم موضع بمكة، والغالب عليه التذكير فيُصرف، وقال ابن السراج: مِنَى ذَكَرَ وَالشَّامُ ذَكَرَ وَهَجَرَ ذَكَرَ وَالْعِرَاقُ ذَكَرَ، وَإِذَا أُنْثَ مُنِعَ، وَأَمْنَى الرَّجُلُ بِالْأَلْفِ: أَتَى مَنَى، وَيُقَالُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ، وَسُمِّيَ مَنَى لِمَا يُمْنَى بِهِ مِنَ الدِّمَاءِ، أَي يُرَاقُ، وَمَنَى اللَّهُ الشَّيْءَ مِنْ بَابِ رَمَى: قَدَّرَهُ، وَالاسْمُ الْمَنَّا كَعَصَا» ا.هـ مصباح [مِنَى].

وفي لسان العرب: «مَنَى اللَّهُ الشَّيْءَ يَمْنِيهِ: قَدَّرَهُ، قَالَ أَبُو قَلَابَةَ الْهَذَلِيُّ: [أشعار الهذليين ٧١٣]

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ حَتَّى تُلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

وفي التهذيب: حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

وَأورد الجوهريُّ عَجَزَ الْبَيْتِ: حَتَّى تُلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

وقال ابن بري فيه: الشعر لسويد بن عامر المصطلي، وهو:

لا تأمن الموت في حلٍّ وفي حَرَمٍ إِنَّ المَنايا تُوا في كَلِّ إنسانِ
وأسلُك طَريقَكَ فيها غيرَ مُحْتَشِمٍ حَتَّى تُلاقِيَ ما يَمَنِي لَكَ الماني
وفي الحديث أنَّ مُنشداً أنشدَ النبيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تُلاقِيَ ما يَمَنِي لَكَ الماني
فالخيرُ والشَرُّ مقرونانِ في قَرَنِ بِكَلِّ ذلِكَ يَأْتِيكَ الجَديدانِ

فقال ﷺ: «لو أدرك هذا الإسلام»، معناه حتى تلاقِيَ ما يُقدِّرُ لك المقدَّر، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، يقال: مَنَى اللهُ عليكَ خيراً يَمَنِي مَنياً، ومنه المَنِيَّةُ، وهي الموت؛ لأنَّها مقدَّرة بوقت مخصوص [مَنِي].

وفيه: «مَنَى اللهُ الشَّيءَ: قَدَّرَهُ، وبه سُمِّيَت مَنَى، ومَنَى بِمَكَّةَ، يُصَرَف ولا يُصَرَف، سُمِّيَت بِذلِكَ لِمَا يَمَنِي فيها مِنَ الدَّماءِ، أَي يُراقُ، وقال ثعلب: هو من قولهم: مَنَى اللهُ عليه الموتَ، أَي قَدَّرَهُ؛ لأنَّ الهَدْيَ يُنحر هِناكَ، وامْتَنَى القومُ وأمَّنوا: أتوا مَنَى، قال ابن شميل: سُمِّيَ مَنَى لأنَّ الكَبشَ مُنِي به، أَي ذُبِحَ، وقال ابن عُيَينة^(١): أُخذَ مِنَ المَنايا، وقال يونس: امْتَنَى القومُ إِذا أتوا مَنَى، وقال ابن الأَعرابي: امْتَنَى القومُ إِذا نزلوا مَنَى، وقال الجوهري: مَنَى مَقصُورٌ، مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ، قال: وهو مذكَّرٌ يُصَرَف، ومَنَى: مَوْضِعٌ آخِرُ بَنجُد» ا.هـ. لسان [مَنِي].

٥٨- ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرُؤُ مُحْتَباً مَوَاقِفاً بَيْنَ إِلالِ فَالنَّقَا

ثمَّ: حرف عطف يدلُّ على الترتيب والمُهَلَّة والتراخي، وقد تأتي بمعنى الواو فيذهبُ منها معنى الترتيب والمُهَلَّة والتراخي، قال الفيُّومي في المصباح: «ثمَّ حرف عطف، وهي في المفردات للترتيب بمُهَلَّة، وقال الأَخفش: هي بمعنى الواو لأنَّها استُعْمِلت فيها لا ترتيبَ فيه، نحوُ والله ثمَّ والله لأَفعلنَّ، تقول: وحياتِكَ ثمَّ وحياتِكَ لأَقومنَّ، وأمَّا في الجُمَل فلا

(١) هو سفيان بن عُيَينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، إمام مجمع على صحَّة حديثه وروايته، توفي ١٩٨هـ.

يلزم الترتيب، بل قد تأتي بمعنى الواو، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدَ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ [يونس: ٤٦/١٠]، أي والله شاهدٌ على تكذيبهم وعنادهم، فإن شهادته سبحانه وتعالى غيرُ حادثة، ومثله ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧/٩٠] ا.هـ مصباح [ثمم]، وهو في غاية التحقيق مع الاختصار.

«وَمَمَّ بِالْفَاءِ لَغَةً فِي ثَمَّ، يُقَالُ: رَأَيْتُ زَيْدًا فَمَمَّ عَمْرًا، بِمَعْنَى رَأَيْتُ زَيْدًا ثَمَّ عَمْرًا» كذا في لسان العرب [فمم].

«أَتَى»: جاء، و«التَّعْرِيفُ»: الوقوف بعرفات، قال في المصباح [عرف]: «عَرَّفُوا تَعْرِيفًا: وَقَفُوا بِعَرَفَاتٍ، كَمَا يُقَالُ: عَيْدُوا إِذَا حَضَرُوا الْعِيدَ، وَجَمَعُوا إِذَا حَضَرُوا الْجُمُعَةَ» ا.هـ. وقال أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي في مادة (ع ر ف) من تأليفه «لسان العرب» ما نصَّه: «التعريف: الوقوف بعرفات، ومنه قول ابن دُرَيْد:

ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرَأُ مُحْتَبًا

تقديره ثم أتى موضع التعريف، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقال أوس بن مغراء: [الشعر والشعراء ٦٨٧]

وَلَا يَرِيْمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ حَتَّى يَقَالَ أَحْيِزِي آلَ صَفْوَانَا
وَعَرَفَةَ وَعَرَفَاتٍ: مَوْضِعَ بَمَكَّةَ [قَرَبَ الْمَزْدَلِفَةَ عَنْ بَعْضِ الْحُجَّاجِ] لِأَنَّ النَّاسَ
يَتَعَارَفُونَ بِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَافَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يُرِيهِ
الْمَشَاهِدَ فَيَقُولُ: أَعْرِفْتَ أَعْرِفْتَ، فَيَقُولُ: عَرَفْتُ عَرَفْتُ، وَقِيلَ: لِأَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا
وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَبَطَ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَ مِنْ فِرَاقِهِ حَوَاءٌ مَا كَانَ فَلَقِيهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، عَرَفَهَا
وَعَرَفْتَهُ» ا.هـ لسان [عرف].

وقال في اللسان أيضاً: «الصوفة: كلُّ مَنْ وَلِيَ شيئاً من عمل البيت، وهم الصوفان، عن الجوهري: صوفة: أبو حيٍّ من مُضَر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية، ويُجيزون الحاجَّ، أي يُفيضون بهم، وعن ابن سيده: صوفة: حيٌّ من تميم، وكانوا يُجيزون الحاجَّ في الجاهلية من منى، فيكونون أولَ مَنْ يَدْفَعُ، يقال: أَجيزي صوفةً، فإذا أَجازتْ قيل: أَجيزي خِنْدِفٌ، فإذا أَجازتْ أَذنَ للناس كلُّهم في الإجازة، وهي الإفاضة، وفيهم يقول أوس بن مَعْرَاء السعديّ:

ولا يَريِّمون في التَّعريفِ موقِفَهُمْ حتى يُقالَ أَجيزُوا آلَ صُوفانا
قال ابن بري: وكانت الإجازة بالحجِّ إليهم في الجاهلية، وكانت العرب إذا حجَّت وحضرت عرفة لا تُدفع منها حتى يدفع بها صوفة، وكذلك لا ينفرون من منى حتى تنفر صوفة، فإذا أَبطأت بهم قالوا: أَجيزي صوفةً، وقيل: صوفةُ قبيلةٍ اجتمعت من أفناء قبائل) اهلسان [صوف].

وفي تاج العروس شرح القاموس ما نصّه: «صوفة: أبو حيٍّ من مُضَر، وهو العوث بن مُرِّ بن أدِّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر، سُمي لأنَّ أمَّهُ جعلتْ في رأسه صوفةً وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها، قال الجوهري: كانوا يخدمون الكعبة ويُجيزون الحاجَّ في الجاهلية، أي يُفيضون بهم من عرفات، وفي المحكم: من منى، فيكونون أولَ مَنْ يَدْفَعُ، وكان أحدهم يقوم فيقول: أَجيزي صوفةً، فإذا أَجازتْ قال: أَجيزي خِنْدِفٌ، فإذا أَجازتْ أَذنَ للناس كلُّهم في الإجازة، وهي الإفاضة، قال ابن بري: وكانت الإجازة بالحجِّ إليهم في الجاهلية، وكانت العرب إذا حجَّت وحضرت عرفة لا تُدفع منها حتى تدفع صوفةً، ولا ينفرون حتى تنفر صوفةً، فإذا أَبطأت بهم قالوا: أَجيزي صوفةً، أو هم قوم من أفناء قبائل تجمَّعوا فتشَبَّكوا كتشَبُّك الصوفة.

وقولُ الجوهريِّ: ومنه قولُ الشاعر:

حتى يُقالَ أَجيزُوا آلَ صُوفانا

أتى به على أن صوفة يقال لها صوفان، والصواب آل صفوانا، وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، والبيت لأوس بن مغراء، وصدْرُه:
ولا يريمون في التعريف موقفهم).

قال السيد المرتضى الزبيدي: «قلت: وفي قول الزمخشري ما يدل أنه يقال لهم الصوفان وأل صوفان معاً، فلا إشكال حينئذ، فتأمل» ١. هـ.

وصوفان بالضم بناءً على ضبط اللسان في صحيفة مائة وثلاثة من الجزء الحادي عشر، ونصه بضبطه:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صوفانا
«يقرو» أي يتبع ويستقري، قال السيد المرتضى الزبيدي في التاج: «قرأ البلاد يقروها
قرواً: تتبعها، يخرج من أرض إلى أرض ينظر حالها وأمرها، وقرأها يقريها قرياً كذلك،
واوي يائي، كافتراها واستقراها، وقال اللحياني: قروت الأرض: سرت فيها، وهو أن تمر
بالمكان ثم تجوزه إلى غيره ثم إلى موضع آخر، وقال الأصمعي: قروت الأرض: تتبعت
ناساً بعد ناس» ١. هـ تاج [قرا].

«مُحِبِّتًا خاشعاً خاضعاً، قال تعالى: ﴿وَسِرِّ الْمُحِبِّتِينَ﴾ [الحج: ٢٢/٣٤]، وقال عز
وجل: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١١/٢٣]، وفُسر الإخبات بالتواضع والخشوع، وقال
ثعلب في قوله تعالى: ﴿فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٢٢/٥٤] بأنه التواضع، وفُسر أيضاً
بالإطاعة وبالإبانة والاطمئنان، أي الركون وسكون القلب إلى عبادة الله وطاعته، وكلها
متقاربة، وأصل معنى الإخبات من الخبت بفتح الخاء وسكون الباء، وبالتاء آخره، وهو
المكان المنخفض المظنن الغامض، وفي القاموس أنه «المتسع من بطون الأرض»، وفي
اللسان أقوال منها أنه «السهل في الحرّة، وأياً كان فإنه دائر بين الانخفاض والسهولة

والاطمئنان والاتساع، وكلُّها تناسبُ المُخِبِّ، فإنه منخفُضُ الرُّتَبَةِ في عين نفسه لكونه يرى أنه حقير وأنه راكنٌ إلى عبادة ربِّه ساكنٌ قلبه إلى أمره مطمئنٌ بذكره، لا تستفزُّه الفتنة ولا تستخفه زخارفُ البدع، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، فيا بشرى لهم.

«مَوَاقِفًا»: جمع مَوْقِفٍ، ووزنه مَفَاعِلٌ، وهو ممنوع من الصرف لأن مَفَاعِلَ صيغة منتهى الجموع كمَفَاعِيلِ، لكن صرفه الناظم ضرورةً، والمَوْقِفُ: موضع الوقوف، قال في لسان العرب: «المَوْقِفُ: موضع الوقوف حيث كان، وتوقيف الناس في الحجِّ: وقوفهم بالمواقف» اهـ لسان [وقف].

وقوله: «بَيْنَ إِلَالٍ فَالْتَقَا» قال السيّد المرتضى الزبيدي في شرح القاموس: «الْإِلَالُ كَسَحَابٍ وَكِتَابٍ، وَعَلَى الْأَوَّلِ اقْتَصَرَ الصَّاعِغَانِي: جَبَلٌ بَعْرَفَاتٍ، وَفِي الرَّوْضِ: جَبَلٌ عَرَفَةٌ، أَوْ حَبْلٌ رَمْلٌ بَعْرَفَاتٍ عَلَيْهِ يَقُومُ الْإِمَامُ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ، يَعْنِي النَّازِمَ، أَوْ حَبْلٌ عَنِ يَمِينِ الْإِمَامِ بَعْرَفَةٌ، قَالَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيُّ: [ديوانه ٣٦]

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِّنْ لِّصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرُّنَ إِلَّا لَأَسَايِرُهُنَّ التَّدَاوُعُ
 («لِصَافٍ وَثَبْرَةٍ: عِلْمًا مَاءَيْنِ بِنَاحِيَةِ الشَّوَاغِنِ فِي دِيَارِ ضَبَّةَ بْنِ أَدِّ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ النَّابِغَةُ بِقَوْلِهِ: بِمُصْطَحِبَاتٍ... إلخ» اهـ لسان من مادة (ل ص ف)).

قال ياقوت: وقد روي إلال بالكسر، قال صاحب القاموس: «ووهم من قال: الأَّلُّ كالحلُّ»، قال شارحه: «وهذا الذي وهمه قد قال به غير واحد من الأئمة، قال ابن جنِّي: قال ابن حبيب الأَّلُّ: حبلٌ من رمل يقف به الناس من عرفات عن يمين الإمام، وقد جاء ذكره في الحديث أيضاً، قال ياقوت: وهذا الموضع - يعني الأَّلُّ - أَرَادَهُ الرُّضِيُّ الموسويُّ: [٩٦٢]

فَأَقْسَمُ بِالْوَقُوفِ عَلَى إِلَالٍ وَمَنْ شَهِدَ الْجِمَارَ وَمَنْ رَمَاهَا
 وَأَرْكَانَ الْعَتِيقِ وَمَنْ بَنَاهَا وَزَمَزَمَ وَالْمَقَامَ وَمَنْ سَقَاهَا
 لِأَنْتِ النَّفْسُ خَالِصَةٌ فَإِنْ لَمْ تَكُونِيهَا فَأَنْتِ إِذَا مُنَاهَا

وَأَمَّا وَجْهُ الْاِشْتِقَاقِ فَقِيلَ: إِنَّهُ سُمِّيَ أَلًّا لِأَنَّ الْحَجِيجَ إِذَا رَأَوْهُ أَلُّوا فِي السَّيْرِ، أَي اجْتَهِدُوا فِيهِ لِيُدْرِكُوا الْمَوْقِفَ» اهـ تاج [أل].

قال في اللسان: «الألُّ: السُّرعة، والألُّ: الإسراع، أَلٌّ في سَيْرِهِ وَمَشِيهِ يُؤَلُّ وَيُنَلُّ أَلًّا: أَسْرَعَ وَاهْتَزَّ، فَأَمَّا مَا أَنْشَدَهُ ابْنُ جَنِّي:

وَإِذْ أَوَّلُ الْمَشِيِّ أَلًّا أَلًّا

فَمَا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَوَّلُ فِي الْمَشِيِّ فَحَذَفَ وَأَوْصَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مُتَعَدِّيًّا فِي مَوْضِعِهِ بغير جَرٍّ، وَفَرَسٌ مِثْلٌ: سَرِيعٌ، وَقَدْ أَلَّ يُؤَلُّ أَلًّا، قَالَ أَبُو الْخَضِرِ الْيَرْبُوعِيُّ يمدح عبد الملك بن مروان، وكان أجري مهراً فسبق:

مُهْرَ أَبِي الْحَبَابِ لَا تَشَلِّيْ بَارَكَ فِيكَ اللهُ مِنْ ذِي أَلِّ
أَي مِنْ فَرَسِ ذِي سُرْعَةٍ» اهـ لسان.

وفي هامشه ما نصّه: «قوله: لا تشلّي، قال الجوهري: حرّكه للقافية، والياء من صلة

الكسر، وهو كما قال: [ديوان امرئ القيس ١٨]

أَلَّا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَّا أَنْجَلِي» اهـ.

وقوله: «مُهْرَ أَبِي الْحَبَابِ» أَصْلُ الْحَبَابِ الصَّغِيرُ الْجِسْمِ الْمَتَدَاخِلُ الْعِظَامِ، وَبِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ حَبَابًا، كَذَا فِي اللِّسَانِ، لَكِنْ رَوَاهُ التَّاجُ «لَأَبِي الْحَارِثِ» بَدَلَ «لَأَبِي الْحَبَابِ»، وَنَصَّهُ: «أَلٌّ فِي مَشِيهِ يُؤَلُّ وَيُنَلُّ: أَسْرَعَ وَجَدَّ، نَقَلَهُ السَّهْبِيُّ، وَأَنْشَدَ الصَّاعِنِيُّ لَأَبِي الْخَضِرِيِّ الْيَرْبُوعِيِّ:

مُهْرَ أَبِي الْحَارِثِ لَا تَشَلِّيْ بَارَكَ فِيكَ اللهُ مِنْ ذِي أَلِّ

أَي مِنْ فَرَسِ ذِي سُرْعَةٍ، وَأَبُو الْحَارِثِ هُوَ بَشْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقِيلَ: مَعْنَى أَلِّ اهْتَزَّ وَاضْطَرَبَ» اهـ تاج [أل].

و«النَّقَا» بالقصر: الكثيب، وهو التُّلُّ من الرَّمْل، وأما النِّقَاء الممدودُ فهو النظافة،
يقال: نَقِيَ بالكسر يَنْقَى نِقَاءً وَنِقَاوَةً بفتحها. وقوله: «لَأَيِّ الْخَضْرَى» الخَضْرُ بالضمِّ قبيلةٌ
سُموا بذلك الخَضْرَةُ ألوانهم كذا في التاج، فلعلَّه نسبةٌ إليهم، اهـ تفسير قوله:

ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرُؤُ مُحْتَبًا مَوَاقِفًا بَيْنَ إِلَالٍ فَالنَّقَا

وبعده:

٥٩- وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعْيَ^(١) مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصَّوَى

والبيت الذي أنشده في اللسان شاهداً على ألال من قوله:

بِمُضْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ... إلخ

رأيتُه في معجم ياقوت في ترجمة ألال، وقبله هذا البيت: [ديوان النابغة ٣٥]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمُنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ

بِمُضْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرُنْ إِلَّا لَأَسَايِرُهُنَّ التَّدَائِعُ

فالريبة: التهمة والشك، وأثم يَأْتُمُ من باب تَعَبَ يَتَعَبُ إِثْمًا بالكسر ومأثماً: وقع في

الإثم، وهو الذنب، وقيل: عمل ما لا يحلُّ، كما في اللسان [أثم]، والأمة: الدين قال في

اللسان: «يقال: فلان لا أمة له، أي لا دين له، قال الشاعر:

وهَلْ يَسْتَوِي ذُو أُمَّةٍ وَكَفُورُ

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ٣/١١٠] قال الأخفش: يريد أهل أمة،

أي خير أهل دين، وأنشد للنابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمُنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ

والإمة بالكسر لغة في الأمة بالضم وهي الطريقة والدين» اهـ لسان [أمم].

(١) في شرحي ابن خالويه: ٢٢٥، والتبريزي: ٥٥ «والسبع».

وتقدّم أن لَصَافٍ - كَقَطَامٍ، وأعرَبَه بعضهم - وثَبْرَةَ عَلَمَانٍ عَلَى مَاءَيْنِ، والتَّدَاغُ: السَيْرُ الَّذِي يَدْفَعُ الْقَوْمَ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَصْلُ التَّدَاغِ أَنْ تَدْفَعَ شَخْصًا وَيَدْفَعُكَ، وَالدَّفْعُ: إِزَالَةُ الشَّيْءِ وَتَنْحِيئُهُ وَرُدُّهُ بِقُوَّةٍ، فَقَوْلُهُ: يَزُرْنَ إِلَّا سَيْرَهُنَّ التَّدَاغُ يريد أن سَيْرَ الْحَجِيحِ غَالِبًا أَنْ يَدْفَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا خُصُوصًا عِنْدَ عِبَادَةِ عَامَّةِ كَرْمِيِّ الْجِمَارِ وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَشَبَّهَ ذَلِكَ، رَزَقَنَا اللَّهُ الْفُوزَ بِبَرَكَاتِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ، وَلَا حَرَمَنَا تَمْرِيعَ حَرِّ الْوَجْهِ عَلَى صَعِيدِ تَيْكَ الْمَعَاهِدِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

«فَالنَّقَا»، النَّقَا: الْكُثِيبُ، وَهُوَ التُّلُّ مِنَ الرَّمْلِ كَمَا تَقَدَّمَ، لَا مَوْضِعَ بَعِينِهِ كَمَا قَدْ يُتَوَهَّمُ، لِأَنَّ النَّقَا لَيْسَ بِعَلَمٍ عَلَى مَوْضِعِ بَعِينِهِ، وَإِلَّا لَذَكَرَهُ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ، وَصَاحِبُ شَرْحِ الْقَامُوسِ فِيهِ. وَبَعَدَهُ:

وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعْيَ مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصُّوَى

«وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ» أَي ابْتَدَأَ بِهَا، يُقَالُ: اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ وَاتَّئَنَفَهُ: أَخَذَ أَوَّلَهُ وَابْتَدَأَهُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ: «وَاسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ وَاتَّئَنَفَهُ: أَخَذَ أَوَّلَهُ وَابْتَدَأَهُ، وَقِيلَ: اسْتَقْبَلَهُ، وَأَنَا آتَنَفُهُ ابْتِنَافًا، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنْ أَنْفَ الشَّيْءِ، وَأَنْفُ كُلِّ شَيْءٍ طَرْفُهُ وَأَوَّلُهُ وَمَقْدَمُهُ، وَيُقَالُ: اسْتَأْنَفَهُ بَوَعْدَ أَي ابْتَدَأَهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ إِيَّاهُ، أَنْشَدَ ثَعْلَبُ:

وَأَنْتِ الْمُنَى لَوْ كُنْتَ تَسْتَأْنِفِينَا بَوَعْدٍ وَلَكِنْ مُعْتَفَاكِ جَدِيدُ

أَي لَوْ كُنْتَ تَعْدِينَا الْوَصْلَ» ١. ه لسان [أنف].

«الْمُعْتَفَى»: اسْمُ مَكَانٍ مِنْ اعْتَفَاهُ يَعْتَفِيهِ اعْتِفَاءً إِذَا طَلَبَ عَفْوَهُ أَي فَضْلَهُ، وَالْجَدِيدُ ضِدُّ الْحَصِيبِ، مِنَ الْجَدْبِ لِيُبْسِ الْأَرْضَ مِنْ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ كَالْمَحْلُ. «السَّبْعَ»، يَعْنِي رَمِي الْجِمَارِ السَّبْعَ. «وَسَبْعًا بَعْدَهَا» أَرَادَ السَّبْعَ الثَّانِيَةَ الَّتِي تَلِي الْأُولَى، ١. ه مِنْ بَعْضِ الشُّرُوحِ.

والجِمار، قال في لسان العرب: «الجَمرة: اجتماع القبيلة الواحدة على مَنْ ناوأها من سائر القبائل، ومن هذا قيل لمواضع الجِمار التي تُرمى بمني: جمرات؛ لأنَّ كلَّ مَجْمَع حصَى منها جمرَةٌ، وهي ثلاث جمرات» ا.هـ لسان [جمر].

وفي التاج: «الجَمرة: النار المتقدِّة، وألفُ فارس، والقبيلةُ لا تنضمُّ إلى أحد، وفي الحديث عن عمر أنه سأل الحطيئة عن عَبَسَ ومقاومتها قبائلَ قيس فقال: يا أمير المؤمنين كُنَّا أَلْفَ فارس، كأننا ذهبة حمراء لا نستجِيرُ ولا نحالِفُ، أي لا نسأل غيرنا أن يجتمعوا إلينا، والجَمرة: الحصاة، والجَمرة واحدة جِمار المناسك، وجمراتها، وهي الحصيات التي يُرمى بها في مكَّة، والتجمير: رمي الجِمار، ويقال: استَجَمَرَ، أي استنَجَى بالجِمار، وهي الأحجار الصُّغار، وفي الحديث: «إذا توضعَتْ فانثُرَ وإذا استجمرت فأوتِرَ» [البخاري: ١٦٢]، قال أبو زيد: هو - أي الاستِجار الاستِنجاء بالحجارة، قيل: ومنه سُميت جِمار الحجِّ للحصَى التي يُرمى بها» ا.هـ تاج العروس [جمر].

وقوله المتقدم: «وفي الحديث: «إذا توضعَتْ فانثُرَ» إلخ، قال في المصباح: «نثره نَثْرًا من باب قتل وضرب: رمى به متفرِّقًا، ونثر المتوضِّئُ واستنثر بمعنى استنشَق، ومنهم من يُفرق فيجعل الاستنشاق إيصال الماء، والاستنثار إخراج ما في الأنف من مِحاط وغيره، ويدلُّ عليه لفظُ الحديث: «كان ﷺ يَسْتَنشِقُ ثلاثًا في كلِّ مرَّة يَسْتَنشِرُ»، وفي حديث: «إذا استنشقت فانثُر» بهمزة وصل، وتكسرُ الثاء وتضم، وأنثر المتوضِّئُ إِنْثارًا لغَةً، وحمل أبو عبيد الحديث على هذه اللغة» ا.هـ مصباح [نثر].

وفيه: «نَشَقَ الرائحةَ بالكسر نَشَقًا كَفَلَسَ، واستنشقتُ الرِّيحَ: شممتُها، واستنشقتُ الماءَ: جعلته في الأنف وجذبته بالنفس لِيُنزَلَ ما في الأنف» ا.هـ مصباح [نشق].

«وسبَعًا بعدَهَا» ظاهرٌ. «والسَّعِي ما بين العِقَابِ والصُّوَى»، في المصباح: «سعى في المشي: هَرَوَلَ، وإلى الصلاة: ذهب على أيِّ وجه كان، وأصلُ السَّعي التصرُّفُ في كلِّ عمل،

وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٥٣/٣٩]، أي إِلَّا مَا عَمِلَ

ا.هـ مصباح[سعي]، والمراد بالسعي هنا المشي أو الهرولة كما لا يخفى.

«العقاب» جمع عَقَبَة بالتحريك، وهي الثنية، قال محمد بن مكرم في اللسان: «العقبة:

طريق في الجبل وعُرٌّ، والجمع عَقَبٌ وَعِقَابٌ»، وقال أيضاً: «العقبة: الجبل الطويل يعرض

للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعبٌ شديدٌ، وإن كانت خُرِمَتْ بعد أن تَسْنَدَ وتطول في

السماء في صعود وهبوط، أطول من النَّقْبِ وَأصعبُ مُرْتَقَى، وقد يكون طولها واحداً،

سَنَدُ النَّقْبِ فيه شيءٌ من اسْلِنَاءِ، وسَنَدُ الْعَقْبَةِ مُستوٍ كهيئة الجدار، قال الأزهرى: وجمع

العقبة عِقَابٌ وَعَقَبَاتٌ» ا.هـ لسان بلا زيادة ولا نقصان [عقب].

قوله: «تَسْنَدٌ» كذا فيه، وفي المصباح: «السَّنَدُ بفتحين: ما استندت إليه من حائط

وغيره، وسندت إلى الشيء أَسْنَدْتُ سُنُوداً، كقَعَدَ، وسندت أسندت من باب تَعَبَ لَعْنَةً،

واستندت إليه بمعنى، ويُعدى بالهمز، وما يستند إليه مَسْنَدٌ ومُسْنَدٌ بكسر الميم وبضمها»

ا.هـ، والنون مفتوحة فيها.

وفي اللسان: «النَّقْبُ: الطريق بين الجبلين» [نقب]، وفي التاج: «وما أَلْطَفَ قولَ الحافظ

ابن حجر حين زار بيت المقدس:

قَطَعْنَا فِي مَحَبَّتِهِ عِقَاباً وما بعدَ الْعِقَابِ سِوَى النَّعِيمِ

وفي القاموس: «العقبة بالتحريك: مَرَقَى صعبٌ من الجبال» [عقب] ا.هـ.

ومثل الثنية العقبة، قال في لسان العرب: «الثنية: طريق العقبة، ومنه قولهم: فلان

طَلَّاعُ الثَّنَايَا إِذَا كَانَ سَامِياً لِمَعَالِي الْأُمُورِ، كما يقال: طَلَّاعٌ أَنْجَدٌ، والثنية: الطريقة في الجبل

كالنَّقْبِ، وقيل: هي العقبة، وقيل: هي الجبل نفسه، أبو عمرو: الثنايا: الْعِقَابُ، قال أبو

منصور: والعقاب: جبال طَوَّالٍ بعرض الطريق، فالطريق يأخذ فيها، وكلُّ عَقْبَةٍ مَسْلُوكَةٍ

ثَنِيَّةٌ، والجمع ثَنَايَا، وهي المَدَارِجُ أيضاً، ومنه قول عبد الله ذي الْجَدَائِنِ الْمُرِّي:

تَعَرَّضِي مَدَارِجاً وَسُومِي تَعَرَّضُ الْجُوزَاءِ لِلنَّجُومِ

يُخاطب ناقة سيدنا رسول الله ﷺ، وكان دليلاً برُكوبه، والتعرُّض فيها أن يتيامن السانُدُ فيها مرَّةً ويتياسرُ أخرى ليكون أيسرَ عليه (وسُومي: أسرعي المرور، من سامت الريح، والناقة تسومُ سوماً إذا أسرعَ المرءُ)، وفي خطبة الحجاج:

أنا ابنُ جَلالٍ وطلَّاعُ الثَّنايا متى أضعِ العِمامةَ تعرَّفوني
وقائله سُحيم بنُ وثيل الرِّياحيّ، أراد بطلوع الثَّنايا أنه جلد يتركبُ الأمور العظام»
اهلسان [جلا].

وقد شرح هذا البيت، أعني «أنا ابنُ جَلالٍ» إلخ في مادة (ج ل ا) شرحاً مفصلاً على غاية ممَّا يُرام، فراجعهُ إن شئت. والمدارج مثل الثَّنايا والعقَاب، قال في اللسان في مادة (درج): «والمَدارج: الثَّنايا الغِلاظ بين الجبال، واحدها مَدْرَجَة، وهي المواضع التي يدرُج فيها، أي يمشى، (يقال: درَجَ يدرُجُ درَجاً ودرُوجاً ودرَجاناً ودرِجاً إذا مشى)، ومنه قول المَزنيّ، وهو عبد الله ذو البِجادين:

تعرَّضِي مَدارجاً وسُومي تعرَّض الجوزاء للنجوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي»

وفي التاج: «عبد الله بن عبدُهم بن عفيف بن سُحيم بن عدي بن ثعلبة ابن سعد المَزنيّ الصحابيّ، من المهاجرين السابقين، وعدّه بعض من أهل الصُّفة، ولقبه ذو البِجادين، قال ابن سيده: «أراه كان يلبس كساءين في سفره مع رسول الله ﷺ، وقيل: سمّاه به ﷺ بذلك لأنه حين أراد المصيرَ إليه قطعَتْ أمه بِجاداً لها قطعَتين، فارتدى بإحدهما وأتزرَ بالأخرى، وهو دليلُ النبيّ ﷺ في بعض غزواته، وإلّا فالذي في الصحيح أن دليلاً مالك بن فهيرة على ما عُرِف، والبِجاد بوزن كِتَاب: كِساء مخطَّط من أكسية الأعراب» [بجد] ١.هـ.

فالعقَاب والثَّنايا والمدارج ألفاظ مترادفة بمعنى الطُّرُق في الجبال على ما مرَّ مفصلاً، هذا على كسر العين، وأما على ضمِّها فله معانٍ كثيرة، منها طائر معروف، وأيضاً حجرٌ ناتئ في

جوف البئر، وعقبها تعقبياً: سواها، وقيل: العقب: صخرة ناتئة في عرض جبل كمِرْقاة،
وقيل: مَرَقَى في عرض الجبل، إلى غير ذلك من المعاني كما في التاج واللسان [عقب].

وعلى القول الأخير في العقب المضموم العين - أعني أنه مَرَقَى في عرض الجبل
يكون مرادفاً للعقبه أو قريباً منها كما لا يخفى، وعرض كل شيء بضم العين: ناحيته، وهو
فيما تقدم بضم العين بضبط اللسان، وأما بالفتح فهو ضد الطول.

«والصوى»: أعلام من حجارة منصوبة في القيافي والمفازة المجهولة، يُستدل بها على
الطريق وعلى طرفيها، وفي حديث أبي هريرة: «إن للإسلام صوى ومَناراً كمنار الطريق»،
أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يهتدى بها، كما في اللسان [صوى].

وفي القاموس وشرحه: «الصوة بالضم: جماعة السباع، وحجرٌ يكون علامة في
الطريق، ومُتخَلَفُ الرِّيح، ولكن شكك أبو زكريا في هامش كتابه على الرِّيح، وصوتُ
الصَّدى، نقله الأزهرى، لكن ضبطه بالفتح، وما غلظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ أن
يكون جبلاً، والجمع صوى، ومنه الحديث: «إن للإسلام صوى ومَناراً كمنار الطريق»،
قال ابن الأثير: هي الأعلام المنصوبة من الحجارة في المفازة المجهولة، يُستدل بها على
الطريق، أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يهتدى بها، وجمع الجمع أضواء كرتب وأرطاب،
وقيل: هو جمع لا جمع الجمع، وقيل: الصوى والأضواء: الأعلام المنصوبة المرتفعة في غلظ
(في اللسان: «وربما كُني عن الغليظ من الأرض بالغلظ، قال ابن سيده: فلا أدري أهو
بمعنى الغليظ أم مصدرٌ وُصف به، والغلظ: الغليظ من الأرض، رواه أبو حنيفة عن
النضر، ورد ذلك عليه، وقيل: إنما هو الغلظ، قالوا: ولم يكن النضر بثقة، وعن كراع:
الغلظ من الأرض: الصلب من غير حجارة: فهو تأكيدٌ لقول أبي حنيفة المتقدم»، وفي
التاج: «الغلظ بالفتح: الأرض الحشنة»، ونقل ما مرَّ عن اللسان [غلظ]، وذات الصوى:
موضع» ١.هـ من القاموس وشرحه [صوى]، قال شارح [هو الصاوي] -: «العقب جمع عقبه،
والصوى: الكدى، وقيل: الحجارة التي تُنصب على الطريق ليُهتدى بها» ١.هـ. وبعده:

٦٠- وراح للتوديع فيمن راح قد أحرز أجراً وقل هجر اللغا

أي «ذهب لتوديع البيت الحرام، وكذا يفعل الحجيج بعد الفراغ من رمي الجمار والذبح والحلق، يذهب إلى البيت مودعاً، فيطوف به سبعا، ويسعى بين الصفا والمروة سبعا، ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام، ومنهم من يتعجل في يومين، ثم يتفرقون كما قال الشاعر: [ديوان امرئ القيس ٤٣]

فلله عينا من رأى من تفرق
أشت وأنأى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة
وأخر منهم قاطع نجد كبكب
ا.ه عن بعض الشراح [هو الصاوي].

وهذان البيتان لامرئ القيس كما في التاج في مادة (ن خ ل) واللسان في مادة (ك ب ب) مع بعض اختلاف، «والمحصب: حيث رمي الجمار»، قاله في اللسان [حصب]، وأنشد:
فلله عينا من رأى... البيت. ونخلة وككب بالفتح: علما موضعين معروفين.
«راح» من الرواح، وهو الذهاب وقت العشي، وهو من الزوال إلى الليل، ويستعمل أيضاً في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار، كما أن الغدو الذهاب غدوة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، ويستعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان كما تقدم غير مرة عن المصباح وغيره [غدا].

و«التوديع» مصدر ودع، وهو كالتشيع وزناً ومعنى، واسم مصدره الوداع بالفتح كالكلام من كلم والسلام من سلم والطلاق من طلق، وأصل التشيع والتوديع أن تخرج مع الراحل تريد ضحبتة وإيناسه إلى موضع ما.
«أحرز أجراً»: أصاب ثوباً وحاز جزء طاعته.

و«قل هجر اللغا»: أبغض فحش الهدر وفارق قذع الهديان وترك سيئ القول، قال في المصباح [قلا]: «قله يقليه - من باب رمى - قلى بالكسر والقصر، وقد يمد إذا أبغضه، وقليه يقلاه من باب تعب لغة» ا.ه.

وفي لسان العرب: «قَلَاهُ يَقْلِيهِ قَلِيٌّ وَقَلَاءٌ، وَيَقْلَاهُ لُغَةٌ طَيِّبٌ، ابن سيده: قَلَيْتُهُ قَلِيٌّ وَقَلَاءٌ وَمَقْلِيَّةٌ: أَبْغَضْتُهُ وَكَرِهْتُهُ غَايَةَ الْكِرَاهَةِ، فَتَرَكْتُهُ، وَحَكَى سَيَّبِيهِ: قَلَا يَقْلَا قَلِيٌّ يَقْلِي، وَهُوَ نَادِرٌ، شَبَّهُوا الْأَلْفَ بِالْهَمْزَةِ، وَلَهُ نِظَائِرٌ قَدْ حَكَاهَا كَلَّهَا أَوْ جَلَّهَا، وَحَكَى ابن جَنِّي: قَلَاهُ وَقَلِيَهُ، قَالَ: وَأَرَى يَقْلِي إِنَّمَا هُوَ عَلِي قَلِيٌّ، وَحَكَى ابن الأَعْرَابِيِّ قَلَيْتُهُ فِي الْهَجْرِ قَلِيٌّ مَكْسُورَةٌ مَقْصُورَةٌ، وَحَكَى فِي الْبَعْضِ قَلَيْتُهُ بِالْكَسْرِ أَقْلَاهُ عَلَى الْقِيَاسِ».

وقال أيضاً في مادة (ق ل و): «قَلَوْتُ الرَّجُلَ: شَبَّيْتُهُ لُغَةً فِي قَلَيْتِهِ»، وفي مادة (ق ل

ي): «وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣/٩٣]، قال الفراء: نزلت في احتباس الوحي عن سيدنا رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، فقال المشركون: قد ودَّع محمداً ربُّه وقَلَاهُ التَّابِعُ الَّذِي يَكُونُهُ مَعَهُ، فَأَنْزَلَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَسُعْدَانَهُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: لَمْ يَقْطَعْ الْوَحْيَ عَنكَ وَلَا أَبْغَضَكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبِرُ تَقْلِيَهُ»، يَقُولُ: جَرَّبَ النَّاسَ، فَإِنَّكَ إِذَا جَرَّبْتَهُمْ قَلَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَهُمْ، لَمَّا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ بَوَاطِنِ سِرَائِرِهِمْ، لَفْظُهُ أَمْرٌ وَمَعْنَاهُ خَبْرٌ، أَي مَن جَرَّبَهُمْ وَخَبَّرَهُمْ أَبْغَضَهُمْ وَتَرَكَهُمْ وَهَجَرَهُمْ، وَالْهَاءُ فِي «تَقْلِيَهُ» لِلْسَّكْتِ، وَمَعْنَى نَظْمِ الْحَدِيثِ: وَجَدْتُ النَّاسَ مَقُولاً فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلُ».

ومصادرُ هذا الفعل القَلَى بالكسر والقصر، والقَلَاءُ بالفتح والمد، والمَقْلِيَّةُ بفتح فسكون ففتح ياء مخففة فهاء، كما في التاج [قلا].

تَحَصَّلَ مِمَّا مَرَّ أَنَّهُ يُقَالُ: قَلَاهُ يَقْلِيهِ، كَرَمَاهُ يَرْمِيهِ، وَهِيَ اللَّعْنَةُ الْمَشْهُورَةُ كَمَا فِي التَّاجِ، وَقَلِيَهُ بِالْكَسْرِ يَقْلَاهُ بِالْفَتْحِ كَرَضِيَهُ يَرْضَاهُ، وَقَلَاهُ يَقْلَاهُ كَأَبَاهُ يَأْبَاهُ، وَقَلَاهُ يَقْلُوهُ، وَأَبَى ابن السكيت الأخيرة كما في التاج.

وعلى كلِّ حال فالمصادر القَلَى والقَلَاءُ تُكْسَرُ فَتَقْصُرُ، وَتُفْتَحُ فَتُمدُّ، وَالْمَقْلِيَّةُ، وَيُرَادَفُ قَلَاهُ أَوْ يُقَارَبُهُ شَبَّيْتُهُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ يَشْنُوهُ بِالْفَتْحِ فَقَطْ وَأَبْغَضَهُ وَهَرَّهَ يَهْرُهُ بِالضَّمِّ وَيَهْرُ بِالْكَسْرِ وَكَرِهَهُ وَاجْتَوَاهُ، وَالْكَلُّ ضِدُّ أَحَبِّهِ وَرَغَبٍ فِيهِ وَمَالَ إِلَيْهِ وَاسْتَحْسَنَهُ وَرَأَاهُ مُوَافِقاً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«هُجَرَ اللَّغَا»، الهُجْر بالضمِّ الحُنا والفُحش، وهو القَدَع بالقاف، والدَّال المفتوحين، في المصباح: «هَجَرَ المَرِيضُ في كلامه هَجْرًا أَيضًا: خَلَطَ وَهَدَى، والهَجْر بالضمِّ: الفحش، وهو اسم من هَجَرَ يَهْجُرُ من باب قتل، وفيه لغة أُخرى أَهْجَرَ في مَنطِقِه بالألفِ إذا أَكثَرَ منه حتى جاوزَ ما كان يتكَلَّمُ به قبل ذلك، وأَهْجَرْتُ بالرجل: استهزأتُ به، وقلتُ فيه قولاً قبيحاً، ورمَاهُ بالهَجراتِ أَي بالكلمات التي فيها فُحش، من باب لاين وتامر، ورمَاهُ بالمُهْجراتِ، أَي بالفواحش» [هجر] ١٠هـ، و«الفحش: القُبْح. وزناً ومعنى» ١٠هـ منه [فحش] أَيضاً.

وفي لسان العرب: «هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا بالفتح إذا خلطَ في كلامه وإِذا هَدَى»، وقال أَيضاً: «أَهْجَرَ في مَنطِقِه إِهْجَارًا، والاسم الهَجْر بالضمِّ، وهو القبيح من الكلام، وأَهْجَرَ به إِهْجَارًا: استهزأَ به، وقال فيه قولاً قبيحاً، وقال هَجْرًا وَبَجْرًا وَهَجْرًا وَبُجْرًا، إِذا فَتِحَ فهو مصدر، وإِذا ضُمَّ فهو اسم، وهَجَرَ المَرِيضَ يَهْجُرُ هَجْرًا: هَدَى، وهَجَرَ بكذا في نومِه: حَلَمَ وَهَدَى، وَرُوِيَ عن أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه أَنه كان يقول لبنيهِ: إِذا طفُتُم بالبيت فلا تَلْعُوا ولا تُهْجِرُوا [مسلم: ٦٤٣٨]، يُرَوَى تُهْجِرُوا بالضمِّ وتَهْجُرُوا بالفتح من الهَجْر الفُحش والتَّخْلِيط، قال أبو عبيد: معناه ولا تَهْدُوا، وهو مثلُ كَلامِ المَحْمومِ والمُبْرَسَمِ» ١٠هـ لسان.

فالمحموم معلوم، والمُبْرَسَمُ مَنْ به البُرْسَامُ، وهو أَي البُرْسَامُ بالكسر عَلَّةٌ يَهْدَى فيها، نعوذ بالله منها ومن كلِّ مَرَضٍ ظاهري وباطني، وهو وَرَمٌ حَارٌّ يَعْرِضُ لِلحِجَابِ الذي بين الكبدِ والأمعاء، ثُمَّ يتصلُّ إلى الدِّماغِ، وقد بُرِسِمَ العِلْجُ فهو مُبْرَسَمٌ، وكذا البُرْسَامُ، وقد بُلِسِمَ فهو مُبْلَسَمٌ، وكأنه معرَّبٌ مرَكَّبٌ من بَرٍّ للصدر بالفارسيَّة، وسام وهو الموت، ويقال لهذه العِلَّةُ أَيضاً المُوْمُ، وقد ميِّمَ الرجلُ، قال رؤبة: [ديوانه ١٨٥]

كَأَنَّ بِلْسَامًا بِهِ أَوْ مُومًا

١٠هـ من اللسان والتاج [برسم] ببعض تصرُّف.

فظهر بما تقدم أن الهجر بمعنى الفحش والقبح والحنأ، يجوز ضمُّه وفتحُه إلا أن الضمَّ أولى لكونه خاصاً به، وأما الفتح فهو مشترك يُطلق عليه وعلى صرْم الزَّوج وقطع الصديق والتباعد والإعراض عنه وعلى شدِّ البعير بالهجر ككتاب حبل يمنعه من العدو، والله أعلم.

«اللَّغَا» بمعنى اللُّغُو، وكلاهما ما لا يُعتدُّ به، من ألغاه إذا تركه وأغفله وأهمله، في المصباح: «لَغَا الشَّيْءُ يَلْغُو لَغْوًا: بَطَلَ، وَالرَّجُلُ: تَكَلَّمَ بِاللُّغُو، وَهُوَ أَخْلَاطُ الْكَلَامِ، وَلَغَا بِهِ: تَكَلَّمَ بِهِ، وَاللُّغِيَّةُ: أَبْطَلْتُهُ، وَاللُّغِيَّةُ مِنَ الْعَدَدِ: أَسْقَطْتُهُ، [ومنه قولهم]: كان ابن عباس يُلغي طلاقَ المُكْرَه، أَي يُسْقِطُ وَيُبْطِلُ، وَاللُّغُو فِي الْيَمِينِ: مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَا وَاللَّهِ، وَبِئْسَ وَاللَّهِ، وَاللُّغَا مَقْصُورًا مِثْلُ اللَّغُو» ١. هـ مصباح [لغو].

وفي التاج: «لَغَا: تَكَلَّمَ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «مَنْ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ صَهْ فَقَدْ لَغَا» [أبو داود: ١٠٥١]، وَلَغَا: خَابَ، وَبِهِ فَسَّرَهُ ابْنُ شُمَيْلٍ، وَاللُّغُو وَاللُّغَى كَالْفَتَى: السَّقَطُ وَمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ، وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ وَنَفْعٍ، كَذَا فِي الْمَحْكَمِ [٤٠/٦]، وَقَالَ الْقَائِلِي:

«اللُّغَا وَاللُّغُو: صَوْتُ الطَّائِرِ وَكُلُّ صَوْتٍ مَخْتَلِطٍ، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٥] أَي بِالْإِثْمِ فِي الْحَلْفِ إِذَا كَفَرْتُمْ، وَعِبَارَةٌ «الْنَهَايَةُ» [٦٠٥/٢]: اللَّغُو: سَقُوطُ الْإِثْمِ عَنِ الْحَالِفِ إِذَا كَفَرَ يَمِينَهُ، وَفِي الصَّحَاحِ: اللَّغُو فِي الْأَيَّانِ: مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ فِي كَلَامِهِ: بَلَى وَاللَّهِ وَلَا وَاللَّهِ، وَفِي التَّهْذِيبِ: حَكَاهُ الْفَرَّاءُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: وَهُوَ مَا يَجْرِي فِي الْكَلَامِ عَلَى غَيْرِ عَقْدٍ، قَالَ: وَهُوَ أَشْبَهُهُ مَا قِيلَ فِيهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَالَ الْحَرَّائِيُّ: اللَّغُو: مَا تَسْبَقُ إِلَيْهِ الْأَلْسُنَةُ عَلَى غَيْرِ عَزْمٍ، وَقَالَ الرَّائِغِيُّ: اللَّغُو مِنَ الْكَلَامِ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُورَدُ عَنْ رَوِيَّةٍ وَفِكْرٍ، وَهُوَ صَوْتُ الْعَصَافِيرِ وَنَحْوِهَا مِنَ الطُّيُورِ، وَلَغَا الرَّجُلُ: تَكَلَّمَ بِاللُّغُو، وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْكَلَامِ، وَيُسْتَعْمَلُ اللَّغُو فِيمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَمِنْهُ اللَّغُو فِي الْأَيَّانِ، أَي مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، وَذَلِكَ مَا يَجْرِي وَصَلًا لِلْكَلامِ بِضَرْبٍ مِنَ الْعَادَةِ، كَلَا وَاللَّهِ وَبِلَى وَاللَّهِ، وَفِي الصَّحَاحِ: لَغَا يَلْغُو لَغْوًا: قَالَ بَاطِلًا، يَقَالُ:

لَعَوْتُ باليمين، وقال ابن الأثير: قيل: لَعُوَ اليمين هي التي يَحْلِفُهَا الإنسان ساهياً أو ناسياً، أو هو اليمين في المعصية أو في الغضب أو في المراء أو في الهزل، ولَعَا في قوله كَسَعَى ودَعَا ورَضِي، لَعَا ولاغية ومَلْغَاة: أخطأ، واللَّغُو: الباطل وكلمة لاغيةٌ: فاحشة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: ٨٨/١١]، وقيل: هي على النسب، أي ذات لَعُو، كتامر ولاين، وقيل: قبيحه» ا.هـ من تاج العروس شرح القاموس [لغا].

تَحَصَّلَ من تفسير اللَّغَى أنها بمعنى اللَّغُو، واللَّغُو واضحٌ غايةً ممَّا تقدَّم، بمعنى السَّقَط (قال في المصباح: «السَّقَطُ بفتحَتين: رديءُ المتاع، والخطأُ من القول والفعل» ا.هـ)، وما لا يُعتدُّ به ولا تَحَصَّلُ به فائدةٌ من كلام وغيره، وأَنَّهُ صوت الطائر، وكلُّ صوت مختلط، وأنَّ يَخْطِئَ المرءُ في قوله، ولعلَّ المراد في قول الناظم: «هُجِرَ اللَّغَا» الخطأ والباطل، وتكون الإضافة بيانيةً، أي الفُحْشُ والقُبْحُ الذي هو خطأ وباطل.

وقال شارحُ [هو الصاوي] في تفسير هذا البيت ما نصُّه: «أحرزَ أجراً ملكه وأصابه،

وقلى: أبغض، ومنه قوله جَلَّ وعلا: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٩٣/٣]، والهَجْرُ بالضمُّ: القبيح من الكلام، ومنه قول النبي ﷺ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُورُواهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»، وأمَّا الهَجْرُ بفتح الهاء فهو الهدْيَانُ في القول كما يفعلُ صاحبُ الموم والبرسام، والهَجْرُ أيضاً: القطع والصَّرِيمَةُ، تقول: هجرتُ فلاناً إذا قطعته، واللَّغَا: الباطل من الكلام، وفيه لغتان: لَعُوَ ولَعَا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٣] ا.هـ. وبعد قوله: وراح للتوديع إلخ البيت:

٦١ - بذاك أم بالخيل تعدو المرطى ناشزة أكتأدها قُبَّ الكلى

أي هل أقسمُ بذاك أم بالفرسان التي تُسرِعُ وتمشي المشية السريعة مرتفعةً مجامع الأكتافِ ضامرةً الكلى من الأحشاء.

«بذاك»، الباء حرف جرّ، وذا اسم إشارة جرّ بها، والكاف حرف خطاب، أم للاستفهام، وهذه هي المُعَادِلَةُ لَهْمِزَةُ الاستفهام لأنها تتقدّمها ولو تقدّيراً كما هنا. قال في المصباح: «أم تكون متّصلة ومنفصلة بمعنى بل والهمزة جميعاً، ويكون ما بعدها خبراً واستفهاماً، مثلها في الخبر «إِنِّهَا لِإِبْلِ أُمِّ شَاءٍ»، وفي الاستفهام «هل زيدٌ قائمٌ أم عمرو»، وتُسمى منقطعة لانقطاع ما بعدها عمّا قبلها واستقلال كل واحد كلياً تامّاً.

والمتّصلة يلزمها همزة الاستفهام، وهي بمعنى أيّهما، ولهذا كان ما بعدها وما قبلها كلياً واحداً، ولا تُستعمل في الأمر والنهي، ويجب أن يُعَادِلَ ما بعدها ما قبلها في الاسميّة والفعليّة، فإن كان الأول اسماً أو فعلاً كان الثاني مثله، نحو أزيدٌ قائمٌ أم قاعدٌ، وأقام زيدٌ أم قعدَ لأنها لطلب تعيين أحد الأمرين، ولا يُسأل بها إلا بعد ثبوت أحدهما، ولا يُجاب إلاّ بالتعيين لأن المتكلم يدّعي حدوث أحدهما ويسأل عن تعيينه» اهـ مصباح [أم].

فعلّم بهذا أن الهمزة محذوفة لفظاً ثابتةً تقدّيراً، فكأنه قال: أبذاك أم بالخيل تعدو إلخ، والمتعلّق محذوف، تقديره أقسم أو أحلف أو قسمي أو حلفي أو يميني واقعٌ بذاك إلخ، أو متعلّق بما تعلق به السابق أعني قوله:

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَاكِ الْفَلَا

أي أُولِي أَلِيَّةٍ، وَالْأَلِيَّةُ وَالْأَلِيَّةُ بِإِبْدَالِ التَّاءِ أَلْفًا: الْيَمِينُ وَالْحَلِيفُ، وَفَعْلُهُ أَلَى يُؤَلِي إِبْلَاءً، كَاتَى يُؤْتِي إِبْتَاءً، وَالْجَمْعُ أَلَايَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَلِيلُ الْأَلَايَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الْأَلِيَّةُ بَرَّتْ

أَي أَحَلَفَ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْيَعْمَلَاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِمَا ذَكَرَ أَمْ بِالْحَلِيلِ الْمَوْصُوفَةِ بِمَا سَيَأْتِي فِي بَإِنِّي لَا بَدَّ مِنْ أَنْ أَوْقَعَ أَحَدُهُمَا.

وَالْحَلِيلُ جَمَاعَةُ الْأَفْرَاسِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَهُوَ مَوْثٌ سَمَاعِيٌّ يَعْمُ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى، أَوْ وَاحِدَهُ خَائِلٌ لِأَنَّهُ يُجْتَنَلُ فِي مِشِيْتِهِ، وَأَيْضًا اسْمٌ لِلْفَرَسَانِ، أُخِذَ مِنَ الْخَيْلَاءِ، وَهُوَ الْكِبْرُ

والإعجاب، ولم أر من كتب اللُّغة ما يَشفي في تفسيرها وبيان معناها تمام البيان كشارح القاموس، قال: «الخيْلُ: جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه، وهو مؤنث سماعي يعم الذكر والأنثى، أو واحدُه خائل لأنه يَحْتال في مشيته، قاله أبو عبيدة، قال ابن سيده: وليس هذا بمعروف، والضميرُ عائد إلى الخائل لأنه أقربُ مذكور، ويجوز إعادته للخيْل بناء على أنه اسم جمع.

أمَّا على القول بأنه مؤنث كما نصُّوا عليه فيتعيَّن عودُه للخائل، قاله شيخنا، ويشهدُ لما قاله أبو عبيدة ما حكاه أبو حاتم نقلًا عن الأصمعيّ، قال: جاء معْتوهٌ إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو لم سُميت الخيْلُ خيلاً؟ فقال: لا أدري، فقال: لكن أدري، فقال: علمنا، قال: لاختيائها في المشي، فقال أبو عمرو لأصحابه بعدما ولى: اكتبوا الحكمة وارزوها ولو عن معتوه.

وقال الراغب بعدما ذكر الخيلاء: «ومنها تُنول لفظُ الخيْل لما قيل لا يركبُ أحدٌ فرساً إلا وجدَ في نفسه نخوةً، وقال أيضاً - يعني الراغب - والخيْلُ في الأصل اسمٌ للأفراس والفرسان جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأَنْفَال: ٦٠/٨] ويُستعملُ في كلِّ واحدٍ منهما منفرداً، نحو ما روي «يا خيْلَ الله اركبي»، أي يا رُكَّاب خيْل الله، فحذف للعلم باختصاراً، فهذا للفرسان، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإِسْرَاء: ٦٤/١٧] أي بفرسانك ورجالتك، وجاء في التفسير: أن خيْلَه كلُّ خيْلٍ تسعى في معصية الله ورجله كلُّ ماشٍ في معصيته، وفي الحديث: «عفوتُ لكم عن صدقة الخيْل» يعني الأفراس، وكذا قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨/١٦]». اهـ تاج العروس شرح القاموس [خيْل].

فيؤخذ ممَّا مرَّ أن الخيْل تُطلَق ويُرادُّ بها الأفراس فقط، والفرسان فقط، وكلاهما معاً.

«تَعْدُو»: فعل مضارع من عَدَا عَدَوْاً إِذَا قَارَبَ الْهَرَوَلَةَ، كما في المصباح [عدا]، وفي اللسان: «الْعَدُو: الْحُضْر، عَدَا الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ وَغَيْرُهُ يَعْدُو عَدَوْاً وَعُدُوّاً وَعَدَوَاناً وَتَعْدَاءً، وَعَدَى: أَحْضَرَ، وَأَعْدَيْتُ فَرَسِي: اسْتَحْضَرْتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَدِيدَتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١٠٠/١]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الْخَيْلُ، وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِيَ الْإِبِلُ هَهُنَا، وَضَبْحُ الْخَيْلِ: صَوْتُ أَجْوَانِهَا إِذَا عَدَتْ»، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ غَيْرُ ذَلِكَ، رَاجِعُ اللِّسَانِ [عدا].
وَالْحُضْرُ الْأَسْمُ مِنْ أَحْضَرَ الْفَرَسُ إِحْضَاراً عَنْ كُرَاعٍ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَتَاجِ الْعُرُوسِ [حضر].
«الْمَرَطَى»: نَوْعٌ مِنَ الْإِسْرَاعِ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «مَرَطَ يَمْرُطُ مَرُطاً وَمُرُوطاً: أَسْرَعَ، وَالْأَسْمُ الْمَرَطَى، وَفَرَسٌ مَرَطَى: سَرِيعٌ، وَكَذَا النَّاقَةُ، وَقَالَ اللَّيْثُ: الْمُرُوطُ: سُرْعَةُ الْمَشِيِّ وَالْعَدُو، وَيُقَالُ لِلْخَيْلِ: هُنَّ يَمْرُطُنَ مُرُوطاً، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْمَرَطَى فَوْقَ التَّقْرِيبِ وَدُونَ الْإِهْذَابِ» اهـ لسان [مرط].

وفيه: «عن الأصمعيّ: إِذَا رَفَعَ الْفَرَسُ يَدَيْهِ مَعاً وَوَضَعَهَا مَعاً فَذَلِكَ التَّقْرِيبُ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: إِذَا رَجَمَ الْأَرْضَ رَجْماً فَهُوَ التَّقْرِيبُ، يُقَالُ: جَاءَنَا يُقْرَبُ بِهِ فَرَسُهُ، وَقَارَبَ الْخَطْوَ: دَانَاهُ، وَالتَّقْرِيبُ فِي عَدْوِ الْفَرَسِ أَنْ يَرْجَمَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ، وَهُمَا ضَرْبَانِ، التَّقْرِيبُ الْأَدْنَى، وَهُوَ الْإِرْخَاءُ، وَالتَّقْرِيبُ الْأَعْلَى، وَهُوَ الثَّغْلِيَّةُ، وَعَنْ الْجَوْهَرِيِّ: التَّقْرِيبُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ، يُقَالُ: قَرَّبَ الْفَرَسُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ مَعاً وَوَضَعَهَا مَعاً فِي الْعَدْوِ، وَهُوَ دُونَ الْحُضْرِ، وَفِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ: «أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكْبَتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقْرَبُ بِي»، قَرَّبَ الْفَرَسُ يُقْرَبُ تَقْرِيباً إِذَا عَدَا عَدَوْاً دُونَ الْإِسْرَاعِ» اهـ لسان [قرب].

وَالْإِهْذَابُ: الْإِسْرَاعُ كَالْتَهْدِيبِ، وَالْهَذْبُ بِفَتْحٍ فَسْكَونٌ وَالْهَذَابَةُ كَسَحَابَةٌ، وَالْفِعْلُ أَهْذَبَ وَهَذَبَ وَهَذَبَ، وَالْأَسْمُ مِنْهُ الْهَيْدَبِيُّ عَلَى فَيْعَلَى، وَالْكُلُّ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَمِثْلُهَا الْهَيْدَبِيُّ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ، وَلَا يَتَصَرَّفُ مِنْ هَذِهِ فِعْلٌ بِهَذَا الْمَعْنَى.

«والإرخاء مأخوذ من الرِّيح الرُّخَاء، وهي السريعة في لين، ويجوز أن يكون من قولهم: أرخى به عناءً أي أبعدَه عنَّا، وأرَخَى الدابَّة: سار بها الإرخاء، قال حميد بن ثور: [ديوانه ١٢٨]

إلى ابن الخليفة فاعمده له وأرخ المطيئة حتى تكمل

وقال أبو عبيد: الإرخاء أن تُخَلِّي الفرسَ وشهوته في العدو غير متعب له، يقال: فرس مرخاء من خيل مرخاء، وأتان مرخاء: كثيرة الإرخاء» ا.هـ لسان [رخاء].

«والثعلبية: أن يعدو الفرس عدو الكلب» ا.هـ لسان [ثعلب]. «ناشزة أكتادها قُبُّ الكلى». الناشزة: المرتفعة الناتئة المنتبرة، في اللسان: «وفي الحديث أنه كان إذا أوفى على نشز كبر، أي ارتفع على رابية في سفر، وقد تُسكن الشينُ فيقال: نشز، ومنه الحديث: «في خاتم النبوة بضعة ناشزة»، أي قطعة لحم مرتفعة على الجسم، ومنه الحديث: «أتاه رجل ناشز الجبهة»، أي مرتفعها، ونشز الشيء ينشزُ نشوزاً: ارتفع، وتلُّ ناشز: مرتفع، وقلب ناشز: ارتفع عن مكانه من الرُعب، ونشز في مجلسه ينشزُ وينشزُ، وفي الأساس [نشز]: نشز الشيء: ارتفع، ومن المجاز: «نشزت إلى النفس، أي جاشت من الفزع، ونشزت المرأة على زوجها ونشزَ عليها» ا.هـ.

«أكتادها»، أي أكتاد الخيل، واحدها كتد بفتحتين، وبفتح وكسر، وهو مجتمع الكتفين أو أعلى الكتف أو ما بين الكاهل إلى الظهر أو من أصل العنق إلى أسفل الكتفين أو هو نفس الكاهل أو مغرر العنق في الكاهل عند الحارك، وفي الأساس: هو ما بين مغرر العنق إلى موضع الكتفين، تقول: نحمله على الأكتاد فضلاً عن الأكتاد، ولوهم أكتافهم وأكتادهم، أي أدبروا وانهزموا وفرُّوا وهربوا، تقول: ثبتوا أو ناداً ثم ولوا أكتاداً» ا.هـ.

«قُبُّ» بالضمِّ وتشديد الباء جمع الأقبِّ والقَبَاء، والمصدرُ القَبْبُ بالتحريك، وهو دقة الحَصْر وضمورُ البطن، ويقال: قَبَّ بطنُ الفرس يقبُّ من الباب الرابع، أي لحقت خاصرته بحالبيه، وخيلُ قُبُّ أي صوامر، وامرأة قَبَاءُ أي خميصه البطن كما يقال: مهضومه

الحشاً لطيفة الكشحين، والتضمير يُقْبُ الفرس قَباً من الباب الأول، أي يجعله أقب حتى يندمج بعضه في بعض.

وفي اللسان: قَبه يَقْبُه قَباً، وهو شدة الدمج للاستدارة، والحاليان عرقان يبتدان الكلتيين، أي يأخذان من جانبيهما ويمتدان من ناحيتهما، وقيل: هما عرقان يكتنفان السرة إلى البطن، ويقال: درّ حاليه إذا انتشر ذكره، وهما عرقان يسقيانه ومدت الصرع حوالبه ومدت العين الناظرة، والفوارة حوالبهما ومواد كل شيء حوالبه، كما في الأساس [حلب].

«الكلّي» جمع كلوة وكلية بضم أولهما فسكون ثانيهما، قال في المصباح: «الكلية من الأحشاء معروفة، والكلوة بالواو لغة لأهل اليمن، وهما بضم الأول، قالوا: ولا يكسر، وقال الأزهرى: الكلّيتان للإنسان ولكل حيوان، وهما لحمتان حراوان لازقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين، وهما منبت زرع الولد» ١. هـ مصباح [كلا].

وفي اللسان: «الكلوة لغة في الكلية لأهل اليمن، وقال: الكلّيتان من الإنسان وغيره: لحمتان متبترتان حراوان لازقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين في كظريين من الشحم، وهما منبت بيت الزرع، هكذا يسميان في الطب، يُراد به زرع الولد، والجمع كلّي وكلّيات بضم فسكون» ١. هـ لسان [كلا] ببعض تصرف. والمراد بالكلّي في البيت الخواصر للمجاورة كما قالوا: دبر البعير في كلاه أي في خاصرته، كما في التاج في مادة (ك ل ي). ومثل: «قُبّ الكلّي» معنى لواحق الأياطل، فإن اللواحق بمعنى الضواير، والأياطل: الخواصر.

فحاصل المعنى هل أقسم بذلك أم بالأفراس التي تسرع هذا الإسراع المسمى بالمرطى في حال كونها مرتفعة الكواهل ناتئة مجامع الأكتاف متبيرة الحوارك ضمّ الخواصر ذبل الأقراب، فإن الأقراب جمع قُرب للخاصرة، قال في اللسان: «قال الشمرذل يصف فرساً:

لاحق القُرب والأياطل هُندٌ مُشرف الخلق في مطاه تمام

في التهذيب: فرسٌ لاحق الأقراب، يجمعونه، وإنما له قُربان لسعته كما يقال: شاة

ضَخْمَةُ الْحَوَاصِرِ، وَإِنَّمَا لَهَا خَاصِرَتَانِ، وَفِيهِ لَغْتَانِ قُرْبٌ وَقُرْبٌ بَضْمٌ فَسَكُونٌ وَبَضْمَتَيْنِ
بوزن عُسْرٍ وَعُسْرٍ، وَفِي قِصِيدَةِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ:

يَمْشِي - الْقَرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ عَنْهَا لَبَّانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ
يُزْلِقُهُ: يُزْخَلِفُهُ، وَاللَّبَّانُ: الصَّدْرُ، وَالْأَقْرَابُ: الْحَوَاصِرُ، وَالزَّهَالِيلُ: الْمُلْسُ، عَنِ
الصَّحَاحِ، اللَّبَّانُ بِالْفَتْحِ: مَا جَرَى عَلَيْهِ اللَّبُّ مِنَ الصَّدْرِ، وَفِي حَدِيثِ الْإِسْتِسْقَاءِ: «أَتَيْتَاكَ
وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَائِهَا» أَي يَدْمَى صَدْرُهَا لِامْتِهَانِهَا نَفْسَهَا فِي الْخِدْمَةِ حَيْثُ لَا تَجِدُ مَا تُعْطِيهِ مَنْ
يُخْدِمُهَا مِنَ الْجَدْبِ وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَلَبَنَهُ يَلْبِنُهُ لَبْنًا: ضَرَبَ لَبَّانَهُ^١. ا.هـ لسان [لبن]. وَبَعْدَهُ:

٦٢ - شُعْتًا تَعَادَى كَسْرًا حِينَ الْعَضَا مَيْلَ الْحَمَالِيقِ يُبَارِزِينَ الشَّبَا

الشُّعْتُ: جَمْعُ شَعْتَاءَ وَأَشَعْتُ، وَفَعْلُهُ شَعِثَ بِالْكَسْرِ شَعْتًا بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ تَلْبُدُ الشَّعْرِ
وَإِعْبَارُهُ لِعَدَمِ تَعَهُدِهِ بِتَسْرِيحِ وَدُهْنِ وَغَسْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: «شَعِثَ الشَّعْرُ
شَعْتًا فَهُوَ شَعِثٌ، مِنْ بَابِ تَعَبَ، تَغَيَّرَ وَتَلَبَّدَ لِقَلَّةِ تَعَهُدِهِ بِالذُّهْنِ، وَرَجُلٌ أَشَعَثَ وَامْرَأَةٌ
شَعْتَاءُ، وَالشَّعَثَ أَيْضًا الْوَسْخُ، وَرَجُلٌ شَعِثٌ: وَسِخُ الْجَسَدِ، وَشَعِثَ الرَّأْسُ أَيْضًا، وَهُوَ
أَشَعَثُ أَغْبَرٌ، أَي مِنْ غَيْرِ اسْتِحْدَادٍ وَلَا تَنْظُفٍ، وَالشَّعَثَ أَيْضًا: الْإِنْتِشَارَ وَالنَّفْرُقَ كَمَا يَتَشَعَّثُ
رَأْسُ السُّوَاكِ، وَفِي الدَّعَاءِ: «لَمْ اللَّهُ شَعْتَهُ» أَي جَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِهِ وَتَشَتَّتَ مِنْ شَمَلِهِ».

وَفِي اللِّسَانِ: «شَعِثَ شَعْتًا وَشُعُوثَةً فَهُوَ شَعِثٌ وَأَشَعَثَ وَشَعْتَانُ، وَتَشَعَّثَ: تَلَبَّدَ
شَعْرُهُ وَإِعْبَرَ، وَشَعْتَهُ تَشَعَيْتًا، وَالشَّعْتُ: الْمَغْبَرُ الرَّأْسِ الْمُتَشَتُّ الشَّعْرِ الْحَافُّ الَّذِي لَمْ يَدَّهْنُ،
وَالتَّشَعَّثَ: التَّفَرُّقُ وَالتَّنَكُّثُ كَمَا يَتَشَعَّثُ رَأْسُ الْمَسْوَاكِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رُبَّ أَشَعَثٍ أَغْبَرَ
ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ»، وَالشَّعْتَةَ: مَوْضِعَ الشَّعْرِ الشَّعِثِ (كَمَا أَنَّ
النَّزْعَةَ مَوْضِعَ النَّزْعِ وَالصَّلْعَةَ مَوْضِعَ الصَّلْعِ وَالجَّلْحَةَ مَوْضِعَ الْجَلْحِ وَالجُلْهَةَ مَوْضِعَ الْجُلْهِ
وَالجَلَى لِمَوْضِعِهِ وَالكَشْفَةَ لِمَوْضِعِ الْكَشْفِ، وَالنَّرْعُ: انْحِسَارُ الشَّعْرِ عَنِ جَانِبِي الْجَبْهَةِ،
وَالْبَوَاقِي كُلُّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُ فِي الْمَعْنَى، وَفَعْلُ الْكُلِّ مِنْ بَابِ طَرِبَ).

وخيلٌ شعثٌ أي غيرُ مُفَرَّجَةٍ، ومُفَرَّجَةٌ: محسوسة، والشَّعْثُ والشَّعْثُ: انتشار الأمر
وخلُّه، قال كعبُ بن مالك الأنصاريُّ:

لَمَّ الإِلهُ به شَعْنًا ورمَّ به أمورَ أُمَّتِه والأمرُ مُنتَشِرٌ

وفي الدعاء: «لَمَّ اللهُ شَعْنَهُ» أي جمع ما تفرَّق منه، ومنه شَعَثَ الرأسُ، وفي حديث الدعاء:
«أسألك رحمةً تلمُّ بها شَعْبِي» [الترمذي: ٣٤١٩] أي تجمعُ بها ما تفرَّق من أمري، وقال النابغة:

ولستَ بمُسْتَبِقٍ أَخًا لا تَلْمُهُ على شَعَثِ أيِّ الرجالِ المهذَّبِ

قوله: «لا تلمُّه على شَعَثٍ» أي لا تحتملُه على ما فيه من زَلَلٍ ودَرْءٍ، فتلمُّه وتصلُّحه
وتجمع ما تشعَّت من أمره.

وتشعَّتُ رأسُ المسواك والوَتِدُ: تفرَّقَ أجزائه» ا.هـ لسان العرب [شعث]. والمراد
بالشَّعْثُ في البيت الخيل الغير المُفَرَّجَة، والمُفَرَّجَة: المحسوسة، قال في التاج: «الفِرْجُونُ:
المِحْسَة، وفَرْجَن الدابة بالفِرْجُون حَسَّها به، وجزَمَ الصرْفِيُّونَ أن نونه زائدة» ا.هـ من مادة
(ف ر ج ن) منه.

وفي اللسان: «حَسَّ الدابة يحسُّها حسًّا: نفَضَ عنها التراب، وذلك إذا فَرَجَها، أي
حَسَّها بالمِحْسَة بكسر الميم، أي بالفِرْجُون، ومنه قول زيد بن صُوحان حين ارتثَّ يوم
الجمَل: «ادفُوني في ثيابي ولا تحسُّوا عني ترابًا»، أي لا تنفضوه، من حَسَّ الدابة: نفَضَ
التراب عنها، وفي حديث يحيى بن عباد: «ما من ليلة أو قرية إلا وفيها ملكٌ يحسُّ عن
ظهور دوابِّ الغزاة الكلال»، أي يذهب عنها التعب بحسِّها وإسقاط التراب عنها،
والمِحْسَة بالكسر لأنه آلة لذلك» ا.هـ لسان [حسس].

زيد بن صُوحان بضمِّ الصاد وواو ساكنة وحاء مهملة ثم ألفٍ ونون ابن حُجْر ابن
الحارث أبو سليمان، وقيل: أبو عائشة، أسلمَ في عهد النبي ﷺ، وله ترجمة حسنة، وأخوه
صَعَصَعَة بن صُوحان، تابعيٌّ كبير، ا.هـ من التاج [صوح]، باختصار.

«وازُتَّتْ» بالبناء لما لم يسمَّ فاعله، حُمِلَ من المعركة رَئِثًا أَي جريحاً وبه رَمَقٌ، وفي التهذيب: يقال للرجل إذا ضُرب في الحرب فَأُتْخِنَ وحُمِلَ وبه رَمَقٌ، وفي حديث زيد ابن صُوحَانَ أَنه اُزْتُتَّ يوم الجمل وبه رَمَقٌ [ارث].

ومثُلُ شَعَثَ ما ذَكَرَهُ في اللسان، ونَصُّه: «حَفَّ رَأْسُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرُهُ يَحِفُّ حُفُوفًا:

شَعِثَ وَبَعَدَ عَهْدَهُ بِالذَّهْنِ، قَالَ الْكَمِيتُ يَصِفُ وَتَدَأُ: [ديوانه ١ / ٣٤١]

وَأَشَعَثَ فِي الدَّارِ ذِي لَمَّةٍ يُطِيلُ الْحُفُوفَ وَلَا يَقْمَلُ»

وكذا في التاج [حفف]. «تَعَادَى» أَي تَتَعَادَى تَتَفَاعَلُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَهُوَ السَّرْعَةُ. «كَسَّرَ حِرْحَانَ

الْغَضَى»، السَّرْحَانِ جَمْعُ سِرْحَانَ، وَهُوَ الذَّنْبُ وَالْأَسَدُ كَمَا فِي الْمَصْبَاحِ [سرح]، وَفِي التَّاجِ:

«السَّرْحَانُ بِالْكَسْرِ فِعْلَانٌ، مِنْ سَرَحَ يَسْرُحُ الذَّنْبُ كَالسَّرْحَالِ، وَالسَّرْحَانُ وَالسَّيْدُ: الْأَسَدُ

بَلُغَةُ هَذِيلٍ، قَالَ أَبُو الْمُثَنَّمِ الْهَذَلِيُّ يَرِثِي صَخْرَ الْغِيِّ: [أشعار الهذليين ٢٨٥]

هَبَّاطٌ أَوْ دِيَّةٌ حَمَّالٌ أَلْوِيَّةٌ شَهَادٌ أُنْدِيَّةٌ سِرْحَانٌ فِتْيَانٌ»

ا.هـ. [سرح]. وقال امرؤ القيس: [ديوانه ٢١]

لَهُ أَيُّطَلَا ظُبِّيٌّ وَسَاقَانِعَامِيَّةٌ وَإِرْحَاءُ سِرْحَانَ وَتَقْرِيْبٌ تَنْفُلُ

الْأَيُّطَلُ: الْخَاصِرَةُ، وَالْإِرْحَاءُ وَالتَّقْرِيْبُ: ضَرْبَانٌ مِنَ السَّيْرِ، وَالسَّرْحَانُ: الذَّنْبُ

وَالْأَسَدُ، وَالتَّنْفُلُ بَتَائِيْنِ مِثْلَتَيْنِ مِنْ فَوْقٍ، أَوْ لَاهِمَا مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ وَضَمُّ الْفَاءِ

وَبَعْدَهَا لَامٌ، وَفِيهِ لُغَاتٌ أُخْرَى أَوْصَلَهَا فِي الْقَامُوسِ وَشَرَحَهُ إِلَى تِسْعٍ، فَارْجِعْهَا إِنْ شِئْتَ،

وَالتَّنْفُلُ: التَّلْعَبُ، وَقِيلَ: جَرُوهُ.

و«الْغَضَا»: شَجَرٌ خَشْبُهُ مِنْ أَصْلَبِ الْخَشْبِ، وَلِذَا يَكُونُ فِي فَحْمِهِ صَلَابَةٌ، قَالَ فِي تَاجِ

العروس فِي مَادَّةِ (غ ض ي): «الْغَضَاةُ: شَجَرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَالْجَمْعُ الْغَضَى، قَالَ ثَعْلَبُ:

يَكْتُبُ الْغَضَا بِالْأَلْفِ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَلَا أُدْرِي لِمَ ذَلِكُ، وَالْغَضَى: الْغَيْضَةُ [يعني الأجمة،

وهي الشجر الكثير الملتف]، وَقِيلَ: الْحَمْرُ، وَهُوَ مَا وَاوَاكَ مِنَ الشَّجَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَحْبَبْتُ

مِنْ ذَنْبِ الْغَضَا» ا.هـ. تاج العروس.

وفي لسان العرب [غضا]: «الغُضَا من نبات الرَّمْل له هَدَبٌ كَهَدَبِ الأَرطَى»،
(الجهريُّ: الهدب بالتحريك: كلُّ ورق ليس له عرضٌ كورق الأثل والسَّرو والأرطى
والطَّرْفاء، وكذا الهدب).

«والأرطى: شجر ينبت بالرمل شبيهٌ بالغُضَا ينبت عِصِيًّا من أصل واحد يطول قدر
قامة وله نَوْرٌ كَنَوْرِ الخِلاف [وهو الصَّفْصاف]، ورائحته طيِّبةٌ، وحدثه أُرطاة، قال أعرابيُّ
وقد مرضَ بالشام:

أَلَا أَيُّهَا المُكَّاءُ مَا لَكَ ههنا أَلَاءٌ وَلَا أَرطَى فَأَيْنَ تَبِيضُ
فَأَصْعِدْ إِلَى أَرْضِ المُكَّاكِيِّ واجتنب قُرَى الشَّامِ لَا تُصْبِحْ وَأَنْتَ مَرِيضُ
والأرطى إن جعلت ألفه أصلية نونته في المعرفة والنكرة جميعاً، وإن جعلته للإلحاق
نونته في النكرة دون المعرفة، وقال ابن بري: إن جعلت ألف أرطى أصلية نونته في المعرفة
والنكرة جميعاً، قال: إذا جعلت ألف أرطى أصلية، أعني لام الكلمة كان وزنها أفعل،
وأفعل إذا كان اسماً لم ينصرف في المعرفة، وانصرف في النكرة» اهـ لسان [أرط].

وفيه: «والغُضَا: شجر، ومنه قول سُحَيْمِ عبد بني الحسحاس: [ديوانه ١٧]
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا وَجَمْرَ غُضَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ ذَاكِيَا
ومنهم قولهم: ذئب غُضَاً، وأهل الغُضَا أهلٌ نجد لكثرتهم هنالك، والغُضَا الحَمْرُ،
والعرب تقول: أَحْبَبْتُ الذئبَ ذئبُ الغُضَا، وإنما صار كذا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد
أن يُغِيرَ، يعنون بالغُضَا هنا الحَمْرُ، وقيل: الغُضَا هنا هذا الشجر، ويزعمون أنه أَحْبَبْتُ
الشجرِ ذئباً.

وذئاب الغُضَا بنو كعب بن مالك بن حنظلة، شُبِّهُوا بتلك الذئاب لِحُبِّهِمْ، اهـ منه،
وقد قال في أول المادة: «الغُضَا: شجر، ومنه قول سُحَيْمِ عبد بني الحسحاس:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا وَجَمْرَ غُضَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ ذَاكِيَا

ومنه قولهم: ذئبٌ غَضًّا، والغَضُّ من نبات الرَّمْل، والغَضُّ: الحَمَرُ «إلى آخر ما قاله.

«والحَمَرُ بفتح الحاء والميم: كلُّ ما سترَكَ من شجر أو بناء أو غيره كجبل وكثيبِ رمل، ومكانٌ حَمِرٌ بفتح فكسر: كثيرُ الحَمَرِ على النَّسب» كما في اللسان [خمر].

فتحصَّلَ أن ذئب الغَضِّ خبيثٌ لا يُصادفُ أحداً إلاَّ أغارَ عليه، وللعرب ألفاظٌ من هذا القبيل، أعني التخصيص بالإضافة، من ذلك قولهم: ثورٌ عَدَاب، وضَبُّ كُدْيَةٍ، وكذا ضَبُّ كَلْدَةٍ بفتحات، كما في اللسان، وسيُدرَّمَل.

والعَدَاب بفتح العين والدَّال المهملتين بعدهما ألفٌ ثمَّ باءٌ موحَّدة، وزان سَحَاب: الرَّمْل السَّهْل اللَّين، تغيب فيه الأقدام، كالوعس والدَّهْس بفتح فسكون فيهما، والكَلْدَةُ والكُدْيَةُ كَقَصْبَةٍ ومُدْيَةٍ: الأَرْضُ الصُّلْبَةُ الغليظة.

وفي مجمع الأمثال للميداني: «أَخْبْتُ من ذئب الحَمَرِ» و«أَخْبْتُ من ذئب الغَضِّ»، قال حمزة: العرب تُسمي ضروباً من البهائم بضروب من المراعي، تنسبها إليها فتقول: أَرَنْبُ الخُلَّةِ، وضَبُّ السَّحَا، وظبيُّ الحَلَبِّ وتيسُ الرَبَلَّةِ وقُنْفُذُ بَرَقَةٍ وشَيْطان الحِمَاطَةِ، وذلك كُلُّه على قدر طَباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان» ١٠١هـ.

فالخُلَّةُ بالضمُّ: شجرة شاكة، أي ذاتُ شوك وما فيه حلاوة من النَّبت، وهي بالحاء المعجمة، فإذا أهملتْها وكسرتها فقلت: الحِلَّةُ بالحاء المهملة المكسورة كانت قريبة منها، فإنها أيضاً - أعني الحِلَّةُ - شجرة شاكة كما في القاموس.

والسَّحَا بفتح السين والحاء المهملة مقصوراً على وزن الرَّحَى: شجرة شاكة، الواحد سَحَاة، وضَبُّ سَاح: يَرعَاها، كما في اللسان والتاج [سحا].

والحَلَبُّ وزَانٌ سُكَّر: نبت تأكله الشاءُ والظباء، كما في التاج واللسان [حلب]. والرَبَلَّةُ بفتح فسكون: واحدة الرَبَلِ، كذلك لَصْرَب من الشجر يَخْصَرُ أحرَ الصيف ببرودة الوقت من غير مطر، وجمعه رُبُول، كَفَلَس وفُلُوس كما في التاج واللسان [ربل].

وفي اللسان: «البُرْقَة والأَبْرَق والبَرْقاء: غلظٌ فيه حجارةٌ ورملٌ وطِينٌ مختلطةٌ، ويقال: قُنُقُدُ بَرْقَة كما يقال: صَبُّ كُذْيَة» [برق] اهـ.

والحَمَاط: شجرٌ شبيهٌ بالتَّين، وهو أَحَبُّ شجرٍ إلى الحَيَّات، ولذا يقال: شيطان حَمَاط، قال شارح القاموس [حمط]: «وقد رأيتُ هذا الشجر كثيراً بالطائف»، قال في لسان العرب: «عن الجوهري: الحَمَاط: يَبْسُ الأَفْاني تألفه الحَيَّات، يقال: شيطان حَمَاط كما يقال: ذئب غَضًا وتيس حَلَب الواحدة منه حَمَاطة» اهـ لسان، كسحابة. مَيْل الحَمَالِيقِ بُيَارِين الشَّبَا.

المَيْل: المائلة، والحَمَالِيق: العيون أو بواطنُ أجفانها، والشَّبَا: حَدُّ سِنان الرُّمَح ونحوه. المَيْل بالكسر جمعُ مَيْلاءٍ وأمَيْل اسمُ فاعلٍ من مَيْلٍ بالكسر كَفَرِح إذا عَوَجَّ خِلْقَةً، وكان الأَصْل مَيْلٌ كحُمْرٍ وخُضْرٍ وصُفْرٍ ونحو ذلك، لكن كُسرٌ لمناسبة الياء كما وقع في بَيْض، وقد يُستعمل في غير المعوجِّ خِلْقَةً، كالمَيْل للذين يَميلون إذا ركبوا إلى جانب السَّرَج، قال جرير: [ديوانه ٤٦٥]

لم يَرَكبوا الخَيْلَ إلا بعدما هَرَموا فهم ثَقَالٌ على أَكْتافِها مَيْلٌ
وكقولهم: رجال مَيْلٌ الطَّلَى من النُّعاس، كما في التاج [ميل]، أي مائلو الأَعناق.
الحَمَالِيق: جمعُ حَمَلِاقٍ بضمِّ الحاءِ وكسرها، وهو ما غَطَّتْه الجفونُ من بياض المُقْلَة، وقيل: باطنُ الجفن الذي إذا قَلَبَ بدتْ حُمْرُته، وحَمَلَقَ إليه: نظرَ، وقيل: شديدًا، وحقِيقَتُه أَدَارَ حَمَلِاقِي عَيْنِيه، قال الراجز: [ديوان رؤبة ١١٣]

واللَيْثُ إنْ أوعَدَ يوماً حَمَلِقا بمُقْلَة تُوقدُ فصًّا أزرقا
وهذا كما يقال: حَدَقَ مُحَدِّقا إذا أَدَارَ حَدَقَةً عينه ورماءَ بها، وحَدَقَةُ العين سوادُها الأَعْظَم، وأما السوادُ الأصغر فهو الناظر، وفيه إنسان العين، وقيل في تفسير الحَمَلِاق والحَدَقَة غيرُ ما ذكرتُ لك، إلا أن الأَقوال فيها كلُّها متقاربة كما قال السيّد المرتضى بعد نقل ما في الحَمَلِاق من الأَقاويل.

والْحُمْلُوقُ أَيْضاً كَالْحِمْلَاقِ، وَجَمْعُهُ كَجَمْعِهِ، كَعُصْفُورٍ وَعَصَافِيرٍ وَزُرْزُورٍ وَزَرَازِيرٍ،
وَالزُّرْزُورُ طَائِرٌ كَالقُنْبِرَةِ كَمَا فِي التَّاجِ [حَمَلَق].

«يُبَارِئِنَ الشَّبَا» أَي يُعَارِضُنَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَيُجَارِئِنَ ظُبَاهَا، وَقَدْ أَرَادَ النَّازِمُ بِهَذَا
الْكِنَايَةَ عَنِ طُولِ أَعْنَاقِهَا وَامْتِدَادِهَا فِي السَّيْرِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الحَيَادِ
الْمَدْدُوحَةِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِ الحَيْلِ وَقَادَتِهَا وَأَصْحَابِ رَايَةِ مِيَادِينِهَا وَسَادَتِهَا
وَالْمَعْدُودِينَ مِنْ حُمَاةِ السَّرْحِ وَكُفَاةِ الفُرْسَانِ وَذَادَتِهَا سَمُومَ الفَوَارِسِ وَبُنَاةَ رُبُوعِ المعَالِي
الدَّوَارِسِ بِمُرَهَفَاتِ المَوَاضِي وَلِدَانِ المَدَاعِسِ.

قَفٌّ، يَا لَقِفْ، فَقَدْ جَرِيَتْ فِي غَيْرِ طَرِيقِكَ، وَالكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ البَيَانِ أَنَّ يَعْبرَ عَنِ شَيْءٍ
بِلَفْظِ غَيْرِ صَرِيحٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لَغَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ كَالإِهَامِ عَلَى السَّامِعِ أَوْ لِنَوْعِ
فَصَاحَتِهِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الأَصُولِ مَا يَدُلُّ عَلَى المُرَادِ بغيرِهِ لَا بِنَفْسِهِ، كَذَا فِي التَّاجِ [كَنَى].
وَقَدْ عَبَّرَ هُنَا عَنِ طُولِ أَعْنَاقِهَا بِأَنَّهَا تُبَارِي أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ أَي تَعَارِضُهَا.

«يُبَارِئِنَ الشَّبَا»، فِي المِصْبَاحِ [بَرِي]: «بَارِيَّتُهُ: عَارِضَتُهُ فَآتَيْتُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ» ١٠٦ هـ. وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ
مِفَاعَلَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: بَرَى لَهُ يَبْرِي بَرِيًّا، كَمَا فِي اللِّسَانِ مِنْ بَابِ رَمَى، إِذَا عَرَضَ لَهُ كَمَا يُقَالُ:
انْبَرَى لَهُ عَلَى انْفَعَلَ، وَتَبَرَّى عَلَى تَفَعَّلَ، فَمَعْنَى بَارَى زَيْدٌ عَمْرًا بَرَى كُلُّ مَنْهَا لِالأَخْرِ، أَي
عَرَضَ لَهُ، وَعَرَضَ لَهُ وَاعْتَرَضَ لَهُ وَتَعَرَّضَ لَهُ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي هَذَا المَقَامِ، فَلَا
يَذْهَبُ عَلَيْكَ، أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ.

ثُمَّ اسْتَعْمَلَ بَارَاهُ بِمَعْنَى سَابِقِهِ وَعَارِضُهُ وَجَارَاهُ وَبَاهَاهُ وَفَاخَرَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ، يُقَالُ:
فَلَانُ يُبَارِي الرِّيحَ سَخَاءً وَالسَّيْفَ مِضَاءً وَالبَدْرَ سِنَاءً وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالَ فِي لِسَانِ العَرَبِ:
«بَرَى لَهُ يَبْرِي بَرِيًّا: عَارِضُهُ وَصَنَعَ صُنْعَهُ، وَمِثْلُهُ انْبَرَى لَهُ، وَهُمَا يَتْبَارِيَانِ، وَفِي الحَدِيثِ:
«نَهَى عَنِ طَعَامِ المُتْبَارِيَيْنِ أَنْ يُؤْكَلَ»، وَهُمَا المُتْعَارِضَانِ بِفِعْلِهِمَا لِيُعْجَزَ أَحَدُهُمَا الأَخَرَ
بِصُنْعِهِ، وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ المِبَاهَاةِ وَالرِّيَاءِ، وَمِنْهُ شَعْرُ حَسَّانَ: [دِيَوَانَهُ ٦٠]

يُبَارِئِنَ الأَعْنََةَ مُضْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَاغِهَا الأَسْلُ الظَّمَاءُ

المُبَارَاة: المُجَارَاة وَالمُسَابَقَة، أَيْ يُعَارِضُنَهَا فِي الْجَذْبِ لِقَوَّةِ نَفْسِهَا وَقَوَّةِ رُؤُوسِهَا وَعَلَكِ حَدَائِدِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَشَابَهَتَهَا لَهَا فِي اللَّيْنِ وَسُرْعَةِ الْإِنْقِيَادِ، وَتَبَرَّى مَعْرُوفَهُ وَلَمَعْرُوفَهُ تَبَرِّيًّا: اعْتَرَضَ لَهُ [بِرِي]. وَهُوَ بَغَايَةُ الْبَيَانِ.

«وَالشَّبَا» بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَالبَاءِ، مَقْصُورَةٌ: حَدُّ كُلِّ شَيْءٍ كَالشَّدَا وَالشَّدَا بِالذَّالِ وَالدَّالِ، فَالشَّبَا وَالشَّدَا وَالشَّدَا أَلْفَاظٌ مُتَّحِدَةٌ مُتَرَادِفَةٌ، أَيْ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالتَّاجِ [شَبَا]، انْتَهَى تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:

شُعْثًا تَعَادَى كَسْرًا حِينَ الْغَضَا مِيلَ الْحَمَلِ لِقِ يُبَارِينَ الشَّبَا
 أَيْ غُبْرًا تَتَجَارَى كذئاب الغصا مائلة العيون يعارضن حد السنان. وقال شارح [هو
 الصاوي]: «شُعْثًا: مقربين من الله عز وجل، وقيل: نائرة الأعراف، والأعراف جمع عُرف،
 وتَعَادَى: تسابق، أَرَادَ تَعَادَى، وَسَرَّاحِينَ: ذئاب، جمع سرحان، والغصا: شجر يدوم جمره،
 مِيلَ الْحَمَلِ لِقِ: مائلة العيون، يُبَارِينَ: يُعَارِضُنَ، وَالشَّبَا: جمع شَبَاةٍ، وَشَبَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ: حَدُّهُ،
 يَرِيدُ بِهَا هُنَا أَطْرَافَ الرَّمَاةِ» ا.هـ. وَبَعْدَهُ:

٦٣ - يَجْمَلْنَ كُلَّ شَمْرِيٍّ بِاسْلٍ شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضٍ غَمَرِ الْوَعَى
 الشَّمْرِيُّ: الْمُجَدُّ فِي أَمْرِهِ الْمَاضِي فِيْمَا يَحَاوِلُ الْمَصْمُومَ عَلَى مُقْتَضَى فِكْرِهِ، وَفِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ:
 شَمْرِيٌّ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَالمِيمِ الْمَشْدَدَةِ، كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى لَفْظِ شَمْرٍ، يُقَالُ: شَمَّرَ فِيهِ إِذَا خَفَّ،
 وَشَمَّرَ: مَرَّ جَادًّا، وَشَمْرِيٌّ بِكسْرِ الشَّيْنِ وَالمِيمِ، وَشَمْرِيٌّ بِضَمِّ الشَّيْنِ وَالمِيمِ الْمَشْدَدَةِ،
 وَشَمْرِيٌّ كَقَنْبِيٍّ أَيْ بِكسْرِ الشَّيْنِ وَفَتْحِ المِيمِ الْمَشْدَدَةِ، كَمَا فِي تَاجِ الْعُرُوسِ [شَمْر].

«وَالشَّمْرِيُّ: الْمَاضِي فِي الْأُمُورِ وَالْحَوَائِجِ الْمَجْرُبُ السَّرِيعُ الْجَادُّ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي
 الشَّمْرِيِّ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ، قَالَ قَوْمٌ: الشَّمْرِيُّ: النَّحْرِيرُ الْجَادُّ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الشَّمْرِيُّ:
 الْمَنْكَمِشُ فِي الشَّرِّ وَالبَاطِلِ الْمُتَجَرِّدُ لِذَلِكَ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّمِيرِ، وَهُوَ الْجِدُّ وَالْإِنْكِمَاشُ،
 وَقِيلَ: الشَّمْرِيُّ: مَنْ يَمْضِي لَوَجْهِهِ وَيَرْكَبُ رَأْسَهُ لَا يَرْتَدِّعُ، وَيُقَالُ: شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، وَشَمَّرَ
 فِي أَمْرِهِ أَيْ خَفَّ، وَرَجُلٌ شَمْرِيٌّ كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ» كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.

وفي التاج: «شَمَرَ يَشْمُرُ شَمْرًا وشَمَرَ تَشْمِرًا وأنشَمَرَ وتَشَمَّرَ: مرَّ جادًا، فالشَّمْرُ والتَّشْمِيرُ في الأمر: الجِدُّ فيه والاجتهاد، وتَشَمَّرَ للأمر وأنشَمَرَ له: تهيأ، ورجلٌ شِمْرٌ بالكسر وشَمِيرٌ كَسِيتٌ، وهو من أبنية المبالغة، وشَمَرِيّ بفتح الشين والميم المشددة، وشَمَرِيّ بكسرهما مع شدِّ الميم، وشَمَرِيّ بضمِّها مع شدِّ الميم، وشَمَرِيّ كَقِنَبِيّ، أي بكسر الشين وفتح الميم المشددة، ومُشَمَّرٌ كَمُحَدَّثٍ، أي ماضٍ في الأمور والحوادث مجرَّبٌ، وأكثرُ ذلك في السفر، وهو مجازٌ» اهـ من تاج العروس.

«باسل»، الباسل: الشجاع البطل الجسور الجريء الذي لا يهاب الموت، من البسالة، وفعله بسَلٌ كَشَجَعٍ، قال في المصباح [شجع]: «شَجَعٌ بالضمُّ شجاعة: قَوِيٌّ قلبُه واستهان بالحروب جِراءَةً وإقداماً». والباسل من أسماء الأسد كما في القاموس.

«شَهْمِ الْجَنَانِ»، أي متيقظٌ ذكيُّ الفؤاد حديدُ القلب ماضي العزيمة نافذُ الفعل عن رأي صحيح نَجِيحٍ وعقل حصيفٍ، أي مُحْكَمٍ.

في اللسان: «الشَّهْمُ: الذكيُّ الفؤاد المتوقِّد الجُلْدُ، وفي الحديث: «كان شَهْمًا» أي نافذًا في الأمور ماضيًا، والشَّهْمُ: السيِّد النَّجْدُ النافذ في الأمور، وفرس شَهْمٌ سريع نشيط قويٌّ، وقال الفراء: الشَّهْمُ في كلام العرب: الحُمُولُ الجيِّدُ القيام بها حُمْلُ الذي لا تلقاه إلاَّ حُمُولًا طيِّبَ النفس بها حُمْلٌ، وكذلك هو في غير الناس» [شهم]. وقال في اللسان أيضًا: «شَهْمُ الرجل شَهامة وشُهومة إذا كان ذكيًّا فهو شَهْمٌ أي جَلْدٌ» اهـ لسان.

قوله: «نَجْدٌ»، قال في اللسان: «رجلٌ نَجْدٌ في الحاجة إذا كان ناجحًا فيها ناجيًّا، والنَّجْدَةُ: الشجاعة والشُّدة والبأس، ورجلٌ نَجْدٌ ونَجِدٌ والجمعُ أنْجَاد، وفي حديث عليّ رضوان الله عليه: «أمَّا بنو هاشم فأنْجَاد أمْجَاد» أي أشدَّاء شُجْعَانُ أشرافُ» اهـ لسان [نجد].

وفي المصباح: «نَجَدْتُهُ من باب نَصَرَ: أعتته كأنْجَدْتُهُ، والنَّجْدَةُ: الشجاعة والشُّدة، والجمعُ نَجَدَاتٌ كَسَجَدَاتٍ، ونَجْدٌ فهو نَجِيدٌ كَقَرَبٌ فهو قريب إذا كان ذا نَجْدَةٍ، وهي البأس والشُّدة، واستنْجَدَهُ فأنْجَدَهُ: سأله النَّجْدَةَ فأعانها بها» اهـ مصباح.

وقال السيد المرتضى الزبيدي: «جزم الشهاب في «شرح الشفاء» بالفرق بين الشجاعة والنجدة، وقال: الفرق مثل الصبح ظاهر، فإن الشجاعة جراءة وإقدام يخوض به المهالك، والنجدة ثباته على ذلك مطمئناً من غير خوف أن يقع على موت، أو يقع الموت عليه حتى يقضى له بإحدى الحسينين الظفر أو الشهادة، فيحيا سعيداً، أو يموت شهيداً»^١.ه بترك البعض [نجد].

وفي التاج أيضاً: «الشهم: الذكي الفؤاد المتوقد الجلد كالمشهوم، وهو الحديد الفؤاد، والجمع شهم بالكسر، ومن المجاز فرس شهم: سريع نشيط قوي، وقد شهم ككرم شهامة وشهومه، والشهم: السيد النجد النافذ الحكم في الأمور، وعن الفراء: هو الحمول الجيد القيام بما حمل، الذي لا تلقاه إلا حمولاً طيب النفس بما حمل، وكذا هو في غير الناس، والجمع شهوم»^١.ه تاج [شهم].

والذكي: السريع الفهم الحديد القلب، يقال: ذكي يذكي، وذكا يذكو ذكاء كما يقال: عليّ يعلى وعلا يعلوا، إذا سما وارتفع، فالذكاء: سرعة الفطنة والتنبه وشدة الفهم وقوة الإدراك وحدة القلب.

وأما الحدة ففي اللسان: «رجل حديد وحداد من قوم أحداً وأحدة وحداد يكون في اللسن والفهم والغضب، وفعله حدّ يحدّ حدة، وإنه لبيّن الحد أيضاً كالسكين»^١.ه لسان [حدد].

وأما التوقد فأصله اشتعال النار والتهابها، قال في التاج في مادة (ذك ي): «الذكاء كسحاب: سرعة الفطنة، وفي الصحاح: حدة الفؤاد، زاد غيره بسرعة إدراكه وفطنته، وفي المصباح: سرعة الفهم، وقال الراغب: عبّر عن سرعة الإدراك وحدة الفهم بالذكاء، وذلك كقولهم: فلان شعلة نار»^١.ه.

وفي لسان العرب: «كوكب وقاد: مضيء، وقلب وقاد ومتوقد: ماضٍ سريع التوقد في النشاط والمضاء، ورجل وقاد: ظريف، وهو من ذلك، وتوقد الشيء: تاللاً»^١.ه لسان

[وقد]، أي أضاء ولمع واستنار وأشرق، وفي صفته ﷺ: «يتلألأ وجهه تلالؤ القمر» أي يستنير، مأخوذاً من اللؤلؤ، ا.هلسان [لألأ].

و«الجنان»: «القلب لاجتنانه أي استتاره في الصدر أو لوعيه الأشياء وضمه لها أو هو روعه، وربما سمي الروح جناناً لأن الجسم يُجنه أي يسره» ا.ه تاج [جنن].
وفي اللسان: «وكل ما ستر شيئاً فقد جنه يجنه وأجنه يجنه» ا.ه، وكل ما اشتق من (ج ن ن) يدل على الستر، كالجنين المستور في بطن أمه، والجن المستورين عن الإنس بلطافتهم وكونهم كالنسيم خفة ورقة، والمجنون المستور عقله بالطيش والحرق والنزق، والمجنون للآلة المعروفة التي يتستر بها المتبارزون في الحرب من الأسلحة، وهي التي تُعرف عند العرب بالدرة والحجفة، والجنّة للستان والحديقة لالتفاف أشجارها وتكاثفها بحيث تستر من دخلها.

قال ابن الأثير في نهايته: «الجنّة: دار النعيم في الآخرة، من الاجتنان لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، وسُميت بالجنّة، وهي المرة الواحدة من جنه يجنه جنناً إذا ستره، فكأنها ستره واحدة لشدة التفافها وإظلالها» ا.ه نهاية [٣٠٠/١]، وقس أنت على ذلك.

قوله: «أو هو روعه» الروع بالضم وسكون الواو بعدها عين: القلب، وأما الروع بفتح الراء فالخوف والفرع، وقال في لسان العرب: «رواع القلب وروعه: ذهنه وخلده، والرؤع بالضم: القلب والعقل، ووقع ذلك في روعي أي في نفسي وخلدي وبالي، وفي الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي، وقال: إن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، قال أبو عبيدة: معناه في نفسي وخلدي ونحو ذلك. وروح القدس جبريل عليه السلام، وفي بعض الطرق: «إن روح الأمين نفث في روعي».

والمروع: الملهم، وكان الأمر يلقى في روعه، وفي الحديث المروع: «إن في كل أمة محدثين ومروعين، فإن يكن في هذه الأمة منهم أحد فهو عمر». المروع: الذي ألقى في روعه الصواب والصدق، وكذلك المحدث كأنه حدث بالحق الغائب فنطق به» ا.هلسان [روع].

وفيه: «الْحَلْدُ بالتحريك: البأل والقلبُ والنفْسُ، وجمعه أخلاد، يقال وقع ذلك في حَلْدِي أَي في رُوْعِي وقلبي، وعن أبي زيد: من أساء النفس الرُّوع والحَلْد، وقال: البأل: النفس، فإذا التفسير متقاربٌ» ا.هـ لسان [خلد]. وفي اللسان: «البال: الحال والشأن، قال الشاعر: [ديوان عبيد بن الأبرص ١١٣]

فَبِتْنَا عَلَى مَا حَيَّلْتَ نَاعِمِي بِالِ

وفي الحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ بِهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ»، البأل: الحال والشأن، وأمرٌ ذو بال أي شريفٌ يُحْتَفَلُ له ويُهْتَمُّ به، والبأل في غير هذا القلب، ومنه حديث الأحنف: «نُعِيَّ له فلانٌ الحَنْظَلِيُّ فما أَلْقَى له بالاً». أي ما استمع إليه ولا جعل قلبه نحوه، والبأل: الخاطر، والبأل: رِخَاءُ العيش، يقال: فلانٌ في بالٍ رِخِيٍّ وَكَبَبٍ رِخِيٍّ، أي في سَعَةِ وَخِصْبِ وَأَمْنٍ، وإنه لَرِخِيٌّ البال: ناعمُ البال، يقال: ما بَأْلَكَ؟ والبأل: الأمل، ومنه كاسِفُ البال، أي ضيقٌ عليه أمله، وهو رِخِيٌّ البال إذا لم يشتدَّ عليه الأمر ولم يكثرث، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمٍ﴾ [محمد: ٤٧/٥] أي حالهم في الدنيا، وفي المحكم: يُصَلِّحُ أَمْرَ مَعَاشِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُجَازِيهِمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ» ا.هـ لسان.

والقلب: الفؤاد، وفي اللسان: «الفؤاد: القلب، وقيل: وَسَطُهُ، وقيل: الفؤاد: غِشَاءُ القلب، والقلبُ حَبَّتُهُ وَسُوَيْدَاؤُهُ، وفي الحديث: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْتَدَةً وَأَلْيَنُ قَلْبًا» [البخاري: ٤٣٨٨] ا.هـ لسان [فأد].

«خَائِضٌ غَمَرِ الوَعْيِ»، أي مَقْتَحِمٌ جُجَجَ الحروبِ دَاخِلٌ فِي حَوَامِتِ المَعَارِكِ هَاجِمٌ عَلَى رَحْمَاتِ المِتَالِفِ وَالمَهَالِكِ.

خائض اسم فاعل من خاض في النهر إذا غَشِيَهُ، والبحر إذا دخل فيه، يُخَوِّضُ خَوْضًا، في التاج: «خَاضَ المَاءُ يَخْوِضُهُ خَوْضًا وَخِيَاضًا بِالكسر أَي دخله ومَشَى فيه كخَوْضِهِ تَخْوِيضًا وَاخْتِاضَهُ، ومن المَجَازِ خَاضَ العَمْرَاتِ: اقْتَحَمَهَا، وَخَاضَ إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَهُ، وَخَاضَ البَرُقُ

الظلام، وخاضت الإبل: لَجَّتْ في السَّراب، وكلُّ ذلك مجازٌ» ١. ه تاج [خوض]، وفي العبارة سقطٌ وغلطٌ تظهرُ من الأساس، وإليك نصّه: «وخاض إليه الرِّمَّاح حتى أخذَه، وخاض البرقُ الظَّلامَ، وخاضت الإبلُ لُجَّ السَّراب» ١. ه بنصّه، فحرّز.

والعَمرة: الزَّحمة وزناً ومعنى، وتُطلق على الشِّدة، وأصلُّها - والله أعلم - مجاميعُ المياه الكثيرة لأنهم قالوا: العَمَر: الماء الكثير، يقال: ماءٌ عَمَرٌ ونهرٌ عَمَرٌ وبحرٌ عَمَرٌ، وكلُّ ذلك مأخوذٌ من عَمَره الماءُ يَغْمُرُه عَمْرًا إذا علاه وغطَّاه، فهذا هو الأصل، ثمَّ وُصف الماء الكثير الطَّامِي على الشيء المغطِّي له بالمصدر فقليل: ماءٌ عَمَرٌ بمعنى غامر، أي مُغطٌّ لما والآه من وَهْدَةٍ أو هضبةٍ أو غيرها كما قيل: ماءٌ عَوْرٌ بمعنى غائرٌ أي ناضبٌ ذاهبٌ في الأرض سُفلاً، ثمَّ لما أُريدَ إجراؤه على المياه عُوملَ معاملةً ضاربٍ ومضروبٍ ونحو ذلك من الأسماء التي يُوصفُ بها، فزيدَ عليه هاءُ تاء التانيث توصلًا للمطابقة بينه وبين موصوفه - أعني المياه -، وهو مؤنثٌ لأنه جمعٌ، فقليل: مياهٌ عَمرةٌ، ثمَّ استعمل في معركة الحرب لأنَّ الأبطال تغمروها وتملؤها بدماء القتلى والكلمى، أو نقول: المراد بالعَمرة الدماء الكثيرة التي تتدفَّق في حومة القتال.

وقد استعملت العَمرة في كلِّ حُطَّةٍ شديدة وحالة شاقَّةٍ صعبةٍ يعسرُ لمن تلبَّسَ بها أن يتخلَّصَ منها ما لم يكن شهمَ الجنان سديدَ الرأي، كما يعسرُ على مَنْ خاض مكاناً مغموراً بالمياه الكثيرة وأنهار غزيرة أن يجوزَه ويقطعه ما لم يكن سابحاً مجيداً ماهراً، والله أعلم.

قال في المصباح [غمر]: «العَمرة: الزَّحمة وزناً ومعنى، وغمره يَغْمُرُه كستره يَسْتُرُه وزناً ومعنى، والعَمرة: الانهالك في الباطل، والعَمرة: الشِّدة، ومنه عَمَرَاتُ الموت لشدائده».

وفي تاج العروس: «ومن المجاز عَمرةُ الشيء: شدَّته ومُنهمكته، كعَمرةِ الهمِّ والموت ونحوهما ومُزدحمه، والأخيرُ يُستعملُ في الماء والناس، والجمعُ عَمَرَات، محرَّكةٌ، وغَمَارٌ بالكسر، وأيضاً عَمَرٌ كَنوبةٌ ونُوبٌ، ويقال: هو في عَمرةٍ من هُو وشبيبةٍ وسُكرٍ، وكلُّه على

المثل، وكذا قوله تعالى: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٥٤]، قال الفراء: أي في جهلهم، وقال الزجاج: وقرئ «في غمراتهم»، أي في عمايتهم وحيرتهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٦٣]، أي في عماية، وقال القتيبي: أي في غطاء وغفلة، وقال الليث: الغمرة: مئهمك الباطل، وغمرة الموت: شدة همومه، وغمرات جهنم: المواضع التي تكثر فيها النار» ا.هـ تاج [عمر]، نسأل الله أن يُعيدنا منها والمسلمين.

«الْوَعَى»: غَمَغَمَةُ الْأَبْطَالِ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ، وَالْوَعَى بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ كَذَلِكَ. وَفِي الْقَامُوسِ [غمم]: «الغَمَغَمَةُ: أَصْوَاتُ الْأَبْطَالِ عِنْدَ الْقِتَالِ»، وَفِي الْمَصْبَاحِ: «الْوَعَى: الْجَلْبَةَ وَالْأَصْوَاتِ، وَمِنْهُ وَعَى الْحَرْبِ، وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: الْوَعَى بِالْمَهْمَلَةِ: الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ، وَبِالْمَعْجَمَةِ: الْحَرْبُ نَفْسَهَا» ا.هـ.

والجَلْبَةُ بالتحريك: ارتفاع الأصوات والصياح والضجيج والضجة والصراخ، كلها ألفاظ متقاربة المعاني، والله أعلم.

وأصواتُ الأبطال في القتال كنايةٌ عن مناداة بعضهم لبعض بطلبِ المبارزة ونحو ذلك، وإجابة بعضهم بعضاً وصهيل الخيل ورغاء الجمال، والله دَرُّ الحارث ابن حِلْزَةَ الشُّكْرِيِّ حَيْثُ يَقُولُ: [ديوانه ٨٠]

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَضُّ هَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَلِكَ رُغَاءُ

وفي مادة (غوى) من لسان العرب:

«أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ غَوُغَاءُ
وَيُرْوَى ضَوْضَاءُ» ا.هـ، وكلاهما الصوتُ والجَلْبَةُ، انتهى تفسير قوله:

يَحْمِلُنَ كُلَّ شَمْرِيٍّ بِاسِلٍ شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضٍ غَمَرَ الْوَعَى

ومجموعُ المعنى: يَحْمَلْنَ كُلَّ مَجْرَبٍ خَفِيفِ الحِرْكََةِ فِي شِؤْنِهِ سَرِيعٍ جَادٍّ مَجْدٌ شِجَاعٍ جَرِيءٍ لَا يَهَابُ المَوْتَ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: ثَابَتُ القَلْبِ ذَكِيَّةً حَدِيدَةً، يَقْتَحِمُ الجُجَجَ الحَرْبِ وَيَعْشَى مَضَائِقَهَا وَيَتَوَرَّدُ مَوَارِدَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَبَعْدَهُ:

٦٤- يَعْشَى صَلَى الحَرْبِ بِحَدِيثِهِ^(١) إِذَا كَانَ لَطَى الحَرْبِ كَرِيهَ المِصْطَلَى

يُبَاشِرُ حَرَّ القِتَالِ بِبَأسِهِ وَنَجْدَتِهِ وَرُحْمِهِ وَسَيْفِهِ وَسَهَامِهِ إِذَا كَانَ حَرُّ الحَرْبِ مَكْرُوهُاً لِلأَبْطَالِ الدُّنُوِّ مِنْهُ وَالاسْتِدْفَاءُ بِهِ.

يَعْشَى مُضَارِعُ عَشِيٍّ، يُقَالُ: عَشِيَ فُلَانٌ فُلَاناً إِذَا أَتَاهُ وَجَاءَ إِلَيْهِ يَعْشَاهُ عَشِيَاناً وَهُوَ مِنَ العِشَاوَةِ وَالعِشَاءِ لِلعِطَاءِ، كَأَنَّ الَّذِي دَخَلَ الحَرْبَ وَخَاضَ عُبَابَهَا وَزَاحَمَ أَرْبَابَهَا وَوَلَجَ مَأْقِطَهَا وَفَرَجَ مَأزِقَهَا وَكَشَفَ عُمَاهَا وَاسْتَدْفَأَ مِنْ نَارِهَا بِأَحْمَاقِهَا قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ عِشَاءً لَهَا - أَيُّ لِلحَرْبِ - وَغِطَاءً، بِمَعْنَى أَنَّهَا - وَإِنْ عَظُمَتْ - فَهُوَ يَكْفِيهَا وَيُقَاوِمُ مَنْ جَالَ فِيهَا، أَوْ جَعَلَ الحَرْبَ عِشَاءً لِنَفْسِهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ بَاشَرَهَا كَأَنَّهَا أَكَلَتْ هَنِيئَةً بُرِّزَتْ لِمَنْ قَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ شَرَّهَا، بَلْ أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يُقَدِّمُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُحْمَدُ فِي ذَلِكَ، وَيُمْدَحُ عَلَى تَجَسُّمِ مِشَاقِّ هَاتِيكَ المِهَالِكِ، عَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ الشَّرِّهِ الجِشَعِ المَنْهُومِ الطَّيْعِ البَشَعِ.

وَالحَاصِلُ أَنَّ هَذَا الفِعْلَ - أَعْنَى عَشِيٍّ - إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِيهَا تَكْثُرُ مَلَابَسَتِهِ وَتَعَمُّ مَخَالِطَتِهِ، كَمَا يُقَالُ: عَشِينَا اللَّيْلَ، أَيُّ خَالِطْنَا وَصَارَ لَنَا كَالعِشَاءِ، فَعَطَّانَا وَسَتَرْنَا بِظُلْمَتِهِ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ: عَشِيَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ عَشِيَاناً، أَيُّ أَتَاهَا وَوَأَقَعَهَا وَخَالِطَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَمَعْنَى يَعْشَى يُبَاشِرُ وَيُخَالِطُ وَيُدْخُلُ وَيَلْجُ بِجِسْمِهِ وَمَعْنَاهُ.

«صَلَى الحَرْبِ»: حَرَّهَا وَوَهَجُهَا، فِي المِصْبَاحِ: «صَلَى بِالنَّارِ وَصَلِيَهَا صَلَى مِنْ بَابِ تَعَبَ:

وَجَدَ حَرَّهَا، وَالصَّلَاءُ وَزَانَ كِتَابُ: حَرُّ النَّارِ، وَصَلَيْتُهُ أَصْلِيهِ مِنْ بَابِ رَمَى: شَوَيْتُهُ» ا.هـ.

(١) فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ: ٥٧ «بِخَدِيهِ».

وفي لسان العرب: «صَلِيَ بالنار وصلِيها صَلياً وصلِيّاً وصلَى وصلَاءً واصطلى بها وتصلأها، قاسى حرَّها، وكذلك الأمر الشديد، فقد تصلَّيتُ حرَّ حرَّهم كما تصلَّى المقرور من قَرَس، وفلانٌ لا يُصطلى بناره إذا كان شجاعاً لا يُطاق، ويقال: صلي بالامر إذا قاسى حرَّه وشدَّته وتعبه، قال الطَّهويُّ:

ولا تَبَلَى بِسَالَتَهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلَّى بِالْحَرْبِ حِيناً بَعْدَ حِينٍ»

ا.هـ.[صلى]. الحرب: المقاتلة والمنازلة، قال في المصباح: «حَرْبٌ حَرْباً: أَخَذَ جَمِيعَ مَا لَهُ، فَهُوَ حَرِيبٌ، وَحَرْبٌ مَجْهُولٌ كَذَلِكَ، فَهُوَ مُحْرَبٌ، وَالْحَرْبُ الْمُقَاتَلَةُ وَالْمَنَازَلَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَفْظُهَا مَوْثٌ، يُقَالُ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَصَعِبَ الْخِلَاصُ، وَقَدْ تُذَكَّرُ ذَهَاباً إِلَى مَعْنَى الْقِتَالِ، يُقَالُ: حَرْبٌ شَدِيدٌ، وَتَصْغِيرُهَا حَرْيبٌ لَثَلًا تَلْتَبِسُ بِتَصْغِيرِ الْحَرْبَةِ الَّتِي هِيَ كَالرَّمْحِ».

وقوله: «بِحَدَّيْهِ» يريد بهما حدَّه الذي هو بأُسُه ونجدته وصرامته وهزمه الأبطال وتدويحُه الأقتال، أي إذلاله الأعداء، واحدهم قتل كقرن، وحدَّه الذي هو حُودُّته ودرعه ومغفره وبيضته وتُرْسُه ورمحه وسيفه وقوسه وسهامه وسائر آلات الأبطال في الوقائع، فإن كل ذلك حدٌّ. ففي لسان العرب: «حَدُّ كُلِّ شَيْءٍ: شَبَاتُهُ، كَحَدِّ السَّكِينِ وَالسِّيفِ وَالسَّنَنِ وَالسَّهْمِ، وَقِيلَ: الْحَدُّ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ: مَا رَقَّ مِنْ شَفْرَتِهِ، وَحَدُّ الْخَمْرِ وَالشَّرَابِ: صَلَابَتُهَا، قَالَ الْأَعَشَى: [ديوانه ٢٠٣]

وكأْسٍ كَعَيْنِ الدَّيْكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا بِفَتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ

وحَدُّ الرَّجْلِ: بِأُسِهِ وَنَفَازِهِ فِي نَجْدَتِهِ، يُقَالُ: إِنْ فَلَانًا لَذُو حَدٍّ» ا.هـ لسان [حدد].

والبأس: الشجاعة والشدَّة والقوَّة، قال الشاعر:

فخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ الْبَاسِ مِنْكُمْ إِذَا الدَّاعِي المَثُوبُ قَالَ يَا لَإِ

أَي نَحْنُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا نَادَى بِنَا المَنَادِي وَرَجَعَ نِدَاءَهُ أَلَّا لَا تَفْرُوا فَإِنَّا نَكُرُّ رَاجِعِينَ لَمَّا

عندنا من الشجاعة ا.هـ مصباح [بوس].

وفي اللسان: «البأس: الشدة في الحرب، والبأساء اسم الحرب والمشقة والضرب، والبأس: العذاب، والبأس: الشدة في الحرب، وفي حديث علي رضي الله عنه: «كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ» [مسلم: ٤٥٩٢] يريد الخوف، ولا يكون إلا مع الشدة، وعن ابن سيده: البأس: الحرب، ثم كثر حتى قيل: لا بأس عليك، ولا بأس أي لا خوف، قال قيس بن الخطيم: [زيادات ديوانه ١٦٩]

يقول لي الحداد وهو يقودني إلى السجن لا تجزع فما بك من بأس
 ا.هلسان [بأس]. وفيه: «النفاذ: الحدة والمضاء، والنجدة: الشجاعة والشدة».

«إذا كان لظى الحرب» أراد باللظى شدة الحر واللهب الخالص، كما استعمله ذو الرمة في قوله يصف يوماً شديداً الحر: [شرح ديوانه ١٢٢٤]

وحتى أتى يوم يكاد من اللظى به التوم في أفحوصه يتصيح
 والتوم جمع تومة، أراد بها بيضة النعام أو مطلق بيض، ويتصيح لغة في يتصوح، أي يتشقق، يعني يكاد البيض في الأوكار والأفاحيص يتفلق ويتشقق وينكسر من شدة حر ذلك اليوم، والله أعلم، وهذا البيت في اللسان في مادتي (لظى) و(توم).

وفي تاج العروس: «اللظى يكتب بالياء، وفي كتاب أبي علي بالألف: النار نفسها غير مصروفة، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا لَظَى﴾ [المعارج: ٧٠/١٥]، أو اللظى: هب النار الخالص: وفي كتاب أبي علي: التهايب، (اللهب: لسائها الأحمر الخالص من الدخان والتهابها اشتعالها وتوقدها وانتشارها في الحطب وشبهه وسريائها في الخشب ونحوه، ولهذا شبه انتشار الشيب في الرأس بالاشتعال لأنه انتشار النار الشبيهة بالشيب في عيدان الحطب المائلة للشعر الأسود في اغبرار اللون، والله أعلم. قال سبحانه وسعدانه: ﴿وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤/١٩]، وقال في المصباح: «فيه استعارة بدیعة، شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة الالتهاب وفي أنه لم يبق بعد الاشتعال إلا الحمود» (أ.ه).

وَلَطَى معرفة لا تنصرف، اسمٌ من أسماء جهنم، أعادنا الله منها، ومنحنا من فضله
وكرمه رضى لا يتخلله ولا يعقبه سُخْطٌ بسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسائر
إخوانه وأصحابه.

وَاللَّطَى مصدر لَطَيْتِ النَّارُ تَلْطَى كَرَضِي إِذَا تَلَهَّبَتْ، وكذا تَلَطَّتْ وَالتَطَّتْ أَي
تَلَهَّبَتْ، وَلَطَّهَا تَلْطِيَةً، وفي الصحاح: التَّطَاءُ النَّارُ: التَّهَابُهَا، وَتَلَطَّيْتُهَا: تَلَهَّبْتُهَا: ومنه قوله عزَّ
وجلَّ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿الليل: ١٤/٩٢﴾. وَمَا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ
التَطَّتْ الحَرْبُ: اتَّقَدَّتْ عَلَى المِثْلِ، وَتَلَطَّتْ المَفَازَةَ: اشْتَدَّ لَهْبُهَا، وَتَلَطَّى العَدُوَّ غَضَبًا
وَالتَطَّى: تَوَقَّدَ حَتَّى صَارَ كالجَمْرِ، وَذُو لَطَى، وفي كتاب أبي علي: «ذات لَطَى: موضعٌ من
حَرَّةِ النَّارِ بَيْنَ خَيْبَرَ وَتَيْمَاءَ» ١. هـ. تاج العروس شرح القاموس ببعض اختصار.

وقد ظهر لك كل معاني اللَّطَى، ويجوز أن يراد باللَّطَى في البيت النارُ نفسُها أو لهبُها
أَي لسانُها أو التَّهَابُهَا أَي تَوَقُّدُهَا وَاشتعالُها، وَأَمَّا التي هي عِلْمٌ عَلَى الهاوِيَةِ فَيَبْعُدُ أَنْ تُرَادَ
هنا لِأَنَّها كَرِيهَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فلا يكون لقوله: «إِذَا» فَائِدَةٌ، وَإِنْ كان يَكُونُ المَعْنَى أَبْلَغَ لِأَنَّنا
حِينَئِذٍ نَدْعِي أَنْ نارَ الحَرْبِ جَهَنَّمَ الدُّنْيَا، وَاللهُ سَبْحانَهُ وَتعالى أَعْلَمُ.

«الحرب» تقدّم تفسيره في البيت قريباً عند قوله: «يَغشى صَلَّى الحرب». «كَرِيهَةٌ» أَي
مَكْرُوهَةٌ أَوْ قَبِيحٌ لِأَنَّ الكَرِيهَةَ يَطْلُقُ عَلَيْها كَمَا فِي اللِّسانِ، وَهَما أَعْنِي القَبِيحَ وَالكِراهِةَ
مُتَلَازِمًا، وَنَصَّ اللِّسانُ: «أَمْرٌ كَرِيهٌ: مَكْرُوهٌ، وَوَجْهٌ كَرِهٌ وَكَرِيهٌ: قَبِيحٌ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّه
يُكْرَهُ» ١. هـ.

وفي المصباح: «كَرِهَ الأَمْرُ وَالمَنْظَرُ كِراهِةً فَهُوَ كَرِيهٌ، مِثْلُ قَبَحَ قَباحَةٌ فَهُوَ قَبِيحٌ وَزناً
وَمَعْنَى وَكَراهِيةً مُخَفَّفًا، وَكَرِهْتُهُ أَكرَهُهُ، مِنْ بابِ تَعَبَ، كُرْهاً بَضْمٌ الكافِ وَفَتْحُها، ضُدُّ
أَحْبَبْتُهُ، فَهُوَ مَكْرُوهٌ، وَالكِرْهُ بِالْفَتْحِ: المَشَقَّةُ، وَبِالضَّمِّ القَهْرُ، وَقِيلَ: بِالْفَتْحِ: الإِكْراهُ،
وَبالضَّمِّ: المَشَقَّةُ، وَأَكْرَهُهُ عَلَيْهِ: حَمَلَهُ عَلَيْهِ قَهْرًا، يَقالُ: فَعَلَهُ كُرْهاً بِالْفَتْحِ أَي إِكْراهاً، وَعَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿طَوَّعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣/٣]، فقَابَلَ بين الضدَّين، قال الزَّجَّاج: كلُّ ما في القرآن من الكَرْه بالضمِّ فالفتح فيه جائزٌ إِلَّا قوله في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦/٢]، والكَرْهية: الشدَّة في الحرب» ا.هـ مصباح. والكلام في الفرق بين الكَرْه والكَرْه طویلٌ، وقد استوفاه التاج واللسان، وحاصله أن منهم مَنْ قال: لا فرق بينهما، ومنهم مَنْ فرَّق فقال: الكَرْه بالضمِّ ما أكرهتَ نفسك عليه واحتملتَ مشقَّته اختياراً من غير أن تكلفها، والكَرْه بالفتح: ما أكرهكَ غيرك عليه واحتملتَ مشقَّته اضطراراً، يعني بإكراه الغير وإجباره وتكليفه إِيَّاكَ، فالأوَّل - أعني المضموم - فعلٌ المختار، والثاني فعلٌ المضطَّرُّ، والله أعلم.

وفسَّر بعضهم الكراهية بالإِباء، فكِرِهَهُ وأباه مترادفان، وأبى ذلك مَنْ فرَّق فقال: الإِباء: الامتناع عن الشيء، والكراهية: بغضُ الشيء وعدمُ ملايمته، كما في مادة (أ ب ي) من تاج العروس.

تحصَّل أن الكَرْه إما بمعنى القبيح الشَّنيع وإما بمعنى الشيء المكروه البغيض أي المُبغضِ الغير الملايم، ولا يبيَّعُ أن يكون الناظم أراد كلاًّ منهما على البدل، ومَنْ ترَجَّح عنده أحدهما فليُرِدْهُ بعينه.

«المُصْطَلَى»، يكون مصدرَ اصْطَلَى، واسمَ زمان له واسمَ مكان واسمَ مفعول، ففي المصباح: «يُبنى من أفعل مُفَعَل للمصدر والزمان والمكان، يقال: هذا مُعَلَّمُهُ أي إعلامُهُ، وموضعُ إعلامه وزمانه، وهذا مُخْرَجُهُ أي إخراجُه وموضعُ إخراجِه وزمانه، ومُهلُّه أي إهلالُه وموضعُه وزمانه، وكذلك يُبنى من الخُماسيِّ والسداسيِّ كالمُنْطَلَقِ والمُسْتَخْرَجِ» ا.هـ منه باختصار، فإن شئتَ مُراجعتَه ففي الخاتمة.

وأصلُ اصْطَلَى اصْتَلَى على افْتَعَلَ من صَلَى النارَ وبها إذا تلبَّسَ بحرِّها، فُعلَ به ما فُعلَ

باصْطَبْرٍ. فَإِنْ أَرَدْتَ بِهِ - أَعْنِي الْمُصْطَلَى - مَوْضِعَ الْإِصْطِلَاءِ كَانَ مَعْنَاهُ الْكَانُونُ، وَلِذَا قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ [كَنْن]: «الْكَانُونُ: الْمُصْطَلَى» ١.هـ.

وَحَقِيقَةُ الْإِصْطِلَاءِ الْقُرْبُ مِنَ النَّارِ لِتَسْحُنَ بِهَا وَالِاسْتِدْفَاءُ كَمَا بَيَّنَّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ [صَلَى]. انْتَهَى تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:

يَغْشَى صَلَّى الْحَرْبِ بِحَدِّيهِ إِذَا كَانَ لَطَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُصْطَلَى
مَفْرَقًا، وَمَجْمُوعُ الْمَعْنَى: يَدْخُلُ عَلَى مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ وَيَدْنُو مِنْ حَرِّ نَارِ الْوَعَى مَتَلَبِّسًا
بِحَدِّيهِ، حَدُّ الشَّجَاعَةِ وَالْمَضَاءِ وَالْجَسَارَةِ وَالْجَرَاءَةِ وَالنُّفُوزَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَتَانَةَ وَالِاسْتِمَاتَةَ
وَالِاسْتِقْتَالَ وَسَائِرِ أَخْلَاقِ الْفِرْسَانِ وَغَرَائِزِ الْأَبْطَالِ وَطَبَاعِ الشَّجْعَانِ، وَحَدُّ السِّيفِ
وَالسَّهْمِ وَالسَّنَانِ وَالتُّرْسِ وَالْبَيْضَةَ وَالدَّرْعَ وَالتَّجْفَافَ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ وَأَصْنَافِ
آلَاتِ الْقِتَالِ، وَهَجُومُ هَذَا الْفَارِسِ عَلَى هَذِهِ الْحَرْبِ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا حَمِيَ وَطَيْسَهَا وَقَامَتْ
سَوْفُهَا عَلَى سَاقٍ وَكَانَ مُصْطَلَى نَارَهَا بَعِيضًا حَتَّى عِنْدَ الْمَقْرُورِ مِنَ الْأَسْوَدِ، وَمَوْقُدُ سَعِيرِهَا
مَكْرُوهًا حَتَّى عِنْدَ الْمَجُوسِ مِنْ كِلَابِ النَّارِ، فَيَكْشِفُ عُمَاهَا وَيَقْتُلُ قَتْلَاهَا وَيُجْهِزُ عَلَى
كَلِمَاهَا وَيُطْفِئُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْمَاهَا وَيُبْرِئُ الْمَرْضَى مِنْ حُمَاهَا، وَلَا يُبَالِي مِنْ تَهَوُّرِهِ بَعْقَبَاهَا، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ. وَبَعْدَهُ:

٦٥- لَوْ مَثَّلَ الْحَتْفُ لَهُ قِرْنَآلِمَا صَدَّتْهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انْتَنَى

يَقُولُ: إِنَّهُ يَعْنِي الشَّمْرِيَّ الْبَاسِلَ الشَّهْمَ الْجَنَانَ الْخَائِضَ غَمَرَ الْوَعَى الَّذِي يَغْشَى صَلَّى
الْحَرْبِ بِحَدِّيهِ إِذَا كَانَ لَطَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُصْطَلَى عَلَى فَرَضِ أَنَّ الْهَلَكَ صُورَ لَهُ بِصُورَةِ
فَارِسٍ مُقَارِنٍ لَهُ مُقْبِلٍ عَلَيْهِ لَمَّا بَالَى بِهِ وَلَا اكْتَرَتْ، وَلَا مَنَعَتْهُ عَنِ الْهَجُومِ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ أَوْ
خَشْيَةٌ، وَلَا صَرَفَتْهُ عَنْهُ أَوْهَامٌ أَوْ ضَعْفُ نِيَّةٍ، بَلْ يَهْجُمُ عَلَيْهِ هَجُومَ النَّيْرِ، وَيُبَادِرُهُ يَنْدَفِعُ
كَالسَّيْلِ الْمَنْهَمِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مَثَلُ الشَّيْءِ: صُورُهُ وَرَسْمُ مِثَالِهِ، فِيهِ اللَّسَانُ: «وَمَثَلُ لَهُ الشَّيْءِ: صُورُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ

ينظرُ إليه، ومثَّلْتُ له كذا تمثيلاً إذا صَوَّرْتُ له مثاله بكتابة وغيرها، وفي الحديث: «أشدُّ الناسِ عذاباً ممثَّلٌ من الممثَّلين» أي مصوِّرٌ، ومثَّلَ الشيءَ بالشيءِ: سَوَّاهُ وشبَّهه به وجعلَه مثله وعلى مثاله، ومنه الحديث: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلِينَ فِي قِبْلَةِ الْحِجَارِ» أي مصوِّرتين أو مثالهما» ا.هـ لسان [مثل].

وفي تاج العروس: «مثله له تمثيلاً: صَوَّرَهُ له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظرُ إليه، وامثَلَهُ هو أي تصوَّره، فهو مطاوع له، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17/19] ا.هـ تاج العروس [مثل]. ولعلَّ صواب قوله: «وامثَلَهُ هو أي تصوَّره» فتمثَّل هو أي تصوَّرَ بدليل التمثيل، فليحرَّر.

ومعنى قوله عزَّ وجلَّ المذكور فظَهَرَ لها بصورة بشر تامَّ الخِلْقَةَ حَسَنِ الصُّورَةِ معتدلِ البُنْيَةِ جميلِ الهيئَةِ، والله أعلم، وإن أردتَ التحقيق في الآية فهي في أوَّل سورة مريم، والتفاسيرُ كثيرة.

«الْحَتْفُ»: الرَّدَى والموت والهلاك، وقد اختلفت أئمة اللغة في اشتقاق الفعل منه، فقال بعضهم: لا يُبنى منه فعلٌ، وقال بعضهم: يُبنى منه فعلٌ من باب ضَرَبَ، يقال: حَتَفَهُ اللهُ يُحْتِفُهُ حَتْفًا من باب ضَرَبَ إذا أماته وأهلكه. قال في المصباح: «الْحَتْفُ: الهلاك، قال ابن فارس وتبعه الجوهريُّ: ولا يُبنى منه فعلٌ، يقال: مات حَتَفَ أَنفِهِ إذا مات من غير ضربٍ ولا قتلٍ، زاد الصاغاني: ولا غَرَقَ ولا حَرَقَ، وقال الأزهرِيُّ: لم أسمع للْحَتْفِ فعلاً، وحكاه ابن القُوطِيَّة فقال: حَتَفَهُ اللهُ يُحْتِفُهُ حَتْفًا من باب ضَرَبَ إذا أماته، ونقل العَدَلِ مقبولٌ، ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفَسَ حتى ينفضيَ رَمَقَهُ، ومنه يقال للسَّمَك يموت في الماء ويَطْفُو: مات حَتَفَ أَنفِهِ، وهذه الكلمة تكَلَّمَ بها أهل الجاهلية، قال السَّمَوَالُ: وما ماتَ منَّا سيِّدٌ حَتَفَ أَنفِهِ» ا.هـ مصباح [حتف]، وإن أردتَ زيادة الاطلاع على ما قيل في الحَتْفِ فعليك بالتاج ففيه زيادة إيضاح.

«قِرْنَا» أي مقاوماً مقابلًا مقارناً، قال الفيومي في المصباح: «القِرْنُ مَنْ يَقاومُكَ في عِلمٍ أو قِتالٍ أو غيرهما، والجمعُ أَقْرانٌ كحِملٍ وأَحْمالٍ» ١.هـ.

وفي لسان العرب: «قِرْنُكَ هو المَقاومُ لك في أيِّ شيء كان، وقيل: في شدَّة البأس فقط»، وفيه أيضاً: «والقِرْنُ بالكسر: كُفؤُكَ في الشجاعة، وفي قصيدة كعب بن زهير:

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَجْدُولٌ

القِرْنُ بالكسر: الكُفءُ والنظير في الشجاعة والحرب، وفي حديث ثابت بن قيس:

«بِئْسَمَا عَوَدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ»، أي نُظراءكم وأكفءكم في القتال» ١.هـ لسان.

«لَمَّا صَدَّته»: أي لما منعه عنه هيبة، في المصباح: «صدَّه عنه من باب قَتَلَ: منعه

وصرَفَه» ١.هـ، وفيه: «ردَّه: منعه» [ردد]، فلو قيل: صدَّه عن الشيء كرده عنه وزناً ومعنى لكان أسلَسَ، حاصله أن صدَّه وردَّه ومنعه وكفَّه وصرَفَه بمعنى واحد.

«هَيْبَةٌ»: حَشِيَّةٌ وزناً ومعنى، وفي المصباح: «هابه يهابه - من باب تَعَبَ - هَيْبَةٌ:

حَذِرَه، قال ابن فارس: الهَيْبَةُ: الإِجْلالُ، فالفاعل هائب، والمفعول هَيُوبُ ومَهيبٌ أيضاً، وهابَه يهيبُه من باب ضَرَبَ لغَةً، وتهيبُّته: حِفْطُه، وتهيبُّني: أَفْرَعَنِي» ١.هـ مصباح.

وفي تاج العروس ما يقال عنده لا عطر بعد عروس، فإنه قال: «الهَيْبَةُ: الإِجْلالُ

والمخافة، وعن ابن سيده: الهَيْبَةُ: التَّقِيَّةُ من كل شيء كالمهابة، وقد هابَه يهابُه كخافَه يُخافُه

هَيْباً ومهابَةً كاهتابه، وفي كتاب الأفعال: هابَه من باب تَعَبَ: حَذِرَه، ويقال: هابَه يهيبُه،

نقله الفيومي في المصباح، ونقل شيخنا عن ابن قيم الجوزية في الفرق بين المهابة والكبر ما

نصه: إنَّ المهابة أثار امتلاء القلب بمهابة الربِّ ومحبتَه، وإذا امتلأً بذلك حلَّ فيه النور،

وليس رداء الهيبة، فاكتمسى وجهه الحلاوة والمهابة فحنت إليه الأفئدة وقرت به العيون.

وأما الكبر فهو أثر العجب في قلب مملوء جهلاً وظلمات، إن عليه المقت، فنظره شَرَزْرُ،

ومشيتُه تبخُرُ، لا يبدأ بسلام، ولا يرى لأحد حقاً عليه، ويرى حقه على جميع الأنام، فلا

يزداد من الله إلا بُعداً، ولا من الناس إلا حِقارةً وبُغضاً، انتهى.

وهو هائب وهَيُوب كصَبُور، وفي حديث عُبيد بن عُمير: «الإيمان هَيُوبٌ» أي يهابُ أهله، فَعُول بمعنى مفعول، وهو مجاز كما في الأساس، والناس يهابون أهل الإيمان لأنهم يهابون الله ويخافونه. وقيل: هو فَعُول بمعنى فاعل، أي أن المؤمن يهابُ الذنوب والمعاصي فيتقئها، ويقال: هَبَ الناسَ يهابُوك، أي وقَّرههم يُوقِّروك» ا.هـ.

والحاصل أن الهيبة والخوف والحشية والرَّهبة من رَهَبَ، والارتياح والفرع والذعر والرُّعب أَلْفَاظٌ متقاربة المعاني متشاكِلة المدلولات، والله أعلم.

«ولا انثنى» أي ولا انصرفَ ولا انحرفَ ولا انعطفَ، قال الفيومي في المصباح: «تَنَيْتُ الشَّيْءَ أَنْتَيْتُهُ تَنِيًّا: عَطَفْتُهُ وَرَدَدْتُهُ، وَتَنَيْتُهُ عَنْ مُرَادِهِ: صَرَفْتُهُ عَنْهُ» ا.هـ منه، وانثنى مطاوعه. انتهى تفسير قوله:

لَوْ مَثَلَ الْحَتْفُ لَهُ قَرْنَائِمًا صَدَّتْهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انثنى

مفرقًا، ومجموعه لو ظهر الهلاك لذلك الممدوح بصورة رجل مقارن له في الشجاعة والجسارة وقوة الجأش لما بالى به ولا اكرث له، يعني بل كان يهجم عليه هُجوم الأسد الجائع على الفريسة، وينقضُّ انقضاضَ البازي على العصفور، وهذا كله تمثيل، والمراد منه أنه جريء على خرق الصفوف وإن بلغت، بل جاوزت الألوف، وكيف لا يفعل ذلك وهو لا يهابُ الحتوف، وليس بالنسبة إليها شيءٌ بمخوف.

أسأل الله سبحانه أن يجعلني والمسلمين ممن لا يخشى سواه ولا يخاف غيره، ولا يرجو إلا خيره، ويهديني وإياهم لذكره والقيام بشكره ويوفقني وإياهم للمواظبة على أتباعه والمداومة على اقتفائه ويقبضني على ذلك حتى أحظى برضاه وأفوز بمرآه مع سيّد المرسلين والآخرين، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليمًا كثيرًا. وبعده:

٦٦- ولو حمى المقدارُ عنه مُهْجَةً لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى

لقد حملته محبة المبالغة والإفراط فيها وشدة الإغراق على الخروج من حُسن الأدب،

بل على الدُّخول في أكبر أحوال سوء الأدب والتفحُّم في هُوَّة كان في مندوحة عن
الدُّنُو إليها والإشراف عليها، وأسأل الله لي وله العفو والمغفرة عمَّا فَرَطَ ووقع بلا اضطرار
ولا مُطلق مَعذِرة، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

حَمَاهِ يَحْمِيهِ وَحَامِي عَنْهُ يُحَامِي: منع عنه مَنْ تصدَّى له بشرٌّ ودفع كلَّ مَنْ قصده بسوء،

وذَبَّ عن حَوَزه وذادَ عن حَرِيمة وحَفِظَ له حقوقه، قال: [ديوانه ١٥٣/٢]

أنا الذائِدُ الحامِي الذَّمَّارِ وإنَّما يُدافِعُ عن أحسابِكُمْ أنا أو مثلي
«المقدار» يأتي على عدَّة معانٍ، يقال: هذا مقداره، أي مقياسه ومبْلَغُه، ويكون بمعنى

القُدرة والقوَّة على الشيء، وبمعنى الموت، قال:

لو كان خَلْفَكَ أو أَمَامَكَ هائِباً بَشِراً سَواكَ لَهَابَكَ المِقْدارُ
ولله دَرٌّ هذا الشاعر حيث توَصَّل إلى وصف ممدوحه بأقصى درجات الهيبة دون أن
يَرتكب ما فيه هُجْنة أو سِناعة، أو يتحمَّل ما فيه إثمٌ أو عارٌ من إساءة أدب أو بواِدِرِ ذَرَبٍ.
والمقدار أيضاً تقديرُ الله الذي تجري الأمورُ بموجبه، وتكون الأشياءُ على حَسبه، قال
جارُّ الله العلامَةُ الزمخشرِيُّ رحمه الله: «هم قَدْرُ مائة وقَدْرُها ومِقْدارُها، أي مَبْلَغُها،
والأُمورُ تجري بقَدْرِ الله ومِقْداره وتقديره وأقْداره ومَقاديره» ا.هـ.

وفي عبارته هذه إقرارٌ بعدم خَلْق المرءِ أفعالاً نَفْسِه، وهو عكسُ مذهب المعتزلة، ووَفقُ
مذهب الجَبْرِيَّة، ومعلوم أن مذهب المعتزلة أنه يُخلَقُ أفعالُ نَفْسِه بقوَّة أودعها اللهُ فيه،
والجَبْرِيَّة: ليس له فِعْلٌ بالكليَّة، بل هو كالرِّيشة المعلقة في الهواء، وأهلُ السُّنَّة والجماعة أن
الله خَلَقكم وما تعملون، لكنَّ للإنسان كسبٌ في ذلك، فإما أن يختارَ فِعْلَ الشيء فيُباشِرَه
ويفعَله، وفعَلُه مخلوقٌ لله، أو لا فلا، وقد سألتُ كثيراً عن هذه المسألة فلم يَشْتَفِ غليلي،
فأرجو اللهُ الفَعَالَ الحَقِيقِيَّ أن يُفهمني إِيَّاهَا، ويجعلني موضعَ نظره الخاصِّ ويرزقني العلمَ
اللَدْنِيَّ وسائرَ إخواني بمحمد وآله.

«مُهَجَّةٌ»، نصَّ الزمخشريُّ على أنَّ المُهَجَّةَ دَمُ القلب، وفي اللسان: «المُهَجَّة: دَمُ القلب، ولا بقاءَ للنفسِ بعدما تُراقُ مُهَجَّتُها، وقيل: المُهَجَّة. الدَّم، وحكي عن أعرابيٍّ أنه قال: دَفَقْتُ مُهَجَّتَه أَي دَمَه، ويقال: خرجتُ مُهَجَّتَه أَي رُوْحُه، وقيل: المُهَجَّة: خالصُ النفس، قال أبو كبير: [أشعار الهذليين ١٠٨٣]

يَكْوِي بِهَا مُهَجَّ النَّفْسِ كَأَنَّمَا يَسْقِيهِمُ بِالْبَابِلِيِّ الْمُقْرِ
الأزهرِيُّ: بذلتُ له مُهَجَّتِي أَي نَفْسِي وخالَصَ ما أَقْدِرُ عليه، ومُهَجَّةٌ كُلُّ شيءٍ خالِصُه [مهج]. اهـ لسان [مهج].

وفي مادة (ب ب ل) منه: «بابل: موضع بالعراق، وقيل: موضع يُنسبُ إليه السَّحْرُ والخرم، وقولُ أبي كبيرٍ يصفُ سِهاماً:

يَكْوِي بِهَا مُهَجَّ النَّفْسِ كَأَنَّمَا يَكْوِيهِمُ بِالْبَابِلِيِّ الْمُقْرِ
قال السَّكْرِيُّ: عَنَى بِالْبَابِلِيِّ هُنَا سُمّاً [اهـ، والمُقْرِ: المُرّ. «لَرَامَها»، اللّامُ في جوابِ لو، ورامَها: طلبَها وأرادَها. «أَوْ يَسْتِيحُ» في المصباح: «أَباحَ الرجلُ مالَه: أَذِنَ في الأَخْذِ والتزك، وجعلَه مطلقَ الطرفَين، واستباحَه الناس: أَقدَموا عليه» اهـ.

وفي لسان العرب ما يَشْفِي، قال: «أَبَحْتِكَ الشَّيءَ: أَحَلَلْتَهُ لَكَ، وَأَباحَه: أَطْلَقَه، والمباحُ خلافُ المَحْظُورِ، والإباحةُ شِبْهُ النُّهْيِ، وقد استباحَه أَي انْتَهَبَه واستباحوهم أَي استأصلوهم، وفي الحديث: «يَقْتُلُ مُقاتِلَتِكُمْ وَيَسْتِيحُ ذَراريكُم»، أَي يَسْبِيهِمُ وَبَنِيهِمُ وَيَجْعَلُهُم لَه مَباحاً، أَي لا تَبَعَةَ عليه فيهِم، يقال: أَباحَه يُبيحُه واستباحَه يَسْتِيحُه، قال عنتره: [ديوانه ٢٤٨]

حَتَّى اسْتَباحوا آلَ عَوْفٍ عَنوَةً بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالوَشِيحِ الدُّبَلِ
وباحةُ الدارِ ساحتُها، وفي الحديث: «ليس للنساءِ من باحةِ الطريقِ شيءٌ»، أَي وَسَطُه.
وفي الحديث: «نَظَّفُوا أَفْئِنْتِكُمْ ولا تَدَعُوها كِباحةِ اليهود»، ونحن في باحةِ الدارِ أَي

أوسطها، ولذا قيل: تَبْحَحَ في المجد، أي أنه في مجْد واسع، قال الأزهريُّ: جعلَ الفراءُ التَّبْحُحَ من الباحة، ولم يجعله من المضاعف^١، والأظهرُ أن التَّبْحُحَ من البُحْبُوحَة، وهي سَط المَحَلَّة، وبُحْبُوحَة الدار: وسَطها، قال جرير: [ديوانه ٣١١]

قَوْمِي تَمِيمٌ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمُ يَنْفُونَ تَغْلِبَ عَنْ بُحْبُوحَةِ الدارِ
وفي الحديث أنه ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْكُنَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ»، وبُحْبُوحَةُ كُلِّ شَيْءٍ: وَسَطُهُ وَخِيَارُهُ» لسان.
«أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى» أَي يَنْتَهِبُهُ وَيَسْبِيهِ وَيَجْعَلُهُ مُبَاحًا لَا تَبَعَةَ لَهُ عَلَيْهِ فِيهِ وَيَسْتَأْصِلُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٦٧- تَغْدُو الْمَنَايَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْتِي مَا أَبِي

«تَغْدُو» مضارعُ غَدَا الرَّافِعَةِ لِلأَسْمِ الْمَبْتَدَأِ النَّاصِبَةِ لِلخَبَرِ، يُقَالُ: غَدَا زَيْدٌ عَالِمًا، أَي صَارَ، وَأَصْلُهَا الدَّلَالَةُ عَلَى اتِّصَافِ الْمَبْتَدَأِ بِالخَبَرِ غُدُوًّا، وَهِيَ الْبُكْرَةُ، ثُمَّ انْسَلَخَتْ عَنْ ذَلِكَ وَصَارَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِتِّصَافِ مُطْلَقًا، وَعَلَى طَرِيقَتِهَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَبَاتَ وَظَلَّ وَأَضْحَى، وَأَعْنِي أَخَوَاتِ كَانَتْ كَلَّهَا.

«المنايا» جمعُ مَنِيَّةٍ، وَهِيَ الْمَوْتُ، مَأْخُودَةٌ مِنْ مَنَى اللَّهُ عَلَيْكَ خَيْرًا يَمْنِيهِ مَنِيًّا، مِنْ بَابِ رَمَى إِذَا قَدَّرَهُ لِأَنَّهَا مَقْدَرَةٌ بِوَقْتٍ مُخْصِوَصٍ، كَمَا فِي نَهَايَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ [٢/٦٨٥]، فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، أَي مَمْنِيَّةٌ، وَأَصْلُهَا مَمْنُوِيَّةٌ، فَاجْتَمَعَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً، فَصَارَتْ مَمْنِيَّةً، فَكُسِرَتِ النُّونُ لِمُنَاسَبَةِ الْيَاءِ، فَصَارَتْ مَمْنِيَّةً.

«طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ»: مُمْتَثِلَاتٍ جَارِيَاتٍ عَلَى مُقْتَضَاهَا، جَمْعُ طَائِعَةٍ، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ طَاعَتٍ، بِمَعْنَى أَطَاعَتْ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: «أَطَاعَهُ إِطَاعَةً، أَي انْقَادًا لَهُ، وَطَاعَهُ طَوْعًا مِنْ بَابِ قَالَ، وَبَعْضُهُمْ يُعَدِّيهِ بِالْحَرْفِ فَيُقَالُ: طَاعَ لَهُ وَفِي لُغَةٍ مِنْ بَابِي بَاعَ وَخَافَ، وَالطَّاعَةُ اسْمٌ مِنْهُ، وَالْفَاعِلُ مِنَ الرَّبَاعِيِّ مُطِيعٌ، وَمِنِ الثَّلَاثِيِّ طَائِعٌ وَطِيعٌ، وَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ: رَخَّصَتْ

وسهّلت، وطاوعته كذلك، وأنطاع: انقاد وزناً ومعنى، قالوا: ولا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول، يقال: أمره فأطاع، وقال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعة وإذا وافقه فقد طاوعه، والاستطاعة: الطاقة والقدرة» ١. هـ مصباح [طوع]. الأمر: طلب الفعل، مصدر أمره يأمره، ويُستعمل بمعنى المفعول، أي المأمور به، وهو - أعني الأمر - نقيض النهي. «ترضى الذي يرضى»: أي تقبل الذي يقبل، وتختار الذي يختار وتُحب الذي يُحب. «وتأبى ما أبى» أي تكره ما يكره، وتمتنع عما يمتنع عنه. وبعده:

٦٨- بل قَسماً بالشُّمِّ مِن يَعْرُبَ هَلْ لِقَسِمٍ مِن بَعْدِ هَذَا مُتَّهَى
القَسَمُ بفتحَتَيْنِ اسمٌ من أقسَمَ إقساماً إذا حلف. والشُّمُّ جمع أشمَّ وشَمَاءَ، وفعلُهُ شَمَّ شَمَاءً من باب تَعَبَ، وهو في الأصل - أعني الشَّمَمَ - ارتفاع الأنف، ثم صار كنايةً عن الرِّفْعَةِ والعُلُوِّ وشَرَفِ النفس، ومنه قول كعب:

شُمَّ العَرَانِينَ أَبطالٌ لَبُوسُهُمْ مِن نَسِجِ داوِدَ فِي الهِجَا سَرايِلُ
ألا تراهم يقولون للمتكبر المتعظم: شَمَخَ بأنفه، وكذا وَرِمَ أنفه، قال في اللسان: «وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه: «وَلَيْتُ أُمُورَكُم خَيْرَكُم فَكَلَّمَكُم وَرِمَ أنْفُهُ على أن يكون له الأمر من دونه»، أي امتلاً وانتفخ من ذلك غضباً، وخصَّ الأنف بالذكر لأنه موضع الأنفة والكبر كما يقال: شَمَخَ بأنفه» ١. هـ. وفيه: «إذا قال الشاعر في الوصف: أَشَمُّ فَإِنَّمَا يعني سيِّداً ذا أنفة» ١. هـ.

«يعرُب» - كينُصر - بن قحطان، أبو قبائل اليمن، قيل: أول من تكلم بالعربية، ويردُّ بأن أول من تكلم بالعربية إسماعيل على ما ورد في الحديث، ويُجمعُ بينها بأن يعرُب أول من نطق بمنطق العربية، وإسماعيل أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن، كذا في تاج العروس [عرب]، وفيه زيادة فراجع.

وفي اللسان: «قَحْطَانُ أَبُو الْيَمَنِ، وَهُوَ ابْنُ هُوْدٍ، وَبَعْضُ يَقُولُ: قَحْطَانُ بْنُ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ» [قحط].

وفي التاج: «يَشْجُبُ - كَيْنُضِرُ - حِيٌّ، وَهُوَ ابْنُ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَفِي الْمَغْنِيِّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ طَاهِرٍ صَاحِبِ «مَجْمَعِ الْبَحَارِ»: «أَرْفَخَشْدُ بْنُ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَفْتُوحَةٍ فَسَاكِنَةٍ ففَاءٍ مَفْتُوحَةٍ فَحَاءٍ سَاكِنَةٍ فَشَيْنٍ مَفْتُوحَةٍ فَذَالٍ مَعْجَمَتَيْنِ». انتهى منه.

وفي اللسان: «اسْمٌ سَبَأً عَامِرُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَاسْمُهُ يَقْطُنٌ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْيَمَنِ، وَمِنْ هُنَا اخْتَلَفَ النَّسَابُونَ» ١. هـ من مادة (ع ر ب). وقد ذكر فيها مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ صَاحِبُ اللِّسَانِ نَسَبَهُ مَرْفُوعاً إِلَى آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ ذِكْرِ الْخِلَافِ فِي مَوْضِعِهِ، وَهُوَ مِنْ مَوَاضِعِهِ الْمَهْمَةِ.

وقال الفيومي في المصباح في مادة (ع ر ب): «ويقال: العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرّب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام» انتهى باختصار فراجع إن شئت.

«هل مُقْسِمٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا مُتَّهَى» أَي هَلْ لِحَالِفِ بَهَذَا الْيَمِينِ غَايَةٌ يَجْرِي إِلَيْهَا بَعْدَهُ أَوْ مَنْزِلَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ سِوَاهُ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَهَذَا الشَّرْطُ مِنَ الْوَضُوحِ بِحَيْثُ تَرَاهُ. وَبَعْدَهُ:

٦٩- هُمُ الْأَلَىٰ إِنْ فَخَرُوا قَالَ الْعَلَا بِفِي أَمْرِي فَاخْرَكُم عَفْرُ الْبَرَى
وفي نسخة خطيّة «فاخروا»^(١). «الألى» بألف مضمومة لا تُمدُّ جمعُ الذي من غير لفظه،

قال ابن مالك: [الألفية ١٥]

جمعُ الذي الألى الذين مطلقاً وبعضهم بالواو رفعاً نطقاً فالذي له جمعان، جمعٌ من لفظه، وهو الذين، وجمعٌ من غير لفظه وهو الألى، وكلاهما

(١) كذا في شرحي ابن خالويه: ٢٣٣، والتبريزي: ٥٨.

يلزمان حالة واحدة لأنهما مبنيان، وإعرابهما محليٌّ، وبعضُهم يُلحقُ الذين يجمع المذكر السالم فيقولون: اللذون رفعاً والذين نصباً وجرّاً، وشاهدُ الأولى:

وإنَّ الألى بالطَّفِّ من آلِ هاشمٍ تآسَوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا
وقال عبيد بن الأبرص: [ديوانه ١٣٧]

نحن الألى فاجمَعُ جُمُو عَكَ ثَمَّ وَجَّهَهُمُ الْيِنَا
أي نحن الألى عرفتهم، كما في اللسان.

«إن فآخروا» أي عارَضُوا بالفخر وغالبوا به، والفخرُ ذِكرُ المناقب وعدُّ المآثر والتمدُّح بالخِصالِ الحسنة والتبجُّحُ بالمكارم والتعظُّمُ بشيء ما، وكالمفآخرةِ المباهاة، يقال: باهاه إذا فآخره، وتباهوا: تفاخروا كما في اللسان.

فالمفآخرة من أفعال المشاركة، وأمَّا على رواية «فآخروا» فلا مشاركة، وإنما المعنى ذكروا أحسابهم وأنسابهم ومناقبهم ومناقب آبائهم، وهي المفآخر والمآثر والمكارم، قال في المصباح: «فآخر به فخراً من باب نفع وافتخر، والاسمُ الفآخار بالفتح، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آباءه، وفآخري مفآخرة ففآخرتُه، أي غلبته، وتفاخروا إذا افتخر كلُّ منهم بمفآخره، وشيءٌ فآخِرٌ: جيدٌ» ١.هـ.

وفي تاج العروس: «الفآخر: التمدُّح بالخِصالِ وعدُّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب، وقيل: هو المباهاة بالأُمور الخارجة عن الإنسان كمالٍ وجاهٍ، وقيل: الفآخر: ادعاءُ العِظَمِ والكِبَرِ والشَّرَفِ كالاftخار، وقد فآخرَ كَمَنَعَ وافتخر، والتفآخر: التعاضُّم، والتفآخُرُ: التكبُّر، وفآخره مفآخرة وفآخاراً بالكسر: عارَضَه بالفخر ففآخره يَفْخُرُه، كَنَصَرَه: غَلَبَه بالفخر وكان أكرمَ منه أباً.

وفي مستدرَكه: «فآخر الرجلُ فآخراً: تكبَّراً» ١.هـ تاج. وفي الأساس للزمخشري: «هو فآخِرُك أي مُفآخِرُك، وتقول: جاء فلانٌ فآخيراً ثم رجعَ أخيراً» ١.هـ من الأساس للعلامة جار الله.

«.....قال العُلا بِفِي امريِّ فاخرَكم عَفْرُ البرى»

العُلا: الشَّرَفُ والشُّمُو إلى الأفعال الجميلة والأخلاق العالية الجليلة، وقد تقدّم شرح العُلا ببسط تامّ، فتذكّر وراجع. «بِفي امريِّ»، أي بِفَمِ شَخْصِ باهاكم وفاخرَكم. «عَفْرُ البرى»، قال في التاج: «العَفْرُ محرّكةٌ: ظاهرُ التراب، وقد يُسكن ومثله في الأساس، قال ابن دُرَيْد: العَفْرُ بالفتح: التراب مثلُ العَفْرِ بالتحريك، ويقال: ما على عَفْرِ الأرض مثله، أي ما على وجهها» انتهى.

وفي المصباح: «العَفْرُ بفتحتين: وجهُ الأرض، ويُطلق على التراب، وعَفْرُته عَفْرًا من بابِ ضَرَبَ: دلّكته بالعَفْرِ فانعفر واعتفّر، وعَفْرُته بالثقل مبالغةٌ فتعَفَّرَ» ١.هـ.

«البرى» التراب، قال في لسان العرب: «البرى: التراب، يقال في الدُّعاء على الإنسان: «بِفيهِ البرى» كما يقال: «بِفيه التراب»، وفي الدُّعاء: «بِفيه البرى وحمى خَيْبَرِي وشَرٌّ ما يرى فَإِنَّه خَيْسَرِي»، زادوا الألف في خَيْبَرٍ لما يُؤثرونه من السَّجَع، وفي حديث عليّ بن الحسين عليه السلام: «اللهم صلّ على سيّدنا محمدٍ عدَدَ الثَّرى والوَرَى والبرى»، الثَّرى: التراب النَّدِيّ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦/٢٠]، جاء في التفسير أنه تحت الأرض، والوَرَى: الحلق، وفي مادة (ورى): «الوَرَى: داءٌ يصيب الرجلَ والبعر في أجوافها، يقال: سلطَ اللهُ عليه الوَرَى وحمى خَيْبَرِي وشَرٌّ ما يرى فَإِنَّه خَيْسَرِي»، وخَيْسَرِي فَيَعَلَى من الخُسران، ورواه ابن دريد «خَيْسَرِي» بالنون من الخناسير للدَّواهي، وقيل: اسمُ الدَّاءِ الوَرِي بسكون الراء وفتحها للسَّجَع، وقيل: الوَرِي مصدرٌ، والوَرَى اسمٌ، وفي التهذيب: الوَرَى: شَرٌّ يقع في قَصَبِ الرُّتتين فيقتله، أبو زيد: الوَرَى: داء يأخذ الرجلُ في قَصَبِ رتته فيسْعَلُ» ١.هـ. لسان.

فصار معنى البيت أولئك القوم هم الذين إذا ذكروا مفاخرهم ونشروا مآثرهم وأراد أحدٌ أن يعارضهم قال له لسانُ حالِ الشرف: ارجع خائباً واخسأ مذموماً، فلست بمُقارِبٍ لهم فضلاً عن أن تكون كُفُوًا لهم، والله أعلم. وبعده:

٧٠- هُمُ الْأَلَى أَجْرُوا يَنْابِعَ النَّدى هَامِيَةً لِمَنْ عَرَا أَوْ اعْتَقَى

هم الذين أسألوا عيون الكرم، وفجروا جداول السخاء والجود حتى غادروها جاريةً لكل محتاج سائلةً لكل ظمان ممن يقصده ويطلبُ معروفه.

التحقيق: الألى: الذين، أجروا: أسألوا، والإجراء متعدي الجري، قال في التاج: «عن الراغب: الجري: المرُّ السريع، وأصله لمرَّ الماء وما يجري مجراه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ﴾ [الزخرف: ٤٣/٥١].»

«الينابيع»: العيون، واحدها ينبوع، ومثلها المنابع، وهي مخرج الماء ومواضع ينبوعه. وفي التاج: «الينبوع: العين، يفعلون من نبع الماء إذا جرى من العين، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ١٧/٩٠]، أو هو الجدول الكثير الماء، قال ابن ذريرد: والجمع ينابيع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَلِّكُهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٣٩/٢١]، ومنبوع الماء: موضع تفجره، والجمع المنابع، والينبوع: المنبع. اهـ تاج العروس [نبع].»

«الندى»: الكرم والسخاء والسماحة والجود. «هامية»: سائلة جارية بسرعة، يقال: همى الماء يهمي هميًا وهميًا كضبي وهميانًا: سال، وهمت العين: صببت دمعها، وقيل: سال دمعها، وكذا كل سائل من مطر، ومنه قول الشاعر: [ديوان طرفة ٩٧]

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

أي تسيل وتجري. «لمن عرا» أي قصد طالباً معروفاً وجاء راجياً رُفداً وصلةً، في اللسان: «عراه واعتراه: غشيه طالباً معروفاً، وحكى ثعلب أنه سمع ابن الأعرابي يقول: إذا أتيت رجلاً تطلب منه حاجة قلت: عروته وعرزته واعتريته واعتزته، وفلان تعروه الأضياف وتعتريه أي تغشاه، قال النابغة: [ديوانه ٢٢٢]

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنونُ

١٥٠ باختصار. وفي المصباح: «والمُعْتَرُّ: الضَّيفُ الزَّائِرُ، والمُعْتَرُّ: المتعَرِّضُ للسُّؤالِ من غير طلب، يقال: عَرَّهَ واعتَرَّهَ وعَرَّاهُ واعتَرَّاهُ إذا اعتَرَضَ للمعروفِ من غيرِ مسألة، وقال ابن عَبَّاسٍ: المُعْتَرُّ: الذي يَعْتَرُّ بِالسَّلامِ ولا يَسْأَلُ» ١٥١. ولعلَّه يَعْتَرِضُ بِالسَّلامِ فَحُرْفٌ فليَحْرَرُ. وفيه: «عَرَّاهُ واعتَرَّاهُ: قَصَدَهُ لَطَلِبِ رِفْدِهِ» ١٥٢. «أو اعْتَقَى» عَفَاهُ واعتَفَاهُ: طَلَبَ العَفْوَ منه، وهو فَضْلٌ مالِهِ، قال في التاج: «العافي: الضيف وكلُّ طالبِ فَضْلٍ أو رِزْقٍ كالمُعْتَفِي والعافي، وقد عَفَاهُ واعتَفَاهُ: إذا أتاه يَطْلُبُ معرُوفه، وفي الصحاح: «عَفْوُ المَالِ: ما يَفْضَلُ عن النَّفْقَةِ، يقال: أَعْطَيْتُهُ عَفْوَ المَالِ، يعني بغيرِ مسألة، وأنشد:

حُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتِدِيمِي مودِّي ولا تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حينَ أَعْضِبُ»

١٥٣. فصار معنى عَرَّاهُ واعتَفَاهُ تَعَرَّضَ لَطَلِبِ ما يَفْضَلُ عن نَفْقَتِهِ بِنَحْوِ سَلامٍ ولم يَسْأَلْهُ، فَتَحَصَّلَ أن معنى قوله:

هُمُ الأَلَى أَجْرُوا يَنْبِيعِ النَّدى هَامِيَةً لَمَنْ عَرَّاهُ أو اعْتَقَى

هم الذين فَجَّرُوا عيونَ السَّخاءِ والكَرَمِ، وَبَجَسُوا نُبُوعَ السَّماحَةِ والجُودِ، فصارت جاريةً سائِلةً للقاصِدِينَ المَعروفِ الطالِبِينَ الرِّفْدَ المتعَرِّضِينَ للمَعروفِ. وبعده:

٧١- هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنْ انْتَحَى وَقَوْمُوا مِنْ صَعْرٍ وَمِنْ صَغَا

يقول: هم الذين قهروا كلَّ مَنْ افتخر وتعظَّم وأذلُّوا كلَّ مَنْ تباهى بِمناقبِهِ وتقدَّم، وعدلُّوا ميلَ كلِّ جَبَّارٍ وعِوجَ كلِّ متكبِّرٍ أَصْعَرَ فَجَّارًا، والله أعلم.

التحقيق اللُّغويُّ: «دَوَّخُوا»: قَهَرُوا وأذلُّوا وغلبوا واستولوا، قال في التاج: «داخٌ يَدْوَخُ دَوَّخًا: ذَلٌّ وخُضوعٌ، ودَوَّخُهُ وأداخُهُ كما في اللسانِ والأساسِ، وداخُ البلادِ يَدْوَخُها دَوَّخًا: قَهَرها واستولَى على أهلها، وكذا داخُ الناسِ يَدْوَخُهم دَوَّخًا كدَوَّخَهم تدويجًا، ودَيَّجَهم تديجًا، واوية يائية، ودَوَّخُ الوجعُ رأسُه: أدارَه، ودَوَّخُ البلادِ: مَشَى فيها حتى عَرَفَها وطُرَفَها، ومن المجازِ دَوَّخُهُ الحُرُّ: أضعفَهُ» ١٥٤.

وفيه: «داخٌ يَدِيخُ دَيْخًا وِدِيخَهُ هو كدَوَّخَه، وقال الأزهرِيُّ: دَيِّخَهُ وِذِيخَهُ بالذال والذال: ذلَّله حتى ذلَّ له، وأنكرَ شمر ما بالذال المعجمة، وقال الأزهرِيُّ: صحيحٌ لا شكَّ فيه» ا.هـ. تاج [دوخ].

وفي اللسان نحوُه ونصُّه: «داخٌ دَوْخًا: ذلَّ وخضعَ ودَوَّخَه وِدِيخَهُ: ذلَّله واويَّةً يائيَّةً، وأداخَه كدَوَّخَه، ودَوَّخَ المكانَ: جال فيه، ودَوَّخَ الوجعَ رأسَه: أدارَه، وداخَ البلادَ يَدُوخُها: قهرَها واستولى على أهلها، وكذا الناسُ، دُخَناهم دَوْخًا ودَوَّخَناهم تَدُوخًا: وطَّئناهم، ودَوَّخَ البلادَ: سارَ فيها حتى عرفها ولم تحفَ عليه طرفُها» ا.هـ.

وفيه: «داخٌ يَدِيخُ دَيْخًا وِدِيخَهُ هو: ذلَّله كدَوَّخَه، يائيَّةً واويَّةً. قال الأزهرِيُّ: دَيِّخَهُ وِذِيخَهُ بالذال والذال: ذلَّله، وحكاه أبو عبيد عن الأحمر بالذال المعجمة فأنكرَه شمر، قال الأزهرِيُّ: وهو صحيحٌ لا شكَّ فيه» ا.هـ لسان. فتبيَّن من مجموع ما تقدَّم أنه يقال في المتعدِّي منه: داخَه دَوْخًا ودَوَّخَه تَدُوخًا وِدِيخَهُ تَدِيخًا وِذِيخَهُ تَدِيخًا، وفي اللازم منه: داخٌ يَدُوخٌ دَوْخًا وداخٌ يَدِيخُ دَيْخًا كما هو ظاهر.

«مَنْ اِنْتَخَى» أي تكبَّرَ وتعظَّمَ وافتخر وتباهى، قال في اللسان: «النخوة: العظمة والكبر والفخر، نَخًا يَنْخُو وَاِنْتَخَى وُنَخِي، وقال الأصمعيُّ: زُهِي فلانٌ فهو مَزْهُوٌّ، ولا يقال: زَهَا، وُنَخِي فلانٌ وَاِنْتَخَى، ولا يقال: نَخًا، ويقال اِنْتَخَى فلانٌ علينا أي افتخر وتعظَّم، والله أعلم» ا.هـ.

«وقوموا من صَعَرٍ ومن صَعَا» قَوْمُوا: عدلوا، والمفعول محذوفٌ، أي قَوْمُوا المتكبرين من اعوجاجه وجعلوه قَويًا معتدلاً من الميل والعوج والزَيْغ، والمراد من مِيلِ الكِبَرِ والعُتُوِّ والاستكبار والتعظُّمِ بدليل قوله: «مِنْ صَعَرٍ وَمِنْ صَعَى».

في اللسان: «الصَّعَرُ: مِيلٌ في الوجه، وقيل: في الخدِّ خاصَّةً، وقيل: هو مِيلٌ في العنق وانقلابٌ في الوجه إلى أحد الشَّقَّينِ، وصَعَّرَ خَدَّه وصاعَرَه: أماله من الكِبَرِ، قال المتلمِّس، واسمُه جرير بن عبد المسيح: [شعراء النصرانية ٣٣٨]

وكنّا إذا الجبار صعر خده أقناله من درئه فتقوما
يقول: إذا أمال متكبر خده أذلناه حتى يتقوم ميله، ويقال: أصاب البعير صعر
وصيد، أي داء يلوي منه عنقه، ويقال للمتكبر: فيه صعر وصيد.
وفيه أيضاً: «والصعر: التكبر، وفي الحديث: «كل صعر ملعون»، أي كل ذي كبر
وأبهة، وقيل: الصعر: المتكبر لأنه يميل بخده، ويُعرض عن الناس بوجهه، وفي التنزيل:
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨/٣١]، وقرئ: «ولا تُصاعِر»، عن الفراء: معناهما
الإعراض من الكبر، وأبو إسحاق: لا تُعرض عن الناس تكبراً، ومجازه لا تلزم خدك
الصعر، وأصعره كصعره والتصعير: إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر، كأنه
معرض، ولأقيم صعرك، أي ميلك، على المثل «ا.ه لسان [صعر].
وفي المصباح: «الصعر: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى حد الشدين وربما كان
الإنسان أصعر خلقاً أو بشيء يصيبه، وبأبه تعب، وصعر خده وصاعره: أماله عن الناس
إعراضاً وتكبراً» ا.ه.

والصغا أيضاً: الميل، وبأبه أيضاً كالذي قبله، يقال: صغى يصغى صغى، ففي
المصباح: «صغيت إلى كذا أصغى بفتحتين: ملت، وصغت النجوم: مالت للغروب.
وصغى يصغى صغى كتعب وصغياً وصغوت صغواً من باب قعد لغة، وبالأولى جاء
﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ القرآن في قوله تعالى: [التحریم: ٤/٦٦]، وأصغيت الإناء: أملتته،
وأصغيت سمعي ورأسي: أملتته كذلك» ا.ه مصباح [صغا].

وفي اللسان: «الصغا: الميل»، وفيه أيضاً: «والصغا: ميل في الحنك في إحدى الشفتين»
ا.ه من اللسان باختصار.

وفي الأساس: «الصغا: ميل في الحنك وإحدى الشفتين، وأقام صغاه: ميله، وتقول:
من عرض له فل صغاه وأقام صغاه، وتقول: الصغا في الأديان أفبح من السغا في
الأسنان» ا.ه. «والسغا: اختلاف الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج» ا.ه.

وهذا المعنى - أعني قوله: «قَوْمُوا مِنْ صَعْرٍ وَمِنْ صَغَا» - مطروقٌ لكثيرٍ منهم، قال في اللسان: «الدَّرءُ: العَوْجُ في القَنَاةِ والعَصَا ونحوها مِمَّا تَصَلَّبُ وتَصَعَّبُ إقامته، والجمع دُرُوءٌ، قال الشاعر:

إِنَّ قَنَاةِي مِنْ صَلِيبَاتِ الْقَنَا عَلَى الْعِدَاةِ أَنْ يُقِيمُوا دَرَأَنَا
وفي الصحاح: الدَّرءُ: العَوْجُ، يقال: أَقَامَ دَرَأَهُ، أَيِ اعْوَجَّجَهُ وَسَعَّبَهُ، قال المتلمس:
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَّا لَهُ مِنْ دَرِّهِ فَتَقَوَّما
وقال الفرزدق: [ديوانه ١/١٧٨]

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ تَحْتَ الْأُنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ
كنى بالأنثيين عن الأذنين» اه لسان [درأ]. وفيه في مادة (ك ر د): «الكَرد: العُنُقُ، قال الشاعر:

فَطَارَ بِمَشْحُودِ الْحَدِيدَةِ صَارِمٍ فَطَبَّقَ مَا بَيْنَ الذُّوَابَةِ وَالْكَرْدِ
وقال آخر:
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ دُونَ الْأُنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ
ورُوي هذا البيت:

وَكُنَّا إِذَا الْعَبْسِيُّ نَبَّ عَتُودَهُ ضَرَبْنَاهُ بَيْنَ الْأُنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ
قال ابن بري: البيت للفرزدق، وصوابُ إنشاده: «وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ» بالقاف، والعَتُودُ: ما اشتدَّ وقويَ من ذكورِ أولادِ المعز، ونَبِيئُهُ: صوتُهُ عند الهياج، وأراد بالأنثيين الأذنين». وفي مادة (أ ن ث) منه: «الأنثيان: الخصيتان، وهما أيضاً الأذنان، قال ذو الرمة:
وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودَهُ ضَرَبْنَاهُ فَوْقَ الْأُنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ
وبعده:

٧٢- هُم الَّذِينَ جَرَّعُوا فَمَا حَلُّوا^(١) أَفَاوِقَ الضَّيْمِ ثَمَرَةَ الحَسَا

جَرَّعُوا أَعْدَاءَهُمْ أَفَاوِقَ الضَّيْمِ أَي سَقَوْهُمْ رَغْمًا عَنْهُمْ.

الأفَوقُ مقصورُ الأفَويقِ، والأفَويقُ جمعُ أفَواقِ، والأفَواقُ جمعُ فيقٍ كأشبارٍ في جمعِ شِبْرٍ، والفِيقُ جمعُ فيقةٍ، وهي اسمُ اللبنِ يجتمعُ بينِ الحَلْبَتَيْنِ في الضَّرعِ، قال في التاج: «الفِيقَةُ بالكسر: اسمُ اللبنِ يجتمعُ في الضَّرعِ بينِ الحَلْبَتَيْنِ، والأصلُ فِوقَهُ، صارتِ الواوُ ياءً لكسرةٍ ما قبلها، وفي حديثِ أُمِّ زَرْعٍ: «تَشْبِعُهُ ذِرَاعُ الجُفْرَةِ وَتَرْوِيهِ فِيقَةُ اليَعْرَةِ» [البخاري: ٥١٨٩]. والجمعُ فيقٍ بالكسرِ وفيقٍ كعَنبٍ وفِيقَاتٍ، ويُجمعُ أيضاً على أفَواقٍ كَشِبْرٍ وأشبارٍ، وجمعُ الجمعِ أفَويقٍ، وقال ابنُ بري: قد يجوزُ أن يُجمعَ فيقةٌ على فيقٍ، وفيقٍ على أفَواقٍ، كَشِيعَةٍ وشِيعٍ وأشِيعٍ، وشاهدُ أفَواقٍ قولُهُ:

تَعْتَاذُهُ زَفَرَاتٌ حِينَ يَذْكُرُهَا يَسْقِينَهُ بِكُؤُوسِ المَوْتِ أَفَواقَا

ومن المَجازِ الأفَويقُ: ما اجتمعَ في السَّحابِ من مطرٍ فهو يُمَطَّرُ ساعةً بعدَ ساعةٍ» اهـ.

من تاجِ العروسِ [فوق]. وشاهدُ الأفَويقِ قولُ ابنِ هَمَّامِ السَّلُولِيِّ يهجو العلماءَ:

وَدَمَّوْنا الدنِيا وهُم يَرِضَعُونِها أَفَاويقٌ حَتى ما يَدِرُّ لَهَا تُعَلُّ

قال في اللسانِ: «التُّعَلُّ والتُّعَلُّ والتُّعَلُّ: زيادةٌ في أطباءِ الناقةِ والبقرةِ والشاةِ، وقيل: زيادةٌ طَبِيبِيٌّ على سائرِ الأطباءِ، وقيل: خَلْفٌ زائدٌ صَغيرٌ في أخلافِ الناقةِ وَضَرَعِ الشاةِ، وشاةٌ تُعُولُ: تُحَلَبُ من ثلاثةِ أمكنةٍ وأربعةٍ للزيادةِ التي في الطَّبِيبِيِّ، وقيل: هي التي لها حَلَمَةٌ زائدةٌ، وقيل: هي التي فوقَ خَلْفِها خَلْفٌ صَغيرٌ، واسمُ ذلكِ الخَلْفِ التُّعَلُّ، قال ابنُ هَمَّامِ السَّلُولِيِّ يهجو العلماءَ: وَدَمَّوْنا الدنِيا إلخ البيت.

قال: وإِنما ذَكَرَ التُّعَلُّ للمبالغةِ في الارتضاعِ، والتُّعَلُّ لا يَدِرُّ» اهـ لسانِ من مادةِ

(١) في شروحِ ابنِ خالويه: ٢٣٩، وابنِ هشامِ اللخمي: ٢٨٠، والتبريزي: ٥٩، والصاوي: ٦٢ «مَنْ ما

حلوا»، وانظر: ٥٤٩/١.

(ث ع ل). وفي مادة (ف و ق): «الفَيْقَةُ بالكسر: اسمُ اللَّبَنِ يَجْتَمِعُ بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ، قال الأَعشى يصف بقرة: [ديوانه ١٠٥]

حتى إِذَا فَيْقَةٌ فِي ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ جَاءَتْ لِتَرْضَعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا
والجمع فَيْقٌ وَأَفْوَاقٌ كَشْبَرٌ وَأَشْبَارٌ، ثُمَّ أَفَاوِيقٌ، قال ابن بري: وقد يجوز أن تُجمع فَيْقَةٌ
على فَيْقٍ، ثُمَّ فَيْقٍ عَلَى أَفْوَاقٍ، فيكونَ كَشْبِيعَةً وَشَيْعٍ وَأَشْيَاعٍ» ا.هـ لسان.
وفيه أيضاً: «أَفَاوِيقُ السَّحَابِ: مطرُها مرَّةً بعد مرَّة، والأَفَاوِيقُ: ما اجتمع من الماء في
السحاب، فهو يُمَطَّرُ ساعةً بعد ساعة».

وفي الأساس لجار الله رحمه الله: «ومن المجاز تَفَوَّقْتُ الماءَ: شربته شيئاً بعد شيء،
وتَفَوَّقْتُ مالي: أنفقتُه على مهل، قال: [ديوان أبي نواس ٣١٧/٢]

تَفَوَّقَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفَوَّقِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكَرْمِ
وَمَجَّتِ السَّحَابُ أَفَاوِيقَهَا، وَأَرْضَعَنِي أَفَاوِيقَ بِرِّهِ، وما أَقَامَ عنده إِلا فُوقَ نَاقَةٍ
وَفَيْقَتَهَا، وذلك أن الناقة تُحَلَبُ في اليوم خمسَ مراتٍ أو ستَّ مراتٍ، فما اجتمعَ بين الحَلْبَتَيْنِ
فهو فَيْقَتُهُ» ا.هـ.

«مَنْ مَا حَلُّوا» أَي ماكَروا وخادَعوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد:
١٣/١٣]. في اللسان: «فلان يُباحِلُ عن الإسلام: يُباكِرُ ويُدافع، والمِحَالُ: الغضب، والمِحَالُ:
التدبير، والمُباحِلَةُ: المُماكَرَةُ والمُكايدَةُ، قال عبد المطلب بن هاشم: [سيرة ابن هشام ٧٠/١]

لا يَغْلِبَنَّ صَليبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَواً مِحَالَكَ

أَي كَيْدَكَ وَفَوَّتَكَ. وقال الأَعشى: [ديوانه ٧]

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ المَجْدِ — دِ غَزِيرُ النَّدى شَدِيدُ المِحَالِ
(في الهامش ما نُصِّه: قوله في غُصْنِ المَجْدِ هكذا ضبط في الأصل بضمَّتَيْنِ، ا.هـ

مصححة) أَي شديد المَكْر، وقال ذو الرُّمَّة: [شرح ديوانه ١٥٤٤]

وَلَبَسَ بَيْنَ أَقْوامٍ وَكُلِّ أَعَدَّ لَهُ الشَّنازِبَ وَالْمِحالَا

(الشَّنَازِب: جمعُ شَنْزَبَةٍ، وهو الصَّرْعُ بَصْرَبٍ من الحيلة)، وفي حديث الشفاعة أن إبراهيم يقول: لست هناكم، أنا الذي كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: «والله ما فيها كذبةٌ إلَّا وهو يُمَاحِلُ بها عن الإسلام»، أي يُدافع ويُجادل من المِحَالِ بالكسر، وهو الكيد، وقيل: المكر، وقيل: القوَّة، وقيل: الشدَّة، ومَاحَلَه مُمَاحَلَةٌ ومِحَالٌ: قاوَاه لِيَتَبَيَّنَ أَيُّهُمَا أَشَدُّ، وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ قيل: شديد القدرة والعذاب، وقيل: شديد القوَّة والعذاب» ا.هـ لسان [محل]. وفي الأساس: «مَاحَلَه: كَآيَدَه، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾» ا.هـ، وفي القاموس وشرحه: «المِحَال: الكَيْدُ وَرَوْمُ الأَمْرِ بِالْحِيلِ والتدبير والمكر والقدرة والجِدَالِ والعذاب والعقاب، والمِحَال من الناس العَدَاوَةُ، وقيل: المُعَادَاةُ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ مَاحَلَه بِمَعْنَى عَادَاهُ كَالْمُحَاحِلَةِ، والمِحَالُ أَيضاً: القوَّةُ والشدَّةُ والهِلَاكُ والإِهْلَاكُ والغضب» ا.هـ. والمرادُ في البيت مَاحَلُوا من المُحَاحِلَةِ لِلْمُعَادَاةِ وإِرَادَةِ الكَيْدِ والمكر، وقد يناسب غيرُه فتدبَّر.

«الضَّيْمِ»: الظُّلْمُ والإِذْلَالُ، وفي المصباح: «ضَامَه يَضِيْمُه ضَيْمًا كضَارَه يَضِيْرُه ضَيْرًا وَزَنًا وَمَعْنَى»، وفيه: «ضَارَه من باب باع: أَضَرَ به»، وفيه: «ضَرَه وَيَضُرُه من باب رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا: فَعَلَ به مَكْرَوهًا، كَأَضَرَ به، يَتَعَدَّى بِنَفْسِه ثَلَاثِيًّا وَبِالْبَاءِ رِبَاعِيًّا» [ضرر] ا.هـ. وفيه: «أَذَى الرَّجُلِ أَدَى: وَصَلَ إِلَيْهِ المَكْرُوهُ، فَهُوَ أَذٍ كَعَمٍ، وَيُعَدَى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ: أَدَيْتُ الكَافِرَ إِذْيَاءً، وَالأَذْيَةُ اسْمٌ مِنْهُ، فَتَأْدَى هُوَ» ا.هـ مصباح [أذى].

فَتَلَخَّصَ أَنَّ الضَّيْمَ هُوَ الإِذْيَاءُ، وَهُوَ إِيْصَالُ المَكْرُوهِ كَمَا لَا يَخْفَى. وَفِي التَّاجِ: «ضَامَه حَقَّه يَضِيْمُه ضَيْمًا: نَقَصَه إِيَّاهُ، وَقَالَ اللَّيْثُ: ضَامَه وَاسْتَضَامَه: انْتَقَصَه، فَهُوَ مَضِيْمٌ وَمُسْتَضَامٌ، أَي مَظْلُومٌ، وَالضَّيْمُ: الظُّلْمُ، وَالجَمْعُ ضُيُومٌ، قَالَ المَثَقِبُ العَبْدِيُّ: [ديوانه ٢٥٣] وَنَحْمِي عَلَى النَّغْرِ المَخُوفِ وَيُتَّقَى بَغَارَتِنَا كَيْدُ العِدَى وَضُيُومُهَا قَالَ الجَوْهَرِيُّ: ضِمْتُ أَي ظَلَمْتُ، وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: ضِيْمَ الرَّجُلِ، وَضِيْمَ وَضُومَ كَمَا قِيلَ فِي بَيْعٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وإني على الموأى وإن قلَّ نفعه دُفوعٌ إذا ما ضُمتْ غيرُ صَبُورٍ»
ا.هـ من التاج واللسان [ضيم].

«وفي حديث الرؤية وقد قيل له عليه السلام: أنرى ربنا يا رسول الله؟ فقال: أتضامون في رؤية الشمس في غير سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم لا تضامون في رؤيته»، وروي: «تضارون وتضارون»، ففي التهذيب: تضامون وتضامون بالتشديد والتخفيف، فالتشديد من الضم أي تزارحون، والتخفيف من الضيم، أي لا يظلم بعضهم بعضاً» ا.هـ لسان [ضيم].

فتلخص أن الضيم هو الظلم، والظلم: التصرف في ملك الغير، ولذا كان محالاً في حقه تعالى، إذ كل موجود من سائر العوالم ملكه، وقال الراغب: هو عند أكثر أهل اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بزيادة أو بنقصان، وإما بعدول عن وقته ومكانه، كذا في تاج العروس شرح القاموس [ظلم].

«ممرأة الحُسا»، ممرأة: اسم مفعول من التمرية مصدر مرى الناقة يمر بها، مضعف مراها يمر بها مرأياً، إذا مسح ضرعها لتدر، ومرأه مائة سوط: ضربه، ودرهم: نقده، ومرت الريح السحاب: استخرجته.

وفي الأساس للعلامة جار الله: «مرى الناقة وامتريتها: حلبتها، ومن المجاز: الريح تمرى السحاب وتمترية وتستمرية: تستدره، وبالشكر تتمرى النعم، وتقول: ما زلت أعيش بأحاليب درك، وأستمرى أخلاف برك، ومرى يمرى دابته بساقه: يركضه، ومرى فلاناً فما در، ومرى مقلته بإنسانه أي بأئملته» ا.هـ أساس [مري].

وفي اللسان: «والريح تمرى السحاب وتمترية: تستخرجه وتستدره وتُنزل منه المطر، وفي حديث عاتكة:

مروا بالسيوف المرهفات دماءهم

أي استخرَجوها وسيلَّوها وأجرَوها» [مري]. هذا إن قرئت مُمرَّة بضم الميم الأولى وفتح الثانية وفتح الراء المشددة ممدودة ثم هاء، وأمَّا على مُمرَّة كما في نسخة خطية فهي اسم فاعل من أمرَّ الشيء إذا صار مُرًّا، قال في اللسان: «المُرُّ نقيض الحلو، مرَّ الشيء يَمُرُّ ومَرَّ يَمُرُّ وأمرَّ كذلك، وأنشد ثعلب:

تُمِرُّ عَلَيْنَا الْأَرْضُ مِنْ أَنْ نَرَى بِهَا أَنيساً وَيَحْلُولِي لَنَا الْبَلْدُ الْقَفْرُ
عَدَاهُ بَعْلَى لِأَنْ فِيهِ مَعْنَى تَضِيقُ، ابن الأعرابي: مرَّ الطعامُ يَمُرُّ فهو مُرٌّ، وأمره غيره»
[مرر] ١.هـ.

فيجوز أن يكون مُمرَّة على صيغة المفعول أي مجعولة مُرَّة، وعلى كلِّ فالْمُؤدَّى واحد، والمألُّ متَّحدٌ، وحيث لم تتحقَّق الرواية المعينة فأنشد بأيِّها أو بأيِّها شئت، مُمرَّة أو مُمرَّة أو مُمرَّة، فالأولى معناها مُستدرَّة مستخرجة مُسيَّلة مُجرأة، والثانية مُرَّة نقيض الحلو، والثالثة مصبِّرة مُرَّة.

و«الحَسَا»: الجرْع، ففي المصباح: «حسوته أحسوه حسواً، والحسوة بالضم: ملء الفم ممَّا يُحسى، والجمع حُسى وحسوات، كمُدية ومُدَى ومُديات» [حسا].

وفي اللسان: «حسا الطائر الماء يحسوه حسواً، وهو كالشرب للإنسان، يقال: حسوت المرقَّ أحسوه حسواً، وفي الحديث ذكر الحساء بالفتح والمد، طيبخُ يتخذ من دقيق وماء ودُهْن، وقد يُجلى، ويكون رقيقاً يُحسى، وقد حسوت حسوة واحدة، وفي الإِناء حُسوة بالضم، أي قدرٌ ما يُحسى مرةً، ابن السكيت: حسوت حسوة واحدة، والحسوة ملء الفم، وفي الحديث: «ما أسكرَ منه الفرقُ فالحسوة منه حرامٌ»، الحسوة بالضم: الجرعة بقدر ما يُحسى مرةً واحدة، والحسوة بالفتح: المرَّة». فتبيَّن ممَّا تقدَّم أن معنى قوله:

هم الذين جرَّعوا مَنْ ماحلُّوا أفواق الصَّيِّمِ مُمرَّة الحُسى
هم: يعني الشَّمَّ الساداتِ من أولاد يعرب بن قحطان أبي قبائل اليمن، هم الذين سقوا مَنْ عادوا جرَّع الذلَّ مستدرَّةً في أفواه أولئك الأعداء.

وإن شئت قلت: هم الذين حملوا من عاداهم على أن يكرح من حياض الهوان ويتجرع
عُصَصَ المَظالم، ويشرب من كَدَرِ ماء العُدوان، وأن يكون ذلك الماء الرنق ملء فمه دائماً
أبداً بحيث لا يخلو فمه منه.

هذا على مُمرّاة، وأما على مُمرّة فالمعنى أن تلك الجرّح بلغت درجة المرارة، وأنه إنما
يتجرعها حالة كونها كذلك، أي وهي مُمرّة. وأما على مُمرّة فالمعنى إنما يحملون أعداءهم
على شرب مياه الجور والظلم والعسف والغشم بعد أن يجعلوها مُمرّة صعبة الإساغة.

ولا يخفى ما في البيت من المبالغة والبلاغة، ولقد أثبت لأعداء العرب صفة الحميم
والأوتاد التي تُربط وتُدق، كما قال الشاعر: [هو المتلمس كما في شعراء النصرانية ٣٤٣]

ولا يُقيم على ذلُّ يُرادُ به إلا الأذلُّون عيرُ الحَيِّ والوتدُ

هذا على الحَسفِ مَرَبوطٌ بِرُمَّته وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدُ

وفي «حياة الحيوان» [١٣٥/٢] في ترجمة العير: ولا يُقيم على حَسفٍ... إلخ.

والمؤدّي واحدٌ، والحَسفُ: الإذلال والإيذاء وتحميلُ المكروه والظلم والمشقة
والنقصان والهوان، وفي اللسان: «وأصله حبسُ الدابة على غير علف، ويقال: بات القومُ
على الحَسفِ أي جِيعاً لا قوتَ لديهم، قال:

بِتْنَا على الحَسفِ لا رِسلُ نُقاتُ به حتى جعلنا جِبالَ الرَّحْلِ فُضْلاًنا

أي لا قوتَ لنا حتى شددنا النوقَ بالحبال لتدِرَّ علينا فتتقوتَ لَبْنها» كما في اللسان

[حسف]، ونحوه قوله الآتي إن شاء الله:

مَنْ مَلَكَ الحِرْصَ القِيادَ لم يَزَلْ يَكْرَعُ في ماءٍ من الدُّلِّ صَرَى

وبعده:

٧٣- أزال حشونثرة موضونة حتى أوارى بين أثناء الحشى

هذا هو المُقسَم عليه، وهو بحذف لا على حدِّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْأُ

تَذَكَّرُ يُوسُفَ ﴿﴾ [يوسف: ١٢/٨٥]، أَي لا نَفْتَأُ، وَقَوْلِ خِدَاشِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، كَمَا فِي التَّاجِ
فِي مَادَّةِ (خ د ش): [ديوانه ٤٢]

وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا
فِي اللِّسَانِ: «جَاءَ مُنْتَطِقًا فَرَسَهُ إِذَا جَنَبَهُ وَلَمْ يَرْكَبَهُ، قَالَ خِدَاشُ بْنُ زَهِيرٍ وَذَكَرَ الْبَيْتَ،
وَفِيهِ بَدَلٌ «بِحَمْدِ اللَّهِ» «عَلَى الْأَعْدَاءِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَقُولُ: لَا أَزَالُ أَجُنُبُ فَرَسِي جَوَادًا،
وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَرَادَ قَوْلًا يُسْتَجَادُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى قَوْمِي، وَأَرَادَ لَا أَبْرَحُ، فَحَذَفَ «لَا»، وَفِي شِعْرِهِ
«رَهْطِي» بَدَلٌ «قَوْمِي»، وَهُوَ الصَّحِيحُ لِقَوْلِهِ: «مُنْتَطِقًا» بِالْإِفْرَادِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ انْتَقَلَ إِلَى
مَعْنَى آخَرَ: «وَتَنْطِقُ بِالْمِنْطَقَةِ وَتَنْطِقُ بِهَا، وَمِنْهُ بَيْتُ خِدَاشِ بْنِ زَهِيرٍ:

..... عَلَى الْأَعْدَاءِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا

وَقَدْ ذَكَرَ آنَفًا ١. هَلْسَانَ [نطق].

وَفِي التَّاجِ وَمَشْرُوحِ الْقَامُوسِ: «جَاءَ مُنْتَطِقًا فَرَسَهُ إِذَا جَنَبَهُ وَلَمْ يَرْكَبَهُ، وَفِي نَسْخَةِ
«مُنْتَطِقًا»، وَهِيَ صَحِيحَانِ، وَأَنْشَدَ الْجَوْهَرِيُّ لَخِدَاشِ بْنِ زَهِيرٍ:

وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا

يَقُولُ: لَا أَزَالُ أَجُنُبُ فَرَسِي جَوَادًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَرَادَ قَوْلًا يُسْتَجَادُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى قَوْمِي
كَمَا فِي الصَّحَاحِ [نطق]، وَأَرَادَ لَا أَبْرَحُ فَحَذَفَ لَّا، وَالرَّوَايَةُ «رَهْطِي» بَدَلٌ «قَوْمِي»، وَهُوَ
الصَّحِيحُ لِقَوْلِهِ: مُنْتَطِقًا بِالْإِفْرَادِ، وَأَنْشَدَ الصَّاعِقَانِي فِي «الْعَبَابِ» قَوْلَ خِدَاشِ هَكَذَا:

وَلَمْ يَبْرَحْ طَوَالَ الدَّهْرِ رَهْطِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقِينَ جُودًا

يُرِيدُ مُؤْتَرِّزِينَ بِالْجُودِ مُنْتَطِقِينَ بِهِ وَمَرْفِدِينَ بِهِ ١. ه. وَفِي شَرْحِ شَوَاهِدِ ابْنِ عَقِيلٍ:

«وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا

هو لخِداش بن زهير، وأَبْرَحُ مضارعُ بَرِحَ من باب تَعَبَ بَرَّاحاً: زالَ من مكانه، وما مصدرية ظرفية، والباءُ في قوله: «بِحَمْدِ اللَّهِ» للمُلابسة، متعلّقة بمحذوف حال من اسم بَرِحَ، والحمدُ: الثناء، ومُنْتَطِقاً: اسم فاعل من انْتَطَقَ: شَدَّ المِنْطَقَ أو المِنْطَقَةَ على وَسَطٍ، والمِنْطَقُ كَمِنْبَرٍ وكذا النُّطَاقُ ككِتَابٍ يَطْلُقُ على ما يُشَدُّ به الوَسَطُ، وكَمِكنَسَةٍ: ما يُنْتَطَقُ به، وهي ما يُسميه الناس بالحِياصَة، ومُجِيداً: اسم فاعل من أَجَادَ أي صار صاحبَ جَوَادٍ. والمعنى لا أزال بحمد الله مدّة إدامةِ الله قومي صاحبَ نِطاقٍ وجَوَادٍ، أي أُنِي أَسْتَمِرُّ مُسْتغنياً قوياً ما بقي لي قومي، ويصحُّ أن يكون مُنْتَطِقاً من انتطق بمعنى تكلم، ومُجيداً من أَجَادَ إِذَا أَتَى بِالْجَيْدِ، فيكون المعنى لا أزال بحمد الله مدّة إدامةِ الله قومي قائلاً في الثناء عليهم قولاً جيّداً وناطقاً في شأنهم بكلام مُستَجادٍ، وفي الصحاح ما يُفيد هذا المعنى ومعنى آخر، ونصّه: وجاء فلان مُنْتَطِقاً فرسه إِذا جَنَبَهُ ولم يَرَكِبَهُ، قال خِداش بن زهير: وَأَبْرَحُ البَيْتِ، ثم قال في معناه: يقول: لا أزال أَجَنَّبُ فرسي جواداً، ويقال: إنه أراد قولاً يُستجادُ في الثناء على قومي» انتهى.

«وقوله: جَنَبَهُ: قاده إِلى جَنَبِهِ، والشاهد في قوله: وَأَبْرَحُ حيث حذفَ منه النافي بدون القسم شدوذاً» ١. هـ من شرح شواهد ابن عقيل للعلامة محمد قطة العدويّ. ونصُّ ابن عقيل: «ولا يُحذفُ النافي مع زالَ وبَرِحَ وفَتَى وانفكَّ قياساً إِلا بعد القسم كآية الكريمة، يريد قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ١٢/٨٥]، وقد شدَّ الحذفُ بدون القسم كقول الشاعر:

وَأَبْرَحُ ما أَدَامَ اللهُ قَومِي بِحَمْدِ اللهِ مُنْتَطِقاً مُجِيداً

أي لا أَبْرَحُ مُنْتَطِقاً مُجيداً، أي صاحبَ نِطاقٍ وجَوَادٍ ما أَدَامَ اللهُ قومي، وعنى بذلك أنه لا يزال مُسْتغنياً ما بقي له قومه، وهذا أحسنُ ما حُمِلَ عليه البيت» ١. هـ ابن عقيل في أول الكلام على نواسخ المبتدأ والخبر [١/٢٦٣-٢٦٤].

وفي تاج العروس: «قال اللَّيْثُ: العربُ تَطْرُحُ لا وهي منويَّةٌ كقولك: والله أَضْرَبُك،
تريد والله لا أَضْرَبُك، وأنشد: [ديوان الخنساء ١٢٦]

وَأَلَيْتُ أَسَى عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا هَا

أَرَادَ لا أَسَى ولا أَسْأَلُ» ا.هـ من تاج العروس فيما استدرَكَه في ترجمة (لا) على
القاموس. فتحصَّل أن «لا» مقدَّرة قبل أَزَال، والمعنى لا أَزَال حَشَو نَثْرَةَ مَوْضُونَةَ إِخ. قال
ابن عقيل: «ومعنى مازال وأخواتها مُلَازِمَةٌ الخَيْرِ المَخْبَرَ عنه على حَسَب ما يقتضيه الحال،
نحو ما زال زيدٌ ضاحكاً، وما زال عمرو أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ» ا.هـ بحروفه، والمعنى واضحٌ بَيْن.

«حَشَو نَثْرَةَ مَوْضُونَةَ» أَي ضَمِنَ دِرْعَ حَصِينَةٍ مَتِينَةٍ، ولِلْحَشَوِ معانٍ، قال في القاموس
وشرحه: «الحَشَوُ: صِغَارُ الإِبِلِ، والحَشَوُ فَضْلُ الكَلَامِ الَّذِي لا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، والحَشَوُ: نَفْسُ
الرَّجُلِ عَلَى المَثَلِ، والحَشَوُ: مَلءُ الوِسَادَةِ وَغَيْرِهَا بِقَطْنٍ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ حَشَاهَا، والحَشَوُ
أَيْضاً: ما يُجْعَلُ فِيهَا عَلَى لَفْظِ المَصْدَرِ، والحَشَوُ: القَطْنُ» ا.هـ من القاموس وشرحه [حشا].

وفي لسان العرب: «حَشَوُ الرَّجُلِ: نَفْسُهُ عَلَى المَثَلِ، وَقَدْ حُشِيَ بِهَا وَحُشِيَهَا، وَقَالَ يَزِيدُ

بن الحَكَمِ الثَّقَفِيُّ: [شعراء أمويون ٣/ ٢٧٧]

وَمَا بَرِحَتْ نَفْسٌ جُجُوجٌ حُشِيَّتِهَا تُذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ: هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِيٌّ»

ا.هـ من لسان العرب باختصار ما بقي من معاني الحَشَوِ، إِذ المَرادُ يَناسِبُ ما ذَكَر، فلا حاجة
إلى غيره.

فلما رُدُّ أَنَّهُ حَلَفَ أَن يَجْعَلَ جِسْدَهُ مَشْمُولاً بِالدَّرْعِ مُحاطاً بِهِ حَتَّى صَارَ بَدَنُهُ بِمَنْزِلَةِ
القَطْنِ وَالدَّرْعِ كَالنَسِيحِ المَحِيْطِ بِذَلِكَ القَطْنِ، وَبِعبارةٍ أُخْرَى أَقْسَمَ إِنَّهُ يَجْعَلُ الدَّرْعَ مُحَشِيَّةً
بِجِسْدِهِ مَمْلُوءَةً بِبَدَنِهِ حَتَّى كَأَنَّهَا جِلْدُهُ، أَوْ تَقول: أَلَى أَن يَجْعَلَ نَفْسَهُ حَاشِيَةً لِلدَّرْعِ مَالِئَةً لَهُ
عَلَى الدَّوامِ وَالسَّلَامِ.

«نَثْرَةَ»، النَثْرَةُ: الدَّرْعُ كَالنَّثَلَةِ بِاللَّامِ مَوْضِعَ الرِّاءِ، قال في اللسان: «النَثْرَةُ: الدَّرْعُ

السَّلْسَةُ المَلْبَسُ، وقيل: الواسعةُ، ويقال لها: نَثْرَةٌ ونَثْلَةٌ [بفتح فسكون فيها]، قال ابن جنِّي: «ينبغي أن تكون الرء في النَثْرَةِ بدلاً من اللّام لقولهم: نَثَلَّ عليه درعه، ولم يقولوا: نَثَرٌ، واللّام أعمُّ تصرُّفاً، وهي الأصْلُ»، يعني أن باب نَثَلَّ أكثر من باب نَثَرٌ، وقال شمر في كتابه في «السّلاح»: النَثْرَةُ والنَثْلَةُ: اسم من أسماء الدَّرْعِ، وأنشد:

وضاعَفَ من فوقها نَثْرَةً تَرُدُّ القَوَاصِبَ عنها فُلُولا

وقال ابن شميل: النَثَلُّ: الأذراع، يقال: نَثَلَهَا عليه ونَثَلَهَا عنه: خلعها، وقال الجوهري: «يقال: نَثَر دِرْعَهُ عنه إذا ألقاها عنه، ولا يقال: نَثَلَهَا، وفي حديث أم زرع: «وَيَمِيسُ فِي حِلَقِ النَثْرَةِ»، قال: هي ما لَطَفَ من الدُّرُوعِ، أي يَتَبَخَّرُ فِي حِلَقِ الدَّرْعِ» اهـ. لسان [نثر].

وفي مادة (ن ث ل) منه: «والنَثْلَةُ: الدَّرْعُ عامَّةً، وقيل: السابغةُ منها وقيل: الواسعةُ منها كالنَثْرَةِ، ونَثَلَّ عليه الدَّرْعُ يَنْثُلُها: صَبَّها، ابن السكيت: يقال: قد نَثَلَّ دِرْعَهُ أي ألقاها عنه، ولا يقال: نَثَرها، وفي حديث طلحة أنه كان يَنْثُلُ دِرْعَهُ إذ جاءه سهمٌ فوقَ في نَحْرِهِ، أي يصبُّها عليه ويلبِّسُها» اهـ. لسان، وفي هامشه ما نصُّه: «قوله: يَنْثُلُها ضَبَطَ في المحكم بضمِّ المثلثة، وكذا في النهاية [٧١٠/٢] في حديث طلحة الآتي، وصنيعُ المجد يقتضي أنه من بابِ ضَرَبَ، كتبه مصحِّحه» اهـ.

«مَوْضُونَةٌ» في اللسان: «وَضَنَ الشَّيْءَ وَضْناً فهو مَوْضُونٌ وَوَضِينَ: ثَنَى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ وَضَاعَفَهُ، وَوَضَنَ الحَجَرَ وَالْأَجَرَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ إِذَا أَشْرَجَهُ، فهو مَوْضُونٌ، وَالْوَضْنُ: نَسَجُ السَّرِيرِ وَأَشْبَاهِهِ بِالْجَوْهَرِ وَالثِّيَابِ، وعن شمر: المَوْضُونَةُ: الدَّرْعُ المنسوجة، وقال بعضهم: دِرْعٌ مَوْضُونَةٌ: مُقَارَبَةٌ فِي النَّسِجِ، مثلُ مَرْضُونَةٍ، مُدَاخَلَةٌ الحِلَقِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وقال رجلٌ من العرب لامرأته: ضِينِيهِ، يعني مَتَاعَ البَيْتِ، أي قَارِبِي بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ، وقيل: الوَضْنُ: النَّضْدُ، وسرير مَوْضُونٌ: مُضَاعَفُ النَّسِجِ، وفي التنزيل العزيز:

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ [الواقعة: ١٥/٥٦]، أي منسوجة بالدُرِّ والجوهر، مُدَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي

بعض، ودرعٌ مَوْضُونَةٌ: مضاعفةُ النَّسجِ، قال الأعشى: [ديوانه ٩٩]

وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً يُسَاقُ بِهَا الْحَيُّ عَيْرًا فَعِيرًا

والموضونة: الدرع المنسوجة، وقيل: المنسوجة بالجواهر، تُوصَنُ حَلَقُ الدَّرْعِ بَعْضُهَا

فِي بَعْضٍ مَضَاعَفَةٌ ١. هـ لسان [وضن]. وفي القاموس: «الثَّرة: الدَّرْعُ السَّلْسِلَةُ الْمَلْبَسُ أَوْ

الواسعة»، قال الشارح: «ويقال لها: ثَرَّةٌ وَثَلَّةٌ، وَأَنشَدَ:

وَضَاعَفَ مِنْ فَوْقِهَا نَثْرَةً تَرُدُّ الْقَوَاصِبَ عَنْهَا فُلُولًا

وفي التاج شارح القاموس أيضاً: «المَوْضُونَةُ: الدَّرْعُ الْمَنسُوجَةُ، عَنْ شَمْرٍ: أَوْ الْمَقَارِبَةُ

النَّسجِ الْمَدَاخِلَةُ الْحَلِيقِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، كَالْمَرْضُونَةِ، قَالَ الْأَعْشَى:

وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً يُسَاقُ بِهَا الْحَيُّ عَيْرًا فَعِيرًا

أَوْ الْمَوْضُونَةُ: الْمَنسُوجَةُ حَلِقَتَيْنِ حَلِقَتَيْنِ، نَقَلَهُ الزَّمخَشَرِيُّ، أَوْ الْمَنسُوجَةُ بِالْجَوَاهِرِ ١. هـ.

وَمِثْلُ وَضَنَ الشَّيْءَ يَضِنُّهُ وَضْنًا نَضَدَهُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «نَضَدَ الْمَتَاعَ يَنْضِدُهُ نَضْدًا

جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَفِي التَّهْدِيدِ: ضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وَالتَّنْضِيدُ: شَدٌّ وَمَبَالِغَةٌ فِي

وَضَعَهُ مُتْرَاصِفًا ١ [نضد]، وَمِثْلُهُ رَضَفَهُ يَرِضِفُهُ رَضْفًا.

وَفِيهِ: «نَضَدَهُ جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ مَتَّسِقًا، وَفِي حَدِيثِ مَسْرُوقٍ: «شَجَرَ الْجَنَّةَ نَضِيدًا

مِنْ أَصْلِهَا إِلَى فَرْعِهَا»، أَي لَيْسَ لَهَا سُوقٌ بَارِزَةٌ، وَلَكِنِهَا مَنضُودَةٌ بِالوَرَقِ وَالثَّارِ مِنْ أَسْفَلِهَا

إِلَى أَعْلَاهَا ١. هـ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.

«حَتَّى أَوَارَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الْحَتَى» حَتَّى أُسْتَرَّ وَأُعْطِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ طَبَقَاتِ التَّرَابِ،

وَأُدْسَ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، وَأَوْضَعَ فِي حُفْرَتِي وَيُحْتَى عَلَيَّ التَّرَابُ. فِي اللِّسَانِ: «وَارَى الشَّيْءَ:

أَخْفَاهُ وَسَتَرَهُ» [ورى].

«وأثناء الشيء: غُصُونُهُ وتَضَاعِيفُهُ وَمَطَاوِيهِ، الواحدُ ثُنْيٌ بالكسر، يقال: أَنْفَذْتُ كَذَا ثُنْيَ كِتَابِي، أَي فِي طَيْبِهِ، وَكَانَ كَذَا فِي أَثْنَاءِ كَذَا، أَي فِي غُصُونِهِ» كذا فِي مُسْتَدْرَكِ التَّاجِ عَلَى الْقَامُوسِ [ثُنْي].

وَفِي الْقَامُوسِ: «أَثْنَاءُ الشَّيْءِ وَمَثَانِيهِ: قُوَاهُ وَطَاقَاتُهُ، الْوَاحِدُ ثُنْيٌ بِالْكَسْرِ وَمَثَنَاءٌ بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ، وَالثُّنْيِيُّ مِنَ الْوَادِي، وَمِنَ الْوَادِي وَالْجَبَلِ: مُنْقَطَعُهُ، وَالْجَمْعُ أَثْنَاءٌ وَمَثَانِيٌّ» ١٠٥ هـ.
وَالْحَتَّى بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ: التَّرَابُ الْمَحْتِيُّ، وَهُوَ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَالنَّضْدِ بِمَعْنَى الْمَنْضُودِ، وَالنَّفْضُ لَمَّا تَسَاقَطَ مِنَ الشَّيْءِ بِمَعْنَى الْمَنْفُوضِ، وَالْقَبْضُ بِمَعْنَى الْمَقْبُوضِ.
يَقُولُ: إِنِّي لَا أَفَارِقُ التَّلْبَسَ بِالذَّرْعِ السَّلْسَةِ أَوْ الْوِاسِعَةِ إِلَى أَنْ أُوضَعَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَلَا أَزَالُ حَاشِيَاءً بِجِسْمِي دِرْعاً سَابِغَةً فَضْفَاضَةً مَالِئاً بَدَنِي دِلَاصاً رَصِينَةً حَصِينَةً جَاعِلاً جِلْدِي زَعْفَةً تَرْدُ السِّيفِ مَثَلَمًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

نَحْتِي الْأَعْرُ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةً زَعْفٌ تَرْدُ السَّيْفِ وَهُوَ مُثَلَّمٌ
فَلَا أْبْرُحُ مُتَدْرِعاً بِتِلْكَ الزَّرْدِيَّةِ مُتَعَرِّضاً لِكُلِّ عَادٍ مِنَ الْفِتَاكِ مُتَصَدِّياً لِكُلِّ شَرِيرٍ مِنْ مَرَدَةِ
الْأَبْطَالِ، وَلَيْسَ هُمِّي سَلْبَهُمْ، بَلْ إِزْهَاقُ أَرْوَاحِهِمْ، كَمَا قَالَ: [ديوان أبي تمام ٦٦٦/١]
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

إِنْ تَلَقَّ عَمْرًا فَقَدْ لَاقَيْتَ مُدْرِعاً وَلَيْسَ مِنْ هُمَّهِ إِبْلٌ وَلَا شَاءٌ
وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي (ح ١) أَنَّهُ يُقَالُ: حَثَا التَّرَابَ يَحْثُوهُ حَثْوًا، وَحَثَاهُ يَحْثِيهِ حَثِيًّا: هَالَهُ
وَرَمَاهُ، يَأْتِي وَآوِيٌّ، وَالْيَاءُ أَعْلَى.

فَحَثَا التَّرَابَ نَفْسَهُ يَحْثُو، وَكَذَا حَثَى يَحْثَى، وَهَذِهِ نَادِرَةٌ، وَالْحَتَّى كَالثَّرَى: التَّرَابُ الْمَحْتِيُّ
أَوْ الْحَاثِي [مِنْ حَثَا الْمُتَعَدِّي أَوْ اللَّازِمِ]، وَتَشْبِيهُهُ حَثِيَانٌ وَحَثَوَانٌ، وَالْحَتَّى: فُشُورُ التَّمْرِ
وَالتَّبْنِ أَوْ دُقَاقِهِ أَوْ حُطَامِهِ، أَوْ الْمُعْتَزَلِ عَنِ الْحَبِّ، وَالتَّحْثَاءُ مُصَدَّرٌ حَثَاهُ يَحْثُوهُ، كَذَا فِي تَاجِ
الْعُرُوسِ شَرْحِ الْقَامُوسِ [حَثِي]. وَبَعْدَهُ:

٧٤- وصاحِبَايَ صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُو فِي الرَّبِيِّ

وصاحِبَايَ أَي مُصَاحِبَانِ لِي، وَالصَّارِمُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ الْمَاضِي النَّافِذُ فِي الضَّرِيَةِ الْحَدِيدِ، الدَّقِيقُ الشَّفْرَةُ الْمُرْهَفُ الْغَرَارُ، وَفِي الْقَامُوسِ [صَرَم]: «الصَّارِمُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ كَالصَّرُومِ وَالْمَاضِي الشُّجَاعُ، وَقَدْ صَرِمَ كَكْرَمٍ» ١.هـ.

مَتْنُ السِّيفِ: صَفْحَتُهُ وَجَانِبُهُ، وَلَمْ أَرْ مَنْ فَسَّرَهُ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ، وَإِنَّمَا فَسَّرْتُهُ حَسْبَمَا فَهَمَّمْتُ، وَقَدْ قَالَ فِي الْأَسَاسِ وَالتَّاجِ [مَتْن]: «سِيفٌ مَتِينٌ: قَوِيٌّ الْمَتْنُ» ١.هـ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِالْمَتْنِ النَّصْلَ، أَعْنِي حَدِيدَةَ السِّيفِ كُلَّهَا، فَلْيَتَدَبَّرْ.

«مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ»، أَي جَوْهَرٌ يَتَلَأَلُ وَيُضِيءُ كَأَنَّهُ طَرِيقُ النَّمْلِ فِي الرَّمْلِ، فَإِنَّمَا تَوَثَّرَ فِيهِ بِمَشِيهَا تَأْثِيرًا حَسَنًا، كَأَنَّهُ كِتَابَةٌ بِخَطِّ دَقِيقٍ مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ رَفِيقٍ.

وَجَوْهَرُ السِّيفِ هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: فِرْنَدٌ وَأَثْرٌ، قَالَ فِي التَّاجِ: «مَدَبُّ السَّيْلِ وَالنَّمْلِ بِفَتْحِ الدَّالِ وَبِكَسْرِهَا: بَجْرَاهُمَا، وَيُقَالُ فِي السِّيفِ: لَهُ أَثْرٌ كَأَنَّهُ مَدَبُّ وَمَدَبُّ الدُّرِّ» ١.هـ تَاجِ [دَب].

وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «أَدَبَ الْبِلَادَ: مَلَأَهَا عَدْلًا فَدَبَّ أَهْلُهَا لَمَّا لَبَسُوهُ مِنْ أَمْنِهِ وَاسْتَشَعَرُوهُ مِنْ بَرَكْتِهِ وَيُمنه، قَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً: [ديوانه ٨٥]

بَلَوَهُ فَأَعْطَوْهُ الْمَقَادَةَ بَعْدَمَا أَدَبَ الْبِلَادَ سَهْلَهَا وَجِبَاهَهَا

يُقَالُ: تَنَحَّ عَنْ مَدَبِّ السَّيْلِ وَمَدَبِّهِ وَمَدَبِّ النَّمْلِ وَمَدَبِّهِ، فَالاسْمُ مَكْسُورٌ، وَالْمَصْدَرُ

مَفْتُوحٌ، قَالَ يَصِفُ حِمَارًا وَحَشِيئًا: [ديوان الراعي ٧١]

وَقَرَّبَ جَانِبَ الْغَرْبِيِّ يَأْدُو مَدَبَّ السَّيْلِ وَاجْتَنَبَ الشَّعَارَا

الشَّعَارُ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفُّ، يَقُولُ: اجْتَنَبَ الشَّجَرَ مَخَافَةَ أَنْ يُرْمَى فِيهَا وَلَزِمَ مَدْرَجَ السَّيْلِ،

وَقَالَ الرَّيْاشِيُّ: الشَّعَارُ كُلُّهُ مَكْسُورٌ إِلَّا شَعَارَ الشَّجَرِ، وَالشَّعَارُ: مَكَانٌ ذُو شَجَرٍ، وَالشَّعَارُ:

كَثْرَةُ الشَّجَرِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: فِيهِ لَغَتَانِ: شَعَارٌ وَشَعَارٌ فِي كَثْرَةِ الشَّجَرِ، وَرَوْضَةٌ شَعْرَاءُ:

كَثِيرَةُ الشَّجَرِ» ١.هـ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ [شعر].

وَمَدَّبُ السَّيْفِ هُوَ فِرْنَدُهُ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «الْفِرْنَدُ: وَشْيُ السَّيْفِ، وَهُوَ دَخِيلٌ، وَقَالَ أَبُو
مَنْصُورٍ: فِرْنَدُهُ: جَوْهَرُهُ وَمَاؤُهُ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ وَطَرَائِقُهُ، وَهِيَ سَفَاسِقُهُ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ
[فِرْنَدُ]: فِرْنَدُ السَّيْفِ وَفِرْنَدُهُ: رُبْدُهُ وَوَشْيُهُ، وَالْفِرْنَدُ: السَّيْفُ نَفْسُهُ، قَالَ جَرِيرٌ: [ديوانه ٣٨]

وَقَدْ قَطَعَ الْحَدِيدَ فَلَا تَمَارَوْا فِرْنَدًا لَا يُفْلُ وَلَا يَدُوبُ»

١. ه لسان [فِرْنَدُ]. وَمِنَ التَّاجِ: «سِفْسِقَةُ السَّيْفِ وَسِفْسِقَتُهُ بَفَتْحَتَيْنِ وَبِكَسْرَتَيْنِ، وَسِفْسِقَتُهُ
بِالْكَسْرِ وَسِفْسُوقَتُهُ: فِرْنَدُهُ أَوْ طَرَائِقُهُ الَّتِي فِيهَا الْفِرْنَدُ أَوْ شُطْبَتُهُ، كَأَنَّهَا عُودٌ فِي مَتْنِهِ، أَوْ هُوَ
مَا بَيْنَ الشُّطْبَتَيْنِ فِي صَفْحَةِ السَّيْفِ طَوْلًا، وَالْجَمْعُ سَفَاسِقٌ» ١. ه تاج.

وَمِنَ اللِّسَانِ: «سِفْسِقَةُ السَّيْفِ: طَرِيقَتُهُ، وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الشُّطْبَتَيْنِ عَلَى صَفْحِ السَّيْفِ
طَوْلًا، وَسَفَاسِقُهُ: طَرَائِقُهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: الْفِرْنَدُ، الْوَاحِدَةُ سِفْسِقَةٌ، وَهِيَ شُطْبَةُ السَّيْفِ،
كَأَنَّهَا عَمُودٌ فِي مَتْنِهِ» ١. ه لسان [سِفْسِقُ].

وَكَذَا أَثْرُ السَّيْفِ بِالْفَتْحِ وَإِثْرُهُ بِالْكَسْرِ وَأُثْرُهُ بِضَمَّتَيْنِ، وَلَيْسَ بِجَمْعٍ، قَالَ فِي لِسَانِ
العَرَبِ: «الْأَثْرُ وَالْإِثْرُ وَالْأَثْرُ عَلَى فُعْلٍ: فِرْنَدُ السَّيْفِ وَرَوْنُقُهُ، وَالْجَمْعُ أُثُورٌ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ
الْأَبْرَصِ: [ديوانه ٩٣]

وَنَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا يَوْمَ أَقْبَلُوا سُيُوفًا عَلَيْهِنَّ الْأَثُورُ بَوَاتِكَا
وَأَنْشَدَ الْأَزْهَرِيُّ:

كَأَنَّهم أَسَيْفٌ بِيضٌ يَمَانِيَةٌ عَضْبٌ مَضَارِبُهَا بَاقٍ بِهَا الْأَثْرُ
وَأَثْرُ السَّيْفِ: تَسْلُسُلُهُ وَدِيَابِجَتُهُ، الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ يَعْقُوبٌ: لَا يَعْرِفُ الْأَصْمَعِيُّ الْأَثْرَ
إِلَّا بِالْفَتْحِ، قَالَ: وَأَنْشَدَنِي عَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ لِحْفَافٍ بِنِ نُدْبَةٍ، وَنُدْبَةٌ أُمَّةٌ: [ديوانه ٥٣]

جَلَّاهَا الصَّيْقِلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِفَافًا كُلُّهَا يَتَّقِي بِأَثْرِ
أَيُّ كُلِّهَا يَسْتَقْبَلُكَ بِفِرْنَدِهِ، وَيَتَّقِي خَفَفَ يَتَّقِي، أَيُّ إِذَا نَظَرَ النَّازِرُ إِلَيْهَا اتَّصَلَ شِعَاعُهَا
بِعَيْنِهِ، فَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَيُقَالُ: تَقَيْتُهُ وَأَتَقَيْتُهُ أَتَقَيْتُهُ، وَسَيْفٌ مَأْثُورٌ: فِي مَتْنِهِ أَثْرٌ،

وقيل: هو الذي يقال: إنه يَعْمَلُهُ الْجِنُّ، وليس هو من الأثر الذي هو الفِرْنَدُ، قال ابن مُقْبَل:

[ديوانه ٧٨]

إِنِّي أَقْيِدُ بِالْمَأْثُورِ رَاحِلَتِي وَلَا أُبَالِي وَلَوْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ

قال ابن سيده: وعندي أن المأثور مفعولٌ لا فعلٌ له كما ذهب إليه أبو علي في المَقْوود

الذي هو الجبان» ١. هـ من لسان العرب [أثر].

«يَعْلُو فِي الرَّبِيِّ» أَي يَصْعَدُ فِي الْأَمْكِنَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَخَاوَةٌ وَلِينٌ وَهَشْوَشَةٌ بَحِيثٌ

يؤثر فيها ديبب النمل كما يؤثر في سهل الرمل، انتهى تفسير قوله:

وَصَاحِبَايَ صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُو فِي الرَّبِيِّ

وبعده:

٧٥- أَبْيَضُ كَالْمِلْحِ إِذَا انْتَضَيْتُهُ لَمْ يَلْقَ شَيْئاً حَدَّهُ إِلَّا فَرَى

الأبيض: ذو البياض لونٌ معروفٌ يختلف شدةً وخفّةً، وهو من أفراد المَقُولِ

بالتشكيك الذي هو قسيمُ المتواطىءِ والمتباين كما هو مقرّر في موضعه.

«كالمِلْحِ»، للمِلْحِ عِدَّةٌ مَعَانٍ، وَإِلَيْكَ إِيَّاهَا عَنِ التَّاجِ: «المِلْحُ: ما يَطْيَبُ بِهِ الطَّعَامُ، وَمِنْ

المَجَازِ المِلْحُ الرِّضَاعُ، وَقَدْ رُوِيَ فِيهِ الْفَتْحُ، وَالمِلْحُ: العِلْمُ، وَالمِلْحُ أَيْضاً: العِلْمَاءُ، وَمِنْ

المَجَازِ: المِلْحُ: الحُسْنُ مِنَ المَّلَاحَةِ، وَالمِلْحُ: الشَّحْمُ، وَالمِلْحُ: السَّمْنُ القَلِيلُ، وَالمِلْحُ: الحَرْمَةُ

وَالدَّمَامُ، وَالمِلْحُ: ضِدُّ العَذْبِ مِنَ المَاءِ» ١. هـ من تاج العروس باختصار، وفي المستدرک منه

على القاموس «المِلْحُ: اللَّبَنُ، وَالمِلْحُ: البَرَكَةُ» [ملح] ١. هـ.

«إِذَا انْتَضَيْتُهُ» أَي سَجَبْتُهُ وَجَرَّدْتُهُ وَسَلَلْتُهُ مِنْ غِمْدِهِ. «لَمْ يَلْقَ شَيْئاً حَدَّهُ إِلَّا فَرَى» أَي لَمْ

يُصَادِفْ طَرَفُهُ الرِّقِيقَ جِسْماً إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَمْ يَقَعْ غِرَارُهُ عَلَى جَوْهَرٍ إِلَّا قَصَمَهُ. يَلْقَى: مَجْزُومٌ

بِحذف حرف العلة، والأصلُ يَلْقَى مضارعٌ لِقِيهِ إِذَا صَادَفَهُ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ.

والشيءُ فِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ كُلِّ مَوْجُودٍ إِمَّا حِسّاً كالأجسام، أَوْ حُكْماً كالأقوال، نَحْوُ

قلت شيئاً، كذا في المصباح. حَدُّهُ: طَرَفُهُ القاطع وحرْفُهُ الرَّقِيقُ، فَرَى: قَطَعَ وَشَقَّ. وبعده:

٧٦- كَأَنَّ بَيْنَ عَيْرِهِ وَعَرْبِهِ مُفْتَادًا تَأْكَلَتْ فِيهِ الْجُدَى

٧٧- يُرِي الْمُنُونَ حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ فِي ظُلْمِ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لَا تُرَى

٧٨- إِذَا هَوَى فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ حَسَا وَهِيَ رَكَا

عَيْرُ النَّصْلِ: وَسَطُهُ، قَالَ الْغَرَارُ:

فصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفِّ كَسَرْنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغَرَارَا

القُفُّ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ، وَالْغَرَارُ هُنَا: حَدُّ السَّهْمِ وَطَرَفُ شَبَاتِهِ، وَالْغَرْبُ:

الْحِدَّةُ وَالْحِدُّ، فَنَفِي اللِّسَانِ: «عَرَبُ اللِّسَانِ: حَدَّثَهُ، وَسَيْفٌ عَرَبٌ قَاطِعٌ، قَالَ الشَّاعِرُ

يَصِفُ سَيْفًا:

عَرَبًا سَرِيعًا فِي الْعِظَامِ الْخُرْسِ

وَلِسَانٌ عَرَبٌ: حَدِيدٌ، وَعَرَبُ الْفَرَسِ: حَدَّثَهُ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ذَكَرَ الصَّدِيقُ

فَقَالَ: وَكَانَ وَاللَّهِ بَرًّا تَقِيًّا يُصَادَى عَرَبُهُ، أَي حَدَّثَهُ، أَي كَانَ تُدَارَى حَدَّثَهُ وَتُنْقَى» ١. هـ لِسَانِ

[عرب]. «المفتاد»: موضع إيقاد النار للاشتواء، ففي اللسان: «المفتاد: موضع الوقود، قال

النابعة: [ديوانه ١٩] سَفُودٌ شَرِبَ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ»

هكذا في اللسان [فأد]، والسفود كتنور - ويضم -: حديدة ذات شعب معقفة يشوى

بها اللحم، والجمع سفافيد، والشرب واحد شارب كركب وراكب ورجل وراجل

وصحب وصاحب، نسوه: تركوه عن غفلة وذُهل، وفي القاموس: «وأفتادوا: أوقدوا ناراً

ليشتوا» ١. هـ.

«تأكلت فيها الجدَى» في اللسان: «تأكل السيف: توهج من الحدة، قال أوس بن

حجر: [ديوانه ٨٤]

وَأَبْيَضَ صَوْلِيًّا كَأَنَّ غِرَارَهُ تَلَأُلُؤُ بَرْقٍ فِي حَبِيٍّ تَأْكَلَا

قال ابن بري: صوابه: «وأبيض هندیًا» لأن السيوف تُنسب إلى الهند والدُّرُوعُ إلى
صُول، وقبل البيت:

وَأَمَلَسَ صُؤْلِيًّا كِنْهِي قَرَارَةَ أَحَسَّ بَقَاعٍ نَفَخَ رِيحٍ فَأَجْفَلَا
وَتَأَكَّلَ السَيْفُ وَالْبَرْقُ: تَلَأَلَا.

تفسير قوله:

وَأَمَلَسَ صُؤْلِيًّا كِنْهِي قَرَارَةَ أَحَسَّ بَقَاعٍ نَفَخَ رِيحٍ فَأَجْفَلَا
وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا كَأَنَّ غِرَارَهُ تَلَأَلُوا بَرْقٍ فِي حَبِيٍّ تَأَكَّلَا
الأملس: الناعم اللين، ضد الحشن، والنهي بفتح النون وكسرهما مع سكون الهاء
فيهما: الغدير، والقَرارة: كلُّ بطن من الأرض مطمئن إذا اندفعت إليها المياه استقرت فيها،
ومنه قول ابن عباس وقد ذكر علياً رضي الله تعالى عنهما وعمن أحبهما وأثنى عليه فقال:
«علمي إلى علمه كالقَرارة في المُتَعَجَّر»، أي مقيساً إلى علمه أو موضوعاً في جنب علمه،
وموضوعه في جنب المُتَعَجَّر، والجارُّ والمجرور في موضع الحال، والقَرارة: الغدير
الصغير، والرواية التي ذكرها أئمة الغريب «فإذا علمي بالقرآن في علم علي كالقَرارة في
المُتَعَجَّر»، والمُتَعَجَّر على صيغة المفعول: وسط البحر، وقال ابن الأثير: «هو أكثر موضع
في البحر ماء» اه تاج [قرر].

وأصل المُتَعَجَّر اسمُ مكان من أتعَجَّر الماء إذا انصبَّ، ومتعدِّيه تُعَجَّره، أي صبَّه، كما
في اللسان والتاج [تعجر]. القاع: المستوي من الأرض، وأجفل من أجفل القوم إذا هربوا
مسرعين، وأجفل الظليم: شرد فذهب، وفي المصباح: «قد جاء قسم من الأفعال تعدى
ثلاثيَّة وقصر رباعيَّة، عكس المتعارف، نحو أجفل الطائر، وجفلته أنا أي نفرته» اه.

وغرَّ السيف: حدُّه ودُّبَابُه وطرفُه الذي يؤثِّر في قطع الأشياء، والتلألُّ اللَّمعان
والاستنارة والإشراق والإضاءة والتوقُّد واضطراب البريق، مأخوذ من لفظ اللؤلؤ، وهو

الدُّرُّ، وفي صفته ﷺ: «يتلألأ وجهه [الشريف] تلالؤ القمر»، أي يستنير ويشرق، كما في اللسان [لألاً].

والحَبِيُّ بفتح فكسر فتشديد على وزن غَبِيٍّ: الغيم، من حَبَا يَحْبُو حَبْوًا إذا زَحَفَ، ومنه الحديث: «لو يعلمون ما في العتمة والفجر لآتوهما ولو حَبْوًا» [البخاري: ٦١٥]. فكأن الغيم لما كان كأنه يَحْبُو سُمي حَبِيًّا كما سُمي سَحَابًا لأنه كأنه يَسْحُبُ أهْدَابَهُ ويَجْرُ أذْيَالَهُ.

«تَأَكَّلْتُ فِيهِ الْجُدَى» وفي التاج: «أَكَلَ الْعُودُ وَالْعَضُو كَفَرِحَ وَاتَّكَلَ وَتَأَكَّلَ: أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهُوَ مَجَازٌ، وَمِنَ الْمَجَازِ أَيْضًا تَأَكَّلَ السِّيفُ وَالْبَرْقُ إِذَا اشْتَدَّ بَرِيقُهُ وَتَوَهَّجَ، وَكَذَا كُلُّ مَا لَهُ بَصِيصٌ» اهـ تاج العروس [أكل]، والمعنى واضحٌ.

والجُدَى، قال في المصباح: «الجُدوة: الجَمرة الملتهبة، وَتُضَمُّ الْجِيمُ وَتُفْتَحُ فَتُجْمَعُ جُدَى كَمُدَى وَقُرَى، وَتَكْسَرُ أَيْضًا فَتَكْسَرُ فِي الْجَمْعِ، مِثْلُ جِرْيَةٍ وَجِرَى» اهـ مصباح [جدا] فصار معنى قوله:

كَأَنَّ بَيْنَ عَيْرِهِ وَعَيْرِهِ مُفْتَادًا تَأَكَّلْتُ فِيهِ الْجُدَى
قال الجوهري في الصحاح: «عَيْرُ النَّصْلِ: النَّاتِي مِنْهُ فِي وَسْطِهِ، وَكَذَا عَيْرُ الْكَيْفِ، وَعَيْرُ الْقَدَمِ: الشَّاحِصُ فِي ظَهْرِهَا، وَعَيْرُ الْأُذُنِ: الْوَتْدُ فِي بَاطِنِهَا». يريد أن هذا السيف يبهر الأبصار حسنه ويروق الناظر متنه بها فيه من الجوهر والنقش المتلألئ البديع الصنعة المتألق النافذ في العظم فضلاً عن البضعة، وقد حاز من الإضاءة واللّمعان والإشراق والتلألؤ ما يحمل رائيه أن يظن أن بين ذلك الخطّ الناتئ في وسطه وبين حده موقد نار تتلهب فيه الجمرات وتسطع منه النيران وتتطاير الشرارات. وبَعْدَهُ:

٧٧- يُرِي الْمُنُونَ حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ فِي ظَلَمِ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لَا تُرَى

يُري فعلٌ مضارعٌ من أَرَاهُ الشَّيْءَ إِرَاءَةً إِذَا مَكَّنَهُ مِنْ رُؤْيَتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿﴾
 [البقرة: ١٢٧-١٢٨]، قال في الجلالين [١/ ٨١]: «أَرْنَا مَنَاسِكَنَا، أَي عَلَّمْنَا شَرَائِعَ عِبَادَتِنَا
 أَوْ حَجَّجْنَا»، قال الجمل: «قوله: عَلَّمْنَا أَي عَرَفْنَا، فَهِيَ عِرْفَانِيَّةٌ تَتَعَدَّى لَوَاحِدٍ، وَتَعَدَّتْ هُنَا
 لِلثَّانِي بِوَسْاطَةِ هَمْزَةِ النَّقْلِ، وَقَوْلُهُ: شَرَائِعَ عِبَادَتِنَا أَوْ حَجَّجْنَا قَدَّمَ الْأَوَّلَ لِأَنَّ النَّسْكَ فِي
 الْأَصْلِ غَايَةُ الْعِبَادَةِ، وَشَاعَ فِي الْحَجِّ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْكُلْفَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْعَادَةِ» ١. هـ جمل.

وقال تعالى أيضاً في التنزيل العزيز: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٤/ ١٠٥]، وفي اللسان: «(في حديث عثمان: «أَرَاهُمُنِي الْبَاطِلُ شَيْطَانًا» أَرَادَ أَنَّ الْبَاطِلَ جَعَلَنِي
 عِنْدَهُمْ شَيْطَانًا، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَفِيهِ شَذُوذٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أَنْ ضَمِيرَ الْغَائِبِ إِذَا وَقَعَ مُتَقَدِّمًا عَلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمَخَاطَبِ فَالْوَجْهُ أَنْ
 يُجَاءُ بِالثَّانِي مُنْفَصِلًا، فَتَقُولُ: أَعْطَاهُ إِيَّايَ، فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَقُولَ: أَرَاهُمْ إِيَّايَ.
 والثاني: أَنْ وَاوِ الضَّمِيرِ حَقُّهَا أَنْ تَثْبُتَ مَعَ الضَّمَائِرِ، كَقَوْلِكَ: أَعْطَيْتُمُونِي، فَكَانَ حَقُّهُ
 أَنْ يَقُولَ: أَرَاهُمُونِي» ١. هـ لسان [رأى]. فَتَحْصَلُ أَنَّ مَعْنَى «أَرَاهُ الشَّيْءَ» نَحْوُ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ
 وَأَعْلَمَهُ بِهِ وَعَرَّفَهُ إِيَّاهُ وَمَكَّنَهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيَرَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«الْمُنُونُ» المَوْتُ، فَعُولٌ مِنْ مَنَّهُ يَمُنُّهُ مَنًّا إِذَا قَطَعَهُ وَمَنَّهُ إِذَا أَضْعَفَهُ وَمَنَّهُ إِذَا نَقَصَهُ، لِأَنَّهَا
 - أَعْنَى الْمُنِيَّةِ - تَقْطَعُ الْمَدَدَ وَتَنْقُصُ الْعَدَدَ، كَمَا سُمِّيَتْ بِالْمُنِيَّةِ مِنْ مَنَى اللَّهُ الْأَمْرَ يَمُنِيهِ إِذَا
 قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ لِأَنَّهَا مَقْدَرَةٌ مَقْضِيٌّ بِهَا، وَالْحِمَامُ مِنْ حُمٍّ كَذَا إِذَا قَدَّرَ، وَشُعُوبٌ مِنْ شَعَبَ
 شَمَلَ الْكُفْرَانَ إِذَا شَتَّتَهُ وَبَدَّدَهُ، قَالَ النَّابِغَةُ: [ديوانه ٢١٨]

وَكُلُّ فِتْيٍ وَإِنْ أَثْرَى وَأَمْشَى سَتَخْلِجُهُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنُونُ

وفي مادة (م ش ي) من اللسان: «أَمْشَى الرَّجُلُ: كَثُرَتْ مَاشِيَّتُهُ، قَالَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي:

[ديوانه ٢١٨]

فَكُلُّ قَرِينَةٍ وَمَقَرَّرٍ إِلْفٍ مُفَارِقُهُ إِلَى الشَّحَطِ الْقَرِينُ

وكلُّ فتىٍّ وإنَّ أثْرَى وأَمْشَى ستَخْلِجُه عن الدُّنيا مُنُونٌ

وكلُّ فتىٍّ بما عملتْ يَدَاهُ وما أَجْرَتْ عَوَامِلُه رَهِينٌ

ا.هـ. الشَّحَطُ بفتحِ تَيْنِ: البُعدُ، كَالشَّحَطِ بفتحِ فسكون، أَثْرَى: اسْتغْنَى، أَمْشَى: كَثُرَتْ

ماشِيتهُ من إِبِلٍ وبقَرٍ وغنَمٍ، سَخَلَجُه، خَلَجَه من بابِ صَرَبَ على ما في التاج، ونظَرَ على ما

في المصباح، جَذَبَه وسَحَبَه وجَرَّه، وقال أبو طالب في المُنُونِ للمنية: [ديوانه ٩٣]

أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكَ أَوْ غَالَ مَرَا لَكَ وَهَلْ أَقَدَمْتُ عَلَيْكَ الْمُنُونِ

عمر وبن حسان:

تَمَخَّضْتُ الْمُنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامٌ

في اللسان: «تَمَخَّضْتُ اللَّيْلَةَ عَنْ يَوْمٍ سَوَاءٍ إِذَا كَانَ صَبَاحُهَا صَبَاحَ سَوَاءٍ، وَكَذَا

تَمَخَّضْتُ الْمُنُونُ وَغَيْرُهَا، قَالَ:

تَمَخَّضْتُ الْمُنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامٌ

على أَنَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَخَاضِ، قَالَ: وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ الْمَنِيَّةَ تَهَيَّأَتْ لِأَنَّ تَلَدَ لَهُ

الموتَ، يَعْنِي النِّعْمَانَ بْنَ الْمَنْذَرِ أَوْ كَسْرَى، وَأَنَى: حَانَ وَقْتُهُ وَقُرْبُ أَوَانِهِ، وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:

لَقُّوا أُمَّ اللَّهَيْمِ فَجَهَّزْتَهُمْ عَشُومَ الْوَرْدِ نَكْنِيهَا الْمُنُونَا

أُمَّ اللَّهَيْمِ تُطَلَّقُ عَلَى الدَّاهِيَةِ وَعَلَى الْحُمَى وَعَلَى الْمَنِيَّةِ، وَجَهَّزْتَهُمْ: هَيَّأَتْ لَهُمْ مَا

يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَالْعَشُومُ الْوَرْدُ: الَّتِي إِذَا وَرَدَتْ لَا يَثْنِي رُؤُوسَهَا عَنِ الْوَرْدِ شَيْءٌ، وَأَصْلُ

الْعَشْمِ الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ.

«حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ» حِينَ تَتَّبِعُ أَثْرَهُ، يُقَالُ: قَفَاهُ يَقْفُوهُ قَفْوًا بِالْفَتْحِ وَقَفْوًا كَسْمًا، تَبَعَهُ،

وَالْأَثْرُ بفتحِ فسكون كَالْأَثْرِ بفتحِ تَيْنِ، يُقَالُ: جِئْتُ فِي أَثْرِهِ بفتحِ تَيْنِ وَإِثْرِهِ بكسرِ الهمزة

وَالسُّكُونِ، أَي تَبَعْتُهُ عَنْ قُرْبٍ، كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ [أثر].

«فِي ظُلْمِ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لَا تُرَى» الظُّلْمُ جَمْعُ ظُلْمَةٍ، وَهِيَ خِلَافُ النُّورِ، وَالْأَكْبَادُ جَمْعُ

كَبَدٌ، وهي اللَّحْمَةُ السوداء في البطن، وهي من السَّحْرِ في الجانب الأيمن، وفي المصباح: «السَّحْرُ: الرِّثَّةُ وقيل: ما لَصِقَ بالخلقوم والمريء من أعلى البطن، وقيل: هو كلُّ ما تعلق بالخلقوم من قلب وكبد وورثة، وفيه ثلاث لغات، سَحْرٌ كَفَلَسٌ، وسَحَرَ كَسَبَبَ وسُحِرَ كَقُفِلَ، وكلُّ ذي سَحْرٍ مفتقرٌ إلى الطعام، وجمعُ الأولى سُحُورٌ كَفَلَسٌ وفُلُوسٌ، وجمعُ الثانية والثالثة أَسْحَارٌ» اهـ مصباح [سحر]. وفيه: «المريء ككريم: رأسُ المعدة والكرش اللَّازِقُ بالخلقوم يجري فيه الطعام والشراب» اهـ منه.

«سُبُلًا» مخفَّفٌ من سُبُلٍ بضمَّتين، جمعُ سبيلٍ للطريق التي ينسب إليها المُلغِزُ به في قوله: ومَنسُوبٌ إلى مَنْ لم تَلِدْهُ كذاكَ اللهُ نَزَلَ في الكتابِ كما في اللسان [سبل]. «لا تُرى» إمَّا مضارعٌ أُرِيتُ أي جُعِلتُ بمرأى للنَّاظر، أو رُئيتُ، أي عُوِينتُ، أي أَبصرتُ ونُظِرَ إليها، فحَصَلَ من تفسيرِ قوله:

يُرى المُنونَ حينَ تَقْفُو إِثْرَهُ في ظَلَمِ الأَكْبَادِ سُبُلًا لا تُرى
أن معناه أن ذلك السيف الموصوف بما تقدّم يقطع الأكباد ويشقُّها ويفصلُ بين أجزائها حتى تصير طُرْقًا مفتوحة وسُبُلًا مُفَرَّجَةً، فيجعلها بمرأى للموت. وبعده:

٧٨- إِذَا هَوَى فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ حَسَا وَهِيَ زَكَا
هَوَى: سقطَ ونزَلَ، الجُثَّةُ للإنسان إذا كان قاعدًا أو نائمًا، وإن كان منتصبًا فهو طَلُّ، والشَّخْصُ يعمُّ الكلَّ، كذا في المصباح [جثث]، وفي لسان العرب: «الجُثَّةُ: شخصُ الإنسان قاعدًا أو نائمًا، وقيل: جُثَّةُ الإنسان: شخصُه مُتَكِنًا أو مضطجعًا وقيل: نائمًا أو قاعدًا فقط، وأما القائم فإنَّها يقال: قِمَّتْهُ، ولا يقال: جُثَّتْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى سَرَجٍ أَوْ رَحْلٍ مُعْتَمًا، حكاه ابن دُرَيْدٍ [يعني الناظم] عن أبي الخطَّاب الأَخْفَشِ، قال: ولم يُسمع من غيره، وفي حديث أنس: «اللَّهِمَّ جَافِ الأَرْضِ عَن جُثَّتِهِ» أي جسده» اهـ لسان.

ومعنى جافٍ باعدٌ، يقال: جافاه فتجافى، وفي الحديث: «أنه كان يجأفي عَضْدِيَه عن جَنِيَه في السُّجود، أي يُباعِدُهُما» [أبو داود ٧٣٠] كما في اللسان [جفا]. وغادره مُغادِرَةٌ وغَدَاراً وأغدره: تركه، كذا في اللسان [غدر]. «مِنْ بَعْدِما كَانَتْ خَساً وَهِيَ زَكَا». الحَسَا: الفَرْدُ كالوِتر، والزَّكَا: الزَّوجُ كالشَّفَع، قال الكُمَيْتُ: [ديوانه ١ / ٣٩١]

مَكَارِمٍ لَا تُحْصَى إِذَا نَحْنُ لَمْ نُقَلْ خَساً وَزَكَاً فِيمَا نَعُدُّ خِلَالَهَا
وَتَحَاسَى الرُّجُلَانِ: تَلَاعَبًا بِالزَّوْجِ وَالْفَرْدِ، يُقَالُ: خَسَا أَوْ زَكَا زَوْجٌ أَوْ فَرْدٌ، كَذَا فِي
اللسان [خسا]، فصار معنى قوله:

إِذَا هَوَى فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ ما كَانَتْ خَساً وَهِيَ زَكَا
إِذَا وَقَعَ هَذَا السِّيفُ فِي جِسْمٍ وَسَقَطَ فِي جَسَدٍ وَنَزَلَ فِي بَدَنِ وَرَسَبَ فِي شَخْصٍ تَرَكَ
ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَ واحداً فَرْداً اثْنَيْنِ زَوْجاً أَوْ يَقُولُ: إِذَا صَرَبَ بِذَلِكَ السِّيفِ رَجُلًا تَرَكَه
رَجُلَيْنِ، أَي نِصْفَي رَجُلٍ، أَي قِطْعَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قِطْعَةً واحِدَةً. وبعده:

٧٩- وَمُشْرِفُ الْأَقْطَارِ خَاظٍ نَحْضُهُ حَابِي الْقُصَيْرَى جُرْشَعٌ عَرْدُ النَّسَا
و«مُشْرِفُ الْأَقْطَارِ» عَطْفٌ «عَلَى صَارِمٍ»، أَي وَصَاحِبَاي صَارِمٌ وَمُشْرِفٌ الْخِ، الْمُشْرِفُ
الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ، اسْمٌ فاعِلٌ مِنْ أَشْرَفَ، وَالْأَقْطَارُ: النَّوَاحِي، قال في لسان العرب: «أَقْطَارُ
الْفَرَسِ: ما أَشْرَفَ مِنْهُ، وَهُوَ كَأَثْبَتِهِ [مَجْتَمَعٌ كَتَمِيَه] وَعَجْزُهُ، وَكَذَلِكَ أَقْطَارُ الْجَبَلِ وَالْجَمَلِ:
ما أَشْرَفَ مِنْ أَعَالِيهِ، وَأَقْطَارُ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ: نَوَاحِيهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٥٥ / ٣٣]، أَي نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبِهَا، وَكَذا أَقْطَارُهَا، الْوَاحِدُ قُطْرٌ وَقُتْرٌ، قال
ابن مسعود: لا يُعْجِبُنْكَ ما تَرى مِنْ المرءِ حَتى تَنْظُرَ عَلَى أَيِّ قُطْرِيهِ يَقَعُ، أَي شِقِّيهِ يَقَعُ فِي
خاتمة عمله، أعلى شقِّ الإسلام أو غيره» ا.هـ لسان [قطر].

«خاظٍ» اسم فاعل من خَظًا يَخْظُو إِذا اكْتَنَزَ، أَي اجْتَمَعَ وامتلاً نَحْضُهُ أَي حِمُّهُ، فِي
اللسان: «النَّحْضُ: اللَّحْمُ نَفْسُهُ» وَفِيهِ: «النَّحْضُ: اللَّحْمُ الْمَكْتَنَزُ، كَلْحَمِ الْفَخْدِ» [نحض].

«حايي القصيرى جرشع عرد النساء» حايي القصيرى، حايي: مرتفع، والقصيرى: ضلع
من الأصلاع، وقوله: حايي لها معانٍ كثيرة، لكن قول الشاعر:

هَذَا الْقَصِيرَى تَزِينُهُ خُصَلُهُ

يدلُّ على أن المراد بالحاي المرتفع، خُصَلُهُ: لفائف شعر ذنبه ورقبته، الجرشع: العظيم
من الإبل والخيل، أو العظيم الصدر المنتفخ الجنين، كذا في القاموس، عرد: شديد صلب،
والنساء: عرق من الورك إلى الكعب، صار معنى قوله:

وَمُشْرِفُ الْأَقْطَارِ خَاظٍ نَحْضُهُ حَايِي الْقَصِيرَى جُرْشَعٌ عَرْدٌ
وفرس عالي الكاهل والعجز مجتمع اللحم ممتلئه قويه مكثره مرتفع الصلح المسمى
بالقصيرى من عظام الجنين عظيم الصدر شديد العرق الممتد من الورك إلى الكعب، والله
أعلم. وبعده:

٨٠- قَرِيبٌ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْقَدَالِ وَالصَّلَا

القطاة: العجز، وقيل: ما بين الوركين، أو مقعد الرديف من الدابة خلف الفارس، كما
في القاموس، والمطا: الظهر كما في سائر كتب اللغة، و«القدال: جماع مؤخر الرأس، ويكون
من الفرس مقعد العذار خلف الناصية والجمع أفدلة وفُدل» ا.هـ مصباح [فذل].

وفي اللسان: «عن ابن الأعرابي: القدال: ما دون القمحدوة إلى قصاص الشعر،
الأزهري: والقمحدوة: ما أشرف على القفا من عظم الرأس، والهامة فوقها، والقدال
دونها مما يلي المقد، والمقد: ما بين الأذنين من خلف» ا.هـ، والمراد هنا مقعد العذار.

«والصلا: مغرز الذنب من الفرس» كما في المصباح [صلي]، ا.هـ تفسير قوله:

قَرِيبٌ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْقَدَالِ وَالصَّلَا

وصار معناه أن الطول الذي بين عجزه وما بين أوراكه وبين ظهره قليل جداً، وهذا
الوصف ممدوح عند العرب يعدونه من علامات النجابة وأمارات العتاقة، والمتصف به

فرساً كان أو جملاً أو غيرهما يُسمونه مَلْموماً ومُلْمَلماً، أي صُلب اللحمِ جدًّا، حتى كأن بعض لحمه دخل في بعض، وهذا معنى اكتناز اللحم مجموع بعضه إلى بعض، حتى كأن أعضائه متداخلة، يدلُّك على أنهم كانوا يستحسنونه ما ذكره في اللسان من حديث سُويد بن غفلة: «أتانا مصدِّق رسول الله ﷺ، فأتاه رجلٌ بناقة مَلْمَمَةٌ فأبى أن يأخذها»، قال: هي المستديرة سمنًا، من اللَّمِّ الضمُّ والجمعُ، قال ابن الأثير: وإنَّما رُدَّها لأنَّه نَهَى أن يؤخَذَ في الزكاة خيارُ المال» ١.هـ.

ومعنى قوله: «بعيدٌ ما بين القَدالِ والصَّلا» أن الطُّول الذي بين مَعقِدِ عَدَّاره وبين مَعْرُزِ ذَنبِه كثيرٌ زائدٌ، والمرادُ به الكنايةُ عن طولِ عُنُقِه، فإن امتدادَ عُنُقِ الفرسِ ممدوحٌ محمودٌ، إذ كلما طال قَوِيَّ ذلك الفرسُ على الكَرِّ والفرِّ بالأبطال مع ما عليهم من البَيضِ والدُّروع وغيرهما من آلات السلاح، يدلُّك على ذلك الجَمَلُ، فإن الله جعله طويلَ العُنُقِ ليستعين به على رفع الأثقال والقيام بأعباء تلك الأحمال، وقد ذَكَر في «حياة الحيوان» الكمالُ الدَّمِيرِيُّ أنه ذَكَر لرجلٍ لم تكن بأرضه جمالٌ ولا رآها فقال: ينبغي أن تكون طويلة الأَعناق، والله أعلم. وبعده:

٨١- سامي التليل في دسيع مُفعمٍ رَحْبُ اللَّبانِ في أَميناتِ العُجى

٨٢- رُكَّبنَ في حواشِبِ مُكْتَنَّةٍ إلى نُسورٍ مثَلِ مَلْفوظِ النَّوى

٨٣- يَرُضُحُ بِالبيدِ الحَصَى فَإِنْ رَقَا إلى الرُّبى أَوْرى بها نارَ الحَبَا

سامي: مرتفعٌ عالٍ منتصب، التليل: العُنُق، قال لبيد:

يَتَّقِنِي بِتَلِيلِ ذِي خُصَلِ

أي تتوقَّاني بعُنُقِ ذِي كَفائفَ من الشَّعر، والدَّسيعُ على ما في القاموس: مَعْرُزُ العُنُقِ في الكاهل، وزاد الشارح: « وقال غيره: الدَّسيعُ من الإنسان: العظم الذي فيه التَّرْفُوتان، وقيل: هو الصدر والكاهل، وقال ابن شميل: الدَّسيعُ: حيث يدفع البعيرُ بِجِرتِه، وهو موضع المَرِيء من حلقه» [دسع] ١.هـ.

«والمريء كأمير: رأس المعدة والكرش اللازق بالخلقوم، يجري فيه الطعام والشراب»
كما في المصباح [مراً].

والمُفَعَم: المملوء جداً، اسمٌ مفعول من أفعمه إذا ملاه وبألف في مئته: يريد به هنا
المتلحى لحماً الغليظ عظماً؛ لأن صدر الفرس كلما عظم كان منظره عظيماً جميلاً باهراً وزادت
قوته، والله أعلم.

«رَحْبُ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعَجَى» الرَّحْبُ: الواسع، اللَّبَانُ: الصدر، الأَمِينَاتُ جمع
أَمِينَةٍ، وهي الصُّلْبَةُ القويَّة التي أَمِنَ عليها من الاسترخاء والضعف والعُثُور، ولم أرَ نصّاً
عليها، لكن يُستأنسُ بها في التاج، قال: «ناقة أمون: وثيقة الخلق يؤمن فتورها وعثارها،
وهو مجاز، وفي الصحاح [أمن]: هي المؤثقة الخلق التي أمنت أن تكون ضعيفة» ا.هـ.

وهو فَعُولُ جاء في موضع مفعولة، كما يقال: ناقة عَضُوبٌ وحَلُوبٌ، وفي الأساس:
«ناقة أمون: قويَّة مأمون فتورها جعل الأمن لها، وهو لصاحبها» ا.هـ.

والعُجَى، قال المجدد في القاموس: «العُجَايَةُ بالضم: عَصَبٌ مرَكَّبٌ فيه فُصوص من
عِظَام كُفُصوص الخاتم، يكون عند رُسْغ الدابة، أو كلُّ عَصَبَةٍ في يَدٍ أو رجل، أو عَصَبَةٌ في
باطن الوَظِيف من الفرس والثور، والجمع عُجَىٌّ وَعُجَيٌّ وَعَجَايَا» [عجا] ا.هـ.

وقال ابن الأثير: «العُجَايَاتُ: أعصابٌ قوائم الإبل والحيل، وأحدثها عُجَايَةٌ». وفي
المصباح: «العَصَبُ بفتحين من أطناب المفاصل، والجمعُ أعصاب كسَبَب وأسباب، قال
بعضهم: عَصَبُ الجسد الأصغر من الأطناب» ا.هـ منه بحروفه [عصب]، ا.هـ تفسير قوله:

سَامِي التَّلِيلِ فِي دَسِيعِ مُفَعَمٍ رَحْبُ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعَجَى
ومعنى البيت أن هذا الفرس مرتفع العنق منتصبه عاليه، يرفع رأسه عند المشي، وعنقه
مركبة في دسيع، أي مغرز مملوء لحماً صلباً مكتنزاً واسع الصدر قوي أعصاب القوائم. وبعده:

٨٢- رُكْبَنٌ فِي حَوَاشِبٍ مُكْتَنَّةٍ إِلَى نُسُورٍ مِثْلِ مَلْفُوظِ النَّوَى

رُكْبَنٌ أَيُّ وَضَعَنَ، الْحَوَشِبُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ: «مَوْصِلُ الْوَضِيفِ فِي رُسْغِ الدَّابَّةِ، أَوْ عَظْمٌ فِي بَاطِنِ الْحَافِرَيْنِ الْعَصَبِ وَالْوَضِيفِ، وَقِيلَ: هُوَ حَسْوُ الْحَافِرِ أَوْ عَظِيمٌ صَغِيرٌ كَالسَّلَامَى بَيْنَ رَأْسِ الْوَضِيفِ فِي طَرَفِهِ وَمَسْتَقَرُّ الْحَافِرِ أَوْ عَظْمُ الرُّسْغِ، وَلِلْفَرَسِ حَوْشَبَانٌ، وَهُمَا عَظْمَا الرُّسْغِ» ١. ه قَامُوسٌ [حَشَبٌ].

وَفِي الْمَصْبَاحِ: «الْوَضِيفُ مِنَ الْحَيَوَانَ: مَا فَوْقَ الرُّسْغِ إِلَى السَّاقِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَقْدَمُ السَّاقِ»، «وَالرُّسْغُ مِنَ الدَّوَابِّ: الْمَوْضِعُ الْمَسْتَدِقُّ بَيْنَ الْحَافِرِ وَمَوْضِعِ الْوَضِيفِ مِنَ الْيَدِ وَالرَّجْلِ»، «وَالسَّلَامَى الْأَصَابِعُ عَنِ الْخَلِيلِ، وَزَادَ الرَّجَّاجُ: وَتُسَمَّى الْقَصَبُ، وَعَنْ قُطْرِبٍ: السَّلَامِيَّاتُ: عُرُوقُ ظَاهِرِ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ»، كُلُّ هَذَا مِنَ الْمَصْبَاحِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِفْصَاحِ وَالْإِيضَاحِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْعُجَى الْعَصَبُ الَّذِي فِيهِ عِظَامٌ كَفُصُوصِ الْخَاتَمِ عِنْدَ الرُّسْغِ، كَمَا هُوَ أَوَّلُ الْأَقْوَالِ فِي الْقَامُوسِ فِيهِ، وَالْحَوَشِبُ: الرُّسْغُ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ الْقَامُوسِ، أَيُّ رُكْبَتُ تِلْكَ الْأَعْصَابِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى تِلْكَ الْعِظَامِ فِي أَرْسَاقِ الْخ.

وَالْمُكْتَنَّةُ: الْمَسْتَوْرَةُ أَوْ الْمَسْتَرَّةُ أَوْ الْمَبِيضَةُ، لِأَنَّ الْاِكْتِنَانَ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى السَّرِّ الْمُتَعَدِّيِّ وَالِاسْتِتَارِ اللَّازِمِ، مِنَ الْكِنِّ وَهُوَ الْغَطَاءُ وَالْوِقَاءُ، وَيُسْتَعْمَلُ - أَعْنِي الْاِكْتِنَانَ - بِمَعْنَى الْبِياضِ. وَقَالَ شَارْحُ [عِنِي الصَّوَايِ]: «قَوْلُهُ: رُكْبَنٌ يَعْنِي الْعُجَى، وَبِجُوزِ أَنْ تَكُونَ الْقَوَائِمُ، وَالْحَوَاشِبُ: جَمْعُ حَوْشَبٍ، وَهُوَ عَظْمٌ فِي بَاطِنِ الْحَافِرِ، وَقِيلَ: هُوَ عَظْمٌ بَيْنَ الرُّسْغِ وَالْحَافِرِ، وَمُكْتَنَّةٌ: مَسْتَوْرَةٌ، وَقِيلَ: مَكْتَنَرَةٌ، وَيُرْوَى مَكِينَةٌ» ١. ه.

«إِلَى نُسُورٍ مِثْلِ مَلْفُوظِ النَّوَى». «النُّسُورُ: جَمْعُ نَسْرٍ، وَالنَّسْرُ: لَحْمَةٌ صُلْبَةٌ فِي بَاطِنِ الْحَافِرِ، كَأَنَّهَا حَصَاةٌ أَوْ نَوَاةٌ، وَقِيلَ: هِيَ مَا ارْتَفَعَ فِي بَاطِنِ حَافِرِ الْفَرَسِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقِيلَ: هُوَ بَاطِنُ الْحَافِرِ، وَالْجَمْعُ نُسُورٌ، وَفِي التَّهْذِيبِ: نَسْرُ الْحَافِرِ: لَحْمَةٌ تُشَبِّهُهَا الشَّعْرَاءُ بِالنَّوَى،

وقال أبو سعيد: النُّسور: الشَّواخِص اللّواتي في بطن الحافر، تُشبه بالنوى لصلابتها وأثَمَّها لا تمس الأرض] ١. اهـ لسان [نسر].

«مِثْلُ»: شِبْهُ، «مَلْفُوظُ النَّوَى»: الذي يُطرح من الفم لصلابته وشدَّة يُيسه، والنوى: عَجَمَ التَّمْر.

٨٣- يَرْضُخُ بِالْيَيْدِ الْحَصَى فَإِنْ رَقَا إِلَى الرَّبَا أَوْرَى بِهَانَارِ الْحَبَا
يَرْضُخُ: يَدُقُّ وَيَكْسِرُ، بِالْيَيْدِ أَيِّ بِالْمَفَاوِزِ، وَهِيَ الصَّحَارَى الْمَهْلِكَةُ وَالْبَرَارِي الْمَتَلِفَةُ؛ لِأَنَّهَا تُبِيدُ صَاحِبَهَا أَيِّ تُهْلِكُهُ، وَالْحَصَى: صِغَارُ الْحِجَارَةِ، وَهِيَ مَا كَانَ مِثْلَ بَعْرِ الْبَعِيرِ أَوْ الْغَنَمِ مِنْهَا الْوَاحِدَةُ حَصَاةٌ، رَقَا أَيُّ عَلَا وَارْتَفَعَ وَسَمَا وَصَعِدَ، مِنْ رَقَا الطَّائِرُ يَرْقُو إِذَا ارْتَفَعَ فِي طَيْرَانِهِ، كَمَا فِي الْمَصْبَاحِ، الرَّبَا بِالضَّمِّ: الْأَمْكَنَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَوَاضِعُ الْمُرْتَفِعَةُ، الْوَاحِدَةُ رَبْوَةٌ مِثْلَةُ الرَّاءِ، وَهِيَ أَيْضاً الرَّوَابِي، وَاحِدَتُهَا رَابِيَةٌ، أَوْرَى: أَوْقَدَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَرَى الزَّنْدُ إِذَا خَرَجَتْ نَارُهُ، وَأَوْرَيْتُهُ أَنَا: اسْتَخْرَجْتُهَا، نَارَ الْحَبَا: قَالَ شَارِحٌ [يَعْنِي الصَّائِي]: «الْحَبَا: دَابَّةٌ تُضِيءُ بِاللَّيْلِ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ النَّارِ، وَاسْمُهَا الْحَبَّاجِبُ فَرُخِمَ لِحُضْرَةِ الشَّعْرِ، قَالَ النَّابِغَةُ: [دِيوانه ٤٦]

تَقْدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الْحَبَّاجِبِ
١. اهـ. قَالَ فِي اللِّسَانِ: «سَلُوقٌ: قَرْيَةٌ بِالْيَمَنِ، تُنسَبُ إِلَيْهَا الْكَلَابُ، وَكَذَلِكَ الدُّرُوعُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

تَقْدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الْحَبَّاجِبِ
وَالصَّفَّاحُ: الْحِجَارَةُ الْعِرَاضُ، وَمَعْنَى تَقْدُّهُ: تَشْفُهُ طَوَّلاً، وَالْمُضَاعَفُ نَسْجُهُ: الَّذِي يُجْعَلُ عَلَى طَاقِينَ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ الْمُطَارِقُ وَالْمُظَاهِرُ، وَفِي اللِّسَانِ (ح ب ب): «نَارَ الْحَبَّاجِبِ: مَا اقْتَدَحَ مِنْ شَرِّ النَّارِ فِي الْهَوَاءِ مِنْ تَصَادُمِ الْحِجَارَةِ، وَقِيلَ: الْحَبَّاجِبُ: ذُبَابٌ يَطِيرُ بِاللَّيْلِ، كَأَنَّهُ نَارٌ لَهُ شُعَاعٌ كَالسَّرَاجِ، قَالَ النَّابِغَةُ يَصِفُ السُّيُوفَ:

تَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ
 وفي الصحاح: ويوقدن بالصفاح، والسَّلُوقِيُّ: الدَّرعُ المنسوبة إلى سَلُوقٍ، قريةٌ باليمن،
 والصفاح: الحجر العريض، وقال أبو حنيفة: نار حُبَابِجٍ ونارُ أبي حُبَابِجِ: الشَّرُّ الذي
 يسقط من الزناد، قال النابغة:

أَلَا إِنَّمَا نِيرَانٌ قَيْسٍ إِذَا شَتَّوَا لَطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَابِجِ

وقال الكميت ووصف الشيوف: [ديوانه ٤٢٢/١]

يَرَى الرَّأْوُونَ بِالشَّفَرَاتِ مِنْهَا كِنَارِ أَبِي حُبَابِجٍ وَالظُّيُنَا
 وإِنَّمَا مِنْعُهُ لِأَنَّهُ جَعَلَ حُبَابِجَ اسْمًا لِمَوْتِثَ، قال: ويزعم قومٌ أنه اليراع، وهو فراشة إذا
 طارت في الليل خلتها شرارة نار، وعن ابن الأعرابي: طائر أطول من الدُّبابِ في دِقَّة، يطير
 فيما بين المغرب والعشاء، كأنه شرارة، وقوله:

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لِحُنُوبِهَا فَكَأَنَّهَا تُذَكِّي سَنَابِكُهَا الْحَبَا

إِنَّمَا أَرَادَ الْحُبَابِجَ، أَي نَارَ الْحُبَابِجِ، يقول: تُصِيبُ بِالْحَصَى فِي جَرْيِهَا جُنُوبَهَا، عن
 الفراء. يقال للخيل إذا أَوْرَتْ النَّارَ بحوافرها: هي نَارُ الْحُبَابِجِ، وقيل: كان أبو حُبَابِجِ
 من مُحَارِبِ خَصْفَةَ، وكان بخيلاً، فكان لا يُوقِدُ نَاراً إِلَّا بِالْحَطْبِ الشَّخْتِ [أَي الدَّقِيقِ] لئَلَّا
 تُرَى، وقيل: اسمُه حُبَابِجِ، فَضْرَبَ بِنَارِهِ المِثْلُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُوقِدُ إِلَّا نَاراً ضَعِيفَةً مَخَافَةَ
 الضَّيْفَانِ، فقالوا: نَارُ الْحُبَابِجِ لَمَّا تَقَدَّحُهُ الحَيْلُ بِحَوَافِرِهَا، وَرَبَّمَا جَعَلُوا الْحُبَابِجَ اسْمًا
 لتلك النار، قال الكسعي:

مَا بَالُ سَهْمِي يُوقِدُ الْحُبَابِجَا قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَائِبَا

إِذْ أَمْكَنَ العَيْرُ وَأَبْدَى جَانِبَا فَصَارَ رَأْيِي فِيهِ رَأْيًا كَاذِبَا

وقال الكلبي: كان الحُبَابِجِ رجلاً من أحياء العرب، وكان من أبخل الناس، فبخل
 حتى بلغ به البخل أنه كان لا يُوقِدُ نَاراً بَلِيلٍ إِلَّا ضَعِيفَةً، فإِذَا انْتَبَهَ لِيَقْتَبَسَ مِنْهَا
 أَطْفَاءَهَا، فَكَذَلِكَ مَا أَوْرَتْ الحَيْلُ لَا يُتَنَفَعُ بِهِ كَمَا لَا يُتَنَفَعُ بِنَارِ الْحُبَابِجِ» ١.هـ.

فَتَحَصَّلَ أَنَّ النَّازِمَ أَرَادَ بِالْحَبِّاءِ الْحَبَّابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَهُ نِظَائِرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ: [ديوانه ١١٥]

أَمَسْتُ مَنَاهَا بِأَرْضٍ مَا يُبَلِّغُهَا بِصَاحِبِ الْهَمِّ إِلَّا الْجَسْرَةَ الْأَجْدُ
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَمَسْتُ مَنَازِلَهَا، فَحَذَفَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنَاهَا أَيَّ جَمْعِ مُنِيَّةٍ، وَهِيَ مَا يُتَمَنَّى،
وَالْجَسْرَةُ: الطَّوِيلَةُ الضَّخْمَةُ، وَالْأَجْدُ: القَوِيَّةُ المَحْكَمَةُ المَتِينَةُ المَوْثِقَةُ الخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَلَا شَاهِدَ فِيهِ، بَلِ الشَّاهِدُ قَوْلُ لَبِيدِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [ديوانه ١٣٨]

دَرَسَ المَنَابِئَ مُتَالِعٍ فَأَبَانَ فَتَقَادَمَتْ بِالْحَبْسِ فَالسُّوبَانِ
وَيُرْوَى «بِالْحَبْسِ بَيْنَ اليَدِ فَالسُّوبَانِ»، فَإِنَّهُ أَرَادَ المَنَازِلَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ وَالتَّاجِ
وَاللِّسَانِ، فَحَذَفَ، قَالُوا: وَهُوَ قَبِيحٌ، قُلْتُ: وَلَا قَبْحَ فِيهَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ، أَعْنِي قَوْلَ النَّازِمِ:
«أَوْرَى بِهَا نَارَ الحَبَّاءِ»، أَوْ فِيهِ قَبْحٌ، لَكِنَّهُ قَلِيلٌ لِكُونِهِ فِي آخِرِ البَيْتِ، فَيُمْكِنُ إِحْقَاقُهُ بِالِاِكْتِفَاءِ،
مُتَالِعٍ بِالضَّمِّ: اسْمٌ مَوْضِعٌ، وَأَبَانٌ كَذَلِكَ، وَالحَبْسُ بِالفَتْحِ: مَوْضِعٌ أَوْ جَبَلٌ، وَيُكْسَرُ،
وَسُوبَانٌ: اسْمٌ وَادٍ. وَبَعْدَهُ:

٨٤- يُدِيرُ إِعْلِيظِينَ فِي مَلْمُومَةٍ إِلَى لَمُوحِينَ^(١) بِالْحَاطِظِ اللَّائِي

يُدِيرُ: مَضَارِعُ أَدَارَ، مُتَعَدِّي دَارَ يَدُورُ دَوْرَانًا، «وَالِإِعْلِيظُ: مَا سَقَطَ وَرَقُهُ مِنَ الأَغْصَانِ
وَالقُضْبَانِ، وَقِيلَ: هُوَ وَرَقُ المَرِّخِ، وَقِيلَ: وَعَاءٌ ثَمَرِ المَرِّخِ، قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ:
لَهَا أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ كِإِعْلِيظِ مَرِّخٍ إِذَا مَا صَفِرَ
وَاحِدَتُهُ إِعْلِيظَةٌ، شُبِّهَ بِهِ أُذُنُ الفَرَسِ» ا.هـ لِسَانِ [عَلِظَ]، وَفِي تَاجِ العَرُوسِ: «الإِعْلِيظُ
كَإِزْمِيلٍ: مَا سَقَطَ وَرَقُهُ مِنَ الأَغْصَانِ وَالقُضْبَانِ، وَوَعَاءٌ ثَمَرِ المَرِّخِ، وَهُوَ كَقَشْرِ البَاقِلَاءِ،
يُشَبِّهُ بِهِ أُذُنُ الفَرَسِ»، وَفِي الصَّحَاحِ: قَالَ يَصِفُ أُذُنَ الفَرَسِ:

لَهَا أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ كِإِعْلِيظِ مَرِّخٍ إِذَا مَا صَفِرَ

(١) فِي شَرْحِ الصَّاوِي: ٦٧: «المَوْحِينَ».

واحدته إغليطة، قيل: هو لامرئ القيس، وقال ابن بري: للنمر بن توكب، وقال الصاغاني: بل لربيعه بن جشم النمرّي، قال الصاغاني: أول ما رأيت المرخ سنة خمس وستائة بقديد عند موضع خيمتي أم معبد، رضي الله عنها، واتخذت منه الزناد لما كان بلغني من قولهم: في كل شجر ناز، واستمجد المرخ والعفار، قلت: وأول رؤيتي في المرخ [كذا ولعله للمرخ أو المرخ] والعفار بالدرهمي، وهي قرية باليمن سنة ١١٦٦ ست وستين ومائة وألف» اهـ تاج العروس [علط].

وقوله: «أذن حشرة مشرة»، قال في اللسان: أذن حشرة وحشر: صغيرة لطيفة مستديرة، وقال ثعلب: دقيقة الطرف، وسُميت في الأخيرة لأنها حشرت حشراً، أي صغرت وألطفت، وقال الجوهري: أي برئت وحددت، وفيه: «وحشر السكين والسنان حشراً: أرقه وأحدّه وألطفه، وقيل: كل لطيف دقيق حشر، قال ابن الأعرابي: يستحب في البعير أن يكون حشر الأذن، وكذلك يستحب في الناقة، قال ذو الرمة: [ديوانه ١٢٢]

لها أذن حشر - وذفرى أسيلة - وخذ كمرأة الغريبة أسجح

(في الهامش ما نصه: «قوله: وخذ كمرأة الغريبة» في الأساس: «يقال: وجه كمرأة الغريبة لأنها في غير قومها، فمراتها أبداً مجلوة لأنه لا ناصح لها في وجهها). قال النمر بن توكب:

لها أذن حشرة مشرة - كإغليط مرخ إذا ما صفر

اهـ لسان [حشر]. وفيه: «أذن حشرة مشرة أي مؤللة عليها مشرة العتق أي نضارته وحسنه وقيل: لطيفة حسنة، وقوله:

وأذن لها حشرة مشرة - كإغليط مرخ إذا ما صفر

إنما عنى أنها دقيقة كالورقة قبل أن تتشعب، وحشرة: محددة الطرف، وقيل: مشرة إتياع لحشرة، وقال ابن بري: البيت للنمر بن توكب يصف أذن الناقة ورقتها ولطفها، شبّهها بإغليط المرخ، وهو الذي يكون فيه الحب» اهـ لسان. «في مَلْمُومَةٍ» أي في هامة

مجموعة مضمومة، قال في لسان العرب: «كثيبة مَلْمُومَة ومَلْمُومَة: مجتمعة وحجر ملموم، وطين ملموم، قال أبو النجم يصف هامة جمل: [ديوانه ٣٢٥]

مَلْمُومَةٌ لَمَّا كَظَهَرَ الْجُنْبُلُ» [لم]

«الْجُنْبُلُ بضم الجيم وسكون النون وضم الباء ثم بعدها لامٌ على وزن قُنْفُذ: القَدَحُ الغليظ من الخشب عن ابن الأعرابي، وقال الأزهري: هو العُسُّ الضخم، وأنشد:

مَلْمُومَةٌ لَمَّا كَظَهَرَ الْجُنْبُلُ» كذا في التاج [جنبل]، والعُسُّ بضم العين: القَدَحُ العظيم، كما في القاموس [عسس].

«إِلَى لَمُوحَيْنِ» تثنية لَمُوح، وهو صيغة مبالغة من لَمَحَ إليه كَمَنَعَ إِذَا اخْتَلَسَ النَّظَرَ كَأَلْمَحَ أَي أَبْصَرَ بِنَظَرٍ خَفِيفٍ، وقيل: لَمَحَ: نَظَرَ، وَأَلْمَحَهُ هُوَ، وَالْأَوَّلُ أَصْحَحُ، وَأَلْمَحْتُ الْمَرْأَةَ مِنْ وَجْهِهَا إِلْمَاحًا إِذَا أَمَكَنْتُ مِنْ أَنْ تُلْمَحَ، وفي النهاية [٦١٣/٢]: «اللَّمْحُ: سرعة إِبْصَارِ الشَّيْءِ كَاللَّمِّ بِالْهَمْزِ»، وَاللَّمْحَةُ: النَّظْرَةُ بِالْعَجَلَةِ، وقيل: لا يكون اللَّمْحُ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ، وفي الصَّحاح: لَمَحَهُ وَأَلْمَحَهُ وَاتَّمَحَهُ إِذَا أَبْصَرَهُ بِنَظَرٍ خَفِيفٍ، وَالاسْمُ اللَّمْحَةُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَاجِ الْعُرُوسِ [لمح].

وفيه أيضاً: «لَمَحَ البرقُ: لَمَعَ فَهُوَ لَامِحٌ وَلَمُوحٌ كَصَبُورٍ وَلَمَّاحٌ، قال:

في عارضٍ كَمُضِيءِ الصُّبْحِ لَمَّاحٍ

.....

والمراءُ في البيت المعنى الأول الذي هو النظر الخفيف، أو سرعة الإِبصار، وهذا أولى وأعلى.

وفي اللسان [لمح]: «الفراء في قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٥٤/٥٠]، قال: كَخَطْفَةٍ بِالْبَصْرِ، وَلَمَحَ الْبَصْرُ وَلَمَحَهُ بَبَصْرِهِ»^١.هـ، وفي الأساس: «لمحته ببصري: اختلستُ النظر إليه وهو أسرع من لمح البصر، ومن لمحة بالبصر، ومن المجاز أبيض لَمَّاحٌ: يَقُوقُ».

«بِأَلْحَاطِ اللَّأْيِ» قال العلامة السيد المرتضى الزبيدي في مستدرکه على القاموس: «اللَّحْظُ بِالْفَتْحِ: لِحَاطُ الْعَيْنِ، وَالْجَمْعُ أَلْحَاطٌ، يُقَالُ: فَتَنَّتْهُ بِلِحَاطِهَا وَأَلْحَاطِهَا»، وقال عند

قول المجد: «وكَسَحَاب: مؤخر العين: كذا في الصحاح [لحظ]، قال شيخنا: وبعض المتشدقين يكسره، وهو وهم كما أوضحته في شرح نظم الفصيح، قلت: وهذا الذي خطاه قد وُجد بخط الأزهري في التهذيب: الماق والموق: طرف العين الذي يلي الأنف، واللحاظ: مؤخر العين الذي يلي الصدغ، بكسر اللام، ثم قال بعد ذلك: ولكن ابن بري صرح بأن المشهور في لحاظ العين الكسر لا غير» ا.هـ، وهو فيما ظهر لي استدراك على قول المجد: «وكَسَحَاب».

وخلاصة المراد مما مرَّ أن الأَلْحَاطَ جمعُ لَحَظَ، وهو مؤخر العين، وهو جانبها الذي يلي الصدغ، وليعلم أن اللَّحْظَ يكون أيضاً مصدر لَحَظَ، قال في اللسان: لَحَظَهُ يَلْحَظُهُ لَحْظاً وَلَحْظَاناً، وَلَحَظَ إِلَيْهِ: نظر إليه بمؤخر عينه من أيِّ جانبيه كان يميناً أو شمالاً، وهو أشدُّ التفاتاً من الشَّرِّ (نظر إليه شزراً، وهو نظرُ الغضبان بمؤخر عينه) ا.هـ مختار [شزراً]، وفي حديث النبي ﷺ: «جُلُّ نظره الملاحظة»، قال الأزهري: هو أن ينظر بلحاظ عينه إلى الشيء شزراً، وهو شقُّ العين الذي يلي الصدغ، واللحاظ بالفتح. مؤخر العين، وبالكسر مصدر لَحَظَهُ إذا راعاه، وأما جانب العين الذي يلي الأنف فالماق والموق ا.هـ لسان [لحظ]. فتبين أن اللَّحْظَ مصدر لَحَظَ، واسمٌ لمؤخر العين، وهو الشَّقُّ الذي يلي الأذن، وأما الذي يلي الأنف فالماق والموق.

«اللائي»: الثور الوحشي، ومنه قول الحريري في المقامة السادسة والثلاثين المُلَطِّية المحتوية على الألغاز بالمقايضة، أي بما يياثلها من الكلام: [المقامات ٣١٨]

يَا مَنْ حَوَى حُسْنَ الدَّرَا يَةِ وَالْبِيَانِ بَغِيرِ شَكِّ
مَا مَثَلُ قَوْلِكَ لِلْمَحَا جِي ذِي الذِّكَاةِ الثَّوْرِ مُلْكِي

قال الحريري في تفسير الأحاجي التي في هذه المقامة: «وأما «الثور ملكي» فمثله اللائي؛ لأن اللائي على وزن القنأ: ثور القنأ: ثور الوحش» ا.هـ. وحاصل معنى قوله:

يُدِيرُ إِعْلِيَطَيْنِ فِي مَلْمُومَةٍ إِلَى لَمُوحِينَ بِالْحَاطِ اللَّائِي

يُحرك هذا الفرس أذنين دقيقتين لطيفين في هامة مجتمع مضموم سَوِيّ الخِلقة بديع
الهيئة محكم مُدْمَج، ويُجِيلُ حدقتين تُبصران بعيون اللَّأى، والمرادُ أنّها كعيني اللَّأى، ونحوه
قولك: فلان يَهْجُم على قِرْنه في الوَعَى بقلْب أسد، أي بقلْب له كقلْب أسد، أو تقول: أي
بكقلْب أسد، أي بمثله. وبعده:

٨٥- مُدَاخَلُ الْخَلْقِ رَجِيْبٌ شَجْرُهُ مُخْلَوْلُ الصَّهْوَةِ مَسْوَدٌ وَأَيُّ

المُداخَل: اسم مفعول من داخَلَ اللهُ بعض أعضائه في بعض، إذا أدخلها ووثقها
وأدمجها وأحكمها، قال جازُ اللهُ في الأساس: «مفاصِلُهُ مُداخَلَةٌ، وحلِقُ الدَّرْعِ مُداخَلٌ،
وهو المُدْمَجُ المحكم، ودُوخِلَ بعضُهُ في بعض» [دخل] ١.هـ.

«الخلْق»، قال في لسان العرب: «الخالِقُ والخالِقُ هو الذي أوجد الأشياء بعد أن لم
تكن، وأصلُ الخلقِ التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وبالعابار للإيجاد على
وَفَقَّ التقدير خالِقٌ، والخلقُ في كلام العرب ابتداءُ الشيء على مثال لم يُسبق إليه، ﴿أَلَا لَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٤]، قال أبو بكر بن الأنباري: الخلقُ
في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإنشاء على مثال أبعده، والآخر: التقدير، قال ابن
سيده: خلقَ اللهُ الشيءَ يخلقه خَلْقًا: أحدثه بعد أن لم يكن، والخلقُ يكون المصدر، ويكون
المخلوق، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ
ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦/ ٣٩]، أي يخلُقكم نُطفًا ثم عَلَقًا ثم مُضْغًا ثم عِظَامًا، ثم يكسو العِظَامَ
لحمًا، ثم يُصوره وَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ، فذلك معنى ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ في
البطن والرَّحِمِ والمَشِيمَةِ، وقيل: في الأصلاب والرَّحِمِ والبطن» ١.هـ من لسان العرب
[خلق]. وفي المصباح: «أصلُ الخلقِ التقديرُ، يقال: خلقَ الأديمَ للسَّقاءِ إذا قَدَره له،
والخلقُ: المخلوق، فَعَلَّ بمعنى مفعول، مثل ضَرَبَ الأمير» ١.هـ.

وفي اللسان أيضاً: «خلقت الأديم يخلقه خلقاً: قدره لما يريد قبل القطع، وقاسه ليقطع منه مزادة أو قرية أو حفاً، قال زهير يمدح رجلاً:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُضِّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

يقول: أنت إذا قدرتِ أمراً قطعته وأمضيته، وغيرك يُقدر ما لا يقطعه لأنه ليس بإضي العزم، وأنت مضاء على ما عزمت عليه» ا.هـ لسان.

«رَحِيبٌ شَجْرُهُ» الرَّحِيبُ: الواسع، اسم فاعل من رَحَبَ بالضم، والشَّجْرُ قال في لسان العرب: «مَفْرَجُ الفم، وقيل: هو مؤخره، وقيل: الصَّامِغ، وقيل: هو ما انفتح من مُنْطَبَقِ الفم، وقيل: هو مُلتَقَى اللَّهْزَمَتَيْنِ، وقيل: هو ما بين اللَّحْيَيْنِ، وشَجْرُ الفرس: ما بين أعالي لحيته من معظمها، والجمع أشجار وشُجُور، وأشجَرَ الرجلُ: وضعَ يده تحت شجره على حنكه، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ١٢٠]

نَامَ الْحَلِيُّ وَبَتُّ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

مذبوح: مشقوق، أبو عمرو: الشَّجْرُ: ما بين اللَّحْيَيْنِ، ابن الأثير: الشَّجْرُ: مَفْتَحُ الفم، وقيل: الذَّقْنُ» ا.هـ لسان [شجر].

وفي تاج العروس في مادة (ش ج ر): «الشَّجْرُ: الذَّقْنُ، وقيل: مَفْرَجُ الفم ومَفْتَحُه، أو شَجْرُ الفم: مؤخره، أو هو الصَّامِغ، أو هو ما انفتح من مُنْطَبَقِ الفم، أو هو مُلتَقَى اللَّهْزَمَتَيْنِ، أو هو ما بين اللَّحْيَيْنِ، وقيل: هو مجتمع اللَّحْيَيْنِ تحت العُنُقْفَةِ، وشَجْرُ الفرس: ما بين أعالي لحيته من معظمها، والجمع أشجار وشُجُور وشِجَار، والحروف الشَّجْرِيَّة [شضج] الشَّين والضاد والجيم، واشتَجَرَ الرجلُ: وضع يده تحت ذقنه واتكأ على المرفق ولم يضع جنبه على الفرش، وقيل: وضع يده على حنكه، قال أبو ذؤيب:

نَامَ الْحَلِيُّ وَبَتُّ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

وقيل: بات مُشْتَجِرًا إذا اعتمد بشجره على كفه» ا.هـ تاج [شجر].

«والصَّامِغان والصَّامِغان بكسرهما: جانبا الفم، وهما ملتقى الشفتين
مما يلي الشدقين، وقيل: هما مؤخر الفم، وقيل: هما مجتمعا الرقيق في جانب الشفة» كذا في
التاج [صمغ].

وقال في اللسان: «وقيل: هما مجتمعا الرقيق من الشفتين الذي يمسحُه الإنسان، وفي
حديث علي عليه السلام: «نظفوا الصَّامِغين فإنها مقعدا الملكين»، وهذا حصص على
السَّوَّك، والصَّامِغان والصَّامِغان من الفرس: مُنتهى الشدقين في الرأس» ا.هـ لسان.

«مُخلولُق الصَّهْوَة مَمْسُودٌ وَأَيٌّ» قال في لسان العرب: «اخْلَوْلَقَ مَتْنُ الْفَرَسِ إِذَا امْلَسَ،
واخْلَوْلَقَ السَّحَابُ: اسْتَوَى وَارْتَفَقَتْ جَوَانِبُهُ، وَقِيلَ: امْلَسَ وَلَانَ وَصَارَ خَلِيقًا لِلْمَطْرِ، كَأَنَّهُ
مُلْسٌ تَمْلِسًا، وَفِي حَدِيثِ صِفَةِ السَّحَابِ: «واخْلَوْلَقَ بَعْدَ تَفَرُّقِ» أَي اجْتَمَعَ وَتَهَيَّأَ لِلْمَطْرِ،
واخْلَوْلَقَ الرَّسْمُ: اسْتَوَى بِالْأَرْضِ» ا.هـ تاج العروس [خلق]، والمراد الأول كما لا يخفى.

«والصَّهْوَة: ما أسهل من ناحيتي سِراة الفرس أو مقعد الفارس منه، أو موضع اللبّد
منه، وقيل: مؤخر السنّام، وقيل: الرادفة تراها فوق العجز، والجمع صهوات بالتحريك
وصهَاء بالكسر والمد، وأعلى كل جبل صهوته، ومن المجاز تيسر ذو صهوات: سمين» ا.هـ
تاج العروس [صها]. واقتصر في الصحاح على قوله: «موضع اللبّد من ظهر الفرس»، قال:
«وأعلى كل جبل: صهوته» ا.هـ.

واللبّد بالكسر: كلُّ شعر أو صوف مُلتبّد، أي بعضه على بعض كالمُلتبّد، كما في التاج
[لبد]، وفيه: «حاذاً المتن: موضع اللبّد منه» [حوذ]، وفي الأساس: «يقال: زلّ عن حال
الفرس وحاذه، وهو محل اللبّد» ا.هـ.

المَمْسُود: المجدول الخلق المدمج الأعضاء المحكم البنية الذي أجيد فتله، ولوي
شديداً، وهو المعصوب الخلق الشديد الأسر المتين عقد المفاصل والأوصال المحدرج
المكتنز اللحم الصلب العظم الذي يقال فيه: إنه معصوب ما حفضج له، يقال: مسد الحبل

يَمْسُدُهُ مَسْدًا إِذَا فَتَلَهُ مُحْكَمًا وَلَوَاهُ شَدِيدًا وَصَفَرَهُ مَتِينًا، وَذَلِكَ الْحَبْلُ مَسْدٌ بَفَتْحَتَيْنِ كَمَا تَقُولُ
لِلْمَنْقُوضِ: نَقْضٌ وَلِلْمَنْفُوضِ نَقْضٌ وَلِلْمَصْمُودِ - أَيِ الْمَقْصُودِ فِي جَمِيعِ الْحَوَائِجِ - صَمْدٌ.
وَفِي التَّاجِ [مَسْدٌ]: «رَجُلٌ مَمْسُودٌ أَيُّ مَجْدُولٌ الْخَلْقُ أَيُّ مَمْسُوقٌ، كَأَنَّهُ جُدِلَ أَيُّ قُتِلَ:
وَأَمْرًا مَمْسُودَةُ الْخَلْقِ لَيْسَ فِي خَلْقِهَا اضْطِرَابٌ» ا.هـ، وَفِيهِ: «مَنْ الْمَسْتَدْرِكُ: مَسَدَهُ الْمِضْمَارُ:
طَوَاهُ وَأَضْمَرَهُ» ا.هـ.

«الْوَأَى مِنَ الدَّوَابِّ: السَّرِيعُ الْمَشْدَدُ الْخَلْقُ، وَفِي التَّهْذِيبِ: الْفَرَسُ السَّرِيعُ الْمَقْتَدِرُ
الْخَلْقُ، وَقَالَ شَمْرٌ: الْوَأَى: الشَّدِيدُ، أَنْشَدَ ابْنُ بَرِي لَشَاعِرٍ:

إِذَا جَاءَهُمْ مُسْتَشِيرٌ كَانَ نَصْرُهُ دَعَاءَ أَلَا طَيْرُوا بِكُلِّ وَأَى نَهْدِ
وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ لِلْأَسْعَرِ الْجُعْفِيِّ:

رَاحُوا بِصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتَابِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدٌ وَأَى

ا.هـ لسان [وأى].

الْبَصِيرَةُ، قِيلَ: الثُّرْسُ أَوْ الدَّرْعُ، وَقِيلَ: دَمٌ قَتِيلُهُمْ، وَقَدْ أَشْبَعَ فِي اللِّسَانِ الْكَلَامَ عَلَيْهِ،
وَالْعَتْدُ كَجَبَلٍ وَكَتِفٍ: النَّامُ الْخَلْقُ السَّرِيعُ الْوَثْبَةُ الْمَعْدُّ لِلْجَرِيِّ، لَيْسَ فِيهِ اضْطِرَابٌ وَلَا
رَخَاوَةٌ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَتِيدُ الْحَاضِرُ الْمَعْدُّ لِلرُّكُوبِ» ا.هـ لسان [بصر]. وبعده:

٨٦- لَا صَكَّكَ يَشِينُهُ وَلَا فَجَا وَلَا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَا

الصَّكَّكَ: اضْطِرَابُ الرُّكْبَتَيْنِ وَالْعُرْقُوبَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، كَذَا فِي اللِّسَانِ [صَكَّكَ]،
وَفِيهِ أَيْضًا: «الصَّكَّكَ أَنْ تَضْرِبَ إِحْدَى الرُّكْبَتَيْنِ الْأُخْرَى عِنْدَ الْعَدُوِّ فَتَوْثُرُ فِيهَا أَثْرًا، وَمِنْهُ
كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ: قَاتَلَكَ اللَّهُ أُخَيْفَسَ الْعَيْنِيِّ أَصَكَّ الرَّجُلَيْنِ». وَفِي التَّاجِ:
«رَجُلٌ أَصَكٌّ وَمَصَكٌّ: مَضْطَرِبُ الرُّكْبَتَيْنِ وَالْعُرْقُوبَيْنِ، وَكَذَا مِنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ
صَكَّكَتُ صَكَّكَاً مُحَرَّكَةً» ا.هـ. وَفِي الْمَصْبَاحِ: «الصَّكَّكَ أَنْ تَصْطُكَّ الرُّكْبَتَانِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ
بَابِ تَعَبٍ، فَالذِّكْرُ أَصَكٌّ وَالْأُنْثَى صَكَّاءُ» ا.هـ.

وفي اللسان: «العُرْقُوب: العَصَب الغليظ فوق عَقَبِ الإنسان، وعُرْقُوب الدَابَّة في رِجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها، قال أبو دُوَاد: [ديوانه ٢٨٩]

حَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنْكِـبِ وَالْعُرْقُوبِ وَالْقَلْبِ

قال الأصمعيّ: وكلُّ ذي أَرَبٍ عُرْقُوباه في رِجليه، ورُكبتاه في يديه» ا.هـ لسان [عرقب].
وفي المصباح: «العُرْقُوب: عَصَب موثَّق خلف الكعبين» ا.هـ. «يَشِينُهُ»: يَعِيْبُهُ زناً ومعنى،
وضدُّه زانُهُ يَزِينُهُ.

«ولا فَجَا»: في اللسان: «الفَجَا: تباعد ما بين الفَخَذَيْن، وقيل: تباعد ما بين الرُّكبتَيْن
وتباعد ما بين الساقَيْن، وقيل: هو من البعير تباعد ما بين عُرْقُوبِيه، ومن الإنسان: تباعد ما
بين رُكبتِيه، فَجِي فَجِيّ فهو أَفْجِيّ، والأُنْثَى فَجُوءاء، وقيل: الفَجَا والفَجَج واحدٌ، ابن
الأعرابي: الأَفْجِيّ: المتباعدُ الفَخَذَيْن الشديدُ الفَجَج، يقال: بفلان فَجَجاً شديداً إذا كان في
رِجليه انفتاح، وقد فَجِي فَجِيّ فَجِيّ» ا.هـ لسان [فجا].

وفيه في مادة (ف ج ج): «الفَجَج في القدمين: تباعد ما بينهما، وقيل: في الإنسان تباعد
الرُّكبتَيْن، وفي البهائم تباعدُ العُرْقُوبَيْن». وفيه في مادة (ف ج ج): «الفَجَج: تباعد ما بين
أوساط الساقَيْن في الإنسان والدابَّة، وقيل: تباعد ما بين الفَخَذَيْن، وقيل: تباعد ما بين
الرُّجْلَيْن»، وقال: «الأَفْجَج: الذي في رِجليه اعوجاج، ورجلُ أَفْجَج بيِّنُ الفَجَج، وهو
الذي تتدائى صدورُ قدميه وتتباعدُ عَقباه» ا.هـ.

وفي مادة (ف خ ج): «الفَخَج: مباينةٌ إحدى الفَخَذَيْن للأخرى، وأكثرُ ذلك في الإبل،
وقد فَخَجَ فَخَجاً، وهو أَفْخَج» ا.هـ لسان.

وفي القاموس: «الفَجَا: تباعد ما بين الفَخَذَيْن أو الرُّكبتَيْن أو الساقَيْن، أو هو تباعدُ
عُرْقُوبِي البعير». وفي اللسان: «فَجِيَّت الناقةُ فَجَجاً: عَظُمَ بطنُها، قال ابن سيده: ولا أدري ما
صحُّته، وذكره الأزهرِيُّ مهموزاً وأكده بأن قال: «الفَجَا مهموز مقصور عن الأصمعيّ» ا.هـ
لسان [فجا].

«وَلَا دَخِيسٌ»، في اللسان: «الدَّخِيسُ اللَّحْمُ: الصُّلْبُ الْمُكْتَنَزُ، والدَّخِيسُ باطن الكفِّ، والدَّخِيسُ من الحافر: ما بين اللحم والعصب، وقيل: هو عظم الحَوْشَبِ، وهو مَوْصِلُ الوَظِيفِ في رُسْغِ الدَّابَّةِ» [دخس]. وبعده:

٨٧- تَظُنُّهُ وَهُوَ يُرَى مُحْتَجِباً عَنْ الْعُيُونِ إِنَّ دَأَى أَوْ إِنَّ^(١) رَدَى

تَظُنُّهُ أَي تَحْسَبُهُ، وَالضَّمِيرُ لِلْفَرَسِ، وَهُوَ أَي الْفَرَسُ يُرَى أَي يُبْصَرُ مُحْتَجِباً أَي مُسْتَتِراً مُخْتَفِياً بِحِجَابٍ، وَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، عَنِ الْعُيُونِ أَي عَنِ حَوَاسِّ الْبَصْرِ، جَمْعُ عَيْنٍ. «إِنَّ دَأَى» قَالَ فِي الْلسَانِ: «دَأَى لَهُ يَدَأَى دَأِيًّا: خَتَلَهُ» قَالَ: «كَالذَّنْبِ يَدَأَى لِلْغَزَالِ يَخْتَلُهُ، وَدَأَوْتُ لُغَةً فِي دَأَيْتُ، وَدَأَوْتُ لَهُ كَدَأَيْتُ» ا.هـ لسان [دأى].

وفي مادة (أ د و) منه: «أَذَا السَّبْعُ لِلْغَزَالِ يَأْدُو أَدْوًا: خَتَلَهُ لِأَكْلِهِ، قَالَ:

حَتَّنِي حَايِنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَأْدُو لِصَيْدِ
أَدَوْتُ لَهُ أَدُوًّا أَدْوًا إِذَا خَتَلْتُهُ، وَأَنْشَدَ:

أَدَوْتُ لَهُ لِأَخْذِهِ فَهَيْهَاتَ الْفَتَى حَذِرَا

نَصَبَهُ بِمَضْمَرٍ، وَالتَّقْدِيرُ لَا يَزَالُ حَذِرًا، قَالَ: وَيَجُوزُ نَصَبُهُ عَلَى الْحَالِ لِأَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ بِقَوْلِهِ: هَيْهَاتَ، كَأَنَّهُ قَالَ: بَعْدَ عَنِّي وَهُوَ حَذِرٌ، وَهُوَ مِثْلُ دَأَى يَدَأَى سَوَاءً بِمَعْنَاهُ» ا.هـ لسان. فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: «دَأَى الذَّنْبُ دَوُّوًّا، وَهُوَ شَبُهَ الْحَتْلِ وَالْمَرَاوِغَةِ» وَفِيهِ: «دَأَيْتُ لِلشَّيْءِ كَسَعَيْتُ أَدَأَى لَهُ دَأِيًّا: خَتَلْتُهُ، كَدَأَوْتُ لَهُ» ا.هـ تاج، وَفِيهِ: «أَدَوْتُ فِي مَشْيِي أَدُوًّا، وَهُوَ مَشْيٌ بَيْنَ الْمَشْيَيْنِ لَيْسَ بِالسَّرِيعِ وَلَا بِالْبَطِيءِ» ا.هـ تاج [أدو].

قَالَ شَارْحُ [هُوَ الصَّوَابِي]: «دَأَى أَي جَرَى، وَكَذَا رَدَى، وَهُمَا ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ، يُقَالُ:

دَأَى وَرَدَى إِذَا جَرَى جَرِيَانًا سَرِيعًا» ا.هـ.

«رَدَى»، قَالَ فِي الْلسَانِ: «إِذَا عَدَا الْفَرَسُ فَرَجَمَ الْأَرْضَ رَجْمًا قِيلَ: رَدَى يَرْدِي رَدِيًّا

(١) فِي شَرْحِ التَّبْرِيذِيِّ: ٦٤ «دَأَى وَإِنْ».

وَرَدَيَانَا، وفي الصحاح [ردى]: إِذَا رَجَمَ الْأَرْضَ رَجْمًا بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْمَشِيِّ الشَّدِيدِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِمَتَجَعِ بْنِ نَبَّهَانَ: مَا الرَّدْيَانُ؟ قَالَ: عَدُوُّ الْحِمَارِ بَيْنَ أَرِيئِهِ وَمَتَمَعَكِهِ، الْأَرِيئِيُّ: مَحْبَسُ الدَّابَّةِ، وَالْمَتَمَعَكُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَتَمَرَّغُ فِيهِ، رَدَّتِ الْخَيْلُ: رَجَمَتِ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا فِي عَدْوِهَا وَسِيرِهَا، وَأَزْدَاهَا هُوَ، وَقِيلَ: الرَّدْيَانُ: التَّقْرِيبُ، وَقِيلَ: عَدُوُّ الْفَرَسِ، وَرَدَى الْغَرَابُ يَرْدِي: حَجَلَ، وَالْجَوَارِي يَزْدِينُ رَدْيًا إِذَا رَفَعْنَ رِجْلًا وَمَشِينَ عَلَى أُخْرَى يَلْعَبْنَ، وَرَدَى الْغَلَامُ: رَفَعَ رِجْلًا وَقَفَزَ بِالْأُخْرَى، وَرَدَاهُ بِالْحَجَرِ يَرْدِيهِ رَدْيًا رَمَاهُ بِهِ» ا.هـ. لسان [ردى].

٨٨- إِذَا اجْتَهَدْتَ نَظْرًا فِي إِثْرِهِ قُلْتَ: سَنَا أَوْ مَضَّ أَوْ بَرَقُ حَفَا

«اجتهد الرجل في الأمر: بذل وسعه وطاقته في طلبه ليلعب مجهوده ويصل إلى نهايته» كما في المصباح [جهد]، وهو من الجهد بالضم في الحجاز والفتح في غيرهم للوسع والطاقه، وقيل: المضموم: الطاقه، والمفتوح: المشقة، والجهد بالفتح لا غير: النهايه والغايه، وهو مصدر من جهد في الأمر من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب» كما في المصباح أيضاً. «نظراً»، أي في النظر، وهو الإبصار، يعني تأمل الشيء بالعين، كما في المختار [نظر]. «في إثره»، بكسر فسكون، أي في أثره بفتحيتين، «قلت»: جواب إذا، «سنا»: ضوء، «أومض»: لمع وتلألأ، وفي اللسان: «البرق: سوط من نور يزرُّ به الملك السحاب، والبرق: واحد بروق السحاب، والبرق: الذي يلمع في الغيم، والبُرقة: المقدار من البرق [وجعه بَرَق]، وقرئ: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٢٤ / ٤٣] [برق]. وفي التاج: «البرق واحد بروق السحاب، وهو الذي يلمع في الغيم، أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران» [برق]. ا.هـ.

«خفا»: لمع وأضاء، «يقال: خفا البرق يخفو خفواً بالفتح، وعليه اقتصر الجوهرى وخفواً كسمو عن ابن سيده لمعاً ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم، فإن لمع قليلاً ثم

سكن وليس له اعتراض فهو الوَمِضُ، فإن شَقَّ الغيمَ واستطال في الجَوِّ إلى وَسَطِ السماء من غير أن يأخذ يميناً وشمالاً فهو العقيقة، وعن أبي عبيد: الحَقْوُ: اعتراض البرق في نواحي السماء، وفي الحديث سأل عن البرق فقالوا: أَخَفُوا أَمَ وَمِضاً. اهـ تاج [خفا].

٨٩- كأنها الجوزاء في أرساغه والنجم في جبهته إذا بدا

كأنها أداة تشبيه، وهي ملغاة لا عمل لها لكف ما لها عن العمل، قال في التاج: «كأنَّ حرف تشبيه، وأصله أن دخلت عليها الكاف، والعرب تنصب به الاسم وترفع الخبر، وقد يكون بمعنى الجحد كقولك: كأنك أميرنا فتأمرنا، معناه لست أميرنا، أو بمعنى التمني كقولك: كأنني قد قلت الشعر فأجيدَه، معناه ليتني قد قلت الشعر فأجيدَه، وبمعنى العلم والظن كقولك: كأن الله يفعل ما يشاء، وكأنك خارج» اهـ منه. وكأن من أخوات الستة المشبهة بالفعل، وهي إنَّ وأنَّ وكأنَّ ولكنَّ وليت ولعلَّ.

و«الجوزاء»، في لسان العرب: «نجم يقال: إنه يعترض في جوز السماء أي وسطه، والجوزاء من بُرُوج السماء» [جوز]. وفي تاج العروس: «الجوزاء بُرج في السماء، سُميت لأنها معترضة في جوز السماء أي وسطها» اهـ. وفيها: «جوزاء: اسم امرأة» اهـ.

«في أرساغه»، الأرساغ جمع رُسغ، قال في اللسان: «الرُسغ: مَفْصَل ما بين الكف والذراع، وقيل: الرُسغ: مجتمَع الساقين والقدمين، وقيل: هو مَفْصَل ما بين الساعد والكف والساق والقدم، وقيل: هو الموضع المُستدق الذي بين الحافر ومَوْصِل الوظيف من اليد والرجل، وهو الرُسغ بضمَّتين، قال العجاج:

في رُسغٍ لا يَتَشَكَّى الحَوْشَبَا مُسْتَبْطِنًا مع الصَّمِيمِ عَصَبَا

اهـ لسان [رسغ]. وفي المختار: «الرُسغ بسكون السين وضمَّها: الموضع المُستدق الذي بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل»، «ومن الإنسان مَفْصَل ما بين الكف والساعد والقدم إلى الساعد، وضمَّ السين للإتباع لغةً، والجمعُ أرساغ» اهـ مصباح.

«وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ» فِي اللِّسَانِ أَنَّ «النَّجْمَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ، وَهُوَ بِالثَّرِيَاءِ أَحْصَى، فَإِذَا أُطْلِقَ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ هِيَ، وَهِيَ سِتَّةُ أَنْجُمٍ ظَاهِرَةٌ يَتَخَلَّلُهَا نَجُومٌ صَغَارٌ خَفِيَّةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ ارْتَفَعَتِ الْعَاهَةُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا طَلَعَ النَّجْمُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعَاهَةِ شَيْءٌ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا طَلَعَ النَّجْمُ قَطُّ فِي الْأَرْضِ عَاهَةٌ إِلَّا رُفِعَتْ»، وَالْمَرَادُ بِالنَّجْمِ فِي الْحَدِيثِ الثَّرِيَاءُ، وَأَرَادَ بِطُلُوعِهَا طُلُوعَهَا عِنْدَ الصَّبْحِ، وَذَلِكَ فِي الْعِشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ أَيَّارٍ، وَسَقُوطُهَا مَعَ الصَّبْحِ فِي الْعِشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ تَشْرِينَ الْآخِرِ، وَالْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ بَيْنَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا أَمْرًا ضَآءً وَوَبَاءً وَعَاهَاتٍ فِي النَّاسِ وَالْإِبِلِ وَالثَّمَارِ، وَمُدَّةٌ مَغِيْبُهَا بَحِيثٌ لَا تُبْصَرُ فِي اللَّيْلِ نَيْفٌ وَخَمْسُونَ لَيْلَةً، لِأَنَّهَا تَخْفَى بِقُرْبِهَا مِنَ الشَّمْسِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، فَإِذَا بَعُدَتْ عَنْهَا ظَهَرَتْ فِي الشَّرْقِ وَقَتَ الصَّبْحِ، قَالَ الْحَرَبِيُّ: إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَرْضَ الْحِجَازِ لِأَنَّ فِي أَيَّارٍ يَقَعُ الْحِصَادُ بِهَا وَتُدْرِكُ الثَّمَارُ، وَحِينَئِذٍ تُبَاعُ لِأَنَّهَا قَدْ أُمِنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاهَةِ، قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: أَحْسَبُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ عَاهَةَ الثَّمَارِ خَاصَّةً «أَهْلُ لِسَانِ الْعَرَبِ [نَجْم]».

وَفِي التَّاجِ: «النَّجْمُ: الْكَوْكَبُ الطَّالِعُ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، وَقَدْ خَصَّ الثَّرِيَاءَ فَصَارَ لَهَا عَلَمًا، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ اسْمٌ لَهَا عَلَمٌ، وَإِنْ أُخْرِجَتْ الْأَلْفُ وَاللَّامُ تَنَكَّرَ»^١. وَهِيَ وَصَارَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ نَجْمٍ.

«فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ» الْجَبْهَةُ، فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «مَوْضِعُ السُّجُودِ، وَقِيلَ: هِيَ مَسْتَوَى مَا بَيْنَ الْحَاجِبِينَ إِلَى النَّاصِيَةِ، وَجَبْهَةُ الْفَرَسِ مَا تَحْتَ أُذُنَيْهِ وَفَوْقَ عَيْنَيْهِ»، وَفِي التَّاجِ: «جَبْهَةُ الْفَرَسِ مَا تَحْتَ أُذُنَيْهِ وَفَوْقَ عَيْنَيْهِ، وَالْجَمْعُ جِبَاهٌ»^١. إِذَا بَدَأَ، أَيَّ إِذَا ظَهَرَ.

٩٠- هُمَا عَتَادِي الْكَافِيَانِ فَقَدْ مَنْ أَعَدَّدْتُهُ فَلَيْنَا عَنِّي مَنْ نَأَى

الْعِتَادُ، فِي اللِّسَانِ: «أَخَذَ لَهُ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ أَيَّ أَهْبَتَهُ وَآلَتَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَدَبَ النَّاسَ إِلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ مَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ عَمَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ

رسول الله ﷺ: «أما خالدٌ فإيَّهم يَظلمون خالداً، إن خالداً جعل رقيقه وأعتده حُبساً في سبيل الله، وأما العباسُ فإنها عليه ومثلها معها».

الأَعْتَدُ جمع قَلَّةٍ للعتاد، وهو ما أَعَدَّه الرجل من السلاح والدوابِّ وآلة الحرب للجهاد» ا.ه لسان [عتد]. وفي التاج: «العتاد كَسَحَاب، والعُنْدَة كَتُحْفَة: العُدَّة لِأمر ما تهيئه له، التاء مدغمة، والجمعُ أَعْتَدُ وَأَعْتَدَة وَعُتْد، وهو أيضاً ما أُعِدَّ من سلاح ودوابِّ وآلة حرب» ا.ه تاج، وفي المستدرک منه: «إعداد الشيء واعتداده واستعداده وتعداده: إحضاره، والعُدَّة بالضم: ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح ويقال: أخذ للأمر عُدَّتَه وَعَتَادَه بمعنَى، كالأهبة، ابن دُرَيْد: العُدَّة من السلاح: ما اعتدته، خصَّ به السلاح لفظاً، فلا أدري أخصَّه في المعنى أم لا» ا.ه تاج العروس.

الكافِيان، أي اللذان يَكْفِيان ويُغْنِيان ويقومان بي. «فَقَدَ مَنْ أَعَدَّتَهُ». الفَقْد مصدر فَقَدَ الشيء إِذَا عَدِمَهُ وَحُرِمَهُ، أَعَدَّتُهُ: هَيَّأَتْه وَأَحْضَرَتْه. «فَلَيْنَا عَنِّي مَنْ نَأَى»، أي فليبعُد عَنِّي مَنْ بَعُدَ.

٩١- فَإِنْ سَمِعْتَ بِرَحَىٍ مَنْصُوبَةٍ لِلْحَرْبِ فاعْلَمْ أَنَّي قُطْبُ الرَّحَى

قال في تاج العروس: «الرَّحَى: الحجرَ المعلوم الذي يُطْحَن به، ومن المجاز الرَّحَى: حَوْمَةُ الحرب ومعظمها، والجمع الأَرْحِيَّة، قال الشاعر:
ودارت الحربُ كدَوْرِ الأَرْحِيَّةِ

قال ابن الأثير: «يقال: دارت رَحَى الحرب إذا قامت على ساقها، وأصل الرَّحَى: التي يُطْحَن بها» ا.ه. وفي اللسان: «قال مهلهل بن ربيعة التغلبي: [الأصمعيات ١٥٥]

كَانَا غُدُوءَ وَبَنِي أَبِينَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةِ رَحِيَا مُدِيرِ

ورَحَى الحرب حومتها، قال:

ثُمَّ بِالنَّيِّرَاتِ دَارَتْ رَحَانَا وَرَحَى الحربِ بالكُمَاةِ تَدَوْرُ

وَأَنشَدَ ابْنَ بَرِيٍّ لِشَاعِرٍ:

فَدَارَتْ رَحَانًا بِفُرْسَانِهِمْ فَعَادُوا كَأَن لَمْ يَكُونُوا رَمِيمًا

وفي المصباح: «رَحَى الحرب: حَوَّمْتُهَا، ودارت عليه رَحَى الموت إِذَا نَزَلَ بِهِ» ا.هـ.

«منصوبة» أَي مرفوعةٌ أعلامُها، قال في اللسان: «النَّصَبُ: إِقامة الشيء ورفعه»، وفيه:

«عن اللَّيْثِ: النَّصَبُ: رَفْعُكَ شَيْئًا تَنْصِبُهُ قَائِمًا مُنْتَصِبًا»، وفيه: «النَّصَبُ مصدر نَصَبَ

الشَّيْءَ إِذَا أَقَامَهُ» ا.هـ لسان، وفيه أَيضاً: «نَصَبَ لَهُ الحَرْبَ نَصَبًا: وَضَعَهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ رُفِعَ

وَاسْتُقْبِلَ بِهِ شَيْءٌ فَقَدْ نُصِبَ، وَالنَّصَبُ: وَضَعُ الشَّيْءِ وَرَفْعُهُ، وَنَصَبَ الشَّيْءَ: أَقَامَهُ،

وَنَصَبَتِ الخَيْلُ آذَانَهَا: شُدَّتْ لِلكثرةِ أَوْ لِلْمبالغةِ» ا.هـ لسان [نصب].

وفي الصحاح: «نَصَبْتُهُ: أَقَمْتُهُ، وَنَصَبَتِ الخَيْلُ آذَانَهَا، شُدَّتْ لِلكثرةِ وَالمبالغةِ» رجع

النقل من اللسان: «وَنَصَبَهُ الشَّرَّ وَالحَرْبَ وَالعداوَةَ مَنَصَبَةً: أَظْهَرَ لَهُ، وَنَصَبَهُ، وَكُلُّهُ مِنْ

الانْتِصَابِ» ا.هـ لسان. والمراد في البيت الوَضْعُ، يعني فَإِن سَمِعْتَ بِرَحَى مَوْضُوعَةٍ

لِلحَرْبِ فَاعْلَمْ، إِخ.

«لِلحَرْبِ». الحرب: القتال، قال في اللسان: «الحرب نقيض السلم، وحكى ابن

الأعرابي فيها التذكير والتأنيث وأنشد:

وَهُوَ إِذَا الحَرْبُ هَفَا عَقَابُهُ كَرَهُ اللِّقَاءَ تَلْتَلِظِي حِرَابُهُ

وفلان حَرْبٌ أَي عدوٌّ مُحَارِبٌ، قال نُصَيْبٌ: [ديوانه ٦٠]

وَقُولَا لَهَا يَا أُمَّ عُثْمَانَ خُلَّتِي أَسَلِمْتُ لَنَا فِي حُبْنَا أَنْتِ أُمَّ حَرْبُ

وقوله تعالى: ﴿فَأَذْنُوبُ الحَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢/٢٧٩]، أَي بقتل، ورجل حَرْبٌ

وَمُحْرَبٌ وَمُحْرَابٌ: شَدِيدُ الحَرْبِ شَجَاعٌ، وَقِيلَ: مُحْرَبٌ وَمُحْرَابٌ: صَاحِبُ حَرْبٍ» ا.هـ لسان

[حرب]. قلت: والله دُرُّ القائل: [ديوان ابن حيوس ٩٩]

ما أَحْسَنَ المِحْرَابِ فِي المِحْرَابِ

.....

أَيُّ مَا أَحْسَنَ الرَّجُلَ الشَّجَاعَ الْعَارِفَ بِالْحُرُوبِ إِذَا كَانَ يُلَازِمُ عَلَى الْحُضُورِ فِي
مَوَاضِعِ الطَّاعَةِ وَمَوَاطِنِ الْعِبَادَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

«فَاعْلَمْ أَنَّنِي قُطْبُ الرَّحَى» أَيُّ فَا عَرَفَ مَنْزِلَتِي الَّتِي فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَمُعْتَرَكِ الطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ، فِي اللِّسَانِ [قُطْب]: «الْقُطْبُ: الْحَدِيدَةُ الْقَائِمَةُ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا الرَّحَى، وَفِي
التَّهْذِيبِ: الْقَائِمُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ الرَّحَى، وَفِي الصَّحَاحِ: الَّتِي تَدُورُ حَوْلَهَا الْعُلْيَا، ابْنُ
الْأَثِيرِ: الْحَدِيدَةُ الْمُرَكَّبَةُ فِي وَسَطِ حَجَرِ الرَّحَى السُّفْلَى، وَقُطْبُ الْفَلَكَ: مَدَارُهُ، وَقِيلَ:
الْقُطْبُ: كَوْكَبٌ بَيْنَ الْجَدِيِّ وَالْفَرَاقِدِيِّ يَدُورُ عَلَيْهِ الْفَلَكَ، صَغِيرٌ أَيْضًا لَا يَبْرُحُ مَكَانَهُ أَبَدًا،
شُبِّهَ بِقُطْبِ الرَّحَى، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنَ الرَّحِيِّ يَدُورُ عَلَيْهِ الطَّبَقُ
الْأَعْلَى، وَتَدُورُ الْكَوَاكِبُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْقُطْبُ، أَبُو عَدْنَانَ: الْقُطْبُ أَبَدًا
وَسَطُ الْأَرْبَعِ مِنْ بَنَاتِ نَعْشٍ، وَهُوَ كَوْكَبٌ صَغِيرٌ لَا يَزُولُ الدَّهْرَ، وَالْجَدِيُّ وَالْفَرَاقِدَانُ تَدُورُ
عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ حَاشِيَةً فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ ابْنِ الصَّلَاحِ^(١) الْمَحْدُثِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: الْقُطْبُ لَيْسَ
كَوْكَبًا، وَإِنَّمَا هُوَ بُقْعَةٌ مِنَ السَّمَاءِ قَرِيبَةٌ مِنَ الْجَدِيِّ، وَالْجَدِيُّ: الْكَوْكَبُ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ الْقِبْلَةُ
فِي الْبِلَادِ الشَّمَالِيَّةِ، ابْنُ سَيِّدِهِ: الْقُطْبُ: النَّجْمُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ، وَقُطِبَ كُلُّ شَيْءٍ
مِلاَكُهُ، وَصَاحِبُ الْجَيْشِ قُطْبُ رَحَى الْحَرْبِ، وَقُطِبَ الْقَوْمُ سَيِّدَهُمْ، وَفُلَانٌ قُطْبُ بَنِي
فُلَانٍ أَيُّ سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ» ا.هـ لِسَانُ الْعَرَبِ.

وَالْمُرَادُ فِي الْبَيْتِ صَاحِبُ الْجَيْشِ وَأَمِيرُهُمْ وَرِئِيسُهُمُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَاللَّهُ

أَعْلَمُ، وَبَعْضُهُمْ: [دِيوَانُ عَنْتَرَةَ ٣٠١]

فَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قُطْبِهَا الرَّحَى وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرَّجَالِ الصَّفَائِحُ

وَبَعْدَهُ قَالَ النَّازِمُ:

(١) هُوَ أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ابْنُ الصَّلَاحِ، تَقِيُّ الدِّينِ، عَالِمٌ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، تُوْفِيَ

٩٢- وَإِنْ رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَظِي فاعلمْ بِأَيِّ مُسْعِرٍ ذَاكَ اللَّظَى

الواو عاطفة، إن شرطية، رأيت: أبصرت أو علمت، نار حرب تلتظي: أي تشتعل،

من «اللظى النار، وقيل: هي اللهب الخالص، قال الأفوه: [ديوانه ٦]

في موقفٍ ذرب الشبّا وكأنا فيه الرجال على الأطائم واللظى

ويُروى «في موطن»، ولظى: اسم جهنم - نعوذ بالله منها، غير مصروف، وهي معرفة

لا تُنون، ولا تنصرف للعلمية والتأنيث، سُميت بذلك لأنها أشد النيران، والتظت:

التهبت وتلظت: تلهبت، وكذلك لظيت تلظى لظى، وأنشد ابن جني:

وبين للوشاة غداة بانَتْ سُلَيْمَى حَرٍّ وَجَدِي وَالتَّظِيَه

أراد والتظايه، فقصر للضرورة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْتَظِي﴾ [الليل:

٩٢/١٤] أي توهج وتوقد، ويقال: فلان يتلظى على فلان تلظياً إذا توقد عليه من شدة

الغضب، وجعل ذو الرمة اللظى شدة الحر فقال:

وحتى أتى يومٌ يكاد من اللظى ترى اليوم في أفحوصه يتصيح

أي يتشقق، وفي حديث خيفان لما قدم على عثمان: «أما هذا الحي من بلحوث بن كعب

فحسك أمراس تلتظي المنية في رماحهم» أي تلتهب وتضطرم من لظى، وهو اسم من

أسماء النار، والتظت الحرب: اتقدت على المثل، أنشد ابن الأعرابي:

وهو إذا الحرب هفا عقابه كره اللقاء تلتظي حرايه

وتلظت المفازة: اشتد لهبها، وتلظى غضباً، والتظى: اتقد» اهـ لسان العرب [لظى].

«مسعر»: أي موقد، اسم فاعل من أسعر النار إسعاراً إذا أوقدها، كسعرها يسعرها

سعراً وسعرها تسعيراً، قال في تاج العروس: «سعر النار والحرب كمنع يسعرها سعراً:

أوقدها وهيجهها كسعرها تسعيراً وأسعرها إسعاراً، وفي الثاني مجاز، أي الحرب، والميسر

بالكسر: ما سعرت به النار، أي ما تحرك به النار من حديد أو خشب كالمسعر، والجمع

مَسَاعِيرٍ وَمَسَاعِيرٍ، ومن المَجَازِ المِسْعَرِ مُوقِدَ نارِ الحربِ، يقال: هو مِسْعَرُ حَرْبٍ، إِذَا كَانَ يُؤرِّثُهَا، أَي تَحْمِي بِه الحربِ، وفي الحديث: «وَأَمَّا هَذَا الحَيِّ مِنْ هَمْدَانَ فَأَنْجَادُ بُسْلٍ مَسَاعِيرٍ غَيْرُ عَزْلٍ» [سعر].

وفي اللسان: وسَعَرَ النَّارَ والحَرْبَ يَسْعُرُهَا سَعْرًا وَأَسْعَرَهَا وَسَعَّرَهَا: أَوْقَدَهَا وَهَيَّجَهَا، وَاسْتَعَرَتْ وَتَسَعَّرَتْ: اسْتَوْقَدَتْ، وَالْمِسْعَرُ وَالْمِسْعَارُ مَا سَعُرَتْ بِهِ، وَيُقَالُ لَمَّا تَحَرَّكَ بِهِ النَّارُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ: مِسْعَرٌ وَمِسْعَارٌ، وَتَجْمَعُ عَلَى مَسَاعِيرٍ وَمَسَاعِرٍ، وَمِسْعَرُ الحَرْبِ: مُوقِدُهَا، يُقَالُ: رَجُلٌ مِسْعَرٌ حَرْبٍ إِذَا كَانَ يُؤرِّثُهَا، أَي تَحْمِي بِه الحربِ، وفي حديثِ أَبِي بَصِيرٍ: «وَيُلَمَّهُ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ»، يَصِفُه بِالمبالغةِ فِي الحَرْبِ وَالنَّجْدَةِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ خَيْفَانَ: «وَأَمَّا هَذَا الحَيِّ مِنْ هَمْدَانَ فَأَنْجَادُ بُسْلٍ مَسَاعِيرٍ غَيْرُ عَزْلٍ» [لسان]. «ذَاكَ اللَّطْيُ» أَي ذَاكَ اللَّهْبُ أَوْ النَّارُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ اللَّطْيِ.

٩٣- خَيْرُ النَّفُوسِ السَّائِلَاتُ جَهْرَةً عَلَى ظُبَاتِ المُرْهَفَاتِ وَالقَنَا

«خَيْرَ النَّفُوسِ»: أَحْسَنُهَا وَأَشْرَفُهَا وَأَكْمَلُهَا وَأَسَاها وَأَرْفَعُهَا وَأَكْرَمُهَا وَأَعَزُّهَا، النَّفُوسُ تَطَلَّقَ عَلَى الدَّوَاتِ، أَي خَيْرُ الأَجْسَامِ، وَباعتبارِ أَرْبابِها، أَي خَيْرُ الأَشْخاصِ، وَعَلَى الدَّمِ، أَي خَيْرُ الدَّمَاءِ، وَهَذَا هُوَ الأَقْرَبُ، وَلِلنَّفْسِ مَعانٍ كَثِيرَةٌ جَمَعُها أَوْ غالِبَها التَّاجُ فَقَالَ: «النَّفْسُ: الرُّوحُ، وَالدَّمُ والجَسَدُ والعَيْنُ، وَالعِنْدُ والحَقِيقَةُ وَعَيْنُ الشَّيْءِ وَقَدْرُ دِبْعَةٍ وَالعِظْمَةُ وَالعِزَّةُ وَالهَمَّةُ وَالأَنْفَةُ وَالعَيْبُ وَالإِرَادَةُ وَالعُقُوبَةُ وَالإِنْسَانُ جَمِيعُهُ رُوحُهُ وَجَسَدُهُ، وَالنَّفْسُ: الأَخُ، شَاهِدُ الرُّوحِ قَوْلُهُمْ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ وَفَاطَتْ، قَالَ أَبُو خِرَاشٍ، وَقِيلَ: حُدَيْفَةُ بْنُ أَنَسٍ الهَذَلِيُّ: [أَشعارُ الهذليين ٥٥٨]

نَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشِدْقِهِ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنَ سَيْفٍ وَمُتَزَّرًا

وقوله: «نَجَا سَالِمٌ» وَلَمْ يَنْجُ» كقولهم: أَفَلَتَ فُلَانٌ وَلَمْ يُفَلِتْ، إِذَا لَمْ تُعَدَّ سَلامَتُهُ سَلامَةً، وَالمعنى: لَمْ يَنْجُ سَالِمٌ إِلَّا بِجَفَنِ سَيْفِهِ وَمُتَزَّرِهِ، وَانْتِصَابُ الجَفَنِ عَلَى الاستِثْناءِ المَنْقُوعِ، أَي لَمْ

يَنْجُ سَالِمٌ إِلَّا جَفَنَ سَيْفٌ، وَجَفَنُ السَّيْفِ مَنْقَطَعٌ مِنْهُ، وَمِنْهُ أَيْضاً، أَيُّ مِنْ شَوَاهِدِ النَّفْسِ
بِمَعْنَى الرُّوحِ قَوْلُهُ:

كَادَتْ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ إِذْ ثَوَى حَشَوَ رِبْطَةً وَبُرُودَ

وَأَمَّا النَّفْسُ بِمَعْنَى الدَّمِ فَشَاهِدُهُ قَوْلُ السَّمَوَالِ: [ديوانه ١٣]

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَليستْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ تَسِيلُ

وشاهدُها بِمَعْنَى الجَسَدِ قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ يَحْرُضُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ عَلَى بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ

قَتَلَتْهُ أَيْبَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ يَوْمَ عَيْنِ أَبَاغٍ، وَيَزْعَمُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ شَمْرِ الحَنْفِيَّ قَتَلَهُ: [ديوانه ٤٧]

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا أَيَّامَهُمْ تَامُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ

فَلَيْسَ مَا كَسَبَ ابْنُ عَمْرٍو رَهْطَهُ شَمْرٌ وَكَانَ بِمَسْمَعٍ وَبِمَنْظَرٍ

وشاهدُ النَّفْسِ بِمَعْنَى العَيْنِ فِي الْحَدِيثِ: «نَهَى عَنِ الرَّقِيَّةِ إِلَّا فِي النَّمْلَةِ وَالْحَمَّةِ

وَالنَّفْسِ»، فَالْنَمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ، وَالْحَمَّةُ: سُمٌّ كُلُّ شَيْءٍ يَلْدَغُ أَوْ يَلْسَعُ وَالْإِبْرَةُ الَّتِي

تَضْرِبُ بِهَا الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ وَنَحْوُهُمَا، وَالنَّفْسُ: الْعَيْنُ، يُقَالُ: نَفَسَ بِنَفْسِ أَيَّ أَصَابَهُ بَعِينٌ،

فَهُوَ نَافِسٌ، أَيُّ عَائِنٌ، وَذَلِكَ مَنْفُوسٌ، أَيُّ مَعْيُونٌ، وَيُقَالُ: نَفُوسَ مَا أَنْفَسَهُ، أَيُّ عَيُونٌ

حَسُودٌ مَا أَشَدَّ عَيْنَهُ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الْكَلَابُ مِنَ الْجَنِّ، فَإِنْ غَشِيَتْكُمْ عِنْدَ

طَعَامِكُمْ فَأَلْقُوا لَهْنَ، فَإِنَّ لَهْنَ أَنْفُسًا أَيُّ أَعْيُنًا».

وشاهدُها بِمَعْنَى عِنْدَ ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦/٥] أَيُّ

مَا عِنْدِي أَوْ حَقِيقَتِي وَحَقِيقَتَكَ، أَوْ عَيْبِي وَعَيْبِكَ، وَهَذَا رَجَّحَهُ فِي التَّاجِ.

وشاهدُها بِمَعْنَى عَيْنِ الشَّيْءِ وَكُنْهَهُ وَجَوْهَرَهُ مَا يُوَكِّدُ بِهَا، نَحْوُ: «جَاءَ الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ».

وشاهدُها بِمَعْنَى قَدْرٍ دَبَّغَةٍ مَا أَنْشَدَهُ ثَعْلَبُ:

وَذِي أَنْفُسٍ شَتَّى ثَلَاثٍ رَمَتْ بِهِ عَلَى الْمَاءِ إِحْدَى الْيَعْمَلَاتِ الْعَرَامِسُ

يعني الوَطْبُ الَّذِي دُبَّغَ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الدَّبَاغِ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ

نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠/٣] أَيُّ عَقُوبَتِهِ.

والنفس أيضاً الأَخ، وشاهده ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور]:

٦١/٢٤ قال في التاج: «وقريبٌ منه ما فسّر به ابن عرفة^(١) قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢/٢٤]، أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم» ١. هـ من

التاج واللسان [نفس]. والمراد في البيت الدماء كما في بيت السّمومأل:

تَسِيلُ عَلَىٰ حَدِّ الطُّبَاتِ نُفُوسُنَا... إلخ

كما هو ظاهر. «السائلاتُ جَهْرَةٌ» التي تَسِيلُ عَيْنًا، يقال: سَالَ المَاءُ يَسِيلُ إِذَا جَرَى.

جَهْرَةٌ، قال في اللسان: الجَهْرَةُ: ما ظَهَرَ؛ وراه جَهْرَةٌ لم يكن بينهما سِتْرٌ، ورأيتُه جَهْرَةٌ

وكلمته جَهْرَةٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣/٤]، أي غير مُسْتَتِرٍ

عَنَّا بشيءٍ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥/٢] قال ابن عرفة: أي غير

مُحْتَجِبٍ عَنَّا، وقيل: أي عيانًا، أي يُكشَفُ ما بيننا وبينه، يقال: جَهَرْتُهُ: كَشَفْتُهُ، وجَهَرْتُهُ:

رَأَيْتُهُ بلا حجاب بيني وبينه، والجَهْرُ: العلانية» [جهر].

وفي التاج: جَهَرَ كَمَنَعَ، عَلَنَ وَبَدَأَ، وفي المفردات للراغب: «أَصْلُ الجَهْرِ: ظهورُ الشيء

بِإِفْرَاطٍ إِمَّا بِحَاسَّةِ البصر كَرَأَيْتُهُ جَهَارًا، وَإِمَّا بِحَاسَّةِ السَّمْعِ، نَحْوُ: ﴿وَإِن تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ﴾

[طه: ٧/٢٠]، ومنه الجَوْهَرُ فَوَعَلَ مِنَ الجَهْرِ لظهوره للحاسَّة، وَجَهَرَ الكَلَامَ وَبِهِ: أَعْلَنَ بِهِ

كَأَجْهَرَ، وكذا جَهَرَ بدعائه وصلاته وقراءته، وَأَجْهَرَ بقراءته لغةً، وَجَهَرَ بالقول: أَعْلَنَهُ،

وَجَهَرَ الصوتَ أَعْلَاهُ، وَأَجْهَرَ: أَعْلَنَ، وَكُلُّ إِعْلَانِ جَهْرٌ، وَجَهَرَ الرَّجُلُ: رَأَى بِلا حجاب،

أَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَعَظُمَ فِي عَيْنَيْهِ وَرَاعَهُ جَمَالُهُ وَهَيْئَتُهُ كَأَجْتَهَرَهُ فِيهَا» ١. هـ تاج.

«على ظُبَاتِ المُرْهَفَاتِ والقَنَا» «الظُّبَاتُ جَمْعُ ظُبَةٍ، وَهِيَ حَدُّ السِّيفِ والسَّنَانِ والنَّصْلِ

(١) هو محمد بن محمد بن عرفة الوردغمي التونسي المالكي أبو عبد الله، برع في علوم عدة، توفي ٨٠٣ هـ.

والخنجر وما أشبه ذلك». وقال أيضاً: «الظُّبَةُ للسيف: حدُّه، وهو ما يلي طرفَ السيف، ومثله دُبَابُهُ وَظُبَّةُ السَّهْمِ: طرفه، قال بشامة بن حري النهشلي:

إِذَا الْكُفَاهُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وَظُبَّةُ السَّيْفِ: طَرَفُهُ وَحَدُّهُ، وَالْجَمْعُ طُبَاتٌ وَظُبُونٌ وَظُبُونٌ، قَالَ الْكَمِيتُ:
يَرَى الرَّأْوُونَ بِالشَّفَرَاتِ مِنَّا وَقُودَ أَبِي حُبَابِ وَالظُّبِينَا

وفي حديث عليّ كرم الله وجهه: «نافحوا بالطُّبَى» هي جمع ظُبة السيف، وهي طرفه وحده» ١.هـ. وفي التاج: «الظُّبَةُ: حدُّ السيف أو السنان أو نحوهُ، والجمع أَظْبٍ وَطُبَاتٌ بالضمِّ، والتاء مطوَّلةٌ، كما في النسخ، وأيضاً مقصورة، وهو الصحيح، ومنه قول بشامة ابن حري:

إِذَا الْكُفَاهُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وَظُبُونٌ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، قَالَ كَعْبٌ: [ديوانه ٢١٤]

تَعَاوَرُ أَيَّامَهُمْ بَيْنَهُمْ كُؤُوسُ الْمَنِيَا بِحَدِّ الطُّبِينَا
وَظُبَى كَهْدَى، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: «نَافِحُوا بِالطُّبَى» ١.هـ. تاج [ظبا].

وفي الصحاح: «ظُبَةُ السيف وظُبَةُ السهم: طرفه، قال بشامة بن حري النهشلي:

إِذَا الْكُفَاهُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وَأَصْلُهَا ظُبُو، وَالْهَاءُ عَوْضٌ مِنَ الْوَاوِ، وَالْجَمْعُ أَظْبٍ فِي أَقْلِ الْعَدَدِ كَأَذْلٍ، وَطُبَاتٌ
وَظُبُونٌ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، قَالَ كَعْبٌ:

تَعَاوَرُ أَيَّامَهُمْ بَيْنَهُمْ كُؤُوسُ الْمَنِيَا بِحَدِّ الطُّبِينَا

١.هـ. «المُرْهَفَاتِ وَالْقَنَاتِ» السيوف والرماح، قال في اللسان: «رَهْفَتُ سَيْفِي وَأَرْهَفْتُهُ: رَفَقْتُهُ، فَهُوَ مَرْهُوفٌ وَمُرْهَفٌ، أَي رَفَّتْ حَوَاشِيهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ مُرْهَفٌ، وَأَمَّا مَرْهُوفٌ فَفَقِيلٌ كَرَهِيْفٌ، وَأَرْهَفَ الْمُدِيَةَ: سَنَّهَا، وَرَهْفَ رَهَافَةً فَهُوَ رَهِيْفٌ: لَطْفٌ وَرَقٌّ» ١.هـ. ببعض تصرّف [رهف].

وفي التاج: «رَهَفَ السيفَ كَمَنَعَ: رَقَّه كَأَرْهَفَهُ، وقد رَهَفَ كَكْرَمَ رَهَافَةً وَرَهَفًا مَحْرَكَةً: دَقٌّ، وفي بعض النسخ: رَقَّ وَلَطَّفَ، وِفْرَسٌ مُرْهَفٌ كَمُكْرَمٍ: خَامِصُ الْبَطْنِ لَا حِقُّهُ مِتْقَارِبُ الصُّلُوعِ، وَهُوَ عَيْبٌ، وَرَجُلٌ مُرْهُوفٌ الْبَدَنُ أَيُّ لَطِيفُ الْجِسْمِ رَقِيقُهُ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَيُقَالُ: مُرْهَفُ الْجِسْمِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَأُذُنٌ مُرْهَفَةٌ: دَقِيقَةٌ، وَيُقَالُ: شَحَذْتَ عَلَيْنَا لِسَانَكَ وَأَرْهَفْتَهُ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ: أَرْهَفَ غَرْبَ ذَهْنِكَ لَمَّا أَقُولُ، كَمَا فِي الْأَسَاسِ، وَالرَّهْفُ بِالْفَتْحِ: الرَّقَّةُ وَاللُّطْفُ، لَعْنَةٌ فِي الرَّهْفِ بِالتَّحْرِيكِ كَمَا فِي الْمُحْكَمِ [٤/٢١٨]» ١. هـ تاج العروس [رهف].

وفي الصحاح: «أَرْهَفْتُ سَيْفِي: رَقَّقْتُهُ فَهُوَ مُرْهَفٌ» ١. هـ، ولم يزد على ذلك.

والقناة: الرماح، عن التاج «القناة: الرُمح، وعن الأزهرِيِّ: القَنَاةُ: مَا كَانَ أَجُوفًا كَالْقَصْبَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْقَنَاةِ الَّتِي تَجْرِي تَحْتَ الْأَرْضِ قَنَاةً، وَلِمَجَارِي مَائِهَا الْقَصَبُ تَشْبِيهًا بِالْقَصَبِ الْأَجُوفِ، وَقِيلَ: كُلُّ عَصَاً مُسْتَوِيَةً فِيهَا قَنَاةٌ، وَقِيلَ: وَلَوْ مُعْوَجَّةً، وَفِي التَّهْذِيبِ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ: كُلُّ خَشْبَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ قَنَاةٌ وَعَصَا، وَالْقَنَاةُ كَطَيْمَةِ تَحْفَرُ فِي الْأَرْضِ لَجْرِيَانِ الْمِيَاهِ، وَهِيَ الْآبَارُ الَّتِي تَحْفَرُ فِي الْأَرْضِ مُتَابِعَةً لِيُسْتَخْرَجَ مَائُهَا وَيَسِيحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَيُقَالُ: الْهُدْهُدُ قَنَاةُ الْأَرْضِ وَمُقَنِّيهَا بِالتَّشْدِيدِ فِيهَا، أَيُّ عَالَمٌ بِمَوَاضِعِ الْمَاءِ مِنْهَا» ١. هـ تاج العروس [قنا].

٩٤- إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ أَهْلَهُ مِنْ شَنَاةٍ صَدَّيْ وَلَا قِلَى

قال في التاج: «العراق بلاد معروفة من فارس، حدُّها من عبادان إلى الموصل طويلاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً لتواشج عُروق النخل والشجر فيها، أو سُمي بعراق المِزَادَةِ لِجِلْدَةِ تُجْعَلُ عَلَى مُلْتَقَى طَرَفِي الْجِلْدِ إِذَا خُرَزَ فِي سَفْلِهَا لِأَنَّ الْعِرَاقَ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالْبَرِّ، أَوْ لِأَنَّهُ عَلَى عِرَاقِ دِجْلَةَ وَالْفِرَاتِ عِدَاءً أَيُّ شَاطِئِهَا تَتَابَعًا حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ، أَوْ مَعْرَبُ إِيرَانَ شَهْرٌ، وَمَعْنَاهُ كَثِيرَةُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ، وَالْعِرَاقَانِ الْبَصْرَةَ وَالْكَوْفَةَ» ١. هـ تاج [عرق].

إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ أَهْلَهُ مِنْ شَنَّانٍ صَدَّنِي وَلَا قَلِي

العراق مرّ قريباً، لم أفارق، أي أزايل، أهله: سكائه ومن كان هو أهلاً به، والشَّنان بسكون النون وفتحها: البُغض، يقال: شَنَنَهُ يَشْنُوهُ وَشَنَّاهُ يَشْنَأُهُ كما في اللسان، فإنه قال: «الشَّناءة كالشَّناعة: البُغض، شَنَنَهُ وَشَنَّاهُ يَشْنُوهُ فِيهِمَا شَنَّاً وَشَنَّاً وَشَنَّاءً وَمَشْنَأَةً وَمَشْنُوَّةً وَشَنَّاناً وَشَنَّاناً بالتحريك والتسكين: أَبْغَضَهُ، وَفُرِيَ بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥ / ٢، ٨]، فَمَنْ سَكَّنَ فَقَدْ يَكُونُ مَصْدَرًا كَلِيًّا، وَيَكُونُ صِفَةً كَسَكَّرَانَ، أَي مُبْغِضٌ قَوْمٌ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَهُوَ شَاذٌ فِي اللَّفْظِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ شَيْءٌ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَيْهِ، وَمَنْ حَرَّكَ فَإِنَّهَا هُوَ شَاذٌ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ فَعْلَانَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِنَاءِ مَا كَانَ مَعْنَاهُ الْحَرَكَةُ وَالِاضْطِرَابَ كَالضَّرْبَانَ وَالْحَفَقَانَ، وَفِي التَّهْذِيبِ: الشَّانَانُ مَصْدَرٌ عَلَى فَعْلَانَ كَالنَّزَوَانَ وَالضَّرْبَانَ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِسُكُونِ النُّونِ، وَهَذَا يَكُونُ اسْمًا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ بَعْضُ قَوْمٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُعْرِفُ بِأَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ مَعَهُ تَعَدُّ شَدِيدٌ وَإِقْدَامٌ عَلَى الطَّعْنِ فِي السَّلَفِ، فَحَكَيْتُ ذَلِكَ لِأَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ: هَذَا مِنْ ضَيْقِ عَطْنِهِ وَقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ: [شرح ديوانه ٥٧٢]

فَأُقْسِمُ لَا أُدْرِي أَجَوْلَانُ عَابِرَةٌ تَجُودُ بِهَا الْعَيْنَانِ أَحْرَى أَمِ الصُّبْرِ

قال: قلت له: هذا وإن كان مصدرًا ففيه الواو، فقال: قد قالت العرب: وَشَكَانَ ذَا إِهَالَةٍ وَحَقْنَا، فَهَذَا مَصْدَرٌ وَقَدْ أَسْكَنَهُ، وَالشَّانَانُ بغير هَمْزٍ كَالشَّانَانِ، وَأَنْشُدُ لِلْأَخْوَصِ: [ديوانه ٨٠]

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَدُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّانَانِ وَفَنَّدَا

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣ / ١٠٨]، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَائِرِ إِخْوَانِهِ وَسَلَّم: إِنَّ مُبْغِضَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ، وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: شَنَنْتُهُ: أَبْغَضْتُهُ، وَشَنَّاتُهُ بِالْفَتْحِ رَدِيئَةٌ^١ هـ. مِنْ اللَّسَانِ [شَنَأٌ] بِتَصْرُفٍ قَلِيلٍ تَافَهُ مَعَ الْمُرَاعَاةِ لَهُ

والمحافظة عليه ولا سبياً في الضبط والشكل وحركات الحروف، فكن مطمئن القلب ساكن البال. صَدَّنِي: صَرَفَنِي، وَلَا قَلِي: وَلَا هَجَر.

٩٥- وَلَا اطَّبَى عَيْنِي مُذْ فَارَقْتُهُمْ شَيْءٌ يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْ هَذَا الْوَرَى

وَلَا اطَّبَى أَي وَلَا اسْتَهَالَ، فِي التَّاج: «طَبَّاهُ عَنْهُ يَطْبِيهِ مِنْ بَابِ رَمَى: صَرَفَهُ عَنْهُ

وَمَنْعَهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ دَعَاهُ، قَالَ ذُو الرُّمَّة: [شرح ديوانه ٣٨]

لِيَالِي اللّهُوَ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبٌ

كَاطَّبَاهُ عَلَى افْتَعَلَهُ، وَطَبَّاهُ يَطْبِيهِ: قَادَهُ، وَبِهِ فُسْرٌ أَيْضاً قَوْلُ ذِي الرُّمَّة السَّابِقُ، أَي لِيَالِي

اللّهُوَ يَقُودُنِي، وَطَبَّاهُ يَطْبُوهُ طَبُوءاً: دَعَاهُ، لَعْنَةٌ فِي الْيَائِي، زَادَ شَمْرٌ دَعَاءً لَطِيفاً، وَرُوي أَيْضاً

بَيْتُ ذِي الرُّمَّة السَّابِقُ: لِيَالِي اللّهُوَ يَطْبُونِي...

بِالْوَاوِ كَاطَّبَاهُ عَلَى افْتَعَلَهُ، وَيُقَالُ: اطَّبَى الْقُلُوبَ، أَي تَحَبَّبَ إِلَيْهَا، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ

الرُّبَيْرِ: «إِنَّ مُصْعَباً اطَّبَى الْقُلُوبَ حَتَّى مَا تَعَدَّلَ بِهِ»، أَي تَحَبَّبَ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ وَقَرَّبَهَا مِنْهُ،

كَذَا فِي النِّهَايَةِ [٢/١٠٤]، وَاطَّبَّاهُ: اسْتَهَالَ^١. اه تاج العروس بتصرف يسير مع المحافظة على

تمام معنى الأصل وغالب ألفاظه [طبي].

وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «طَبَّيْتُهُ عَنْهُ: صَرَفْتُهُ، وَطَبَّيْتُ فُلَانًا فُلَاناً يَطْبِيهِ عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَكُلُّ

شَيْءٍ حَرَفَ شَيْئاً عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ طَبَّاهُ عَنْهُ، وَطَبَّيْتُهُ إِلَيْنَا وَأَطْبَيْتُهُ: دَعَوْتُهُ» كَذَا فِي اللِّسَانِ^(٢)،

وَقِيلَ: دَعَاءٌ لَطِيفاً، وَقِيلَ: قُدَّتُهُ، وَأَنْشَدَ:

لِيَالِي اللّهُوَ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبٌ

وَيُرُوي «يَطْبُونِي» أَي يَقُودُنِي، وَطَبَّاهُ يَطْبُوهُ وَيَطْبِيهِ: دَعَاهُ، وَكَذَا اطَّبَّاهُ عَلَى افْتَعَلَهُ، وَفِي

حَدِيثِ ابْنِ الرُّبَيْرِ: «إِنَّ مُصْعَباً اطَّبَى الْقُلُوبَ حَتَّى مَا تَعَدَّلَ بِهِ»، أَي تَحَبَّبَ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ

وَقَرَّبَهَا مِنْهُ، يُقَالُ: طَبَّاهُ يَطْبُوهُ وَيَطْبِيهِ إِذَا دَعَاهُ وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ وَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَاطَّبَّاهُ يَطْبِيهِ

افْتَعَلَ مِنْهُ، قُلِبَتِ التَّاءُ طَاءً وَأُدْغِمَتْ. اه لسان وتاج العروس، بتحرُّ تام.

قلبي أي فؤادي، قال في التاج: «القلب: الفؤاد أو مُضغَةٌ منه معلّقة بالنياط، أو القلب أخصّ من الفؤاد لأنه معنى من المعاني، ويشهد له حديث «أتاكم أهل اليمن هم أرقّ قلوباً وألين أفئدة» فوصف القلوب بالرفقة والأفئدة باللين لأنه أخصّ من الفؤاد، ولذلك قالوا: أصبت حبة قلبه وسويداء قلبه، وقيل: هما قريبان من السواء، وكرّر ذكرهما لاختلاف اللفظين تأكيداً، قال شيخنا: وقيل: الفؤاد وعاء القلب، وقيل: داخله، وقيل: غشاؤه، ويُطلق على العقل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧/٥٠] أي عقل، وقيل: لمن كان له تفهّم وتدبّر، وعدّ ابن هشام في «شرح الكعبية» من معاني القلب أربعة، الفؤاد والعقل، وخلاصة كلّ شيء وخياره، ومن المجاز هو عربيّ قلب، أي خالص، وفي الحديث: «كان عليّ قرشياً قلباً، أي خالصاً من صميم قريش، وقيل: أراد فيها فطناً من قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾» ١. هـ من تاج العروس [قلب].

«مُدّ فارقتهم»، أي من حين مُزايلتهم. «شيءٌ يرووق العين من هذا الورى» الشيء يُطلق على كلّ موجود، وزعم قوم أنه يُطلق حتى على المعدوم، كقولك: شريك الباري شيءٌ مستحيل الوجود، فلا يتصور ثبوته في الذهن فضلاً عن الخارج. «يرووق»، أي يُعجب ويُستحسن. «من هذا الورى»، أي من هذا الخلق، قال ابن بري:

قال ابن جنّي: لا يُستعمل الورى إلا في النفي، وأما قول ذي الرّمة: [شرح ديوانه ٦٨٨]

وكائن ذعرنا من مهارة ورامح بلاد الورى ليست له ببلاد

فإنها سوّع له استعماله واجباً لأنه في المعنى منفيّ، كأنه قال: ليست بلاد الورى له

ببلاد، ١. هـ من لسان العرب وتاج العروس [ورى].

وهو - أعني القول بمنع استعمال الورى في الإيجاب - عجيبٌ جداً حيث إن استعمال

المحدثين والمولدين وبعض الجاهليين على خلافه، فإنهم لا يُبالون بقيد الإيجاب، بل

يستعملونه على حسب مقتضى الحال، ويذكرونه على وفق ما يريدونه من نفي وإثبات
وسلب وإيجاب وغير ذلك من أساليب الكلام وطرائق المقال وفنون المنطق، والله أعلم.
وقوله:

وكائِنُ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ البيت

قال في اللسان: «يقال للثور من الوحش: رَامِح، قال ابن سيده: أراه لموضع قرنه، قال
ذو الرُّمة:

وكائِنُ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ بلادُ العِدَى ليستُ له ببلادٍ»

ا.هـ [رامح]، وفي هامشه: «قوله: بلاد العِدَى كذا بالأصل، ومثله في الصحاح، والذي في
الأساس «بلاد الوَرَى» ا.هـ مصحَّحه. وفي اللسان أيضاً: كائِنٌ وكائِنٌ مثلُ كَم في الخبر
والاستفهام، وإدخالٍ مِنْ بعدها أجودٌ من النصب بها، قال ذو الرُّمة:

وكائِنُ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ بلادُ العِدَى ليستُ له ببلادٍ»

ا.هـ بتصرفٍ يسير من لسان العرب [كين].

٩٦- هُمُ الشَّنَاخِيبُ المُنِيفَاتُ الذَّرَى والنَّاسُ أَدْحَالٌ سِوَاهُمْ وَهُوَ

هم: الهاء ضمير، والميم علامة الجمع، أي أهل العراق هم الشناخيب، في اللسان:
«الشُّنْخُوبُ: فرعُ الكاهل، والشُّنْخُوبَةُ والشُّنْخُوبُ والشُّنْخَابُ: أعلى الجبل، وشناخيبُ
الجبال: رؤوسها، واحدها شُنْخُوبَةٌ، الجوهري: الشُّنْخُوبَةُ والشُّنْخُوبُ والشُّنْخَابُ واحدهُ
شَنَاخِيبِ الجبال، وهي رؤوسه، وفي حديث عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «ذواتُ الشَّنَاخِيبِ
الصُّمُّ» هي رؤوس الجبال العالية، والشُّنْخُوبُ: فِقْرَةٌ ظَهَرَ البعير، رَجُلٌ شَنْخَبٌ: طويلٌ
ا.هـ لسان العرب حرفياً.

وفي التاج مثله: «فَرَعُ الكاهل هو الحَارِكُ، قال في اللسان: الكاهل: مقدَّمُ أعلى الظَّهْرِ

مَمَّا يَلِي العنقَ، وهو الثُّلُثُ الأعلى، فيه ستُّ فِقْرٍ، قال امرؤ القيس يصف فرساً: [ديوانه ٤٧]

له حَارِكٌ كَالدَّعْصِ لَبَدَهُ الثَّرَى إِلَى كَاهِلٍ مِثْلِ الرَّتَاجِ الْمُضَبِّ
النَّصْر: الكاهل: ما ظهر من الزَّور، والزَّور: ما بَطَنَ من الكاهل، غيرُه: الكاهل من
الفرس: ما ارتفع من فُرُوعِ كَتْفَيْهِ، وأنشد:

وكَاهِلٍ أَفْرَعٌ فِيهِ مَعَ الْإِفْرَاعِ إِشْرَافٌ وَتَقْيِيبُ

أبو عبيدة: الحارك: فروع الكتفين، وهو أيضاً الكاهل، قال والمنسج أسفل من ذلك،
والكائبة مُقَدَّمُ المنسج، وقيل: الكاهل من الإنسان: ما بين كتفيه، وقيل: هو مَوْصِلُ العُنُقِ
فِي الصُّلْبِ، وقيل: هو في الفرس خلف المنسج، وقيل: هو ما شَخَصَ من فروع كَتْفَيْهِ إِلَى
مستوى ظاهره، قال الأزهرى: سمعتُ غير واحد من العرب يقول: فلانُ كاهلُ بني
فلان، أي مُعْتَمِدُهُم فِي المَلَمَّاتِ وسنْدُهُم فِي المَهْمَاتِ، وهو مأخوذ من كاهل الظَّهر لأنَّ عُنُقَ
الفرس يَتَسَانَدُ إِلَيْهِ إِذَا أَحْضَرَ وهو مَحْمَلٌ مُقَدَّمٌ قَرْبُوسِ السَّرَجِ، ومُعْتَمِدُ الفارس عليه،
وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «وقرَّرتُ الرؤوسَ على كواهلها»، أي أثبتتها في أماكنها،
كأنها كانت مُشْفِيَةً على الذهاب والهلاك، الجوهري: الكاهل: الحارك، وهو ما بين
الكتفين، قال النبي ﷺ: «تَمِيمٌ كَاهِلٌ مُضَرٌّ وَعَلَيْهَا المَحْمَلُ»، ابن بري: الحارك فرع الكاهل،
هكذا قال أبو عبيدة، وهو عَظْمٌ مُشْرِفٌ اِكْتَنَفَهُ فِرْعَا الكَتْفَيْنِ، قال: وقال بعضهم: هو
مَنْبِتٌ أَدْنَى العُرْفِ إِلَى الظَّهْرِ، وهو الذي يأخذ به الفارسُ إِذَا رَكِبَ» اهـ من لسان العرب
[كهل]، رحم الله مؤلفه وطابعه وكلَّ مَنْ سَعَى فِي نشره ونشر أمثاله.

«المُنَيْفَاتُ الذَّرَى» العالياتُ الرؤوس السَّامِيَاتُ الأَعَالِي، المُنَيْفَاتُ جَمْعُ مُنَيْفَةٍ مِنْ أَنَاْفَ
على الشيء إِذَا زَادَ وَأَشْرَفَ، والذَّرَى جَمْعُ ذُرْوَةٍ، وهي أعلى الجبل، في اللسان: «وفي حديث
عائشة تصف أباهما رضي الله عنهما: «ذلك طَوْدٌ مُنَيْفٌ»، أي: عالٍ مُشْرِفٌ، يقال: نَافَ
يَنُوفُ إِذَا طَالَ وَارْتَفَعَ، وَأَنَاْفَ على غيره: ارتفع وأشرف، ويقال لكلِّ مُشْرِفٍ على غيره: إِنَّهُ
لَمُنَيْفٌ، قال طرفة: [ديوانه ٧٠]

وَأَنَاْفَتْ بِهَوَادٍ تُلْعَعُ كَجُدُوعٍ شُدِّبَتْ عَنْهَا المُشْرُ

١.هـ لسان [نوف]. وفي التاج: «نَافَ الشَّيْءُ يَنُوفُ نَوْفًا: ارتفع وأشرف، ونَافَ يَنُوفُ: طال وارتفع، وَأَنَافَ عليه: أشرف وارتفع، قال طرفة يصف إبلاً:
 وَأَنَافَتْ بِهَوَادٍ تُلْعِحُ كَجُدُوعٍ شُدِّبَتْ عَنْهَا الْقَشْرُ
 وَأَنَافَ عليه: زاد كَتَيْفَ، يقال: أَنَافَتِ الدَّرَاهِمُ عَلَى الْمِائَةِ، أَي زادت، وَنَيْفَ فلان على السَّيِّئِ ونحوها إِذَا زاد عليها».

«الدُّرَى»: أعالي الجبال ورؤوسها، وفي اللسان: «ذِرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَدُرُوتُهُ: أعلاه، والجمعُ الدُّرَى بالضمِّ، وذِرْوَةُ السَّنَامِ والرَّأْسُ أَشْرَفُهَا، وتذَرَيْتُ الدَّرْوَةَ: ركبْتُها وعلَوْتُها، وتذَرَيْتُ فِيهِمْ: تزَوَّجْتُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْهُمْ، أَبُو زَيْدٍ: تَذَرَيْتُ بَنِي فلان: تزَوَّجْتُ مِنْهُمْ فِي الدَّرْوَةِ والنَّاصِيَةِ، أَي فِي أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْعِلَاءِ، وتذَرَيْتُ السَّنَامَ: علَوْتُهُ وَفَرَعْتُهُ، وفي حديث أَبِي مُوسَى أُنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِبْلِ عُرِّ الدُّرَى، أَي بِيضِ الْأَسْنَمَةِ سِمَانِهَا، وَالدُّرَى جمع ذُرْوَةٍ، وهي أعلى سَنَامِ البعير، «في الهامش قوله: بِإِبْلِ عُرِّ الدُّرَى هكذا في الأصل، وعِبَارَةُ النِّهَايَةِ: «أُنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَهَبِ إِبْلِ فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذُودٍ عُرِّ الدُّرَى، أَي بِيضِ... إِنْخِ» ١.هـ وَحُرِّرَ رِوَايَةَ الْأَصْلِ ١.هـ»، ومنه الحديث: «على ذِرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ»، وحديث الزُّبَيْرِ سَأَلَ عَائِشَةَ الخُرُوجَ إِلَى البَصْرَةِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ يَفْتَلُّ فِي الدَّرْوَةِ وَالغَارِبِ حَتَّى أَجَابَتْهُ، جَعَلَ فِتْلَ وَبَرِ ذِرْوَةِ البَعِيرِ وَغَارِبِهِ مِثْلًا لِإِزَالَتِهَا عَنْ رَأْيِهَا كَمَا يُفْعَلُ بِالْجَمَلِ النَّفُورِ إِذَا أُرِيدَ تَأْنِيْسُهُ وَإِزَالَةُ نِفَارِهِ» ١.هـ من لسان العرب حرفياً [ذرا].

وفي تاج العروس: «ذِرْوَةُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: أعلاه، وروى التَّقِيُّ الشُّمْنِيُّ أَنَّهُ يَثَلُّ، وَالْجَمْعُ الدُّرَا بِالضَّمِّ، ومنه الحديث: «أُنِّي بِإِبْلِ عُرِّ الدُّرَى» أَي بِيضِ الْأَسْنَمَةِ، وفي حديث آخَرَ: «على ذِرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ»، وتذَرَيْتُ الدَّرْوَةَ: علَوْتُها وَفَرَعْتُها، وَذَرَّاهُ تَذَرِيَةٌ: مدَحَهُ وَرَفَعَهُ مِنْ شَأْنِهِ».

وفي المستدرَك منه: «والذَّرا بالفتح: ما ذرَّيته، كالنَّفص، اسمٌ لما تنفَّضه، والذَّرا: الكِنُّ، وقال الأصمعيُّ: هو كلُّ ما استترت به، يقال: أنا في ظلِّ فلان وفي ذراه، أي في كنفه وسِتره، وقال أبو زيد: إن فلاناً لكرِيمُ الذَّرا، أي الطبيعة، وتذرَّى بالحائط وغيره من الرِّيح والبرد، واستذرَّى بفلان: التجأ إليه وصار في كنفه» اهـ تاج. وفي اللسان: «عن الأصمعيِّ: الذَّرَى بالفتح: كلُّ ما استترت به» إلى آخر ما مرَّ عن التاج.

«والنَّاسُ أدْحالٌ سِوَاهُمْ وَهُوَى» قال في اللسان: «الناس قد يكون من الإِنس ومن الجنِّ، وأصله أناس، فخفف، ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضاً من الهمزة المحذوفة لأنه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوِّض منه في قول الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلَعُ ————— نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمِينَا

اهـ لسان العرب [أنس]، والعَيْنُ من «يَطْلَعُن» آخرُ النصف الأول، والنون منها أوَّل الثاني كما لا يخفى.

وفي التاج في (أن س): «والأناس بالضمُّ لغةٌ في الناس، قال سيبويه: «والأصلُ في الناس الأناس، فجعلوا الألف واللام عوضاً عن الهمزة، وقد قالوا: الأناس، قال الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلَعُ ————— نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمِينَا

اهـ تاج، وفي (ن و س) منه: «والناس قد يكون من الإِنس ومن الجنِّ، جمعُ إنس، أصله أناس، وهو جمع عزيز، أدخل عليه أل، قال شيخنا: وكونُ أصله «أناس» يُنافيه جعله من نوس، فتأمَّل، قال الجوهريُّ: ولم يجعلوا الألف واللام عوضاً عن الهمزة المحذوفة لأنه لو كان كذلك لاجتمع مع المعوِّض منه في قول الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلَعُ ————— نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمِينَا

فِيَدَعْنَهُمْ شَتَّى وَقَدْ كَانُوا جَمِيعاً وَافِرِينَا

اهـ تاج العروس، وقولُه: «لاجتمع» صوابه لما اجتمع، والله أعلم.

«أَدْحَالَ سَوَاهُمْ وَهُوَ» الأَدْحَالُ جمع دَحَل، ففي اللسان: «الدَّحْلُ: نَقْبٌ ضَيْقُ فَمِّهِ ثم يَتَّسِعُ أَسْفَلُهُ حَتَّى يُمَشَى فِيهِ، وَرَبِّمَا أَنْبَتَ السُّدْرَ، وَقِيلَ: هُوَ مَدْخَلٌ تَحْتَ الْجُرْفِ، أَوْ فِي عُرْضِ خَشَبِ الْبَيْتِ فِي أَسْفَلِهَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ، وَالْجَمْعُ أَدْحُلٌ وَأَدْحَالٌ وَدِحَالٌ وَدُحُولٌ وَدُحْلَانٌ، وَقَدْ دَحَلْتُ فِيهِ أَدْحَلُ، أَي دَخَلْتُ، وَرُبَّ بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ الْأَعْرَابِ يُجْعَلُ لَهُ دَحْلٌ تَدْخُلُ فِيهِ الْمَرْأَةُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ، قَالَ أَبُو عبيد: وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذْخُلُ فِي كِسْرِ الْبَيْتِ» أَي ادْخُلْ، وَفِي حَدِيثِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً أَنْ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ مِضْرَادٌ، أَفَأَدْخُلُ الْمَبْوَلَةَ مَعِي فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَادْخُلْ فِي الْكِسْرِ، (فِي اللِّسَانِ: «رَجُلٌ مِضْرَادٌ: لَا يَصْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ، وَفِي الصَّحاحِ: هُوَ الَّذِي يَجِدُ الْبَرْدَ سَرِيعًا، قَالَ السَّاجِعُ:

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِدًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدَا

وَفِي التَّهذِيبِ: الْمِضْرَادُ هُوَ الَّذِي يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ وَيَقْلُبُ صَبْرَهُ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ مِضْرَادٌ»، هُوَ الَّذِي يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ وَلَا يُطِيقُهُ، وَالْمِضْرَادُ أَيْضاً: الْقَوِيُّ عَلَى الْبَرْدِ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، يُقَالُ: صَرِدَ يَصْرُدُ صَرِدًا بِالتَّحْرِيكِ، فَهُوَ صَرِدٌ مِنْ قَوْمِ صَرْدَى، وَالاسْمُ الصَّرْدُ بِالْجِزْمِ، وَيَوْمَ صَرِدٌ وَلَيْلَةُ صَرِدَةٌ: شَدِيدَةُ الْبَرْدِ، قَالَ أَبُو عبيد: الدَّحْلُ: هُوَّةٌ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ وَفِي أَسْفَلِ الْأَوْدِيَةِ يَكُونُ فِي رَأْسِهَا ضَيْقٌ ثُمَّ يَتَّسِعُ أَسْفَلُهَا، وَكِسْرُ الْحِجَابِ: جَانِبُهُ، قَالَ أَبُو عبيد: فَشَبَّهَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَوَانِبَ الْحِجَابِ وَمَدَاخِلَهُ بِالْدَّحْلِ، قَالَ: هُوَ مَاخُودٌ مِنَ الدَّحْلِ أَي صِرٌّ فِي جَانِبِ الْحِجَابِ كَالَّذِي فِي الدَّحْلِ، وَيُرْوَى وَادْخُلْ لَهَا فِي الْكِسْرِ، أَي وَسَّعْ لَهَا مَوْضِعًا فِي زَاوِيَةِ مِنْهُ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «وَقَدْ رَأَيْتُ بِالْحَلْصَاءِ وَنَوَاحِي الدَّهْنَاءِ دُحْلَانًا كَثِيرَةً، وَقَدْ دَخَلْتُ غَيْرَ دَحْلٍ مِنْهَا، وَهِيَ خَلَائِقٌ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَ الْأَرْضِ، يَذْهَبُ الدَّحْلُ مِنْهَا سَكًّا فِي الْأَرْضِ قَامَةً أَوْ قَامَتَيْنِ، (قَوْلُهُ: سَكًّا، قَالَ فِي

مادة (س ك ك): «قال الأزهرِيُّ: سمعتُ أعرابياً يصف دَخْلاً دَخَلَهُ فقال: ذهبَ فمُه سَكَاً في الأرضِ عشْرَ قِيمٍ ثمَّ سَرَبَ يميناً، أراد بقوله: سَكَاً أي مستقيماً لا عَوَجَ فيه». اهـ لسان من مادة (س ك ك)) أو أكثر من ذلك، ثمَّ يَتَلَجَّفُ يميناً أو شمالاً (قوله: يَتَلَجَّفُ، في اللسان: «تَلَجَّفت البئرُ تَلَجُّفاً وُلجَّفتُ لَجْفاً: تَحَفَّرْتُ وأُكلتُ من أعلاها وأسفلها، وقد استُعير ذلك في الجُرْح، كقول عِذارِ ابنِ دُرَّةِ الطائيِّ:

يَجُّ مأمومةً في فَعْرِها لَجْفٌ فاستِثَّ الطَّيِّبُ قَذاها كالمغاريِدِ
فمرَّةً يضيق ومرَّةً يتسع في صفاة مَلْسَاء لا تَحِيكُ فيها المَعاولُ المَحَدَّة لصلابتها، وقد دخلتُ منها دَخْلاً فلَمَّا انتهيتُ إلى الماءِ إذا جَوٌّ من الماءِ الرَّاكِدِ فيه لم أقف على سَعته وعمقه وكثرته لإِظلامِ الدَّحْلِ تحت الأرضِ فاستقيتُ أنا مع أصحابي من مائه، فإذا هو عَذْبٌ زُلال (قوله: جَوٌّ من الماءِ الرَّاكِدِ، في اللسان: «الجَوُّ: الهواء، قال ذو الرُّمة:

والشمسُ حَيْرى لها في الجَوِّ تدويمٌ
والجَوُّ ما بين السماء والأرض، وفي حديث عليِّ رضوان الله عليه: «ثمَّ فَتَقَّ الأَجواءُ وشقَّ الأَرْجاءُ»، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ في سورة النحل [١٦ / ٧٩]، قال قتادة: أي في كِبِدِ السماء، وجَوُّ الماءِ حيث يُحفر له، قال:

تُراخُ إلى جَوِّ الحِياضِ وتنتمي اهـ لسان [جوا]
لأنَّه من ماء السماء يسيل إليه من فوق ويجتمع فيه، قال: وأخبرني جماعة من الأعراب أنَّ دُحْلانَ الحُلْصاءِ لا تخلو من الماء ولا يُستقى منها إلاَّ للشِّفاءِ والحَبْلِ لتعذُّرِ الاستقاء منها وبعْدِ الماءِ فيها من فَوْهَةِ الدَّحْلِ، قال: وسمعتهم يقولون: دَحَلَ فلانُ الدَّحَلَ إذا دخله»، وقولُ ذِي الرُّمة: [شرح ديوانه ٦١٤]

إذا شئتُ أبْكَاني جِرْعاء مالِكٍ إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدَى لَمِيٍّ ومُحْضَرِّ

إما أن يكون سَمَى الموضع باسم الجنس، ويجوز أن يكون غَلَب عليه اسمُ الجنس كما قالوا: الزُّرْقُ في بَرَكٍ معروفةٍ، وإِنَّمَا سُمِّيتَ بذلك لبياض مائها وصفائها» ا.هـ من لسان العرب [دحل]. يوضح ذلك قولُ ابن مالك: [الألفية ١٦]

وبعضُ الأعلامِ عليه دَخَلًا للمح ما قد كان عنه نُقْلا
كالفضْلِ والحارثِ والنُّعمانِ فذِكْرُ ذا وحذْفُه سِيَّانِ

فالتي للمح الصفة وملاحظة الأصل كالحسن والحارث والفضل والنعمان، فالحسن من الصفة المشبهة والحارث من اسم الفاعل والفضل من مصدر، وهو اسم جنس والنعمان من اسم جنس غير مصدر، وهو من أسماء الدم، فإذا لمح الأصل جيء بأل، وإلا فلا خلافاً لظاهر كلام ابن مالك من أن الأمرين مستويان: [الألفية ١٦]

وقد يصيرُ عَلَمًا بالغَلَبَةِ مضافٌ أو مصحوبٌ آل كالعقبَةِ

كالمدينة على طيبة والكتاب على التنزيل وكتاب سيويه، وكذا ابن عمر وابن عباس وابن مسعود على العبادة، وهم سيدنا الحبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ترجمان القرآن، توفي بالطائف. وثانيهم سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، وثالثهم سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فهؤلاء الثلاثة قرشيون وآخرهم موتاً سيدنا عبد الله بن عمر سنة ثلاث وستين، وليس منهم - أي من العبادة - سيدنا عبد الله بن مسعود الهذلي، وذكر ابن الهمام^(١) في «فتح القدير» أن عرف الحنفية عن عبد الله بن مسعود منهم دون ابن عمرو بن العاص، قال: «وعرف غيرنا بالعكس»، ومنهم من أسقط ابن الزبير، (في الهامش ما نصه: قوله: ومنهم من أسقط ابن الزبير، هكذا بالنسخ: ولم يتقدم عدّه في العبارة، فليحزر، ا.هـ)، وغلط الجوهري، قال

(١) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين بن الهمام الحنفي، علامة بالفقه والأصول والنحو، توفي ٨٦١هـ.

شيخنا: وهذا بناءً على أن الجوهريّ ذكر ابن مسعود في العبادلة، وقد راجعتُ أكثر من خمسين نسخة من الصحاح فلم أَرَه ذكر غير الثلاثة، نعم رأيتُ في بعض النسخ النادرة زيادة ابن مسعود في الهامش، كأنها ملحقة تصليحاً، ورأيتُ العلامة سعدي چلبی أنكر هذه الزيادة، وجزم بأن الجوهريّ لم يعدّه» ا.هـ من تاج العروس [عبد]. وفي المختار في مادة (ع ب د): «العبادلة عبدُ الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص» ا.هـ، وفيه في باب الألف اللَّيْنة عند ذكر أقسام الهاء: «هم - يعني العبادلة - عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير» ا.هـ، فاختلف كلامه كما ترى.

وفي مادة (ع ب د ل) من تاج العروس: «والعبادلة من الصحابة مائتان وعشرون، والذي صحَّ بعد المراجعة للمعاجم والأجزاء أن عدَّتهم بلغت أربعمئة وأربعة وثلاثين رجلاً، رضي الله تعالى عنهم ما عدا المختلَفَ في صُحبَتهم، وهم ثلاثة وخمسون نفساً، فاقتصارُ المصنف على القدر المذكور لا يخلو عن تقصير، وإذا أطلقوا العبادلة أرادوا أربعة منهم، وهم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن العاص، هكذا في النسخ والصواب ابن عمرو بن العاص، رضي الله تعالى عنهم، وليس منهم ابن مسعود كما توهم، أشار بذلك إلى الردِّ على الجوهريّ حيث أورده في (ع ب د) وعدّه منهم، وقد تقدّم البحث فيه مبسوطاً في حرف الدال فراجعهُ» ا.هـ من تاج العروس من مادة (ع ب د ل).

«وهوى»: الهوى جمع هوة، في اللسان: «الهوة: كلُّ وهدة عميقة، وأنشد:

كأنه في هوةٍ تتخذما

ابن سيده: هي ما انهبط من الأرض، وقيل: الوهدة الغامضة من الأرض، حكى ثعلب: اللهم أعذنا من هوة الكفر ودواعي النفاق، أبو بكر: وقع في هوة، أي في بئر مغطاة، وأنشد:

إنك لو أعطيت أَرْجاء هوةٍ مُغمَّسةٍ لا يُستبانُ تراها
بثوبك في الظلماءِ ثم دعوتني لجئتُ إليها سادماً لا أهاها

قال: والهُوَّةُ: مَهْوَاةٌ بين جبَلَيْنِ، ابن شميل: الهُوَّةُ ذَاهِبَةٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدَةٌ الْقَعْرِ كَالدَّحْلِ غَيْرَ أَنْ لَهُ أَلْجَافًا، الْأَصْمَعِيُّ: هُوَّةٌ وَهُوَى، وَالهُوَّةُ: الْبَيْرُ، وَقِيلَ: الْحَفْرَةُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَهِيَ الْمَهْوَاةُ، وَالهُوَّةُ: الْحَفْرَةُ وَالْمَطْمَنُ مِنَ الْأَرْضِ، وَيُقَالُ: الْمَهْوَاةُ [هوا].

وفي التاج: «الهُوَّةُ كَقُوَّةٍ: مَا انْهَبَطَ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ الْوَهْدَةُ الْغَامِضَةُ، حَكَى ثَعْلَبُ اللَّهْمَ أَعْدْنَا مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي الْنِفَاقِ، ضَرَبَهُ مَثَلًا لِلْكَفْرِ، وَفِي الصَّحَاحِ: الْهُوَّةُ: الْوَهْدَةُ الْعَمِيقَةُ، وَمِنْهُ: كَأَنَّهُ فِي هُوَّةٍ تَفْحَدَمًا

ابن شميل: الهُوَّةُ ذَاهِبَةٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدَةٌ الْقَعْرِ كَالدَّحْلِ غَيْرَ أَنْ لَهُ أَلْجَافًا، وَرَأْسُهَا كِرَاسُ الدَّحْلِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ الْحَفْرَةُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ كَالْمَهْوَاةِ، وَقِيلَ: هِيَ الْمَطْمَنُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْهُوَّاءِ كَرُمَانَةٍ، وَأَصْلُهَا هُوَايَةٌ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَهْوَاةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ [هوا] تاج العروس. انتهى تفسير قوله:

هُمُ الشَّنَاخِيبُ الْمُنِيفَاتُ الدُّرَى وَالنَّاسُ أَذْحَالُ سِوَاهُمْ وَهُوَى

وبعده:

٩٧- هُمُ الْبُحُورُ زَاخِرٌ آذِيهَا وَالنَّاسُ ضَخْضَاخٌ تُغَابٌ وَأَصَى

هم ضمير جمع للذكور، الهاء ضمير، والميم علامة الجمع، البحور جمع بحر، وهو «مُستنقع الماء الكثير، وهو ضدُّ البرِّ، ويطلق على كلِّ نهرٍ عظيمٍ لعمقه واتساعه، والتبخرُ والاسْتَبْحَارُ: الانبساط والسَّعة، وسُمِّيَ الْبَحْرُ بَحْرًا لِاسْتَبْحَارِهِ، أَي لِسَعْتِهِ وَانْبِسَاطِهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بَحْرًا لِأَنَّهُ شَقٌّ فِي الْأَرْضِ شَقًّا، وَالْبَحْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الشَّقُّ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ: «وَحَفَرَ زَمَزَمَ ثُمَّ بَحَرَهَا بَحْرًا» أَي شَقَّهَا وَوَسَّعَهَا حَتَّى لَا تَنْزِفَ [هوا]. وفي اللسان: «البحر: الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وهو خلافُ البرِّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِعَمَقِهِ وَاتساعِهِ، وَقَدْ عَلَبَ عَلَى الْمِلْحِ حَتَّى قَلَّ فِي الْعَذْبِ، وَالْجَمْعُ أَبْحُرٌ وَبُحُورٌ وَبِحَارٌ، وَمَاءٌ بَحْرٌ مِلْحٌ قَلٌّ أَوْ كَثُرٌ، قَالَ نُصَيْبٌ: [ديوانه ٦٦]

وقد عادَ ماءُ الأرضِ بحراً فزادني إلى مَرَضِي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ
 قال الأُمويُّ^(١): سُمِّيَ بَحْرًا لَمَلُوحَتِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَسَعَتِهِ وَانْبِسَاطِهِ، وَمِنهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانَ
 بَحْرٌ، أَيِ وَاسِعٌ الْمَعْرُوفُ، فَعَلِيهِ يَكُونُ لِلْمِلْحِ وَالْعَذْبِ، وَشَاهَدُ الْعَذْبُ قَوْلَ ابْنِ مُقْبِلٍ:
 [ديوانه ٣٤٦]

وَنَحْنُ مَنَعْنَا الْبَحْرَ أَنْ يَشْرَبُوا بِهِ وَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ مَاؤُهُ بِمَكَانٍ
 وَقَالَ جَرِيرٌ: [ديوانه ٣٨٩]

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوهَا ثَانِيَةً مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنٌّْ وَلَا سَرْفٌ
 كَوْمًا مَهَارِيْسَ مِثْلَ الْهَضْبِ لَوْ وَرَدَتْ مَاءَ الْفِرَاتِ لَكَادَ الْبَحْرُ يَتْتَرِفُ
 وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: [ديوانه ٨٩]

وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ أَشْهُرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَذَكِيرُ
 سَرَّهُ مَا لَهُ وَكَثْرُهُ مَا يَمُـ لِيْلِكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ
 أَرَادَ بِهِ هَهُنَا الْفِرَاتَ لِأَنَّ رَبَّ الْخَوَزَنْقِ كَانَ يُشْرِفُ عَلَى الْفِرَاتِ، وَقَالَ الْكَمِيْتُ:
 أَنْاسٌ إِذَا وَرَدَتْ بَحْرَهُمْ صَوَادِي الْعَرَائِبِ لَمْ تُضْرَبِ

وَأَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ الْيَمَّ هُوَ الْبَحْرُ، وَجَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾

[القصص: ٧/٢٨] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: هُوَ نَيْلٌ بِمِصْرَ، حَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى «أ. ه. لسان [بحر].

وَفِيهِ: «الْيَمُّ: الْيَمُّ: الْبَحْرُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ وَلَا شَطَّاهُ، وَيُقَالُ: الْيَمُّ جُتَّتَهُ، الزَّجَّاجُ:
 الْيَمُّ: الْبَحْرُ، لَا يُثْنَى وَلَا يُكْسَرُ وَلَا يُجْمَعُ جَمْعَ السَّلَامَةِ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا لُغَةٌ سُرْيَانِيَّةٌ فَعَرَبَتْهُ
 الْعَرَبُ، وَأَصْلُهُ يَمًّا، وَيُقَعُّ اسْمُ الْيَمِّ عَلَى مَا كَانَ مَآؤُهُ مِلْحًا زُعَافًا وَعَلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ الْعَذْبُ الْمَاءُ،
 وَأَمَرْتُ أُمَّ مُوسَى حِينَ وَلَدَتْهُ وَخَافَتْ عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ ثُمَّ تَقْدِفَهُ فِي الْيَمِّ،
 وَهُوَ نَهْرُ النَّيْلِ بِمِصْرَ، حَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَآؤُهُ عَذْبٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْأُمَوِيُّ، لَغَوِيٌّ كُوفِيٌّ، انظُرْ بَغِيَةَ الْوَعَاةِ: ٤٣/٢.

[طه: ٢٠/٣٩]، جعل له ساحلاً، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث: إنه البحر الذي لا يُدركُ قعره ولا شطّاه، وفي الحديث: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغته في اليمِّ، فلينظر بمَ ترجع»، اليمُّ: البحر، ويمُّ الرجلُ فهو ميموم إذا طرح في البحر، وفي المحكم إذا غرق في اليمِّ، ويمُّ الساحلُ يمًّا: غطاه اليمُّ وطما عليه فغلب عليه» [اللسان (أذي)].

«زَاخِرٌ أَدْيِيهَا» في اللسان: «زَخَرَ البحرُ يَزْخُرُ زَخْرًا وَزُخُورًا وَتَزَخَّرَ: طَمًا وَتَمَلَّأَ، وَزَخَرَ الوادي زَخْرًا: مَدَّ جَدًّا وَارْتَفَعَ، فَهُوَ زَاخِرٌ، وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ: «فَزَخَرَ البحرُ»؛ أَي مَدَّ وَكَثُرَ مَآؤُهُ وَارْتَفَعَتْ أَمْوَاجُهُ، وَزَخَرَ القَوْمُ: جَاشُوا لِنَفِيرٍ أَوْ حَرْبٍ، وَكَذَا زَخَرَتِ الحَرْبُ نَفْسُهَا، قَالَ:

إِذَا زَخَرَتْ حَرْبٌ لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ رَأَيْتَ بُحُورًا مِنْ نُحُورِهِمْ تَطْمُو

وَزَخَرَتِ القِدْرُ تَزْخُرُ زَخْرًا: جَاشَتْ، قَالَ أُمَيَّةُ بن أَبِي الصَّلْتِ: [ديوانه ٤١٢]

فَقُدُّورُهُ بِفِنَائِهِ لِلضَيْفِ مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرُ

أَدْيِيهَا: مَوْجُهَا، قَالَ امرؤ القيس يصف مطراً: [ديوانه ١٤٦]

تَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَن آدِيهِ عَرَضُ خَيْمٍ فَجُفَافٌ فَيَسُرُ

ابن شميل: آدِيُّ المَاءِ: الأَطْبَاقُ الَّتِي تَرَاهَا تَرَفَعُهَا مِنْ مَتْنِهِ الرِيحُ دُونَ المَوْجِ، وَالأَدْيِيُّ:

المَوْجِ، قَالَ المَغِيرَةُ بن حَبْنَاءَ:

إِذَا رَمَى آدِيَّهُ بِالأَطْمِ تَرَى الرِّجَالَ حَوْلَهُ كالأَصْمِ

مِنْ مُطَرِّقٍ وَمُنْصِتٍ مُرِّمٍ

الجوهريُّ: الأَدْيِيُّ: مَوْجُ البحرِ، وَالجَمْعُ أَوَادِيٌّ، وَأَنشَدَ ابن بَرِيٍّ لِلعَجَّاجِ:

طَحَطَحَهُ آدِيٌّ بِحَرِّ مُتَأَقٍ

وفيه: «الأَدْيِيُّ: المَوْجُ الشَّدِيدُ، وَفِي خُطْبَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَلْتَطِمُ أَوَادِيٌّ مَوْجُهَا»

١هـ لسان [أذي]. وفي التاج: «الآذِيّ بالمدّ والتشديد: الموج أو الشديد منه، وفي الصحاح: موج البحر، ابن شميل: الآذِيّ: الأُطباق التي ترفعها من مَتْنِه الرِّيحُ دون الموج، قال امرؤ القيس يصف مطراً:

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنِ آذِيهِ عَرَضُ حَيْمٍ فَجُفَافٌ فَيَسُرُّ

وقال المغيرة: بن حبناء:

إِذَا رَمَى آذِيَهُ بِالطَّمِّ تَرَى الرِّجَالَ حَوْلَهُ كَالصَّمِّ

مِنْ مُطْرِقٍ وَمُنْصِتٍ مُرِّمٍ

وأشد ابن بري للجعاج:

طَحَطَحَهُ آذِيٌّ بِحَرِّ مُتَأَقِّ

ومأ يُستدرك عليه الأَوَازِيّ: أمواج البحر، عن الجوهري، أو هي أطباق الماء، ومنه

حديث عليّ عليه السلام: «تَلْتَطِمُ أَوَازِيٌّ أَمْوَاجَهَا» ١هـ تاج [أذي].

«والنَّاسُ ضَحَضَاحٌ ثَعَابٌ وَأَضَى» الناس، تقدّم تفسيره قريباً، في اللسان: «الضَّحَضَاحُ

والضَّحَضَاحُ: الماء القليل في الغدير وغيره، والضَّحْلُ مثله، وكذا المُتَضَحَضُحُ، وقيل: هو

الماء اليسير، وقيل: ما لا غرق فيه ولا غَمْرٌ، وقيل: هو الماء إلى الكعبين إلى أنصاف السوق،

وماءٌ ضَحَضَاحٌ: قريب القعر، وفي حديث أبي المنهال: «في النار أوديةٌ في ضَحَضَاحٍ» شبه

قلّة النار بالضَّحَضَاح من الماء، فاستعاره فيه، ومنه ما يروى في أبي طالب «وجدته في

عَمَرَاتٍ من النار فأخرجته إلى ضَحَضَاحٍ» وفي رواية: «إنه في ضَحَضَاحٍ من النار يغلي منه

دماغه»، والضَّحَضَاح في الأصل: ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين،

واستعاره للنار، والتَضَحُّضُحُ: جَرِي السَّرَابِ، وَضَحَضَاحُ السَّرَابِ وَتَضَحَضَاحُ إِذَا

ترقرق» ١هـ من لسان العرب [ضحح].

«ثَعَابٌ وَأَضَى» قال في اللسان: «ماءٌ ثَعَبٌ وَثَعَبٌ: سائل، والثَّعْبُ: الوادي، والجمع

ثُعْبَان، اللَّيْثُ: الثَّعْبُ: الذي يجتمع في مَسِيلِ المطر من الغُثَاءِ، قال الأزهريُّ: لم يُجود اللَّيْثُ في تفسير الثَّعْبِ، وهو عندي المَسِيلُ نفسه، لا ما يجتمع في المَسِيلِ من الغُثَاءِ» ا.هـ من اللسان [ثعب].
 وفي التاج: «ماء ثعب بفتح فسكون وثَعْبٌ بالتحريك وأثْعُوبٌ وأثْعُبَانٌ: سائل وكذا الدَّمُ، والثعب أيضاً: مَسِيلُ الوادي، والجمع ثُعْبَانٌ كَبُطْنَانٍ، قال اللَّيْثُ: والثعب: الذي يجتمع في مَسِيلِ المطر من الغُثَاءِ، قال الأزهريُّ: لم يُجود اللَّيْثُ في تفسير الثعب، وهو عندي المَسِيلُ نفسه لا ما يجتمع في المَسِيلِ من الغُثَاءِ» ا.هـ تاج.

وفي اللسان: «الثَّعْبُ والثَّعْبُ - والفتحُ أكثر - : ما بقي من الماء في بطن الوادي. وقيل: هو بقية الماء العذب في الأرض، وقيل: هو أخذود تحفره المسائل من عل، فإذا انحطت حفرت أمثال القبور والدُّبَار، فيمضي السيل عنها ويغادر الماء فيها فتصفقه الرِّيح ويصفو ويبرد، فليس شيء أصفى منه ولا أبرد، فسُمي الماء بذلك، وقيل: الثَّعْبُ: الغدير يكون في ظلِّ جبل لا تصيبه الشمسُ فيبردُ ماؤه، والجمع ثُعْبَانٌ كَشَبَثٍ وشُبْثَانٌ وثُعْبَانٌ كَحَمَلٍ ومُحْلَانٍ، قال الأخطل: [مستدرِك ديوانه ٣٨٠]

وثالثة من العسل المصْفَى مُشْعَشَعَةٌ بثُعْبَانِ البَطَاحِ

ومنهم من يرويه بثُعْبَانٍ بالضمِّ على لغة ثُعْبٍ كَعَبْدٍ وَعُبْدَانٍ، وقيل: كلُّ غديرٍ ثُعْبٌ، والجمع أُنْعَابٌ وثُعَابٌ، اللَّيْثُ: الثَّعْبُ: ماء صار في مستنقع في صحرة أو جلهة قليل، وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «ما شبَّهت ما عَبَرَ من الدنيا إلا بثُعْبٍ قد ذهب صفوه وبقي كدره»، أبو عبيد: الثَّعْبُ بالفتح والسكون: المَطْمُنُّ من المواضع في أعلى الجبل، يستنقع فيه ماء المطر، قال عبيد: [ديوانه ١٢٢]

ولقد تحلُّ بها كأنَّ مُجَاجَهَا ثُعْبٌ يُصَفِّقُ صفوه بمُدَامٍ

وقيل: هو غدير في غلظ من الأرض أو على صحرة، ويكون قليلاً، وقال ابن الأعرابي: الثَّعْبُ: ما استطال في الأرض ممَّا يبقى من السَّيْلِ إذا انحسر يبقى منه في حيد من الأرض، فالماء بمكانه ذلك ثُعْبٌ، واضطرَّ شاعر إلى إسكان ثانيه فقال:

وفي يدي مثل ماء الثَّغْبِ ذو شُطْبِ أَنِّي بَحِيثٌ يَهُوسُ اللَّيْثُ وَالنَّمْرُ
شَبَّهَ السِّيفَ بِذَلِكَ الْمَاءِ فِي رَقَّتِهِ وَصَفَائِهِ، وَأَرَادَ لِأَنِّي، ابْنُ السَّكَيْتِ: الثَّغْبُ تَحْتَفِرُهُ
الْمَسَائِلُ مِنْ عُلٍّ، فَالْمَاءُ ثَغْبٌ وَالْمَكَانُ ثَغْبٌ، وَهُمَا جَمِيعاً ثَغْبٌ وَثَغْبٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:
وَمَا ثَغْبٌ بَاتَتْ تُصَفِّقُهُ الصَّبَا قَرَارَةَ نَهْيٍ أَتَأَقَّتْهَا الرِّوَائِحُ
وَالثَّغْبُ: ذَوْبُ الْجَمْدِ، وَالْجَمْعُ ثُغْبَانٌ، وَأَنْشُدُ:.....بَثْغْبَانَ الْبَطَاحِ
ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الثُّغْبَانُ: مَجَارِي الْمَاءِ، وَبَيْنَ كُلِّ ثَغْبَيْنِ طَرِيقٌ، فَإِذَا زَادَتِ الْمِيَاهُ ضَاقَتْ
الْمَسَالِكُ فَدَقَّتْ، وَأَنْشُدُ:

مَدَافِعُ ثُغْبَانٍ أَصَرَّ بِهَا الْوَبْلُ.....

ا. هـ لسان العرب [ثغب].

وفي التاج: «الثَّغْبُ: أَكْثَرُ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَاءِ فِي بَطْنِ الْوَادِي، وَقِيلَ: هُوَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ الْعَذْبِ
فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: هُوَ أُخْدُودٌ تَحْتَفِرُهُ الْمَسَائِلُ مِنْ عُلٍّ، فَإِذَا انْحَطَّتْ حَفَرَتْ أَمْثَالَ الْقُبُورِ
وَالدَّبَّارِ، فَيَمْضِي السَّيْلُ عَنْهَا وَيُعَادِرُ الْمَاءَ فِيهَا فَيُصَفِّقُهُ الرِّيحُ وَيَصْفُو وَيَبْرُدُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ
أَصْفَى مِنْهُ وَلَا أَبْرَدَ، فَسُمِّيَ الْمَاءُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ، وَيُحْرَكُ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَالْجَمْعُ ثَغَابٌ
بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ فِي الْمَفْتُوحِ وَالْمَحْرُوكِ وَأَثْغَابٌ جَمْعُ الْمُتَحَرِّكِ وَثُغْبَانٌ بِالْكَسْرِ كَشَبَّثٌ
وَشَبَّثَانٌ، وَثُغْبَانٌ بِالضَّمِّ كَحَمَلٍ وَحُمْلَانٍ، قَالَ الْأَخْطَلُ:

وِثَالِثَةٍ مِنَ الْعَسَلِ الْمَصْفَى مُشْعَشَعَةً بِثُغْبَانَ الْبَطَاحِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرُويهِ بِثُغْبَانَ بِالضَّمِّ، وَهُوَ عَلَى لُغَةِ ثَغْبٍ بِالْإِسْكَانِ، كَعَبْدٍ وَعَبْدَانَ وَقِيلَ:
كُلُّ غَدِيرٍ ثَغْبٌ، وَعَنِ اللَّيْثِ: الثَّغْبُ: مَا صَارَ فِي مَسْتَنْقَعٍ فِي صَخْرَةٍ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ
مَسْعُودٍ: «مَا شَبَّهْتُ مَا غَبَرَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِثَغْبٍ قَدْ ذَهَبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدْرُهُ»، وَعَنْ أَبِي
عَبِيدٍ: الثَّغْبُ بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ: الْمَطْمَئِنُّ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ، يَسْتَنْقِعُ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ،
قَالَ عَبِيدُ:

وَلَقَدْ نَحَلُّ بِهَا كَأَنَّ مَجَاجَهَا ثَغْبٌ يُصَفِّقُ صَفْوَهُ بِمُدَامٍ

وقيل: هو غدير في غلظ من الأرض أو على صخرة يكون قليلاً، وقال ابن الأعرابي:
الثَّغْبُ: ما استطال في الأرض ممَّا يبقى من السَّيلِ إذا انحسر، يبقى منه في حَيْدٍ من الأرض،
فالماء بمكانه ذلك ثغْبٌ، قال: واضطَّرَّ شاعرٌ إلى إسكان ثانيه فقال:

وفي يَدَيِّ مِثْلُ ماءِ الثَّغْبِ ذُو شُطْبِ أَنِّي بِحَيْثِ يَهُوسُ اللَّيْثُ وَالنَّمْرُ
شَبَّهَ السِّيفَ بِذَلِكَ الماءِ فِي رِقَّتِهِ وَصَفَائِهِ، وَأَرَادَ لِأَنِّي، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الثَّغْبُ
تَحْتَفِرُهُ الْمَسَائِلُ مِنْ عُلٍّ، فَمَاءٌ ثَغْبٌ، وَهُمَا جَمِيعاً ثَغْبٌ وَثَغَبٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:
وَمَا ثَغْبٌ بَاتَتْ تُصَفِّقُهُ الصَّبَا قَرَارَةً نَهْيٍ أَتَأَقَّتْهَا الرَّوَّاحُ
ا.هـ من التاج [ثغب].

هُمُ الْبُحُورُ زَاخِرٌ أَذِيهَا وَالنَّاسُ ضَحَضَاحٌ ثَغَابٌ وَأَصَى
الْأَصَى جَمْعُ أَضَاةٍ، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «الْأَضَاةُ: الْغَدِيرُ، ابْنُ سَيْدِهِ: هِيَ الْمَاءُ الْمُسْتَنْقَعُ مِنْ
سَيْلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَضَوَاتٌ، وَأَضَا كَقَنَاةٍ وَقَنَا، وَإِضَاءٌ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ وَإِضُونٌ كَيْسُونٌ،
فَأَضَاةٌ وَأَصَى كَحَصَاةٍ وَحَصَى، وَأَضَاةٌ وَإِضَاءٌ كَرَحَبَةٍ وَرِحَابٍ وَرَقَبَةٍ وَرِقَابٍ، وَأَنشَدَ ابْنُ
بَرِي فِي جَمْعِهِ عَلَى إِضِينٍ لِلطَّرْمَاحِ: [ديوانه ٥٢١]

مَحَافِرُهَا كَأَسْرِيَةِ الْإِضِينَا

قال ابن سيده: وهذا غير قوي، لأنه إنما يُقضى على الشيء أنه جمعٌ جمع إذا لم يوجد من ذلك بُدٌّ، فأما إذا وجدنا منه بُدًّا فلا، ونحن نجد الآن مندوحة من جمع الجمع، فإن نظير أضاة وإضاة وإضاء ما قدمناه من رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ وَرَحَبَةٍ وَرِحَابٍ، فلا ضرورة بنا إلى جمع الجمع، وهذا غير مُسوغ فيه لأبي عبيد: إنما ذلك لسببويه والأخفش، وقول النابغة في صفة الدروع: [ديوانه ١٤٧]

عَلَيْنَ بِكَذْيُونٍ وَأَبْطِنَ كَرَّةً فَهِنَّ إِضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ

أراد مثل إِضَاء، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْوِجُهُ أُمْتَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٦]، أي مثلهنَّ، قال: وقد يجوز أن يريد فهنَّ وِضَاء، أي حِسَانٌ نِقَاءً، ثمَّ أبدلَ الهمز من الواو كما قالوا: إِسَادٌ وَوِشَاحٌ فِي وَسَادٍ وَوِشَاحٌ وَإِعَاءٌ فِي وَعَاءٍ، قال أبو الحسن: هذا الذي حكيتُه من حمل إِضَاةً عَلَى الْوَاوِ بِدَلِيلِ أَضْوَاتٍ حِكَايَةٌ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَدْ حَمَلَهُ سَبِيوِيهِ عَلَى الْيَاءِ، قَالَ: «لَا وَجْهَ لَهُ عِنْدِي أَلْبَتَّةَ لِقَوْلِهِمْ: أَضْوَاتٌ وَلِعَدَمِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْيَاءِ، قَالَ: وَالَّذِي أَوْجَهَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ إِضَاةٌ فَلَعَّةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: آضٌ يَبْيِضُ عَلَى الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْغَدِيرِ يَرْجِعُ إِلَى بَعْضٍ، وَلَا سِيَّيَا إِذَا صَفَّقْتَهُ الرِّيحُ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ رَجْعًا لِتَرَاجُعِهِ عِنْدَ اصْطِفَاقِ الرِّيحِ، وَقَوْلُ أَبِي النَّجْمِ: [ديوانه ٢٤٠]

وَرَدُّتُهُ بِيَازِلٍ مَهَّاضٍ وَرَدَّ الْقَطَا مَطَّاطٍ الْإِيَّاضِ

إِنَّمَا قَلَبَ إِضَاةً قَبْلَ الْجَمْعِ ثُمَّ جَمَعَهُ عَلَى فِعَالٍ، وَقَالُوا: أَرَادَ الْإِيَّاءَ فَقَلَبَ «ا.هـ لسان العرب [أضأ].

وفي التاج: «الْأَضَاةُ كَحَصَاةِ: الْغَدِيرِ، كَمَا فِي الصَّحَاحِ، وَفِي الْمَحْكَمِ: الْمَاءُ الْمُسْتَنْقَعُ مِنْ سَيْلٍ وَغَيْرِهِ، وَفِي التَّهْذِيبِ: الْأَضَاةُ: غَدِيرٌ صَغِيرٌ، وَهُوَ مَسِيلُ الْمَاءِ إِلَى الْغَدِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالْغَدِيرِ، وَحَكَى ابْنُ جُنِّي فِي الْجَمْعِ أَضْوَاتٌ بِالتَّحْرِيكِ، وَيُقَالُ أَضِيَاتٌ كَحَصِيَّاتٍ، قَالَ ابْنُ بَرِي: لَا مُمْ أَضَاةٌ وَوَاوٍ، وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: هَذَا الَّذِي حَكَيْتُهُ مِنْ حَمْلِ أَضَاةٍ عَلَى الْوَاوِ بِدَلِيلِ أَضْوَاتٍ حِكَايَةٌ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَدْ حَمَلَهُ سَبِيوِيهِ عَلَى الْيَاءِ، قَالَ: فَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدِي أَلْبَتَّةَ لِقَوْلِهِمْ: أَضْوَاتٌ وَعَدَمِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْيَاءِ، قَالَ: وَالَّذِي أَوْجَهَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ أَضَاةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: آضٌ يَبْيِضُ عَلَى الْقَلْبِ، لِأَنَّ بَعْضَ الْغَدِيرِ يَرْجِعُ إِلَى بَعْضٍ، وَلَا سِيَّيَا إِذَا صَفَّقْتَهُ الرِّيحُ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ رَجْعًا لِتَرَاجُعِهِ عَنِ اصْطِفَاقِ الرِّيحِ.

وَأَضَاءٌ مَقْصُورٌ كَقَنَاةٍ وَقَنَاءٌ، وَإِيَّاءٌ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ أَضَاةٍ مُحَرَّكَةٌ كَرَحَبَةٍ وَرِحَابٍ وَرَقَبَةٍ وَرِقَابٍ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: كَمَا قَالُوا: أَكَمَّةٌ وَأَكَمٌّ وَإِكَامٌ، وَزَعَمَ أَبُو عَمِيْدٍ أَنَّ

أَصَاً جَمْعُ أَصَاةٍ، وَإِضَاءٌ جَمْعُ أَضَاءٍ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَهَذَا غَيْرُ قَوِيٍّ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقْضَى عَلَى الشَّيْءِ أَنَّهُ جَمْعُ الْجَمْعِ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا، فَأَمَّا إِذَا وَجَدْنَا مِنْهُ بُدًّا فَلَا، وَنَحْنُ نَجِدُ الْآنَ مَدْرُوحَةً مِنْ جَمْعِ الْجَمْعِ، فَإِنْ نَظَرْنَا أَضَاةً وَإِضَاءً مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ وَرَحَبَةٍ وَرِحَابٍ، فَلَا ضَرُورَةَ بِنَا إِلَى جَمْعِ الْجَمْعِ، وَهَذَا غَيْرُ مُسَوِّغٍ فِيهِ لِأَبِي عُبَيْدٍ، إِنَّمَا ذَلِكَ لِسَبَبِيَّةِ وَالْأَخْفَشِ، وَقَوْلُ النَّابِغَةِ فِي صِفَةِ الدَّرُوعِ:

عَلَيْنَ بِكَدْيُونٍ وَأَبْطِنَ كُرَّةً فَهِنَّ إِضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ

أَرَادَ مِثْلَ إِضَاءٍ، أَوْ أَرَادَ وَضَاءً، أَيْ فَهِنَّ وَضَاءٌ حَسَانٌ نِقَاءً ثُمَّ أَبْدَلَ الْهَمْزَةَ مِنَ الْوَاوِ، وَإِضُونٌ كَمَا يُقَالُ: سَنَةٌ وَسِنُونٌ، وَأَنْشَدَ ابْنُ بَرِيٍّ لِلطَّرْمَاحِ:

مَحَافِرُهَا كَأَسْرِيَةِ الْإِضِيْنَا

وَقَوْلُ أَبِي النَّجْمِ:

وَرَدَّتْهُ بِبَازِلٍ مَهَاضٍ وَرَدَّ الْقَطَا مَطَاطَ الْإِبَاضِ

إِنَّمَا قَلَبَ أَضَاةً قَبْلَ الْجَمْعِ ثُمَّ جَمَعَهُ عَلَى فِعَالٍ، وَقَالُوا: أَرَادَ الْإِضَاءَ، وَهِيَ الْغُدْرَانُ «أ.هـ. من تاج العروس [أضا].»

وَقَوْلُهُ: عَلَيْنَ بِكَدْيُونٍ.... الْبَيْتُ: فِي اللِّسَانِ: «الْكَدْيُونُ: التَّرَابُ: الدُّقَاقُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: دُقَاقُ السَّرْقِينِ يُخْلَطُ بِالزَّيْتِ فَتُجْلَى بِهِ الدَّرُوعُ، وَقِيلَ: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا طُلِيَ بِهِ مِنْ دُهْنٍ أَوْ دَسْمٍ، قَالَ النَّابِغَةُ يَصِفُ دُرُوعًا جُلِّيتَ بِالْكَدْيُونِ وَالْبَعْرُ:

عَلَيْنَ بِكَدْيُونٍ وَأَبْطِنَ كُرَّةً فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ

وَرَوَى «صَافِيَاتُ»، وَفِي الصَّحَاحِ: الْكَدْيُونُ كَفَرْجُونٍ: دُقَاقُ التَّرَابِ عَلَيْهِ دُرْدِيُّ الزَّيْتِ تُجْلَى بِهِ الدَّرُوعُ، وَفِي الصَّحَاحِ: هُوَ الْبَعْرُ الْعَفِينُ تُجْلَى بِهِ الدَّرُوعُ، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ:

..... وَأَشْعَرْنَ كُرَّةً

قال: وفي التهذيب:

..... وَأَبْطَنَ كُرَّةً فَهِيَ وَضَاءٌ.....»

ا.هـ لسان [كدن وكرر] أيضاً. انتهى تفسير قوله:

هَمُّ الْبُحُورِ زَاخِرٌ أَذِيهَا وَالنَّاسُ ضَحْضَاخٌ ثَغَابٌ وَأَصَى
وحاصل معناه أن هؤلاء المدوحين هم أرباب المعالي والمكارم، وهم المستولون على
الفضائل والمناقب والمتحلون بالمراتب والمناصب، وسواهم من الناس ما عندهم إلا القليل
من المآثر ولا لهم إلا التافه اليسير من المفاخر، فأولئك كالبحور الممتلئة بالجواهر والدَّرر
واللآلئ وأنواع الجواهر النفيسة وأصناف الأحجار الكريمة، فهم ينفعون العالم بفواضلهم
ويمتازون عنهم بفضائلهم، وبقية الخلق منافعهم قليلة ونتائجهم تافهة وفوائدهم سيرة،
وكل ما لديهم حقير في جنب ما لأولئك، والله سبحانه وتعالى أعلم. وبعده:

٩٨- إِنْ كُنْتَ أَبْصَرْتَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مِثْلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخَزِ السَّفَا

أي إذا كان بصري وقع على أمثالهم وتراءى له نظيرهم فأطبقته على نخس شوك
السفا. أبصرت أي رأيت ونظرت، لهم أي لأولئك المدوحين من بعدهم، أي من بعد
أولئك المدوحين، مثلاً لهم: أي نظيراً لهم مماثلاً مشابهاً.
«فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخَزِ السَّفَا».

الإغضاء: إدناء الجفون وتقريبها من بعضها وإطباقها على الحدقة، «على وَخَزِ السَّفَا».
أي مع نخس الشوك الذي يُسمى السفا، قال في اللسان: «غَضَوْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَعَلَى
الْقَدَى: سَكْتُ، وَقَوْلُ الطَّرْمَاحِ: [ديوانه ٥٨٠]

غَضِيٌّ- عَنِ الْفَحْشَاءِ يَقْضُرُ طَرْفُهُ وَإِنْ هُوَ لَأَقَى غَارَةً لَمْ يُهْلَلْ
يجوز أن يكون من غضا وأن يكون من أغضى، كقولهم: عذاب أليم وضربٌ وجيع،
والأول أجود، والإغضاء: إدناء الجفون، وغضى الرجل وأغضى: أطبق جفنيه على حدقته،

وَأَغْضَى عَيْنًا عَلَى قَدَى: صَبَرَ عَلَى أَدَى، وَأَغْضَى عَنْهُ طَرْفَهُ: سَدَّهُ أَوْ صَدَّهُ، أَنْشَدَ ثَعْلَبُ:
دَفَعْتُ إِلَيْهِ رِسْلَ كَوْمَاءَ جِلْدَةٍ وَأَغْضَيْتُ عَنْهُ الطَّرْفَ حَتَّى تَصَلَّعَا
وقول الشاعر: [ديوان لبيد ١٩٥]

كَعْتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضَى- وَيُجَلِّ
كَعْتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضَى- وَيُجَلِّ

أَيُّ يُغْضَى الْجَفُونَ مَرَّةً وَيُجَلِّ مَرَّةً، وَقَالَ الْآخَرُ:

لَمْ يُغْضِ فِي الْحَرْبِ عَلَى قَدَاكَ

قال ابن بري: أَغْضَيْتُ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، فَمِثَالُهُ مُتَعَدِّيًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَمَا أَسْلَمْتُنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتَزِ
(فِي اللِّسَانِ: «الْوَتَزُ: ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ، قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: وَليْسَ بَثْبُتٌ» ا.هـ. فَلَعَلَّهَا مَحْرَفَةٌ
عَنْ وَخَزٍ)، وَمِنْهُ مَا يُحْكَى عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَكَمْ أَغْضَى الْجَفُونَ عَلَى الْقَدَى
وَأَسْحَبُ ذَيْلِي عَلَى الْأَذَى وَأَقُولُ لَعَلَّ وَعَسَى»، وَمِثَالُهُ غَيْرَ مُتَعَدِّ قَوْلُ الْآخَرِ: [ديوان
الفرزدق ١٧٩/٢]

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
وَتَغَاضَيْتُ عَنْ فُلَانٍ: تَغَايَيْتُ وَتَغَايَيْتُ» ا.هـ. لِسَانُ الْعَرَبِ [غَضًا].

وَفِي التَّاجِ: «عَضَى الرَّجُلُ: طَبَقَ جَفْنِيهِ عَلَى حَدَقَتِهِ، لَعْنَةٌ فِي أَغْضَى، نَقَلَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ،
وَعَضَى يَغْضَى كَسَعَى يَسَعَى لَعْنَةٌ فِيهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي الْأَسَاسِ: «الْكَرِيمُ رَبِّمَا يَغْضَى
وَفِي جَفْنِيهِ نَارُ الْعَضَى»، وَرَجُلٌ غَضِيٌّ عَنِ الْحَنَّا كَغَنِيٍّ، يَجُوزُ كَوْنُهُ مِنْ غَضًا وَكَوْنُهُ مِنْ
أَغْضَى كَعَذَابِ أَلِيمٍ وَضَرْبٍ وَجِيعٍ، وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الطَّرْمَاحِ:
غَضِيٌّ- عَنِ الْفَحْشَاءِ يَتَقَصَّرُ طَرْفُهُ

نَقَلَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ» ا.هـ. مِنْ تَاجِ الْعُرُوسِ.

«عَلَى وَخَزِ السَّفَا» قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «وَخَزَهُ بِالرُّمْحِ وَالْحَنْجَرِ يَخْزُهُ وَخَزًا: طَعَنَهُ
طَعْنًا غَيْرَ نَافِذٍ، وَقِيلَ: هُوَ الطَّعْنُ النَّافِذُ فِي جَنْبِ الْمُطْعُونِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَإِنَّهُ وَخَزُ

إخوانكم من الجن»، وفي حديث عمرو بن العاص وقد ذكر الطاعون فقال: «إنما هو وخزُّ من الشيطان»، وفي رواية: «رَجَز»، أبو عدنان: «الطعن: الوَخَزُ التَّبْرِيعُ، قال: التَّبْرِيعُ والتَّغْزِيبُ واحد، غَزَبَ وَبَرَّغَ، يقال: بَرَّغَ البيطارُ الحافرَ إذا عمَدَ إلى أشاعِرِهِ بمِبْضَعِ فَوَخَزَهُ وَخَزًا خَفِيفًا لا يبلِغُ العَصَبَ، فيكون دواءً له، ومنه قول الطرمّاح: [ديوانه ٥٠٩]

كَبَزَغِ البِيْطَرِ الثَّقَفِ رَهْصَ الكَوَادِنِ

(فيه: «الرَّهْصُ: أن يُصِيبَ الحَجْرُ حافرًا أو مَنْسِمًا فيَدْوَى باطنه، تقول: رَهَصَهُ الحَجْرُ وقد رَهَصْتَ الدابةَ رَهْصًا وَرَهِصْتَ، وأرَهَصَهُ اللهُ، والاسم الرَّهْصَةُ، الصحاح: الرَّهْصَةُ: أن يَدْوَى باطنُ حافرِ الدابةِ من حَجَرَ تَطُوهُ مثل الوَقْرَةِ، قال الطرمّاح:

يُسَاقِطُهَا تَتْرَى بِكُلِّ حَمِيلَةٍ كَبَزَغِ البِيْطَرِ الثَّقَفِ رَهْصَ الكَوَادِنِ
الثَّقَفُ: الحاذق، والكوادن: البراذين» [أه لسان [وخز].

وفيه: «البَطِيرُ والبِيْطَرُ والبِيْطَارُ والبِيْطَرُ كَهَزَبَرٍ: مُعالِجُ الدوابِّ، من ذلك قول الطرمّاح:

يُسَاقِطُهَا تَتْرَى بِكُلِّ حَمِيلَةٍ كَبَزَغِ البِيْطَرِ الثَّقَفِ رَهْصَ الكَوَادِنِ
ويُروى البَطِيرُ [بطر].

«على نَخْسِ شَوْكِ السَّفَا» وفي اللسان: «السَّفَى: شَوْكُ البُهْمَى والسُّنْبُلُ وكلُّ شيءٍ له شَوْكٌ، وقال ثعلب: هي أطراف البُهْمَى، والواحدة سَفَاةٌ، وأسْفَتُ البُهْمَى: سقط سَفَاها»، [أه لسان [سفا]. وفي التاج: «السَّفَى: كلُّ شجرٍ له شَوْكٌ، وقيل: هو شوكُ البُهْمَى والسُّنْبُلُ» [سفي] [أه تفسير قوله:

إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مِثْلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخَزِ السَّفَا
وبعدَه:

٩٩- حاشاَ الأَمِيرِينَ اللَّذِينَ أُوْفِدَا عَلَيَّ ظِلًّا مِنْ نَعِيمٍ قَدْ ضَفَا

حاشاَ أداة استثناء، قال ابن مالك: [الألفية ٣٢]

وكَخَلًا حاشاَ ولا تَصْحَبُ ما وقيل حاش وحشى فاحفظها

قال ابن عقيل: «المشهور أن حاشا لا تكون إلا حرف جرّ، فتقول: قام القوم حاشا زيد، بجرّ زيد، وذهب الأخفش والجرميّ والمازنيّ والمبرد وجماعة منهم المصنّف أنها مثل خلا تُستعمل فعلاً فتنبص ما بعدها وحرفاً فتجرّه، فتقول: قام القوم حاشا زيداً وزيد، وحكى جماعة منهم الفراء وأبو زيد الأنصاريّ والشيبانيّ النصب بها، ومنه اللهم اغفر لي ولكن يسمع لي حاشا الشيطان وأبا الأصبع، وقوله: [ديوان الفرزدق ٢/٢١٥]

حاشا قريشاً فإن الله فضّلهم على البرية بالإسلام والدين

وقول المصنّف: «ولا تصحب ما» معناه أن حاشا مثل خلا في أنها تنصب ما بعدها أو تجرّ، ولكن لا تتقدّم عليها ما كما تتقدّم على خلا، فلا تقول: قام القوم ما حاشا زيداً، وهذا الذي ذكره هو الكثير، وقد صحبتها ما قليلاً، ففي مسند أبي أمية الطرسوسي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أسامه أحبّ الناس إليّ ما حاشا فاطمة»، وقول الشاعر:

رأيت الناس ما حاشا قريشاً فإننا نحن أفضلهم فعلاً

ويقال في حاشا: حاش وحشى» ا.هـ من ابن عقيل.

وفي المصباح: «حاشا فلان بالجرّ وبالنصب أيضاً، كلمه استثناء تمنع العامل من تناوله» [حشو] ا.هـ، وفي مختار الصحاح: «حاشا كلمة يُستثنى بها، وقد تكون حرفاً، وقد تكون فعلاً، فإن جعلتها فعلاً نصبت بها فقلت: ضربتهم حاشا زيداً، وإن جعلتها حرفاً خفضت بها، وقال سيويه: «حاشا لا تكون إلا حرف جرّ لأنها لو كانت فعلاً لجاز أن تكون صلة لما، كما يجوز ذلك في خلا، فلما امتنع أن يقال: جاء القوم ما حاشا زيداً دلّ على أنها ليست فعلاً»، وقال: المبرد: «قد يكون فعلاً» واستدلّ بقول النابغة: [ديوانه ٢٠]

ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه وما أحاشي من الأقسام من أحد

فصرّفه يدلّ على أنه فعل، ولأنه يقال: حاشا لزيد، وحرف الجرّ لا يدخل على مثله، ولأنه يقال: حاش لزيد، والحذف إنّما يقع في الأسماء والأفعال دون الحروف» ا.هـ مختار [حشا].

وفي اللسان: «ابن الأنباري: معنى حاشى في كلام العرب أعزِلَ فلاناً من وصف القوم بالْحَشَى، وأعزَلُه بناحية ولا أدخله في جملتهم، ومعنى الحَشَى الناحية، وأنشد أبو بكر فيه بيت المعطل الهذلي: [أشعار الهذليين ٤٤٦]

بأَيِّ الحَشَا أمسى الحبيبُ المَبَاينُ

وقال آخر: [ديوان بني أسد ٣٥]

حاشى أبي مروان إنَّ به ضنناً عن المَلْحَاة والشَّثْمِ
وقال آخر:

ولا أحاشي من الأَقْوَامِ من أحدٍ

ويقال: حاشى لفلان وحاشى فلانٍ وحاشى فلاناً وحشى فلانٍ، وقال عمر بن أبي ربيعة: [ديوانه ١١٧]

مَنْ رَامَهَا حاشى النبي وأهله في الفخرِ عَظَمَ طَهَ هناك المُرَبِّدُ
وأنشد القراء:

حَشَى رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّ مِنْهُمْ بُحوراً لا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ

فَمَنْ قال: حاشى لفلان خفضه باللام الزائدة، وَمَنْ قال: حاشى فلاناً أَضْمَرَ في حاشى مرفوعاً، والتقدير حاشى فعلهم فلاناً، وَمَنْ قال: حاشى فلانٍ خفض بإضمار اللام لطول صحبتها حاشى، ويجوز أن يخفضه بحاشى؛ لأن حاشى لما خلت من الصباح أشبهت الاسم فأضيفت إلى ما بعدها، ومن العرب مَنْ يقول: حاش لفلان، فيسقط الألف، وقد قرئ في القرآن بالوجهين، أبو إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١/١٢]: هو من قولك: كنت في حشاً فلان، أي في ناحيته، ومعنى «حاش لله» براءة لله من هذا، وإذا قلت: حاشى لزيد هذا من التنحي، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه، فتحاشى من الحاشية كتتحى عن الناحية، قال ابن بري عند قول الجوهري

عن سيبويه «حاشى لا تكون إلا حرف جرّ» قال: شاهده قول سبرة بن عمرو الأسدي:

حاشى أبي ثوبان إن به ضناً عن الملحاة والشتم

قال: وهو منسوب في المفضليات [ص ٣٦٧] للجَميح الأسدي، واسمه مُنقذ بن

الطّمّاح، وقال الأقيشر: [ديوانه ٧٣]

في فتية جعلوا الصليب إلههم حاشاي إني مسلم معذور

المعذور: المختون، وحاشا في البيت حرف جرّ، قال: ولو كانت فعلاً لقال: حاشاني

ا.هـ من لسان العرب ببعض تصرّف قليل جداً [حشا].

«حاشا الأميرين» حاشا تقدّم تفسيرها، الأميرين تشنية أمير، وهو الرئيس المقدم الذي

يتولّى الأمر على قومه، قال في المصباح: «الإمارة بالكسر: الولاية، وفعله من الباب الأول،

فهو أميرهم وهم أمراء، وأمره تأميراً فتأمر» ا.هـ ببعض تصرّف مع المحافظة على المعنى

[أمر].

وفي المختار: «الأمير ذو الأمر، وقد أمر يأمر بالضم إمرةً بالكسر: صار أميراً، والأنثى

بالهاء، وأمر يأمر بالضم فيها إمارة بالكسر، وأمره تأميراً: جعله أميراً فتأمر أي تسلط» ا.هـ

مختار. وفي التاج: «الأمر مصدر أمر فلان علينا، مثلثة: قال شيخنا: اقتصر في «الفصيح»

على الفتح، وحكى ابن القطاع الضمّ، وروى غيرهم الكسر وأنكره جماعة، قلت: ما ذكره

عن «الفصيح» فإنه حكى ثعلب عن الفراء «كان ذلك إذ أمر علينا الحجّاج» بفتح الميم،

وأما الكسر والضمّ فقد حكاهما غير واحد من الأئمّة، قالوا: وقد أمر فلان بالكسر وأمر

بالضمّ صار أميراً، والاسم الإمرة بالكسر، والأمير: الملك لِنفاذ أمره، وهي بهاء، قال عبد

الله بن همام السلولي: [ديوانه ١٠٥]

ولو جاؤوا برمّلة أو بهند لباعنا أميرة مؤمنينا

قال شيخنا: وهو بناء على ما كان في الجاهلية من تولية النساء، وقد منع الشرع ذلك

كما تقرّر، وهو بين الإمارة بالكسر، لأنها من الولايات، وهي ملحقة بالحرف والصنائع،
ويُفتح، وهذا ممّا أنكروه، وقالوا: لا يُعرف كما في «الفصيح» [ص ٥٨] وشروحه، قال
شيخنا: وقد ذكرهما صاحب اللسان، فتأمل، والجمع أمراء، «والأمير قائد الأعْمى لأنه
يملك أمره، ومنه قول الأعشى: [ديوانه ٩٥]

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دِ صَدَرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

والأمير: الجار لانقياده له، والأمير هو المؤامر المشاور، وفي الحديث: «أميري من
الملائكة جبريل» أي صاحب أمري ووليي، وكلٌّ مَنْ فزعت إلى مشاورته ومؤامرتة فهو
أميرك، وأولو الأمر: الرؤساء والعلماء، وللمفسرين فيه أقوال كثيرة. ا.هلسان.
«حاشا الأميرين اللذين» «حاشا الأميرين اللذين» تقدّم تفسيره، اللذين: تشية الذي،
وهو اسم موصول.

«أَوْفَدَا عَلِيَّ ظِلًّا» أي أوردًا وأرسلًا وبعثنا عليّ «ظِلًّا مِنْ نَعِيمٍ قَدْ صَفَا»، وهو «متعدّد
من وَفَدَ عَلَيْهِ يَفِدُ وَفْدًا وَوُفُودًا وَوِفَادَةً وَإِفَادَةً بِإِبْدَالِ الْوَاوِ أَلْفًا، أَي قَدَمَ، فَالْوِفَادُ وَالْقُدُومُ
بمعنى، وعن الأصمعي وفد الرجل: خرج إلى ملك أو أمير، وفي الصحاح والأساس:
وفد على الأمير: وردّ رسولاً، وأوفده عليه، كذا في المحكم والأساس، وأوفده إليه من
عبارة الجوهري، ونصّها: أوفدته أنا إلى الأمير: أرسلته، فالإيفاد الإرسال، أوفده إليه
وعليه كما تقدّم، وممّا يُستدرك عليه ما أوفدك علينا واستوفدني وتوافدنا عليه، ومن المجاز
الحاجُّ وفد الله، وبيننا أنا في ضيق إذ أوفد الله عليّ برجل فأخرجني منه، بمعنى جاءني
برجل، وفي «العناية» للخفاجي أن أصل الوفود القدوم على العطاء للعطايا والاسترفاد،
وفي شرحه للشفاء أثناء إعجاز القرآن أن أصل معنى الوفد الإشراف، وظاهر كلام
المصنّف كغيره من الأئمّة أن الوفد والوفود هم القوم القادمون مطلقاً مشاةً أو ركباناً
مختارين للقاء العطاء أو لا كما هو ظاهر، ويمكن أن يقال: إن كلام النوويّ وغيره استعمال

عُرْفِيٌّ، وكلامُ المصنّف وغيره استعمال لغويٌّ، والله أعلم» ا.هـ من تاج العروس شرح
القاموس [وفد].

«عليّ ظلّاً» عليّ صلّة أوفد، ظلّاً، الظلّ: الفيء، وذكر في المصباح خلافاً طويلاً كما أنّ
اللسان والتاج أطلا بذلك، قال في اللسان: «وقد جعل بعضهم للجنة فياً غير أنه قيده
بالظلّ فقال يصف حال أهل الجنة، وهو النابغة الجعديّ: [ديوانه ٢٣١]

فَسَلَامُ الْإِلَهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ وَفُيُوءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ الظُّلَالِ
وقال كثيرٌ: [ديوانه ٢٥٩]

لَقَدْ سِرْتُ شَرْقِيَّ الْبِلَادِ وَعَرَبَهَا وَقَدْ صَرَبْتَنِي شَمْسُهَا وَظَلُّوْهَا
ويُروى:

لَقَدْ سِرْتُ غَوْرِيَّ الْبِلَادِ وَجَلَسَهَا
وقال العباس بن عبد المطلب:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظُّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ
أراد ظلال الجنّات التي لا شمس فيها، عن أبي الهيثم: الظلّ: كل ما لم تطلع عليه
الشمس، والفيء لا يدعى فياً إلا بعد الزوال إذا فاءت الشمس، أي رجعت إلى الجانب
الغربيّ، فما فاءت منه الشمس وبقي ظلّاً فهو فيءٌ، والفيء شرقية والظلّ غربية، وإنما يدعى
الظلّ ظلّاً من أوّل النهار إلى الزوال، ثمّ يدعى فياً بعد الزوال إلى الليل، وأنشد:

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الصُّحَى تَسْتِطِيعُهُ وَلَا الْفِيءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ - تَذُوقُ
والعرب تقول: ليس شيءٌ أظلّ من حجر ولا أدفاً من شجر ولا أشدّ سواداً من ظلّ،
وكلمها كان أرفع سمكاً كان مسقط الشمس أبعد، وكل ما كان أكثر عرضاً وأشدّ اكتنازاً
كان أشدّ لسواد ظلّه، وظلّ الليل: جُنْحُه، وقيل: هو الليل نفسه، ويزعم المنجمون أنّ
الليل ظلّ، وإنّما اسودّ جدّاً؛ لأنّه ظلّ كُرة الأرض، ويقدر ما زاد بدّتها في العظم ازداد سواد
ظلّها» ا.هـ من اللسان [ظلل]، وفيه تفصيل زائد كالتاج والمصباح، فإن أردته فارجع إليه.

«مِنْ نَعِيمٍ قَدْ صَفَا» النَّعِيمِ وَالنُّعْمَى وَالنَّعْمَاءَ وَالنَّعْمَةَ: الحَفْضُ وَالذَّعَّةُ وَالْمَالُ، ضُدُّ
الْبُؤْسِ وَالْبَأْسَاءِ وَالْبُؤْسَى، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:
٨/١٠٢] النَّعِيمِ: كُلُّ مَا يُسْتَمْتَعُ بِهِ، وَجَمْعُ النَّعْمَةِ أَنْعَمٌ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَلَنْ أَذْكَرَ النَّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يُدِيًّا وَأَنْعَمًا
وَنَاعِمَةً وَنَعْمَةً: رَفْهَهُ، وَالنَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ: التَّنْعِيمُ، وَهِيَ الْمَسْرَّةُ وَالْفَرَحُ وَالتَّرْفَةُ،
وَالنَّاعِمَةُ وَالنَّعْمَةُ: الْحَسَنَةُ الْعَيْشِ وَالغِذَاءِ الْمُتَرَفُّةُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّهَا لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ» أَي
سِمَانٌ مُتَرَفَةٌ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: [ديوان تميم بن مقبل ٢٧٣]

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَّرٌ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ
إِنَّمَا هُوَ عَلَى النَّسَبِ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْهُمْ قَالُوا: نَعِمَ الْعَيْشُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ: أَحْنَكُ الشَّائِئِينَ،
وَالنَّعْمَةُ: الْيَدُ الْبَيْضَاءُ الصَّالِحَةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْمِنَّةُ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ: مَنَّهُ، وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعَبْدَ مِمَّا لَا
يُمْكِنُ غَيْرُهُ أَنْ يَعْطِيَهُ، كَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ، وَقَوْلُ الْأَعْشى: [ديوانه ٧٧]

وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَائِيَا كَأَنَّهُ ذُرًّا أَفْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتْنَاعِمٌ
أَي نَاعِمٌ، وَثُوبٌ نَاعِمٌ، أَي لَيِّنٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِ الْوُصَّافِ وَعَلَيْهِمُ الثِّيَابُ النَّاعِمَةُ، قَالَ:
وَنَحْمِي بِهَا حَوْماً رُكَّاماً وَنِسْوَةً عَلَيْهِنَّ قَزْنَاعِمْ وَحَرِيرُ
وَأَنْشُدْ ثَعْلَبُ:

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ وَبِالْمُرِّ سِلِّ وَالْحَامِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا
أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَيْنًا، أَي أَقْرَبَهَا بِهِ، وَالرَّسُولُ هُنَا الرِّسَالَةُ، وَنَعِمَ الْعُودُ: اخْضَرَ وَنَضَرَ،
أَنْشُدْ سَبْيُوِيَه:

وَاعْوَجَّ عُودُكَ مِنْ حَلْوٍ وَمِنْ قَدَمٍ لَا يَنْعَمُ الْعُودُ حَتَّى يَنْعَمَ الْوَرَقُ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: [ديوانه ٦٩/٢]

وَكُؤْمٍ تَنْعَمُ الْأَضْيَافُ عَيْنَا وَتُصْبِحُ فِي مَبَارِكِهَا ثَقَالَا

مَنْ قَالَ الْأَضْيَافَ بِالرَّفْعِ أَرَادَ تَنْعَمُ الْأَضْيَافُ عَيْنًا بَهَنَ لَشْرِبِهِمْ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَمَنْ قَالَ الْأَضْيَافَ أَرَادَ أَنْ هَذِهِ الْكُومُ تَنْعَمُ بِالْأَضْيَافِ عَيْنًا، فَحَذَفَ وَأَوْصَلَ، أَيَّ أَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ تُسَرُّ بِالْأَضْيَافِ كَسُرُورِ الْأَضْيَافِ بِهَا لِأَنَّهَا قَدْ جَرَتْ مِنْهُمْ عَادَةً مَأْلُوفَةٌ مَعْرُوفَةٌ، فَهِيَ تَأْنَسُ بِالْعَادَةِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا تَأْنَسُ بِهِمْ لِكَثْرَةِ أَلْبَانِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ لَا تَخَافُ أَنْ تُعْقَرَ أَوْ تُنْحَرَ، وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةَ الْأَلْبَانِ لَمَا نَعِمَتْ بِهِمْ عَيْنًا لَخَوْفِهَا حَيْثُئِذٍ الْعَقْرَ وَالنَّحْرَ، وَحَكَى اللَّحْيَانِي يَأْنَعِمُ عَيْنِي، أَيَّ يَأْفِرُّهُ عَيْنِي، وَأَنْشَدَ عَنِ الْكَسَائِيِّ:

صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ بَاكِرٍ بِنُعْمِ عَيْنٍ وَشَبَابٍ فَاخِرٍ

وَنُعْمَةُ الْعَيْشِ: حُسْنُهُ وَنَضَارَتُهُ «أهل لسان [نعم].»

وَفِي التَّاجِ: «النَّعِيمُ وَالتَّعْمَى: الْخَفْضُ وَالدَّعَّةُ وَالمَالُ كَالنَّعْمَةِ بِالْكَسْرِ، يُقَالُ: فُلَانٌ وَاسِعُ النَّعْمَةِ، أَيَّ وَاسِعُ المَالِ، كَمَا فِي الصَّحَاحِ، قَالَ الرَّازِيُّ: النَّعْمَةُ: الْمَنْفَعَةُ الْمَفْعُولَةُ عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ، قَالَ: فَخَرَجَ بِالْمَنْفَعَةِ الْمَضْرَّةِ الْمَخْفِيَّةِ وَالْمَنْفَعَةُ الْمَفْعُولَةُ لَا عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ بَأَنَّ قَصْدَ الْفَاعِلِ نَفْسَهُ، كَمَا أَحْسَنَ إِلَى جَارِيَةٍ لِيَرْبِحَ فِيهَا أَوْ أَرَادَ اسْتِدْرَاجَهُ بِمَحْبُوبٍ إِلَى أَلْمِ، أَوْ أَطْعَمَ غَيْرَهُ سَكْرًا أَوْ خَبِيصًا مَسْمُومًا لِيَهْلِكَ فَلَيْسَ بِنِعْمَةٍ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: النَّعْمَةُ: مَا قُصِدَ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّفْعُ، وَبَنَؤُهَا بِنَاءُ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ كَالْجِلْسَةِ، وَالتَّنْعُمُ: التَّرَفُّهُ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: هُوَ تَنَاوُلُ مَا فِيهِ نِعْمَةٌ وَطَيْبُ عَيْشٍ، وَالمِاسْمُ النَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ، قَالَ الرَّاعِبُ: بَنَؤُهَا بِنَاءُ الْفَتْحِ، وَالتَّنْعُمَةُ: الْمَسْرَةُ، قَالَ شَيْخُنَا: وَفِي الْكَشَافِ أَثْنَاءُ الْمَزْمَلِ: النَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ: التَّنْعُمُ وَبِالْكَسْرِ الْإِنْعَامُ وَبِالضَّمِّ الْمَسْرَةُ، وَالنَّعَامَةُ لِقَبِّ بَيْهَسِ الْفِرْزَارِيِّ أَحَدِ الْإِخْوَةِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ قُتِلُوا وَتُرِكَ هُوَ لِحُمُقِهِ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

وَمِنْهُ: «أَحْمَقُ مِنْ بَيْهَسٍ» [نعم].

«قَدْ صَفَا» أَيَّ قَدْ كَثُرَ وَتَمَّ، وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «صَفَا مَا لَهُ يَصْفُو صَفْوًا وَصُفْوًا: كَثُرَ،

وَصَفَا الشَّعْرُ وَالصُّوفُ يَصْفُو صَفْوًا وَصُفُوًّا: كَثُرَ وَطَالَ، وَالصَّفْوُ: السَّعَّةُ وَالخَيْرُ، قَالَ أَبُو ذَوَيْبٍ، وَنَسَبَهُ الْجَوْهَرِيُّ لِلأَخْطَلِ، وَغَلَطَهُ ابْنُ بَرِيٍّ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ هُوَ لِأَبِي ذَوَيْبٍ: [أشعار الهدليين ٩٧]

إِذَا الْهَدْفُ الْمِعْزَالُ صَوَّبَ رَأْسَهُ وَأَعْجَبَهُ صَفْوٌ مِنَ الثَّلَاةِ الْخُطَلِ
[ويروى «المعزاب» كما نبه عليه في مادة (ع ز ب)]، وَشَعَّرَ ضَافٍ وَذَنَّبَ ضَافٍ، قَالَ الشَّاعِرُ: [ديوان امرئ القيس ٢٣]

بِضَافٍ فُؤَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ
وَالصَّفْوُ: السُّبُوغُ، صَفَا الشَّيْءُ يَصْفُو، وَفَرَسَ ضَافِي السَّبِيبِ: سَابَعَهُ، وَثَوَّبَ ضَافٍ: سَابَعَهُ، قَالَ بَشْرٌ: [ديوانه ٦٦]

لِيَالِي لَا أَطَاوَعُ مَنْ نَهَانِي وَيَصْفُو تَحْتَ كَعْبِي الإِزَارُ
وَرَجُلٌ ضَافِي الرَّأْسِ: كَثِيرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَفُلَانٌ ضَافِي الْفَضْلِ عَلَى الْمَثَلِ، دِيمَةٌ ضَافِيَةٌ، وَهِيَ تَصْفُو صَفْوًا تُخَضَّبُ مِنْهَا الأَرْضُ، وَهُوَ فِي صَفْوٍ مِنْ عَيْشِهِ وَصَفْوَةٌ مِنْ عَيْشِهِ أَيْ سَعَةٍ، وَصَفَا الْمَالُ يَصْفُو: فَاضٌ، أَنْشَدَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ:

وَمَا كِدَ تَمَّأَدُهُ مِنْ بَحْرِهِ يَصْفُو وَيُؤِيدِي تَارَةً عَنْ قَعْرِهِ
تَمَّأَدُهُ أَيْ تَأَخَذُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، يَقُولُ: يَمْتَلِئُ فَتَشْرَبُ الإِبِلُ مَاءَهُ حَتَّى يَظْهَرَ قَعْرُهُ، وَصَفَا الْحَوْضُ: فَاضٌ مِنْ امْتِلَائِهِ، وَالصَّفَا: جَانِبُ الشَّيْءِ، وَهِيَ صَفْوَاهُ أَيْ جَانِبَاهُ. ا.هـ. مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ [صفا]. وَفِي التَّاجِ: «الصَّفْوُ: السُّبُوغُ وَالكَثْرَةُ، قَالَ أَبُو ذَوَيْبٍ:

إِذَا الْهَدْفُ الْمِعْزَالُ صَوَّبَ رَأْسَهُ وَأَعْجَبَهُ صَفْوٌ مِنَ الثَّلَاةِ الْخُطَلِ
وَصَفْوَةُ الْعَيْشِ: بُلْهَنِيَّتُهُ، أَيْ سَعَتُهُ، وَدِيمَةٌ ضَافِيَةٌ تُخَضَّبُ مِنْهَا الأَرْضُ، وَالصَّفْوُ: الْخَيْرُ وَالسَّعَّةُ، وَالصَّفْوُ كَعُلُوٌّ: الْكَثْرَةُ» ا.هـ. تاج. وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَةِ (هـ د ف):

«إِذَا الْهَدْفُ الْمِعْزَابُ صَوَّبَ رَأْسَهُ وَأَعْجَبَهُ صَفْوٌ مِنَ الثَّلَاةِ الْخُطَلِ

قال أبو سعيد في قوله: «الهدَفُ المِعْزَابُ» قال: هذا راعي ضأن، فهو لضأنه هدَفٌ تأوي إليه، وهذا ذمٌ للرجل إذا كان راعي الضأن، ويقال: أَحَقَّقَ من راعي الضأن، قال: ولم يُرد بالخطَل استرخاء آذانها، أراد بالخطَل الكثيرة الخَطَلُ عليه وتتبُّعُه، قال ابن بري: الهدَفُ: الثقل الوخِم، ويروى «المِعْزَال»، وهو الذي يَرَعَى ماشيته بمعزل عن الناس، والمِعْزَاب: الذي عَزَبَ بإبله، ووضَفُو: اتساع من المال، والخطَل: الطويلة الأذان» ا.هـ لسان. انتهى تفسير قوله:

حَاشَا الأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْفَدَا عَلِيَّ ظِلًّا مِنْ نَعِيمٍ قَدْ ضَفَا
وَبَعَدَه:

١٠٠- هَمَّا اللَّذَانِ أَتَبَتَا لِي أَمَلًا قَدْ وَقَفَ اليَأْسُ بِهِ عَلَيَّ شَفَا

هما ضمير تثنية يرجع إلى الأميرين، واللذان مثنى الذي، وهو اسم موصول صيغ ليُتوصَّلَ به إلى وصف المعارف بالجمل، ولا يتم إلا بصلة، وأصله لذي، فأدخل عليه الألف واللام، ولا يجوز أن يُنزعاً منه لتنكير، ا.هـ تاج، وفيه بعدُ كلام طويل في ترجمة الموصولات فراجعهُ إن شئت في مادة (ل ذ ي). «أَتَبَتَا لِي أَمَلًا» أي قَوَّيَا لِي رَجَاءً وَصَحَّحَاهُ لِي وَجَعَلَاهُ ثَابِتًا، أَي مُسْتَقَرًّا مَتَمَكِّنًا، أَمَلًا: أَي رَجَاءً.

«قد وقف اليأس به على شفا» قد حرف تحقيق، وقف أي احتبس، واليأس هو القنوط وانقطاع الأمل وعدم الرجاء، به، أي بذلك الأمل الذي أتتبه الأميران، «على شفا»، أي على طرف وعلى حرف، قال في اللسان: «الشفا: حرف الشيء وحده، قال تعالى: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩/٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣/٣]، قال الأَخْفَش: لَمَّا لَمْ تُجْزِ فِيهِ الإِمَالَةُ عُرِفَ أَنَّهُ مِنَ الوَاوِ، لِأَنَّ الإِمَالَةَ مِنَ اليَاءِ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَازَلُ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ» أَي جَانِبِهِ، وَاجْمَعُ أَشْفَاءَ ا.هـ لسان [شفا].

وفي التاج: «والشفا: بقية الهلال والبصر والنهار وشبهها، يقال للرجل عند موته والقمر عند محاقه والشمس عند غروبها: ما بقي منه إلا شفاً، والشفا: حرف كل شيء وحده، والجمع أشفاء، يُضرب به المثل في القرب من الهلكة، قال تعالى: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾، ويقال: هو على شفاً الهلاك، والشفا حرف الشيء، حكى الزجاج في تثنيته شفوان، والحروف الشفوية نسبة إلى الشفة عن الخليل»^١. هـ من التاج، ا. هـ تفسير قوله:

هما اللذان أثبتا لي أملاً قد وقف اليأس به على شفاً
وبعده:

١٠١ - تَلَايَا الْعَيْشَ الَّذِي رَنَّ قَهَ صَرَفُ الزَّمَانِ فَاسْتَسَاعَ وَصَفَا

تَلَايَا أي تَدَارَكَ، قال في اللسان: «تَلَايَا: اِفْتَقَدَاهُ وَتَدَارَكَهُ، وَقَوْلُهُ: أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

يُخَبِّرُنِي أَنِّي بِهِ ذُو قَرَابَةٍ وَأَنْبَأْتُهُ أَنِّي بِهِ مُتَلَا فِي

فَسَّرَهُ فَقَالَ: مَعْنَاهُ إِنِّي لِأَدْرِكُ بِهِ ثَأْرِي»^١. هـ لسان [لنا].

وفي التاج: «وتَلَا فاه - أي التقصير - إِذَا تَدَارَكَهُ وَافْتَقَدَهُ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُتَلَا فِي، وَتَقُولُ:

جاء بالعمل المتنافي ولم يُعقبه بالتلافي، ومن المستدرَك التلافي: إدراك الثأر، وبه فسَّر ابن الأعرابي قول الشاعر:

يُخَبِّرُنِي أَنِّي بِهِ ذُو قَرَابَةٍ وَأَنْبَأْتُهُ أَنِّي بِهِ مُتَلَا فِي»

ا. هـ تاج [لنا]، وفي الصحاح: «تَلَايَا: تَدَارَكَتُهُ»^١. هـ، وفي التاج: «واستدرَك ما فات

وتداركُه واستدرَك عليه قوله: أَصْلَحَ عَلَيْهِ خَطَاؤُهُ»^١. هـ لسان، وفي الصحاح: «استدرَك ما

فات وتداركُه بمعنى»^١. هـ [درك].

«العَيْش» أصله مصدرُ عاش الرجلُ إِذَا اتَّصَفَ بِالْحَيَاةِ، وَالْمَعِيشُ وَالْمَعِيشَةُ: مَكْسَبُ

الإنسان الذي يعيش به، ا. هـ لسان [عيش]. وفي اللسان: «العَيْشُ: الْحَيَاةُ، عَاشَ يَعِيشُ عَيْشًا

وعيشة ومعيشة ومعاشاً وعيشوشة، وأعاشه الله تعالى، قال أبو دُواد وسأله أبوه ما الذي

أعاشك بعدي فأجابه: [ديوان أبي دواد ٣٣٠]

أعاشني بعدك وإدِ مُبْقِلُ أَكُلُ مِنْ حَوْدَانِهِ وَأَنْسِلُ

وعايشه: عاش معه، كقولك: عاشره، قال قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صاحب:

وقد عملتُ على أني أعایشهم لا نَبْرُحُ الدهرِ إلا بيننا إْحْنُ

والتعيش: تكلف أسباب المعيشة، والمتعيش: ذو البلغة من العيش، يقال: إنهم

ليتعيشون إذا كانت لهم بلغة من العيش، ويقال: عيشهم اللبن أو الخبز أو التمر، وربما

سموا الخبز عيشاً، والعيش: الطعام، يمانيةً وأيضاً المَطْعَمُ والمَشْرَبُ وما تكون به الحياة، وفي

مثل: «أنت مرة عيش ومرة جيش»، أي تنفع مرةً وتضر أخرى، وقال أبو عبيد: معناه أنت

أنت مرةً في عيش رخي وجيش غزبي وقال ابن الأعرابي لرجل: كيف فلان؟ قال: عيش

وجيش، أي مرةً معي ومرةً عليّ» ا.ه لسان [عيش].

وفي التاج: «كُلُّ من المعاش والمعيش يكون مصدرًا أو اسمًا كالمعاب والمعيب والممال

والمميل، قال رؤبة: [ديوانه ٣٣٠]

أشكو إليك شدة المعيشِ وجهد أعوامِ برينِ ريشي-

وأعاشه الله، قال أبو دُواد وقد سأله أبوه ما الذي أعاشك بعدي؟ فأجابه:

أعاشني بعدك وإدِ مُبْقِلُ أَكُلُ مِنْ حَوْدَانِهِ وَأَنْسِلُ

وكذا عيشه تعيشاً، والعيش: الطعام، يمانيةً، وما يُعاش به» ا.ه من التاج.

«الذي رنقه» أي كدره وعكره، يقال: رنق كفرح ونصر رنوقاً ورنقاً ورنقاً، قال زهير

بن أبي سلمى: [ديوانه ٤٠]

شَجَّ السُّقَاةُ على ناجودها شِبْماً مِنْ ماءِ لينةٍ لا طَرْقاً ولا رَنْقاً

وكذا ترنق فهو رنق كعدل وكتف وجبل، قال مرداس بن أدية:

مَخَافَةٌ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ»
 ا.هـ لسان [رتق]. قال في اللسان في مادة (ك ر م): «قال قطريُّ بن الفجاءة المازنيُّ لأبي خالد
 القناني:

أبا خالدٍ إنْفِرْ فِلْسَتْ بِخَالِدٍ وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عُذْرًا لِقَاعِدِ
 أَتَزْعُمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهُدَى وَأَنْتَ مَقِيمٌ بَيْنَ رَاضٍ وَجَاحِدِ
 فكتب إليه أبو خالد:

لقد زاد الحياة إليَّ حُبًّا بناتي أتمنن من الضعافِ
 مَخَافَةٌ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ
 وَأَنْ يَعْرَيْنَ إِنْ كُسيَ الْجَوَارِي فَتَتَّبِعُوا الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عِجَافِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعْفَاءِ كَافِ
 أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَبَّتْ عَنَّا وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافِ»

وفي اللسان أيضاً: «الرَّنْقُ: تراب في الماء من القذى ونحوه، والرَّنَقُ بالتحريك مصدر
 رَنَقَ كَفَرِحَ رَنْقًا وَرَنَقَ رَنْقًا وَرُنُوقًا فَهُوَ رَنْقٌ وَرَنْقٌ بِالتسكين، وترنق: كدِر، وأنشد لزهير:
 شَجَّ السُّقَاةُ عَلَى نَاجُودِهَا شَبِيهَا مِنْ مَاءِ لِينَةٍ لَا طَرْقًا وَلَا رَنْقًا
 وَرَنْقَهُ وَأَرْنَقَهُ: كدَره، والرَّنْقَةُ: الماء القليل الكدِر يبقى في الحوض، وصار الطين رَنْقَةً
 واحدة إذا غلب الطين على الماء، ابن الأعرابي: الترنيق يكون تكديراً ويكون تصفية، قال:
 وهو من الأضداد، يقال: رَنَقَ اللهُ قَدَاتَكَ أَي صَفَّاهَا» ا.هـ لسان.

«صَرَفُ الزَّمانِ» تَقْلِيْبُهُ النَّاسَ وَتَصَرُّفُهُ بِهِمْ، ففِي اللِّسانِ: «صَرَفُ الدَّهْرِ: حَدَثَانُهُ
 وَنَوَائِبُهُ، وَالصَّرْفُ: حَدَثَانُ الدَّهْرِ لِأَنَّهُ يَصْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَنْ وُجُوْهِهَا، وَقَوْلُ صَخْرُ الْعَيِّ:
 عَاوَدَنِي حُبُّهَا وَقَدْ شَحِطْتُ صَرَفُ نَوَاهِ فَإِنِّي كَمِدُ
 أَنَّهُ لَتَعْلِيْقُهُ بِالنَّوَى، وَالْجَمْعُ صُرُوفٌ» ا.هـ لسان، وَفِي التَّاجِ مِثْلُهُ [صرف].

«فَاسْتَسَاغَ وَصَفَا» أَي فَسَهَّلَ وَخَلَّصَ مِنَ الْكُدُورَةِ، فَاسْتَسَاغَ الْفَاءَ عَطْفِيَّةً سَبَبِيَّةً، وَاسْتَسَاغَ لَمْ أَجِدْهَا، وَإِنَّمَا وَجَدْتُ سَاغَ إِذَا سَهَّلَ وَتَيْسَّرَ وَأَمَكَّنَ تَنَاوَلَهُ بِغَيْرِ كُلْفَةٍ، وَصَفَا: نَظَّفَ وَخَلَا مِنْ كُلِّ مَكْدَّرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ [النحل: ١٦/٦٦]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَعَصُّ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ

وَالسُّوَاغُ كِكِتَابٍ: مَا أَسْغَتَ بِهِ غَصَّتَكَ، قَالَ الْكَمِيتُ: [ديوانه ١/٩٨]

وَكَانَتْ سِوَاغًا إِنْ جِئْتُ بِغُصَّةٍ يَضِيقُ بِهَا ذَرْعًا سِوَاهِمَ طَبِيبُهَا

وَفِي التَّاجِ: «الْجَازُ بِالتَّسْكِينِ: اسْمُ الْغَصَصِ فِي الصَّدْرِ، أَوْ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَاءِ، قَالَ رُؤْبَةُ: [ديوانه ٦٤]

نَسَقِي الْعِدَا غَيْظًا طَوِيلَ الْجَازِ

أَي طَوِيلَ الْغَصَصِ؛ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ فِي حُلُوقِهِمْ، وَالْجَازُ بِالتَّحْرِيكِ الْمَصْدَرُ، وَقَدْ جِئْتُ جَازًا إِذَا غَصَّ، فَهُوَ جِئْتُ وَجِئْتُ عَلَى مَا يَطْرُدُ عَلَيْهِ هَذَا النُّحُوفِ فِي لُغَةِ قَوْمٍ، كَذَا فِي اللِّسَانِ ١. هـ. التَّاجِ [جَاز].

«وَصَفَا» خَلَّصَ مِنَ الْكُدْرِ وَالْقَدَى وَسَائِرِ الشَّوَابِ وَتَقَيَّ وَنَظَّفَ، وَصَفَّاهُ وَخَلَّصَهُ وَنَقَّاهُ وَنَظَّفَهُ وَمَيَّزَهُ وَعَزَلَهُ وَأَفْرَزَهُ وَانْتَخَبَهُ وَاخْتَارَهُ وَاجْتَبَاهُ إِذَا أَخَذَ أَحْسَنَ مَا فِيهِ، انْتَهَى تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:

تَلَايَا الْعَيْشَ الَّذِي رَنَّقَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ فَاسْتَسَاغَ وَصَفَا

وَبَعْدَهُ:

١٠٢- وَأَجْرِيَا مَاءَ الْحَيَا لِي رَعْدًا فَاهْتَزَّ غُصْنِي بَعْدَ مَا كَانَ ذَوَى

«وَأَجْرِيَا» أَي أُسَالَا وَأَمْرًا وَمَشِيًّا وَسَيْرًا، وَهُوَ مِنَ الْإِجْرَاءِ لِلِإِسَالَةِ، مُتَعَدِّي الْجَرِيَانِ لِلسَّيْلَانِ، وَفِي اللِّسَانِ: «وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ «إِذَا أُجْرِيَتِ الْمَاءُ عَلَى الْمَاءِ أَجْرًا عَنْكَ»، يَرِيدُ إِذَا صَبَبْتَ الْمَاءَ عَلَى الْبَوْلِ فَقَدْ طَهَّرَ الْمُحَلَّ، فَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى غَسَلِهِ وَذَلِكَ» ١. هـ. لِسَانِ [جَرِي]، فَالِإِجْرَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الصَّبِّ، وَالصَّبُّ وَالسَّكْبُ بِمَعْنَى، وَكَذَا الْإِرَاقَةُ.

«الحَيَا» أي المطر، «لِي» أي لنفسي، «رَعْدًا» أي واسعاً طيباً هنيئاً، في اللسان: «عَيْشُ رَعْدٍ

وَرَعْدٍ وَرَعْدٍ وَرَعْدٍ وَرَاعِدٍ وَرَاعِدٍ وَأَرْعَدُ: مُحْصَبٌ رَفِيهٌ غَزِيرٌ، قال: [ديوان مجنون ليلي ١٥٨]

فِيَا ظَبْيِي كُلِّ رَعْدًا هَنِيئًا وَلَا تَخَفْ فَإِنِّي لَكُمْ جَارٌ وَإِنْ خَفْتُمُ الدَّهْرَا
وَأَرْعَدَ فَلَانٌ: أَصَابَ عَيْشًا وَاسِعًا، وَعَيْشَةُ رَعْدٌ وَرَعْدٌ أَي وَاسِعَةٌ طَيِّبَةٌ، وَالرَّعْدُ:

الكثير الواسع الذي لا يُعْيِيكَ من مال أو ماء أو عيش أو كَلًا. ا.هـ لسان [رعد].

وفي التاج: «عَيْشَةُ رَعْدٍ بَفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ وَرَعْدٌ مُحْرَكَةٌ: وَاسِعَةٌ طَيِّبَةٌ، وَكَذَا عَيْشُ رَعْدٍ
وَرَاعِدٍ وَأَرْعَدُ: مُحْصَبٌ رَفِيهٌ غَزِيرٌ، وَتَقُولُ: الْأَمْنُ فِي الْمَعِيشَةِ الرَّغِيدَةِ أَطِيبُ مِنَ الْبَرِّيِّ
بِالرَّغِيدَةِ، الرَّغِيدَةُ: لَبَنٌ حَلِيبٌ يُعْلَى وَيُذَرُّ عَلَيْهِ دَقِيقٌ حَتَّى يَخْتَلِطَ فَيُلْعَقُ لَعَقًا، وَفَسَّرَهُ
الزَّمْخَشَرِيُّ بِالزُّبْدَةِ: وَالْجَمْعُ رَغَائِدٌ، تَقُولُ: هُمْ فِي الْعَيْشِ الرَّاعِدِ فِي الرُّطْبِ وَالرَّغَائِدِ وَانزَلُ
حَيْثُ تَسْتَرَعِدُ الْعَيْشَ، وَالرَّعْدُ: الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ الَّذِي لَا يُعْيِيكَ مِنْ مَالٍ أَوْ مَاءٍ أَوْ عَيْشٍ أَوْ
كَلًا، وَالْمَرْعَدَةُ: الرَّوْضَةُ» ا.هـ تاج، وَكَذَا فِي اللِّسَانِ [رعد].

وفي التاج: «وَالْحَيَا بِالْقَصْرِ: الْخِصْبُ وَمَا تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ وَالنَّاسُ، وَهُوَ الْمَطَرُ لِأَحْيَائِهِ
الْأَرْضَ، وَتَسْمِيَةُ الْخِصْبِ حَيَاءً لِتَسْبِيهِ عَنْهُ، وَيُمَدُّ فِيهَا» ا.هـ تاج العروس [حيا].

وفي اللسان: «الْحَيَا: الْخِصْبُ وَالْمَطَرُ، وَحَيَا الرَّبِيعُ: مَا تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ مِنَ الْغَيْثِ، وَفِي
حَدِيثِ الْاسْتِسْقَاءِ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُعِينًا وَحَيَا رَبِيعًا»، الْحَيَا: الْمَطَرُ لِأَحْيَائِهِ الْأَرْضَ،
وَقِيلَ: الْخِصْبُ وَمَا تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ وَالنَّاسُ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ عَلِيٌّ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ يُشَبِّهُ الْقَمَرَ الْبَاهِرَ وَالْأَسَدَ الْخَادِرَ وَالْفُرَاتَ الزَّاخِرَ وَالرَّبِيعَ الْبَاكِرَ»، أَشْبَهَ مِنَ الْقَمَرِ
ضَوْءَهُ وَهَيَاةَهُ وَمِنَ الْأَسَدِ شَجَاعَتَهُ وَمَضَاءَهُ وَمِنَ الْفُرَاتِ جَوْدَهُ وَسَخَاءَهُ وَمِنَ الرَّبِيعِ
خِصْبَهُ وَحَيَاةَهُ» ا.هـ من لسان العرب [حيا].

«لِي رَعْدًا»، تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ. «فَاهْتَزَّ» أَي تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ، «عُصْنِي» أَي فَرَعِي،
وَالْعُصْنُ: الْقَضِيبُ وَالشُّعْبَةُ تَخْرُجُ مِنْ سَاقِ الشَّجَرَةِ، فِي التَّاجِ: «الْعُصْنُ: مَا تَشَعَّبَ مِنْ
سَاقِ الشَّجَرَةِ دِقَاقُهَا وَغِلَاطُهَا، وَالشُّعْبَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْهَا عُصْنَةٌ» [عصن] ا.هـ.

وفي اللسان عن المحكم: «الغصن: ما تشعب عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها،
وغصنة من الغصن» [غصن].

«بعد ما كان ذوى» بعد أي غبَّ وعقبَ وتلَوَّ وإثرَ، وما مصدرية، وكان مسبوكةً
بمصدر، أي بعد كونه ذوى، أي ذبلَّ وجفَّ وذهب ماؤه وزال رُواؤه.

١٠٣- هُمَا اللَّذَانِ سَمَوَا بِنَاظِرِي مِنْ بَعْدِ إِغْضَائِي عَلَى لَدَعِ الْقَدَى

هما ضمير تثنية للغيبة، واللذان تثنية الذي، وهو اسم موصول صيغ ليتوصل به إلى وصف
المعارف بالجمل، وقد تقدّم الكلام عليه بأكثر من هذا، فارجع إليه وراجعهُ إن شئت.

«سَمَوَا» أي ارتفعا وسمقا وعلواً وشَمَخَا، «بِنَاظِرِي» أي بعيني، وفي المختار: «الناظر
في المقلّة: السّواد الأصغر الذي فيه إنسان العين» ا.هـ، وفي المصباح: «هو السّواد الأصغر من
العين الذي يُبصر به الإنسانُ شخصه» ا.هـ، وفي لسان العرب: «وناظر العين: النّقطة السوداء
الصّافية التي في وسط سواد العين، وبها يرى الناظر ما يرى، وقيل: الناظر في العين كالمرآة إذا
استقبلتها أبصرتَ فيها شخصك، والناظر في المقلّة: السّواد الأصغر الذي فيه إنسان العين،
ابن سيده: والناظر: النّقطة السوداء في العين، وقيل: هي البصر نفسه، وقيل: عرقٌ في
الأنف، وفيه ماء البصر، والناظران: عرقان على حَرَفِي الأنف يسيلان من الموقين، وقيل: هما
عرقان في العين يسقيان الأنف، وقيل: الناظران: عرقان في مجرى الدّمع على الأنف من
جانبه، ابن السكّيت، الناظران: عرقان مكتنفا الأنف، وأنشد جرير: [ديوانه ٥٦٧]

وَأَشْفِي مِنْ تَخْلُجِ كُلِّ جِنٍّ وَأَكْوِي النَّاظِرِينَ مِنَ الْخُنَّانِ

والخُنَّان: داء يأخذ الناس والإبل، وقيل: إنه كالزُّكام، قال الآخر:

وَلَقَدْ قَطَعْتُ نَوَاطِرًا أَوْ جَمْتَهَا مَمَّنْ تَعَرَّضَ لِي مِنَ الشُّعْرَاءِ

قال أبو زيد: هما عرقان في مجرى الدّمع على الأنف من جانبه، وقال عتيبة ابن

مرداس، ويُعرف بابن فسوة: [ديوان العباس بن مرداس ١٦]

قليلة لحم الناظرين يزينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردٌ
تناهى إلى هُو الحديث كأنها أخو سقطه قد أسلمته العوائد

وصف محبوبته بأسالة الخدّ وقلة لحمه، وهو المستحبّ، والعيش البارد هو الهنيئ
الرغد، والعرب تكني بالبرد عن النعيم، وبالحرّ عن البؤس، وعليه سمي النوم برداً لأنه
راحة وتنعم، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٧٨/٢٤]، قيل: نوماً، وقوله:
تناهى أي تنهي في مشيها إلى جاراتها لتلهو معهنّ، وشبهها عند المشي بعليل ساقط لا
يُطيق النهوض، وقد أسلمته العوائد لشدة ضعفه. ا.هلسان العرب [نظر].

«من بعد إغضائي على لدع القدي» الإغضاء: مُدانة الجفنين وتقريب أحدهما من
الآخر، وفعله أغضى، في المختار: «الإغضاء: إيداء الجفون» ا.ه، وفي المصباح: «أغضى
عينه: قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم فقيل: أغضى على القدي، إذا أمسك عفواً
عنه»، وفي اللسان: «غصوت عليه وأغضيت: سكت، وقول الطرمّاح:

غضّي عن الفحشاء يقصّر طرفه وإن هو لاقى غارة لم يهلل
يجوز كونه من غصا وكونه من أغضى، كعذاب أليم وضرب وجيع، والأول أجود،
والإغضاء: إيداء الجفون، وأغضى: أطبق جفنيه على حدقته، وأغضى عيناً على قدي: صبر
على أذى، وأغضى عنه طرفه: صدّه أو سدّه، أنشد ثعلب:

دفعت إليه رسل كوما جلدة وأغضيت عنه الطرف حتى تضلعا
وقول الشاعر:

كعتيق الطير يغضي ويجل

أي يغضي الجفون مرّة ويجلّ أخرى، وقال الآخر:

لم يغض في الحرب على قذاكا

ابن بري: أغضيت يتعدى ويلزم، فمن الأول قوله:

فما أسلمتنا عند يوم كريمة ولا نحن أغضينا الجفون على وتز

ومنه ما يُحكى عن عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه: «فكم أُغْضِي الجفونَ على القَدَى وأسحبُ ذَيْلي على الأذَى، وأقولُ: لعلَّ وعسى»، ومن الثاني قولُ الآخر:

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِن مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وَتَغَاضَى عَنْهُ: تَغَابَى وَتَغَافَلَ [ا.هـ لسان [غضي].

وفي التاج: مثله وزيادة، قال: «أَغْضَى: أَدْنَى الجفونَ، وبعضُهم: أَطَبَقَ جفنيهِ على حَدَقَتِهِ وعليه: سكت، وهو من ذلك، واللَّيْلُ: أَظْلَمَ كَغَضَى يَعْضُو فِيهَا أَي فِي إِظْلَامِ اللَّيْلِ والسُّكُوتِ، وَأَغْضَى عَنْهُ طَرْفَهُ: سَدَّهُ أَوْ صَدَّهُ، كَذَا فِي المَحْكَمِ [٦/٢٣-٢٤]، وهما متقاربان، ومن المستدرِك غَضَى الرَّجُلُ: أَطَبَقَ جفنيهِ على حَدَقَتِهِ، لَغَةً فِي أَغْضَى، نقله ابن سيده، وَغَضَى يَعْضَى كَسَعَى يَسْعَى لَغَةً فِيهِ، ومنه قول الزمخشري في الأساس: «الكَرِيمُ رَبًّا يَعْضَى وَيَبِينُ جفنيهِ نَارَ الغَضَى، وَرَجُلٌ غَضِيٌّ عَنِ الحَنَاءِ كغنيٍّ، يجوز كونه مِن غَضَاً وَكُونَهُ مِن أَغْضَى، كعذاب أليم وضرب وجميع، والأول أجودٌ، ومنه قول الطرمّاح:

غَضِيٌّ- عَنِ الفَحْشَاءِ يَقْضِرُ طَرْفُهُ «ا.هـ تاج [غضي]
وقريب من الإغضاء الغَضُّ،

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيْرٍ فَلَكَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
وكذا الإغماض والتغميض والغمض والغماض والاختماض.

«على لَدَعِ القَدَى» أَي على حُرْقَتِهِ، فِي اللِّسَانِ: «اللَّدَعُ: حُرْقَةٌ كحُرْقَةِ النَّارِ، وَقِيلَ: هُوَ مَسُّ النَّارِ وَحَدَّتْهَا، وَلَدَعَتْهُ: لَفَحَتْهُ وَأَحْرَقَتْهُ، وَفِي الحَدِيثِ: «خَيْرٌ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ كَذَا وَكَذَا أَوْ لَدَعَةُ بِنَارٍ تُصِيبُ أَلْمًا» [البخاري: ٥٦٨٢]، اللَّدَعُ: الخفيف من إحراق النار، يريد الكَيَّ، وَلَدَعَ الحَبُّ قَلْبَهُ: أَلَمَهُ، قَالَ أَبُو دُوَادٍ: [ديوانه ٣٥٠]

فَدَمَعِي مِّنْ ذِكْرِهَا مُسْبَلٌ وَفِي الصِّدْرِ لَدَعٌ كَجَمْرِ الغَضَا

ولذَّعَه بلسانه على المثل: أَوْجَعَه بكلام يقول: نعوذ بالله من لَوَاذِعِه، والتلذُّع التوقُّد، واللَّوْذَعِيّ: الحديدُ الفؤاد واللِّسانُ الظريفُ، كأنَّه يَلذُّعُ من ذكائه، قال الهذليّ:

فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَفَرَّقُوا وَقَدْ خَفَّ عَنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْخُلَاحِلُ
وقيل: هو الحديدُ النفسِ^١ ا.هـ لسان [لذع].

وفي التاج: «لَذَعَ الحُبُّ قلبه: آلمه، نقله ابن دريد، وهو مجاز، والنارُ الشيءَ لَفَحَتْه وأحرقته، وقد يُراد باللذع الإحراق الخفيف، وهو الكيُّ، ورجل مَدَّاعٌ لَدَّاعٌ أي مَخْلَافٌ للوعد، يعد خيراً ثم يَلذُّعُ بالخلف، واللَّوْذَعُ واللَّوْذَعِيّ: الخفيف الذكيُّ الظريفُ الذهن، وقيل: الحديدُ الفؤاد والنفسُ واللِّسَنُ الفصيح الذي يَلذُّعُ بالنار من ذكائه وحرارته، قال أبو خراش الهذليّ:

فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَفَرَّقُوا وَقَدْ خَفَّ عَنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْخُلَاحِلُ
وقال آخر: [ديوان أبي طالب ٦٢]

وعَرَبَةٌ أَرْضٌ مَا يُجِلُّ حَرَامَهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا اللَّوْذَعِيُّ الْخُلَاحِلُ
يعني النبيُّ ﷺ، أُحِلَّتْ لَهُ مَكَّةُ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ثُمَّ عَادَتْ لِمَا كَانَتْ، وَتَلذَّعَ: التفتَ يميناً وشمالاً وحرَّكَ لِسَانَهُ مِنَ الغُضْبِ، وَتَلذَّعَ: سار سِيراً حَسَناً مَعَ سُرْعَةٍ، وَالتلذُّعُ: التوقُّد، وَمِنْهُ تَلذَّعَ الرَّجُلُ إِذَا تَوَقَّدَ ذَهْنَهُ^١ ا.هـ تاج العروس.

«القَدَى» فِي الْأَصْلِ: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ مِنْ تِبْنٍ وَعُودٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فِي التَّاجِ: «القَدَى: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَالشَّرَابِ مِنْ ذَبَابٍ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هُوَ مَا يَلْجَأُ إِلَى نَوَاحِي الْإِنَاءِ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ، قَالَ الْأَخْطَلُ: [شعره ٤٨٥]

وَلَيْسَ الْقَدَى بِالْعُودِ يَسْقُطُ فِي الْإِنَاءِ وَلَا بِذَبَابٍ قَدَفُهُ أَيْسَرُ الْأَمْرِ
وَلَكِنْ قَدَاها زَائِرٌ لَا نُحِبُّهُ تَرَامَتْ بِهِ الْغِيظَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِي
وهو يُغْضِي عَلَى الْقَدَى أَي يَسْكُتُ عَلَى الذَّلِّ وَالضَّيْمِ وَفَسَادِ الْقَلْبِ^١ ا.هـ تاج [قذى].

وفي اللسان: «قوله عليه الصلاة والسلام في فتنة ذكرها: «هُدْنَةُ عَلَى دَخَنِ وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ» هو جمع قَدَى، وهي جمع قَدَاة، وهو ما يقع في العين والماء والشَّرَاب من ترابٍ أو تِبْنٍ أو وَسَخٍ أو غير ذلك، أراد أن اجتماعهم يكون على فساد من قلوبهم، فشَبَّهه بِقَدَى العين والماء والشَّرَاب، قال أبو عبيد: هذا مثل، يقول: اجتماع على فساد في القلوب شُبّه بِأَقْدَاءِ العين، ويقال: فلان يُغْضَى على القَدَى إذا سَكَتَ على الذُّلِّ والظُّمِ وفساد القلب، وفي الحديث: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ القَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَعْمَى عَنِ الجِدْعِ فِي عَيْنِهِ»، ضَرَبَهُ مِثْلًا لِمَنْ يَرَى الصَّغِيرَ مِنْ عِيُوبِ النَّاسِ وَيَعِيرُّهُمْ بِهِ وَفِيهِ مِنَ الْعِيُوبِ مَا نَسَبْتُهُ إِلَيْهِ كَنَسْبَةِ الجِدْعِ إِلَى القَدَاةِ، والله أعلم». اهـ لسان العرب.

١٠٤ - هُمَا اللَّذَانِ عَمَرَائِي جَانِبًا مِنْ الرَّجَاءِ كَانَ قَدِمًا قَدِ عَفَا

هما ضمير تشبیه، واللذان تشبیه الذي، وهو اسم موصول مَصْوَغٌ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى وَصْفِ المَعَارِفِ بِالْجُمْلِ.

«عَمَرًا» أَي بَنِيًا، «لِي جَانِبًا» أَي نَاحِيَةً، «مِنَ الرَّجَاءِ» أَي مِنَ الْأَمَلِ، «كَانَ» أَي ذَلِكَ الْجَانِبِ، «قَدِمًا» أَي قَدِيمًا، «قَدِ عَفَا»: تَحَقَّقَ كَوْنُهُ دَرَسَ وَانْطَمَى وَانْمَحَى وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ. عَمَرَ: فَعَلَ مَا ضَلَّ مَوْصُولُ بِالْفِ التَّشْبِيهِ الرَّاجِعَةَ إِلَى الْأَمِيرِينَ، وَهُوَ مِنَ الْعُمَرَانِ أَي الْبُنْيَانِ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: «عَمَرَ الْمَنْزِلَ بِأَهْلِهِ عَمْرًا مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ، فَهُوَ عَامِرٌ، وَسُمِّيَ بِالْمَضَارِعِ، وَعَمَرَهُ أَهْلُهُ: سَكَنُوهُ وَأَقَامُوا بِهِ، يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ، وَعَمَرْتُ الدَّارَ أَيْضًا عَمْرًا: بَنَيْتُهَا، وَالاسْمُ الْعِمَارَةُ بِالْكَسْرِ، وَالْعُمَرَانُ اسْمٌ لِلْبُنْيَانِ» اهـ مصباح [عمر].

وفي شفاء الغليل: «تَعْمِيرُ: زِيَادَةُ الْعُمُرِ، وَأَمَّا مِنْ عِمَارَةِ الْبِنَاءِ قَالُوا: إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعُوهُ وَخَطَّأُوا مَنْ اسْتَعْمَلَهُ، لَكِنْ فِي كِتَابِ «الذَّيْلِ وَالصَّلَاةِ» لِلصَّاعِقَانِيِّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ: «التَّعْمِيرُ: جُودَةُ نَسْجِ الثَّوْبِ وَحُسْنُ عَزْلِهِ وَلِينُهُ، انْتَهَى فَعَلِيهِ هُوَ يَخْتَصُّ بِالْعُمُرِ، وَإِحْكَامُ الْبِنَاءِ مِتْقَارِبَانِ، فَيَسْهُلُ التَّجَوُّزُ وَالتَّسْمُحُ فِيهِ» اهـ شفاء الغليل [ص ٢١٥].

«جَانِبًا» أَي جِهَةً وَنَاحِيَةً وَصَوْبًا وَوَجْهًا.

«من الرَّجاءِ» أي من الأمل، وهو الاسم من رَجَاهُ يَرْجُوهُ رُجُوءًا على فُعُول، كما في المصباح [رجا]، إذا أَمَلَهُ وأَرَادَهُ، وفي التاج: «الرَّجاءُ بالمدُّ ضدُّ اليأس، قال الراغب: هو ظنُّ يقتضي حصولَ ما فيه مَسْرَّةٌ، وقال الحرَّالِيُّ: هو ترُقُّبُ الانتفاع بما تقدَّم له سببٌ ما، وقال غيره: هو لغةُ الأملِ وعُرفاً تعلُّقُ القلبِ بحصولِ محبوبٍ مستقبلاً، كذا عبَّرَ ابنُ الكمال، وقال شيخنا: هو الطَّمَعُ في مُمكنِ الحصولِ، أي بخلاف التَمَنِّي، فإنه يكون في المُمكنِ والمستحيلِ ويتعارضان ولا يتعلَّقان إلا بالمعاني، وتمنَّيتُ زيـداً ورجوتُه بمعنى» ١. ه تاج العروس.

وفي التاج: «تمنَّاهُ: أَرَادَهُ، قال ثعلب: التَمَنِّي: حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، وقال ابن الأثير: التَمَنِّي: تَشَهِّيُّ حصولِ الأمرِ المرغوب فيه، ابن دريد: تمنَّاهُ: قَدَّرَهُ وَأَحَبَّهُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ، من المَنَى، وهو القَدَرُ، وقال الراغب: التَمَنِّي: تَقْدِيرُ شَيْءٍ فِي النَفْسِ وَتَصْوِيرُهُ فِيهَا، وذلك قد يكون عن تَحْمِينِ وَظَنٍّ وَعَنْ رَوِيَّةٍ وَبِنَاءٍ عَلَى أَصْلِ، لكن لما كان أَكْثَرُهُ عَنْ تَحْمِينِ صَارَ الكَذِبُ لَهُ أَمْلَكًا، فَأَكْثَرَ التَمَنِّيَ تَصَوُّرًا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، قال الشاعر:

كَأَنَّا لَا تَرَانَا تَارِكِيهَا بَعْلَةَ بَاطِلٍ وَمُنَى اغْتِرَارِ

وقال كعب:

فَلَا يُعْرَنُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

«كان» أي الجانب. «قَدَمًا» أي قَدِيمًا، قال في لسان العرب: «يقال: قَدَمًا كان كذا

وكذا، وهو اسم من القَدَمِ، جُعِلَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ» ١. ه لسان، ومثله في التاج.

«قد عَفَا» أي قد انْدَرَسَ وانْمَحَى أَثْرُهُ وانْطَمَى مَعْلَمُهُ، ولم يبقَ منه شيء، نقل في التاج عن شيخه أن أصل معنى العَفْوِ التَّرْكَ، وعليه تدور معانيه، فيُفسر في كلِّ مَقَامٍ بما يَناسِبُهُ من تَرْكَ عِقَابٍ وَعَدَمِ إِلْزَامٍ مِثْلًا، قال: «وفي كلام المفسِّرين وأرباب الحواشي إِبْهَاءٌ لِدَلِّكَ، قلت: أصل معنى العَفْوِ القَصْدُ لِتَنَاولِ الشَّيْءِ، وعلى هذا تدور معانيه كما حَقَّقَهُ الرَّابِعُ وَغَيْرُهُ، لا ما قَرَّرَهُ شَيْخُنَا مِنْ أَنَّ أَصْلَ مَعْنَاهُ التَّرْكَ، فَتَأَمَّلْ، قال الرَّابِعُ: فَمَعْنَى «عَفْوَتْ»

عنك كأنه قصد إزالة ذنبه صارفاً عنه، فالمعفو: المتروك، وعنك متعلق بمضمَر، فالعفو هو التَّجافي عن الذنب، وعفا أثره عفاً: هلك، كأنه قصد هو البلى، وعفت الرِّيح الدار: قصبتها متناولةً آثارها، وبهذا النَّظَر قال الشاعر: [ديوان أبي تمام ٣٩٤ / ٢]

أخذ السبلى آياتها.....

وعفت الدار كأنها قصدت هي البلى» ا. ه. تاج العروس [عفا].

والحاصل أن شيخ مرتضى الزبيدي أبا عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة سنة ١١٧٠ قال: أصل معنى العفو التَّرك، والسيد المرتضى أن أصله القصد للتناول، والله أعلم بالحقيقة والهادي لأقوم طريقة، ا. ه. تفسير قوله:

هما اللذان عمرا لي جانباً من الرجاء كان قدماً قد عفا

وبعده:

١٠٥- وَقَلْدَانِي مِنَّةً لَوْ قُرْنَتْ بِشُكْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنِّي مَا وَفَى

«وقلداني منة» أي جعلاً في عنقي نعمة، وأصل التقليد في اللغة جعل القلادة في العنق، والقلادة: ما جعل في العنق، قال في تاج العروس: «قلده السيف: ألقى جماله في عنقه فتقلده، وفي مثل مشهور «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»، قال في لسان العرب: قلده عملاً وقلده الأمر: ألزمه إياه، ويقال: قلده القلادة فتقلدها، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال، وتقليد البدن: أن يجعل في عنقها شعاراً يعلم به أنها هدي، قال الفرزدق: [ديوانه ١٠٨ / ١]

حلفت برب مكّة والمصلّى وأعناق الهديّ مقلّدات

وقلده الأمر: ألزمه إياه، وتقلد الأمر: احتمله، وتقلد السيف كذلك، وقوله:

يا ليت زوجك قد عداً متقلداً سيفاً ورُحماً

أَيُّ وَحَامِلًا رُحْمًا، قَالَ: وَهَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

أَيُّ وَسَقَيْتُهَا مَاءً بَارِدًا، وَمُقَلَّدُ الرَّجْلِ: مَوْضِعُ نَجَادِ السَّيْفِ عَلَى مَنْكَبَيْهِ، وَالْمُقَلَّدُ مِنَ الْخَيْلِ: السَّابِقُ يَقْلُدُ شَيْئًا لِيُعْرَفَ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ، وَالْمُقَلَّدُ: مَوْضِعٌ، وَمُقَلَّدَاتُ الشَّعْرِ: الْبَوَاقِي عَلَى الدَّهْرِ [قَلْد].

«مِنَّةٌ» أَيُّ نِعْمَةً، مِنْ مَنْ عَلَيْهِ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَفْضَلَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ، فِي اللِّسَانِ: «الْمِنَّةُ: الْعَطِيَّةُ وَالنِّعْمَةُ، مِنْ مَنْ عَلَيْهِ إِذَا أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ» [مَنْ].

«لَوْ قَرِنْتُ» لَوْ جُعِلَتْ مَقْرُونَةً، يُقَالُ: قَرَنَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ إِذَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا وَضَمَّ، وَفِي اللِّسَانِ: «قَرَنَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: وَصَلَهُ» [قَرَن].

«بِشُكْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنِّي مَا وَفَى» الشُّكْرُ مَصْدَرُ شَكَرْتُ اللَّهُ عَلَى إِعْنَامِهِ، وَهِيَ أَنَا أَشْكُرُهُ عَلَى تَفَضُّلَاتِهِ وَمَوَاهِبِهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ أَعْمَالَنَا مَشْكُورَةً، وَفِي الْمَصْبَاحِ: «شَكَرْتُ اللَّهُ: اعْتَرَفْتُ بِنِعْمَتِهِ وَفَعَلْتُ مَا يَجِبُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ وَتَرَكْتُ الْمَعْصِيَةَ، وَهَذَا يَكُونُ الشُّكْرَ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَتَعَدَّى فِي الْأَكْثَرِ بِاللَّامِ فَيُقَالُ: شَكَرْتُ لَهُ شُكْرًا وَشُكْرَانًا، وَرَبِّهَا تَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَيُقَالُ: شَكَرْتُهُ، وَأَنْكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي السَّعَةِ، وَقَالَ: بَابُ الشُّعْرِ، وَقَوْلُ النَّاسِ فِي الْقُنُوتِ: نَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ لَمْ يَثْبُتْ فِي الرَّوَايَةِ الْمَنْقُولَةِ عَنْ عُمَرَ، عَلَى أَنَّ لَهَا وَجْهًا، وَهُوَ الْإِزْدِوَاجُ، وَتَشَكَّرْتُ لَهُ كَشَكَرْتُ لَهُ» ١. هـ. مَصْبَاحُ [شُكْر]. وَفِي التَّاجِ: «الشُّكْرُ: عِرْفَانُ الْإِحْسَانِ وَنَشْرُهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ يَدٍ، وَالْحَمْدُ يَكُونُ عَنِ يَدٍ وَعَنِ غَيْرِ يَدٍ، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا، قَالَ ثَعْلَبٌ، وَاسْتَدَلَّ ابْنُ سَيِّدِهِ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ أَبِي نُخَيْلَةَ: [الأغاني ٢٥٨/١]

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي

وَتَشَكَّرَ لَهُ كَشَكَرَ، قَالَ: أَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ: [ديوان الطرماح ٥٧٢]

وَإِنِّي لَأَتِيكُمْ تَشَكَّرَ مَا مَضَى مِنَ الْأَمْرِ وَاسْتَيْجَابَ مَا كَانَ فِي الْعَدِّ

أَيُّ لِتَشْكُرُ مَا مَضَى، وَأَرَادَ «مَا يَكُونُ» فَوَضَعَ الْمَاضِي مَوْضِعَ الْآتِي، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» [شكر].

«مَا وَفَى» أَيُّ مَا كَفَى وَلَا عَدَلَ، يُقَالُ: وَفَى إِذَا تَمَّ وَكَثُرَ وَعَدَلَ وَأَنْجَزَ، فِي الْقَامُوسِ: «وَفَى بِالْعَهْدِ وَفَاءً ضِدُّ غَدَرٍ، كَأَوْفَى، وَوَفَى الشَّيْءُ وَفِيًّا كَصَلِيًّا: تَمَّ وَكَثُرَ فَهُوَ وَفِيٌّ وَوَافٍ، وَوَفَى الدَّرْهَمُ الْمُثْقَالَ: عَدَلَهُ [أَيُّ كَانَ مِثْلَهُ] وَالْوَافِي دَرْهَمٌ وَأَرْبَعَةٌ دَوَانِقُ» ١. هـ قَامُوسٌ [وَفَى].

١٠٦ - صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا وَمَا دَجَا اللَّيْلُ وَمَا لَاحَتْ ذُكَا

«صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ» تَقَدَّمَ شَرْحُهُ. «مَا هَبَّ الصَّبَا»، أَيُّ هَاجَ وَثَارَ الْهُوَاءُ الْمَعْرُوفُ بِالصَّبَا، وَهِيَ كَمَا فِي التَّاجِ: «رِيحٌ تُقَابِلُ الدَّبَّورَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ، كَأَنَّهَا تَحْنُ [تَصْبُو] إِلَيْهِ، وَمَهْبُهَا مِنْ مَطْلَعِ الشَّرِيَّا إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ، وَفِي الصَّحَاحِ: مَهْبُهَا الْمَسْتَوِي مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِذَا اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَتَزَعَمُ الْعَرَبُ أَنَّ الدَّبَّورَ تُزَعَجُ السَّحَابُ وَتُشَخِّصُهُ فِي الْهُوَاءِ ثُمَّ تَسُوقُهُ، فَإِذَا عَلَا كَشَفَتْ عَنْهُ وَاسْتَقْبَلَتْهُ الصَّبَا، فَوَزَّعَتْ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَصِيرَ كِسْفًا وَاحِدًا، وَالْجَنُوبُ تُلْحَقُ رَوَادِفَهُ بِهِ وَتُمَدُّهُ مِنَ الْمَدَدِ، وَالشَّهَالُ تَمَزَّقُ السَّحَابَ» ١. هـ تَاجٌ [صَبَا].

«وَمَا دَجَا اللَّيْلُ» أَيُّ وَمَا أَظْلَمَ، وَقِيلَ: مَعْنَى «دَجَا اللَّيْلُ» هَدَأَ وَسَكَنَ، وَهُوَ مَجَازٌ وَالْمِرَادُ مَنْ فِيهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: لَيْلُهُ قَائِمٌ وَنَهَارُهُ صَائِمٌ [دَجَا].

«وَمَا لَاحَتْ ذُكَا» أَيُّ وَمَا ظَهَرَتْ وَبَدَتْ ذُكَا، وَذُكَا بِالْقَصْرِ لِلْقَافِيَةِ، وَإِلَّا فَهِيَ مَمْدُودَةٌ، عَلِمَ عَلَى الشَّمْسِ لَا تَدْخُلُهُ أَلٌ، وَلَا يَنْصَرِفُ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّائِيثِ، وَيُقَالُ لِلصَّبْحِ: ابْنُ ذُكَاءَ لِأَنَّهُ مِنْ ضَوْئِهَا، وَقَالَ الرَّاعِبُ: لِأَنَّهُ يُتَصَوَّرُ الصَّبْحُ ابْنًا لِلشَّمْسِ، وَتَارَةً حَاجِبًا، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ ابْنُ ذُكَاءَ وَحَاجِبُ الشَّمْسِ [التَّاجِ (ذُكَا)].

وقوله: «لَاحَتْ» أَيُّ بَدَتْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَاحَ الصُّوَارُ ذَكَرْتُ لَيْلِي وَأَذَكُرُهَا إِذَا فَاحَ الصُّوَارُ

والصُّوار بالضمِّ والكسر كغُرَاب وكتاب: القطيع من البقر، وأيضاً الرائحة الطيّبة، وقيل: وعاء المسك، وقيل: القطعة منه، وقيل: نافِحتُه.

فصار معنى البيت إذا بدا سِرْبُ المَها تذكرت ليل لجامع حلاوة العينين في كليهما، وكذلك إذا نَفَحَ المسكُ وتوهَّج ريحُ طيبه وانتشر أَرْجُه وفاحَ شَدَاهُ ذكرتها لما بينهما من التماثل في طيب الرائحة.

المعنى أدامَ اللهُ رحمته ومثوبته وزادهما وضاعفهما وجعلهما مباركتين للنبي المصطفى عليه وآله وصحبه وسائر الأنبياء الصلاة والسلام ما هاجت ريحُ الصِّبَا وهي القَبُول وما مدَّ اللَّيْلُ رواقَ ظلامه وأزخى سُدُوله وما ظهرت عينُ الشمس وأشرفت على العالم، والمراد التأييد مطلقاً كما تقدّم.

١٠٧ - جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الْجُنُوبُ جَانِباً مِنْهَا وَوَأَصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصِّبَا
«جَوْنٌ»، الجَوْنُ بالفتح يُطلق بالاشتراك على ثلاثة معانٍ متغايرة، الأَحمَرُ والأَبْيَضُ والأَسْوَدُ، وهذا الأخير هو المراد في البيت لأنه يريد به السحاب، وهو فاعل «سَقَى» المتقدّم في قوله:

سَقَى العَقِيقَ فَالْحَزِيْزَ فَالْمَلَأَ إِلَى النُّحَيْتِ فَالقُرَيَاتِ الدُّنَا
وبينهما أربعة أبيات، وكلّما كثر الماء في السحاب تراكم واسودّ، فلذلك قال: جَوْنُ.
«أَعَارَتْهُ» أي أعطته من الإعارة، وهي إعطاء الشيء على سبيل العارية، أي لينتفع به، ثم يُعاد إلى صاحبه.

«الجنوب»، قال في المصباح: «الرياح أربع، الشّمال، وتأتي من ناحية الشام، والجنوب تُقابلها، وهي الريح اليَمَانِيَّة [القِبْلِيَّة]، والثالثة الصِّبَا، وتأتي من مَطْلَعِ الشمس، وهي القَبُول أيضاً، والرابعة الدُّبُور، وتأتي من ناحية المَغْرِب» ا.هـ.
قال الأصمعيُّ: إذا جاءت الجنُوب جاء معها خَيْرٌ وتَلْقِيحٌ، وإذا جاءت الشّمال

نَشَفْتُ، وتقول العرب للمتصافيين: رِيحُهَا جَنُوبٌ، فَإِذَا تَفَرَّقَا قِيلَ: سَمَلْتُ رِيحُهَا،
وسحابة مَجْنُوبَةٌ: هَبَّتْ وثارَتْ بها رِيحُ الْجَنُوبِ [اللسان والتاج (جنب)].

«جَانِبًا» أَي جَهَّةً وَنَاحِيَةً. «مِنْهَا» الضمير يعود على الْجَنُوبِ. «وَوَاصَتْ» أَي
وَاصَلَتْ، يُقَالُ: وَصَى الشَّيْءُ بِكَذَا أَي اتَّصَلَ، وَوَصَيْتُهُ أَي وَصَلْتُهُ، وَأَوْصَى أَي وَاصَلَ،
فَالْيَاءُ وَاللَّامُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مُتَعَاقِبَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [ديوانه ٥٩٠]

نَصِي اللَّيْلِ بِالْأَيَّامِ حَتَّى صَلَاتِنَا مِقَاسَمَةٌ يَشْتَقِي أَنْصَافَهَا السَّفَرُ
«صَوْبُهُ» أَي أَنْصَابُهُ وَأَنْسَكَابُهُ وَنَزْوَلُهُ، أَوْ إِرَاقَتَهُ وَإِسَالَتَهُ، لِأَنَّ الصَّوْبَ مُصَدَّرٌ صَابَ
المَطَرُ إِذَا نَزَلَ لِأَزْمَاءٍ، وَيُقَالُ أَيضًا: صَابَ المَاءُ إِذَا صَبَّهَ مُتَعَدِّيًا، أَوْ يَكُونُ الصَّوْبُ فِي البَيْتِ
بِمَعْنَى الجِهَةِ وَالنَّاحِيَةِ، أَي وَاصَلَتْ جَانِبَهُ.

«يَدُ الصَّبَا»، وَالصَّبَا بِالفَتْحِ وَالقَصْرِ هِيَ الَّتِي تَقَابِلُ الدَّبُورِ، وَيُقَالُ لِلصَّبَا أَيضًا: رِيحُ
القَبُولِ، قَالَ فِي التَّاجِ وَاللِّسَانِ [صبا]: «وَتَزْعُمُ العَرَبُ أَنَّ الدَّبُورَ تُزْعِجُ السَّحَابَ وَتُشَخِّصُهُ
فِي الهَوَاءِ ثُمَّ تَسُوقُهُ، فَإِذَا عَلَا كَشَفَتْ عَنْهُ وَاسْتَقْبَلْتُهُ الصَّبَا فَوَزَّعَتْ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى
يَصِيرُ كِسْفًا، وَالجَنُوبُ تُلْحِقُ رَوَادِفَهُ بِهِ وَتُمَدُّهُ مِنَ المَدَدِ، وَالشَّمَالُ تَمَزَّقُ السَّحَابَ» ١هـ مِنْهَا.

والمراد باليد في قوله: «يَدُ الصَّبَا» قوَّةُ الرِّيحِ، قَالَ لبيد: [ديوانه ٣١٥]

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدِ وَزَعَتْ وَقَرَّةً قَدِ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا
وَقَالَ أَيضًا: [ديوانه ٧٧]

أَصَلَ صُورَاهُ وَتَضَيَّقَتْهُ نَطَافُ أَمْرُهَا بِيَدِ الشَّمَالِ

كَذَا فِي الْأَسَاسِ [يَدِي]، قَالَ فِي التَّاجِ وَاللِّسَانِ: «يَدُ الرِّيحِ: سُلْطَانُهَا، قَالَ لبيد:

نَطَافُ أَمْرُهَا بِيَدِ الشَّمَالِ

لَمَّا مَلَكَتِ الرِّيحُ تَصْرِيفَ السَّحَابِ جُعِلَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَيْهِ» ١هـ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ: يَدُ الرِّيحِ.
المعنى: سَحَابٌ كَثِيرٌ المَطَرِ اسْوَدَّ لَوْنُهُ لِتَكَاثُفِهِ وَتَرَكَمٍ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضِ طَبَقَاتٍ، قَدِ

أمدته ريح الجنوب بجانب منها ليجمع متفرقه، وكذلك ريح الصبا، فإنها واصلت صوبه، أي سكبته وصبه وإراقته وإسالتة أو جهته وناحيته كما تقدم، والمراد به سحاب عظيم جداً قد أخذت كل ريح تقوم بوظيفتها اللائقة بها لحفظ مائه وتوفيره وتكثيره ليكون فيه ري لمنزل الأحباب ومعاهد ذوي العهد القديم والحب الذي لا يزال يتجدد.

١٠٨- نَأَى يَمَانِيًّا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَاوْتَدَّ كِسْرَاهُ عَطَا

اللغة: نَأَى أي بَعَدَ، ومصدره النَّأَى، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ١٧/٨٣]، وقرأ ابن عامر «نَاءَ بِجَانِبِهِ»، على القلب، كما يقال رآه بمعنى رآه أي نظر إليه وأبصره، ويقال: نَأَى عَنِّي، أي فَارَقَنِي وَتَبَاعَدَ، والأظهر أن يكون «نَأَى» في البيت مقلوباً عن نَاءَ الذي مضارعُه يَنْوُءُ، ومعناه نَهَضَ وَطَلَعَ، والسحابُ يُوصَفُ بهذا، يقال: أَثْمَضَ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا سَاقَهُ وَحَمَلَهُ، قال بعضهم:

بَاتَتْ تُنَادِيهِ الصَّبَا فَأَقْبَلَا تُنْهَضُهُ صُغْدًا وَيَأْبَى ثِقَلَا

وإنما استظهرت كون نَأَى في البيت مقلوباً عن نَاءَ بناءً على فَرَضِ صِحَّةِ رَوَايَةِ «نَأَى» هكذا بتقديم الهمز على الألف اللينة، وإلا فيقال: هو محرف عن نَاءَ بتقديم الألف اللينة على الهمز بمعنى طَلَعَ وَنَهَضَ، ولا حاجة حينئذٍ لدعوى القلب.

«يَمَانِيًّا» أي من ناحية اليمن، وهي ثلاث ولايات، الجند ومخاليقها، وصنعاء ومخاليقها، وحضرموت ومخاليقها، وأما حد اليمن فمن وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعُمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك إلى التهامم والنجد، واليمن يجمع ذلك كله، والنسبة إليه يَمَنِيٌّ على القياس، ويان كثنان على حذف إحدى ياءي النسب وزيادة الألف بين الميم والنون عوضاً عنها، فتثبت ياءه عند الإضافة وعند النصب، وتسقط مع التنوين عند الرفع والجر كالقاضي في ذلك كله، ومثله المنسوب إلى الشأم ساكن الهمزة، قال النابغة يذمُّ يزيد بن الصَّعِقِ، وهو من قيس: [ديوانه ١١٣]

وكنت أمينه لو لم تُخنه ولكن لا أمانة لليمني

وقال ابن مقبل، وهو من قيس أيضاً: [ديوانه ٣١٥]

طاف الخيال بنا ركباً يمانينا

وقال عمر بن أبي ربيعة في ابن عبد الرحمن بن عوف، واسمه سهيل، والثريا، وهي

امرأة من أمية الصغرى: [ديوانه ٤٣٨]

أيها المنحج الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

ويروى «يجمعان».

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمني

وتشديد الياء من اليمني ضعيفٌ لجمعه بين العوض والمعوض، ومنه قول أمية بن خلف:

يمانيًا يظل يشد كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

ولا ضرورة كما في بيت أمية هذا تدعو إلى التشديد في بيت ابن دريد، فالأولى «نأى

يمانياً» بالتخفيف.

«فلما انتشرت» أي طالت وامتدت وانسبطت وانفرشت، قال جميل:

الشتر منكشف تلقاه متشيراً والصالحات عليها مغلقاً باب

وهذا مجاز، والمراد تلقاه شائعاً ذائعاً مستفيضاً مشتهاً.

«أحضائه» أي نواحيه وجوانبه، واحده حُضْنٌ، قال حميد بن ثور: [ديوانه ١١٦]

قطعت إليك الليل حُضْنِيه إنني لذاك إذا هاب الجبان فعول

وقال زميل بن أم دينار الفزازي:

وحُضْنِي من ظلماء ليلٍ قطعته بناجية قد ضمها السيرُ مُحْنِي

أي بناقة سريعة جمع السير بعضها إلى بعض، والمُحْنِي: الضامر، اسم فاعل من أحنق

جسمها إذا ضمّر، ويجمع الحُضْن على حُضُون أيضاً، قال بعضهم:

وأزمنت رحلة ماضي الهمو م أظعن من ظلمات حُضونا

وَحِضْنُ الضَّبْعِ: وَجَارُهَا، وَحِضْنُ الْجَبَلِ: أَصْلُهُ، وَحِضْنَا الْفَلَاةَ أَوْ الْمَفَاةَ: نَاحِيَتَاهَا، وَأَحْضَانُ الْأَرْضِ: جَوَانِبُهَا، وَأَصْلُ الْحِضْنِ حِضْنُ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ حِجْرُهُ، وَهُوَ مَا دُونَ إِبْطِهِ إِلَى كَشْحِهِ، وَقِيلَ: الصَّدْرُ وَالْعَضُدَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ: مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ثَوْبِهِ.

«وَأَمْتَدَّ كِسْرَاهُ» بَفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِهَا أَيْ طَالَ وَأَنْبَسَطَ وَأَتَّسَعَ جَانِبَاهُ وَنَاحِيَتَاهُ، وَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْجَوْنِ الْمُرَادِ بِهِ السَّحَابُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا.

«عَطَا»، وَتَكَتَبَ أَيْضًا عَطَى بِالْيَاءِ لِأَنَّهُ وَأَوِيٌّ يَأْتِي، وَالضَّمِيرُ لِلْسَّحَابِ، أَيْ طَالَ وَأَمْتَدَّ وَصَارَ كَالْغَطَاءِ لِلْأَرْضِ فَوَارَاهَا وَسَتَرَهَا، يُقَالُ: عَطَاهُ يَغْطِيهِ وَيَغْطُوهُ وَعَطَاهُ وَأَغْطَاهُ وَعَطَى عَلَيْهِ، وَمِنْ هَذَا الْأَخِيرِ قَوْلُ حَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ: [ديوانه ٤٣٤]

رَبِّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجَهْلٍ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ
وَيُحْكِي أَنَّهُ صَاحِقٌ قَبْلَ النَّبَوَّةِ فَقَالَ: يَا بَنِي قَيْلَةَ يَا بَنِي قَيْلَةَ، فَجَاءَهُ الْأَنْصَارُ يُهْرَعُونَ
إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: مَا دَهَاكَ؟ قَالَ: قَلْتُ السَّاعَةَ بَيْتًا خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ فَيَدَّعِيَهُ غَيْرِي،
فَقَالُوا: هَاتِهِ فَأَنْشُدْ:

رَبِّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ... إِنْخِ الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمِ لَهُ.

وَيُقَالُ: عَطَا اللَّيْلُ يَغْطُو وَيَغْطِي إِذَا غَسَا وَأَظْلَمَ وَغَشِيَ الْفَضَاءَ وَعَمَّ الْأَرْضَ وَسَتَرَهَا بِظِلَامِهِ حَتَّى صَارَ لَهَا كَالْغَطَاءِ، وَكَذَا عَطَا الشَّجَرُ إِذَا طَالَتْ أَغْصَانُهُ وَأَمْتَدَّتْ فُرُوعُهُ وَبَسَقَتْ وَانْتَشَرَتْ وَانْبَسَطَتْ عَلَى مَا حَوْلَهَا فَغَطَّتْهُ بِظِلَالِهَا، وَكَذَا عَطَا الْمَاءُ وَالْبَحْرُ وَالنَّهْرُ يَغْطُو وَيَغْطِي إِذَا فَاضَ وَارْتَفَعَ وَكَثُرَ وَزَادَ حَتَّى غَمَرَ مَجْرَاهُ وَعَطَى مَسِيلَهُ.

الْمَعْنَى: نَشَأَ ذَلِكَ السَّحَابُ مِنْ نَاحِيَةِ أَفْقِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا اتَّسَعَتْ جَوَانِبُ أَوْسَاطِهِ وَتَمَدَّدَتْ نَوَاحِي أَطْرَافِهِ وَأَنْبَسَطَ جَانِبَاهُ وَأَنْفَرَشَا كَثُرَ مَاؤُهُ وَازْدَادَ وَانْتَشَرَ وَعَمَّ الْأَرْضَ حَتَّى صَارَ لَهَا كَالْغَطَاءِ.

١٠٩- فَجَلَّلَ الْأَفُقَ فَكُلُّ جَانِبٍ مِنْهَا كَانَ مِنْ قُطْرِهِ الْمُرْنُ حَبَا

اللغة: فَجَلَّلَ الأفقَ أَي شَمِلَهُ وِعَمَّهُ، وهو من تَجَلَّلَ الفرس بمعنى إلباسه الجُلَّ، وهو من ثياب الدوابِّ، وجمعه جِلَالٌ وأَجْلَالٌ، قال كثير: [ديوانه ٣٩٩]

وَتَرَى البَرْقَ عَارِضاً مُسْتَطِيراً مَرَحَ البُلُقِ جُلْنَ فِي الأَجْلَالِ
أو من الجِلَالِ، وهو كالغِطَاءِ وزناً ومعنى، وفي حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «اللهم جَلِّ قَتْلَةَ عثمانَ خِزياً»، أي غَطِّهم به وألبسهم إِيَّاه، وفي حديث الاستِسْقَاءِ: «وابلاً مُجَلِّلاً» أي مطراً غزيراً يُجَلِّلُ الأرض بوائه أو نباته، أي يُغَطِّيها، ومنه يقال: المُجَلِّلُ للسحاب الذي يُعْمُ الأرض بالمطر.

والأُفُقُ: ما يَظْهَرُ من نواحي الفَلَكِ وأطراف الأرض، وقيل: مَهَابُ الرِّيحِ الأربعة، وقد يُطلق على مجرَّد الناحية فيقال: تَجَوَّلَ في كُلِّ أُفُقٍ، أي في كُلِّ ناحيةٍ، وهو في البيت بضم فسكون للوزن، وإِلَّا فيجوز أيضاً بضمَّتَيْنِ.

«فكُلُّ جانبٍ»، أي فكلُّ ناحية وكلُّ جهة. «منها» أي من الآفاق المفهومة من الأفق، أو من السحابة المفهومة من مَرَجِعِ ضمير «جَلَّلَ»، هذا على فرض صحَّة الرواية، وإِلَّا فيُذَكَّرُ الضمير منه، والوزن على كُلِّ مستقيمٍ.

«كَأَنَّ» حرف تشبيه، وأصله كَأَنَّ فَخُفِفَتِ النون. «مِنْ قُطْرِهِ» بضم القاف وسكون الطاء،

أي من ناحيته، وجمعُ القُطْرِ أَقْطَارٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٥٥/٣٣] أي من نواحيها وجوانبها وآفاقها.

والقُتْرُ بالتاء بدلُ الطاء لغةٌ في القُطْرِ، وأما القُطْرُ بالفتح فهو مصدرُ قَطَرَ الماءُ يَقْطُرُ إذا تناثرَ رَشَاشُهُ وتتابعَ نَقْطُهُ، والقُطْرُ أيضاً اسمٌ للثَّقَطِ المتلاحقة في النزول، والقُطْرُ أيضاً: المطر. «المُزْنُ»: السحاب الصافي بلَوْنِ البياض، وقيل: مطلقاً، واحدُهُ مُزْنَةٌ، ويقال للهِلال ابنُ مُزْنَةٍ، ومن سَجَعَاتِ الأساس: «عيناه من الحُزْنِ كَوَاكِبِ المُزْنِ، وما أشبه يدك إِلَّا بِمُزْنِهِ ووجهك إِلَّا بابنِ مُزْنَةٍ»، شبه يده بالسحابة ووجهه بالهِلال.

«حَبًا»: أي امتلأ بالماء واعتَرَضَ في الأفق اعتراض الجبل ودَنَا من الأرض وأشرف عليها وتراكم بعضه على بعض، ومن ذلك سُمي الغيم حَبِيًّا على فَعِيلٍ كما سُمي سَحَابًا من سَحَبَ أهدابه، أي جَرَّ أذياله.

المعنى: فغَطَّى ذلك الجَوْنُ أي السحابُ، أفق الأرض أو السماء أو كليهما حتى إنَّ كلَّ جانب من الآفاق تَعَشَّاهُ السحابُ، وكأنه لتراكمه في كلِّ جهة ناشئ منها وصادر عنها.

١١٠- وَطَبَّقَ الْأَرْضَ فَكُلُّ بُقْعَةٍ مِنْهَا تَقُولُ: الْغَيْثُ فِي هَاتَا ثَوَى

اللغة: «وَطَبَّقَ الْأَرْضَ» أي انطَبَقَ عليها وصار فوقها كالطَّبَقِ، وهو كالغطاء والقناع ما يُوضع فوق الشيء سَتْرًا وتغطيةً له، يقال: طَبَّقَ الغيمُ السماءَ والمطرُ الأرضَ إشارةً إلى عِظَمِ السحابِ وتراكمها وكثرة الأمطار وغزارتها، وطَبَّقَ السحابُ الجَوَّ: غَشَّاهُ ووجَّهَ الأرضَ: غَطَّاهُ، قال امرؤ القيس: [ديوانه ١٤٤]

دَيْمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطَفٌ طَبَّقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدْرُ

الوَطَفُ: اسْتِرْحَاءُ جوانب السحاب لكثرة مائه، وطَبَّقَ الأرضَ أي تَعَمَّها بالمطر، وَتَحْرَى أي تتوَحَّى وتقصد الأراضي بالرِّيِّ، وَتَدْرُ أي تغزُرُ وتكثرُ، وَيُرَوَى «وَطَبَّقُ الأرضَ» بالضمِّ، أي تلك الدَّيْمَةُ مُنْفَرِشَةٌ وَمُنْطَبِقَةٌ على الأرض من جميع جوانبها، وَيُرَوَى بالنصب على المفعولية، تَحْرَى أي تقصد وتتوَحَّى.

«فكُلُّ بُقْعَةٍ» أي فكلُّ قطعة ومكان ومحلِّ. «مِنْهَا» أي من تلك الأرض.

«تقول» من القول الذي هو الكلام، أي تتكلم وتتلفظ وتنطق بهذه الجملة، وهي «الغَيْثُ فِي هَاتَا ثَوَى»، ويجوز أن تكون بمعنى تظنُّ على لغة بني سُلَيْمٍ، فإنهم يُجرون القول جُرى الظنِّ مطلقاً بدون اشتراط اقترانه بالاستفهام كما هو عند غيرهم من العرب.

«الغَيْثُ»: السَّحَابُ والمطر، ويُطلق على النبات والكَلأ، ويكون مصدراً من «غاث الله

البلادَ» أي أنزل بها الغيثَ، وغاث الغيثُ الأرضَ: أصابها، وقول الشاعر:

وما زلتُ مثلَ الغيثِ يُرْكَبُ مرَّةً فيُعَلَى ويُوَلَّى مرَّةً فيُثِيبُ

معناه: أنا كشجرٍ يؤكل ثم يُصيبه الغيثُ فيرجعُ، أي يذهب مالي، ثم يعود.
 «في هاتا» أي في هذه، فلفظة ها: حرفُ تنبيه، وتا: اسم إشارة لمفرد مؤنث، والمشارُ
 إليه هنا البُغعة، أي فيها. «ثوى» نَزَلَ وحلَّ وأقام واستقرَّ ومكثَ وأطال اللبثُ، قال
 الحارث بن حلزة اليشكري: [ديوانه ٦٦]

أذنتنا بيئها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواءُ

المعنى: وامتدَّ ذلك السحابُ على الأرض كلها حتى صار كالطبَّق فوقها مغطياً لها
 وساتراً إيَّها من جميع جوانبها ومنطبِقاً عليها انطباقَ الغطاء على الوعاء، فصارت كلُّ
 قطعة من الأرض تظنُّ أنت أن الغيث كله ثوى ونزل فيها، أو يجري على لسانك هذا
 الكلام في حقِّ تلك الأرض، وهو الغيث، «في هاتا ثوى» أي المطرُ حلَّ فيها وانحصر
 لديها، أي لكثرة ما ترى من ريِّها وما استتقعَ في منافعها ووهادها وما سال وجرى من
 نجادها إلى أوديتها وغدرانها.

١١١- إِذَا حَبَّتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبَا تُشِبُّ مِنْهَا مَا حَبَا

اللغة: «إِذَا حَبَّتْ» أي إن سَكَنتُ، قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾
 [الإسراء: ١٧/٩٧] أي كُلَّمَا سَكَنتُ وفترت. «بُرُوقُهُ» أي بُرُوقُ ذلك السَّحاب، وهي جمع
 بَرَق، قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٢٤/٤٣]، وهو الذي يلمعُ في
 الغيم، وقال الله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة:
 ٢٠/٢].

«عَنَّتْ لها» أي ظهرت أمامها وعرضتُ وسنحتُ لها، ومنه قولهم: «لا أفعله ما عنَّ في
 السماء نجمٌ»، أي ما ظهرَ وبدأ، ومنه قول امرئ القيس: [ديوانه ٢٢]

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دُورٍ فِي مُلَاءٍ مَذِيلٍ

والسُّرْب: القطيع من البقر والظَّبَاء وغيرها، وأراد به هنا البقر، ونعاجه إنائه، شبَّها في مشيها وطول أذنانها بجوارٍ يَدُرْنَ حول الصَّئِمِ المسمَّى دُوَارٍ وعليهنَّ المَلَاءُ المذَّيْلُ، أي الطويل الذَّيْلُ.

«رِيحُ الصَّبَا» هي التي تهبُّ من مَطْلَعِ الشمس الذي تُشْرِقُ منه عند استواء اللَّيْلِ والنَّهَارِ، ويقال لها: القَبُولُ، والتي تقابلها هي الدَّبُورُ، وتزعم العرب أن الدَّبُورَ تُرْجَعُ السحابُ وتُشخَّصه في الهواء ثم تَسُوقُه، فإذا عَلا كَشَفَتْ عنه واستقبلته الصَّبَا فَوَزَعَتْ بعضَه على بعض حتى يصير كِسْفًا واحدًا، والجُنُوبُ تُلحِق روادفَه به وتُمدُّه من المَدَدِ، والشَّهَالُ تُمزق السحاب، ويقال: صَبَّتِ الرِّيحُ تَصْبُؤُ بمعنى هبَّتْ وثارَتْ وهاجتْ من مَطْلَعِ الشمس، وهذه هي الصَّبَا، ومنه قول الزمخشري: «إِذَا صَبَّتِ الأَرْوَاحُ صَبَّتِ الأَرْوَاحُ» أي إذا كانت نسماَتُ الهواء من ريح الصَّبَا حصلَ للنفوس ارتياح وميلٌ إلى التسلِّي والأُنس ودبَّتْ فيها نَسْوَةُ الصَّبُوءِ. [اللسان والتاج (صبا)]

«تَشِبُّ مِنْهَا مَا حَبَا» أي تُوقد من تلك البروق ما حَمَدَ، وتشبُّ بفتح التاء وضمِّ الشين، أو بضمِّ التاء وكسر الشين، لأنه يقال: شَبَّ النَّارَ يَشُبُّهَا من الباب الأول، وأشَبَّها يُشَبُّهَا من باب الإِفْعَالِ، وَحَبَا الحُرُّ وَحَبَّتِ الحَرْبُ والحِدَّةُ، كُلُّ ذلك من حَبَّتِ النَّارُ إِذَا سَكَنَ لَهيبُها وَبَرَدَ جَمْرُها وزالَ حَرُّها، ومنه قولهم: حَبَا لَهيبُ الرَّجُلِ أَي سَكَنَ غَضَبُه وفَتَرَتْ حَدَّتُه.

المعنى: إِذَا سَكَنَتْ بُرُوقُ ذلك السحاب وانقطع ظهورُها أَقبلَ رِيحُ الصَّبَا مُعْتَرِضًا لها وثارَ في هُبُوبه مِثْرًا لتلك البروق يُوقد نيرانَها بعد أن طُفِئَتْ وَيُضِيءُ أَنوارَها بعدما غابَتْ وتوارتْ خَلْفَ حُجُبِ الظلام.

١١٢ - وَإِنْ وَنَتْ رُغُودَهُ حَدَا بِهَا حَادِي الْجَنُوبِ فَحَدَّتْ كَمَا حَدَا

«وَإِنْ وَنَتْ» أي وَإِذَا فَتَرَتْ وَضَعُفَتْ، قال تعالى: ﴿وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٢٠/٤٢]

أي ولا تضعُفا عن ذِكْرِي، ومنه قول ابن مُقْبِلٍ: [ديوانه ١٢٩]

مَرَّتْهُ الصَّبَا بِالغُورِ غُورِ تَهَامَةٍ فَلَمَّا وَنَتْ عَنْهُ بِشَعْفَيْنِ أَمْطَرَا
أَيَّ اسْتَدْرَتْهُ رِيحُ الصَّبَا حَتَّى إِذَا فَتَرَتْ وَخَفَّتْ حَرَكَتُهَا بِالْمَوْضِعِ الْمَسْمُومِ شَعْفَيْنِ مِنْ
أَرْضِ الْغُورِ فَحِينَئِذٍ أَمْطَرَ، وَقَالَ جَحْدَرُ الْبِيَانِي:

وظَهَرَ تَنُوفَةٌ لِلرِّيْحِ فِيهَا نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَإِنِّي

وقال آخر:

وَصَيْدِحٌ مَا يُفْتَرُّهَا وَنَاءٌ وَإِنْ وَنَتْ الرِّكَابُ جَرَتْ أَمَامَا
«الصَّيْدِحُ»: الشَّدِيدُ الصَّوْتِ، وَصَيْدِحٌ اسْمٌ عَلِمَ لِنَاقَةِ ذِي الرُّمَّةِ، وَالْوَنَاءُ: الْكَلَالُ

وَزَنَاءٌ وَمَعْنَى.

«رُعُودُهُ» أَي رُعُودُ ذَلِكَ السَّحَابِ، وَهِيَ جَمْعُ رَعْدٍ، وَهُوَ صَوْتٌ يُسْمَعُ مِنَ السَّحَابِ،
وَقِيلَ: اسْمٌ مَلَكَ يَسُوقُ السَّحَابَ كَمَا يَسُوقُ الْحَادِي الْإِبِلَ، وَذَلِكَ الصَّوْتُ تَسْبِيحُهُ،
وَيُرْوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّ الرُّعُودَ مَلَائِكَةٌ
وَالْبُرُوقَ مَخَارِيقُ مِنْ حَدِيدٍ بِأَيْدِيهَا، وَالْمَخَارِيقُ: خِرْقٌ أَوْ نَحْوُهَا تُلْفُ لِلضَّرْبِ أَوْ اللَّعْبِ،
قال عمرو بن كلثوم: [ديوانه ١٨٦]

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا

وقال آخر: [ديوان كثير ٣٨٣]

عَلَيْهِنَّ شُعْتُ كَالْمَخَارِيقِ كُلُّهُمْ يُعَدُّ كَرِيبًا لَا جَبَانًا وَلَا وَغْلًا
«حَدَا بِهَا» أَي أَهَابَ بِهَا وَدَعَاها وَقَادَهَا وَسَاقَهَا وَسَارَ بِهَا وَزَجَرَهَا وَبَعَثَهَا عَلَى الْخَفَّةِ
فِي الْمَشْيِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَدَا الْإِبِلَ وَحَدَا بِالْإِبِلِ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْحُدَاءِ أَي الْغِنَاءِ
تَنْشِيطًا لَهَا عَلَى السَّرْعَةِ، لِأَنَّ الْإِبِلَ مَعَ غِلْظِ أَكْبَادِهَا تَحْنُ لِلصَّوْتِ الْجَمِيلِ، وَيَسْتَخْفُّهَا
الطَّرْبُ حَتَّى تَنْسَى تَعَبَهَا وَعَطَشَهَا، وَأَوَّلُ مَا عُرِفَ ذَلِكَ مِنْهَا أَنَّ أَعْرَابِيًّا ضَرَبَ غَلَامَهُ
وَعَضَّ عَلَى أَصَابِعِهِ، فَمَشَى ذَلِكَ الْغَلَامُ وَهُوَ يَقُولُ مِنْ وَجَعِهِ: دَيْ دَيْ دَيْ يَرِيدُ يَا يَدَيَّ،

وكانت إبل بمسمع منه فسارت على صوته، وقيل: أول ذلك أن مضر بن نزار سقط عن بعير وكان صبيًا، فكان يتبع الإبل ويقول: وايداه وايداه فأسرعت الإبل في سيرها، وقيل: أول ذلك أن عبداً كان عند مضر فضربه مضر على يده يوماً فأوجعه فصاح يا يداي فبدأ على الإبل طرباً وارتياح ونشاط لسماع صوته فكان ذلك أصل حذاء العرب، ويقال لريح الشمال: حذواء، لأنها تحذو السحاب أي تسوقه، قال العجاج: [ديوانه ١/ ٣٥١]

حذواء جاءت من بلاد الطور ترعى أراعيال الجهم الخور
الجهم بالفتح: السحاب الذي لا ماء فيه، وأراعيله: أوائله ومقدماته، ويروى «تزجي أراعيال» الخ، أي تسوق، والخور: ذوات الخور، وهو الرخاوة والضعف.

«حادي الجنوب»: أي ريح الجنوب الذي هو للسحاب بمنزلة الحادي للإبل، يبعثها على خفة الحركة وسرعة السير، والجنوب: إحدى الرياح الأربع، قال في المصباح [ريح]: «الرياح أربع، الشمال، وتأتي من ناحية الشام، وهي حارة في الصيف، والجنوب تقابلها، وهي الريح اليمانية، والثالثة الصبا، وتأتي من مطلع الشمس، وهي القبول أيضاً، والرابعة الدبور، وتأتي من ناحية المغرب، والريح مؤنثة، وقد تذكر».

«فحدت كما حدا»، أي فسأقت الرعود السحاب كما ساق هو، أي حادي الجنوب، ويروى «راعي الجنوب» على التشبيه براعي الإبل الذي يحدو لها، فالمؤدّي واحد.

المعنى: وإذا سكنت رعود ذلك السحاب هب ريح الجنوب، وثار هواؤه وكان بمثابة الحادي يدعو الرعود لترتفع أصواتها وتعود فتتحرك ذلك السحاب كما يحركه هواء تلك الريح الجنوبية اليمانية.

١١٣ - كأن في أحضانه وبركه بركا تداعي بين سجر ووحى

«كأن في أحضانه»، كأن حرف تشبيه، والأحضان: الجهات والنواحي والجوانب والأرجاء، واحده حزن، وهو من الإنسان ما دون الإبط إلى الكشح، والكشح: ما بين

الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لذن الشرة إلى المتن، وقيل: الحصر، وقيل: ما يترب من ذلك، قال طرفة: [ديوانه ٤٢]

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفِكُ كَشْحِي بِطَانَةً بِسَيْفِ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنْدٍ
وقيل: الحُضْن من الإنسان: الصدرُ والعُضْد وما بينهما، ويُطلق أيضاً على شقِّ الشيء،
أي جانبه وجهته وناحيته، وهذا هو المراد من البيت.

«وَبَرَكَه» أي أوله ومقدمه، وأصل البرك الصدرُ وزناً ومعنى، وخصه بعضهم بالبعير،
والمادة تقضي أن يُطلق على صدر كل ما من شأنه أن يبرك، أي يستنيخ ويُلقى بركه أي صدره
على الأرض، ومنه قولهم: وضع الدهر عليهم بركه، أي أناخ بكلكله، قال الجعدي:

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَكَه فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فُلٍ
ومن هذا القبيل «حَكَتُ الحربُ بَرَكَهَا بهم»، قال الشاعر:

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَتْ بَرَكَهَا بِهِمْ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنِيَّانِ
ولابن الزبير: [ديوانه ٤٢]

حِينَ حَكَتْ بُقْبَاءٍ بَرَكَهَا وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي عِبْدِ الأَسْلِ
وللكميت: [ديوانه ١ / ٧٤]

وَاحْتَلَّ بَرَكَ الشِّتَاءِ مَنْزَلَهُ وَبَاتَ شَيْخُ العِيَالِ يَصْطَلِبُ
أي يستخرج ودك العظام ودسمها للاستخدام به. «بركاً» أي قطعاً من الإبل الباركة،

قال متمم بن نويرة: [المفضليات ٢٧٠]

إِذَا شَارِفٌ مِنْهُنَّ قَامَتْ وَرَجَعَتْ حَنِيناً فَأَبْكِي شَجْوَهَا البرِّكَ أَجْمَعَا
وقال طرفة: [ديوانه ٤٤]

وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي نَوَادِيَهُ أَمْشِي بَعْضُ بِمُجَرِّدٍ
والنوادى: النياق المتفرقة، وقال أبو ذؤيب: [أشعار المهذلين ١٣٣]

كَأَنَّ ثِقَالَ المِزْنِ بَيْنَ تُضَارِعٍ وَشَابَةِ بَرَكَ مِنْ جُدَامٍ لَبِيحٍ

الثَّقَالِ كَسَحَابٍ وَعُغْرَابٍ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ: الثَّقِيلِ، وبالكسر جمعُه، وتُضَارِعُ وَشَابَةَ
مَوْضِعَانِ، وَالْبَرْكَ: جَمَاعَةُ الْإِبِلِ الْبَارِكَةِ، وَاللَّيْحُ: الصَّرِيحُ الطَّرِيحُ الْوَاقِعُ وَالسَّاقِطُ عَلَى
الْأَرْضِ، قَالَ ابْنُ جُؤَيْبَةَ: [أشعار الهدليين ١١٠٤]

لَمَّا رَأَى نَعْمَانَ حَلَّ بِكَرْفِيٍّ عَكَّرَ كَمَا لَبَّجَ النُّزُولَ الْأَرْكَبُ
أَي نَزَلَ هَذَا السَّحَابُ كَمَا ضَرَبَ هَؤُلَاءِ الْأَرْكَبُ بَأَنْفُسِهِمُ النَّزُولَ، أَي لِلنُّزُولِ،
وَالْكَرْفِيُّ: السَّحَابُ، وَالْعَكَّرَ: قَطَعَهُ، وَأَصْلُ الْعَكَّرِ الْقَطِيعُ مِنَ الْإِبِلِ، وَقَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ
أَنْفَاءً: «بَرْكٌ مِنْ جُدَامٍ» أَي مِنْ إِبِلِ جُدَامٍ، وَإِنَّمَا خَصَّ قَبِيلَةَ جُدَامٍ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِبِلَاءً.
«تَدَاعَى» أَي دَعَا بَعْضُهُ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. «بَيْنَ سَجْرٍ وَوَحَى»، وَسَجْرُ النَّاقَةِ أَنْ تَمُدَّ
صَوْتَ حَنِينِهَا فِي إِثْرٍ وَلِدَهَا وَتَمَلَّأَ بِهِ فَاهَا، قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ وَقِيلَ: بِلِ الْحَزِينِ الْكِنَانِيِّ:

حَنَّتْ إِلَى بَرْكٍ فَقَلْتُ لَهَا قِرِيٍّ بَعْضَ الْحَنِينِ فَإِنَّ سَجْرَكَ شَانِقِي
قِرِيٍّ أَمْرٌ بِالْوَقَارِ وَالسَّكُونِ، وَنَصَبَ بِهِ بَعْضٌ عَلَى دَعْيٍ وَاتَّرَكِي بَعْضَ الْحَنِينِ، فَإِنَّهُ يُثِيرُ
وَجَدِي وَيُهَيِّجُنِي وَيَذْكُرُنِي أَهْلِي، وَالْوَحَى: الصَّوْتُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ: [ديوانه ١٤]

كَأَنَّ وَحَى الصَّرْدَانِ فِي جَوْفِ ضَالَّةٍ تَلْهَجُ حَيْثُ إِذَا مَا تَلْهَجَهَا
أَي كَأَنَّ تَلْهَجُ حَيْثُ هَذَا الْبَعِيرِ وَحَى الصَّرْدَانِ فِي جَوْفِ ضَالَّةٍ، وَالتَّلْهَجُ: التَّحْرُكُ،
وَالصَّرْدَانُ: طَيُورٌ فَوْقَ الْعَصَافِيرِ، وَالضَّالَّةُ: شَجَرَةُ السُّدْرِ، وَاللَّحْيَانُ: حَائِطَا الْفَمِ، وَهُمَا عَظْمَا الْحَنَكِ.
الْمَعْنَى: كَأَنَّ فِي جَوَانِبِ ذَلِكَ السَّحَابِ وَمَقْدَمَاتِهِ قَطِيعًا كَبِيرًا مِنْ جِمَالٍ وَنِيَاقٍ بَارِكَاتٍ
يُنَادِي بَعْضُهَا بَعْضًا بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بَيْنَ صَوْتِ حَنِينٍ وَهَدِيرٍ وَرُغَاءٍ، كُلُّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى
تَكَائُفِ السَّحَابِ وَتَرَاكُمِهِ مَعَ امْتِدَادِهِ وَانْبِسَاطِهِ فِي الْجَوِّ وَتَرَدُّدِ أَصْوَاتِ الرُّعُودِ الْمُخْتَلِفَةِ
بَيْنَ قَوِيٍّ وَضَعِيفٍ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ الْوَحَى قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ فِي وَصْفِ قَطَاةٍ: [ديوانه ٤٧]

لَهَا مَلْمَعَانِ إِذَا أَوْعَفَا يَحْتَنَانِ جُوجُوهَا بِالْوَحَى

أَي لَهَا جَنَاحَانِ إِذَا أَسْرَعَا فِي حَرَكَتِهَا يَحْتَنَانِ صَدْرَهَا بِخَفِيفِهَا أَي بِصَوْتِهَا عِنْدَ الطَّيْرَانِ.

١١٤- لم ترَ كالمُزنِ سَواماً بهَّلاً تحسبها مرعىةً وهي سدى

اللغة: «لم ترَ كالمُزنِ» أي لم تُبصر كالسحاب ولم تنظر كالغيم، ومن سجات الزمخشري: «عيناه من الحزن كواكب المزن»، من وكف أي سال. «سَواماً» أي إبلاً أرسلت وخليت في المرعى، وتطلق على كل ما يرعى من المواشي، ول بعضهم:

تركت سَوامي دون راعٍ لأنَّها بوسومي عليها خير راعٍ وحارسٍ
«بهَّلاً»، البهَّل جمع باهٍل وباهِلة، وفعلُه بهَل كَفَرَح من الباب الرابع، وهي التي لا صرارٍ يمنع من حلبيها، وقيل: التي لا خطامَ عليها، وقيل: التي لا سِمةَ عليها، وقيل: هي التي سرحت إلى المرعى مهملةً بلا راعٍ، والصرار: خيطٌ يُشدُّ على خِلفِ الناقة، أي صرَعها لثلاً تُحلب، والخطام: الزمام، قال الشنفرى: [ديوانه ٥٧]

ولست بمهيفٍ يعشي سَوامهُ مجدعةً سقباؤها وهي بهَّل
المهيف: السريع العطش، وعشى سَوامه تعشيةً أي رعى إبله السارحة ليلاً، وجدَّع السَّقَب تجديعاً: أساءَ غذاءه، أو حبسه على مرعى سيئ، والسقبان: صغار الإبل.
«تحسبها» بفتح السين وكسرها أي تظنُّها وتخالها. «مرعىة» أي مصحوبةٌ براعٍ يرعاها ويحوطها ويحافظ عليها، يقال: رعت الإبل، أي ازتعت وأكلت، ورعاها صاحبها أي حاطها وصانها وساسها وراقبها في مرعاها.

«وهي سدى» أي مهملة، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦/٧٥] أي غير مكلف بفعل الخير ولا مسؤول، وأسدَى: أهمل، قال لبيد: [ديوانه ٩]
فلم أسدِ ما أرعى وتبلٍ رددتهُ فأنجحتُ بعد الله من خيرٍ مَطْلَبِ
المعنى: لم يقع بصرك ولا شاهدت ولا عاينت مثل السحاب جِمالاً ونياقاً سارحةً وليس عليها صرارٍ يمنع من حلبيها ودرِّها، أو ليست مخطومةً، أو ليست موسومةً أو بلا راعٍ يرعاها، ومع ذلك تظنُّها محفوظة برعيانها، وهي في نفس الأمر سدى مهملة خالية من رعيان تراد لها الكلاً وتتجع لها المرعى الطيب.

١١٥- تقول للأجران لما استوسقت بسوقه ثقي بري وحيًا

«تقول للأجران»، الأجران جمع جرز كسبب وأسباب، وهي الأرض التي لا نبات فيها، وكذلك أرض جرز بفتح فسكون وجرز بضم فسكون، وجرز بضمين، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٣٢/ ٢٧].

«لما استوسقت» أي حين اجتمعت ودنا بعضها إلى بعض وتقاربت وانضمت مُتقادة لمن يسوقها، قال الشاعر:

إِنَّ لَنَا لِإِبْلَاءِ نَقَانِقَا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقَا
أَيَّ إِنَّا لَنَا قَطِيعًا مِنْ جِمَالٍ وَنِيَاقٍ مِثْلَ النَّقَانِقِ، أَي الظَّلْمَانِ، وَهِيَ الذُّكْرَانِ، أَي الفَحُولُ
مِنَ النَّعَامِ، شَبَّهَهَا بِهَا فِي سُرْعَتِهَا، وَقَالَ الْعَبَّاجُ:

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقَا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقَا
القلائص من النوق: الفتيات، والحقائق: المستكملات للسنة الثالثة مع الدخول في السنة الرابعة، واستوسقت: اجتمعت، وهو مطاوع وسقه أي جمعه، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ٨٤/ ١٧]، أي جمع من بحر وبر وسهل وجبل ونجم وشجر، وجمعه إياها تغطيته لها بظلامه الذي غشيها وجللها واشتمل عليها، هذا كله بناء على أن استوسقت من وسق بالسين ذات الأسنان المهملة، وأما إن كانت الرواية استوثقت، من وثق بالتاء المثناة فمعناها احتاطت وتثبتت وأخذت بأوثق الوجوه، أي بأقواها وأشدّها إحكاماً وتحرياً لما يوثق به، أي يؤتمن به ويطمأن إليه ويعوّل ويُعتمد عليه، قال الكميت يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب:

وخلائق منه إليّ جميلةٌ حسبي ونعم وثيقةُ المُستوثقِ
أي تقول للأراضي الخالية من النبات لما استوثقت من الجنوب.

«سَوْقَهُ» أي بجمعه لها وتسييره إياها متتابعةً على انتظام وترتيب كما يسوق الراعي مواشيه. «ثِقِي» أي كوني واثقة موقنة كل الإيقان ومصدقة كل التصديق. «بريَّ وحياً»

الرَّيِّ بالكسر ويجوز الفتح: شرب ما يكفي، قال امرؤ القيس: [ديوانه ١٣٦]

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلُ فِيمَعَزَى كَأَنَّ فُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصِيَّ
فَتَمَلُّا بَيْتِنَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِيَّ

والفعل منه رَوِيَ رِيًّا وَرِيًّا وَأَرَوَاهُ: سقاه حتى كفاه، ورَوَاهُ مِنْ رِوَايَةِ الْعِلْمِ،
يَقَالُ: طَالِبُ الْعِلْمِ عَطْشَانٌ لَا يُرْوِيهِ إِلَّا مَنْ يُرْوِيهِ، وَالرِّيُّ بِالْكَسْرِ أَيْضًا: الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ،
وَقُرِئَ: ﴿أَحْسَنُ أَثْنَا وَرِيًّا﴾ [مريم: ٧٤/١٩]. وَالْحَيَا: مَا نَحَّى بِهِ الْأَرْضَ مِنْ مَطَرٍ
وَخِصْبٍ وَغَيْثٍ.

المعنى: إِنَّ تِلْكَ السَّحَابَ عِنْدَمَا اجْتَمَعَتْ بِسَبَبِ سَوْقِ رِيحِ الْجَنُوبِ أَوْ عِنْدَمَا
تَحَقَّقَتْ سَوْقُ الْجَنُوبِ لَهَا طَفَقَتْ تَقُولُ لِلْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مِنَ النَّبَاتِ: تَيْقَنِي وَتَحَقَّقِي وَلِيَكُنْ
لَكَ وَثُوقٌ بِشَرْبِ مَا يُرْوِيكَ، وَأَبْشُرِي بِحُصُولِ مَا تَحْيِينَهُ مِنْ غَيْثٍ وَمَطَرٍ وَخِصْبٍ.

١١٦ - فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابَ سَيِّبًا مُخْسِبًا وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالْمَاءِ الرَّوَّى

«فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابَ» أَي جَعَلَهَا تَسْعُ سَيِّبًا إِنْخِ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلُ فِيمَعَزَى كَأَنَّ فُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصِيَّ
فَتَوْسَعُ أَهْلَهَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِيَّ

ومنه ما ورد في الدعاء: «اللهم أوسعنا رحمتك»، أي اجعلها تسعنا، ومنه قول امرأة
وقد سئلت عن أبغض النساء إليها فقالت: التي تأكل لما وتوسع الحي ذمًا، أي تأكل أكلاً
كثيراً بحيث تأتي على آخر الطعام، وتلمه أي تجمعه وتأكل حصتها وحصّة غيرها، وتكثر
ذمّ القبيلة، ويقال: أوسعته ضرباً وسباً أي أكثر له منه جداً وجعله يسعه رغباً عن كونه
يضيق عنه.

والأحداب جمع حَدَبٍ بفتحَيْن، قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/٩٦] ومثل الحدب النَّشْرُ وزناً ومعنى، إِلَّا أَنَّ النَّشْرَ يَجُوزُ تَسْكِينُ وَسَطِهِ فَيُقَالُ: نَشْرُ، وهو ما أشرف من الأرض، أي علا وارتفع، وَيَنْسِلُونَ أي يُسْرِعُونَ.

«سَبَاباً مُحْسِباً» السَّبَبُ يُطْلَقُ عَلَى الرَّكَازِ وَالكَنْزِ وَالْمَعْدِنِ وَالْمَالِ الْمُدْفُونِ فِي الْأَرْضِ، ومنه ما وردَ أَنَّ فِي السُّيُوبِ الْخُمْسَ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْعَطِيَّةِ وَعَلَى الْمَاءِ الْجَارِي، وَأَصْلُهُ مِنْ سَابَ يَسِيبُ إِذَا جَرَى، وَالسَّبَبُ مَصْدَرُهُ، قَالَ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ الشَّيْبَانِيِّ يَرِثِي إِخْوَتَهُ قَيْساً وَالِدَعَاءَ وَيَشْرَأُ الْقَتْلَى فِي غَزْوَةِ بَارِقٍ بِشَطِّ الْفَيْضِ:

أَبْكَى عَلَى الدَّعَاءِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَلَهَقِي عَلَى قَيْسِ زَمَامِ الْفَوَارِسِ
فَمَا أَنَا مِنْ رَيْبِ الْمُنُونِ بِجُبًّا وَلَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيْسِ
وقال النابغة:

وَأَنْتَ رَيْعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أَعِيرْتَهُ الْمَيْئَةُ قَاطِعٌ
أَرَادَ بِالسَّيْبِ الْعَطَاءَ، وَالْجُبُّ: الْجَبَانُ الْهَيْبُوبُ، وَفِي حَدِيثِ الْأَسْتِسْقَاءِ: «وَأَجْعَلْهُ سَيْباً نَافِعاً» أَي عَطَاءً أَوْ مَطْراً سَائِباً أَي جَارِياً.

«وَمُحْسِباً» أَي كَافِياً يُغْنِي وَاجِدَهُ، قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ:

وَتُقْفِي وَوَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ
وَتُقْفِي أَي تُطْعِمُ الْقَفِيَّةَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْقَفَاوَةُ أَيْضاً، وَهِيَ مَا يُؤَثِّرُ بِهِ الضَيْفُ وَالصَّبِيُّ

مِنَ الطَّعَامِ، وَنُحْسِبُهُ أَي تَعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ وَيُغْنِيهِ، وَأَنْشَدَ الرَّاعِي: [ديوانه ١٨٨]

خَرَاحِرُ تَحْسِبُ الصَّقَعِيَّ حَتَّى يَظَلَّ يَعْرُهُ الرَّاعِي سَجَالاً
الْحَرَاحِرُ: النَّيَاقُ الْغَزِيرَاتُ اللَّبَنُ، وَالصَّقَعِيُّ: الْحَوَارُ الَّذِي يُتَبَّعُ فِي الصَّقِيعِ، يَعْنِي أَنَّ لَبَنَ هَاتِهِ النَّيَاقِ غَزِيرٌ يَكْفِي الْحَوَارَ وَيَزِيدُ حَتَّى يَصِيرَ الرَّاعِي يَصُبُّ فِي سِقَائِهِ سَجَالاً سَجَالاً.
و«طَبَّقَ الْبُطْنَانَ» كَأَنَّهُ وَضَعَ عَلَى قَدْرِهَا طَبَقاً غَطَّاهَا بِهِ وَعَمَّاهَا كُلَّهَا وَجَاءَهَا عَلَى طَبَقِهَا

وَوَفَّقَهَا كَمَا وَافَقَ شَنْنٌ طَبَقَةً وَحُبًّا وَكِرَامَةً، وَكَمَا يَنْطَبِقُ الطَّبَقُ الْأَعْلَى مِنَ الرَّحَى عَلَى الْأَسْفَلِ. وَالبُطْنَانُ مِنَ الْأَرَاضِي مَا كَانَ مَنْخَفِضًا مَطْمِئِنًّا، أَيْ فِي هَبْوِطٍ وَانْحِطَاطٍ عَمَّا يَلِيهِ، وَهُوَ جَمْعُ بَطْنٍ، كَالظُّهْرَانِ فِي جَمْعِ ظَهْرٍ وَالعُبْدَانِ فِي جَمْعِ عَبْدٍ، وَقِيلَ: بَطْنَانُ الْأَرْضِ مَفْرَدٌ. «بالماء الرّوى»، أَيْ بالماء الكثير المُرْوِي الذي يُذهب العطشَ وَيُزيلُ الظَّمَّ، وَيَكُونُ الرّوَى مُصَدَّرًا بِمَعْنَى الرّوَى، أَيْ: الشُّرْبُ بِقَدْرِ الكِفَايَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى اسْمِ الفَاعِلِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

تَبَشَّرِي بِالرَّفِّهِ وَالْمَاءِ الرّوَى وَفَرَجٍ مِنْكَ قَرِيبٍ قَدْ أَتَى
 أَيْ اسْتَبَشَّرِي بِوَرُودِ المَاءِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَالمَاءِ الغَزِيرِ المُرْوِي وَبَفَرَجِ الخِ، وَقَالَ العَجَّاجُ
 يَصِفُ حِمَارًا وَأَتْنَا: [ديوانه ٣٧٥]

تَذَكَّرَا عَيْنًا رَوَى وَفَلَجَا فَرَاخٌ يَحْدُوها وَبَاتَ نَيْرَجَا
 أَيْ عَيْنًا غَزِيرَةً تُرْوِي وَارِدِيها، وَالفَلَجُ: النَّهْرُ، وَقِيلَ: المَاءُ الجَارِي، وَعَدَا نَيْرَجًا أَيْ
 بِسُرْعَةٍ، وَقَالَ الجُمَيْحُ بنُ سُدَيْدٍ التَّغْلِبِيُّ:

مُسْحَنَفْرٌ يَهْدِي إِلَى مَاءٍ رَوَى كَامِي الجِهَامِ لَمْ تَمَخَّجْهُ الدَّلَا
 أَيْ طَرِيقٌ وَاضِحٌ مُسْتَقِيمٌ مَمْتَدٌّ يُوصِلُ إِلَى مَاءٍ مُرْوٍ عَذْبٍ كَثِيرٍ المِيَاهِ المَجْتَمِعَةِ لَمْ تَمَخَّضْهُ
 وَلَمْ تَحْرَكْهُ الدَّلَاءُ.

المعنى: فَأَكْثَرَ وَأَغَزَرَ مَاءً جَارِيًا كَافِيًا لِلْإمْكِنَةِ المَرْتَفِعَةِ وَالمَوَاضِعِ العَالِيَةِ وَغَطَّى بِالمَاءِ
 المُرْوِي المَحَلَّاتِ المَنْخَفِضَةَ وَالأَرَاضِي المَطْمِئِنَّةَ.

١١٧ - كَأَنَّمَا البَيْدَاءُ غَبَّ صَوْبَهُ بِحَرْطَمًا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا
 اللُّغَةُ: «كَأَنَّمَا» حَرْفٌ تَشْبِيهِ مِنَ الحُرُوفِ المِشَابِهَةِ لِلْفِعْلِ، وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَلِهَا
 بِلَفْظَةٍ مَا المَتَّصِلَةِ بِهَا، إِذْ هِيَ فِي الْأَصْلِ كَأَنَّ.

«البَيْدَاءُ» أَيْ الفَلَاةُ، وَيرَادُ فِيهَا القَفْرُ وَالمَفَاذَةُ وَالبَرِّيَّةُ وَالصَّحْرَاءُ، وَلبعضهم:
 وَيَبْدَاءُ تَسْتَعْوِي الْأَدْلَاءَ جُزْئِهَا بِسَلْهِيَةِ سَوَاطِي حُدَائِي هَاهَا

أَيُّ وَرْبٍ فَلَائِهَ تَحْيَّرَ سَالِكِيهَا لَسَعَتِهَا، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الدَّلَالَةِ وَالْخَبْرَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَطَعْتُهَا بِفَرَسٍ غِنَائِي لَهَا بَنَحُو لَفْظِ هَلَا يُغْنِيهَا عَنِ السَّوْطِ.

«غَبَّ صَوْبَهُ» أَيُّ انْصَابِهِ وَانْسِكَابِهِ، وَغَبَّ بِمَعْنَى بَعْدَ، قَالَ الرَّاجِزُ:

غَبَّ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ الشُّرَى وَتَنْجِلِي عَنْهُمْ غَبَابَاتُ الْكَرَى
وَيُرَوَّى «عِنْدَ الصَّبَاحِ»، وَبَعْضُهُمْ:

غَبَّ الشَّبَابِ مَشِيْبٌ بَعْدَهُ هَرْمٌ وَالْمَوْتُ رَابِعُهَا إِنْ جَاءَ فِي مَهَلٍ
وَالصَّوْبُ مَصْدَرٌ صَابَ الْمَطْرُ إِذَا سَالَ وَانْهَمَرَ مَنْصَبًا، وَصَابَتِ السَّمَاءُ الْأَرْضَ: جَادَتْهَا
وَأَمَطَرَتْ وَصَبَّتْ عَلَيْهَا مَاءَهَا، وَالصَّوْبُ أَيْضًا، الْمَطْرُ الصَّيْبُ، أَيُّ الْغَزِيرِ الْمَتَدَفِّقِ،
قَالَ الشَّاعِرُ:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي
وَالرَّبِيعُ جِزْءٌ مِنَ السَّنَةِ وَأَيْضًا الْمَطْرُ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى النَّبَاتِ وَالْكَأَلِ وَالْخُصْبِ
وَالصَّوْبُ بِمَعْنَى الْمَطْرِ مِثْلَ الْغَيْثِ وَالْجُودِ وَزَنًا وَمَعْنَى.

«بَحْرٌ طَمًا تَيَّارُهُ» أَيُّ ارْتَفَعَ مَوْجُهُ وَعَلَا أَدْيُهُ وَزَخَرَتْ لُجَّتُهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا زَخَرَتْ حَرْبٌ لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ رَأَيْتَ بَحُورًا مِنْ نُحُورِهِمْ تَطْمُو
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: [دِيَوَانُهُ ٥٤]

عَفَّ الْمَكَاسِبِ لَا يُكْدِي حُسَافَتَهُ كَالْبَحْرِ يُلْحِقُ بِالتَّيَّارِ تَيَّارًا
أَيُّ طَيْبُ الْأَمْوَالِ لَا يَمْنَعُ عَطَاءَهُ وَلَوْ حُسَافَةً، وَيَتَّبِعُ الْعَطَاءَ بِالْعَطَاءِ دِلَاءً كَالْبَحْرِ
يُرْدِفُ الْمَوْجَ بِالْمَوْجِ تَبَاعًا، وَالْحُسَافَةُ: الْقَلِيلُ، وَأَصْلُهَا فُتَاتُ التَّمْرِ وَقِشْرُهُ وَأَقْمَاعُهُ وَمَا
تَسَاقَطَ مِنْهُ، وَأَيْضًا الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَطَمًا وَآوِي يَأْتِي، فَيُقَالُ: طَمًا يَطْمُو كَمَا يُقَالُ طَمًا يَطْمِي.

«ثُمَّ سَجَا»، أَيُّ وَبَعْدَ ذَلِكَ سَكَنَ تَحْرُكُهُ وَفَتَرَ اضْطِرَابَهُ وَهَدَأَ تَمَوُّجَهُ وَرَكَدَ تَيَّارَهُ، وَفِي

التنزيل العزيز: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝۱ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١/٩٣-٢] أي سكن، وفي كلام

عليّ ابن أبي طالب: «ولا ليلٌ داجٍ ولا بحرٌ ساجٍ»، وقال الأعشى: [ديوانه ١٥١]

فما ذُبْنَا إن جاش بحرُ ابنِ عمِّكم وبحرُك ساجٍ لا يوارِي الدَّعامِصا
والدَّعامِص هي الدَّعامِص، وهو دُويِّبات وديدان تظهر في الماء إذا قَلَّ، وللحارثي:

يا حَبَّذا القَمَراءُ والليلُ السَّاج وطُرقُ مثلُ مُلأِ النَّسَّاجِ
والقَمَراء: ضوء القمر والليلةُ المُقَمَرة، وطُرق مثل رِيطات الحاكّة، وآخر:

ألا اسلمي اليومَ ذاتَ الطَّوقِ والتَّناجِ والجَيدِ والنظرِ المُستأنسِ السَّاجِ
وامرأةٌ ساجيةٌ الطرفِ أي فاترته.

والمعنى: بعد نزول مطر ذلك السحاب رويت البراري والقفار وصارت تمج المياه

الغزيرة فأشبهت بحراً زخاراً بالأمواج المتلاطمة، هاج عبابه واشتد اضطرابه ثم سكن واستقرّ وركد ماؤه.

١١٨ - ذاك الجدا لا زال مخصوصاً به قومٌ همُّ للأرضِ غيثٌ وجداً

«ذاك الجدا» أي ذاك المطر العامُّ الكثير، وفي حديث الاستسقاء: «اللهم اسقنا غيثاً

غدقاً وجداً طبقاً»، ويطلق الجدا كالجذوى على العطية وعلى الفائدة والمنفعة، قال خفاف

بن ندبة السلمي يمدح الصديق:

ليس لشيءٍ غيرِ تقوى جَدَا وكلُّ خَلْقٍ عُمُرُه لِلفَنَا

ومنه جداه واجتداه واستجداه إذا طلب عطاءه، قال أبو ذؤاد يرثي أبا بجاد:

مُضِيفُ الهَمِّ يَمْنَعُنِي رُقَادِي إِلَيَّ فَقَدْ تَجَاوَى بِي وَسَادِي

لَفَقَدِ الأَرِيحِيُّ أَبِي بَجَادِ أَبِي الأَضْيَافِ فِي السَّنَةِ الجَمَادِ

إِلَيْهِ تَلَجَأُ الهَضَاءُ طُرّاً فَلَيْسَ بِقَائِلٍ هُجْرًا لَجَادِي

الهَضَاءُ: جماعة الناس، وهي فعلاء من الهَضِّ، وهو الكسر والدقُّ فوق الرِّضِّ، وقيل:

مطلقاً، والجدادي: طالب العطيّة، وقال أبو ذؤيب: [أشعار الهدليين ٧٨]

لَأُنْبِئَ أَنَا نَجْتَدِي الْحَمْدَ إِنَّمَا تَكَلَّفَهُ مِنَ النَّفْسِ خِيَارُهَا
وقال آخر:

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى مَا لِي وَيَكْرَهُنِي ذُوو الْأَصْغَانِ
وقال الراجز:

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْ أُسْرِهِ لَا يَطْعَمُ الْجَادِي لَدَيْهِمْ تَمْرَهُ
وقال الشاعر:

جَدَوْتُ أَنَسًا مُوسِرِينَ فَمَا جَدُوا إِلَّا اللَّهَ فَاجْدُوهُ إِذَا كُنْتَ جَادِيَا
أَي سَأَلْتُ أَنَسًا أَغْنِيَا فَمَا أَعْطَوْا، فَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ:

جئنا نحييك ونستجديكا من نائل الله الذي يعطيك
قال أبو حاتم:

أَلَا أَيُّهُدَا الْمُجْتَدِينَا بِشَتْمِهِ تَأَمَّلْ رُوَيْدًا إِنِّي مَنْ تَعَرَّفُ
أَي أَيُّهُدَا الَّذِي يَسْأَلُنَا وَيَسْتَقْضِينَا حَاجَةً وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَعِينُنَا وَيَسْبُنَا، وَيُمَدُّ الْجَدَا

فيكون الغناءً وزناً ومعنى، قال مالك بن العجلان:

لَقَلَّ جَدَاءٌ عَلَى مَالِكٍ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْ بِأَجْدَاهَا
أَي لَقَلَّ نَفْعٌ وَكِفَايَةٌ، وَمِنْهُ أَجْدَى عَلَيْهِ، وَقَدْ يُقَالُ: أَجْدَاهُ، قَالَ أَبُو الْعِيَالِ:

بَخِلْتُ فُطَيْمَةَ بِالَّذِي تُؤَلِّينِي إِلَّا الْكَلَامَ وَقَلَّمَا يُجِدِينِي

«لا زال مخصوصاً به» أَي لا بَرَحَ مَنْفَرِدًا وَمَسْتَأْثَرًا وَمَفْضَلًا وَمُمَيَّزًا بِهِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ:

إِنَّ امْرَأً خَصَّنِي عَمْدًا مَوَدَّتَهُ عَلَى التَّنَائِي لَعْنَدِي غَيْرُ مَكْفُورٍ
أَرَادَ خَصَّنِي عَمْدًا مَوَدَّتَهُ أَوْ لَمَوَدَّتَهُ، أَي أَفْرَدَنِي، فَحَذَفَ وَأَوْصَلَ.

«قومٌ همٌ للأرضِ غَيْثٌ وَجَدًا» القوم: الجماعة من الناس، وقيل: من الرجال خاصة دون النساء، وإنَّما يدخلنَ في عمومهِ تارةً تبعاً، «همٌ للأرضِ» أي لهذه البسيطة التي أرساها الله بالجمال وجعلها مهاداً، والغيث: المطر، ويُطلق على الكلاً والنبات وعلى كلِّ خير كثير نافع، والجدًا مرّ تفسيره.

المعنى: ذاك السحاب العظيم الذي تقدّم وصفه في آيات متعدّدة لازال ممتازاً بنيل سقيه ومختصّاً بريّه ونفّعه وإحيائه للأراضي ومنفرداً بمطاره ومنافعه وخصبه رجالٌ هم خصبُ البلاد كلّها وغيثُ الأراضي جميعها، إشارةٌ إلى كرمهم وسخائهم وكثرة فواضلهم بين الناس، وأنهم لا يحولون بين الناس وبين ما خصّهم الله به من الغنى والثراء.

١١٩- لستُ إذا ما بهظّنتني غمرةٌ مَمَّن يقول: بلغ السيلُ الزبى

اللغة: «لستُ» مركّبة من أداة النفي وضمير المفرد المتكلم، ومعناها ما أنا. «إذا ما» ظرفية شرطية، وترادفها لفظة «إن». «بهظّنتني» أي شقّت عليّ وأرهقتني شدّةً وأنقلتني بعبثها وحملتني حملاً ثقيلاً، يقال: بهظّه الأمرُ إذا غلبه وبلغ منه مشقّة وثقل عليه حتى عجز عنه، وبهظّ راحلته: أوقرها وحمل عليها حتى أتعبها، وكلُّ ما أثقلك فهو باهظ، وكلُّ من كُلف ما لا يطيقه فهو مبهوظ، قال أبو تراب: سمعتُ أعرابياً من أشجع يقول: بهظّني الأمرُ وبهظّني، قال: ولم يُتابعه على ذلك أحد، ويرادف بهظّه فدحه وزناً ومعنى، قال الشاعر:

تألّى علينا لا نجوزُ وقد دنا من الماءِ ورذّي بهظّ الماءِ باكرُ
والغمرة: الشدة وكثرة الهمّ والغمّ والكربةُ والمصيبةُ العظيمةُ، وأصلها كثرة المياه الغامرة، أي الساترة المغطية لما دونها، وغمرة الناس: موضع ازدحامهم، وتُطلق الغمرة من كلِّ شيء على شدّته وعظّمه، ومنه غمرة الموت والحرب والفتنة والنار، وتُطلق أيضاً بمعنى

الحيرة والغفلة والعمابة والغواية والجهالة، قال تعالى: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٥٤]، وقال أيضاً: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [المؤمنون: ٢٣/٦٣]، وتُجمع الغمرة على غَمَارٍ، قال الشاعر:

وفارسٍ في غَمَارِ الموتِ مُنْعَمِسٍ إِذَا تَأَلَّىٰ عَلَىٰ مَكْرُوهِةٍ صَدَقَا
وقال القطامي من قصيدة يصف فيها سفينة نوح ويذكر قصته مع قومه ويذكر الطوفان: [ديوانه ١٤٤]

وَحَانَ لِتَالِكَ الْغَمَرِ انْحِسَارٌ
فجمع الغمرة على غَمَرٍ كَنُوبَةٍ وَتُوبٍ وَدَوْلَةٍ وَدَوْلٍ، وَغَمَرَةُ الشَّيْءُ: مُعْظَمُهُ، وَغَمَرَةُ النَّاسِ: زَحْمَتُهُمْ وَكَثْرَتُهُمْ، وَمِنْهُ دَخَلْتُ فِي غَمَارِهِمْ، وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «الْغَمَرَاتُ ثُمَّ تَنْجَلِي» أَيِ الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ وَالْخَطُوبِ تُظْلَمُ وَتَغْشَى النَّاسَ ثُمَّ تَزُولُ وَتَنْكَشِفُ، يُضْرَبُ فِي احْتِمَالِ الْعِظَائِمِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا، قَالَ الْمِيدَانِيُّ: «يُقَالُ: إِنَّ الْمَثَلَ لِلْأَعْلَبِ الْعِجْلِيِّ»، وَالْغَمَرَاتُ: مَا تَعْمُرُ الْوَأَقِعَ فِيهَا بِشِدَّتِهَا، وَبَعْضُهُمْ:

وَكَمْ غَمَرَةٍ لِلْحَرْبِ خُضَّتْ عِبَابَهَا مَعِيَ الْمَوْتُ أَقْرِبُهُ نُفُوسَ الْفَوَارِسِ
«مَنْ يَقُولُ: بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ» أَيِ مِنَ الَّذِينَ يَجْزَعُونَ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَيَتَضَجَّرُونَ وَيَضْجُونَ قَاتِلِينَ: بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ، وَهُوَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ، يُضْرَبُ لِلْخَطْبِ يَتَفَاقَمُ وَيَسْتَفْحَلُ وَيُجَاوِزُ الْحَدَّ حَتَّى لَا يُمْكِنُ تَلَاْفِيهِ وَتَدَارُكُهُ، وَمِنْهُ مَا كَتَبَهُ عَثْمَانُ إِلَىٰ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ وَجَاوَزَ الْحَزَامَ الطُّبِّيْنَ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبَلْ إِلَيَّ عَلَيَّ كُنْتُ أَم لِي».

ومفرد الزُّبْيِ زُبْيَةٌ، وَهِيَ الرَّابِيَةُ الْمُرْتَفَعَةُ الَّتِي لَا تَغْمَرُهَا الْمِيَاهُ وَلَا تَعْلُو فَوْقَهَا، وَتُسَمَّى الْحُفْرَةَ الَّتِي تُخْفَرُ لِصَيْدِ الْأَسَدِ زُبْيَةٌ بِكَوْنِهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الرَّوَابِيِ وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَكَذَلِكَ

تُسمى الحُفْرَةُ التي يَسْتَرُّ فِيهَا الصَّائِدَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّيْدِ، وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ فِي الرُّبِيَّةِ: «هِيَ حُفْرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهُ، وَأَصْلُهَا الرَّابِيَّةُ لَا يعلوها الماء، فَإِذَا بَلَغَهَا السَّيْلُ كَانَ جَارِفًا مُجْحِفًا، يُضْرَبُ لِمَا جَاوَزَ الْحَدَّ»، وَقَالَ الزُّخْرِيُّ: «بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِيَّ أَيِ اشْتَدَّ الْأَمْرُ».

المعنى: مَا أَنَا مَنَّ يَجْزَعُ وَيَضْجَرُ وَيَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَضِيعُ رُشْدُهُ وَيَضِجُ قَائِلًا: «بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِيَّ» عِنْدَمَا تُصِيبُهُ إِحْدَى الشَّدَائِدِ وَتُلْمُّ بِهِ فَادِحَةٌ مِنْ فَوَاحِ الدَّهْرِ وَتَنْزِلُ بِهِ نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ.

١٢٠ - وَإِنْ ثَوْتُ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةٌ تَمَلَأُ بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا وَيُرْوَى «بَيْنَ ضُلُوعِي» عَوْضُ «تَحْتَ ضُلُوعِي».

اللُّغَةُ: «وَإِنْ ثَوْتُ»، أَيِ وَإِذَا اسْتَقَرَّتْ وَأَقَامَتْ وَمَكَثَتْ وَلَبِثَتْ، وَالثَّوْيُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدِينَةٍ﴾ [الْقَصَصُ: ٢٨/٤٥] أَيِ نَازِلًا بِهَا وَمَقِيمًا فِيهَا، وَالْمَثْوَى اسْمُ مَكَانٍ مِنْهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَيْكُمْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦/١٢٨] أَيِ مَكَانٍ إِقَامَتِكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ هُنَا اسْمُ مَصْدَرٍ، أَيِ مَنْزِلِكُمْ وَمَقَامِكُمْ، وَتَأْوِيلُهُ ذَاتُ نَزْوَلِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يُوسُفُ: ١٢/٢٣] أَيِ أَكْرَمَ نُزُلِي وَتَوَلَّانِي فِي طَوْلِ إِقَامَتِي، وَقَالَ عَمْرُ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَصْلِحُوا مَثَاوِيَكُمْ» أَيِ مَنَازِلِكُمْ، وَهُوَ أَبُو مَثْوَاكُ وَهِيَ أُمُّ مَثْوَاكُ أَيِ مَنْ أَنْزَلَكَ فِي مَنْزِلِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَيُّ كُلِّ يَوْمٍ أُمُّ مَثْوَى تَسْؤُسُنِي تَنْفُضُ أَثْوَابِي وَتَسْأَلُنِي مَا اسْمِي
وَقَالَ دُكَيْنٌ:

فَإِنْ ثَوَى ثَوَى النَّدَى فِي لَحْدِهِ

وأثواه: أنزله عنده كثوَاه مشدداً، قال الشاعر:

أَثَوَى فَأَحْسَنَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِّيتْ حَاجَاتُنَا مِن عِنْدِ أَرْوَغِ مَا جَدِ
وقال آخر:

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

«تحت ضلوعي»، ويروى «بين ضلوعي»، والضلوع كالأضلع، والأضلاع: العظام ذات الاعوجاج والانحناء، وهي أربع وعشرون ضلعاً لكل إنسان، للصدر منها اثنتا عشرة تلتقي أطرافها في الصدر، وتسمى الجوانح، واثنتا عشرة في الجنين لا تلتقي أطرافها لأنَّ البطن فاصل بينها، وتسمى الزوافر، قال حاجب بن ذبيان:

هِيَ الضَّلْعُ العَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا أَلَا إِنَّ تَقْوِيمَ الضَّلُوعِ انكسارُهَا
وقال ابن مُفَرِّغٍ: [ديوانه ٢٠٧]

وَرَمَقْتُهُهَا فوجدتُهَا كَالضَّلْعِ لَيْسَ لَهَا اسْتِقَامَةٌ

ولبعضهم:

أَبَى القَلْبُ أَنْ يَهْوَى سِوَاكُمْ وَلَوْ نَوَى لَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الأَضَالِعُ
والأضالع هنا جمع أضلع التي هي جمع ضلع، فهو جمع الجمع، والضلع بكسر الضاد ولائها مفتوحة، وقد تسكن.

«زفرة»، الزفرة فعلة من زفر يزفر زفراً وزفيراً، أي أخرج نفسه بعد أن مدّه، وقيل: إخراجُه مع صوت ممدود، وقيل: بالعكس، أي إدخال النفس، وقيل: الزفير أن يمتلئ صدر الرجل غمًا وضيقةً وحزنًا وكربًا فيردد صوته متأوهاً ويكثر من البكاء وترجيع صوت الحزن، وقال الراغب: أصل الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ منه الضلوع، وفسر بعضهم الزفرة بمطلق التنفس، وعن الزجاج: الزفر من شدة الأين وقبيحه، والزفير: اغتراق النفس للشدة، واطتراق النفس هو استيعابه واستغراقه في الزفير، أي التنفس به كله،

قال الجعدي: [ديوانه ١٥٦]

خَيْطٌ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ
أَي كَأَنَّهُ زَافِرٌ أَبَدًا مِنْ عِظَمِ جَوْفِهِ، فَكَأَنَّهُ زَفَرَ فَخَيْطًا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ: «كَأَنَّهُ
زَفَرَ زَفْرَةً فَطُبِعَ عَلَى ذَلِكَ مُتَفِيحَ الْجَنِينِ، أَي مُرْتَفِعَهَا، وَقَالَ الْأَعَشَى يَصِفُ إِبِلًا، وَقِيلَ:
هُوَ لِلرَّاعِي: [ديوانه ١٢٦]

حُوزِيَّةٌ طُويِتْ عَلَى زَفْرَاتِهَا طَيِّ الْقَنَاطِرِ قَدْ بَزَلْنَ بُزُولًا
الْحُوزِيَّةُ: التُّوقُ الْمُمْتَازَةُ بِفَرَاهَتِهَا، وَقِيلَ: الْمُنْحَازَةُ عَنِ الْإِبِلِ، وَقِيلَ: الَّتِي عِنْدَهَا سَيْرٌ
مَذْخُورٌ، طُويِتْ أَي جُبِلَتْ وَطُبِعَتْ عَظِيمَةَ الْخَلْقَةِ مِثْلَ الْقَنَاطِرِ كَأَنَّهَا زَفَرَتْ حَتَّى ارْتَفَعَ
جَنَابُهَا فَبَقِيَتْ كَذَلِكَ، وَبَزَلْنَ مِنَ الْبُزُولِ، وَهُوَ طُلُوعُ سِنَّ فِي الْإِبِلِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَفِي
بَعْضِ الْكُتُبِ «قَدْ نَزَلْنَ نُزُولًا» بِالنُّونِ عِوَضَ الْبَاءِ، وَلَا أَرَى لِدَلِكِ وَجْهًا إِلَّا إِذَا تَمَحَّنَاهُ
وَأَوْلَانَاهُ بِأَنَّ الْقَنَاطِرَ قَدْ نَزَلَتْ وَاسْتَقَرَّتْ بِتَمَامِ الْإِحْكَامِ بِمَعْنَى أَنَّ أَحْجَارَ تِلْكَ الْقَنَاطِرِ
رَصِينَةُ التَّرْكِيبِ مَتِينَةُ الْبُنْيَانِ وَوُضِعَتْ أَحْسَنَ وَضْعٍ.

وقيل: الزَّفَرَاتُ فِي الْبَيْتِ جَمْعُ زَفْرَةٍ، وَهِيَ كَالزَّفْرَةِ بِالضَّمِّ الْجَوْفُ وَالْوَسَطُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ، أَي أَجْوَافُهَا وَأَوْسَاطُهَا، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَتَسْتَرِيحُ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا

أَي مِنْ تَنَفُّسَاتِهَا الْمُؤَلِّمَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ غَمٍّ وَكَرْبٍ، وَإِنَّمَا سَكَّنَ الْفَاءَ ضَرُورَةً لِلْوِزْنِ.
«مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا» أَي تَشْغَلُ الْفَرَاغَ الْكَائِنَ فِي جَوْفِهِ بَيْنَ الْجَنِينِ، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ
النَّفْسُ الْحَارُّ حَتَّى يَصِيرَ مَلَاءَ جَوْفِهِ مِنَ الطَّرْفِ إِلَى الطَّرْفِ، وَالرَّجَا بِالْقَصْرِ: النَّاحِيَةُ مِنَ
كُلِّ شَيْءٍ، وَخَصَّ بِهِ بَعْضُهُمْ نَاحِيَةَ الْبُئْرِ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا وَحَافَتَيْهَا، وَالْجَمْعُ أَرْجَاءُ،
وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٧/٦٩] أَي عَلَى نَوَاحِيهَا وَجِهَاتِهَا، وَفِي
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ النَّاسُ يَرِدُونَ مِنْهُ عَلَى أَرْجَاءِ وَإِدْرَاحٍ» كِنَايَةٌ عَنِ الْحِلْمِ،

وقال ذو الرمة:

بين الرَّجَا والرَّجَا مِنْ جَنْبٍ وَاصِيَةٍ يَهْمَاءٌ خَابِطُهَا بِالْخَوْفِ مَكْعُومٌ
وَلَاخِرُ:

فَلَا يُرْمَى بِي الرَّجَا وَإِنِّي أَقْلُ الْقَوْمِ مَنْ يُغْنِي مَكَانِي
وَلِلْمَرَادِي:

لَقَدْ هَزَّتْ مَنِّي بَنَجْرَانِ إِذْ رَأَتْ مُقَامِي فِي الْكِبْلَيْنِ أُمَّ أَبَانَ
كَأَنَّ لَمْ تَرِي قَبْلِي أَسِيرًا مُكْبَلًا وَلَا رَجُلًا يُرْمَى بِهِ الرَّجَاوَانِ
أَيُّ يُسْتَهَانُ بِهِ وَيُطْرَحُ فِي الْمَهَالِكِ، وَأَصْلُهُ الدَّلْوُ يَضْطْرِبُ بَيْنَ الرَّجْوَيْنِ فِي الْبَرِّ
فَيَقْدَفُ بِهِ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا وَهُوَ مُدَلَّى فِي أَثْنَاءِ الْبَرِّ.

المعنى: وإذا أصابني كربة ملأت صدري غمًا وحزنًا وحرارةً واستوعب النفس جوفي
لضيق صدري حتى امتلأت بحرارة ذلك النفس من جنبي إلى جنبي، اه، والجواب المتمم
للمعنى سيأتي.

١٢١ - مَهْنَهُتْهَا مَكْظُومَةٌ حَتَّى يُرَى تَحْضُوضِعًا مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَعَى

مَهْنَهُتْهَا أَي زَجَرْتَهَا وَرَدَعْتَهَا وَكَفَفْتَهَا وَمَنْعْتَهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

مَهْنَهُ دَمَوْعَكَ إِنْ مَنْ يَغَرُّ بِالْحَدَثَانِ عَاجِزٌ

وَمَهْنَةُ السَّعَى: صَاحَ بِهِ لِيَكْفَى، وَمَهْنَهُ فَتْنَهُنَّ: زَجَرَهُ فَانزَجَرَ، قَالَ أَبُو جُنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ:

[أشعار الهذليين ٣٥٧]

فَنَهْنَهُتْ أَوْلَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بَضْرِبَةً تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُجْحَرٍ

الْحَشْيَانُ: الَّذِي عَرَاهُ الْحَشَى، وَهُوَ الرَّبْوُ وَالْبُهْرُ وَالنَّهْيَجُ الَّذِي يَعْضُرُ لِلْمُسْرَعِ فِي
مَشْيِهِ وَالْمَحْتَدِّ فِي كَلَامِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ النَّفْسِ وَتَوَاتُرِهِ، وَالْمُجْحَرُ: الْمُلْجَأُ الْمَضْطَرُّ، مَنْ أَجْحَرَهُ
إِذَا أَلْجَأَهُ إِلَى مِثْلِ الْجُحْرِ.

«مكظومة»، أي محبوسة، من كظَمَ غيظَه إذا ردَّه وحَبَسَه وتحمَّله وصبر عليه وكتمه في نفسه ولم يُبده ولم يُظهره كما يقال: تجرَّعَ الغيظَ واجترَّعه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ٣/١٣٤] وفيه أيضاً: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٦٨/٤٨] وفيه أيضاً: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٦/٥٨]، وفي الحديث: «ما مِنْ جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا الْإِنْسَانُ أَكْظَمَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةٍ عَيْظَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وأصله من كظَمَ البعيرُ جِرَّتَه إذا ازدردَها، أي ابتلعها وكفَّ عن الاجترار، والجِرَّة: ما يُخرجه البعير من كرشه فيجتثُّ بها، أي يلوكها ويُرددها في فمه، ومنه فلان لا يكظُم على جِرَّتِه أي لا يسكُت على ما في نفسه حتى يتكلَّم به، وإنما قيل: كظَمَ البعير والمُعْتَاطُ لأنَّه يأخذ بكظَمِ نفسه، والكظَم: مخرَج النفس في الحلق، قال أبو خراش: [أشعار الهذليين ١٢٢٥]

وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرٌ قضاءً إذا ما كان يؤخِّدُ بالكظَمِ
أراد الكظَم بالتحريك فسكَّنه للضرورة، والكظَم: السَّاكُتون، قال العجاج:
وَرُبَّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظِّمٍ عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ
الأسراب: جماعات الناس، الواحد سرب بالكسر، والحجيج: الحجاج، واللغا كاللغو: ما لا يُعتدُّ به من الكلام العاري عن الفائدة، والرَفَث: ما يُستحيا من التصريح به كالجماع والغمز لأجله ونحو ذلك من الفواحش والرذائل.

«حتى يُرى مُخضوضِعاً»، أي إلى أن يرى إن كانت حتى غائبة، أو فيرى إن كانت تفرعية، مُخضوضِعاً أي شديد الخضوع، وهو مُفْعُولٌ من الخضوع، وهو الانقياد والإطاعة واللين والذلُّ والإقرار بالضعف والاعترافُ به والاستكانة، ويقارب الخضوع في معناه الخشوع، والمخضوضع أبلغ في الوصف بالخضوع من الخاضع لزيادة المعنى بزيادة المبني، كما أن اخشوشن أبلغ من خشن.

«منها الذي كان طغى»، الضمير في «منها» يعود إلى الزفرة في البيت الذي قبل هذا،

وطغى أي تجاوز الحد المعتاد وتعدي القدر، وأصله التهادي في العصيان والإسراف فيه، ومنه قيل: طغى الماء إذا اشتد اضطرابه وعبّ عبائه وزخر تياره وزاد مدّه وهاج وارتفع وكثر وعلا، ومنه «طغى الدّم بفلان حتى قتله»، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ﴾ [الحاقة: ٦٩/١١] وفيه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٦/٩٦]، وفيه: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه: ٨١/٢٠]، وفيه: ﴿أَنْ يَقْرَظَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥/٢٠]، وفيه: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ٧/١٨٦].

المعنى: كففتها ورددتها محبوسة حتى يخضع منها ما كان هائجاً، وهذا البيت مرتبط مع الذي قبله، ومعناها إذا امتلأت غيظاً كظمته حتى تبرّد حرارته وتنكسر حدته وتسكن ثورته.

١٢٢- ولا أقول إن عرّنتني نكبة قول القنوط: انقذ في البطن السلى
اللغة: «ولا أقول إن عرّنتني»، أي ألمت بي وأصابني، قال أبو عطاء السندي مولى بني أسد:

فوالله ما أدري وإني لأصادقُ أداً عرّاني من حبابك أم سحرُ
والحباب بالكسر مصدر حاببته وجمع الحبّ وبالضمّ المحبة، ويروى «من جنابك»
بالجيم والنون. «نكبة» أي مصيبة وبليّة ورزية، يقال: نكب الرجل وأصابته إحدى نكبات
الدهر، وفلان منكوب أي مُصاب، قال حاتم:

إذا قلّ مالي أو نُكِبْتُ بنكبةٍ قنيتُ حيائي عفةً وتكرماً
«قنيتُ حيائي» أي لزمته، والنون تُفتح وتُكسر، ولبعضهم:
لا تجزعن إذا نُكِبْتَ فإلّما جزع الفتى في الرزء رزء آحرُ
والدهر مهما استفحلت نكباته بالصبر إن قابلتها تتصاعرُ
وأصل هذا المعنى من قولهم: نكبته الحجارة إذا أصابته وخذشته وجرحته، وفي أمثال

العرب: «الدهرُ أَنْكَبُ لَا يُلْبُثُ»، أي يأتي بالنكبات ولا يُقيم على حالة واحدة، وقيل: بل المرادُ بالأنكَب المائل المنحرف الذي تَنكَّب وحادَ عن الجادة بمعنى أن الدهر غير مستقيم على حالة واحدة، فالمعنى المرادُ فيهما واحد، ويروى «أَنْكَبُ لَا يُلْبُثُ» بالثاء المثلثة فيهما، أي غَدَّارٌ يَنْقُضُ العَهْدَ، و«لَا يُلْبُثُ» أي لا يستقرُّ على حالة واحدة، مثل «لَا يُلْبُثُ»، من الإلثاث، والإلْبَاب بمعنى الاستقرار والإقامة والمكث واللبث.

«قَوْلَ الْقَنُوطِ» أي كلامَ اليائس الذي انقطع رجاؤه وتلاشى أمله واضمحلت أمانيه، ولم يبقَ في نفسه طمعٌ لحصول الخير الذي كان يتوقَّعه، يقال: فلان آيسٌ قنوط، وفلان قلبه بالرَّجاء منوط، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ١٥/٥٥]، وفيه: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِينَ﴾ [الحجر: ١٥/٥٤]، وقنطه تقنيطاً مثل آيسه بمدِّ الألف على أفعله، وآيسه بالتشديد على فَعَله، ومنه قولهم شرُّ الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله، أي يؤيسونهم، ومن سجعات الأساس: «اكتتبَ ونقَطَ ثمَّ اكتابَ وقنطَ» كما لو كتبَ رجل صكاً على نفسه بصدقة يتبرَّع بها من ماله لمحاويج، وبعد أن أتمَّ كتابة ذلك الصكِّ ندم على ما قدمته يده، ومن هذا القبيل إذا قيل له: زِنْ طَاطاً رأسه وحزِنْ.

«انْقَدَّ فِي الْبَطْنِ السَّلَى» أي انقطع وانشقَّ في الجوف كيسُ الجنين، وهو الغلاف الذي يضمُّه في بطن أمه، وفي انقطاعه داخلَ الجوف خطرٌ على الجنين وعلى أمه، والسَّلَى والكيس والغلاف والمشيمة ألفاظٌ مترادفة بمعنى الجلدة الرقيقة التي ينزل المولود مُشتملاً بها فتتزعج عن وجهه حين ولادته فوراً، وإلَّا قتلته، وإنَّما يُضرب هذا المثل عند تحقُّق الخطر وتيقُّن الهلاك وفوات الفرصة لتدارك الأمر وعدم إمكان تلافي الخطب، قال الجوهري: «يقال: انقطع السَّلَى في البطن إذا ذهبَت الحيلة، كما يقال: بلغ السكِّينُ العظم» ا.هـ. وكما يقال: تجاوزَ الحزَامُ الطَّبِيئِينَ، الطَّبِي: الخلف، وهو الشَّدي.

المعنى: إن أصابني حادثة من حوادث الدهر أصبر لها وأتلقاها بالثبات والجلادة ولا أقول عند نزول تلك الحادثة كما يقول الياثس من الخير تضجراً وقلقاً وانزعاجاً: «انقذ في البطن السلي» كناية عن خور قائله وعدم تحمله وكثرة جزعه وعجزه عن الاحتيال لنيجته وخلصه.

١٢٣ - قد مارست مني الخطوب مرساً يساور الهول إذا الهول علاً

اللغة: «قد مارست مني» أي عاركت وعاجت وزاولت وخالطت بعنف وشدة، والممارسة كالمزاولة والمعالجة بمعنى مُعانة الشيء ومُقاساته، وكل من حاول عملاً أو أمراً فيه شدة فقد مارسه، يقال: فلان قد مارس الخصومات ومارس الفتن ومارس المصائب، كل ذلك بمعنى وقع فيها وقاسى شدائدتها وتحمل أعباء مشاقها، وتجدد في غمرات أخطارها ومخاوف أهوالها ولاقى منها صعوبة يعسر التقضي منها، يقال: ما زال فلان يمارس الخطوب ويلقى صروف الدهر بوجه قطوب حتى حنكته التجارب وهدبته المصائب وأحكمت أدبه النوائب، ولبعضهم:

ومارست من دهري هزاهز ملؤها هزائز أفصت بي لشيب الدوائب
ومن كان فيثاغورس خير شيوخه فخيرهم عندي صروف النوائب
قرأت على دهري دروساً مفيدة غريزي عقلي فضل عقل التجارب

الهزاهز: الفتن التي يكثر فيها اضطراب الناس، والهزائز: الشدائد، وكما يقال: مارسته الخطوب، يقال: عركه الدهر ودلكه وعصه وصرسه ونجده، وأناخ عليه بكلكله، ويقال: تمرس به أي تحكك وتحرش، ومنه قول الشاعر:

وأحمق عربض عليه غضاضة تمرس بي من حينه وأنا الرقيم

«الخطوب» جمع خطب، وهو الشأن والأمر والحال، وفي التنزيل العزيز:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [الحج: ٥٧/١٥]، والمراد بالخطب المجموع في البيت

الأمر الشديد مما ينزل بالإنسان من طوارق الحدّثان، ول بعضهم:

خُطُوبُ الدَّهْرِ تَطْرُقُ كُلَّ حَيٍّ وَأَخْرُهَا لَنَا خُطْبُ الْمَمَاتِ
ومنه قول قصير لجذيمة حين استقبلته رسل الرّبّاء هدايا في أثناء مسيره إليها: «خُطْبُ
يسيرٌ في خُطْبِ كَبِيرٍ»، وهو من الأمثال السائرة.

«مِرْسَاءً» أي ذا جلدٍ وقُوّةٍ وصبرٍ وصلابةٍ قد مارس النوائب وجرب الأمور حتى صار
لا يَحْتَفِلُ بِالرَّزَايَا وَلَا يُبَالِي بِكَوَارِثِ الْحَوَادِثِ لِأَنَّهُ طَالَمَا مَرَّ نَتْنُهُ وَقَائِعِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَدَرَّبَتْهُ
فَجَائِعُ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ وَقَاسَى الشَّدَائِدَ حَتَّى اعْتَادَهَا وَأَعَدَّهَا مِنْ ثَبَاتِ الْجَأْسِ وَجِرَاءَةِ
الْقَلْبِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ عَتَادَهَا، ول بعضهم:

إِنْ كُنْتَ خَبَأَ فَهِيَ إِنيَ امْرُؤٌ مَرِسٌ صُلْبُ الْمَعَاجِمِ طَبُّ بِالْخُصُومَاتِ

«يُسَاوِرُ الْهُوْلَ» أي يُغَالِبُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، قال كعب بن زهير:

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَآ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ الْقِرْنَآ إِلَّا وَهُوَ مَجْدُولٌ

وَسَاوَرْتُ خَصْمِي وَأَثْبَتُهُ وَتَنَاوَلْتُ رَأْسَهُ وَحَاوَلْتُ أَنْ أَصْرَعَهُ، وللنابغة الذبياني:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَائِلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَاهِ السُّمِّ نَاقِعٌ

ويقال: ساورته الهموم، كأنها قاتلته وصارعته من السّورة، وهي الحدة والثورة

والوثبة، والفعل سار يسور، كثار يثور وزناً ومعنى. والهُولُ: الفزع، ويُطلق على الأمر

المُخِيفِ مَبَالِغَةً. «إِذَا الْهُوْلُ عَلَا» أي اامتدَّ وَعَظُمَ وَعَلَبَ وَاشْتَدَّ وَتَصَعَّبَ وَتَفَاقَمَ

وَاسْتَفْحَلَ، كأنه عَلَا صاحبه أي ركبته وثقل عليه، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ١٦٣]

عَلَوْنَا هُمْ بِالْمَشْرِفِي وَعُرِّيَتْ نِصَالُ السُّيُوفِ تَعْتَلِي بِالْأَمَائِلِ

أي قهرناهم بالحسام وجردت نصال السُّيُوفِ مِنْ أَعْمَادِهَا، و«تَعْتَلِي» قال في لسان

العرب [علا]: «أَي تَعْتَمِدُ، وَعَدَاهُ بِالْبَاءِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى ذَهَبَ بِالْأَمَائِلِ، أَي بِخِيَارِ الْفَرَسَانِ»،

وفيه «اعتلى الشيء: قوِيَ عليه وعلاه، قال الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصِلْنِي خُلَّتْ بِي وَتَبَاعَدْتُ مَنِّي اعْتَلَيْتُ بِعَادَهَا

قال: أي علوت بعادها ببعاد أشد منه، وقال بعض ولد بلال بن جرير:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ فَيْدٍ لَمُعْتَلٍ بِمَا سَاءَ أَعْدَائِي عَلَى كَثْرَةِ الزَّجْرِ

لمعتل أي لعالٍ قادرٌ قاهرٌ، وقال آخر:

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ شَعَبَ الْعَصَا وَيَلْجُ فِي الْعِصْيَانِ

فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

قال في اللسان: «يقول: إذا رأيت المرء يسعى في فساد حاله ويلج في عصيانك ومخالفة

أمرك فيما يفسد حاله فدعه واعمد لما تستقل به وتضطلع به إذ لا قوة لك على من لا

يوافقك، وقال طفيل الغنوي: [ديوانه ٦٦]

وَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حَرَسِ نِسَاءِكُمْ غِدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرٌ مُعْتَلٍ

قال: إنما أراد مؤتلي فحوّل الهمزة عيناً، يقال: فلان غير مؤتل في الأمر وغير معتل، أي

غير مقصر».

المعنى: قد عاركت وصارعت نوب الدهر مني رجلاً شهماً صبوراً جلدًا قويًا، إذا

عظم الخوف غالبه وإن اشتد الفزع واثبه وإن استطال البلاء قابله بصبره وثباته، ونحو هذا

قول عمرو بن الإطنابة:

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

١٢٤ - لِي التَّوَاءِ إِنْ مُعَادِي التَّوَى وَلِي اسْتِوَاءِ إِنْ مُوَالِي اسْتَوَى

اللغة: «لي التواء» أي اعتياض وتشدد وتصعب والتيات وتعسر، وأصله مطاوع اللي،

يقال: لواه يلويه لياً فالتوى يلتوي التواء أي فتله فانفتل وعوجه فتعوج، ولوي بكسر الواو

كالتوى، قال الشاعر: [ديوان رؤبة ٢٦]

إِذَا التَّوَى بِي الْأَمْرُ أَوْ لَوَيْتُ مِنْ أَيْنَ آتَى الْأَمْرُ إِذْ أُتَيْتُ

ومن أمثال العرب في الرجل الصعب الخلق الشديد اللجاجة: «لَتَجِدَنَّ فُلَانًا أَلْوَى
بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ» أي قويٌّ في الخصومة لا يَسْأَمُ المِرَاسَ، قال الشاعر:

إِذَا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ كَسَرْتُ الطَّرْفَ مِنْ غَيْرِ عَوَزٍ
وَجَدْتَنِي أَلْوَى بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ أَحْمَلُ مَا حَمَلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ

تَخَازَرَ: ضَيَّقَ جَفْنَهُ وَحَدَّدَ نَظْرَهُ، وَالخَزَرَ: ضَيَّقَ العَيْنَ، وَقِيلَ: النَظْرُ بِمَوْخَرِهَا مَمَّا يَلِي
الصُّدْعَ، وَهُوَ نَظَرُ العِدَاوَةِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ: «فُلَانٌ يَلْتَوِي عَلَى فُلَانٍ» قَوْلُهُمْ: «فُلَانٌ يُمَارُّ
فُلَانًا»، أَي يُعَالِجُهُ وَيَتَلَوَّى عَلَيْهِ لِيَصْرَعَهُ، وَمِنْهُ مَا يُرْوَى فِي قِصَّةِ عَنِ أَبِي الأَسْوَدِ الدَّوَلِيِّ أَنَّهُ
لَقِيَ ابْنَ صَدِيقٍ لَهُ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَخَذْتَهُ الحُمَى فَفَضَخْتَهُ فَضَخًا وَطَبَخْتَهُ طَبَخًا
وَرَضَخْتَهُ رَضَخًا وَتَرَكَتُهُ فَرَخًا، قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ امْرَأَتَهُ الَّتِي كَانَتْ تُرَاثُهُ وَتُمَارُّهُ وَتُشَارُّهُ
وَتُهَارُّهُ وَتُجَارُّهُ؟ قَالَ: طَلَّقْتُهَا فَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا فَحَظِيَّتْ عِنْدَهُ وَرَضِيَّتْ وَبَطَّيَّتْ، قَالَ أَبُو
الأَسْوَدِ: فَمَا مَعْنَى بَطَّيَّتْ؟ قَالَ: هُوَ حَرْفٌ مِنَ اللُّغَةِ لَمْ تَدْرِ مِنْ أَيِّ بَيْضٍ خَرَجَ وَلَا فِي أَيِّ
عُشِّ دَرَجٍ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا لَمْ يَدْرِ عُمُكَ [اللسان مرر] ١٠٥٠.

«إِنْ مُعَادِيَّ التَّوَى» أَي إِنْ تَصَعَّبَ عِدْوِي فِي مَخَالَفَتِي وَخِصَامِي، وَالمُعَادِي: اسْمُ
فَاعِلٍ مِنَ عَادَاهُ أَي جَافَاهُ وَتَظَاهَرَ بِبُغْضِهِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: أَصْلُ العِدَاوَةِ التَّجَاوُزُ وَمِنَافَاةُ
الِالْتِمَامِ، فَتَارَةٌ يُعْتَبَرُ بِالمُشْبِيِّ فيقالُ لَهُ العِدْوُ، وَتَارَةٌ بِالقَلْبِ فيقالُ لَهُ العِدَاوَةُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَانْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
يَا أَيُّهَا المُعْرِضُونَ عَنِّي عُودُوا فَقَدْ عَادَ لِي الزَّمَانُ

«وَلِي اسْتِوَاءٌ»، أَي اعْتِدَالٌ وَاسْتِقَامَةٌ. «إِنْ مُوَالِيَّ اسْتَوَى»، أَي إِذَا اعْتَدَلَ صَدِيقِي
وَاسْتَقَامَ، وَالمُوَالِي اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ وَآلِهِ مُوَالَاةٌ، وَهُوَ ضِدُّ عَادَاهُ مُعَادَاةٌ، وَفِي الحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ
وَالِ مَنْ وَآلَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»، وَمَا زَالَ فُلَانٌ يُوَالِيَنِي أَي يُحِبُّنِي وَبِنَصْرَتِي، وَحَقِيقَةُ المُوَالَاةِ
مُفَاعَلَةٌ مِنَ الوِلَايَةِ، فَإِذَا قُلْتَ: فُلَانٌ يُوَالِيَنِي وَأَنَا أُوَالِيَهُ كَانَ مَعْنَاهُ يَلِي أُمُورِي وَأَلِي أُمُورِهِ،
أَي أَبَاشَرَ إِصْلَاحَ شُؤُونِهِ وَيَبَاشَرَ إِصْلَاحَ شُؤُونِي، وَبَعْضُهُمْ:

مُوالاةٌ بعضِ الناسِ مُحضٌ تملُّقٌ وأكثرُ مَنْ تَلَقَّى مُدَاجٍ على بُغْضِ
 المعنى: في طبعي سوءٌ خُلِقَ وغلظةٌ وشراسةٌ وفظاظةٌ وعرامةٌ على مَنْ يُجاهرني
 بالبغضاء ويُعاملني بالجفاء ويروغ عن مصالحي روغان أبي الحصين، وكذلك في طبعي لينٌ
 لصديقي وناصرٍ مادام مستقيماً على نهج الصدق في إخائي، ونحو هذا المعنى قول الآخر:
 [ديوان ابن الوردى ٤٣٩]

أنا كالماءٍ لذيذٌ سائِعٌ وإذا سُخِّنَ آذَى وَقَتْلٌ

وقوله أيضاً: [ديوانه ٢٨١]

أنا كالحيزور صعبٌ كسُرُه وهو لذنٌ كيفما شئتَ انفتل

١٢٥ - طَعْمِي شَرِيٌّ لِلْعَدُوِّ تَارَةً وَالرَّاحُ وَالْأَرِيُّ لِمَنْ وُدِّي ابْتَعَى

وفي بعض النسخ «والأري بالراح»، والمعنى واحد.

اللغة: «طعمي شري»، الطعم ما يؤدّيه الذوق من حلاوة أو مرارة أو حموضة أو
 مروزة أو تفاهة أو حرافة أو ملوحة أو عفوصة أو قبض أو دسومة، والشري: الحنظل،
 وهو أيضاً الهبيد، قال الزمخشري: «صحبة العبيد أمرٌ من طعم الهبيد» وقيل: الهبيد: حبُّ
 الحنظل، والشري شجره، وقيل: ورقه، قال الشاعر: [ديوان تأبط شراً ٤٩١]

وَلَهُ طَعْمَانٌ أَرِيٌّ وَشَرِيٌّ وَكَأَلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

وقال الأعلم بن عبد الله الهذلي: [أشعار الهذليين ٣٢٠]

على حَتِّ البَرَايَةِ زَمَحْرِيِّ السِّدِّ — سِوَاعِدِ ظَلٍّ فِي شَرِيِّ طِوَالِ
 والحَتُّ: السريع الخفيف، أي سريع وإن براه السِّفر، وقيل: أراد حَتِّ البَرِي، وقال بعض

البصريين: هذا الشاعر يصف بعيراً، فقال الأصمعي: كيف يكون ذلك وهو يقول قبله:

كَأَنَّ مُلَاعَتِيَّ عَلَى هَجَفٍّ يَعْنُ مَعَ الْعَشِيَّةِ لِلرِّئَالِ

وقال ابن سيده: شَبَّهَ بعيره أو فرسه بالظَّلِيمِ، ألا تراه قال: هَجَفَ، وهو من صفات الظَّلِيمِ؟ وقال: ظَلَّ في شَرِي: وهو إِذَا يَهْتَبِدُهُ أَي يَأْكُلُهُ النَّعَامُ، وَحَتَّ البُرَايَةِ: مُنَحَّتَ الرِّيشَ، وَالزَّحْرِيَّ: الطَّوِيلَ.

و«ظَلَّ في شَرِي طَوَالٍ» يريد أَنه إِذَا كُنَّ طَوَالاً سَتَرَنَهُ فزَادَ اسْتِحَاشَهُ، وَلَوْ كُنَّ قِصَاراً لَسَرَحَ بَصْرَهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ فَخَفَّضَ عَدْوَهُ، أَي سَرَعَةَ جَرِيهِ.

«للعُدْوِ» أَي لِلْمُبْغِضِ، قال الشاعر: [ديوان ابن الرومي ٢٣١]

عَدْوُكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصُّحَابِ

«تارة» أَي مَرَّةً وَطَوْرًا وَأَنَا وَحِينًا، يقال: فَعَلَ ذَلِكَ تَارَاتٍ وَتَارَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَمِنْهَا

قولهم: تَاوَرَه إِذَا عَاوَدَه، قال صاحب لسان العرب [تور]: «ورأيتُ في حواشي ابن بري بخطَّ الشيخ الفاضل رضيَّ الدين الشاطبيِّ، وأظنُّه نسبَه إِلى ابن سيده قوله:

وما الدَّهْرُ إِلا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَموتُ وَأُخْرَى أَبْتغِي العَيْشَ أَكْدَحُ

أَي فَمِنْهَا تَارَةٌ أَموتُ فِيهَا» ا.هـ. وتارة قبلها أسعى في تحصيل وسائل العيش، وكما

تُجمع التارة على تارات فكذلك أيضاً تُجمع على تير، قال الشاعر:

يَقومُ تاراتٍ وَيَمْشي تيرًا

«والرَّاحِ» أَي الحَمْرُ، والرَّاحُ أَيضاً جمع راحة، وهي الكفُّ ذات الأصابع، والرَّاحِ

أيضاً النشاط كالارتياح، ولبعضهم:

وَرِاحٍ بِرِاحِ الغَيْدِ دَارَتْ كَوْوُسُهَا وَيَا حُسْنَ غَيْدٍ تَحْمَلُ الرَّاحَ بِالرَّاحِ

فَتَهْدِي النَّدامَى هِرَّةً وَمَسَرَّةً وَتَجْلُو هُمومَ الشَّارِبِينَ بِأَفْرَاحِ

وَلَوْ ذاقَهَا الرُّهْبَانُ بَعْدَ جُهودِهِمْ لَحَكُّوا الحَبِيَّ لِلرَّقِصِ مِنْ شِدَّةِ الرَّاحِ

وأنا فيما وصفته هذه الأبيات مع كوني لم أدفها ولا غازلتهنَّ بمثابة أبي صعترَةَ البولانيِّ

في قوله:

فَمَا نُظْفَةُ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَادَفَتْ بِهِ جَنْبَتَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلِ دَامِسُ
بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهَا وَلَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ
أَيُّ مَتَفَرِّسٍ، يَقُولُ: اسْتَدَلَّتْ بَرَقَّتَهُ وَصَفَائِهِ عَلَى عَذُوبَتِهِ وَبَرْدِهِ، وَمِنْ شَوَاهِدِ الرَّاحِ
بِمَعْنَى النِّشَاطِ وَالْإِرْتِيَاحِ قَوْلُ الْجُمَيْحِ بْنِ الطَّحَّاحِ الْأَسَدِيِّ: [ديوان بني أسد ٢٣]

وَلَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مَعَدُّ كُلِّهَا وَفَقَدْتُ رَاحِي فِي الشَّبَابِ وَخَالِي
أَيُّ حَصَلٍ لِي مَا حَصَلَ لِقَبَائِلِ مَعَدُّ وَعَدَمْتُ نَشَاطِي وَرَاحَتِي وَاجْتِيَالِي الَّذِي كَانَ لِي
فِي شَيْبَتِي، وَالْحَالُ: الْحَيْلَاءُ وَالْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ، وَالْمَرَادُ بِالرَّاحِ فِي بَيْتِ النَّازِمِ الْحَمْرُ.
«وَالْأَزْيُ»: الْعَسَلُ، قَالَ الْأَعَشِيُّ: [ديوانه ٢٣]

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنْ الزَّنَجِيِّيِّ لِي بَاتَ بِفِيهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا
وَقَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ، وَقِيلَ: الْقَائِلُ لِبَيْدُ: [ديوانه ٢٥٨]
عَتِيقُ سُلَافَاتٍ سَبَّبَتْهَا سَفِينَةٌ تَكْرُرُ عَلَيْهَا بِالْمِزَاجِ النَّيَّاطِلُ
بِأَيْضٍ مِنْ أَبْكَارِ مُزْنٍ سَحَابَةٍ وَأَزْيٍ دُبُورِ شَارَةِ النَّحْلِ عَاسِلُ
النَّيَّاطِلُ: مَكَابِلُ الْخَمْرِ، وَالِدُبُورُ بِالْفَتْحِ النَّحْلُ كَالدَّبْرِ، وَالِدُبُورُ بِالضَّمِّ جَمْعُهُ، وَشَارَةُ
النَّحْلِ أَيُّ جَنَاهُ مِنَ النَّحْلِ، عَاسِلُ أَيُّ مُشْتَارٍ لِلْعَسَلِ، وَبَعْضُهُمْ:
مَسْوَاكُ رِيًّا بَعْدَ الْأَزْيِ رِيًّا وَلِي عَلَى ظَمْئِي وَعَدُّ وَرِيًّا
أَيُّ وَلِي مِنْ رِيًّا مَعَ شَوْقِي إِلَيْهَا عِدَّةٌ وَمَطْلٌ. «لِمَنْ وَدِّي ابْتَعَى» أَيُّ لِمَنْ طَلَبَ وَدَادِي
وَكَانَتْ مَحَبَّتِي بُغِيَّتَهُ.

المعنى: طَوْرًا أَكُونُ مُرًّا كَالْحَنْظَلِ وَطَوْرًا لَذِيذًا كَشَرَابِ التَّدَامِي بِالْعَسَلِ، فَأَخْصُ
الْعَدُوَّ الْمُبْغِضَ لِي بِمَرَاتِي وَأَخْصُ الصَّدِيقَ الْمَحَبَّ لِي بِحَلَاوَتِي، وَالْمَرَادُ أَنَّهُ يَتَصَلَّبُ
وَيَتَصَعَّبُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَيَلِينُ وَيُنْقَادُ لِلْأَوْدَاءِ، وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَنَحْوُهُ
قَوْلُ الْآخَرِ:

وَإِنَّ لِسَانِي شَهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عَظْمُ

وقول الآخر:

لكالسيفِ إن لا يتته لان مسه وحده إن خاشته خشانان

١٢٦- لدن إذا لؤنت سهل معطفي ألوى إذا حوشنت مرهوب الشدا

اللغة: «لدن» أي هين لين، ورمح لدن، قال ساعدة بن جوية: [أشعار الهذليين ١١٢٠]

لدن بهز الكف يعسل متته فيه كما عسل الطريق الثعلب

ويرويه بعضهم «لذ بهز الكف» كما قال أوس بن حجر يصف رُمحاً كأنه لفرط اعتداله

واستوائه وملاسته وتناسب أنابيه كعب واحد: [ديوانه ٩٦]

تقاك بكعب واحد وتلكه يدك إذا ما هز بالكف يعسل

أي اتقاك وتلقاك به، وعسل: اشتد اهتزازه، وهو من باب ضرب. «إذا لؤنت»، أي

إذا عوملت باللين وصوحت بالرفق واللطف، والمصدر الملائنة، وهي الملائفة وحسن

المعاملة ولين الجانب، وضدّها المخاشنة، قال الشاعر:

لكالسيفِ إن لا يتته لان مسه وحده إن خاشته خشانان

وهما مفاعلة من اللين والخشونة، ولبعضهم:

إذا أنت لاينت الرجال بحكمة فمالك موفور وعيشك أزغد

وهم كلما خاشتهم زاد شرهم فتصبح مرزوءاً وعيشك أنكد

«سهل معطفي» أي عطفي سهل، ورجوعي على من يعطفني بما يحب هين، يقال:

عطفه عطفاً ومعطفاً أي أماله وثنائه وأرجعه وردّه وصرّفه، وعطف: مال ورجع وانصرف،

فهو يتعدى ويلزم، ويقال: عطف عليه إذا رقق له وأشفق عليه، وتعطف عليه: وصله وبرّه،

ورجل عاطف وعطوف أي عائد بفضلته حسن الخلق، قال مزاحم العقيلي:

وجدني به وجد المصل قلوبه بنخلة لم تعطف عليه العواطف

قال بعضهم: يريد الأقدار العواطف على الإنسان بما يحب، وقال أبو وجزة السعدي:

فإلى ذرى آل الزُّبَيْرِ بفضْلِهِمْ نِعَمَ الذَّرَى فِي النَّائِبَاتِ لَنَا هُمْ
 العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُسْبِغُونَ يَدًا إِذَا مَا أَنْعَمُوا
 والمَانِعُونَ مِنَ الهَضِيمَةِ جَارَهُمْ والحَامِلُونَ إِذَا العَشِيرَةُ تَغَرَّمْ
 واللَّاحِقُونَ جِفَانَهُمْ قَمَعَ الذَّرَى والمُطْعِمُونَ زَمَانَ أَيَّنَ المُطْعِمُ
 «أَلْوَى» أي شديدُ الخِصَامِ أَلَدُهُ يَلْوِي أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فِي الجِدَالِ وَيَغْلِبُهُمْ وَيَقْهَرُهُمْ
 بِسَلْطَتِهِ وَحِدَّةِ لِسَانِهِ وَشِدَّةِ احتِجَاجِهِ وَتَلْوِيهِ عَلَى خِصْمِهِ بِضُرُوبِ اللَّجَاجَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ
 نَحْوُ هَذَا فِي تَفْسِيرِ البَيْتِ قَبْلَهُ. «إِذَا حُوشِنْتُ» أَي عُوْمِلْتُ بِالصُّعُوبَةِ وَالشَّدَّةِ وَالإِعْسَارِ.
 «مَرْهُوبُ الشَّدَا» أَي مَخُوفُ الحِدَّةِ مَحْشِي الأَذَى، قَالَتْ لَيْلَى: [ديوانها ٨٣]

وقد كان مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيِّنَ الأَلِّ لِسَانٍ وَمِحْدَامَ السُّرَى غَيْرَ فَاتِرِ
 المِحْدَامِ: السَّرِيعِ، ضِدُّ الفَاتِرِ، وَالشَّدَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: حِدُّهُ، كَالشَّدَا بِالمَعْجَمَةِ، قَالَ
 المَجْنُونُ: [ديوانه ٣١٣]

فَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَدَاً مِنْ حُصُومَةٍ لَلْوَيْتُ أَعْنَاقَ المَطِيِّ المَلَاوِيَا
 يُرَوَى الشَّدَا وَالشَّدَا بِالمَهْمَلَةِ وَالمَعْجَمَةِ، وَكُلُّ مَنْهَا يُطْلَقُ عَلَى الحِدِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى
 البَقِيَّةِ مِنْهُ، وَفِي اللِّسَانِ: «وَالشَّدَا مِنَ الأَذَى» وَفِيهِ: «وَالشَّدَا الشَّرُّ وَالأَذَى» أ.هـ.
 وَالشَّبَا بِالبَاءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: حِدُّهُ، وَقَوْلُ المَجْنُونِ: «المَلَاوِيَا» هِيَ الطَّرِيقُ المُتَتَوِيَّةُ
 المُتَعَوِّجَةُ وَأَيْضاً جَمْعُ مَلُوى بِمَعْنَى اللَّيِّ مُصْدَرُ لَوَاهِ أَي ثَنَاهُ وَعَطْفَهُ وَصَرَفَهُ وَأَرْجَعَهُ.
 المَعْنَى: إِذَا عُوْمِلْتُ بِالأَلِّينِ فَأَنَا هَيِّنٌ لَيِّنٌ، وَإِلَّا فَأَنَا شَدِيدُ الجِدَالِ أَلَدُ الخِصَامِ يُخَافُ
 شَرِّي وَيُحْشَى أَذَايَ وَيُحْذَرُ بِأَسِي، وَلَعَنْتَرَةَ فِي هَذَا المَعْنَى: [ديوانه ٢٠٥]

وَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظَلْمِي بِاسِئْلُ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ العَلَقِمِ
 ١٢٧ - يَعْتَصِمُ الجِلْمُ بِجَنْبِي حُبُوتِي إِذَا رِيَاخُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالحُبَى
 اللُّغَةُ: «يَعْتَصِمُ» أَي يَلُوذُ وَيَسْتَمْسِكُ وَيَتَحَصَّنُ وَيَتَشَبَّثُ وَيَتَعَلَّقُ وَيَتَحَفَّظُ وَيَتَحَرَّزُ

وَيَمْتَنِعُ عَمَّنْ يَجَاوِلُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ وَيَتَّقِيهِ، وَهُوَ مَطَاوِعُ عَصَمِهِ، وَمِثْلُهُ أَنْعَصِمَ وَاسْتَعَصِمَ،
 وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَفِيهِ: ﴿وَمَنْ
 يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٣/٣] وَفِيهِ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
 جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣/٣] أَي تَمَسَّكُوا بِهِ وَاسْتَوَثِقُوا وَتَمَكَّنُوا.

«الْحِلْمُ»: الْأَنَاةُ وَالْعَقْلُ وَسَعَةُ الصَّدْرِ وَتَحَمُّلُ مَنْ يَعِصِي وَيُخَالِفُ بَعْدَ تَعْجِيلِ عَقُوبَتِهِ
 وَالْقُدْرَةُ عَلَى صَبْطِ النَّفْسِ عَنْ هَيْجَانِ الْغَضَبِ حَتَّى لَا يَسْتَخَفَّهَا عَصِيَانُ الْمَجْرِمِينَ وَإِسَاءَةُ
 الْمَذْنِبِينَ وَلَا يَسْتَفْزِهَا الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ، وَجَمْعُهُ أَحْلَامٌ وَحُلُومٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ
 بِهَذَا﴾ [الطور: ٣٢/٥٢]، وَالجَرِيرُ: [ديوانه ٣٢٣]

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَتُنْذِرَهُمْ مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِيٍّ وَتَضْرِيْسِي
 وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيْيَاتِ: [ديوانه ١٥٢]

مُجْرَبُ الْحَزْمِ فِي الْأُمُورِ وَإِنْ خَفَّتْ حُلُومٌ بِأَهْلِهَا حَلْمًا

حَلْمٌ بِالضَّمِّ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ عَلَى وَزْنِ شَجْعٍ وَكَرْمٍ، أَي صَفَحَ وَسَتَرَ.

«بَجَنَّبِي حُبُوتِي» أَي بَجَانِبِي حُبُوتِي، وَالْجَنْبُ فِي الْأَصْلِ شِقُّ الْإِنْسَانِ مِنْ لَدُنْ يُطِئُهُ إِلَى
 كَشْحِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مُطْلَقِ النَّاحِيَةِ وَالْجِهَةِ، وَقِيلَ: هُوَ فِي النَّاحِيَةِ أَيْضًا حَقِيقَةٌ كَالْجَانِبِ،
 وَالْحُبُوتُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ اسْمٌ مِنْ احْتَبَى بِالْعِمَامَةِ وَنَحْوِهَا إِذَا جَمَعَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاقِيهِ بِهَا،
 وَالْجَمْعُ حَبِيٌّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: الْحَبِيُّ حَيْطَانُ الْعَرَبِ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: [ديوانه
 ٢٩/٢]

وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِيٍّ حُلْمَانَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْنَفُ
 وَالْحُبِّيُّ أَيْضًا الْعَطَايَا، وَاحِدُهَا حُبُوتَةٌ مِثْلُ الثَّلَاثَةِ الْحَاءِ، وَمِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ [حبو]: «بنو
 فَلَانٍ إِذَا عَقَدُوا الْحَبِيَّ أَطْلَقُوا الْحَبِيَّ»، وَقِيلَ لِلْأَحْنَفِ فِي الْحَرْبِ: أَيْنَ الْحِلْمُ فَقَالَ: عِنْدَ

الحُبِّي، أراد أنَّ الحِلْمَ إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي السَّلْمِ لَا فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ الْحُبُوتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامَ يَخْطُبُ؛ لِأَنَّ الْإِحْتِبَاءَ يَجْلِبُ النَّوْمَ وَيُعْرَضُ الطَّهَارَةَ لِلانْتِقَاضِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي تَعْزِيَةِ صَدِيقٍ:

مُحْكَمَاتٌ حُبِّي ثَبَاتِكَ مَهْمَا هَاجَ خَطْبُ الْحَوَادِثِ الْمُسْتَطِيلِ
«إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْشِ»، إِذَا شَرْطِيَّةٌ وَفِيهَا مَعْنَى الزَّمَانِ كَمَتِي، وَالرِّيَّاحُ جَمْعُ رِيحٍ، وَهُوَ
الهُوَاءُ الْمَالِيُّ لِلْفَضَاءِ وَالشَّاعِلُ لِلْفِرَاقِ وَالْمَسْحَرَّيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ الشَّاعِرُ:
إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَنَمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سَكُونٌ
وَإِنْ دَرَّتْ لِقَاحُكَ فَاحْتَلَبَهَا فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ
أَيُّ فَإِنَّ الْحَالَ وَالشَّأْنَ لِكُلِّ خَافِقَةٍ إِخ، وَمِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَمَةِ
الْمُصَوَّرُونَ» [اللؤلؤ والمرجان ١٣٦٨] و﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ [طه: ٦٣/٢٠].

وَالطَّيْشُ: النَّزَقُ وَالخَفَّةُ، وَقِيلَ: خَفَّةُ الْعَقْلِ، وَقِيلَ: ذَهَابُهُ حَتَّى يَجْهَلَ صَاحِبُهُ.

«طَارَتْ بِالْحُبِّي»، أَي ذَهَبَتْ بِهَا وَأَطَارَتْهَا.

المعنى: العقل والتؤدة والرزانة والوقار وسعة الصدر كل ذلك من أوصافي التي لا تُفَارِقُ حَبُوتِي، وَالْمَرَادُ لَا تُفَارِقُنِي فِي مَجْلِسِي عِنْدَمَا يَعْظُمُ طَيْشٌ غَيْرِي وَيَسْتَخْفُهُ حُجْمُهُ وَيَسْتَفْزُهُ جَهْلُهُ حَتَّى يُوَدِّيَ ذَلِكَ بِهِ إِلَى حَلِّ حَبُوتِهِ وَقِيَامِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ تَسْرِعاً إِلَى مَا يَأْمُرُهُ بِهِ هَوَاهُ وَتُزِينُهُ لَهُ نَفْسُهُ وَتَدْعُوهُ إِلَيْهِ شَهْوَتُهُ وَحَيَا نَبْتَهُ.

١٢٨- لَا يَطْبِينِي طَمَعٌ مُدَنَّسٌ إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوْ اطْبَى

اللغة: «لَا يَطْبِينِي» أَي لَا يَسْتَمِيلُنِي وَلَا يَعْطِفُنِي وَلَا يَنْحَرِفُ بِي عَنِ جَادَةِ الْقِنَاعَةِ، يُقَالُ: طَبَاهُ إِلَيْهِ يَطْبِيهِ وَيَطْبُوهُ أَي دَعَاهُ وَاسْتَمَالَهُ وَقَادَهُ وَكَذَلِكَ اطْبَاهُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

[ديوانه ٦٨]

فَعَرَّضْتُ طَلْقاً أَعْنَاقَهَا فَرَقاً ثُمَّ اطْبَاهَا خَرِيرُ الْمَاءِ يَنْشَعِبُ

وقال أيضاً: [ديوانه ٣٨]

ليالي اللّهُو يطِينِي فَأَتْبِعُهُ كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ
والطَّلُقُ بفتحَتَيْنِ: الشَّوْطُ، وهو جَرِي الفرسِ مرَّةً إلى الغاية، والفرق: الفزعُ وزناً
ومعنى، وهو الخوف، وخَرِيرِ الماء: صوتُ جَرِيهِ الشَّدِيدِ، وَيَتَّعِبُ أَي يَسِيلُ، و«ضاربٌ في
عَمْرَةٍ» أَي سَابِحٌ عَائِمٌ في ماءٍ كَثِيفٍ كَثِيرٍ، واللَّعِبُ بفتحِ فَكسرِ هو اللَّاعِبُ، وقوله:
«فَعَرَّضْتُ طَلَقًا أَعْنَقَافَهَا» أَي أَمَالَتْهَا واستقبلتُ الطريقَ بعَرَضِهَا كما يُعَرِّضُ الفارسُ رِمْحَهُ
على كاتبةِ فرسه، أَي فوقَ مجتمَعِ الكتفينِ قُدَامَ السَّرَجِ، ومنه قولُ النابغة: [ديوانه ٤٣]

هَلَنْ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضُوا الحَطَّيَّ فَوْقَ الكَوَائِبِ
أَي لِلطَّيُورِ على أولئكِ الفُرسانِ عَادَةٌ مَعْرُوفَةٌ عندما يضعون رِماحَهُم أمامَهُم.

«طَمَعٌ مُدَنَّسٌ» أَي جَشَعٌ شَائِنٌ وَحِرْصٌ مَعِيبٌ مُزِرٌ بِصاحِبِهِ، قال الشاعر:

فصدتُ عنهم والأحبةُ فيهم طَمَعاً لهم بعقابِ يومِ سَرَمَدِ

وقال الراغب: الطَّمَعُ: نُزُوعُ النَفْسِ إلى الشَّيْءِ شَهْوَةً، ولَمَّا كان أَكثَرُهُ من جِهَةِ الهَوَى
قِيلَ: الطَّمَعُ طَبَعٌ. ويقال: الطَّمَعُ مَزَلَقَةُ الرِّجَالِ، أَي يُفْضِي بِهِم إلى مَهَاوِي المَهَالِكِ
فَيَتَدَهَوَرُونَ مُتَكَبِّكِينَ كما تُفْضِي المَزَلَقَةُ بالمَارِّينَ عَلَيْهَا حَتَّى يَزَلِقُوا مَصْرُوعِينَ وَيَتَزَلِقُوا
مُجَدِّلِينَ، والمَزَلَقَةُ هِيَ الزُّحْلُوقَةُ والمَدْحَضَةُ لا يَثْبُتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ، وفي أمثالِ العَرَبِ: «أَطْمَعُ
مِنْ قَالِبِ الصَّخْرَةِ»، وهو رَجُلٌ مِنْ قَبِيلَةِ مَعَدٍّ رَأَى فِي بَعْضِ بِلَادِ اليَمَنِ حِجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ
بِالمُسْنَدِ. «أَقْلِبْنِي أَنْفَعُكَ، فَاحْتالَ حَتَّى تَوَصَّلَ إلى قَلْبِ ذَلِكِ الحِجَرِ، فَإِذَا تَحْتَهُ مَكْتُوبٌ
«رُبَّ طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبَعٍ»، فَمَا زالَ يَضْرِبُ بِهَامَتِهِ الصَّخْرَةَ حَتَّى سَالَ دِمَاغُهُ وَفَاطَ، أَي
مَاتَ، قال ثابتُ بنُ قُطَيْبَةَ، وهو ثابتُ بنُ كَعْبِ بنِ جَابِرِ الأَرْدِيِّ، وقيل: عُرْوَةُ بنُ أُدَيْنَةَ:

لا خَيْرَ في طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبَعٍ وَعُفَّةٌ مِنْ قِوَامِ العَيْشِ تَكْفِينِي

وفي الحديث: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبَعٍ»، وَعُفَّةٌ أَي بُلْغَةٌ بِقَدْرِ الكَفَايَةِ

والكفاف، وقوام العيش: ما يقوم بالإنسان من القوت، والطَّع: الشَّين والعار والعيب،
وأصله صدأ الحديد والوسخ والدَّنَس في السيف، وقال البعيث:

طَمَعْتُ بَلَيْلِي أَنْ تَرِيَعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ

تَرِيَعُ أَي تَرَجِعُ وَتَعُودُ، وَقَالَ الْحَادِرَةُ: [ديوانه ٣١٩]

إِنَّا نَعِفُّ وَلَا نُرِيبُ حَلِيفَنَا وَنَكْفُ شُحَّ نَفُوسِنَا فِي الْمَطْمَعِ

وَقَالَ النَّابِغَةُ: [ديوانه ٢٠٠]

وَالْيَأْسُ مَمَّافَاتٌ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْمَعَةٍ تَعُودُ ذُبَاحًا
الدُّبَاحُ بِالضَّمِّ كُغْرَابٌ هُوَ الدَّبْحُ وَأَيْضًا دَاءٌ يَحْصُلُ فِي الْحَلْقِ، وَرَبَّمَا قَتَلَ الْمَبْتَلَى بِهِ،
وَالْمَطْمَعَةُ بِالْفَتْحِ: مَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ لِأَجَلِهِ، يُقَالُ: الْمَخَاضَعَةُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أَكْبَرُ مَطْمَعَةٍ
فِي الْفَسَادِ، وَالْمَخَاضَعَةُ مَصْدَرٌ خَاضَعَهَا وَخَاضَعْتَهُ إِذَا أَلَانَ كُلَّ مَنْهَا كَلَامَهُ لِلآخِرِ، وَقَالَ
اللِّيثُ فِي صِفَاتِ النِّسَاءِ: بِنْتُ عَشْرٍ مَطْمَعَةٌ لِلنَّاظِرِينَ، بِنْتُ عَشْرِينَ تَشْمُسُ وَتَلِينُ، بِنْتُ
ثَلَاثِينَ لَذَّةٌ لِلْمُعَانِقِينَ، بِنْتُ أَرْبَعِينَ ذَاتُ شَبَابٍ وَدِينُ، بِنْتُ خَمْسِينَ ذَاتُ بَنَاتٍ وَبَيْنُ، بِنْتُ
سِتِّينَ تَتَشَوَّفُ لِلخَاطِئِينَ، بِنْتُ سَبْعِينَ عَجُوزٌ فِي الْغَابِرِينَ، وَمَعْنَى تَشْمُسُ تَتَمَنَّعُ وَتَنْشُرُ
وَتَسْتَعْصِي وَتَنْفِرُ، وَتَشَوَّفُ الْمَرْأَةُ لِمَنْ يَخْطُبُهَا أَي تَرِيَعُ، وَشَوَّفُوهَا: زَيَّنُوهَا، وَتَشَوَّفُ
لِلخُطَّابِ أَي طَمَحْتُ وَتَطَلَّعْتُ.

«إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوْ اطَّبَى» اسْتَمَالَه أَي اسْتَعْطَفَه وَطَلَبَ أَنْ يَمِيلَ إِلَيْهِ، وَاطْبَاهُ تَقَدَّمَ أَنَّ
مَعْنَاهُ دَعَاهُ وَقَادَهُ وَاسْتَمَالَه، فَعَطْفُهُ عَلَى اسْتِمَالٍ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْغَضَنْفَرِ عَلَى الْأَسَدِ فِي
قَوْلِكَ: هَذَا الرَّجُلُ أَسَدٌ وَغَضَنْفَرٌ.

المعنى: إِذَا غَلَبَ الْحِرْصُ عَلَى غَيْرِي وَقَادَهُ إِلَى الدَّنَايَا وَدَعَاهُ إِلَى الْمَخَازِي وَاسْتَهْوَتْهُ
شَهْوَتُهُ وَاسْتَمَالَتْهُ نَفْسُهُ فَانْقَادَ إِلَى الْهَوَى الْمَفْضِي إِلَى الْمَسَاوِي ثُمَّ إِلَى الذَّلِّ وَالْهَوَانِ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ:

أَطَعْتُ النَّفْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَعَادَتْني عَسِيفاً عَبْدَ عَبْدِ

فَأَنَا أَرَبُّ بِنْفِسي عَن ارْتِباعِ الهوى كَيْلا يَسْتولِي عَلَيَّ طَمَعٌ يَلْحِقنِي بِسِيبِهِ العارُ وَالسَّناؤُ
والذُّلُّ وَالصَّغارُ .

١٢٩- وَقَدِ عَلَتُ بِي رُتْباً تَجارِي أَشْفَيْنَ بِي مِنْها عَلى سُبُلِ النُّهى
«وقد علت بي» أي سمّت وأعلتني ورفعتني وارتفعت بي وصعدت بي وجعلتني
أعلو وأسمو وأرتفع وأرتقي وأصعد، ولبعضهم:
عَلَتُ بِي هِمَّةٌ تَأبى الدَّنايا وَتَأْتُفُ مِنْ جُجَارةِ اللُّئامِ
وقال رؤبة: [ديوانه ٢٥]

لَمَّا عَلا كَعْبُكَ بِي عَلِيْتُ
أي حينما أعلاني كعبك عليت، من عي كرضي إذا صار ذا علاء وسناء ورفعة
والكعب: الشرف والمجد والفوز والظفر، وأصله كعب القناة، وهو أنبوبها.
«رتباً» أي مراتب ومناصب ودرجات ومقامات ومراقي ومنازل سامية، ومفرد
الرتب رتبة، وهي المكانة والشأن العظيم والحظوة بالقرب من ملك ونحوه، من رتب
الشيء كنصر إذا انتصب وثبت واستقر ودام واستمر، ومنه ما ورد عن ابن الزبير أنه كان
يُصلي في المسجد الحرام وأحجار المنجنيق تمر على أذنه وما يلتفت كأنه كعب راتب، أي
واقف منتصب، وقال أبو كبير الهذلي في ربيبه تأبط شراً: [أشعار الهذليين ١٠٧٤]

وَإِذا يَهْبُ مِنَ المَنامِ رَأيتَهُ كَرُتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ
ويروى: «وإذا نبذت له الحصاة» إلخ...
والزَّمَل بوزن السُّكَّر: الضعيف الجبان الرذّل، وصفه بالشهامة وحدة النفس، يقول:
هو أبداً متيقظ متنبه، ومثل الرتب المراتب، والمراتب أيضاً المراقب وزناً ومعنى، وهي أعالي
الجبال والروابي التي ترتب فيها العيون والرُقباء، قال الشماخ: [ديوانه ١٧٤]
ومرتبة لا يُستقالُ بها الرَدَى تَلأفى بها حِلْمِي عَن الجُهْلِ حاجِزُ

«تَجَارِي» أي اختباراتي، ومفردُها تَجْرِبَةٌ، قال الأَعشى: [ديوانه ١٠٩]

كَمْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قَدَامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَنَعَ
وفي رواية: «إِلَّا الْحَزْمَ وَالْفَنَعَ»، والفَنَعُ بفتح الفاء والنون، وهو الكرم والعطاء
والسَخَاءُ والجُودُ والفَضْلُ الكثير، وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ:

مُجَرَّبُ الْحَزْمِ فِي الْأُمُورِ وَإِنْ خَفَّتْ حُلُومٌ بِأَهْلِهَا حُلْمًا

وقال النابغة: [ديوانه ٤٥]

إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّينَ كُلَّ التَّجَارِبِ

«أَشْفَيْنِي يَ» أَي عَلَوَنِي وَأَشْرَفَنِي عَلَى الشَّفَا، أَي عَلَى الطَّرْفِ وَالْحَرْفِ، وَفِي حَدِيثِ
عَمْرِ: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَلَاةِ أَحَدٍ وَلَا إِلَى صِيَامِهِ وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى وَرَعِهِ إِذَا أَشْفَى» أَي إِذَا
أَشْرَفَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيثٍ لَهُ آخَرُ: «إِذَا أُؤْتِمِنَ أَدَّى وَإِذَا أَشْفَى وَرَعٌ»،
وَشَفَى كُلُّ شَيْءٍ: حَرَفُهُ وَطَرَفُهُ وَحَدُّهُ.

«مِنْهَا» أَي مِنْ تِلْكَ الرُّتَبِ. «عَلَى سُبُلِ النَّهْيِ» أَي عَلَى مَنَاهِجِ الْعُقُولِ وَمَسَالِكِ
الْأَحْلَامِ، وَمُفْرَدُ السُّبُلِ سَبِيلٌ، وَهُوَ الطَّرِيقُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦/٧]، وَفِيهِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨/١٢] أَي
مَحَجَّتِي، وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ لِلكَثِيرِ السَّفَرِ: ابْنُ السَّبِيلِ لِمَارَسَتِهِ إِيَّاهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَسَافِرِ الَّذِي لَا
يَجِدُ مَا يُبَلِّغُهُ إِلَى وَطَنِهِ، قَالَ الرَّاعِي: [ديوانه ٨١]

عَلَى أَكْوَارِهِنَّ بَنُو سَبِيلٍ قَلِيلٌ نَوْمُهُمْ إِلَّا غَرَارًا

وقال آخر مُلَغِزًا فِي ابْنِ السَّبِيلِ:

وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ كَذَلِكَ اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ

وَالنُّهْيَ جَمْعُ نُهْيَةٍ، وَهِيَ الْعَقْلُ وَالْحِجْيُ وَاللُّبُّ وَالْحِلْمُ وَالْفِطْنَةُ وَالْإِدْرَاكُ وَالْحِصَافَةُ،

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ:

فَتَى كَانَ ذَا حِلْمٍ أَصِيلٌ وَمُهَيَّةٌ إِذَا مَا الْحُبَّاءُ مِنْ طَائِفِ الْجَهْلِ حُلَّتِ

وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٢٠/٥٤]، وفي الحديث: «لِيلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى»، ويُرادف العقل الحِصَاة والأَصَاة والأَنَاة، قال كعب بن سَعْدِ الغَنَوِيِّ، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَطَرَفَةٌ: [ديوانه ٨٥]

وإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةً عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ وَيُرْوَى «أَصَاة». المعنى: كثرة اختباري وتجربتي جعلتني مُرتقياً في مَرَاتِبِ مُشْرِفَةٍ عَلَى طُرُقِ الْأَلْبَابِ، أَي أُولِي الْأَلْبَابِ أَوْ الْهُدَايَاتِ اللَّازِمَةَ مِنْ ذَلِكَ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ النَّازِمِ أَنَّ التَّجَارِبَ أَفَادَتْهُ الْعَقْلَ الْكَسْبِيَّ زِيَادَةً عَلَى عَقْلِهِ الْغَرِيزِيِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنْ كَلَامِهِ كَمَا تَرَاهُ.

١٣٠ - إِنْ أَمْرٌ خَيْفَ لِإِفْرَاطِ الْأَذَى لَمْ يُخَشِ مِنْهُ نَزَقٌ وَلَا أَدَى

وفي بعض النسخ «إِذَا أَمْرٌ» إلخ، والمؤدَّى واحد.

«إِنْ أَمْرٌ خَيْفَ»، أَي إِذَا خَيْفَ شَخْصٌ وَخُشِيَ ضَرْرُهُ وَحُذِرَ شَرُّهُ، وَالْمَرْءُ: الْإِنْسَانُ، وَهُوَ إِذَا جَاءَ بِالْأَلْفِ الْوَصْلَ كَمَا فِي الْبَيْتِ أُعْرِبَ مِنْ مَكَائِنِ الرَّاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَفِي لُغَةٍ تُفْتَحُ الرَّاءُ دَائِماً، وَفِي أُخْرَى تُضَمُّ دَائِماً، وَإِنْ جَاءَ هَكَذَا مَرَّةً بَدُونَ أَلْفِ الْوَصْلِ فَالِإِعْرَابُ عَلَى الْهَمْزَةِ، وَالرَّاءُ سَاكِنَةٌ دَائِماً، وَأَمَّا الْمِيمُ فَالْأَكْثَرُ فَتَحُهَا دَائِماً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِكُهَا بِحَرَكَةِ الْهَمْزَةِ عَلَى حَدِّ مَا يُتَّبَعُونَ الرَّاءَ إِيَّاهَا إِذَا جَاءَتْ مَعَ أَلْفِ الْوَصْلِ كَمَا مَرَّ.

والمروءة للمرء كالإنسانية للإنسان والرجولية للرجل، وقال الأحنف: المروءة هي الحُرْفَةُ وَالْعَقَّةُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنْ لَا تَفْعَلَ سَرّاً مَا تَسْتَحْيِي مِنْهُ جَهْراً، وَكُتِبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى: «خُذِ النَّاسَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ وَتُثَبِتُ الْمَرْوَةَ».

وَخَيْفٌ مَجْهُولٌ خَافَ كَمَا يُقَالُ: بَيْعٌ وَقَيْلٌ وَكَيْلٌ وَصَيْنٌ وَهَيْلٌ وَقَيْدٌ وَعَيْدٌ وَغَيْثٌ، وَمِنْ هَذَا مَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ ذَا الرُّمَةَ يَقُولُ: قَاتَلَ اللَّهُ أُمَّةَ بَنِي فُلَانٍ مَا أَفْصَحَهَا، قُلْتُ لَهَا: كَيْفَ كَانَ الْمَطَرُ عِنْدَكُمْ؟ فَقَالَتْ: غُنْنَا مَا شُنْنَا،

أَيُّ سُقِينَا مِنَ الْغَيْثِ مَا نَشَاءُ، وَالْأَصْلُ فِيهِ غُيْثُنَا، فَحُذِفَتْ كَسْرَةُ الْيَاءِ اسْتِثْقَالًا ثُمَّ الْيَاءُ لِلتَّلْقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَكُسِرَتْ الْغَيْنُ دَلَالَةً عَلَى الْيَاءِ الْمَحذُوفَةِ.

«لِإِفْرَاطِ الْأَذَى» أَيُّ لَتَقْدِيمِ الْأَذَى وَالْمَبَادِرَةِ إِلَيْهِ وَالِإِعْجَالِ فِيهِ وَالتَّسْرُعِ إِلَى فِعْلِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَفْرَطَ الرَّكْبُ رَسُولًا إِذَا بَعَثُوهُ وَأَرْسَلُوهُ وَقَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ وَأَعَجَلُوهُ لِيَسْبِقَهُمْ فِيهِمْ لِهِمْ أَدْوَاتِهِ، أَوْ إِفْرَاطُ الْأَذَى: مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِيهِ وَزِيَادَةُ التَّعَدِّيِّ وَالِانْهَاكِ فِي فِعْلِهِ، مِنْ أَفْرَطَ فِي الْأَمْرِ إِفْرَاطًا إِذَا أَسْرَفَ فِيهِ وَزَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ وَأَكْثَرَ فِيهِ وَبَعُدَ عَنِ الْقَصْدِ وَتَجَاوَزَ خُطَّةَ الْعَدْتَالِ، وَهُوَ مُفْرَطٌ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُرَى الْجَاهِلُ إِلَّا أَلَّا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا، أَيُّ مُسْرَفًا أَوْ مَقْصَرًا، أَوْ إِفْرَاطُ الْأَذَى: الْإِتْيَانُ مِنْهُ بِمَا لَا يُطَاقُ وَلَا يُسْتَطَاعُ، مِنْ أَفْرَطَ الْحَوْضَ وَالْإِنَاءَ، أَيُّ مَلَأَهُ حَتَّى فَاضَ، وَالْأَذَى: الشَّرُّ وَالْمَكْرُوهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٨/٣٣]، وَمِنْهُ آذَاهُ، أَيُّ أَوْصَلَ إِلَيْهِ مَكْرُوهًا يَتَأَذَى بِهِ أَيُّ يَتَضَرَّرُ.

«لَمْ يُخْشِ مِنِّي». أَيُّ لَمْ يُخَفْ وَلَمْ يُجْذَرْ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٣٩]، وَفِيهِ أَيْضًا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨/٣٥]، وَفِي كَلَامِ الزَّمْخَشَرِيِّ «بِخَشْيَةِ اللَّهِ يُنَالُ الْأَمْنُ»، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: خَفِيَ اللَّهُ تَأْمَنَ غَيْرَهُ، وَلِطَرْفَةٍ: [ديوانه ٤٨]

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرْعِدُ «نَزَقٌ وَلَا أَدَى». النَّزَقُ: الطَّيْشُ وَالْخَفَّةُ وَالتَّسْرُعُ وَالْعَجَلَةُ فِي جَهْلِ وَحُمُقٍ، وَتَنَازَقَ الرَّجُلَانِ: تَشَاتَمَا، وَأَنْزَقَ الرَّجُلُ: سَفِهَهُ بَعْدَ حِلْمِهِ، وَالْأَذَى هُوَ الشَّرُّ وَكُلُّ مَا يُؤْذِي وَقَدْ تَقَدَّمَ.

الْمَعْنَى: إِذَا حَصَلَ خَوْفٌ مِنْ شَخْصٍ لِكثْرَةِ إِذْيَاتِهِ فَأَنَا مَأْمُونُ الْجَانِبِ لَا تُخَافُ غَوَائِلِي وَلَا تُخْشَى بَوَائِقِي وَلَا يُجْذَرُ مِنِّي تَسْرُعٌ إِلَى شَرٍّ أَوْ مَبَادِرَةٍ إِلَى أَدَى كَمَا يَفْعَلُ الطَّائِشُونَ الْحَمَقَى.

١٣١ - مِنْ غَيْرِ مَا وَهْنٍ وَلَكِنِّي امْرُؤٌ أَصُونٌ عِرْضاً لَمْ يُدْنِسْهُ الطَّحَا

«مِنْ غَيْرِ مَا وَهْنٍ» ما زائدة، أي من غير وَهْنٍ، أي بدون ضَعْفٍ ولا خَوَرٍ ولا جُبِينٍ،

وفي التنزيل العزيز: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦/٣]، وفيه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤/١٩]، وفي حديث الطواف: «وقد وهنتهم حمى

يَثْرِبَ» [البخاري: ١٦٠٢] أي أضعفتهم، وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه: «ولا واهناً في

عَزمٍ»، ويروى «واهيأ» بدل النون، وهو بمعناه، وفعله اللّازم كَوَعَدَ وَوَرِثَ وَكَرَّمُ مِنْ

الباب الثاني والسادس والخامس، ومتعدّيه وهَنَ وَأَوْهَنَهُ وَوَهَّنَهُ تَوْهِيناً مِنَ البَابِ الثَّانِي،

ومن باب الإفعال والتفعيل، ومنه «غادة وهنّانة» أي كَسَلَى ذَاتُ فُتُورٍ مِنْ فَرَطِ التَّنَعُّمِ

وَالرَّفَاهِيَةِ وَالبُلْهَنِيَّةِ، وَوَهَى الشَّيْءُ وَأَوْهَاهُ مِثْلُ وَهَنَ وَأَوْهَنَهُ.

«ولكنني امرؤ أصون عرضاً» أي إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ أَحْفَظُ مَكَارِمِي، ومثله قولك: غَيْرَ أَنِّي

إِنْسَانٌ أَتَحَرَّى الْمَادِحَ وَأَتَحَرِّزُ مِنَ الْقَبَائِحِ، وراء «امرؤ» مضمومة تبعاً للهمزة ويجوز فتحها،

ومنه قول الشاعر:

بَأَيِّ امْرُؤٍ وَالشَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَتَنِّي بِبُشْرَى بُرْدُهُ وَرَسَائِلُهُ

يُروى هكذا بأبي بسكون الباء الثانية وفتح الياء التي تليها، ويروى ببني، أي المفدي

بأبي أو بابني، والبُرد جمع بريد، وهو الرسول، ودأبته أيضاً يقال لها بريد، وقال آخر ففتح

أيضاً الرّاء من امرئ:

أَنْتَ امْرَأَةٌ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيُعْطَى الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ

وقد تقدّم الكلام على امرئ في البيت الذي قبل هذا. وقوله: «أصون عرضاً» أي

أحفظه وأحافظ على نقائه وطهارته، ومنه قول أوس بن حجر: [ديوانه ١٢١]

فإننا رأينا العِرْضَ أَحْوَجَ سَاعَةً إِلَى الصَّوْنِ مِنْ رِيْطِ يَمَانٍ مُسَهَّمِ

وكما يقال: صانه صوناً وصيانة يقال: اضطانه اضطياناً، قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

[أشعار الهذليين ٥٣٠]

وَأَبْلَغُ إِيَّاساً أَنْ عَرَّضَ ابْنَ أُخْتِكُمْ رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلَ

وَالْحُرُّ يَصُونُ عَرِضَهُ كَمَا يَصُونُ ثَوْبَهُ، وَقَالَ لَبِيدٌ يَصِفُ مَرْكُوباً: [ديوانه ٨٠]

وَوَلَّى عَامِداً لَطِيَّاتٍ فَلَجَّ يُرَاوِحُ بَيْنَ صَوْنٍ وَابْتِدَالٍ

أَيُّ ذَهَبٍ قَاصِداً لِمَنَازِلِ الْمَوْضِعِ الْمَسْمُومِ بِفَلَجٍ يَصُونُ جَرِيَهُ مَرَّةً فَيُتْقِي مِنْهُ وَيَبْتَدِلُهُ تَارَةً فَيَجِدُّ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ، وَقَوْلُهُ: «لَطِيَّاتٍ» بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ لِلزُّنُونِ جَمْعُ طَيِّبَةٍ كَنِيَّةٌ وَزَنَانٌ وَمَعْنَى، وَتُطْلَقُ عَلَى الْقَصْدِ وَالْجَهَةِ وَالْوَطَنِ وَالْمَسَافَةِ، وَكُلُّ مَا تُطْوَى الْمَرَاحِلُ لِلْوَصُولِ إِلَيْهِ فَهُوَ طَيِّبَةٌ، وَالطَّيِّبَةُ أَيْضاً: الْوَطْرُ وَالْحَاجَةُ.

وَالْعَرِضُ: النَّفْسُ، يُقَالُ: أَكْرَمْتُ عَنْهُ عَرِضِي أَيَّ صَنْتُ عَنْهُ نَفْسِي، وَفَلَانٌ نَقِيٌّ الْعَرِضُ أَيُّ بَرِيءٌ مِنْ أَنْ يُشْتَمَ أَوْ يُعَابَ، وَقِيلَ: الْعَرِضُ: مَوْضِعُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ سِوَاءِ كَانِ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ أَوْ فِيمَنْ يَلْزِمُكَ أَمْرُهُ، وَبِهِ فُسرَ هَذَا الْحَدِيثُ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» [مسلم: ٦٤٨٧]، وَقِيلَ: الْعَرِضُ: مَا يُفْتَخَرُ بِهِ مِنْ حَسَبٍ وَشَرَفٍ، وَقِيلَ: عَرِضُكَ: خَلِيقَتُكَ الْمَحْمُودَةُ وَخَصَلَتُكَ الْمَمْدُوحَةُ، وَقِيلَ: هُوَ أُمُورُكَ الَّتِي تَرْتَفِعُ أَوْ تَسْقُطُ بِذِكْرِهَا مَدْحاً أَوْ ذَمًّا، وَفِي حَدِيثِ النَّعْمَانِ: «فَمَنْ أَتَقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرِضِهِ» [البخاري: ٥٢] أَيُّ احْتِاطَ لِنَفْسِهِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي صَمُصَمٍ «تَصَدَّقْتُ بِعَرِضِي عَلَى عِبَادِكَ»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «أَقْرَضُ مِنْ عَرِضِكَ لِيَوْمِ فَفَرِّكَ»، وَمِنَ الْأَحَادِيثِ: «إِنَّ الْوَاجِدَ يُجِلُّ عَقُوبَتَهُ وَعَرِضَهُ»، وَقِيلَ: عَرِضُكَ: جَانِبُكَ الَّذِي تَصُونُهُ وَتُحَامِيهِ وَتُدَافِعُ عَنْهُ وَتَتَحَرَّرُ مِنْ أَنْ يُنْتَقَصَ أَوْ يُثَلَّبَ أَوْ يُعَابَ، قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ: [ديوانه ٦٥]

فِيَنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءَ

وَقَالَ النَّابِغَةُ: [ديوانه ٦٣]

يُنْبِتُكَ ذُو عَرِضِهِمْ عَنِّي وَعَالِمُهُمْ وَلَيْسَ جَاهِلٌ أَمْرٍ مِثْلَ مَنْ عَلِمَا

وقال مسكين الدارمي: [ديوانه ٢٣]

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرَضَهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْحَسَبِ
وقال إبراهيم الخريبي:

وَتَلَقَى جَارَنَا يُثْنِي عَلَيْنَا إِذَا مَا حَانَ يَوْمٌ أَنْ يَبِينَا
ثَنَاءً تُشْرِقُ الْأَعْرَاضَ مِنْهُ بِهِ تَتَوَدَّعُ الْحَسَبَ الْمَصُونَا

ويقال: اعترض فلان عرضي إذا وقع فيه وتنقصه.

«لم يدنسهُ الطَّخَا» أي لم يُلطِّخه العيب ولم يُلوثه العار ولم يطرأ عليه الدَّنَسُ، وهو في الأصل الوَسَخُ وزناً ومعنى، ومنه دَنَسَ عَرَضَهُ أي فعل ما يَشِينُهُ، وهو دَنَسُ المروءة، أي سَيِّئُ الخلق، وهو يَتَصَوَّنُ من الأدناس والمدانس أي يَتَكْرَمُ ويتحفظ ويتنزّه منها.

والطَّخَاءُ بالفتح والمد: السَّحَابُ الرَّقِيقُ والغيمُ يَسُدُّ ضوء القمر، والكرب، وثقل

وشيءٌ يَغْشَى القلبَ، الواحدة طَخَاءة، قال الطرمّاح يصف ذئباً: [ديوانه ١١٤]

إِذَا امْتَلَّ يَهْوِي قَلْتِ: ظِلُّ طَخَاءَةٍ ذَرَا الرِّيحِ فِي أَعْقَابِ يَوْمٍ مُصْرِحِ
امتَلَّ: عدا، وطَخَاءة: سحابة خفيفة، أي ذَرَاهُ الرِّيحِ فِي يَوْمٍ مُصْبِحِ، شبه الذئب عادياً في الأرض بسحابة خفيفة ضرَبَهَا الهواء أواخرَ نهارٍ تَقَشَّعَتْ فِيهِ السُّحُبُ.

والطَّخِيَاءُ: الظَّلْمَاءُ وزناً ومعنى، ومن الكلام ما لا يُفْهَمُ، والطخية مثلثة: الظلمة، ولعلَّ التي في البيت جمعُها، فلا يكون قصرُها ضرورة، وعلى كلِّ فالمراد بها الغيث والعار والشَّيْنُ والشَّنَارُ.

المعنى: بلا ضعف ولا جبن ولا استكانة، غيرَ أَنِّي أَكْرَمُ نَفْساً لَمْ تَدْنَسْهَا وَصْمَةُ العَارِ
وَلَا أَرْزَتْ بِهَا مَنَقِصَةُ العَايِبِ وَلَا اعْتَرَاهَا مِنْ مَسَاوِي المَثَالِبِ.

١٣٢- وَصَوْنُ عَرَضِ المَرءِ أَنْ يَبْدُلَ مَا صَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَأَنْتَصَى

اللغة: «وصونُ عَرَضِ المرءِ» أي ووقايةُ نفسِ الإنسانِ مِمَّا يَشِينُ، قال الشاعر:

أَصُونُ عَرَضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ بِالمَالِ

وقال عنتره: [ديوانه ٢٠٦]

وَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُثَلِّمْ

وصانَ الفرسُ جريه إذا ادَّخر منه لوقت الغارة، قال النابغة: [ديوانه ١٣٤]

فَأُورِدَهُنَّ بَطْنَ الْأَثَمِ شُعْثًا يَصُنُّ الْمَشْيَ كَالْحِدَا التُّوَامِ

الآثم بالفتح والتاء المثناة الفوقية: عَلِمَ على موضع معين، والشُعْثُ: التي لم تُفْرَجَنَّ،

أي لم تمشح بالفرجون، وهو المحسنة التي يُنفض بها الغبار عن الدواب، والحدا: نوع من الطيور، والتوأم كغراب المزدوجات، واحده توأم، وهو من الجموع الغربية النادرة.

«أَنْ يَبْذُلَ مَا ضَنَّ بِهِ» أَي أَنْ يَسْمَحَ بِمَا بَخَلَ بِهِ وَيُبِيحَ مَا مَنَعَهُ وَيُعْطِي مَا يَعْزُّ عَلَيْهِ مِنْ

نفائس ما عنده، والذال من يبذل تُضم وتُكسر، لأنه جاء من البابين الأول والثاني، والبذل

ضدُّ المنع والإمساك والبخل، يقال: بذله أي جاد به وسمح وطابت نفسه بإعطائه، وأباحه

عن رضئ منه، ومنه قولهم: مَبَاذِيلٌ للمعروف، واحده مَبْدَالٌ، أي كثير البذل، قال قدامة

بن موسى: [طبقات فحول الشعراء ٦٣]

مَبَاذِيلٌ لِلْمَوْلَى مَحَاشِيدٌ لِلْقَرَى وَفِي الرَّوْعِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ أُسُودٌ

أي يُكثرون العطاء لمولاهم والجمع على ضيافتهم، وهم شجعانٌ صُبرٌ في مواطن

الشدة، وقال المتنبي يصف حُمى نَهَكَتْهُ: [ديوانه ١٤٦/٤]

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي

وَابْتَدَلْتُ الشَّيْءَ كَبْدَلَهُ، قال الشاعر:

وَمَنْ يَبْتَدِلْ فِي النَّاسِ عَيْنِيهِ لَا يَزَلْ يَرَى حَاجَةً مَحْجُوبَةً لَا يَنَالُهَا

أي وَمَنْ يَسْرَحَ طَرْفَهُ وَيَمُدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا لغيره فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَرَى مَا لَا يَنَالُهُ، ويوشك أن

يكون هذا الشاعر أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١/٢٠].

وقول الناظم: «ضَنَّ به» أي بخل وتمسك وشح، وفعله ضَنَّ ضَنَّ يَضُنُّ من الباب الرابع، ويجوز ضَنَّ يَضُنُّ من الثاني، ورجل ضَنِين كَشَحِيح وبخيل وزناً ومعنى، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤/٨١]، أي لا يكتُم ما أُوحيَ إليه، ومنه: «إِنَّ اللَّهَ ضَنَّانٌ مَنْ خَلَقَهُ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ»، أي خصائص، وقال قَعْنَبٌ وَفَكَ الإِدْغَامُ:

مَهْلًا أَعَاذَلْ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي أَنِّي أَجْوَدُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا
 أَي بَخَلُوا وَزَنَّا وَمَعْنَى، وَقَالَ الْبَعِيثُ:

أَلَا أَصْبَحْتَ أَسْمَاءَ جَاذِمَةَ الْحَبْلِ وَضَنْتَ عَلَيْنَا وَالضَّانِينَ مِنَ الْبُخْلِ
 أَرَادَ أَنَّهَا صَارَتْ قَاطِعَةً لِلْوَصْلِ، «وَالضَّانِينَ مِنَ الْبُخْلِ» أَي كَأَنَّ الْبُخِيلَ قَدْ خُلِقَ مِنَ الْبُخْلِ،
 وَمِثْلُهُ «فَلَانٌ مَجْبُولٌ مِنَ الشُّحِّ»، وَنَحْوُهُ «مَا هُوَ إِلَّا أَكَلٌ وَشُرْبٌ»، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ

وقول كعب بن زهير: [شرح بانت سعاد ١٣٥]

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجَعَّ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
 وَقَوْلُ الْخُنَسَاءِ:

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتُ فَإِنَّهَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

وعلى هذا فسّر بعضهم قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧/٢١]، ومنه قولك: لِلتَّلْعَابَةِ: «أَخْلَقْتَ مِنْ لَعِبٍ»، و«فَلَانٌ خُلِقَ مِنَ الذِّكَاةِ» مَبَالِغَةٌ فِي فِطْنَتِهِ، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ نَاقَتَهُ: [ديوانه ١٢٣٢]

ضَنِينَةٌ جَفْنِ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ كُلِّمَا تَضَرَّجَ مِنْ هَجْمِ الْهَوَاجِرِ جِيدُهَا

الهُجْمُ: مَصْدَرُ هَجَمَ النَّاقَةَ إِذَا حَلَبَهَا، قَالَ الزَّمَخَشَرِيُّ: أَرَادَ بِهِ الْعَرَقَ الَّذِي يَرشُحُ بِهِ الْجَسَدُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَالْهَوَاجِرُ جَمْعُ هَاجِرَةٍ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ فِي الْقَيْظِ، أَي صَمِيمُ الصَّيْفِ فِي وَسْطِ النَّهَارِ، وَتَضَرَّجَ جِيدُهَا أَي تَلَطَّحَ بِهَا أَصَابَهُ مِنْ قَطْرَاتِ الْعَرَقِ الَّذِي سَالَ مِنْ رَشْحِهِ.

«مِمَّا حَوَاهُ وَأَنْتَصَى» أَي مِمَّا جَمَعَهُ وَحَازَهُ وَمَلَكَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَاخْتَارَهُ وَانْتَقَاهُ وَاقْتَنَاهُ

وَأَحْرَزَهُ، قَالَ الْمُتَنَبِّي: [ديوانه ١/ ٢٧٧]

هَبَّتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ هُبَّتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

وَأَنْتَصَاهُ: انْتَقَاهُ وَزَنَاهُ وَمَعْنَى، أَي اخْتَارَهُ، قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ: [ديوانه ٤٨]

وَفِي كُلِّ نَشْزٍ لَهَا مَيْفَعٌ وَفِي كُلِّ وَجْهِ لَهَا مُتَّصَى

يُصِفُ ظَبِيَّةً، وَالنَّشْزُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ، وَأَرَادَ بِالْمَيْفَعِ الصُّعُودَ، كَأَنَّهُ تَوَهَّمَ أَنَّ لِلْيَفَاعِ فِعْلًا

فَجَاءَ بِمَصْدَرٍ مِثْلِيٍّ عَلَيْهِ، وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ قَطَاةً:

وَفِي كُلِّ وَجْهِ لَهَا وَجْهَةٌ وَفِي كُلِّ نَحْوٍ لَهَا مُتَّصَى

وَلِآخَرَ:

لَعَمْرُكَ مَا ثَوَّبَ ابْنَ سَعْدٍ بِمُخْلَقٍ وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْتَصَى فَيُصَانُ

قَالَ شَارِحُ الْقَامُوسِ: «أَيُّ ثَوْبُهُ مِنَ الْعُذْرِ لَا يُخْلَقُ» ١. هـ، أَي لَا يَبْلَى، وَأَصْلُ الْإِنْتِصَاءِ

مِنْ قَوْلِهِمْ: «انْتَصَى مِنْهُمْ رَجُلًا» أَي اخْتَارَهُ مِنْ نَوَاصِيهِمْ، أَي رُؤَسَائِهِمْ، كَمَا يُقَالُ لِلْأَتْبَاعِ: أَذْنَابٌ وَزَعَانِفٌ.

الْمَعْنَى: وَقَايَةُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ إِنَّهَا تَحْصُلُ بِالسَّخَاءِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ

وَالسَّمَّاحَةِ وَإِعْطَاءِ مَا يَعَزُّ عَلَيْهِ مِمَّا يُتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ كِرَائِمِ أَمْوَالِهِ الَّتِي جَمَعَهَا وَمَلَكَهَا وَاخْتَارَهَا مُقْتَنِيًا لَهَا.

١٣٣- وَالْحَمْدُ خَيْرٌ مَا اتَّخَذَتْ عُدَّةً وَأَنْفَسُ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التُّقَى

اللُّغَةُ: «وَالْحَمْدُ» أَي وَالشُّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ وَالْوَصْفُ بِالْمَكَارِمِ وَالْمَحَامِدِ

وَالْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ وَالْحِلَالِ الْحَسَنَةِ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ وَالشُّنَاءُ أَلْفَاظٌ مُتَرَادِفَةٌ، غَيْرَ أَنَّ

بَيْنَهَا اخْتِلَافًا قَلِيلًا، وَكُلُّهَا تَجْتَمِعُ فِي مَعْنَى الْوَصْفِ بِالْجَمِيلِ ضِدَّ الذَّمِّ وَالْمَهْجُوِّ الْمُرَادِفِينَ

عَلَى مَعْنَى الْوَصْفِ بِالْقَبِيحِ، وَالْمُرَادُ بِالْحَمْدِ فِي الْبَيْتِ الذِّكْرُ الْحَسَنُ وَالصِّبْتُ الْجَمِيلُ

وَالسُّمْعَةُ الطَّاهِرَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وهو «خيرٌ ما اتَّخَذْتَ عُدَّةً» أي أفضلُ شيء جعلته أهبةً، و«خير» هنا بمعنى أخير أي أفضل وأنفع، واتَّخَذَ افْتَعَلَ، قيل من أَخَذَ، وقيل من تَخَذَ، والْعُدَّةُ: الأهبة وزناً ومعنى، قال

الشاعر: [ديوان أبي فراس ١٠٠]

إذا كانت الغبراء للمرءِ عُدَّةً أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرَّت الحنفاءَ حتفَ حذيفةٍ وكان يراها عُدَّةً للشدائدِ

يقال من العُدَّة: اسْتَعَدَّ أي تَأَهَّبَ وَتَهَيَّأَ، ومثل العُدَّة العَتَادَ كَسَحَابِ.

«وَأَنْفُسُ الْأَذْخَارِ» أي أعزُّ شيء من الأشياء التي تُحِبُّ إعداداً لوقت الحاجة، يقال: هذا أنفُسُ مالي أي أحبه وأعزه وأكرمه، من نَفَسَ الشيء بالضم أي صار مرغوباً فيه، ومثله أنفَسَ، قال النمر بن تولب:

لا تَجْزَعِي إِنْ مِنْفَسًا أَهْلَكْتَهُ فإذا هَلَكْتُ فعند ذلك فاجزعي

والأذخار جمع ذخر، ومثلها الذخائر، واحدها ذخيرة، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ ولكن إخوان الصفاء الذخائرُ

«مِنْ بَعْدِ التَّقَى» يعني أَنَّ ذُخْرَ التَّائِبِينَ وَالتَّقْوَى لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ ذُخْرٌ قَطُّ، ودونه ذخر

الحمد والذكر الحسن الذي هو العمر الثاني للمذكور، كما قال المتنبي:

ذُكِرَ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَّتُهُ ما فاتته وفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

والتقى هو التوقى من المساوى وتحري الوقاية من عذاب الله بفعل الخيرات والبعد

عن المنكرات، قال: [ديوان ابن الوردي ٢٧٧]

وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا خالطت قلب امرئ إلا وصل

وقال الآخر:

أَلَا بِالصَّبْرِ تَبْلُغُ مَا تَرِيدُ وبالتقوى يلين لك الحديدُ

وأصل اتَّقَى أوتقى على افتعل من وقى، قلبت الواو ياءً لانكسار همزة الوصل عند

الابتداء، ثمَّ أبدلت تاءً لإدغامها في مثلها، ولما كثر استعمالها توهموا أصلتها فقالوا: تقى، قال أوس:

تَقَاكَ بِكَعْبٍ وَاحِدٍ وَتَلَكُّهُ يَدَاكَ إِذَا مَا هُزُّ بِالْكَفِّ يَعْسِلُ
أَي تَلَقَّاكَ وَتَوَقَّاكَ وَاسْتَقْبَلَكَ بِرُوحٍ كَأَنَّهُ كَعْبٌ وَاحِدٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ:
زِيَادَتَنَا نُعْمَانٌ لَا تَحْرَمَنَّهَا تَقَى اللَّهُ فِينَا وَالْكِتَابَ الَّذِي تَتْلُو

والذي يبين لك أن أصل أو تقى من الوقاية قول أفنون التغلبي: [شعراء النصرانية ١٩٣]

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا
وَمَنْ فَسَّرَ التَّقْوَى بِالْحَشْيَةِ وَالْحَذَرِ وَالْخَوْفِ فَإِنَّمَا فَسَّرَهَا بِاللَّازِمِ، وَإِنَّمَا أَصْلُهَا مَا ذَكَرْتُ
لَكَ مِنْ أَنَّهَا مِنَ الْوَقَايَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى «اتَّقَى اللَّهَ» جَعَلَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَبْرَاتِ وَسَائِرِ أَعْمَالِ
الْخَيْرِ وَقَايَةً تَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِقَابِهِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [البخاري:
٦٥٣٩] بِمَعْنَى اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حَاجِزًا يَرُدُّ عَنْكُمْ لَفَحَ سَعِيرِهَا وَلَوْ بِأَنْ تَصَدَّقُوا
بِشَيْءٍ قَلِيلٍ وَتَتَبَرَّعُوا بِمَالٍ يَسِيرٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: «بِشِقِّ تَمْرَةٍ» تَعْظِيمًا لِشَأْنِ الصَّدَقَةِ، وَلَوْ كَانَتْ
تَافِهَةً، وَدَفْعًا لِمَعَازِيرِ الْبِخْلَاءِ الَّذِينَ تَسَوَّلُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ مَنَعُ الصَّدَقَةِ الْقَلِيلَةِ، عَلَى أَنَّ شِقَّ
التَّمْرَةِ يُمَكِّنُ حَمْلَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمَعِيشَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَشِينَةِ، وَطَالَمَا كَانَ وَاحِدُهُمْ
يَجْتَزِي أَيَّامًا كَثِيرَةً بِتَمْرَاتٍ قَلِيلَةٍ يَسِيرَةٍ.

المعنى: والذكر الحسن الذي تتداوله عنك الألسنة هو أفضل شيء تُبقية بعد التحلي
بالفضائل التي عنواها التقوى وعمل الخير، والله دُرُّ القائل:

فَدَيْتُكَ فَاعْمَلْ كُلَّ خَيْرٍ حُسْنِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا أَجْرٌ

١٣٤ - إِذَا افْتَنَى الْمَرْءَ الَّذِي يَبْقَى لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَالْحَمْدُ خَيْرٌ مَقْتَنَى^(١)

«إِذَا افْتَنَى الْمَرْءَ» أَي إِنْ حَوَى وَاكْتَسَبَ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ، يُقَالُ: قَنَاهُ يَقْنُوهُ وَيَقْنِيهِ وَافْتَنَاهُ

(١) سقط البيت من شروح ابني خالويه وهشام والتبريزي والصاوي.

إذا اكتسبه وأخذَه لنفسه لا للتجارة والبيع، ومنه قَنِي يَقْنِي قِنِي كَغْنِي يَغْنِي غِنِيَّ زِنًا ومعنى، من الباب الرابع، ومن سجعات الأساس: «فلان يَجْتِنِي الغِنَى والقِنَى من أطراف السيوف والقنأ»، ويقال: يَبْتِنِي المعالي بعوامل العوالي وَيَقْتِنِي المكارم بشفا الصَّوارم، وقالت الخنساء - وقيل: هو لأبي المثلَّم الهذليّ - في رثاء صخر أخيها: [ديوانها ١٤٥]

لو كان للدهر مالٌ كان مُتِلِّدَه لكان للدهر صخرٌ مالٌ قُنِيانِ
لو كان الدهر متخذاً مالاً لا لئخذ صخرًا مالٌ قنِيان بضم القاف وكسرهما، أي خاصًّا لنفسه، كالقنِيَة والقنوة بضم القاف وكسرهما منها أيضاً، قال:

إِنْ تَدُنْ مَنْي لِلوَصَالِ دَنُوَهْ أَدُنْ إِلَيْكَ لِلوَفَاءِ رَتُوَهْ
وَأَجْعَلُ الوُدَّ كَمَالِ قِنُوَهْ

ومنه قَنِي حِيَاءَه كَرَمِي وَقِنِيَه كَرَضِيَه وَلَزِمَه، قال عنتره: [ديوانه ٢٥٢]

فأقْنِي حِيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَاَعْلَمِي أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
وقال حاتم:

إِذَا قَلَّ مَالِي أَوْ نُكِبْتُ بِنُكْبَةٍ قَنَيْتُ حِيَائِي عِفَّةً وَتَكَرُّمًا
أي لزمته، ومنه أَغْنَاهُ وَأَقْنَاهُ، أي أرضاه بما يسر له اقتنائه، ويُفسر القِنَى بالرَضَى وزناً ومعنى، كما يُفسر بالغِنَى كذلك أيضاً، ومنه ما جاء في أمثال العرب: «لَا تَقْتَنِ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرُوءًا»، لا تتخذ شيئاً من أصل خبيث، وبهذا المعنى أنشدوا:

تَرْجُو الوَلِيدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الوَالِدِ الوَالِدَا
والمرء: الرجل ذو المروءة كما أنَّ الإنسان الرجلُ ذو الإنسانية.

«الذي يَبْقَى له» أي الشيء الذي يدوم له ويستمر وجوده خالداً إلى الأبد. «مِنْ بَعْدِهِ» أي من بعد انتهاء أجله وانقضاء عمره وفناء مدَّة حياته وخروج روحه من جسمه وانخراطه في سلك الأموات.

«فالحمدُ خيرٌ مُقْتَنَى» أي فالذكر بالوصف الجميل والنعت الحسن هو أحسن شيء مكتسب وأفضل أثر يتخذ المرء لنفسه، وهذا مما دعا به سيدنا إبراهيم كما قصَّ الله ذلك علينا بقوله جلَّ جلاله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/٨٤]، أي اجعل لي ثناءً حسناً حقيقياً باقياً إلى آخر الدهر، فاللسان هنا المدح، ونحوه قولهم: شَفَّةُ النَّاسِ عَلَيْكَ حَسَنَةٌ، أي سيرتك بينهم جيدة.

المعنى: إذا أراد الإنسان أن يتخذ لنفسه شيئاً يدوم له بعد وفاته ويبقى غيباً بماته فحسُنُ سيرته أفضل أثر وأنفع شيء يكتسبه لنفسه، ول بعضهم فيما يلائم هذا المعنى:

بِقَاوُكَ فِي الدُّنْيَا بِجِسْمِكَ مُكْرَمًا مُحَالٌ وَلَكِنْ ذَاكَ بِاسْمِكَ مُمَكِّنٌ
فَعُذْرُكَ إِنْ لَمْ تَبْقَ بِالْجِسْمِ وَاضِحٌ وَلَوْ مُمَكِّنٌ إِنْ لَمْ تَبْقَ بِاسْمِكَ بَيِّنٌ

١٣٥- وَكُلُّ قَرْنٍ نَاجِمٍ فِي زَمَنِ فَهُوَ شَبِيهُ زَمَنِ فِيهِ بَدَأُ
«وكُلُّ قَرْنٍ» أي وكلُّ أُمَّةٍ من النَّاسِ وجيل من الأجيال، وأهلُ كُلِّ زَمَانٍ قَرْنٌ لا اقترانهم في أحوالهم وأعمارهم، قال الشاعر:

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ
أَي إِذَا انقَرَضَ أَتْرَابُكَ وَبَقِيَتْ فِي نَشْءٍ آخَرَ بَعْدَهُمْ عَشْتٌ كَالْغَرِيبِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي تَحْدِيدِ الزَّمَانِ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْقَرْنِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي تَنْزِيلِهِ الْعَزِيزِ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦/٦] وَنَحْوِهِ فِي التَّنْزِيلِ، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [البخاري: ٢٦٥٢] أَنَّ الْقَرْنَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ هُوَ الْمُدَّةُ الَّتِي تَنْطَبِقُ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَعْمَارِ الْغَالِبَةِ، وَأَقْرَانِ الرَّجُلِ: أَبْنَاءُ قَرْنِهِ الْمُقْتَرِنَ مَعَهُمْ فِيهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ

والقرون الخالية هي الأمم المنقرضة. «ناجم» أي ناشئ ظاهرٍ بادٍ طالع، قال الشاعر:
وما انهزموا حتى رأوا في سراتهم صدور القنا من مستكنٍ وناجم
أي لم يهربوا ويفرّوا حتى نظروا وأبصروا في ساداتهم ورؤسائهم صدور الرّماح
وعوالي المران بين مُستترٍ في جُسومهم وبين نافذ منها.

يقال: نجم نبات الربيع وناب البعير وقرن الثور، أي طلع وظهر، ونجم في القوم
شاعر: برع ونبغ، ونجم فيهم فارسٌ أي ظهر منهم رجل من الأبطال، ونجم أمر عظيم،
أي حدث شأنٌ جليل، ونجم في كلِّ معانيها على وزن نصر من الباب الأول، وكلام
الزخشي صريح في أنّ ذلك كله مجاز، والأصل من قولهم: نجمت الكواكب ونجمت
النجوم أي طلعت وظهرت وأشرقت، ويؤخذ منه أنّ ذلك مشتقٌّ من النجم الذي هو
الكوكب، والوصف المشترك فيه بين الحقيقة والمجاز ظاهر، وهو نفس الظهور،
ولبعضهم:

نجمت بشعري بين قومٍ كريمهم إجازته لله دُرّك شاعرا
ولكن متى ينجم لديهم مُخنثٌ يراهم بحورا بالعطاء زواخرا
«في زمنٍ» أي في وقت، والزمان والوقت والحين ونحوها ممّا يعرفه كلُّ أحد كالعلم،
ولكن اختلف في حدّها وتعريفها كثيرا، فقليل: مقدار حركة الفلك الأطلس، وقيل:
متجدد معلوم، ويقدر به متجدد آخر موهوم كما نقول: يأتي عند الغروب، فالغروب
معلومٌ محققٌ والإتيان موهوم إلى غير ذلك من الأقوال.

«فهو شبيه زمنٍ فيه بدا» أي فذلك القرن من أفراد الناس المقترنة أحوالهم وأعمارهم
في زمانهم يتشأون مماثلين لزمانهم ومشابهين لوقتهم ومُضاهين لعصرهم، يريد بهذا ما
أراده الشاعر بقوله:

لكلِّ زمانٍ دولةٌ ورجالٌ

المعنى: وما من أمة من الأمم ولا جيل من الأجيال في أيِّ عصرٍ كان إلا وفيهم مشابهُةٌ لوقتهم ومُشاكلةٌ لدهرهم، يعني بهذا أن سُنَّةَ الله في خلقه التغيُّرُ والتبدُّلُ وأنَّ لكلَّ جيلٍ خصائصَ من فضائلٍ أو نقائص، ولا يمكن أن تتابعَ القرون على اتِّحادٍ وتساوٍ في جميعِ أمورهم وشؤونهم، وليس قصده أن الزمان له دَخَلٌ في إفسادهم أو إصلاحهم، فإنَّ الزمان مستمرٌّ بخلق الله على نظام واحد، والله ذرُّ القائل:

يقولون الزَّمانُ به فَسَادٌ وهم فَسَدُوا وما فَسَدَ الزَّمانُ

١٣٦ - والنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَمِنْهُمْ رَائِقٌ غَضُّ نَضِيرٍ عُوذُهُ مُرُّ الْجَنَى

وفي بعض النسخ «فمنه» على إرجاع الضمير للنبت، وهو حسنٌ واضح.
«والناسُ» أي والبشر، ويروى «لو أطاعَ اللهُ النَّاسَ في النَّاسِ لم يكن ناسٌ»، قيل: معناه أنَّ الناسَ يحبُّونَ أن لا يُؤلَّدَ لهم إلا ذُكرانٌ دون الإناث، ولو لم تكن الإناث ذهب الناس، وأطاعهم أي استجاب دعاءهم، والناس قيل: أصله أناس، وردَّه بعضهم بحجَّةٍ أنَّه لو كان كذلك لما استعمل الأناس استغناءً عنه بفرعه مع أنه مستعمل، قال الشاعر:

إِنَّ الْمَنَائِمَ يَطَّلِعُ نَ عَلَى الْأَناسِ الْأَمِينَا
فَيَذَرْنَهُمْ شَتَّى وَإِنْ كانوا جميعاً وافرينا

وقال الآخر في الناس:

بِلاَدُهَا كُنَّا وَكُنَّا نَحْبُهَا إِذِ النَّاسُ ناسٌ وَالْبِلادُ بِلاَدُ

أراد إذ الناس أحرارٌ والبلاَدُ عامرةٌ أهلةٌ مُحْصِبَةٌ، كما قال أبو النجم:

أنا أبو النَّجْمِ وشِعْري شِعْري

أي وشِعْري نظمٌ شاعرٌ مُفْلِقٌ، والناس جمع الإنسان على غير قياس، ويُجمَعُ أيضاً على أَناسِيٍّ.
«كالنَّبْتِ»، أي مثل النَّبْتِ الذي يَنْبُتُ في بَقاعِ الأَرْضِ، والنَّبْتُ في الأَصْلِ مصدرٌ نَبَتَ البَقْلُ ونحوه، كَنَصَرَ من البابِ الأوَّلِ، أي بَدَأَ وظهرَ، ثمَّ اسْتَعْمَلَ بمعنى اسمِ الفاعلِ كالنَّبَاتِ، فقليلٌ للنَّبَاتِ نَبَتَ ونَبَاتَ، ويقال: مَنْ نَبَتَ نَبَتَ.

«فمنهم رائق» أي بعضهم رائق، فمن هنا للتبعيض، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٣]، وفيه أيضاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧/١٤]، وفيه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢/٣]، أي بعض ما تُحبون، وتقول: الناس فريقان، منهم سعيد ومنهم شقي، أي بعضهم، والرائق اسم فاعل من راق يروق، وهو يكون بمعنى صفاً وخلص من الكدورة وبمعنى أعجب وبلغ منزلة حسنة مُستحسنة، وقد جمع بينهما بعضهم فقال:

راق الشرابُ فرأفني في كفّ ظبي شاقني

أي هيّج شوقي حتى اشتدّ ميلي إليه، ويكون راق بمعنى فاق، يقال: راق فلان على فلان، أي تقدّم عليه وصار أفضل منه، قال حميد بن ثور: [ديوانه ٤١]

أبى الله إلا أن سرّحة مالكٍ على كلّ أفنان العِصاهِ تروق
أراد بسرّحة مالك امرأته، وأصلها واحدة السّرح، وهو نوع من الشجر، والأفنان: الأغصان، والعِصاه أيضاً ضربٌ من الشجر، وقال ابن الرُّقيّات: [ديوانه ١٧٥]

راقت على البيض الحسا ن بحسنيها وبهائها

«غضّ» أي رخص ليّن طريّ ناعم، وفعله غَضَّ يَغِضُّ بالكسر كضرب من الباب الثاني كما في المصباح [غضض]، وهو القياس في مضاعف الثلاثي المجرد اللازم، ومن المجاز «شبابٌ غَضٌّ»، قال الشاعر:

جاريةٌ شبّبتُ شاباً غَضّاً لا تُحسِنُ التّقبيلَ إلا غَضّاً

وقول الشاعر:

فصبّحت والظلُّ غَضٌّ ما رَحَلُ

أي لم تُدركه الشمس، فهو غَضٌّ كما أنّ النبت إذا لم تُدركه الشمس كان غَضّاً بنداوته وطراوته ولينه بقطر الندى، والله ذرُّ القائل: [ديوان ابن حمديس ٨٩]

بَاكِرًا إِلَى اللَّذَّةِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ الْخَيْلِ ذَوَاتِ الْمِرَاحِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْشَفَ شَمْسُ الصُّبْحِ رَيْقَ الْغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَفَاحِ
 «نَضِيرٌ عُوْدُهُ» أَي رِيَانٌ مُرْتَوٍ أَحْضَرُ الْوَرَقِ جَمِيْلُ الْمَنْظَرِ، مِنَ النَّضْرَةِ، وَهِيَ الْحُسْنُ
 وَالرَّوْنَقُ وَالبَهْجَةُ وَالطَّلَاوَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٨٣/٢٤]، وَالنَّضِيرُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ نَضَرَ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ كَحَسَّنَ، وَيُقَالُ: أَنْضَرَ أَيضًا،
 قَالَ الْكَمِيْتُ:

وَرَّتْ بِكَ عَيْدَانَ الْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَأَوْرَقَ عُوْدِي فِي ثَرَاكَ وَأَنْضَرَا
 وَنَضْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، فِي النَّاسِ آثَارُ النَّعِيمِ، وَفِي النَّبْتِ الْحُضْرَةُ وَالطَّرَاوَةُ وَالرِّيُّ
 وَالدَّيْنُ وَالتَّعْوِمَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالعُودُ وَاحِدُ الْعَيْدَانِ، وَلِلْأَعْشَى:

فَجَرَوْا عَلَى مَا عُوْدُوا وَلِكُلِّ عَيْدَانٍ عَصَارَهُ
 «مُرُّ الْجَنَى» كَرِيهُهُ الطَّعْمُ بِشَيْعِهِ كَالصَّبْرِ وَالعَلَقَمِ وَالحَنْظَلِ، وَالجَنَى: مَا يُجْتَنَى أَي
 يُقْتَفَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَيِّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٥/٥٤]، أَي ثَمْرُهُمَا قَرِيبٌ، وَمِمَّا قَالَهُ عَلِيٌّ
 كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي شَأْنِ بَيْتِ الْمَالِ.

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ
 وَجَنَاهُ كَأَجْتِنَاهُ، أَي قَطْفَهُ وَتَنَاوَلَهُ مِنْ شَجَرَتِهِ، وَقَدْ أَجَادَ الزَّمْخَشَرِيُّ بِقَوْلِهِ:
 قَطَفَ الْحِلْمَ مِنْ شَاهِرِيخِ رَضْوَى وَجَنَى اللَّيْنِ مِنْ قَنَا الْخَيْرَانِ
 الْمَعْنَى: النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ مُتَغَايِرُونَ وَبَيْنَهُمْ تَفَاوُتٌ، فَهَمُ مِثْلُ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ، فَمِنْهَا مَا
 يَكُونُ ظَاهِرُهُ جَمِيْلًا بَعْضُوضَتُهُ وَرِييَهُ وَابْتِلَالُهُ بِاللَّدَى وَشِدَّةُ اخْضِرَارِهِ وَنَضْرَةُ عُوْدِهِ وَبَهْجَتُهُ
 وَرَوْنَقُهُ وَحُسْنُهُ وَطَّلَاوَتُهُ، غَيْرَ أَنَّ ثَمْرَتَهُ كَرِيهَةٌ فِي الطَّعْمِ بِشَيْعَةِ فِي الدُّوقِ.

١٣٧ - وَمِنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ دُقَّتْ جَنَاهُ سَاعٌ عَدْبَابًا فِي اللَّهْيَا
 «وَمِنْهُ» أَي وَمِنَ النَّبَاتِ، وَ«مِنْ» هُنَا تَبْعِيضِيَّةٌ، أَي وَبَعْضُهُ، أَي جُزْؤُهُ وَقَسْمٌ مِنْهُ.

«ما تَقْتَحِمُ العَيْنُ» أي الذي تتجاوزُهُ وتنبؤُ عنه العين وتتعداهُ إلى غيره استصغاراً واحتقاراً وازدراءً، ومنه «اقتحم فلان فلاناً» إذا حقره وازدراه، وأصله من «اقتحم في الشيء» إذا هجم ورمى بنفسه، واقتحم الراكب المسافة مرحلةً مرحلةً أي طَواها ولم ينزل فيها. والعَيْنُ هي الباصرة، أي حاسَّةُ البصر التي بها تحضُّلُ المعاينة والإبصار، قال الشاعر:

هَيْنِئاً قَدِ اقْرَأَ اللهُ عَيْنِي فَلَا رَمَتْ العِدَى أَهْلِي بَعَيْنِ

ومن مرادفات العين اللَّحْظُ والطَّرْفُ والجَحْمَةُ والحُنْدُورَةُ والحَدَقَةُ، ومثْلُ «اقتحمته عيني» «نبأ عنه بصري»، قال الشاعر:

نَبَتْ عَيْنٌ مِيَّ نَبْوَةً ثُمَّ راجَعَتْ وما خَيْرُ عَيْنٍ إِذْ نَبَتْ لَمْ تُرَاجِعِ

«فإن دُفِتَ جَنَاهُ» أي فإذا أَحسستَ بطعم ثمره، يقال: ذاقَ الطعامَ إذا وضع في فمه شيئاً منه لمعرفة طعمه، والذوق: إدراك الطعم في الفم بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصب المفروش على عَضَلِ اللسان، ومن المَجاز ذاقه جربُه وعرفه وخبره، تقول: وزنتُ الناسَ وكُلْتُهُم ودُقْتُهُم وأكَلْتُهُم فما اسْتَطَبْتُ لحومهم ولا اسْتَرَجَحْتُ حُلومهم، ومنه فلان مُرُّ المذاق، وذاق المرأة: مَسَّها، وتذاوَفُوهُ: اختبروه، قال ابن مقبل: [ديوانه ٣٢٨]

أَوْ كاهْتِرِزِ رُدَيْنِي تَذَاوَقَهُ أَيدي الكِماءِ فزادُوا مَنَنَهُ لِيْنَا

والجَنَى من الثمار: ما كان حديثَ عهد بالقطف، وكذلك الجَنِيُّ، وكلُّ ثمرٍ مُجْتَنَى فهو جَنَىً وجَنِيٌّ مادام رطباً طرياً، ومنه المثل:

«هذا جَناي وخياره فيه إِذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فيه»

«ساع»، أي سَهْلٌ مدخله في الحلق، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَائِعًا لِشَرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦/١٦]، ومثْلُ السَّائِعِ السَّيِّعِ، قال عُوَيْفُ القوافي:

فسوف أَجْزِيكَ بِشُرْبِ شُرْبَا لا سَيِّعاً ولا هَيْنِئاً عَذْبَا

وقال الآخر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أغص بالماء الحميم
والحميم هنا البارد، ويطلق في غير هذا الموضع على الحار أيضاً.

«عذباً في اللها» أي طيباً في الحلق، وفي التنزيل العزيز: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ﴾

شرايبه ﴿فاطر: ١٢/٣٥﴾، ومفرد اللها لهاة، وهي لحمه مشرفة على الحلق، وقيل: بين
منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم، وقيل: هنة في سقف الحلق، وتجمع
أيضاً هوات، قال الفرزدق يمدح بني تميم:

ذباب طار في هوات ليث كذاك الليث يزرد الدبابا

وتجمع أيضاً لهاء ولهاء بالكسر والفتح كسحاب وكتاب، وبها يروى قول الشاعر:

يا لك من تمر ومن شيشاء ينشأ في المسعل واللهاء

الشيشاء كالشيش تمر رخو النوى، مثل الشيص، والشيصاء وزناً ومعنى، قال

بعضهم: أصله بالفارسية كيكاء، ويقال: اللها تفتح اللها، أي العطايا تفتح الأفواه بالشكر

والثناء، وما أحلى قول بعضهم: بضم اللها تفتح اللها، أي إذا ضم الشاعر العطايا إليه فغر

فاه وفتحه مثنياً على من أعطاه وأنعم عليه، والنكته المستملحة في هذا هي التورية بالضم

والفتح عن كون الأولى مضمومة الأول والثانية مفتوحته، وقال زهير: [ديوانه ١٥٤]

متى تسد به هوات ثغر يشار إليه جانبُه سقيم

وقال آخر: [ديوان العجاج ٣٧٣]

كأن في فيه إذا ما شحجا عوداً دوين اللهوات موجا

في فيه أي في فمه، وشحج: رفع صوته، عوداً أي قطعة من خشب، ودوين تصغير

دون، ولها استعمالات بمعان كثيرة، منها أمام ووراء وتحت وفوق وقبل وبعد إلى غير ذلك

من معانيها.

المعنى: وبعض النبت قبيح الصورة رديء المنظر بشع الهيئة تحقره العيون فتجاوزه

وتترك النظر إليه وتنتقل إلى غيره لفرط قبحه وشدة بشاعته وسوء منظره مع أنك لو ذقت
 طعم الثمر من ذلك النبت الدميم الذميم الظاهر لأدركت منه لذة ولوجدته حلو المذاق
 لأن المضع يجري في حلقك بتمام السهولة وكمال السلاسة مع العذوبة والطيب واللذة
 بحيث تستطيعه وتستمرته.

١٣٨ - يُقَوِّمُ الشَّارِخُ مِنْ زَيْغَانِهِ فَيَسْتَوِي مَا انْعَاجَ مِنْهُ وَأَنْحَنَى

«يُقَوِّمُ الشَّارِخُ» أي يعدل تعديلاً ويثقف تثقيفاً حتى يزول اعوجاجه ولا يبقى فيه
 ميل، يقال: قوم درءه كعدل ميله وزناً ومعنى، ومطاوعه تقوّم، قال المتلمس:

وكنّا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما
 أي إذا أخذ الجبارة أمال خده تكبراً ردعناه حتى يستقيم، والشارخ هو الفتى في
 ريعان شبابه وعنفوانه، وهو اسم فاعل من شرخ الصبي شروخاً أي شب وترعرع، ويجمع
 الشارخ على شرخ كصاحب وصخب، وشارب وشرب، وطائر وطير، ويستعمل الشرخ
 أيضاً بمعنى أول الشباب ونضارته وقوته وشدته وحدته، إمّا على أن أصله مصدر شرخ
 الصبي إذا بلغ أشده واستكمل قواه، وإمّا على أن أصله بمعنى الحد كما في اللسان عن
 المبرد، قال حسان: [ديوانه ٤٧٣]

إنَّ شَرخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ — — — — — وَدَمًا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
 وقال آخر:

إنَّ شَرخَ الشَّبَابِ تَأَلَّفَهُ الْبِيضُ — — — — — وَشَيْبُ الْقَدَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ
 أي وشيب مؤخر الرأس، والمراد مطلق الشيب شيء حقير مزهود فيه.

«مِنْ زَيْغَانِهِ» أي من اعوجاجه وميله وانحرافه عن منهج الاعتدال، وتسكين يائه
 للضرورة الشعرية، وأصله زيعان بتحريك الياء، وهو مصدر زاع يزيع إذا انحرف ومال
 وحاد، وكما يقال: زاع زيعاناً يقال: زاع زيعاً وزيوغاً وزيوغاً، وأزاعه: أماله وزناً ومعنى،

وفي التنزيل العزيز: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨/٣]، أي لا تُضِلَّنَا ولا تَمِيلْنَا عن الاستقامة والهدى، وكما يقال: زَاغَ يَزِيغُ يقال: زَاغَ يَزُوغُ، ويتعدَّى هذا بنفسه، فيقال: زَاغَهُ، وقرئ «لا تَزِغْ قُلُوبَنَا».

«فَيْسْتَوِي» أي فيستقيم ويعتدل، يقال: سَوَّى المَعْوَجَّ فَاسْتَوَى، أي عدَّله وقَوَّمه فاعتدل وتَقَوَّمَ، والاسمُ منه السَّوَاءُ بالفتح، ومنه قولهم: ثوب سَوَاءٌ، أي عرضه وطوله وطبقاته متساوية.

«ما انْعَاجَ مِنْهُ وَأَنْحَى» أي ما التوى وانعطف وانثنى، يقال: عَاجَهُ فَانْعَاجَ، أي عطفه وأماله فانعطف ومال، وكذا حنَّاهُ فَانْحَى وَلَوَاهُ فَالتوى وثناه فانثنى، قال رؤبة: [ديوانه ١٦١]

وأنعاج عُودي كالشَّظِيفِ الْأَخْشَنِ بَعْدَ اقْوَرَارِ الْجِلْدِ وَالتَّشْنَنِ
أراد بقوله: عُودي قوامي وَقَدِّي، والشَّظِيفُ أصله يابسُ النبات وما صَلَبَ منه عطشاً، واقْوَرَارُ الجِلْدِ: تشنُّجه وتقبُّضه وتكُمُّشه وتغصُّنه وتجعُّده، والتشْنُنُ: يُبَسُّ جِلْدَ الإنسان عند الهرم، من الشَّنِّ والشَّنَّةِ، وهي كُلُّ ما يَبِي وأَخْلَقَ مِمَّا يُصْنَعُ مِنَ الجِلْدِ، يقال: شَنَّ الجِلْدُ يَشْنُنُ وَتَشْنَنَ وَاسْتَشَنَّ، قال أبو حية التَّمِيرِيُّ: [ديوانه ١٩٤]

هُرَيْقَ شَبَابِي وَاسْتَشَنَّ أَدِيمِي

وقال الآخر: [ديوان ابن سنان الخفاجي ١٣٢]

بَرَكَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ بِجِرَانِهِ وَأَلَحَّ مِنْكَ بِحَيْثُ تُحْنَى الإِصْبَعُ
أي أخذ الخيار الذين تعدُّهم بأصابعك، فتقول: فلان صديقي وَتُحْنِي إِصْبَعُكَ مَشِيراً إلى أَنَّهُ أولُ العَدَدِ، ثم تقول: وفلان وَتُحْنِي، وهَلَمَّ جَرَّاً، ومنه قولهم: فلان مَنَّ لا تُحْنِي عليه الأَصَابِعُ ولا تُثْنِي به الحَنَاصِرُ، أي لا يُعَدُّ ولا يَدْخُلُ في حساب، ومنه قول الأَسَدِيِّ:
إِذَا عُدَّ مَجْدٌ أَوْ قَدِيمٌ لِمَعْشَرٍ فَتَقْوَمِي بِهِمْ تُثْنِي هُنَاكَ الأَصَابِعُ

المعنى: إنَّ المرءَ في أولِ عمره عندما يترعرع لا يزال قابلاً للتهديب والتأديب والتربية لأنَّ عوائده لم تستحكِم بعدُ، ولم تتمكَّن منه ولا صارت له ملكةً راسخةً، فيصعبُ تبديلها أو يتعذر تغييرها، فلو حادَّ وانحرف عن جادة الاستقامة وخطَّة الاعتدال كان في حيز الإمكان تقويمُ اعوجاجه وتعديلُ منهاجه والسُّلوكُ به في الطريقة المثلى والعدولُ به عن ثرَّهات الطرائق وخطط التعاسيف، وإن شئتَ نثرَ البيت مع المحافظة على عبارة ناظمه فقل: الصغير يُمكن التعديل من ميِّله حتى يستقيم منه ما كان مُعوجاً.

١٣٩ - وَالشَّيْخُ إِذَا قَوْمَتَهُ مِنْ رَيْغِهِ لَمْ يُقِمِ التَّثْقِيفُ مِنْهُ مَا التَّوَى

«والشيخ» هو مَنْ طَعَنَ فِي السَّنِّ وَتَجَاوَزَ الكُهُولِيَّةَ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُ الكِبَرِ.

«إِنْ قَوْمَتَهُ» أَي عَدَّلْتَهُ، وَالْمُرَادُ إِذَا أَرَدْتَ تَقْوِيمَهُ وَعَالَجْتَهُ وَحَرَصْتَ عَلَى تَعْدِيلِهِ وَتَسْوِيَةِ اعْوِجَاجِهِ، وَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦/٥] أَي إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَعَلَّ التَّقْوِيمَ مَأْخُذٌ مِنَ الْقَوَامِ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ حُسْنُ طَوْلِ الْإِنْسَانِ وَاعْتِدَالُ قَدِّهِ كَالشُّطَّاطِ بِالْفَتْحِ وَالكَسْرِ، أَوْ مِنْ قَوَامِ الشَّيْءِ بِالكَسْرِ، وَهُوَ عِمَادُهُ وَنِظَامُهُ وَمَلَكَهُ وَمَا يَقُومُ بِإِصْلَاحِهِ.

«مِنْ رَيْغِهِ»، أَي مِنْ مَيْلِهِ وَاعْوِجَاجِهِ وَالتَّوَانِهِ، وَمِثْلُ الرَّيْغِ الرَّيْغُوعَةُ وَالرَّيُوعُ وَالرَّيْعَانُ بِالتَّحْرِيكِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ رَيْعٌ﴾ [آل عمران: ٧/٣]، أَي مَيْلٌ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَعُدُولٌ عَنِ الْحَقِّ وَجَوْرٌ عَنِ الصَّوَابِ وَانْحِرَافٌ عَنِ الْهُدَى وَحِيُودٌ عَنِ الرَّشَادِ، وَزَاعٌ يَزُوعُ لَغَةً فِي زَاعٍ يَزِيعُ، يُقَالُ: مَا زَالَ فُلَانٌ يَزُوعُ وَيَزِيعُ حَتَّى غَرَبَتْ شَمْسُهُ بَعْدَ الْبُرُوعِ.

«لَمْ يُقِمِ التَّثْقِيفُ مِنْهُ مَا التَّوَى» أَي لَمْ يَعُدِّلِ الْإِصْلَاحُ مِنْهُ مَا تَعَوَّجَ، يُقَالُ: أَقَامَ الْعُودَ، أَي سَوَّى مَيْلَهُ حَتَّى اسْتَوَى، مِثْلُ قَوْمَتِهِ، وَمَطَاوَعُهُ اسْتِقَامَ وَتَقَوَّمَ، وَالتَّثْقِيفُ: التَّهْدِيبُ وَالتَّأْدِيبُ وَحُسْنُ التَّرْبِيَةِ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَثْقِيفِ الرَّمَّاحِ وَالْقِسِيِّ، أَي تَعْدِيلِهَا وَتَسْوِيَةِ مَيْلِهَا بِالثَّقَافِ، وَهُوَ بِالكَسْرِ عَلَى وَزْنِ كِتَابِ حَدِيدَةَ يُقَوِّمُ بِهَا الشَّيْءَ الْمَوْجُوعَ، وَتَكُونُ عِنْدَ الْقَوَّاسِ

والرَّمَّاح، وقيل: خشبةٌ قويَّةٌ قدُرُ الذُّراعِ في طرفها خَرْقٌ يتَّسَعُ للقوسِ وتُدخَلُ فيه وتُغَمَّرُ حتى تصيرُ كما يُراد، ولا يُفعلُ ذلكُ بالقِسيِّ ولا بالرَّمَّاحِ إلَّا مدهونةً مملولةً أو مضهوبةً على النارِ ملوَّحةً، قال عمرو بن كلثوم: [ديوانه ٩٠]

تَشُّجٌ قَفَا المَثْقَفِ والجَيْنَا

وقوله: «ما التوى» أي تعوجَّج، وهو مطاوع لَوَاهِ يَلْوِيهِ، أي ثناه وعطفه وأماله وحناه، ومنه قولهم في الشيخِ الهَرَمِ: لَوْتُ اللَّيالي كَفَّهُ على العصا، قال الشاعر:

وَلَوَيْنَ كَفِّي يَا جُمَانُ عَلَى العَصَا وَكَفَى جُمَانَ بِلِيَّهَا حَدَثَانَا

المعنى: والرجلُ المُسنُّ الهَرَمُ إنَّ أَرَدْتَ تعديله وتسويته من ميله لم يُمكن ذلك ولم يُؤثِّر تعديلك فيه شيئاً، والمراد أنَّ الكبير لا يُمكن تغيير أخلاقه وتبديل عاداته لاستحكامها منه وتمكُّنها فيه، قال الشاعر:

والشَيْخُ لا يتركُ أخلاقَه حتَّى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِهِ

١٤٠ - كَذَلِكَ الغُصْنُ يَسِيرٌ عَطْفُهُ لَدُنَّا شَدِيدٌ عَمَزُهُ إِذَا عَسَا

«كذلك» أي مثل ذلك المعنى الذي مرَّ من أنَّ الصغير يُمكن تهذيبه بعكس الكبير، وهكذا فرع الشجرة، وهو الغصن، ما لانَ ممَّا تشعَّب من الشجر من فروعها، تقول: أنا غصنٌ من غصون سَرَحَتِكَ وفَرع من فروع دَوَحَتِكَ، ومن مُرادفات الغصن الفَنَن، وهو ما لانَ من القُضبان المتفرِّعة من الشجر.

«يسيرٌ عطفه»، اليسير يُطلق على الشيء القليل الحقيق وعلى الشيء الهين السهل، وهو من يسر الأمر من الباب الخامس كحسُن، وعطفه: إمالته، من عطفه إذا لَوَاهِ وثناه، تقول: عطفَ الوِسادة ليرتَفَقَ، أي ثناها ليتكَيَّ، قال لبيد:

وَجُودٍ مِنْ صُباباتِ الكَرَى عاظِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ المَبْتَدَلِ

أي كأنَّ النومَ جادَه، أي أمطرَ عليه، والنمْرِق: الوِسادة أو الطَّنْفِسة، و«صَدَقِ المَبْتَدَلِ»

إذا ابتدلته وجدته صلباً شديداً، ومن العطف قيل: حسناء ليثة المعاطف، وتقول: رزقك الله عيشاً تليين لك مثانيه ومعاطفه وتذنو عليك مجانيه ومقاطفه.

«لذناً» أي ليئناً، يقال: لذن العود والرُمح يلدن من الباب الخامس كحسن لذانة ولذونة، ورُمح بالفتح ورُمحٌ لذن بالضم ولدان بالكسر، وقناة لذنة الكعوب ليثة المهزة، وامرأة رياء الشاب: ناعمة، وفلان لذن الخليفة أي ليئ العريكة موطأ الأكناف.

«شديد غمزه» أي صعب تليينه، والشديد من الشدة، والاشتداد بمعنى الصلابة والقوة والمتانة، وقد يستعمل الشديد بمعنى الصعب العسير، والغمز: الجس، يقال: غمز الكبش أي وضع يده عليه لينظر أسمين أم مهزول، وغمز الشيء: عصره وكبسه بيده، ومنه ما جاء في حديث الغسل من أنه قال لها: «اغمزي قرونك» أي اكبسي صفائر شعرك عند الغسل، وغمز الشيء: كبسه ليلين، ومنه قول زياد الأعجم:

وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيها
أي إذا اشتد علي جانب قوم رمت تليينه أو يستقيم.

«إذا عسا» أي إذا صلب وصعب تليينه وصار قاسياً وغلظ واشتد ويس، يقال: هذا الشيء قد عسا وجسا وقسا بالعين والجيم والقاف، أي غلبت عليه الصلابة واليبوسة، وعسا النبات: غلظ ويس واشتد، قال رؤبة: [ديوانه ١٨٤]

يهوون عن أركان عز أدرما عن صامل عاس إذا ما اصلخما
أي يسقطون من أركان قوة ودعائم رفعة، والأدرم: السمين المكتنز اللجيم، وأراد به المبالغة في عظم العز، والصامل من صمل يصمل كنصر إذا يس واشتد وصلب واكتنز وخشن، والعاسي بمعناه، فهو تأكيد له، واصلخما مفكوك اصلخما أيضاً انتصب، واصلخما أيضاً تكبر وأيضاً غضب، وقال رؤبة أيضاً: [ديوانه ١٥٥]

إذا اصلخم لم يرم مصلخمة

وقال آخر:

ورأس عز راسياً صلخاً

المعنى: مثل المرء في شبابه وهرمه فرع الشجرة، فإنه يسهل هصره، ويمكن أطره، ويلتوي إذا لويته مادام رطباً طرياً، فإذا غلظ وصلب واشتد ويس صعب تعديله وتعسرت إمالته وتعذر تليينه، ولم يمكن عند ذلك أن يعطف.

١٤١- مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَاهُ وَاحْتَمَى

وفي بعض النسخ «وعز فيهم» الخ.

«مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ»، أي بغي عليهم وضيع حقوقهم، والظلم: التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد والتعدي، وضدّها العدل والإنصاف، وفي المثل: «مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ»، ويقال: مَنْ اسْتَرَعَى الذَّنْبَ فَقَدْ ظَلَمَ، وقال أبو الطيّب: [شرح ديوانه ٤/ ١٢٥]

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عَفْوَةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

ولله در القائل: [شرح ديوان المتنبي ٤/ ٢٩٣]

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الْأَنَامِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ

والناس بنو آدم، واحده إنسان، وقد يؤنث بالياء فيقال: إنسانة.

«تَحَامَوْا ظُلْمَهُ» أي تباعدوا عن التعدي عليه وتوقوه واجتنبوه، كأن كل واحد منهم يَحْتَمِي بِالْآخِرِ أَوْ يَحْمِيهِ وَيُبْعِدُهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَجُورَ عَلَيْهِ، وَنَحْوُ التَّحَامِي التَّفَادِي، يَقَالُ: تَفَادَى الْقَوْمُ مِنْ كَذَا، أَي اتَّقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَجْعَلُ الْآخَرَ فِدَاءً لَهُ مِنْ ذَلِكَ، أَي يَفْدِي نَفْسَهُ بِهِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [شرح ديوانه ١٣١٤]

تَفَادَى الْأَسْوَدُ الْغُلْبُ مِنْهُ تَفَادِيًا

«وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَاهُ» أي بعزته بعد عن أن ينالوه بسوء أو يلحقوا به أذى، وعلى نسخة «عز فيهم» أي صار عزيزاً بينهم منيعاً عندهم ذا رفعة لديهم، والعزة: القوة والشدة والغلبة والرفعة والمنعة، والفعل منه عز يعز، من الباب الثاني كضرب، وأما عزه بمعنى

غلبه وقهره فهو من الباب الأول كنصر، ومنه: [ديوان الخنساء ٨٨]

..... مَن عَزَبَ زَا

أَي مَن غَلَبَ سَلَب، وَجَانِبَاهُ: نَاحِيَتَاهُ وَجِهَتَاهُ، وَالمَرَادُ جَمِيعَ جَوَانِبِهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ فِيمَن أُولِعَ وَهَجَ بِأَمْرٍ وَاسْتَدَامَ مُوَاطِبًا مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِ: «فَلَانٌ لَا يَزَالُ يَفْعَلُ كَذَا صَبَاحًا مَسَاءً»، وَالمَرَادُ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

«وَاحْتَمَى»، أَي وَامْتَنَعَ وَصَارَ فِي حِمَى مَنِيْعٍ وَحِرْزٍ حَرِيْزٍ وَحِصْنٍ حَصِيْنٍ، يُقَالُ: حَمَاهُ مِنْ كَذَا فَاحْتَمَى، أَي مَنَعَهُ فَامْتَنَعَ.

المعنى: إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَبْدَأُ النَّاسَ بِالأَذَى وَالمَضَرِّ، وَيَسْلِبُهُمْ حَقُوقَهُمْ وَيَسْتَطِيلُ عَلَيْهِمْ فَاتِّهَمُ بِمُخَشَوْنَةٍ وَيَتْبَاعِدُونَ عَنْ ظَلْمِهِ وَلَا يَطْمَعُونَ فِي اغْتِصَابِ حَقِّهِ، بَلْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَنْجُوْا مِنْهُ رَأْسًا بِرَأْسٍ وَأَنْ يَكُوْنُوا مَعَهُ كَمَا قَالَ رُوْبِيَّةٌ لِأَبِيهِ العَجَّاجِ: [ديوانه ١٠٠]

فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ نَدَاكَ الضَّافِي وَالْفَضْلِ أَنْ تَتْرَكْنِي كَفَافٍ
وَكَمَا قَالَ الأَبُورْدُ البِرْبُوعِيُّ:

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ عُدَانَةِ أَنَّهُ يَكُوْنُ كَفَافًا لِأَعْلِيٍّ وَلَا لِيَا
وَالمَكْفَافُ بِالمَفْتَحِ كَسَحَابٍ: مَا لَيْسَ مَعَهُ فَضْلٌ، وَيَقُوْلُونَ: دَعْنِي كَفَافٍ كَقَطَامٍ، أَي كُفَّ عَنِّي وَأَكْفُ عَنْكَ، وَفِي كِتَابِ اللُّغَةِ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا»، أَي يَكْفُ أحتِيَاجَهُمْ وَلَا يَفْضُلُ عَنْهُمْ، وَيُرَوَى عَنْ سَيِّدِنَا عَمْرِ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي سَلِمْتُ مِنَ الخِلَافَةِ كَفَافًا لِأَعْلِيٍّ وَلَا لِي» [البخاري: ٧٢١٨]، أَي مَكْفُوفًا عَنِّي شَرُّهَا وَخَيْرُهَا حَتَّى أَنْجُوَ مِنْهَا رَأْسًا بِرَأْسٍ، وَلَا رِبْحَ وَلَا خِسَارَةَ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمَلَ الهَوَى وَأَخْلُصَ مِنْهُ لِأَعْلِيٍّ وَلَا لِيَا
١٤٢- وَهُمْ لِمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ أَظْلَمَ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاتِ السَّفَى

«وهم» أي الناس المذكورون في البيت قبل هذا. «لَمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ»، أي للذي يكون موطاً الأكناف لِيَنَّ العريكة، وفي أخلاقه دَمَاةٌ وسُهولة، يقال: لنا من فلان لِيَنَّ الجانب، وَأَمَّا خُشُونَتُهُ فَعَلَى الأَجَانِبِ، قال الشاعر:

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَارَامَهُ الأَعْدَاءُ مُتَمَتِّعٌ صَعْبٌ
وفي الأساس: رجل لِيَنَّ الجانب: سهلُ المعاملة سَلِسٌ، قال الشاعر:

لِيَنَّ الجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الأَعْدَاءِ سُمٌّ كَالدُّعْفِ
أي كَالسُّمُومِ الدُّعْفُ بضمّتين، جمعُ دُعَافٍ بالضمِّ، وهو السَّريعُ القتلُ لشاربه لا يَمُهلهُ، ونحوُ قولهم: لِيَنَّ الجانبُ قولهم: وَطِيءُ الخُلُقِ، وقد وَطُوَّ من البابِ الخَامِسِ كَحَسُنَ وَطَاءَةٌ، تقول: مَا أَحْسَنَ وَضَاءَةَ الخُلُقِ مع وَطَاءَةِ الخُلُقِ، أي جَمَالَ الخِلْقَةِ مع كَمَالِ الخَلِيقَةِ أي الطَّبِيعَةِ.

«أَظْلَمَ»، أي أَشَدُّ ظُلْمًا وَأَكْثَرُ جَوْرًا، وَالظُّلْمُ هُوَ التَّصَرُّفُ فِيهَا لِلغَيْرِ وَاغْتِصَابُهُ حَقَّهُ وَاسْتِلابُهُ مُلكَهُ وَالتَّعَدِّيُّ عَلَيْهِ وَمَجَاوِزَةُ الحُدِّ مَعَهُ، وَيُفْسِرُ الظُّلْمُ أَيضًا بوضعِ الشَّيْءِ فِي غيرِ مَحَلِّهِ، وَيَقَالُ: العَدْلُ نُورٌ وَالظُّلْمُ ظُلْمَةٌ، وَالإِنصَافُ نِعْمَةٌ وَالجُورُ نِقْمَةٌ، وَفِي التَّنزِيلِ العَزِيزِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣/٣١].

«مِنْ حَيَّاتِ أَنْبَاثِ السَّفَا» الحَيَّاتُ جمعُ حَيَّةٍ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الأَفَاعِي، وَفِي المَثَلِ: «أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ»، وَ«أَظْلَمُ مِنْ أَفْعَى»، لِأَنَّهَا تَجِيءُ إِلَى جُحْرٍ غَيْرِهَا فَتَدْخُلُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَنْتَ كالأَفْعَى الَّتِي لَا تَحْتَفِرُ ثُمَّ تَجِي سَادِرَةً فَتَنْجَحِرُ
وذلك لِأَنَّ الحَيَّةَ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا بَيْتًا، فَكُلُّ بَيْتٍ قَصَدَتْ إِلَيْهِ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ وَخَلَّوْهُ لَهَا، وَمَنْ ظَلَمَ الحَيَّةَ أَتَتْ جُحْرَ الضَّبِّ فَتَأْكُلُ حُسُولَهُ أَي أَوْلَادَهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَى جُحْرِهِ فَتَسْكُنُهُ، مَعَ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: الضَّبُّ قَاضِي الحَيواناتِ، وَيَقَالُ: فلانُ حَيَّةُ الوادِي، أَي

حامي حَوَزَتَه، وهم حيّة الأرض، أي دواهيها وفسائنها، ومنه قولهم: أَكَلْتُ حَيَاتِنَا حَيَاتِكُمْ، أي قتلتُ فرسائنا فرسائكم.

والأنبث جمع نَبَث كَأَسْبَابٍ وَسَبَبٍ، والنَّبَثُ فَعْلٌ بمعنى مفعول، من نَبَثَ يَنْبُثُ نَبْثًا كَنَبَشَ يَنْبِشُ نَبْشًا وَزَنًا وَمَعْنَى، أي حَفَرَ وَاسْتَخْرَجَ التَّرَابَ، وذلك التراب المستخرج نَبْثٌ، وجمعه أَنبَاثٌ، وهو الذي نحن بصدد شرحه، ومثله النَّبَثُ والنَّبِيْثَةُ، والجمع نَبَاثٌ، ومن سَجَعَاتِ الأَسَاسِ: «ظَهَرْتُ نَبَاثَتَهُمْ وَلَمْ تَخْفَ خَبَاثَتَهُمْ»، قال أبو دلامة: [ديوانه ٣٧]

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِثٌ
وَإِنْ نَبَّسُوا بِئْسَرِي نَبَّسْتُ بِئْسَارَهُمْ وَسَوْفَ تُرَى آثَارَهَا وَالنَّبَاثُ
وَفِي الأَسَاسِ: نَبَثَ التَّرَابَ مِنَ الحُفْرَةِ: اسْتَخْرَجَهُ وَرَكَّمُوا النَّبِيْثَةَ، وَالنَّبَاثُ فِي جَانِبِي
النَّهْرِ وَحَوْلِ البئرِ، وَهِيَ تَرَابُ الحُفْرِ، وَقَالَ: وَمِنَ المَجَازِ نَبَّسُوا عَنِ الأَمْرِ: بَحَثُوا عَنْهُ، وَهُوَ
يَسْتَنْبِثُ أَخَاهُ عَنِ سِرِّهِ أَيْ يَسْتَبْحِثُهُ، وَأَبْدَى فُلَانٌ نَبِيْثَةَ القَوْمِ وَنَبَاثَتَهُمْ، وَبَيْنَهُمْ شَحْنَاءُ
وَنَبَاثُ، وَلا يَزَالُونَ يَتَنَبَثُونَ عَنِ الأَسْرَارِ وَيَتَبَاثُونَ فِي الأَخْبَارِ.

وَالسَّفَى: التَّرَابُ الَّذِي تَسْفِيهِ الرِّيحُ، وَقِيلَ: مَطْلَقُ التَّرَابِ، وَخَصَّهُ بَعْضُهُم بِالتَّرَابِ
المَخْرَجِ مِنَ القَبْرِ وَالبئرِ، الواحدة سَفَاةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ: [ديوان الأعشى ٨٥]

فَلا تَلْمَسُ الأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا وَدَعَهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاةُهَا
المعنى: وَالنَّاسُ لِمَنْ اسْتَسْهَلُوا جَانِبَهُ أَظْلَمُ مِنَ الأَفَاعِي الَّتِي مَقَرُّهَا الأَتْرَبَةُ الَّتِي
تَسْفِيهَا الرِّيحُ.

١٤٣ - عَيْدُ ذِي المَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَعُوا مِنْ غَمْرِهِ بِجُرْعَةٍ تَشْفِي الصَّدَى
وَفِي نَسْخَةِ «فِي جُرْعَةٍ»^(١). «عَيْدُ ذِي المَالِ» أَيْ مَلْمُوكُونَ لِلغَنِيِّ، وَالعَيْدُ جَمْعُ عَيْدٍ،
وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الإِنْسَانِ حُرًّا كَانَ أَوْ رَقِيْقًا، وَيَقْصَدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ وَمَرْبُوبٌ لِخالِقِهِ جَلًّا

(١) كذا في شروح ابن خالويه: ٣٦٥، وابن هشام: ٣٨٥، والتبريزي: ٨٠، والصاوي: ٩٩.

جلاله، ومنه عبدُ الله وعبدُ الرحمن ونحوهما، ويُستعمل العبدُ بمعنى الزَّنَجِيِّ الحَبَشِيِّ المملوك، ومنه ما أنشده الأَخْفَشُ:

أُنْسِبُ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدٍ
وقال أوس بن حجر: [ديوانه ٢١]

أَبْنِي لُبْنَى لَسْتُ مُعْتَرِفًا لِيَكُونَ الْأَمُّ مِنْكُمْ أَحَدُ
أَبْنِي لُبْنَى إِنْ أُمَّكُمْ أُمَّةٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ عُبْدُ
ضَمَّ الْبَاءَ مِنْ عَبْدٍ لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَأَرَادَ بِهِ ضِدَّ الْحُرِّ، وَلِأَبِي دُوَادِ الْإِيَادِيِّ:

هَلَنْ كِنَارِ الرَّأْسِ بِالْ عَلْيَاءِ تُذَكِّيهِمَا الْأَعَابِدُ
أَرَادَ بِالْأَعَابِدِ الْخَدَمَ وَالْوُصَفَاءَ، وَهَمَّ أَعَمُّ مِنَ الْمَمْلُوكِينَ، قَالَ فِي اللِّسَانِ [عبد]: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَا يُقَالُ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي: وَأُمَّتِي، وَلِيُقَالُ: فَتَايَ وَفَتَاتِي»، وَخَصَّ بَعْضُهُمُ الْعِبَادَ بِالْمَرْبُوبِينَ لِخَالِقِهِمْ جَلَّ جَلَالُهُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْجُمُوعِ بِالْمَمْلُوكِينَ مُطْلَقًا».

ولفظُ عبيدٍ في البيتِ مضافٌ إلى ذي المالِ، أي صاحبِ المالِ، والمالُ كُلُّ ما يملكه الإنسانُ، وقيل: أصله ما يملك من الذهب والفضة، ثم أُطْلِقَ على كُلِّ ما يُقْتَنَى وَيُملكُ، وَأَكْثَرُ ما يُطْلَقُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِبِلِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْوَالِهِمْ.

«وَأِنْ لَمْ يَطْمَعُوا» طَمَعَ فِي الشَّيْءِ وَبِالشَّيْءِ: رَجَاهُ وَحَرَصَ عَلَيْهِ وَتَشَوَّفَتْ نَفْسُهُ وَاشْرَأَبَتْ لِلْحَصُولِ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَتْ أَمَالَهُ لِنَيْلِهِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: «الطَّمَعُ: نُزُوعُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ شَهْوَةً لَهُ، وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرَهُ مِنْ جِهَةِ الْهُوَى قِيلَ: الطَّمَعُ طَبَعٌ، قَالَ الْبَعْثُ:

طَمَعْتُ بَلِيلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ
«مِنْ غَمْرِهِ» أَي مِنْ مَالِهِ الْكَثِيرِ، وَأَصْلُ الْغَمْرِ الْمَاءُ الْكَثِيرُ، يُقَالُ: غَمَرَهُ الْمَاءُ يَغْمُرُهُ غَمْرًا، مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ كَنَصَرَ، أَي غَطَّاهُ وَسَتَّرَهُ وَوَارَاهُ.

«بِجُرْعَةٍ»، وَفِي نَسْخَةِ «فِي جُرْعَةٍ»، وَكِلَاهُمَا سَائِعٌ لِأَنَّهُ يُقَالُ: طَمَعَ فِي الشَّيْءِ وَبِالشَّيْءِ،

فيتعدى بـ في كما يتعدى بالباء، وقد مرَّ ذكر ذلك، والجرعة بفتح الجيم بناءً مرّة وبضمّها اسمٌ لما يُجرع مرّةً واحدة، وفعله جَرَعَ يَجْرَعُ من الباب الثالث، كَفَتَحَ، وجَرَعَ يَجْرَعُ من الباب الرابع كَعَلِمَ، وكذلك اجْتَرَعَ الشيءَ أي ابتلعه وحسّاه وشربه وأدخله في جوفه، وتَجَرَّعَ: تكلّف شربه، والحسوة مرادفة للجرعة، وعلى القول بصحّة كسر الجيم من الجرعة تكون بناء هيئة كالركبة والجلسة ونحوهما، وقال الشاعر:

والحربُ يكفيكِ من أنفاسِها جُرْعُ

والأنفاس واحدها نفس وهو خروج الهواء من الأنف والفم، وربّما أطلق على الوقت الذي بين دخوله وخروجه، فيقال: نفّسه طويلاً وقصيراً، وربّما أطلق على الترويجة بين الجرعتين في الشرب الواحد، وربّما أطلق على نفس الجرعة، قال جرير: [ديوانه ٩٧]

تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَّاحِ
ويقال: ما من جرعة أحمد عقباناً من جرعة غيظ تكظّمها، وعقبان الشيء: عاقبته كعقباها، وجرع الغيظ واجترعه وتجرّعه: كظّمه، وجرّعه غصص الغيظ: كظّمه، وفي التنزيل العزيز: ﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٤/١٧].

«تَشْفِي الصَّدَى» أي تُروِي الغليل وتَنْفِخ العطش وتَنْقَع الظمأ، وتَشْفِي مَنْ شَفَاهُ اللهُ من مرضه شفاءً، أي أبرأه وأصحّه وعافاه، فالشفاء والبُرء والصحّة والعافية بمعنى واحد، ونحوها نفّه كفتح وعلم نفّها ونفّوها، وأفاق وأبّل، أي رجعت إليه بعض صحته، كبّل واستبّل، وقد يُطلق الشفاء على نفس العلاج والدواء، ويقال: أصل معنى الشفاء مؤافة شفا السّلامة، أي الإشراف عليها، وشفا كلّ شيء: طرفه، وأراد بها هنا «تشفى الصّدَى» تُبرئُ الظمآن من الظمأ، لأنّ الصّدَى من معانيه الظمأ، وهو المراد هنا، يقال: الماء شفاء الصّدَى، أي دواء العطش، قال ذو الرّمة: [ديوانه ٤٩٥]

فأدلى غلامي ذلّوه يبتغي بها شفاء الصّدَى والليل أدهم أبلق

أَيُّ فِدْلَى وَعَاءِ الْمَاءِ وَأَرْسَلَهُ فِي الْبَثْرِ مُلْتَمِسًا بِهِ الْمَاءَ وَاللَّيْلُ أَسْوَدٌ مُخْتَلِطٌ سِوَادُ ظِلَامِهِ
بِيبَاضِ الْكُوَاكِبِ.

المعنى: إِنَّ النَّاسَ مُتَقَادُونَ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَخَاضِعُونَ لَهُ وَمُمْتَلُونَ أَمْرَهُ مَعَ التَّرَامِ
الْأَدَبِ وَالْإِحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ، فَيَجْعَلُونَهُ سَيِّدًا لَهُمْ وَحَاكِمًا مُسَيِّطِرًا عَلَيْهِمْ، وَلَوْ تَحَقَّقُوا
أَنَّهُمْ لَا يَظْفِرُونَ مِنْ مَالِهِ الْكَثِيرِ بِيَلَالٍ غُلَّةٍ وَلَا يَحْصِلُونَ مِنْهُ عَلَى كَثْرَةِ وَلَا قَلَّةٍ.

١٤٤- وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاءٌ وَإِنْ شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى

«وهم»، أَي النَّاسِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ بِقَوْلِهِ: «مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامُؤًا ظَلَمَهُ»، وَبَعْدَ
أَنْ وَصَفَهُمُ النَّازِمُ بِأَتَمِّهِمْ أَظْلَمُ مِنَ الْحَيَاتِ لَمَنْ لَانَ لَهُمْ وَبِأَتَمِّهِمْ عَبِيدُ صَاحِبِ الْمَالِ، وَلَوْ
تَحَقَّقُوا حِرْمَانَهُمْ مِنْ مَالِهِ وَخَيْبَتَهُمْ مِنْ مُوَسَّاتِهِ لَهُمْ مُوقِنِينَ أَنَّهُ لَا يَبِصُّ حَجْرَهُ وَلَا تَنْدَى
صِفَاتِهِ وَلَا تَصِيهِمُ نَفْحَةً مِنْ عَطَائِهِ وَلَا رَشْحَةً مِنْ سَمَائِهِ، وَتَرَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْقَادُونَ لَهُ
حَتَّى يَكُونُوا لَهُ أَطْوَعُ مِنْ حِذَائِهِ وَأَتَبَعُ مِنْ ظَلَمِهِ.

وَهُمْ «لَمَنْ أَمْلَقَ» أَي لِلَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ حَتَّى اشْتَدَّ فَقْرُهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَا
تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١/٦]، وَفِيهِ أَيْضًا: ﴿خَشِيَةَ إِمْلَقٍ﴾ [الإسراء: ٣١/١٧]،
وَأَصْلُ الْإِمْلَاقِ كَثْرَةُ إِنْفَاقِ الْمَالِ وَتَبْذِيرِهِ وَالْإِسْرَافُ فِي صَرْفِهِ حَتَّى يُورِثَ حَاجَةَ
شَدِيدَةً، يُقَالُ: أَمْلَقَ الرَّجُلُ مَا مَعَهُ إِذَا أَخْرَجَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى صَارَ فَقِيرًا مُدْفِعًا، ثُمَّ نُقِلَ
الْإِمْلَاقُ مِنَ السَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْإِنْفَاقُ إِلَى الْمَسَبِّبِ الَّذِي هُوَ الْفَقْرُ، حَتَّى صَارَ بِهِ أَشْهَرَ، وَهُوَ
يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ، فَيُقَالُ: أَمْلَقَ، وَأَمْلَقْتَهُ النَّوَابِئُ.

«أَعْدَاءٌ» جَمْعُ عَدُوٍّ، وَهُوَ الْمُبْغِضُ الْمُجَافِي، ضِدُّ الصَّدِيقِ الَّذِي هُوَ الْمُحِبُّ الْمُوَالِي، وَفَعْلُهُ
عَادَاهُ مُعَادَاةً، وَالاسْمُ الْعَدَاوَةُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:

٦٤/٥]، وَقَالَ جَرِيرٌ: [ديوانه ٣٩٨]

نَصَبْنَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

أَوَانِسُ أَمَّا مَنْ أَرْدَنَ عِنَاءَهُ فَعَانَ وَمَنْ أَطْلَقْنَاهُ فَطَلَيْتُ
«وإن شاركهم»، أي ولو اشترك معهم وجعلهم شركاءه وخصصهم بقسم ونصيب،

قال النابغة الجعدي: [ديوانه ١٦٤]

وشارَكْنَا قُرَيْشًا فِي ثُقَاهَا وَفِي أَنْسَابِهَا شِرْكَ الْعِنَانِ
بِمَا وَلَدَتْ نِسَاءَ بَنِي هَلَالٍ وَمَا وَلَدَتْ نِسَاءَ بَنِي أَبَانِ
وفي رواية «وفي أحسابها» بالحاء بدل النون.

«فيما أفاد»، أي في الذي استفاده واكتسبه واقتناه، يقال: أفاد الرجل المال لغيره وأعطاه
إياه، وهو من الفائدة، وهي الثمرة والمنفعة والنتيجة من علم أو مال أو مُطْلَقِ خَيْرٍ،
والجمع فوائد، من فادت الأموال لفلان تَفِيدُ إِذَا ثَبِتَتْ وَيُقَالُ: كَثُرَتْ. وَحَوَى الشَّيْءُ:
حَازَهُ وَجَمَعَهُ وَاقْتَنَاهُ وَضَمَّهُ وَحَصَّلَهُ.

المعنى: والناس يكرهون ويُبغضون ويمقتون ويُجافون الذي أنفد الإنفاق ماله وأساء
الفقر حاله، ولو كان في حال غناه قد آسأهم بهاله وأنالهم من خيره وجعل لهم حظاً من
كسبه.

١٤٥ - عَاجَمْتُ أَيَّامِي وَمَا الْغُرُّ كَمَنْ تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَارْتَدَى

اللغة: «عاجمت أيامي» أي اختبرتها واختبرني ورزتها ورازتني، ومصدره المعاجة،
وهي مُفاعلة من عَجَمَ الْعُودَ، وَالْعَجَمَ بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ نَوَى التَّمْرِ وَغَيْرِهِ، وَاحْدَتُهُ عَجَمَةٌ
كَقَصَبٍ وَقَصَبَةٌ وَنَحْوَهُمَا، أَي عَضَّهَا وَلَاكَهَا بِأَسْنَانِهِ لِيَعْرِفَ شِدَّتَهَا وَصَلَابَتَهَا مِنْ لِينِهَا
وَرَخَاوَتِهَا، قَالَ النَابِغَةُ: [ديوانه ٢٠]

فَظَلَّ يَعْجَمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا

أَي يَعْضُّ أَعْلَى قَرْنِهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَسْنَانِ: عَوَاجِمٌ وَعَاجِمَاتٌ، يُقَالُ: فُلَانٌ عُوْدُهُ صَلِيبٌ

لَا تَحِيكُ فِيهِ الْعَوَاجِمُ، أَي جَلْدٌ صَبُورٌ عَلَى الشَّدَائِدِ، قَالَ الْأَخْطَلُ: [شعره ٧٠]

أَبَى عُودُكَ الْمَعْجُومُ إِلَّا صَلَابَةً وَكَفَّكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ
 وكما يقال للأسنان: عَاجِمَاتٌ وَعَوَاجِمٌ يُقَالُ ذَلِكَ لِلإِبِلِ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:
 وَكُنْتُ كَعَظْمِ الْعَاجِمَاتِ اكْتَنَفَنَّهُ بِأَطْرَافِهَا حَتَّى اسْتَدَقَّ نُحُولُهَا
 يريد أنه تراكمت عليه المصائب وعجمته كما تعجم الإبل العظام، أي تلوكها
 وتضعها وتعلكها وتقلبها في أفواهها بين أضراسها، كأنها تحاول أكلها، يقال: جرسته
 الخطوب وضرسه الأمور ونجدته التجارب وعجمته الدهور، وهو من الباب الأول
 كَصَرَ، وَرَجَلُ صُلْبِ الْمَعْجَمِ وَالْمَعْجَمَةِ، أَي عَزِيزُ النَّفْسِ صُلْبٌ قَوِيٌّ شَدِيدٌ لَا يَتَخَشَّعُ،
 وكذا الناقة، وللمتمس: [شعراء النصرانية ٣٣٤]

جَاوَزْتَهُ بِأَمْوَانٍ ذَاتِ مَعْجَمَةٍ تَهْوِي بِكُلِّكَلِهَا وَالرَّأْسُ مَعْكُومٌ
 وَعَجَمَ الثَّوْرُ قَرْنَهُ: ضَرَبَ بِهِ الشَّجْرَةَ يَحْتَبِرُهُ، وَعَجَمَ السِّيفَ: هَزَّهُ يُجْرِبُهُ، وَعَجَمْتُ
 عُودَ فُلَانٍ: بَلَوْتُ أَمْرَهُ وَاخْتَبَرْتُ حَالَهُ.

وقوله: «أيامي» هي جمع يوم مضافاً إلى ياء المتكلم، واليوم من طلوع الشمس أو
 الفجر إلى الغروب، وعند المنجمين من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب،
 ويُستعمل بمعنى الوقت الحاضر وبمعنى مُطلق الزمن، وبمعنى الدهر وبمعنى الدولة
 وزمان الولاية، وقولهم: يومٌ من أيام العرب أي من وقائعها، وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَهُمْ
 بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٤/٥]، أي بعقوباته ونقمه، وقيل: أي بالآله ونعمه، كما فسر قوله
 تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤/٤٥]، والمراد بها في البيت زَمَانِي.

«وما الغر»، أي وليس الغر، وهو بالكسر كالغمر بالضم: الجاهل الغافل الذي لا
 معرفة له ولا خبرة ولا تجربة، يقال: فتى غرٌّ وغرير، وفتاة غرةٌ وغريرة، أي في زمن الصبي
 والجاهل، ويقال لها أيضاً: غرٌّ، قال الشاعر:

إِنَّ الْفِتَاةَ صَغِيرَةٌ غِرٌّ فَلَا يُسْرَى بِهَا

تقول: فلانٌ غرٌّ كريمٌ، أي غافلٌ عن الشرِّ لا يَفْطَنُ له، وهو وصفٌ يدلُّ على حَدَاثَةِ السِّنِّ مع اللُّهُو والجهل والغفلة، وفعله من الباب الثاني كَصَرَبَ على ما في المصباح [غرر]، ومن الباب الرابع كَعَلِمَ على ما في التاج، ومصدره الغرارة بالفتح، والاسم الغرّة بالكسرة، وصَبَّحَهُم الجيشُ وهم غارُّون أي غافلون، ومن اللغويين مَنْ لم يقيّد هذه المادة بحَدَاثَةِ السِّنِّ، بل جعلها بمعنى مجرّد الغفلة والجهل وعدم الخبرة والتجربة، وقومٌ أغرارٌ كأغمارٍ ووزناً ومعنىً.

«كَمَنٌ» أي كَمِثْلُ الذي. «تَأَزَّرَ الدهرُ عليه وارْتَدَى» أي شَمَلَهُ الدهرُ وأحاطَ به كما يكون من الإزار والرداء على لابسَيْهَما، يقال: تَأَزَّرَ الرجلُ إذا لَبَسَ الإزار، وكذلك اتَّزَّرَ، ويقال: ارتدى إذا لَبَسَ الرِّداءَ، ومثله تَرَدَّى، والإزار: ما يَسْتُرُ النِّصْفَ الأَسْفَلَ مِنَ البَدَنِ وموضعُ شَدِّهِ عند الخاصرة، والرِّداء ما يستر النِّصْفَ الأعلى منه، وكلاهما غير مَحِيْطٍ، وتَأَزَّرَ وارْتَدَى لَبَسَها، قال الزمخشري: ويُسمي أهل الديوان ما يُكْتَبُ في آخر الكتاب من نُسخة عَمَلٍ أو فصلٍ في بعض المَهْمَّاتِ إِزاراً، ومنه أَزَّرَ الكتابَ تَأزيراً، وكتابه مُصدَّرٌ بكذا مؤزَّرٌ بكذا، والإزرة بالكسر: هيئة لِبَسِ الإزار، والجمع إِزْرٌ، قال ابن مُقبل: [ديوانه ٨١]

مِثْلُ السِّنَانِ نَكِيراً عِنْدَ خِلَّتِهِ لِكُلِّ إِزْرَةٍ هَذَا الدَّهْرِ ذَا إِزْرِ
والدهر: الزمان، وقد يراد به الحَظُّبُ النازل والبلاء المِلْمُ والمُصابُ الفادح، وأصابَتْهم دُهورٌ، أي رَزَايا ونوازلٌ نَابَتْهم، وهو اللَّاتِقُ بالبَيْتِ.

المعنى: مارستُ شِدائِدَ زَماني وحوادثَ دِهري واختبرْتُها كما اختبرْتُني وامتحنْتُها بِمداركي العالِيَةِ كما امتحنْتُني بِمِخْنِها المِزْعِجَةِ، وليس الغافلُ الجاهلُ مِثْلُ الذي عَرَكَه الدهرُ، وحنكته تجارِبُ الأَيامِ، ونَجَذتُه مُداوِرَةَ الشُّؤنِ وحَلَبَ الدهرُ أَشْطَره وقرأ من تاريخِ عِبرِهِ صحائفُه بِلَهْ أَسطَره.

١٤٦- لا يَرْفَعُ اللَّبُّ بِلا جَدٍّ ولا يَحْطُّكَ الجَهْلُ إِذا الجَدُّ عَلَا

«لا يرفع اللبُّ بلا جدِّ» أي لا يُعلي مقامك العقل مجرداً عن الحظِّ والبخت والسعد، يقال: رفعه يرفعه رفعاً من الباب الثالث كفتح، أي أعلاه وأسماءه وصعد به إلى مكان عالٍ مرتفع، وقد ورد في حديث الدعاء: «اللهم ارفعني ولا تخفضني»، ومنه الرفع في أسماء الله، أي الذي يرفع أهل الصلاح وذوي التقوى بإسعادهم وإصعادهم إلى المقامات العلى، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز من صفة القيامة: ﴿حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٥٦/٣]، أي تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعات، وفي الحديث أن الله يرفع العدل ويخفضه، أي يُعليه ويُظهره على الجور ويخفضه تارة امتحاناً لخلقها، وهذا إنَّما يكون في الدنيا، والعاقبة للمتقين.

والرفع في الأجسام بمعنى إعلائها عن مقرها، وفي البناء بمعنى تطويله، وفي الذكر بمعنى تنويها، وفي المنزلة بمعنى تعظيمها وتشريفها، وهو المراد في البيت، ولازمه رفع من الباب الخامس ككرم، وحسن رفعة بالكسر أي شرف وسما وعلا وارتفع قدره، ومنه رفيع القدر والحسب والجناب الرفيع.

واللبُّ: العقل والحجى والنهى، وهذا أصله جمعٌ واحدُه نُهيَّة، وهو الحجر أيضاً، وفُسر بالقوة المدركة المميِّزة أو المتهيئة لقبول العلم، وفُسر بأنه جوهر مجرد عن المادة لا يتعلَّق بالبدن تعلُّق تدبير، بل تعلُّق تأثير، والنفس هي التي تتعلَّق بالبدن تعلُّق تدبير وتصرف، وهناك أقوال كثيرة في تفسير العقل أطال بها العلماء كما أطالوا في تفسير النفس والروح والعلم، مع أنه يتبادر إلى الذهن أن هذه كلها بديهية.

والجدُّ: الحظُّ وزناً ومعنى، ويُفسر أيضاً بالبخت والرِّزق والغنى والحظوة والسعادة

والعظمة، قال أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي: [شعره ٤٥]

عِشْ بِجَدِّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوُكٌ إِنَّمَا عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبَّتَقَةً الْقَيْدِ سَيِّئِي جَهْلًا أَوْ شَيْبَةً بِنَ الْوَالِدِ

رُبَّ ذِي أُزْبَةٍ مُقَلٍّ مِنَ الْمَا لِ وَذِي عُنْجَهِيَّةٍ مَجْدُودِ
 التُّوكُ بِالضَّمِّ وَقَدْ يُفْتَحُ: الْحُمُقُ وَالْعَجْزُ وَالْجَهْلُ، وَالْأُزْبَةُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ: الدَّهَاءُ
 وَالبَصْرُ بِالْأُمُورِ، وَالْعُنْجَهِيَّةُ: الْكِبَرُ وَالْجَهْلُ وَالْحُمُقُ، وَهَبْنَقَةٌ: اسْمُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ
 فِي الْحَمَاقَةِ، وَشَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ هُوَ اسْمُ الْمَهْجُودِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَالْمَجْدُودُ: الْمَحْظُوظُ وَزناً
 وَمَعْنَى.

«وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ» أَي وَلَا يَخْفُضُكَ وَلَا يَضْعُكَ وَلَا يُسْقِطُ مَنزَلَتَكَ، يُقَالُ: حَطَّه
 يَحْطُهُ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ كَرَدَّ وَمَدَّ، فَإِنْ كَانَ فِي الْأَجْسَامِ فَهُوَ بِمَعْنَى إِنْزَالِهَا عَنْ مَقَرِّهَا سُفْلاً،
 وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهَا فَهُوَ بِمَعْنَى إِهَانَتِهَا وَإِذْلَالِهَا وَاحْتِقَارِهَا كَمَا فِي الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي
 الْمَنْزَلَةِ وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ بِهِ مُطْلَقَ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ الْإِنْسَانُ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَمَنْزَلَتِهِ
 لَا بِاعْتِبَارِ جِسْمِهِ وَجَسْتِهِ.

وَالْجَهْلُ ضِدُّ الْعِلْمِ، وَرَبِّمَا أُرِيدَ مِنْهُ الطَّيِّشُ وَالْحَفَّةُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وَقَالَ فِي التَّاجِ عَنِ الرَّاعِبِ: الْجَهْلُ ثَلَاثَةٌ أَضْرَبُ، الضَّرْبُ الْأَوَّلُ: خُلُوُّ النَّفْسِ مِنَ
 الْعِلْمِ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، وَالثَّانِي: اعْتِقَادُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالثَّلَاثُ: فَعْلُ
 الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا حَقُّهُ أَنْ يُفْعَلَ، وَهُوَ بَسِيطٌ وَمُرَكَّبٌ، فَالْبَسِيطُ عَدَمُ الْعِلْمِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ
 يُعْلَمَ، وَالْمُرَكَّبُ اعْتِقَادُ جَازِمٍ مُخَالِفٍ لِلْوَاقِعِ، وَالْجَاهِلُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ، وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ:
 فَلَانَ جَهُولًا، وَقَدْ جَهَلَ بِالْأَمْرِ وَجَهَلَ حَقِّيًّا، وَجَهَلَ عَلَيْهِمْ: تَسَافَهَ، قَالَ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وَكَفَى بِالشَّكِّ جَهْلًا، وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ: الْقَدِيمَةُ، وَالْمَجَاهِلُ: الْمَعَامِي، وَكَمْ قَطَعْتُ مِنْ
 مَجْهَلٍ وَوَرَدْتُ مِنْ مَنْهَلٍ، وَاسْتَجْهَلَهُ: اسْتَخَفَّهُ وَحَرَّكَه، وَلِلنَّابِغَةِ: [ديوانه ١١٥]

دَعَاكَ الْهُوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءِ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ

«إِذَا الْجُدُّ عَلَا» أَي إِذَا الْحِطُّ عَظُمَ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الْجَدَّ يُطْلَقُ عَلَى الْبَخْتِ وَالْحِطُّ وَالْغِنَى وَالْعِظْمَةُ وَالرِّزْقُ وَالسَّعَادَةُ.

المعنى: إِنَّ الْعَقْلَ بَدُونَ حِطٍّ لَا يَسْمُو بِكَ إِلَى الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ وَالْمَنَاصِبِ الرَّفِيعَةِ، كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ لَا يَهْوِي بِكَ إِلَى دَرَكَاتِ الْحَضِيضِ إِذَا كَانَ لَكَ حِطٌّ عَظِيمٌ.

١٤٧- مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَا رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ عَدَا

«مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ» أَي الَّذِي لَمْ يَنْصَحْهُ الزَّمَانُ، يُقَالُ: وَعَظَهُ يَعِظُهُ وَعَظَاءً مِنَ الْبَابِ السَّادِسِ كَوَعَدَ، أَي أَمَرَهُ بِالطَّاعَةِ وَوَصَّاهُ بِهَا، وَذَكَرَ لَهُ مَا يُلِّدُنْ قَلْبَهُ وَنَصَحَهُ وَذَكَرَهُ بِالْعَوَاقِبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْوَعِظُ هُوَ التَّخْوِيفُ وَالْإِنذَارُ، وَيُقَالُ: هُوَ التَّذْكَيرُ بِمَا يَرْفُقُ الْقَلْبَ فِي الْخَيْرِ، وَالْعِظَاتُ وَالْمَوَاعِظُ: النَّصَائِحُ، وَالْوَاعِظُ: النَّاصِحُ، جَمْعُهُ وَعُظَاظٌ بِالضَّمِّ، وَقَالَ رُوَيْبَةُ:

لَمَّا رَأَوْنَا عَظَعِظْتَ عِظَاعِظَا نَبَلُهُمْ وَصَدَّقُوا الْوَعَاظَا

عَظَعِظَ السَّهْمُ عَظَعِظَةً وَعِظَاعِظًا بِالْكَسْرِ: ارْتَعَشَ وَالتَّوَى فِي مَضِيئِهِ حَتَّى طَاشَ عَنِ الْغَرَضِ، وَالْوَعَاظُ بِالْفَتْحِ كَشَدَادٍ: الْكَثِيرُ الْوَعِظِ النَّصُوحِ، وَبِالضَّمِّ جَمْعٌ وَعِظٌ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَعِظُوا تَحْذِيرًا مِنْ بَأْسِنَا فَلَمْ يَنْقَادُوا لِقَوْلِ الْوَاعِظِ، فَلَمَّا رَأَوْنَا دُهِشُوا حَتَّى طَاشَتْ سَهَامُهُمْ، وَحِينَئِذٍ صَدَّقُوا، وَمَنْ سَجَّعَاتِ الْأَسَاسِ: «مَوَاعِظُهُ لِقُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ أَشَافِي وَفِي أَكْبَادِ الْأَعْدَاءِ أَشَافِي»، الْأَوَّلُ جَمْعُ أَشْفِيَّةٍ، وَهَذِهِ جَمْعُ شِفَاءٍ، وَهُوَ الْبُرءُ، وَالثَّانِيَةُ جَمْعُ إِشْفَى بِالْكَسْرِ، وَهُوَ مِثْقَبُ الْإِسْكَافِ. وَالدهر واحد الدهور والأدھر، وهو الزمان قل أو كثر،

قال الشاعر: [ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤١٧]

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ حَبْلِي بِجُمْلٍ لَزِمَانٌ قَدْ هَمَّ بِالْإِحْسَانِ

وقيل: الزمان الطويل، وقيل: الأبد والأمد الممدود والغير المحدود، وقيل: ألف سنة، وقيل: مدة الدنيا، وعن الراغب أَنَّ الدَّهْرَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ لِمُدَّةِ الْعَالَمِ مِنْ ابْتِدَاءِ وَجُودِهِ إِلَى

غاية انقصائه، وعن الشافعي أنه قال: نحن لا نعلم له غاية، وقال جرير: [ديوانه ٤٨٣]
أنا الدهر يُفني الموتَ والدهرُ خالدٌ فحِجْنِي بِمِثْلِ الدهرِ شيئاً يطاولُهُ
فجعلهُ بمعنى الدنيا والآخرة لأنَّ الموتَ إِنَّمَا يَفْنَى بعدَ فناء الدنيا، وهذا البيت قاله
جرير في مقابلة الفرزدق حينما قال له: [ديوانه ١٧١ / ٢]

فإِنِّي أَنَا الموتُ الذي هُوَ نازلٌ بِنَفْسِكَ فانظُرْ كيفَ أَنْتَ تُحاولُهُ
وقولهم: دَهْرٌ دَهَارِيرٌ، أي شديدٌ، كيومِ أَيَّومٍ ونهارِ أَنهَرٌ وليلةٌ لَيْلاءٌ وساعةٌ سَوعاءٌ.
والدهر كالزَّمان عند الحكماء والفلاسفة عبارةٌ عن حركات الأفلاك وتنقل الكواكب
سائرة في قطع درجاتها ومنازلها. «لم يَنْفَعُهُ»، أي لم يحصل له انتفاع ولم يستفد منه ولم يوصله
إلى خير، والنَّفْعُ: الحَيْرُ وزناً ومعنى، وهو الفائدة الحسنة، ومنه النافع في أسماء الله الحسنى،
وقال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ٥]

قالت أميمة ما لجِسْمِكَ شاحباً منذ ابْتُذِلتَ ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ
الشَّاحِبُ: المتغيَّرُ من مَرَضٍ أو عَمَلٍ أو جوعٍ أو سَفَرٍ ونحوها، وابتدل أي بدل نفسه
للعمل والمهنة، كأنها تقول: اتَّخَذَ مَنْ يَكْفِيكَ، فمثل مالك ينبغي أن يعود بالنَّفْعِ والخير
والرَّفاهية.

«ما راح به الواعظ يوماً أو غداً» أي ما سعى الناصح به وقتاً ما، وما أي الذي، وراح
من الرِّواح، وهو السَّير والذهاب في أيِّ وقت كان، وقيل: أصله السَّير والذهاب بعد
الزَّوال إلى الليل، وغداً من الغدو، وهو السَّير والذهاب غُدوةً، وهو ما بين الفجر وطلوع
الشمس، ويُستعمل في الذهاب والسير والانطلاق أيِّ وقت كان، والغداة: الضَّحوة،
والواعظ: الناصح المذكور بما فيه نفع وخير ومصالحة، والمراد بقوله: «ما راح به الواعظُ
يوماً أو غداً» ما تردَّد، وكرَّر الذهاب والمسير لأجله.

المعنى: الذي لم ينصحهُ الزمان ولم تُفدِه الأيامُ والليالي فإنَّ الرجلَ الناصحَ لا يَنْفَعُهُ

بُنْصَحَه مَهْمَا اِخْتَلَفَ اِلَيْه وَتَرَدَّدَ عَلَيْهِ، وَبِعِبَارَةِ اَوْسَعِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيدُ مِنْ تَجَارِبِ الزَّمَانِ وَلَا يَعْتَبِرُ بِتَصَارِيفِ الدَّهْرِ وَلَا يَسْتَنْبِطُ مِنَ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ دَرْسًا يَتَخَلَّقُ بِهَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَيَعْمَلُ بِهَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْ أُسْتَاذٍ نَاصِحٍ وَإِنْ بَالِغٍ فِي نُصْحِهِ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّرْدَادِ عَلَيْهِ لَوْعَظِهِ.

١٤٨ - مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى

«مَنْ لَمْ تُفِدْهُ» أَيِ الَّذِي لَمْ تَنْفَعَهُ وَلَمْ تُكْسِبْهُ فَائِدَةً وَلَا أَوْرَثْتَهُ نَتِيجَةً، يُقَالُ: أَفَادَهُ إِفَادَةً، أَيِ أَعْطَاهُ فَائِدَةً، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِنِّْي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا
يُقَالُ: فَادَ الْمَالُ لِي يَفِيدُ وَيَفُودُ، وَأَوِيُّ وَيَائِيُّ، أَيِ حَصَلَ لِي وَثَبَتْ لِي أَوْ كَثُرَ، وَأَفَادَهُ
وَاسْتَفَادَهُ أَيِ حَصَلَهُ وَاكْتَسَبَهُ وَأَفْتَنَاهُ، وَأَفَادَهُ غَيْرَهُ أَيِ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، قَالَ الشَّمَاخُ: [دِيَوَانُهُ ٣٣٦]
أَفَادَ سَمَاحَةً وَأَفَادَ حَمْدًا وَلَيْسَ كَجَامِدٍ لِحَزِّ ضَنِينِ
اللَّحْزِ بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَهَا زَايٍ هُوَ الْبَخِيلُ الشَّحِيحُ، وَالضَّنِينِ
بِمَعْنَاهُ فَهُوَ تَأْكِيدٌ، وَقَالَ الْقَتَّالُ الْكَلَابِيُّ: [دِيَوَانُهُ ٨٣]

مُهِلِكَ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ

أَيِ مُتْلَفٌ وَمُخْلَفٌ وَوَهُوبٌ وَكُسُوبٌ، أَيِ يُنْفَقُ مَالًا وَيَسْتَفِيدُ آخِرًا.

«عِبْرًا» مَفْعُولٌ «تُفِدُهُ»، وَهُوَ جَمْعُ عِبْرَةٍ، وَهِيَ التَّدْبِيرُ وَالنَّظَرُ وَالِاتِّعَازُ وَالتَّذَكُّرُ، وَقِيَاسُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَيْهِ لِاجْتِنَابِ مَضَارِّهِ وَاجْتِلَابِ مَنَافِعِهِ وَالِارْتِدَاعُ وَالِانزِجَارُ وَالتَّبَصُّرُ فِي الْوَقَائِعِ وَالتَّأَمُّلُ فِي الْحَوَادِثِ لِاسْتِنْبَاطِ مَحَاسِنِهَا وَالتَّحَلِّيُّ بِهَا وَاسْتِبَانَةُ قَبَائِحِهَا وَالتَّخَلِّيُّ عَنْهَا، وَهِيَ - أَعْنِي الْعِبْرَةَ بِالكَسْرِ - اسْمٌ مِنَ الْاِعْتِبَارِ، يُقَالُ: اِعْتَبَرَ الرَّجُلُ بِكَذَا، أَيِ تَعَجَّبَ مِنْهُ وَاتَّعَظَ بِمَا فِيهِ وَانْتَصَحَ بِهِ وَتَحَرَّى خَيْرَهُ وَتَوَقَّى شَرَّهُ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ الصُّحُفَ الْمُنزَلَةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام كانت عبراً كلُّها، أي كالمواعظ والنصائح ممَّا يُفيد المتبصِّر فيها معرفة النَّفع لتحصيله والضَّرر للتباعُد عنه، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَاعْتَرُوا بِآيَاتِي الْأَبْصَرَ﴾ [الحشر: ٢/٥٩]، أي انظروا فيما نزل وحلَّ بقريظة والنَّصير، وحاذروا أن تَسلكوا مسلكهم فتهلكوا مهلكهم.

والاعتبار بالشيء: الاعتداد به في ترتب الحكم عليه، ومنه قول بعضهم: ولا عبرة بعبرة مُستعبر ما لم تكن عبرة مُعتبر، أي لا يُعتدُّ بدمعة بالك ما لم تكن ناشئة عن اعتبار، فإنَّ العبرة بالفتح كالدمعة وزناً ومعنى، واستعبر: بكى، وقد فسره الناظم بقوله بعد هذا البيت:

مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا رَأَى

«أيَّامه»، الأيام جمع يوم، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقيل: من الشُّروق إلى الغروب، وعند المنجمين من الشُّروق إلى الشُّروق، أو من الغروب إلى الغروب، ويُستعمل بمعنى الوقت الحاضر، وبمعنى الوقت مطلقاً وبمعنى الدهر وبمعنى الدولة وزمان الولاية، وقولهم: فلان عالمٌ بأيَّام العرب أي بوقائعها، وقوله تعالى في القرآن المبين: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٥/١٤]، وقوله فيه أيضاً: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤/٤٥] قيل: الأيام هنا العقوبات والنقم، وقيل: الألاء والنعم، والمراد بالأيام في بيت الناظم وقائعها.

«كان العمى أُولَى به من الهدى» أي صار انطِاسُ البصر والبصيرة أقرب إليه من الرِّشاد والهداية، والعمى: فقد البصر وعدمه عمًا من شأنه أن يكون بصيراً، ويُستعار للقلب، والبصيرة كناية عن الضلالة والغواية والجهالة والانهاك في الباطل والتَّادي في الغيِّ وركوب التَّعاسيف، ونحوه طامسُ القلب أي فاسده ميثه لا يعي رُشدًا، ومطموسُ البصيرة والبصر: فاقدُهما أعمى العين والقلب.

و«أُولَى بِهِ» أَي أَحْرَى وَأَجْدَرُ وَأَحَقُّ بِهِ، وَحَقِيقَتُهُ أَقْرَبُ، وَالْهُدَى: الرَّشَادُ وَإِصَابَةُ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الرَّشْدُ.

المعنى: الذي لَا تُكْسِبُهُ وَقَائِعُ دَهْرِهِ وَحَوَادِثُ زَمَانِهِ فَائِدَةٌ مِنْ فَوَائِدِ الْإِعْتِبَارِ فَحِرْمَانُهُ مِنْ نِعْمَتِي الْبَصْرِ وَالْبَصِيرَةِ أَحْرَى بِهِ، وَبِعِبَارَةٍ ثَانِيَةِ الَّذِي لَا تُورِثُهُ التَّجَارِبُ فِي مَدَّةِ حَيَاتِهِ نَظْرًا فِي الْأَحْوَالِ يَسْتَفِيدُ بِهِ مَعْرِفَةً جَيِّدًا لِلْعَمَلِ بِهِ وَرَدِيئًا لِتَجَنُّبِهِ فَإِنَّ الضَّلَالَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَايَةِ، وَفَقْدَانُ الْعَقْلِ وَالْإِدْرَاكِ وَحَاسَّةُ الْبَصْرِ وَالْبَصِيرَةِ أَعْلَقَتْ بِهِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالنَّفْعُ وَالسَّعَادَةُ.

١٤٩- مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا رَأَى أَرَاهُ مَا يَدْنُو إِلَيْهِ مَا نَأَى

وَفِي نَسْخَةِ «بِمَا يَرَى» عَوْضُ «بِمَا رَأَى».

«مَنْ قَاسَ» أَي الَّذِي قَدَّرَ، يُقَالُ: قَاسَ الشَّيْءَ يَقْيِسُهُ وَيُقَوِّسُهُ وَأَوِيَّ يَأْتِي، وَكَذَلِكَ اقْتِنَاسُهُ مِنْ بَابِ الْاِفْتِعَالِ وَقْيَسَهُ تَقْيِيسًا مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ، وَقَايَسَهُ مِنْ بَابِ الْمَفَاعَلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَاسِ، وَهُوَ التَّقْدِيرُ، وَمِنْهُ الْمَقْيَاسُ وَهُوَ الْمَقْدَارُ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَتَعْدِيَّتُهُ بِالْبَاءِ وَيِلَى وَعَلَى، فَيُقَالُ: قَاسَهُ بِهِ وَإِلَيْهِ وَعَلَيْهِ، أَي جَعَلَهُ مَقْدَرًا عَلَى مِثَالِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانَ يَقْتَنَسُ بِأَيْبِهِ، أَي يَقْتَدِي بِهِ وَيَحْدُو حَذْوَهُ وَيَسْلُكُ سَبِيلَهُ، وَقَوْلُهُمْ: قَاسَ الطَّيِّبُ الْجِرَاحَةَ أَي سَبَرَهَا بِالْمِسْبَارِ، وَتَعَرَّفَ قَدْرَ قَعْرِهَا بِالْمِيلِ وَقَدَّرَ غَوْرَهَا وَتَبَيَّنَ عُمُقَهَا بِهِ، وَقَاسَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أُخْرَى، أَي حَمَلَهَا عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا مِثْلَهَا، وَاعْتَبَرَهَا بِهَا لَعَلَّهَا مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَهُمَا فِي تَرْتُّبِ الْحُكْمِ وَالِاعْتِدَادِ بِهِ، وَكَذَا بَنَاهَا عَلَيْهَا، وَيُقَالُ: مَسَأَلْتُكَ لَا تَنْقَاسَ عَلَيَّ مَسَأَلْتِي، أَي لَا تَنْبِي وَلَا تَنْطَبِقَ عَلَيْهَا وَلَا تُسَاوِيهَا، وَمِنْهُ الْقِيَاسُ الْمَلْحَقُ بِالِاجْمَاعِ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

[شرح ديوانه ١٢٧/٢]

بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقْيَسُهُ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ

قِيلَ: إِنَّهَا عَدَاهُ بِالِإِلَى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى أَجْمَعُهُ وَأَضْمُهُ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ بَعْدَ قَوْلِ الزَّمْخَشَرِيِّ:

قَاسَهُ بِهِ وَإِلَيْهِ وَعَلَيْهِ.

«ما لم يَرَهُ»، أي الذي ما أبصره، يقال: نظر إليه وأبصره وعاینه وشاهدَه وراه، أي وقع عليه بصره وأدركه نظره بحاسة العين الباصرة، ويكون رأى بمعنى اعتقدَ وبمعنى ظنَّ وتوهمَّ وتخيلَ وبمعنى عَلِمَ وبمعنى حَلَمَ بفتح الحاء واللام من الرؤيا، وهي الخُلم بضمَّتین، ويسكن الثاني، وراه: أصاب رتته، وهي موضع النفس لكل حيوان مُتَنَفِّس، ورأى الراهية: ركزها في الأرض، ورأى الزند: أوقده فرأى هو أي وقده، وهذا كما ترى يلزم ويتعدى، ورأى في بيت الناظم من رؤية العين.

«با رأى» أي بالذي شاهدَ وعاینَ وأبصرَ وأدركَ بعينه. «أراه»، أي جعله يراه ومكَّنه من رؤيته، وفي التنزيل العزيز: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥/٤]، أي بما أطلعك عليه. «ما يدنو إليه» أي الذي يقرب منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣/٦٩] وفيه: ﴿وَحِجَى الْجَنَّةِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤/٥٥]، وفيه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ [الإنسان: ١٤/٧٦]، ومنه الدنيا لقرها منا، ومنه: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩/٥٣]، أي أقرب وأقل مسافة.

«ما نأى» أي الذي بعدَ وامتدَّت مسافته، والمصدر نأى، قال الخطيئة:

وهندُ أتى من دونها النأى والبعدُ

عطفَ البعد على النأى تأكيداً وتقوية للمعنى الذي أهمه، وذهب بعضهم إلى تفسير النأى بالفراق هرباً من القول بالترار، ويلزم من البعد المفارقة، فإذا قلت: نأى عني أو بعدَ عني فكأنك قلت: فارقتني وصار في مكان بيني وبينه مسافة طويلة ممتدة.

المعنى: الذي يكون ذا نظيرٍ واعتبارٍ يتروى ويُمعِنُ النظرَ متفكراً في وقائع العبر متأملاً فيما اطلع عليه من الحوادث التي حصلت والكائنات التي وجدت، يستنبط منها مواظ ونصائح، ويستخرج منها أصولاً يجعلها أقيسة وأمثلة يُقدِّرُ عليها أشباهها مما لم يطلع عليه ولا وصل إليه، فإنه يصير المجهول بذلك القياس معلوماً لديه والبعيد قريباً منه، فيعرف

العواقب بمقدماتها والخواتم بفواتحها والغايات بمبادئها ليحتاط ويتحرى خيرها ويتوقى شرها وصيرها.

١٥٠ - مَنْ مَلَكَ الْحِرْصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الذُّلِّ صَرَى

«مَنْ مَلَكَ الْحِرْصَ الْقِيَادَ» أي الذي سلّم زمام نفسه للطمع واسترسل في الركون والميل إلى الأماني الفاسدة، يقال: ملكه الشيء تملكاً إذا أعطاه إيّاه وأباحه له حتى يسوغ تصرفه فيه كما يشاء ويحتويه قادراً على الاستياد به. والحِرْص: شدة اهتمامك بتحصيل ما تتمنى وفرط شريك إلى ما تشتهي نفسك وتتعلق به آمالك، ومنه قولهم: قرن الحِرْص بالحِرمان، وقال أبو ذؤيب الهذلي: [أشعار الهذليين ٨]

ولقد حَرَصْتُ بَأَنْ أَدْفَعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
والقياد مصدر قاد الدابة إذا أخذ بزمامها وجذبها سائراً بها، والقياد أيضاً: حبل تُقاد به الدابة كالمقود، وهو يُشد أي يُربط في الزمام أو اللجام، والسوق مقابل القياد لأن القياد أن تسير بالدابة وأنت ماشٍ أمامها أخذاً بحبل زمامها، والسوق من خلفها، وأعطى القياد أي أذعن وأطاع وانقاد، قال الشاعر: [ديوان عبيد بن الأبرص ١١٧]

ذَلُّوا فَأَعْطَوْكَ الْقِيَا دَكَمَا الْأَصِيهْبُ ذُو الْحِزَامَةِ

ومنه فلان سلِس القياد، أي يتابعك على هوك، أو صَعِبُ القياد، أي عَسِرُ الانقياد لا يتابعك إلا بشدة. «لم يزل» أي لم يبرح ذلك المستسلم للحرص، أي ظل.

«يَكْرَعُ» من الباب الثالث كفتح والرابع كعلم، يقال: كرع في الماء إذا وضع فاه، أي فمه فيه وشرب، فإن شرب منه بكفه أو بشيء آخر سوى فمه فليس بكارع، وأصله في الدابة لأنّها لا تكاد تشرب حتى تدخل أكارعها في الماء وتخوضه، وأكارع الدابة: قوائمها، ثم قيل للإنسان كرع إذا شرب بفيه أي بغمه خاص أو لم يخض، وللحويذرة: [ديوانه ٣٠٦]

وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسناً تبسّمها لذيذ المكرع

ويُروى «لذيذ المشرع»، وقال لبيد يصف نخلاً نابتاً على الماء: [ديوانه ٦٠]
يَشْرَبْنَ رِفْهًا عِرَاكَ غَيْرَ صَادِرَةٍ فَكُلُّهَا كَارِعٌ فِي الْمَاءِ مُعْتَمِرٌ
الرَّفْهَ بِالْكَسْرِ أَصْلُهُ فِي الْإِبِلِ، وَهُوَ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ كُلَّمَا أَرَادَتْ، وَالْعِرَاكَ بِالْكَسْرِ كَذَلِكَ،
وَهُوَ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ جَمِيعاً مُعْتَرِكَةً عَلَيْهِ، أَي مُزْدَحِمَةً، وَالْمُعْتَمِرُ: الْمُتَغَمِّسُ فِي عَمْرَةِ الْمَاءِ، يُقَالُ:
اغْتَمَرَهُ الْمَاءُ أَي عَلَاهُ وَغَطَاهُ بِغَمْرَتِهِ، أَي بكَثْرَتِهِ، فَاعْتَمَرَ أَي انْغَمَسَ فِي غَمْرَتِهِ.
وقوله: «غَيْرَ صَادِرَةٍ» أَي لَا تَنْصَرِفُ عَنْ مَوْضِعِهَا مِنَ الْمَاءِ وَلَا تَعُودُ رَاجِعَةً بَعْدَ
وَرُدِّهَا بَلْ تَبْقَى مَاكُتَةً فِي مَوْرَدِهَا، وَهَذِهِ هِيَ الْقَرِينَةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ وَصْفَ الْإِبِلِ.
«فِي مَاءٍ مِنَ الذَّلِّ»، الْمَاءُ مَعْرُوفٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾
[الأنبياء: ٣٠ / ٢١]، وَهُوَ هَذَا الْجَوْهَرُ الصَّافِي السَّيَّالُ الشَّفَافُ، وَاسْتِعَارَهُ هُنَا لِلذَّلِّ الَّذِي هُوَ
ضِدُّ الْعِزِّ.

«صَرَى» بِالْفَتْحِ، وَيُكْسَرُ، صِفَةٌ لِلْمَاءِ، وَهُوَ الَّذِي طَالَ مُكُتُهُ وَدَامَ اسْتِنْقَاعُهُ حَتَّى تَغْيَّرَ،
وَفَعْلُهُ صَرِيَ يَصْرِي صَرَى مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمَ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [ديوانه ١٦٧٨]
صَرَى آجِنٌ يَزُوي لَه الْمَرْءُ وَجْهَهُ وَلَوْ ذَاقَهُ ظَمَانٌ فِي شَهْرِ نَاجِرِ
آجِنٌ كَاسِنٌ، وَيَزُوي: يَبْضُ، وَشَهْرُ نَاجِرٍ: شَهْرُ الْقَيْظِ، وَهُوَ صَمِيمُ الصَّيْفِ وَإِيَّانُ الْحَرِّ الشَّدِيدِ.
الْمَعْنَى: إِنَّ الَّذِي يَكُونُ الطَّمَعُ مَسْتَوِلياً عَلَيْهِ لَا يَزَالُ فِي هَوَانٍ وَصَغَارٍ وَحَقَارَةٍ.

١٥١ - مَنْ عَارَضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ رَنْتَ إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا
«مَنْ عَارَضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ» أَي الَّذِي صَادَمَ الْأَمَالَ الْفَاسِدَةَ وَقَابَلَ الْأَمَانِيَّ الرَّدِيئَةَ
بِالْقَنُوطِ، يُقَالُ: عَارَضَهُ أَي قَابَلَهُ وَعَارَضَهُ: جَانَبَهُ وَحَادَ عَنْهُ وَأَخَذَ فِي غَيْرِ عُرْضِهِ بِالضَّمِّ، أَي
نَاحِيَّتِهِ وَجِهَتِهِ وَجَانِبِهِ، وَعَارَضَهُ: كَافَأَهُ، وَعَارَضَهُ: بَارَاهُ وَحَادَاهُ وَسَارَ حِيَالَهُ، وَعَارَضَهُ: جَارَاهُ
وَفَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ، وَعَارَضَهُ: خَالَفَهُ وَمَالَ عَنْهُ، مِنَ الْعُرْضِ بِالضَّمِّ، وَهُوَ الْجَانِبُ، وَتُفْسَرُ
الْمَعَارِضَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى بِالْمَعَانِدَةِ مِنَ الْعِنْدِ بَفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ الْجَانِبُ.

الأطماع: جمع طَمَع بالتحريك، وهو الحرص ونزوع النفس وفَرَطُ ميلها وشدة رغبتها واشتياقها إلى الشيء شهوةً له، فهي ما تزال تتمناه وترجو حصوله، ولما كان أكثره من جهة الهوى المذموم قيل: الطَّمَع طَبَعٌ، أي دَنَسٌ وشَيْنٌ وعَيْبٌ وِعَارٌ، والمصدرُ وإن كان لا يُجمع فإنَّها جمَعَه الناظم لاختلاف متعلقاته كالعلوم.

«باليأس» أي القنوط وانقطاع الأمل وعدم الرجاء، ومنه قولهم: اليأس إحدى الراحيتين، والثانية هي نَيْلُ المنى وبلوغ الأمان، وتقول: العبدُ مُمَسِّكٌ يَوْوسٌ مع أَنَّ الله يُخْلِفُ وَيَوْوسٌ، أي العبدُ بخيل قنوط مع أَنَّ الله يُخْلِفُ أي يُبَدِّلُ ويعوِّضُ ويردُّ مثل ما ذهب وتَلَفَ، والمصدرُ الإِخْلَافُ، والاسم الخَلْفُ بفتحيتين، وهو العِوَضُ والبَدَلُ، وقوله: يَوْوسٌ أي يُعْطِي وَيُعَوِّضُ من آسَه أَوْسًا، وهو الإِعْطَاءُ والتعويض والإِخْلَافُ، ومن شواهد اليأس قول النابغة الذبياني: [ديوانه ٢٠٠]

واليأس مَمَاتٌ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْمَعَةٍ تَكُونُ ذُبَاحًا
وفي بعض الكتب «تعوذ» مكان «تكون»، والمؤدَّى واحد، وقوله: «مَمَاتٌ» أي من الذي ذهب ومضى زمانه وخرج وقته ولم يفعل منه، ومنه فاتت الصلاة، و«يُعْقِبُ رَاحَةً» من أَعْقَبَهُ فَرَطُ الأَكْلِ سَقَمًا وَأَعْقَبَهُ الكَسْلُ نَدَمًا، أي أَوْرَثَهُ إِيَّاهُ وَأَبْقَاهُ له في عاقبة أمره، والمطمعة بالفتح: ما يحصل الطمع بسببه، ومنه قولهم: بَنَتْ عَشْرَ مَطْمَعَةٍ لِلنَّاطِرِينَ، والدُّبَاحُ بالضمِّ مَخْفَفًا كغَرَابٍ: الذَّبْحُ والقتل وأيضاً وَجَعٌ في الحلق، كأنه يذبح المصاب لشدته، وقيل: دَمٌ يَخْنُقُ، وقيل: قَرْحَةٌ تحدث في الحلق يَنَسِدُ معها النَّفْسُ وينقطع حتى تقتل، ويقال: أصابه موتٌ ذُبَاحٌ كزُعَافٍ بالزاي وذُعَافٌ بالذال، وكذا زُؤَامٌ وزُؤَافٌ، وكلُّها تقع صفةً للموت بمعنى أَنَّهُ كَرِيهٌ، وقيل: وَحِيٌّ بفتح الواو وكسر الحاء بعدها ياء مشددة، أي سريعٌ عاجل كسَمِّ سَاعَةٍ.

«رَنَتْ إِليه عَيْنُ العِرِّ» أي نظرت إليه وأدامت النظر، يقال: رَنَّا فلان لفلانة وإليها كما

رَنَتْ لَهُ وَإِلَيْهِ أَيَّ أَدَامَ النَّظْرِ إِلَيْهَا كَمَا أَدَامَتْ إِلَيْهِ، فَيَتَعَدَّى بِاللَّامِ وَبِإِلْيَ، وَيَجُوزُ أَيْضاً تَعَدِّيَهُ
بِنَفْسِهِ فَيَقَالُ: رَنَاهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا صَاحِبِي إِنْ نِيَّ أَرُؤُوكُمَا لَا تَحْرِمَانِي إِنْ نِيَّ أَرُؤُوكُمَا

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لَمَنْ يَلْهَجُ بِالنَّظْرِ إِلَى النِّسَاءِ: رَنَاءٌ عَلَى وَزْنِ فَعَّالٍ بِالْفَتْحِ مُشَدَّدُ الْعَيْنِ،
وَهُوَ مِنْ أَوْزَانِ الْمَبَالِغَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكَثْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْفَاجِرَةِ الْعَاهِرَةِ: تُرْنِي، وَأَصْلُهَا
تُفْعَلُ مِنْ رَنَا يَرْنُو، أَيُّ يُدَامُ النَّظْرُ إِلَيْهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلتَّيْمِ الْخَسِيسِ الدَّنِيءِ الْمُهِينِ الْحَقِيرِ:
هُوَ ابْنُ تُرْنَى.

وَأَسْنَدَ النَّازِمُ الرُّنُوَّ لِلْعَيْنِ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ إِسْنَادُهُ لِصَاحِبِهَا لِأَنَّهَا آلَةُ النَّظْرِ وَحَاسَّةُ
الْبَصْرِ وَجَارِحَتُهُ الَّتِي بِهَا يَرَى وَعُضْوُهُ الَّذِي يَرْنُو، وَلَا يَحْصُلُ هَذَا الْإِحْسَاسُ لِلرَّجُلِ إِلَّا
بِوَاسِطَتِهَا، فَهِيَ السَّبَبُ فِيهِ، كَمَا تَقُولُ: مَشَتْ قَدْمُهُ، أَيُّ رَجَلُهُ، وَبَطَشَتْ يَدُهُ، وَسَمِعَتْ
أُذُنُهُ وَنَامَتْ عَيْنُهُ وَتَأَلَّمَ جِسْمُهُ، وَالْمُرَادُ فِي كُلِّ ذَلِكَ نَفْسُ صَاحِبِ الْعَضْوِ.

وَالْعِزَّةُ: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ وَالغَلْبَةُ وَالرَّفْعَةُ، وَالْإِمْتِنَاعُ كَالْعِزَّةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعِزَّةُ حَالَةٌ
مَانِعَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَنْ يُغْلَبَ، أَيُّ حَامِيَةٌ وَحَافِظَةٌ لَهُ، وَتُسْتَعْمَلُ الْعِزَّةُ بِمَعْنَى الْحَمِيَّةِ
وَالْإِنْفَةِ، وَالْعِزُّ وَالْعِزَّةُ أَيْضاً: قَلَّةٌ وَجُودُ الشَّيْءِ وَأَعْوِزَاةٌ حَتَّى لَا يَكَادُ يُوْجَدُ، وَمِنْهُ شَيْءٌ
عَزِيزٌ أَيُّ قَلِيلٌ نَادِرٌ.

«مِنْ حَيْثُ رَنَا» أَيُّ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ نَظَرَ، وَ«حَيْثُ» فِي الْمَكَانِ كِ«حَيْنٌ» فِي الزَّمَانِ، وَقَدْ تَرَدَّدَ
حَيْثُ أَيْضاً لِلزَّمَانِ، وَمِنْ الشُّوَاهِدِ لَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

حَيْثُمَا تَسْتَقِيمُ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّـهُ نَجَاحاً فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ

أَيُّ فِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ.

الْمَعْنَى: مَنْ غَلَبَ يَأْسُهُ عَلَى مَطَامِعِهِ وَقُنُوطِهِ عَلَى آمَالِهِ كَانَ جَانِبُهُ مُحْفُوظاً وَبَعِينِ الْعِزَّةِ
مَلْحُوظاً، وَحَيْثُمَا مَالَ مَالَ الْجَاهُ مَعَهُ، وَإِلَى أَيِّ جِهَةٍ التَّفَتَ التَّفَتَ الْمَجْدُ تَابِعاً لَهُ.

١٥٢- مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ انْتَوَى

«مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ» أَي صَرَفَهَا وَرَدَّهَا وَأَرْجَعَهَا وَأَمَالَهَا، وَعَطَفَ تَكُونُ لَازِمَةً وَمَتَعَدِّيَةً، فَأَمَّا اللَّازِمَةُ فَمَعْنَاهَا مَالٌ وَأَنْثَى وَرَجَعَ وَأَنْعَجَ وَانصَرَفَ، وَأَمَّا الْمَتَعَدِّيَّةُ فَمَعْنَاهَا الْإِمَالَةُ وَالصَّرْفُ وَنَحْوُهُمَا، يُقَالُ: عَطَفَ الْوِسَادَةَ أَي ثَنَاهَا وَعَطَفَ الْغِصْنَ: هَصَرَهُ، وَعَطَفَ رَأْسَ دَابَّتِهِ إِلَيْهِ إِذَا عَاجَهُ، وَعَطَفَ طَرَفَ الثَّوبِ، أَي ثَنَى ذَيْلَهُ مِنَ الظُّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ، وَعَطَفَ الْغَزَالَ عُنُقَهُ، أَي ثَنَاهُ وَلَوَاهُ وَحَنَاهُ رَابِضًا، وَهُوَ غَزَالٌ عَاطِفٌ، وَمِثْلُهُ الْحَاقِفُ مِنَ الطُّبَّاءِ، وَالْمُرَادُ فِي بَيْتِ النَّازِمِ بِقَوْلِهِ: «عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا» رَدَّهَا وَأَرْجَعَهَا إِلَيْهِ وَلَفَّتَهَا نَحْوَهُ وَأَلْجَأَهَا لِلصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَالْمَكْرُوهُ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ كَرِهْتُهُ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمْتُهُ، أَي أَبْغَضْتُهُ لَمَّا يَلْحَقْنِي مِنْهُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْمَشَقَّةِ.

وَالنَّفْسُ تُتَلَقُّ عَلَى الْجِسْمِ وَالْجَسَدِ وَالشَّخْصِ، وَتُتَلَقُّ عَلَى الرُّوحِ، وَتُتَلَقُّ عَلَى جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ وَعَلَى الْإِنْسَانِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، وَلَهَا مَعَانٍ كَثِيرَةٌ سِوَى ذَلِكَ لَا دَخَلَ لَهَا فِيهَا نَحْنٌ فِيهِ، وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّهَا هِيَ الرُّوحُ، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بِالْإِعْتِبَارَاتِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا اتَّسَعَ فِي النَّفْسِ وَعُبِّرَ بِهَا عَنِ الْجُمْلَةِ لِغَلَبَةِ أَوْصَافِ الْجَسَدِ عَلَى الرُّوحِ حَتَّى سُمِّيَتْ نَفْسًا، وَهُوَ قَوْلُ نَفِيسٍ.

«كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ» أَي صَارَتْ الثَّرْوَةُ مَلَازِمَةً لَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ

السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٣٧/٥٥] أَي صَارَتْ، وَالْغِنَى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرُ مَصْدَرٌ الْغِنَى، وَهُوَ صَاحِبُ الْمَالِ الْكَثِيرِ، وَفَعَلَهُ غَنِيٌّ يَغْنَى كَرَضِيٌّ يَرْضَى، مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ.

وَقَوْلُهُ «قَرِينَهُ» أَي مُصَاحِبَهُ وَمُقَارِنَهُ وَمَلَازِمَهُ، وَحَقِيقَةُ الْقَرِينِ مِنْ جِهَةِ الصَّرْفِ أَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَمَعْنَى قَرِينِهِ الْمَقْرُونُ مَعَهُ، مِنْ قَرَنَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، وَقَرَنَ بَيْنَهُمَا، أَي لَاءَمَ وَجَمَعَ، وَمِنْهُ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَهُوَ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، كَنَصَرَ وَضَرَبَ، وَيُقَالُ: قَرَنَ الرَّجُلُ لِلسَّائِلِ، إِذَا جَمَعَ لَهُ بَعِيرَيْنِ فِي قِرَانٍ كَكِتَابٍ، وَهُوَ الْحَبْلُ كَالْقَرَنِ بَفَتْحَتَيْنِ،

وقال بعضهم: يُحتمل أن يكون هذا المعنى في مادة القَرَن مأخوذاً من قَرَنِي الثَّور ونحوه، فكان الفارن بين الشَّيئين يجعلهما كالقَرين في الرأس من جهة الاجتماع والمصاحبة والملازمة. «حيثُ أنتوى» حيثُ للمكان كَحِين للزمان، تقول: أَجلسُ حيثُ تجلسُ، وأذهب حين تذهب، وقد تُستعمل للزمان أيضاً، قال الشاعر:

حَيْثُمَا تَسْتَقِمُّ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّـهُ نَجَاحاً فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ
إِلَّا أَنْ «حيثما» في هذا البيت لا قرينة معها على تعيين زمان أو مكان، فهي مُحتملة لكلٍ منهما، والدليل متى طرَّقه الاحتمال بطلَّ به الاستدلال، وقوله: «في غايرِ الأزمان»، الغايرُ تُستعمل بمعنى الذاهب الماضي، وتُستعمل بمعنى الماكث الباقي، يقال: غَبَرَ إِذَا مَضَى، وغَبَرَ إِذَا مَكَثَ وبقي، تقول: أنت غايرٌ غداً وذكرك غايرٌ أبداً، أي أنت ذاهب قريباً، بمعنى أنك تموت وصيئتُك باقٍ أبداً، قال الشاعر:

قضاءِ اللَّهِ غَالِبٌ كُلِّ حَيٍّ وَيَنْزِلُ بِالْجُزُوعِ وَبِالْصَّبُورِ
فإنْ نَغَبْرُ فَإِنَّ لَنَا لِمَاتٍ وَإِنْ نَغَبْرُ فَنَحْنُ عَلَى نُذُورِ
أي فإنْ نَمُضِ بِالموتِ فَإِنَّ لَنَا أَشْبَاهاً وَأَمْثالاً، وَإِنْ نَمُكُثُ وَنَبَقَ فَنَحْنُ عَلَى نَدُورِ، وهو جمع نَدْرٍ، كأننا قد نذرنا أن نموت، لا بد لنا من ذلك.

وقوله: «انتوى» أي رحل وانتقل، ولقيس الخطيم: [ديوانه ٩٧]
ولم أَرِ كَأَمْرِي يَدْنُو لِحَسْفٍ لَهُ فِي الْأَرْضِ سَيْرٌ وَأَنْتِوَاءُ
يَتَعَجَّبُ مَن يَرْضَى بِالذَّلِّ مَعَ سَعَةِ الْأَرْضِ، وقال المؤرِّج:
وفارقتُ حتى لا أبالي مَنْ أَنْتَوَى وَإِنْ بَانَ جِرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ
وقد جعلتُ نَفْسِي- عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
ويقال: نَوَى الشَّيْءَ وَأَنْتَوَاهُ إِذَا قَصَدَهُ، وكذا نَوَى المَنْزَلَ وَأَنْتَوَاهُ، وَأَنْتَوَاهُ الأَعْرَابُ فِي البُؤَادِي: تَنْقَلَهَا وَتَحَوُّهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ.

المعنى: من أَلَزَمَ نَفْسَهُ الصَّبَرَ عَلَى المَكَارِهِ وَالتَّحَمُّلَ لِلسَّادَاتِ وَالتَّجَلُّدَ عَلَى مُقَاسَاةِ المَشَقَّاتِ وَمُعَانَاةِهَا فَهَذَا لِأَبَدٍ أَنْ يَصِيرَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ يُرَافِقُهُمُ العِغْنَى حَيْثُمَا ارْتَحَلُوا وَيُقَارِئُهُمْ أَيْنَمَا نَزَلُوا، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى مَشَقَّةِ الكَدِّ وَالكَدْحِ وَالاكْتِسَابِ حَتَّى يَسْتَعِينِي، أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الرِّضَى بِهَا حَصَلَ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً حَتَّى يَحْسِبَهُ الجَاهِلُ غَنِيّاً مِنَ التَّعَفُّفِ.

١٥٣- مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الخُطَا

«مَنْ لَمْ يَقِفْ» أَي الَّذِي لَمْ يَدُمْ قَائِماً ثَابِتاً وَالَّذِي لَمْ يَحْبَسْ نَفْسَهُ، لِأَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةُ تَتَعَدَّى وَتَلْزَمُ فَيُقَالُ: وَقَفَ الرَّجُلُ وَوَقَفْتُهُ أَنَا، أَي قَامَ وَأَقَمْتُهُ، أَوْ احْتَبَسَ وَحَبَسْتُهُ، قَالَ امرؤُ القَيْسِ: [ديوانه ٨]

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فَهَذِهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِزَمًا، أَي قَوْمًا وَاحْتَبَسَا وَامْكُثَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ قِفَا دَابَّتَيْكُمَا

وَاحْتَبَسَا وَامْنَعَاهُمَا أَنْ يَمْشِيَا، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [ديوانه ٨٢١]

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعِ لَيْلَةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مَّا أَبْتُبُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
أَي حَبَسْتُ نَاقَتِي فَهَذِهِ مُتَعَدِّيةٌ، وَمَصْدَرُهَا الوُقُوفُ، وَأَمَّا اللَّزِمَةُ فَمَصْدَرُهَا الوُقُوفُ.

«عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ» أَي لَدَى تَمَامِ مِقْدَارِهِ، وَلِفظَةُ «عِنْدَ» ظَرْفٌ لِلْمَكَانِ، فَقَوْلُكَ: عِنْدَ الدَّارِ أَوْ المَسْجِدِ أَي فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ، وَتَكُونُ لِلزَّمَانِ كَقَوْلِكَ: عِنْدَ الصَّبْحِ وَعِنْدَ الشَّمْسِ، أَي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَهِيَ بِحَسَبِ مَا تَضَافُ إِلَيْهِ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ حُرُوفِ الجُرِّ إِلَّا «مِنْ»، نَقُولُ: جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، وَالأَصْلُ اسْتَعْمَالُهَا فِيمَا حَصَرَكَ أَوْ دَنَا مِنْكَ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، كَقَوْلِكَ: عِنْدِي مَالٌ فِي بَلَدِ كَذَا، ضَمَّنُوها مَعْنَى المَلِكِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: عِنْدَهُ خَيْرٌ وَمَا عِنْدَهُ شَرٌّ، وَفِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ: ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [القَصَصُ:

[٢٨ / ٢٧]، أي فمن فضلك، وتكون بمعنى الحُكْم في مثل قولك: هذا عندي خيرٌ من ذلك، أي أفضلُ منه في حُكمي.

قوله بعدُ: «عندَ انتهاءِ قدره» أي بلوغه نهايته ووصولَه إلى غايته وتمامه، يقال: انتهى الأمر، أي بلغَ إلى آخره وغايته وأقصاه، ونهايةُ الشيء ومُنتهاه: حدُّه الذي يمتدُّ هو إليه ويتَمُّ لديه، قيل: وإنما سُمي آخر الشيء نهايةً لأنَّه ينهى المحدودَ به عن أن يتعداه ويتجاوزَه مُتَمادياً إلى غيره، أي يردُّه فينتهي، أي يردُّه.

وقدره: مقداره ومُساويه، وهذا قدره ومقداره، أي مبلَّغه، وليكنْ بقدره وبمقداره، أي على قياسه، والقدر: الغنى واليسار والقوة، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦ / ٩١] أي لم يُعظموه حقَّ تعظيمه، ويقال: ما لفلان عندي قدرٌ ولا قدرٌ، أي حُرْمَةٌ ولا وقار، كما يقولون: ما له عندنا قيمةٌ، أي هو ساقطٌ من أعيننا، فلا نكثرُ له ولا نعبأ ولا نُبالي به، والقدر: الشرف والعظمة، والقدر والقدر: الوُسع والطاقة.

«تَقَاصَرَتْ عنه» أي تَشَارَكَتْ في القِصْر، وهو ضدُّ الطُول، أو في القُصُور، وهو العَجْز، ومنه تَقَاصَرَتْ الهِمَمُ، أي اشتركتْ في التلَكُّؤ في كسبِ المعالي وطلبِ تحصيلِ المفاخر، وتَقَاصَرَتْ الظُّلالُ أي تَقَلَّصَتْ وتَقَارَبَتْ وَقَلَّتْ ودنا بعضها من بعض، وتَقَاصَرَ الشخصُ أي تَضَاعَلَ وَصَغُرَ، وتَقَاصَرَ أي قَصُرَ وصار قصيراً، وتَقَاصَرَ عن كذا، أي عَجَزَ وَكَفَّ وانتهى، وتَقَاصَرَ الرجلُ: غَضَّ من طُولِ نَفْسِهِ وَأَظْهَرَ القِصَرَ.

«فَسِيحَاتُ الخُطَى» من قبيلِ إضافةِ الصفةِ للموصوفِ، كقولك: جَرْدٌ ثَوْبٌ وَسَحْقٌ عِمَامَةٌ وَخَلْقٌ جَبِيَّةٌ، وَالْفَسِيحَاتُ جَمْعُ فَسِيحَةٍ، وهي اسمُ فاعلٍ من فَسَحَ المكانُ من البابِ الخَامِسِ، كحَسُنَ وَسَهَّلَ ونحوهما، أي اتسعَ، والخُطَى جمعُ خُطْوَةٍ بالضمِّ، وهي الثُرْجَةُ بينَ القَدَمَيْنِ والفِرَاقِ بينَ الرَّجْلَيْنِ، وَأَمَّا الخُطْوَةُ بالفتحِ فهي المِرَّةُ الواحدةُ من خَطَا خَطْواً إِذَا مَشَى، وَجَمْعُ هَذِهِ خُطُواتٍ بالفتحِ، فَالخُطَى المضمومةُ جمعُ الخُطْوَةِ المضمومةِ، والمفتوحةُ للمفتوحةِ.

المعنى: مَنْ تَجَاوَزَ قَدْرَ نَفْسِهِ ضَاقَ عَلَيْهِ الْوَاسِعُ، وَمِثْلُهُ مَنْ تَعَدَّى حُدَّهُ لَمْ يَسْعُهُ مَكَانٌ كَائِنًا مَا كَانَ، وَمِثْلُهُ مَنْ وَرَدَ مَوَارِدَ غَيْرِهِ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَصَادِرُ.

١٥٤- مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ نَدَامَةً أَلْدَعِ مِنْ سَفْعِ الذِّكَا

«مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ» أَي الَّذِي فَرَّطَ وَقَصَّرَ وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْأَحْوَابِ فِي شَأْنِهِ وَلَا اسْتَوْثَقَ مِنْ أَمْرِهِ، يُقَالُ: ضَيَّعَ الشَّيْءَ، أَي أَهْمَلَهُ وَلَمْ يَتَعَهَّدَهُ حَتَّى يَفْقِدَهُ أَوْ عَدِمَهُ وَافْتَقَدَهُ، وَيُقَالُ: تَفَقَّدَ الشَّيْءَ، أَي طَلَبَهُ بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْهُ وَضَاعَ مِنْهُ، وَمِثْلُ التَّضْيِيعِ الْإِضَاعَةُ، يُقَالُ: أَضَاعَهُ وَضَيَّعَهُ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ «الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ»، وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ وَالِدِهِ حُجْرًا: «ضَيَّعَنِي صَغِيرًا وَحَمَلَنِي ثِقَلًا الثَّأْرَ كَبِيرًا»^(١).

وَالْحَزْمُ: ضَبْطُ الْأَمْرِ وَالْأَخْذُ فِيهِ بِالثِّقَةِ حَذْرًا مِنْ فَوَاتِهِ وَذَهَابِ وَقْتِ فُرْصَتِهِ وَالِاحْتِيَاظِ وَالتَّحَرُّزِ وَالتَّحَرِّيِّ، وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْحَزْمِ فَقَالَ: هُوَ أَنْ تَسْتَشِيرَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَتُطِيعَهُمْ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَازِمٌ، وَالْمَصْدَرُ الْحَزْمُ وَالْحَزَامَةُ بِالْفَتْحِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ: رَبِّمَا كَانَ مِنَ الْحَزَامَةِ أَنْ تَجْعَلَ أَنْفَكَ فِي الْحَزَامَةِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ حَزَمَ الشَّيْءَ إِذَا رَبَطَهُ وَشَدَّهُ بِالْحِزَامِ وَالْحَبْلِ وَأَحْكَمَهُ اسْتِثْقَاءً مِنَ الْمُحْزَمِ، قَالَ صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو الْخُنَسَاءِ:

أَهْمٌ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ
وَفِي الْمَثَلِ: «قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أَعْزَمُ»، أَي لَوْ صَمَّمْتُ عَلَى الْحَزْمِ لَأَتَّصَفْتُ بِهِ، وَكَذَا يُقَالُ: احْتَاظَ الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، أَي أَخَذَ بِالْأَوْثَقِ، أَي الْأَحْكَمِ، مِنَ الْوِثَاقِ بِالْكَسْرِ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ وَيُرْبَطُ بِهِ كَالْحَبْلِ وَنَحْوِهِ. «جَنَى لِنَفْسِهِ نَدَامَةً» أَي اكَتَسَبَهَا وَحَصَلَهَا وَحَازَهَا، وَالْأَصْلُ مِنَ جَنَى الْفَاكِهِةِ وَاجْتِنَاهَا إِذَا تَنَاوَلَهَا وَقَطَفَهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعِنْبَ»، وَلِلزَّمَخْشَرِيِّ:

قَطَفَ الْجَلْمَ مِنْ شَمَارِيخِ رَضْوَى وَجَنَى اللَّيْنَ مِنْ قَنَا الْحَيْزُرَانِ

(١) قوله في الشعر والشعراء: ١٠٧.

الشمايخ: عناقيد التمر أو العنب، وأيضاً رؤوس الجبال كالشنا حيب، ورضوى:
اسم جبل، واللين ضد الشدة والحشونة والصعوبة، وأيضاً نوع من النخل، ومن المجاز:
جنى العُلا، أي كسب الشرف، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ٤٠]

وكلاهما قد عاش عيشة ماجدٍ وجنى العلاء لو أن شيئاً ينفع
وقال حمزة بن بيض بالكسر، وفتح بعضهم - ابن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي:
لم تكن من جنابةٍ لحقتني لا يساري ولا يميني رمثني
بل جناها أخ علي كريمٍ وعلى أهلها براقش تجني
يقال: جنى وأجرم، أي أذنب وفعل ما يقتضي عقابه.

وقوله: «لنفسه» أي لذاته، وقوله: «نادمة» هو مصدر ندم الرجل، من الباب الرابع
كعلم إذا فعل شيئاً ثم كرهه وحزن أسفاً على فعله، وتمنى أنه لم يفعله، ومنه قول الكسعي:

ندمت نادمةً لو أن نفسي تطاوعني إذا لقطعت حمسي
وقول الفرزدق: [ديوانه ١/ ٢٩٤]

ندمت نادمة الكسعي لما غدت عني مطلقاً نواز
«الذع من سفح الذكا» أي أحرقت من لفح الجمرة الملتهبة، والذع أفعال تفضيل من
لذعه النار والحرارة أي لفته وأحرقته، ومنه لذع العشق قلبه، ولذعه بتوبيخه، قال أبو
دواد: [ديوانه ٣٥٠]

فدمعي من ذكرها مسبلٌ وفي الصدر لذع كجمر الغضا
ويقال: في قلبه لوعة ولذعة، أي حرقه من حزن أو حُب، ويُستعمل اللذع بمعنى
الإحراق الخفيف كما يكون الكي، ومنه لذع الرجل بغيره، أي وسمه.

والسفع مصدر سفعته النار والشمس والسَّموم، أي لفته وغيرت لون بشرته
وسودته، وكذا سفعته تسفيحاً، ومثل ذلك لفته النار والشمس والسَّموم، أي أثرت فيه

وأحرقته وأصابته بحرّها ووهجها، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٠٤]، ويقال لتأثير الحرّ: لفتح وتأثير البرد: نفتح.

والذّكا بالفتح: اشتعال النار واشتداد لهبها وتماّم اتقادها، والذّكا أيضاً: الجمّرة الملتهبة والنار المتقدّة، والجذوة مثلثة كذلك، وكذلك الشّهاب ككتاب والقبس بفتحتين، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَوَّاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٢٧/٧]، كل ذلك بمعنى شُعلة النار أو القطعة من الشيء الذي تضرّمت فيه النار وتوقّدت واشتعلت، ووهج النار ونحوها: توقّدها، وأيضاً حرارتها من بعد، وهب النار: لسانها.

المعنى: من ترك الاحتياط في شؤونه ولم يتحرّر إحكام أمره وضبطها والأخذ فيها بالثقة ولا قام بإصلاحها حقّ القيام ولا حافظ على ما هو الأولى تمام المحافظة ولا تعهّد أحوال نفسه بحسن تدبير وإمعان نظر وتفكير فذلك هو الذي جرّ على نفسه آلام أسفٍ وحزن وحسرة على تضييع الفرصة، وأفضى بنفسه إلى ندم إحراقه لقلبه أشدّ من إحراق الجمّرة الملتهبة والنار المشتعلة.

١٥٥ - مَنْ نَاطَ بِالْعُجْبِ عَرَىٰ أَخْلَاقِهِ نِيَطَتْ عُرَىٰ الْمَقْتِ إِلَىٰ تِلْكَ

من اسم موصول بما يتمّ معناه ومتبوع بما يظهر المراد منه، ويبيّنه ويرادفه في هذا المعنى الذي.

«ناط بالعبج عرى أخلاقه»: أي جعل طباعه مرتبطة بالكبر، يعني أنّه جعل التكبر رئيساً على سائر سجاياه ومستولياً عليها، يقال: ناط الشيء بالشيء أي علّقه به، وناط كذا بكذا أي وصله به، وهذا أصله أن يكون مستعملاً في الأجرام والأجسام، كقولهم: كل شاة برجلها سنّاط، أي ستعلّق، ويستعمل بمعنى أن كلّ جانٍ يؤخذ بجنايته، وكقولهم: عرق منّا عذار الفرس، أي عرق منه الموضع الذي يُعلق فيه العذار، وقال رفاع بن قيس الأسدي:

بِلاَدٍ بِهَا نِيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا
وَرِقَاعُ صَاحِبِ هَذَا الْبَيْتِ لَمْ أَعْثُرْ عَلَى نَقْلِ فِي ضَبْطِ اسْمِهِ، وَهَلْ هُوَ بِالْفَاءِ أَوْ بِالْقَافِ،
وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ بِالْقَافِ وَعَلَى وَزْنِ كِتَابِ، وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا مَاتَ لَمْ تُفْلَحْ مُزِينَةٌ بَعْدَهُ فَنُوطِي عَلَيْهِ يَا مُزِينُ التَّمَائِمَا
وَيُطْلَقُ النَّوْطُ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ نَاطَهُ عَلَى مَا يُعْلَقُ بِحِمْلِ الدَّابَّةِ مِنْ قَرِيبَةٍ أَوْ قَدَحٍ أَوْ
نَحْوِهِمَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: إِنَّ أَعْيَانَ الْبَعِيرِ فِرْدَهُ نَوْطًا، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: إِنَّ ضَجَّ فِرْدِهِ وَقْرًا،
وَكَقَوْلِهِمْ: إِنَّ جَزَجَرَ فِرْدَهُ ثِقْلًا، أَيْ لَا تَخَفَّفْ عَنْهُ إِذَا تَلَكَّأَ فِي الْمَسِيرِ، وَجَمْعُ النَّوْطِ أَنْوَاطٌ،
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ، أَيْ مَتَنَاوِلٌ وَلَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ مَعْلَقٌ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: تَجَشَّأَ لُقْمَانُ
مِنْ غَيْرِ شِبَعٍ، وَنَحْوُهُ كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ، أَيْ يَتَبَجَّحُ بِمَا لَيْسَ لَهُ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ النَّوْطُ فِي
الْمَعَانِي كَمَا فِي بَيْتِ النَّازِمِ، وَكَقَوْلِهِمْ: هَذَا الْأَمْرُ مَنُوطٌ بِكَذَا كَمَا يُقَالُ: هَذَا الشَّيْءُ مَعْلَقٌ
الْحَكْمُ عَلَى كَذَا، وَيُقَالُ: فَلَانٌ مَنُوطٌ بِالْقَوْمِ، أَيْ يَنْتَسِبُ وَيَتَمَيَّئُ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ دَخِيلٌ دَعِيٌّ
فِيهِمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ: [ديوانه ٢١٦]

وَأَنْتَ دَعِيٌّ نِيْطُ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيْطُ خَلْفَ الرَّابِكِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ
وَالْعُجْبُ بَضْمٌ فَسَكُونٌ هُوَ الْكِبْرُ وَالزَّهْوُ، مِنْ أَعْجَبَ الرَّجُلُ بِرَأْيِهِ وَبِنَفْسِهِ إِذَا
اسْتَحْسَنَ مَا يَبْدُو مِنْهُ وَلَوْ كَانَ قَبِيحًا، فَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ، بَضْمٌ الْمِيمُ وَفَتْحٌ الْجِيمُ عَلَى صِيغَةِ
الْمَفْعُولِ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْفَاعِلِ، بِمَعْنَى الْمُتَكَبِّرِ، وَمِثْلُهُ «زُهْيُ الرَّجُلِ» بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فَهُوَ
مَزْهُوٌّ، أَيْ صَاحِبُ زَهْوٍ، وَالزَّهْوُ: الْكِبْرُ وَالتَّيُّهُ وَالْفَخْرُ وَالْعِظْمَةُ، وَقَدْ يُقَالُ: زَهَا يَزْهُو
بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ، أَيْ تَكَبَّرَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانٌ أَزْهَى مِنْ غَرَابٍ، وَأَزْهَى مِنْ وَعَلٍ وَأَزْهَى
مِنْ طَاوُوسٍ وَأَزْهَى مِنْ ضَيَّونٍ، أَيْ قَطٌّ وَسَنُّورٌ، وَأَزْهَى مِنْ دِيكٍ وَمِنْ دُبَابٍ وَمِنْ ثُورٍ
وَمِنْ ثَعْلَبٍ، وَيَا وَيْلَهُ مَا أَزْهَاهُ، أَيْ مَا أَشَدَّ تَكَبُّرَهُ وَتَغَطُّرَتَهُ.

وَالْكَبْرُ بِكسْرِ فَسَكُونٍ: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ وَاسْتِحْسَانُهُ لِأَعْمَالِهِ وَتَوَهُُّمُهُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ

غيره وأفضل من سواه، وفعله تكبر واستكبر، أي رأى نفسه كبير الشأن وادعى أنه من الكُبراء، وأعجبه حاله، وتشوّف إلى ما فوق منزلته.

«عَرَى أَخْلَاقِهِ» جعلَ للأخلاقِ عَرَى على سبيلِ المجاز، وإِنَّمَا حَقِيقَتُهَا ما يُجْعَل كالحلقة من خيوط أو جبال أو نحوهما ليناظ بها شيءٌ آخر كالأواخي والرَّبْق والآخرَج والجوالات^(١) ونحوها من الأوعية التي تُجعل لها العرى، ومنه «لا تُشَدُّ العرى إلا إلى ثلاثة مساجد».

ويقال لما تدخل فيه أزرارُ القميص ونحوه العرى، والعَرَى أيضاً: آذان الكؤوس والكيزان ونحوهما، وعُرْوَةُ الدَّلْو: التي يُحمل منها.

«أَخْلَاقِهِ» أي طِبَاعِهِ وسجاياه وغرائزه، يعني أوصاف النفس ونعوتها وما تتلبس به، ومنه الحديث: «بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق»، و«إِنَّ العبدَ ليدرك بحُسن خُلُقِهِ درجة الصائم القائم» [أبو داود ٤٧٩٨]، و«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا» [أبو داود ٤٦٨٢]، و«اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي».

«نَيْطَتْ عَرَى الْمُقْتِ إِلَى تِلْكَ الْعَرَى» يقال: مَقَّتَهُ مَقْتًا أي أَبْغَضَهُ وَكَرِهَهُ وَقَلَاهُ، وهو من الباب الأول كنصر، ومَقَّتَ الرجل من الباب الخامس كسَمَج، أي اشتدَّ بَغْضٌ غيرَه له، وخصَّ بعضهم المَقْتَ بالبُغْضَ لأمْرٍ قبيح ارتكبه الممقوت، ومنه نكاح المقت، وهو أن يتزوج الرجل خالته امرأةً أبية بعد موته عنها أو طلاقه لها، وهو المنهيُّ عنه تحريمًا في التنزيل العزيز بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَجْشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢/٤].

المعنى: مَنْ غَلَبَ طَبِيعُ الكِبَرِ على سائر طباعه حتى صار التجبُّرُ مناطَ أخلاقه ودَعْوَى

(١) الأواخي: جمع أخیة، عود تشد إليه الدابة. والرَّبْق: هو الخيط، الواحدة رَبْقَةٌ. والجوالات: مفردها جوالق: وعاء، معرب.

العظمة مَرَجَعَ أوصافه واستحكم فيه داءُ الكبرياء النَّفْسَانِيَّ وتمكَّن منه تمكَّنَ المربوط من رباطه والمشدود من وثاقه، فذلك رجلٌ لا بدَّ أن ينضمَّ إلى أوصافه سقوطه من أعين الناس وكراهتهم له وبُغضهم إياه لشدة قُبْح ما ارتكبه من رذيلة الكبرياء النفسانيِّ والتعاضم الذميمة الشيطانيِّ وسوء الخُلُق الإِبليسِيِّ.

١٥٦ - مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطَتِهِ أَعْبَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بَلْهَ الْقُصَى

«مَنْ طَالَ» أي: امتدَّ وارتفعَ وازداد طُولاً، أي: صارَ طويلاً، ويقال: طاوَلَه فطالَه يَطْوُلُه أي: غالبَه في الطُّول فغلبَه، وطالَ عليهم، أي أحسنَ إليهم، من الطُّول بالفتح، وهو الفضل، وطاوَلَه، أي: غلبَه في الطُّول، وهو الفضل وزناً ومعنى، ومنه «هو غيرُ طائلٍ»، أي: غيرُ فاضلٍ ولا طائلٍ تحته، وما حَلِيْتُ منه بطائلٍ ولم أحلَّ منه بطائلٍ، أي: لم أنفَع به ولم أستفد منه فائدة، ولا يُتكلَّم به إلا منفيّاً هكذا، فلا يقال: حَلِيْتُ منه بطائلٍ، ولا أحلَّ منه بطائلٍ، والمرادُ من قوله: طالَ، أي زادَ وتمادى وتجاوز وتعدَّى.

«فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطَتِهِ»: فوق: ظرف مكان نقيض تحت، وأصله للاستعلاء الحُكْمِيّ، ومعناه الزيادة كالعشرة فوق التسعة، أي: تزيد عليها، وهذا فوق ذاك، أي: زائد في الفضل عليه، وقوله تعالى: ﴿بِعُوضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦/٢]، أي فما زاد عليها في الصَّغَر كالذرة أو في الكِبَر كالذباب.

والمُنْتَهَى له ثلاثة معانٍ، فيكون بمعنى الانتهاء، وبمعنى مكانه، وبمعنى زمانه، وفعله انتهى ينتهي، أي: بلغ النهاية ووصل إلى الغاية، والنهاية والغاية والمدى آخر الشيء وطرفه الأقصى، قيل: سمي نهايةً لأنه ينهي المحدود به عن تجاوزه، أي: يكفُّه عن التماذي، فينتهي به، أي يقف عنده ويكفُّ عن تعدّيه.

والبَسْطَةُ: السَّعة والفضل والزيادة والطُّول والفضيلة، ويجوز قلب السين من البسطة صاداً لقرب مخرجها من جارتها الطاء، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ ﴿[البقرة: ٢٤٧/٢]، كما قُرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢/٨٨]، والبَسْطَةُ فِي الْعِلْمِ: التَّوَسُّعُ فِيهِ، وَفِي الْجِسْمِ: تَمَامُهُ وَكَمَالُهُ وَطَوْلُهُ وَعِظْمُهُ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ صِيغَةُ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ بَسَطَ الثَّوْبَ وَالْفِرَاشَ وَالْحَصِيرَ وَنَحْوَهَا إِذَا نَشَرَهَا وَمَدَّهَا، وَضَدُّهُ طَوَّأَهَا، وَيُسْتَعْمَلُ الْبَسَطُ بِمَعْنَى التَّوَسُّعِ، فَيُقَالُ: بَسَطَ اللَّهُ الرَّزْقَ، أَي: وَسَّعَهُ، وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْمَسَرَّةِ، فَيُقَالُ: بَسَطَهُ، أَي: سَرَّهُ وَفَرَّحَهُ، وَيُقَالُ: بَسَطَ يَدَهُ بِالْعَطَاءِ، أَي: مَدَّهَا، وَالْأَرْضُ: الْبَسِيطَةُ، فَعَيْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، أَي: مَمْدُودَةٌ وَمَفْرُوشَةٌ، وَكَذَا الْبِسَاطُ بِمَعْنَى الْمَبْسُوطِ، أَي: الْمَمْدُودِ، كَالْكِتَابِ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ.

«أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا» أَي: لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْقَرِيبَةِ، يُقَالُ: أَعْجَزَهُ الْأَمْرُ إِذَا فَاتَهُ تَحْصِيلُهُ، وَأَعْجَزَهُ: أَي: أَضْعَفَهُ وَقَصَّرَ بِهِ عَنِ حُقُوقِهِ، وَأَعْجَزَهُ: صَيَّرَهُ عَاجِزًا وَجَعَلَهُ مَقْصُرًا، وَأَعْجَزَهُ الْأَمْرُ تَعَسَّرَ وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُهُ، وَأَعْجَزَهُ كَأَعْوَزَهُ وَزَنًا وَمَعْنَى، إِلَّا أَنْ أَعْوَزَهُ تُشْعِرُ بِشِدَّةِ الْحَاجَةِ، وَكَأَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِكَ: أَعْجَزَنِي الْأَمْرُ أَي: صَيَّرَنِي فِي عَجْزِهِ، أَي: فِي آخِرِهِ، مِنْ عَجَزَ الْإِنْسَانُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ وَرِكَئِهِ، وَالْعَجْزُ اسْمٌ لِلْقُصُورِ عَنِ فِعْلِ الشَّيْءِ، وَهُوَ ضِدُّ الْقُدْرَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ أَيْضًا بِمَعْنَى التَّوَانِي فِي الْأُمُورِ وَقِلَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَإِهْمَالِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا ضِدًّا الْحَزْمِ وَالِاحْتِيَاظِ، وَيُقَالُ: عَجَزَ عَنِ الشَّيْءِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي كَضَرَبَ، وَقَصَّرَ عَنْهُ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ كَنَصَرَ، أَي: ضَعُفَ عَنِ تَحْصِيلِهِ حَتَّى فَاتَهُ، وَذَهَبَ عَلَيْهِ وَقْتُ فِعْلِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَيَّ بِهِ وَعَيَّ عَنْهُ إِذَا عَجَزَ وَأَعْيَاهُ، وَأَعْيَاهُ عَلَيْهِ، أَي: اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ وَأَعْجَزَهُ، وَلَمْ يَهْتَدِ لِلْوَصُولِ إِلَيْهِ.

«وَنَيْلُ الدُّنَا» النَّيْلُ: مَصْدَرُ نَالَ الشَّيْءَ يَنَالُهُ، أَي: حَوَاهُ وَحَازَهُ، يُقَالُ: نَالَ مَطْلُوبَهُ، أَي: أَصَابَهُ وَأَنَالَهُ إِيَّاهُ، أَي: أَوْصَلَهُ إِلَى نَيْلِهِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ. وَالدُّنَا: جَمْعُ الدُّنْيَا، وَهِيَ تَأْنِيثُ الْأَذْنَى، وَهُوَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ مِنْ دَنَا يَدْنُو، أَي: قَرَّبَ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الدُّنْيَا لِدُنُوِّهَا، أَي: قُرْبِهَا كَمَا سُمِّيَتِ صَرَّتُهَا الْآخِرَةُ وَالْآخِرَى لِتَأْخُرِهَا وَبُعْدِهَا،

ونظيرُ هذا الجمع أعني الدنيا والدُّنَا قولهم: الكُبْرَى والكُبْر والأولى والأول، قال المتنبي:

[ديوانه ١/١٩٣]

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٍ سَابِحٍ وَخَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ
وقيل: أراد الدنيا فخففها بحذف الياء، ونقلَ حركتها إلى النون.

«بَلَّةُ الْقَصَى»، بَلَّةٌ: بفتح فسكون ففتح تكون بمعنى الأمر بالترك، أي: دَعُ واترك،
وتكون بمعنى مصدره، أي تَرَك، وتكون بمعنى كيف، قيل: وتكون بمعنى غير وسوى،
وتكون بمعنى أَجَل، أي نَعَم، وتكون بمعنى على، ولم أرَ شاهداً يُؤيد هذا المعنى الأخير،
وفي المثل «تُحْرِقُكَ النَّارُ أَنْ تَرَاهَا بَلَّةً أَنْ تَصْلَاهَا»، وفي الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي
الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلَّةً مَا أَطَّلَعْتُمْ عَلَيْهِ»
[البخاري: ٧٠٦٥].

وَالْقَصَى: ضِدُّ الدُّنَا، جَمْعُ قُصْوَى وَقُصْيَا، وَهِيَ: الْغَايَةُ الْبَعِيدَةُ، وَمَذَكَّرَهَا الْأَقْصَى،
أَي: الْأَبْعَدُ، وَفَعَلَهَا مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ.

المعنى: مَنْ تَجَاوَزَ نَهَايَةَ وَسَعِهِ، وَتَعَدَّى غَايَةَ قُدْرَتِهِ، وَتَخَطَّى أَقْصَى سَعَتِهِ وَزَادَ عَنْ حَدِّ
فَضْلِهِ، مَتَمَادِيًّا عَلَى مَا لَغِيْرِهِ وَخَارِجًا عَنْ دَائِرَةِ حَقِّهِ وَمَرْتَفِعًا إِلَى مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ فَذَاكَ هُوَ
الَّذِي يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ تَحْصِيلُ الْمَطَالِبِ السَّهْلَةِ الْهَيِّئَةِ الْقَرِيبَةِ فَضْلًا عَنِ الصَّعْبَةِ الْبَعِيدَةِ، وَهَذَا
كَقَوْلِ النَّازِمِ أَنْفَاءً:

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخَطِيئِ
وَكَقَوْلِكَ: مَنْ تَعَدَّى حَدَّهُ، وَكَلَّفَ نَفْسَهُ فَوْقَ مَا تُطِيقُ، ضَاقَ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ، وَاشْتَدَّ بِهِ
الْبَلَاءُ، وَالْمَعْنَى: لَا يَسْعُكَ إِلَّا مَا لَكَ، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِهِ وَجَمَحْتَ بِكَ نَفْسُكَ إِلَى اقْتِحَامِ مَا
لَيْسَ لَكَ، ضَاقَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا بِمَا رُحِبْتَ، بِمَعْنَى أَنَّكَ حَيْثُ لَا تَزَالُ مَقْبُوضًا.

١٥٧ - مَنْ رَامَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ طَوْقُهُ مَلْعَبٌ يَوْمًا أَضَ مَجْزُولَ الْمَطَا

وفي بعض النسخ «مخزول»^(١) المطا» بالخاء بدل الجيم، ومؤداهما واحد.

«مَنْ رَامَ»: أي: الذي طلب، يقال: رامه وطلبه وأراده، ومعناه: حاول وجوده والحصول عليه راغباً فيه. «ما يَعْجِزُ عَنْهُ طَوْقُهُ»، أي الذي يَقْصُرُ عَنْهُ جُهِدُهُ، وَيَضْعُفُ عَنْهُ وَسُعُهُ، يقال: عَجَزَ عَنْهُ، وَعَيَّ بِهِ، وَضَعَفَ عَنْهُ، وَقَصَرَ عَنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، كَمَا يُقَالُ: لَا طَوْقَ وَلَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، وَلَا قِبَلَ لَهُ بِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ وَلَا اسْتَطَاعَةَ، وَفَعَلَ الْعَجْزَ عَجَزَ يَعْجِزُ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي كَضَرَبَ.

وَالطَّوْقُ وَالطَّاقَةُ: الْوُسْعُ وَالْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجُهْدُ وَالِاسْتَطَاعَةُ، وَهُوَ اسْمٌ لِمِقْدَارِ مَا يُمَكِّنُ فِعْلَهُ، يُقَالُ: طَاقَهُ يَطُوقُهُ طَوْقًا مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ كَنَصَرَ، وَأَطَاقَهُ يُطِيقُهُ إِطَاقَةً مِنَ بَابِ الْإِفْعَالِ، وَالِاسْمُ الطَّاقَةُ، وَمِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ: «فِي عُنُقِي مِنْ نِعْمَتِهِ طَوْقٌ مَالِي بِأَدَاءِ شُكْرِهِ طَوْقٌ»، وَالطَّوْقُ الْأَوَّلُ الْقِلَادَةُ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ: «سَبَّ عَمْرُو عَنِ الطَّوْقِ»، وَيُرْوَى «كَبْرٌ» بَدَلَ سَبَّ، وَالثَّانِي الطَّاقَةُ.

«مِلْعَبٌ»: أَصْلُهُ مِنَ الْعِبَاءِ، أَي: مِنَ الْحِمْلِ، فَحُذِفَتِ النُّونُ تَخْفِيفًا، وَنَحْوُهُ بَلْحَارِثٍ فِي بَنِي الْحَارِثِ، وَعَلِمَاءٌ فِي عِلَى الْمَاءِ، وَمَرَّ عَلَقُومٌ، أَي: عَلَى الْقَوْمِ، وَرَمَيْتُ السَّهْمَ عَلَقُوسًا، أَي: عَنِ الْقَوْسِ، وَهِيَ أَنَا مَبْتَدِئٌ مِلْآنَ، أَي: مِنْ الْآنَ، أَي: مِنْ هَذَا الْوَقْتِ، وَالْعِبَاءُ: بِكْسَرٍ فَسُكُونٍ كَالْحِمْلِ وَالثَّقْلِ وَالْوَقْرَ وَزَنًا وَمَعْنَى وَجْمَعًا، فَيُجْمَعُ الْكُلُّ عَلَى أَفْعَالٍ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي عِظَائِمِ الْأُمُورِ، فَيُقَالُ: فَلَانٌ يَهَاضُ بِأَعْبَاءِ الْقَوْمِ، أَي: قَائِمٌ بِشُؤْنِهِمْ، قَالَ زَهَيْرٌ:

[ديوانه ٦٦]

الحامل العيب الثقل عن الـ جاني بغير يدٍ ولا شكرٍ

وقال تأبط شراً: [ديوانه ٢٤٨]

قدف العيب عليّ وولّي أنا بالعيب له مُسْتَقِيلٌ

(١) في شرح ابن هشام: ٣٩٨ «مخزول».

يقال: استقلَّ بأمِّره، أي: قدَّر على القيام به، وفلان مستقلُّ بنفسه، أي: ضابطٌ لأمره.
«يَوْمًا»: ظرفُ زمانٍ منصوبٌ إمَّا بقوله: رامَ، وإمَّا يَعْجِزُ، أي: مَنْ رامَ يوماً ما، أو يَعْجِزُ يوماً ما، واليومُ زمانٌ مقداره من طُلوعِ الفجرِ أو الشمسِ إلى غروبها، وعند المنجمين من الطلوعِ إلى الطلوعِ، أو من الغروبِ إلى الغروبِ، ويُستعملُ بمعنى الوقتِ والزمانِ مطلقاً نهاراً أو ليلاً، ولذلك يقولون: يومئذٍ وحينئذٍ وساعتئذٍ بمعنى وقتئذٍ، ويُستعملُ اليومُ بمعنى الدهرِ وبمعنى الدولةِ وزمنِ الولايةِ، وقولهم: أيامُ العربِ أي: وقائعهم، وأيامُ الله: نعمته وإحساناته، أو نِقْمته وابتلاءاته، ويقال: يومُ أيومٍ، ويومٌ وويومٌ ككتفٍ فيهما، والثانيةُ غريبةٌ نادرةٌ، ويومُ ذو أيامٍ وذو أيأويمٍ، أي شديد هائل لطول شرِّه.

«آضٌ» أي: صار ورجع وعاد وتحوَّل، ومنه قولهم: أيضاً في نحو فعله أيضاً، وقاله أيضاً، أي: معاوداً ومكرراً، وأصله مصدرٌ آضٌ يَيْضُ، ومنه آضٌ سوادٌ شعره بياضاً، تقول: جبرَه ثم كسره أيضاً حتى هاضَ هَيْضاً، وتقول: كما أن المرأةَ تَحِيضُ حَيْضاً فكذلك الأرنَبُ تَحِيضُ أيضاً.

«مَجْزُولُ الْمَطَا» أي: مقطوعَ الظَّهرِ، أو مكسورَه أو مجروحَه، يقال: جَزَلَه يَجْزِلُه من البابِ الثاني كضَرَبَ، أي: قطعَه، والجِزْلَةُ كالقِطْعَةِ وزناً ومعنىً، فعلى هذا المجزولُ هو المقطوعُ، والمجزولُ أيضاً: البعيرُ الذي جَزَلَ القَتْبُ غارِبَه، أي: أذْبَرَه وجرحَه، ومنه قول جرير: [ديوانه ٤٧٤]

مَنَعَ الأُخَيْطَلَ أَنْ يُسَامِيَ عَزَّنَا شَرَفُ أَجَبِّ وَغَارِبُ مَجْزُولُ
يقال: سَنَامُ أَجَبِّ، إذا أكله القَتْبُ، والقَتْبُ للبعيرِ كالإِكافِ والبرْدُعةِ للحمارِ والسَّرْجِ للفرسِ والجُلِّ للدابةِ، ويقالُ للقَتْبِ أيضاً: رَحْلٌ، والغارِبُ: أعلى الظَّهرِ ومقدَّمُ السَّنَامِ، ومنه قيلُ لأعلى كلِّ شيءٍ: غارِبُه، وجمعه غَوَارِبٌ. فعلى هذا المَجْزُولُ المَجْرُوحُ المَقْرُوحُ، أي الذي خرجتُ القُرُوحُ من جسمه، وهي الجراحاتُ، وأما المَخْزُولُ بالخاءِ والزايِ فمعناه

المكسور الظهر، وهو المقطوع أيضاً، يقال: خَزَلَهُ من الباب الأول كَنَصَرَ فَاخْزَلَ، أي: قَطَعَهُ فَاخْزَلَ، ومنه قول الأعشى: [ديوانه ٥٥]

إِذَا تَقُومُ يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ

أَي يَنْقَطِعُ مِنْ شِدَّةِ رَقَّتِهِ. وَالْمَطَا: الظَّهْر، وَمِنْهُ امْتَطَى الْبَعِيرَ، أَي: رَكَبَهُ وَعَلَا مَطَاهُ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الدَّابَّةِ مَطِيَّةً، وَمِنْهُ تَمَطَّى إِذَا مَدَّ مَطَاهُ.

المعنى: مَنْ طَلَبَ مَا يَقْلُ عَنْهُ احْتِمَالُهُ، وَتَضَعُفُ عَنْهُ قُدْرَتُهُ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ حِمْلًا لَا تُطِيقُهُ وَلَا تَسْتَطِيعُ حِمْلَهُ وَلَا تَسْتَقِلُّ بِهِ، فَذَلِكَ لَا بَدَأَ أَنْ يَصِيرَ مَكْسُورَ الظَّهْرِ، أَوْ مَجْرُوحَهُ لِثِقَلِ ذَلِكَ الْحِمْلِ، وَالْمَعْنَى مَنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ فَوْقَ وَسْعِهَا تَضَعُضَعَ وَسَاءَ حَالُهُ وَضَعُفَ وَلَا نَتَ قَنَاتُهُ، وَمُؤَدَّى هَذَا الْبَيْتِ كَمُؤَدَّى الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

مَنْ طَالَ فَوْقَ مُتَّهَى بَسْطَتِهِ أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بَلَاءَ الْقُصَى
وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ النَّازِمِ قَبْلَهُ بِيَتَيْنِ:

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخَطِيئِ
وَإِنَّمَا كَرَّرَ مَا يُوَدِّي هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ تَمَّاسْتَحَقُّ الْإِطْنَابَ حَتَّى يَرَسَخَ فِي ذَهْنِ سَامِعِهِ، وَيَتِمَكَّنُ مِنْهُ تَمَكُّنًا يَدْعُوهُ لِاسْتِحْضَارِهِ دَائِمًا وَإِمْعَانِ النَّظَرِ فِيهِ.

١٥٨ - وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمُرُ عَنَى

«وَالنَّاسُ»: الْوَاوُ كَمَا تَكُونُ لِلْعَطْفِ تَكُونُ لِلِاسْتِنَافِ، أَي لِلْإِبْتِدَاءِ كَمَا هُنَا، نَحْوُ قَوْلِهِمْ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبِ اللَّبْنَ، عَلَى رَفْعِ «تَشْرَبِ»، أَي: وَأَنْتَ تَشْرَبُهُ إِنْ شِئْتَ، وَشْرَبُهُ سَائِعٌ لَكَ، وَلَفْظُ النَّاسِ جَمْعُ إِنْسَانٍ أَوْ إِنْسٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: أَصْلُهُ أَنَسٌ فَخُفِّفَ بِحُذْفِ أَوَّلِهِ، وَقِيلَ: أَصْلُهُ النَّاسِي ثُمَّ حُذِفَ آخِرُهُ، وَمَعْنَاهُ الْبَشَرُ، وَهُمْ بَنُو آدَمَ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْجِنِّ أَيْضًا كَالرِّجَالِ، فَيُقَالُ: نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ وَرِجَالٌ مِنْهُمْ، قِيلَ: وَأَصْلُهُ مِنَ النَّسْيَانِ، ضِدُّ الْحِفْظِ وَالذِّكْرِ، وَقِيلَ: مِنَ الْأَنْسِ وَالْإِنْسَانِ، ضِدُّ الْوَحْشَةِ وَالْإِيحَاشِ،

وقيل: من ناسٍ يَنُوس إذا تحرَّك، ويُجمع الإنسانُ أيضاً على أناسيٍّ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَناسٍ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩/٢٥]، ومن سَجَعات الأساس: لقيتُ الأناسيَّ فلا مثل له ولا سبيٍّ، أي ولا نظيرٍ، والواحد إنسيٌّ، ومن ذلك قولهم: إذا جاء الليلُ استأنَسَ كلُّ وحشيٍّ واستوحشَ كلُّ إنسيٍّ.

«ألفٌ منهم كواحدٍ»، الألف: اسمٌ عدد معيَّن، وهو عشرٌ مئات، أي: إذا تكرَّرت المائة عشر مراتٍ صارت ألفاً، والواحدُ مبدأُ العدد وأساسه وأوله، وهو الذي لا يمكن تقسيمه إلى غير الكسور بخلاف غيره، فإنه يمكن تقسيمه إلى ما لا كسر فيه، ومعنى «ألفٌ منهم كواحدٍ» أي: قد يوجد ألفُ رجلٍ من الناس لو جمعت مزاياهم وقواهم وخواصَّهم لما زادتْ على ما ينبغي أن يكون في الرجل الواحد، وضدُّ هذا قوله: «وواحدٌ كالألف»، أي: وقد يوجد رجلٌ واحدٌ بلغ من الفضل والكمال، وعلوِّ المنزلة وسُمُوِّ المكانة وعظم الرِّفعة، وجزالة الرأي وأصالة العقل وتوقُّد الذهن وجودة الذكاء والفطنة مع التضلُّع من العلوم والمعارف، والاضطلاع بعظائم الفضائل والمكارم وُضروب المفاخر والمعالى حتى صار يوازي ألف إنسان بما فيه من خصائص الإنسانية، فلو جمعت المعاني الفاضلة الموجودة عند ألف إنسانٍ لكانت بمثابة ما عنده، ولو فُرِّق ما عنده على ألف إنسانٍ لو سَعَّهم وكفاهم، وأبلغ من هذا قول الشاعر: [ديوان أبو نواس ٣٤٩]

ليس على الله بمُستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ

«إن أمرٌ عنى»، أي: إذا طرأ شأنٌ مهمٌّ، ولما كانت مادة عنى واوية يائية رأيتُ الأولى أن أُبين كلاًّ منها على حدة مقتصرأ على ما يليق بهذا المقام، يقال: عنَّا به أمرٌ يعنو أي: نزل به، وعنَّا عليه يعنو، أي: صعبَ وشقَّ عليه، وعنَّا يعنوه: أهمَّه وأزعجه وأقلقته، فهذا ما ورد من الواويِّ ممَّا نحن بصدده، وأما اليائيُّ فيقال: عناه الأمرُ يعنيه أي: عرَّض له وشغله، وعناه الأمرُ يعنيه أي: أهمَّه وعنَى به يعنى أي: حدَّث له ونزل به، وعناه الأمرُ

يَعْنِيهِ أَي: قَصْدَهُ، وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى حَدَّثَ لَهُ وَنَزَلَ بِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [عبس: ٣٧/٨٠]، مضمومُ الياءِ بالغينِ المعجمةِ، أَي: يَكْفِيهِ وَيَكْفِيهِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بغيرِهِ، وَقُرِئَ «يَعْنِيهِ» مَفْتُوحًا بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ، أَي: يَهْمُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، أَي: مَا لَا يَقْضُدُهُ وَلَا يَحْدُثُ لَهُ وَلَا يَنْزِلُ بِهِ وَلَا يَهْمُهُ وَلَا يَشْغَلُهُ، فَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَصْلُحُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَوْلُ مُرَرَّدِ أَخِي الشَّيْخِ:

وَشَقَى عَلَى أَمْرِي وَعَنَا عَلَيْهِ تَكَالَيْفُ الَّذِي لَنْ يَسْتَطِيعَا
وَعَنَا عَلَيْهِ أَي: صَعَبَ وَتَعَسَّرَ، وَقَوْلُ الْآخَرِ:

لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ خَلِيلِي إِنَّهُ مَا عَنَّاكَ قَدَمًا عَنَّا
أَي: مَا شَعَلَكَ أَوْ مَا نَزَلَ بِكَ أَوْ مَا أَهَمَّكَ، وَقَوْلُ الْآخَرِ:

إِنَّ الْفَتَى لَيْسَ يَعْنِيهِ وَيَقْمَعُهُ إِلَّا تَكَلَّفَهُ مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ
أَي: لَيْسَ يَشُقُّ وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ إِلَّا تَكَلَّفَهُ مَا لَيْسَ يَقْضُدُهُ، أَي: مَا لَا يَكُونُ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِ، وَإِنَّمَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ إِيَّاهُ اعْتِبَاطًا بِلَا سَبَبٍ، وَهَذَا هُوَ الْفَضُولِيُّ.

المعنى: بين الناس اختلافٌ في الدرجات، ولهم طبقاتٌ متفاوتةٌ ومراتبٌ متباينةٌ ومنازلٌ متغايرةٌ، وبينهم الأعلى والعالِي والمتوسِّطُ والسافلُ المتسفلُ، وقد فضَّلَ اللهُ بعضَهم على بعضٍ، ورفعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ، حتى إنَّ منهم مَنْ يُغْنِي غِنَاءَ الْأَلْفِ، وَيَقُومُ مَقَامَهُمْ وَيَنُوبُ عَنْهُمْ، إِذَا عَرَضَ أَمْرٌ مَهْمٌ وَشَأْنٌ مَزْعَجٌ، فَكَأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ خِصَائِصَ أَلْفِ رَجُلٍ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَوْجَدُ أَلْفُ رَجُلٍ وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بَحِيثٍ لَوْ اجْتَمَعَتْ مَزَايَاهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ لَكَانَتْ غَيْرَ زَائِدَةٍ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّهُ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدُ مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى وَفَضَّلَهُمْ تَفْضِيلًا.

١٥٩- وَلِلْفَتَى مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا اقْتَنَى

«وَلِلْفَتَى»: أَي وَلِلْإِنْسَانِ، وَأَصْلُ الْفَتَى فِي اللُّغَةِ: الشَّابُّ الْحَدِيثُ السِّنِّ، وَهُوَ فِي

الأصل مصدر فَتَى يَفْتِي من الباب الرابع كَعَلِمَ، أي صار شَابًّا، وكذلك فَتَوْ يَفْتُو من الباب الخامس كَحَسَّنَ، ومصدر هذا الثاني الْفَتَاءُ بالمدِّ، واسمُ الفاعل الحقيقي فَتِيٌّ على وزن غَنِيٍّ، وكلُّ من الفَتَى والفَتِيَّ يُسْتَعْمَلُ بمعنى الشَّابِّ الْحَدَثِ، غيرَ أنَ الفَتَى بالفتح مقصوراً أكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ في الإنسان، والفَتِيَّ على وزن فَعِيلٍ أكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ في الحيوان، قال الشاعر:

إذا عاش الفَتَى مائتين عاماً فقد ذهب اللذائذُ والفتاءُ
وقال الآخر:

إنَّ الفَتَى حَمَّالٌ كُلُّ مُلَمَّةٍ لَيْسَ الفَتَى بِمُنْعَمِ الصَّبِيَّانِ
وقال ابنُ هَرَمَةَ: [ديوانه ١٤٥]

قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى وِرْدَاؤُهُ خَلَقُ وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٌ
ويُطْلَقُ الفَتَى على الرجلِ الكاملِ العظيمِ وعلى السخيِّ الكريمِ، ومنه قولهم: «لا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ»، قال الشاعر:

وإنَّ فَتَى الفَتِيَّانِ مَنْ رَاحَ أَوْ عَدَا لِيُضِرَّ عَدُوًّا أَوْ لِيُنْفَعَ صَدِيقًا
ويُطْلَقُ الفَتَى على العَبْدِ والمملوكِ، والْفَتَاءُ على الجارية والأمة، كما يقال لهما: «الغلام والغلامة»، ولعلَّ أصله أن يُوصَفَا بالقُوَّةِ والنشاطِ في الخدمة، فيقال: فتىَّ وفتاةً مدحاً لهما بذلك، ثم غلبَ عليهما، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ١٨/٦٠]، وفيه أيضاً: ﴿تَرَوْدِفَنَّهُا عَن نَّفْسِيْهِ﴾ [يوسف: ١٢/٣٠]، وفيه أيضاً: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانًا﴾ [يوسف: ١٢/٣٦]، وفيه أيضاً: ﴿وَقَالَ لِفَتِيْبِهِ﴾ [يوسف: ١٢/٦٢]، وفيه أيضاً: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٨/١٠]، وفيه أيضاً: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٨/١٣].

«من ماله»: المال هو الذي يُمْلِكُ مطلقاً، ويستشهد بعضهم على جواز تأنيثه بقول

حسان: [ديوانه ٣٨٣]

المال تُزري بأقوامٍ ذوي حَسَبٍ وقد تُسودُّ غيرَ السَّيِّدِ المالِ
قال ابن الأثير: «المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كلِّ ما
يُقتنى، وأكثر ما يُطلق عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم».

«ما قَدَمَتْ يَدَاهُ»: أي الذي أمضاه وأنفذه وقضاه، والمصدر: التقديم، وهو ضدُّ
التأخير، وإنما أُسندَ إلى اليدين لأنها الأصل في مباشرة الأشياء والتصرف بها، ونحوه:
«هذا ما جَتَّتْ يَدَاكَ، وهذا ما كَسَبْتَهُ يَدَاكَ»، وكذلك قولهم في التوبيخ: «يَدَاكَ أَوْكَنَا وَفُوكَ
نَفَخَ»، ومن ذلك تسميتهم لأعضاء الجسم جوارِحَ وعواملَ لأنها تُجرح أي تُجرح
وتكتسب وتعمل، واليدان مثني يَدٍ، واليَدُ: الكفُّ، وقيل: من الأصابع إلى المنكب،
والمنكب مُجْتَمِعُ رَأْسِ العَضُدِ والكَتِفِ، والكفُّ: الراحة مع الأصابع، أو من أطراف
الأصابع إلى الكُوعِ، والراحة: بطن الكفِّ، والكُوعُ: طرفُ الزنْدِ الذي يلي الإبهام، ومُقابِلُهُ
الكَرْسُوعُ، وهو الذي يلي الخنصر، والزنْدُ بالفتح هو ما انحسر عنه اللحم من الذراع، وهو
مَوْصِلُ طَرْفِ الذراع في الكفِّ، ومن عنده تُقَطَعُ يَدُ السارقِ، ويقال: فلان لا يُفَرِّقُ بين
الكُوعِ والكَرْسُوعِ، أي غيبي جاهلاً، وقوله: انحسر أي انكشف وانزاح وارتفع.

«قَبْلَ مَوْتِهِ»: أي قبل خروج رُوحه، وقبل ضدُّ بَعْدَ، وهما ظرفان للزمان وللمكان
أيضاً، ولا يَتَبَيَّنُ معناهما وينفكُ عن الإبهام إلا بالإضافة لفظاً كما في البيت، أو تقديراً كما في
قوله تعالى: ﴿لِللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤/٣٠]، والموتُ ضدُّ الحياة، يقال: ماتَ
يموت، أي زَهَقَتْ نَفْسُهُ، وخرجت رُوحُهُ، فالموتُ: مُفَارَقَةُ الرُّوحِ لِلبَدَنِ وانفصالها عنه،
وانقطاع الحياة منه، وفسره بعضهم بزوال القُوَّةِ الحِسِّيَّةِ.

«لا ما اقْتَنَى»: أي لا ما اكتسبَ وحازَ واحتوى.

المعنى: ليس للإنسان ممَّا يملكه إلا ما تصرَّفَ فيه وأمضاه وأنفذه وقضاه وأجره في
حياته قبل أن يموت، ومُؤدَّى هذا المعنى يَحْتَمِلُ وجهين: إمَّا أن يكون المراد أن مال الإنسان

حقيقةً إنّها هو ما حصل له نفعه في حياته من ملبس ومطعم ونحوهما، وأمّا الذي خلفه بعده وأبقاه من تركته فليس له منه إلا النسبة إليه، وإمّا أن يكون المراد أن مال الإنسان على الحقيقة هو الأعمال والأفعال والآثار التي أجزاها قبل موته، وليس ماله ما حازّه من النقود والأمتعة والعقارات ونحوها بمعنى أنه لا عبرة بالمال، وإنما العبرة بالأعمال.

١٦٠- وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

«وإنّما»: الواو تأتي للعطف، أي لإدخال ما بعدها في حكم ما قبلها، وتأتي للاستئناف، أي لاستقبال كلام جديد مقتضب لا تعلق له في حكم ما قبله، والاستئناف هو الابتداء، وتأتي بين جملتين لأدنى مناسبة بينهما، ولفظ (إنّما) مركّب من إنّ التوكيدية، وما الكافّة لها عن عمل النصب والرفع، وتفيد بهذا التركيب حصر المبتدأ بالخبر، فمعنى (إنّما زيدٌ شاعرٌ) أنه متخصص بالشعر دون غيره من العلوم.

«المرء»: أي الإنسان ذو المروءة والإنسانية، والمروءة كمال الرجولية، ولما كان المرء بمعنى الرجل وليس له جمع من لفظه جمع على رجال كما جمعت المرأة على نساء، والخليفة بفتح فكسر على مخاض، وهي الحوامل من الإبل، وكما أن الإبل جمع ناقة أو جمّل، والمناجذ جمع جلد بضمّ الجيم وسكون اللام بعدها ذال معجمة، وهو الفأر الأعمى المسمّى بالخلد، وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: «خذ الناس بالعربية فإنّه يزيد في العقل ويثبت المروءة»، وقيل للأحنف: «ما المروءة؟» فقال: «العفة والحرفة»، وسئل آخر عنها فقال: «هي أن لا تفعل في السرّ أمراً وأنت تستحي منه جهراً».

«حدِيثٌ بَعْدَهُ»: هذا الضمير البارز المضاف إليه لفظ (بعده) يعود على المرء، والحدِيث هو الكلام الذي يتحدث به ويُتقل، وهو الخبر، وحدث به: ذكره وتحدث القوم به وتحدثوا، وحادثتهم: تداولت الحديث معهم وتفاوضنا وخضنا فيه، والحدِيث المُحَلَّى بِالْإِذَا أُطْلِقَ انصرفت إلى كلام رسول الله ﷺ وخبره، اختصّ به بالغلبة.

وقوله: «بعده» أي بعد موته، وغب وفاته، ولفظ (بعد) ضد (قبل)، وهما ظرفان للزمان، وقد يكونان للمكان، وهما ظرفان مبهمان، لا يفهم معناهما إلا بالإضافة لفظاً أو تقديرًا، ويُسمى تصغيرهما تصغير التقريب، فيقال: جاء فلان بعد الصلاة، أي في زمان متأخر ومتأخر عن زمانها، وبُعِيدَها أي في زمان متأخر عنها قليلاً، وجاء قبلها، أي في زمان متقدم وسابق على زمانها، وقِيلَها أي في زمان متقدم عليها قليلاً.

«فكن حديثاً حسناً»: أي فصّر خبراً جميلاً، و«كن» هنا أمرٌ من «كان» الناقصة، أي التي لا تتم ولا تكمل بمجرد وجود مرفوعها، بل تبقى ناقصة حتى يجيء خبرها، وهو هنا (حديثاً)، أي كلاماً وذكراً يُنقل في الناس ويُتحدث به، والحسن اسم فاعل من حسن الشيء يحسن، من الباب الخامس كعظم وكرم ونحوهما، والقياس يقتضي أن يكون اسم الفاعل منه الحسين كالعظيم والكريم، لكنه سُمع هكذا حسن بفتحين على خلاف القياس، قال في التاج: ولا نظير له إلا قولهم: بطل، أي شجاع، يعني من بطل كحسن من الباب الخامس، ولا ثالث لهما.

ومصدره الحُسن بضم فسكون، وهو الجمال والجودة، وضد ذلك ونقيضه القبح والرداءة، ويكون الحُسن ظاهرياً ومعنوياً، فالظاهري ما يُستحسن بالبصر أو أحد الحواس، والباطني - وهو المعنوي - ما يُستحسن بالهوى والشهوة أو بالعقل والبصيرة، وهذا الأخير هو الذي نحن بصدده.

«لمن وعى»: أي للرجل الذي سمع وحفظ مع التدبر وإمعان النظر، يقال: وعى الحديث ونحوه يعيه، وأوعاه يُوعيه إذا تلقاه بالقبول وفهمه وعقله وحفظه، ومنه قولهم: «صدر الرجل وعاء علمه»، وأصل الوعاء: الظرف والإناء، ومنه: وعى الزاد والمتاع ونحوهما، وأوعاهما: أي وضعهما في الوعاء وأدخلهما فيه، والشائع المستفيض أن يستعمل الثلاثي في المعاني، كقولك: وعيت المسألة والدرس، والرباعي للأجرام، كقولك: أوعيت

المتاع والثياب، والأصل استعمال كليهما في كليهما، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣/٨٤]، أي بما يُضمرون ويجمعون في صدورهم، وفيه: ﴿أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢/٦٩]، وفي الحديث: «نَصَرَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مقالتي فوعاها»، وفيه: «فَرَبٌّ مُبَلِّغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [ابن ماجه: ٢٣٠]، ويُروى: «لَا يُعَذِّبُ اللهُ قَلْباً وَعَى الْقُرْآنَ»، أي فهم حكمه وعقله وتدبره وحفظه علماً وعملاً، وفيه: «الاستحياء من الله حَقُّ الحياءِ أَنْ لَا تَنْسُوا الْمُقَابِرَ وَالْبِلَى وَالْجُوفَ وَمَا وَعَى»، أي ما جمع من طعام وشراب، بأن يكونا من الحلال، وفيه: «لَا تُوعِي قِيُوعِي عَلَيْكَ» [مسلم: ٢٣٧٣]، وهو نظير: «لَا تُوكِي قِيُوكِي عَلَيْكَ»، أي لا تبخلي فُجَازِي بضيقة الرزق، والوَعِيَّ عَلَى فَعِيلٍ: الحافظ الكيس الفقيه، وفلان أَوْعَى مِنَ النمل، أي أَجْمَعُ، ومنه: اسْتَوْعَاهُ أَي أَخَذَهُ كاسْتَوْفَاهُ واسْتَوْعَبَهُ واستقصاه.

المعنى: ليس الإنسان إلا خبراً يُنقل وحدثاً يُؤثر، وقصة تُذكر، وسيرة تُنشر، وحكاية تُروى، ورواية تُحكى، فاجتهد واعمل لتكون أحوثاً حسنةً مُستحسنةً عند أولي الألباب الذين يتتبعون السيرَ ويتتبعون بالعبر، ويتعظون بمن غبر، ويستدلون عليهم بالأثر فيمدحون ويترحمون، أو بالعكس.

١٦١- إِيَّيْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ فَقَدْ أَمَرَّيْ جِيناً وَأَحْيَاناً حَلَا

«إِيَّيْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ»: الحلب: بفتح الحاء وسكون اللام، وتفتح، أصله استخراج ما في الضرع من اللبن، وهو من الباب الأول والثاني كنصر وضرب. والضرع: بالفتح لذوات الظلف كالشاء والبقر بمنزلة الثدي للمرأة والخلف للناقة، وهو مخرج الحليب منها، والظلف للبقر ونحوه كالظفر للإنسان، وهو بكسر فسكون على وزن الخلف المتقدم قريباً.

والدهر: مُدَّة العالم من أوله إلى آخره، ويُطلق على الزمان الطويل والمُدَّة الكبيرة والأمد الممدود بلا انتهاء، ويقع على مُدَّة الدنيا كلها، قيل: مُطَلَقَ الزمان قَلَّ أو كَثُرَ، قيل: والحين

والزمان والدهر والأحقاب تُطلق على المدد التي لا نعلم لها غاية ولا نهاية، والمراد في البيت بالدهر: الزمان مطلقاً.

وقوله: شَطْرِيه: وهو مثني شَطْر مضافاً إلى ضمير الدهر، وشَطْر الشيء، وشَطْره أيضاً: جُزؤه وبعضه، والشَطْر أيضاً: مصدر شَطْر الناقة من الباب الأول كَنَصْر، إذا حَلَب شَطْرَ أَخْلَافِهَا، وترك شَطْرًا.

وللناقة أربعة أخلاف، كلُّ خِلْفَيْن منها شَطْر، فإذا حَلَبَهَا كَلَّهَا، أي استخرج الحليب من جميع أخلافها فقد حَلَبَ شَطْرِيهَا، ومنه قولهم: «فلان حَلَبَ الدَّهْرَ شَطْرِيه»، وكذا حَلَبَ الدهرَ أَشَطْرَه، وهو جمعُ شَطْر، من حَلَبَ أَشَطْرَ الناقة، أي أَخْلَافَهَا الأربعة باعتبار أَنَّ كُلَّ خِلْفٍ شَطْر، أي جزءٌ وبعضٌ، أو على أَنَّ الاثنيْن جمعٌ، وكلُّ خِلْفَيْن شَطْر، أي نصفٌ.

وفي لسان العرب: «حَلَبَ فلانٌ الدهرَ أَشَطْرَه، أي خَبَرَ ضَرْوبَه، يعني أَنَّهُ مرَّ به خيرُه وشرُّه، وشدَّته ورخاؤه، تشبيهاً بحَلَبِ جميعِ أَخْلَافِ الناقة ما كان منها حَفِلاً وغيرَ حَفِل، وداراً وغيرَ دارٍ، وأصلُه من أَخْلَافِ الناقة، ولها خِلْفان قَادِمَان، وخِلْفان آخِران، كأنه حَلَبَ القَادِمَيْن، وهما الخَيْر، والآخِرَيْن، وهما الشَّرُّ، وكلُّ خِلْفَيْن شَطْرٌ، وقيل: الأَشَطْرُ: الدَّرَر، وفي حديث الأحنف قال لعلي عليه السلام وقتَ التحكيم: يا أمير المؤمنين إني قد حَجَمْتُ الرَّجُلَ، وحَلَبْتُ أَشَطْرَه، فوجدته قَرِيبَ القَعْرِ، كَلِيلَ المُدْيَةِ، وإنك قد رُمِيتَ بِحَجَرِ الأَرْضِ.

قال: وَضَعَ الأَشَطْرَ مَوْضِعَ الشَطْرَيْنِ كما تُوضَعُ الحَوَاجِبُ مَوْضِعَ الحَاجِبَيْنِ، وأراد بالرجلين الحكَّمين، الأولُ أبو موسى، والثاني عمرو بن العاص.»

وحجَّرَ الأَرْضَ: كنايةٌ عن الداهية العظيمة الدَّهَاء. وفي التاج نقلاً عن كامل المبرِّد: «يقال للرجل المجرَّبِ للأُمُور: فلان قد حَلَبَ الدهرَ أَشَطْرَه، أي قد قَاسَى الشدَّةَ والرَّخاءَ، وتقلَّبَ في الفقر والغنى»، وفيه أيضاً: «حَلَبَ الدهرَ أَشَطْرَه: اختَبَرَ خيرَه وشرُّه،

وفي مجمع الأمثال: «هذا مستعار من «حلب أشطر الناقة»، ونصب «أشطره» على البدل، فكأنه قال: حلب أشطر الدهر، والمعنى: أنه اختبر الدهر شطري خيره وشره، فعرف ما فيه، يُضربُ فيمن جرب الدهر».

«فقد أمر لي حيناً»: أمر: فعل ماضٍ يكون لازماً بمعنى: صار مرّاً، وعليه فقوله: حيناً منصوب على الظرفية الزمانية، ويكون متعدياً بمعنى جعل الشيء مرّاً، وعليه فحيناً منصوب فيه على المفعولية الصريحة، أي جعل لي زماناً مرّاً، بمعنى تنغيص العيش فيه، وكثرة المصائب، لكن مقابلته في آخر البيت بلفظ «حلاً» تُشعر بأن مراد الناظم «أمر» اللّازم، ويقال: فلان لا يُمر ولا يُجلى، أي لا يضر ولا ينفع، وكلمته فما أمر ولا أحلى، وما فاه بحلوة ولا مرّة، أي لم يتكلم ولم ينطق بخير ولا بشرّ.

ومرّ العيش عليه، وأمر، أي ضاق عليه الأمر، وساءت حاله، وأصابه الجهد والتكد، ونزل به الأمران الأمران، أي الهرم والمرض، وقال الراجز:

إني إذا حذرتني حذورٌ حلوٌ على حلاوتي مريز
ذو حدة في حدي وقور

أي لئن ومع لينة شديد، وفي الحديث: «ماذا في الأمرين من الشفاء، الصبر والثفاء»، وهذا هو الحردل، ولقي من الأمرين مُثنى، والأمرين مجموعاً، والأمرين مُثنى مري ككبرى، أي الشرّ والضرر والدواهي الشديدة.

«وأحياناً حلاً»: أي صفًا وطاب ولذ، من الحلاوة، ضد المرارة، ومثل حلاً حلولى،

قال قيس بن الخطيم: [ديوانه ١٠٨]

أمر على الباغي وبغلظ جانبي وذو القصد أحلولى له وألين
وفي معناه قول المرار الفقعي:
وإني إذا حوليت حلو مذاقتي ومُر إذا مارم ذو إحنة هضمي

حُولِيَتْ مِنْ حَالَاهُ: إِذَا طَائِبَهُ وَلَايِنَهُ، وَفِي مَعْنَاهُمَا قَوْلُ الْآخِرِ:
 وَإِنِّي لَخُلُوٌّ تَعَرَّيْنِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرُ دَلُولٍ
 وَالْأَحْيَانُ: جَمْعُ حَيْنٍ بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الزَّمَانُ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ، طَالَ أَوْ قَصُرَ، تَقُولُ: مَا أَقَلَّ
 الْمُصْلِحِينَ حَيْثَمَا كَانُوا وَفِي كُلِّ حَيْنٍ.

المعنى: إنني مارست تقلبات الدهر، واختبرت صروفه، وتصرفت في بؤسائه ونعمائه،
 وذقت طعم حوادثه، فكان مرةً يلدُّ لي ويطيب، ومرةً يسوءني بمكروهه، ويؤذيني بمسأاته،
 وبعبارة أخرى: قد لاقيت أحوال الزمان كلها، وتقلبت في شدته ورخائه وجربت أنواع
 صروفه وأساليب ضرابه حتى عرفت حقيقته، فإنه لا يستقرُّ على حال واحد، بل يصفو
 تارةً ويكدِّرُ أخرى، والمعنى أنه دائم التقلب، لذلك قال بعضهم:

الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ لَا يَسْتَرِيحُ بِهِ إِلَّا أَخُو النَّفْسِ ذَاتِ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ

١٦٢- وَفَرَّ عَنْ تَجْرِبَةِ نَابِي فَقُلُّ فِي بَازِلٍ رَاضٍ الْخُطُوبَ وَامْتَطَى

«وَفَرَّ عَنْ تَجْرِبَةِ نَابِي» يجوز أن يكون «فَرَّ» بفتح الفاء مبنياً للمعلوم، والضمير يعود إلى
 الدهر في البيت قبله، أي أمر لي حيناً، وحلًا لي حيناً، وفَرَّ نابي عن تجربة، ويجوز أن يكون
 «فَرَّ» بضم الفاء مجهولاً، و«نابي» نائبُ الفاعل، والمعنى: بُحِثَ عني وامتحنْتُ وجربتُ
 واختبرتُ، وفُتِّشَ عن حقيقتي فوجدتُ ذا تجربة، أي من ذوي التجارب، وهذا مستعارٌ
 من قولهم: فَرَّ الدَّابَّةُ، وفَرَّ عن أسنانها، من الباب الأول كنصر، فَرًّا بالفتح، وفِرَاراً مثلثةً
 الفاء، والضمُّ أولى، ثم الفتح ثم الكسر، أي فَتَحَ فَمَهَا وكشفَ عن أسنانها وأنيابها لينظر
 إليها، ويعرفَ سنَّها، وَيَسْتَدَلُّ منها على مُدَّةِ عُمرها وسني حياتها، والمطاوَعُ منه افترَّت
 الدَّابَّةُ، أي انقادت وطاوعت مَنْ فَرَّها وفتحتَ له فَمَهَا، ومنه افترَّ الرجلُ، أي أبدى أسنانه
 قليلاً عند الضحك وتبسَّم، ومنه قول القائل: «وَيَفْتَرُّ عن مثلِ حَبِّ الغمام»، ومنه افترَّ

البرق، إذا انكشَف نوره وبدا لمعائه وتلألأ، ثم قيل: فَرَّ الأمر، وفَرَّ عنه، أي بحث وفشش، وفي بعض حُطَب الحجاج: لقد فَرَرْتُ عن ذكاء وفُتِّشْتُ عن تجربة، وفي المثل: «إِنَّ الجَوَادَ عَيْنُهُ فِرَارُهُ»، أي يُغْنِيكَ شَخْصُهُ ومنظَرُهُ عن اختباره، بمعنى أن علائم الجُودة عليه ظاهرة، يُضْرَبُ مَنْ يَدُلُّ ظاهِرُهُ على باطنه، وضدُّه أن الخبيث عَيْنُهُ فِرَارُهُ، أي علائم الخُبث ظاهرة عليه، ويقال: فَرَّ فلان عَمَّا في نفسي، أي استنطقني ليستدلَّ بنطقي على ما في نفسي، ويقال: فَارَزْتُ فلاناً أي جَرَّبْتُهُ وجَرَّبَنِي، وفَتَّشْتُ عن حاله وفَتَّشَ عن حالي.

والتَّجْرِبَةُ: مصدر جاء على خلاف القياس من جَرَّبَ الشيءَ يُجَرِّبُهُ إذا اختبره مرَّة بعد أخرى، على وزن التفعيل، وأما التَّجْرِبَةُ على التَّفْعِيلَةِ فإنها هي مَقْيَسَةٌ في فَعَلٍ إذا كان مُعْتَلَّ الآخِر كزَكَّى تَزْكِيَةً، وَصَلَّى تَصَلِيَةً، وَغَذَّى تَغْذِيَةً.

وقوله: «نابي»: النَّابُ من الأَسنان ما يلي الرَّبَاعِيَّةَ، وهي بوزن ثمانية، بينه وبين الثَّنيَّةِ، وللإنسان اثنتان وثلاثون سنًّا، أربعُ ثَنَيَا وأربعُ رَبَاعِيَّاتٍ، وأربعةُ أُنْيَابٍ، وأربعةُ نَوَاجِدٍ، وستةُ عَشَرَ ضُرْسًا، وقال بعضهم: بَدَلُ قوله: وستةُ عَشَرَ ضُرْسًا هكذا وأربعةُ صَوَاحِكٍ، واثنتا عشرة رَحَى.

«فَقُلُّ»: مرَكَّبٌ من الفاء التفريريَّةِ وصيغةُ الأمر من القول، وهو النُّطق والتكلم والذِّكْر والتعبير باللُّسان عمَّا في القلب من الضمير.

«في بازلٍ»: في حرف جرٍّ، عملَ الجرِّ في بازلٍ، وأراد الناظم بالبازل نفسه، ومنهم من رفعه على أن «في» مخففة للوزن من في بفتح الياء المشددة وبازلٍ إلخ البيت مقول القول، أي تكلم في حقِّي هذا الكلام وِصْفَنِي، وإذا لم يُرْتَكَب هذا بناءً على الوجه الأول فمقول القول غير موجود في النظم، أي: قُل ما شئت من أوصاف الكمال في حقِّ بازلٍ إلخ، أو يكون مقول القول «راض الخُطوب وامتطى»، ولفظُ بازلٍ بمنزلة ضمير المتكلم، كأنه قال: فقل في صفة نفسي هكذا راض الخُطوب إلخ، فهذه ثلاثة وجوه لكل منها وجهةٌ.

والبازل في الأصل اسم فاعل من بَزَلَ البعيرُ، من الباب الأول كَنَصَرَ بُزُولاً، أي طَلَعَ نأبه بدخوله في السنة التاسعة، فإذا مَضَى عليه بعدها سنةٌ قيل: بازُلُ عامٍ مضافاً، ثم بازُلُ عامين وهكذا، ويُستعمل البازل بمعنى الكامل المستكمل لقواه الذي أَحْكَمْتُهُ التَّجَارِبَ وَهَدَّبْتَهُ وَبَلَغَ أَكْمَلَ درجات العقل والثبات، ومنه قول القائل:

مَا تُتَكَبَّرُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ مَنِّي بازُلُ عَامَيْنِ حَدِيثُ سِنِّي
وَحَدِيثُ سِنِّي، أي صغيرٌ من جهة العمر الذي هو مَدَّةُ الحياة، ونحوه قولُ قَطْرِي ابن

الفجاءة: [شعر الخوارج ٤٦]

ثُمَّ انصرفتُ وقد أَصَبْتُ ولم أَصَبْ جَدَعَ البَصِيرَةَ قَارِحَ الإِقْدَامِ
أي نلتُ من العدو، ولم يُنل مِنِّي، وأنا تامُّ البَصِيرَةَ ذو إقدام كبير عظيم.
«راضُ الحُطُوبِ»: أي ذلَّلَ صِعَابَ الأمور حتى هانتُ، وأصله من راضَ المَهْرَ والقُلُوصَ والقَعُودَ ونحوها من أَفتاء الدَّوَابِّ، أي ذلَّلها لتنقادَ لراكبها وتسير سيراً حسناً، والمصدر الرِّياضَةُ، وتسمَّى الدَّابَّةُ قبلَ رِياضتها رِياضاً بفتح الراء وكسر الياء مشددةً، والظاهر أن تسميتها به إنما هو على وجه التفاؤل بسرعة قبولها الرِياضَةَ، وأنها ستنقاد وتصير ذلولاً، ومنه قولهم: راضَ نَفْسَهُ بالتَّقوى، وراضَ الشاعِرُ صِعَابَ القوافي، وراضَ الدُّرَّةَ واللؤلؤةَ: ثَقَبَها، والمطاويعُ ارْتاضَ يَرْتاضُ ارْتِياضاً، ويقال: أمرٌ رِياضٌ، أي لم يُجَكِّم تديبُهُ، من رِياضَ الدَّوَابِّ. والحُطُوبُ: الأمور والشُّؤون والأحوال، وحُطُوبُ الدهر: شدائده.

«وامتطى»: أي ركبَ المطايا بالفتح، وهو الظَّهْر، ومنه المَطِيَّةُ، أي الدَّابَّةُ.

المعنى: أنني قد أَحْكَمْتَنِي التَّجَارِبُ، وَهَدَّبْتَنِي، وَأَطَلَعْتَنِي على حقائق الأمور، فِصْفَنِي بَأني الرجلُ العاقلُ الكاملُ المُحَنِّكُ الخبيرُ بالأحوال البصيرُ بها، الكبيرُ عِلْماً ومعرفةً وإدراكاً وسدادَ رأيٍ، العَظِيمُ الذي مارَسَ صِعَابَ الأمور حتى انقادتْ له وصارتْ طَوْعَ يَدِهِ.

١٦٣- وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خَلَاءَ يَلْسُهُمْ وَقَلَّمَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الْخَلَاءُ

«والناس للموت»: الناس: جمع إنسان، وقيل: جمع إنس، وعلى كل فهو جمع على غير قياس، ومعناه البشر، وهم بنو آدم، وهو مأخوذ من ناس ينوس، إذا تحرك، أو من أنس، وقيل: أصل الناس: الأناس، فحُففت، وقيل: الناس، ويُستعمل الناس كما يُستعمل الأناس، قال الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطَّلَعُ _____ نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمِينَا
فَيَدْعُنَهُمْ شَتَّى وَقَدْ كَانُوا جَمِيعاً وَافِرِينَا

وقد يُطلق على الجن أيضاً، فيقال: ناس من الجن كما يقال: رجال من الجن.

والموت: مفارقة الروح للبدن، وانقطاع حياته، وخروج نفسه، وقال بعضهم: الموت زوال القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، والموت: زوال القوة الحسية، ويُطلق على النوم، وعلى الجهل وعلى الدُّل.

«خلأ يلسهم»: الخلى بالفتح مقصوراً هو العشب الغض، أي النبات الرطب والحشيش الطري، وقيل: هو البقل.

والبقل: كل نبات اخضرت الأرض بخضرتها، وفسره بعضهم بالحشيش غير مقيّد: هو اليابس من العشب، والكلاء: النبات رطباً كان أو يابساً، والعشب: الكلاء الرطب في أول الربيع، والرطب: بفتح فسكون كالرخص والنصّ وزناو معنى، وهو الطري، وأما الرطب بضم فسكون فهو المرعى الأخضر من بقول الربيع، وقال بعضهم: الرطبة بضم فسكون على وزن عُرفة هو الخلاء، وهو الغض من الكلاء، والقطعة منه خلأة، قال الأعشى:

[ديوانه ٢٥]

وَحَوْلِي بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا وَلَسْتُ خَلَاءَ لَمَنْ أَوْعَدَنْ

أي لمن أوعدني، ويروى «لمن أوعدا» بألف الإطلاق، أي لست بمنزلة الخلأة يأخذها الآخذ كيف شاء، بل أنا في عزٍّ ومنعة، وقال الآخر:

رَأَى فِي كَفِّ صَاحِبِهِ خَلَاةً فَتُعْجِبُهُ وَيُفْزِعُهُ الْجَرِيرُ

معناه أن البعير نظر إلى صاحبه وفي إحدى يديه عُشْب، وفي الأخرى الحَبْل، فَيَسَّرُ بتلك، وَيَفْزِعُ من هذه، وَيَحْسُنُ التَّمَثُّلُ بهذا في موطن الحَيْرَةِ والشَّبْهَةِ، وفي المثل: «عَبْدٌ وَخَلَى فِي يَدَيْهِ»، أي مع عبوديته غني ذو ثروة، وبعضهم يقول: وَخَلَى بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وسكون اللام بعدها.

وَخَلَاهُ يَخْلِيهِ خَلِيًّا: أَي جَزَّهُ وَقَطَعَهُ وَنَزَعَهُ وَاقْتَلَعَهُ، كَاخْتَلَاهُ فَانْخَلَى، أَي انْقَطَعَ، وَمِنْهُ

قول الشاعر: [ديوان سلامة بن جندل ١٧٠]

كَأَنَّ اخْتِلَاءَ الْمَسْرِفِيِّ رُؤُوسَهُمْ هَوِيٌّ جَنُوبٍ فِي يَيْسٍ مُحَرَّقٍ

أي هَوِيٌّ رِيحِ الْجَنُوبِ فِي الشَّيْءِ الْيَابِسِ الْمَشْتَعِلِ.

«يَلْسُهُمْ»: أَي يَأْكُلُهُمْ وَيُفْنِيهِمْ وَيَسْتَأْصِلُهُمْ وَيَجْتَا حُهُمَ، وَأَصْلُهُ مِنْ لَسَّتِ الدَّابَّةُ الْحَشِيشَ، إِذَا تَنَاوَلَتْهُ بِمَقْدَمِ فَمِهَا نَتْفًا وَأَكَلَتْهُ، وَذَلِكَ هُوَ اللَّسَّاسُ بِالضَّمِّ كَغُرَابٍ، وَهُوَ الْبَقْلُ وَالنَّبَاتُ مَا دَامَ صَغِيرًا لَا تَتِمَّكَّنُ الدَّابَّةُ مِنْهُ لِصِغَرِهِ وَقِصَرِهِ، فَتَلْسُهُ لَسًّا بِلِسَانِهَا وَجَحْفَلَتْهَا مُسْتَعِينَةً بِهِمَا عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ نَتْفِهِ، أَي نَزَعِهِ وَاقْتِلَاعِهِ لِتَأْكُلَهُ. وَالْجَحْفَلَةُ لِلْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، كَالْمِشْفَرِ لِلْبَعِيرِ، وَالشَّفَّةُ لِلْإِنْسَانِ.

«وَقَلَّمَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الْخَلَا»: أَي وَلَا يَطُولُ بَقَاءُ الْعُشْبِ مَعَ انْتِطَاقِ الدَّوَابِّ فِي

أَكْلِهِ، يَعْنِي أَنَّ الْحَشِيشَ الَّذِي لَا تَزَالُ الدَّوَابُّ تَرَعَاهُ يُوشِكُ أَنْ يَفْنَى، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ. وَلَفْظُ «قَلَّمَا» أَصْلُهُ مِنْ قَلَّ الشَّيْءُ إِذَا فَنِيَتْ بَعْضُ أَجْزَائِهِ حَتَّى صَارَ قَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا، فَهُوَ فَعْلٌ مَاضٍ مِنَ الْقَلَّةِ، ضِدُّ الْكَثْرَةِ، زِيدَتْ عَلَيْهِ مَا، فَصَارَ قَلَّمَا، وَكَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ «مَا» عَلَيْهِ يَفْتَقِرُ إِلَى فَاعِلٍ، فَلَمَّا زِيدَتْ عَلَيْهِ اسْتَعْنَى بِهَا عَنْهُ، وَصَارَ يُفْنِيهِ مَعْنَى الْقِلَّةِ فِي الْفِعْلِ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَعْنَى «قَلَّمَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الْخَلَا»: قَلَّ بَقَاءُ الْخَلَا مَعَ دَوَامِ رَعْيِ الدَّوَابِّ لَهُ وَأَكْلِهَا مِنْهُ، وَلَفْظُ «مَا» الزَّائِدَةُ عَلَى «قَلَّ» هِيَ الْكَافَّةُ لَهُ عَنْ طَلْبِ الْفَاعِلِ وَعَمَلِ الرَّفْعِ فِيهِ،

ولا تتصل إلا بثلاثة أفعال، وهي: قلّ التي نحن بصددّها، والآخران كثر وطال، فيقال: كثرما، وطالما، كما يقال: قلّما، قال الشاعر:

صَدَدَتْ فَأَطَوَلَتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ
قال بعض النحويين: قلّ من قولك: قلّما فعلٌ لا فاعل له لأن لفظة «ما» أزالته عن حكمه في تقاضيه الفاعل، وأصارتَه إلى حكم الحرف المتقاضي للفعل.
والمعنى في هذا البيت: وقلّما يدومُ وصالٌ على طول الصُّدُودِ، أي قلّ دوامه.

المعنى: وبنو آدم بمنزلة الحشيش، والموت بمنزلة الدابة ترعاهم وتأكلهم، والحشيش الذي يكون هكذا فمُدّة بقائه قليلة قصيرة، وتشبيهه إفناء الموت للبشر باللّسّ بديعٌ جدًّا لإشعاره بقصر مُدّة أعمارهم، وأنّ الموت لا يُغادرهم حتى يعيشوا دهوراً وأحقاباً، كما أنّ الدابة التي تُلسّ النبات لا تتركه حتى يَعْظُم وَيَغْلُظُ وتتمكّن عرْوَقُه في الأرض، ويصير له ساقٌ غليظ قويٌّ على الحرِّ والقرِّ، بل تُبادره بالأكل حتى تُفنيه وتستأصله وهو غصّ طريٌّ ضعيف لا يَقْوَى على شيء.

١٦٤ - عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنْ الرَّدَى إِذَا أَتَاهُ لَا يُدَاوَى بِالرَّقَى

«عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ»: أي تعجبتُ منه، يقال: عَجِبَ مِنْهُ وَتَعَجَّبَ وَاسْتَعْجَبَ، والمصدرُ مِنْهَا الْعَجَبُ بالتحريك، والتعجّب: الاستعجاب، ومعنى ذلك أن يتحير الإنسان، وَيَعْتَرِيهِ الدَّهْشُ، وَيَبْهَتَ عِنْدَ إِحْسَابِهِ بِشَيْءٍ خَفِيَ عَلَيْهِ سَبَبُهُ، وَعَظُمَ لَدَيْهِ مَوْقِعُهُ، وليس مألوفاً له، ولا ممّا اعتاده، وفي المصباح أنّ التعجّب قسان: أحدهما ما يَحْمَدُهُ الْمُتَعَجِّبُ، ومعناه استحسانه إيّاه وإخباره عن رضاه به، وهذا يقال فيه: أعجبتني بالألف، والثاني: ما يكرهه، ومعناه ذمُّه له وإنكاره إيّاه، وهذا يقال فيه عَجِبْتُ مِنْهُ، أي من الباب الرابع، كعلم، وقال بعض النحاة: التّعجّب انفعال النفس لزيادة وصف، نحو: ما أشجعه.

«من مُسْتَيِّقٍ»: أي من مُتَيَقِّنٍ مَتَحَقِّقٍ عالمٍ عِلْمِ اليقين، واليقينُ هو العلمُ الحاصلُ عن نَظَرٍ واستدلال، قال في التاج [يقن]: «واليقين اصطلاحاً هو اعتقادُ الشَّيءِ كذا، مع اعتقادٍ أَنَّهُ لا يُمكنُ إِلَّا كذا، ومع مطابقتِهِ الواقعِ، ومع عدمِ إمكانِ العدولِ عنه». انتهى منه ببعضِ تصرُّفٍ، يقال: يَقِنُ الأمرُ، من البابِ الرابعِ كَعَلِمَ يَقِنًا مَحْرَكًا، أي ثَبَتَ وَوَضَحَ، فهو يَقِينٌ، فَعِيلٌ بمعنى فاعلٍ، ويتعدَّى بنفسه، فيقال: يَقِنَهُ، وبالباءِ فيقال: يَقِنَ بِهِ، وكذا أَيَقِنَهُ وَأَيَقِنَ بِهِ، وَيَقِنَهُ وَاسْتَيَقِنَهُ، واليقينُ: الموتُ لِتَحَقُّقِهِ.

«أَنَّ الرَّدَى»: الرَّدَى والتَّوَى بالفتح والقصر فيهما: الهلاكُ، ويجوزُ مدُّ الثاني فيقال: التَّوَاءُ كالهلاكِ وزناً ومعنى، وأرذاه: أَهْلَكَه. قال دُرَيْدٌ: [ديوانه ٦٣]

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فقلتُ: أَعْبُدُ اللهَ ذَلِكُمُ الرَّدَى
 أَي: أَهْلَكَتَهُ الْخَيْلُ، فقلتُ: هل عبدُ اللهِ الهالكُ، أَي هل هو ذلك الذي أَهْلَكَتَهُ الْخَيْلُ،
 والهلاكُ يكونُ بمعنى الموتِ والتَّلفِ والعَطَبِ والفَنَاءِ والضَّياعِ والجُهدِ، وهو بفتح الجيم
 أَشَدُّ التَّعبِ والعناءِ والنَّصَبِ والمشقَّةِ.

«إِذَا أَتَاهُ لا يُدَاوِي»: أَي حينما يُلْمُّ بِهِ لا يُعالِجُ، وإِذا: أداةُ شرطٍ، وهي ظرفيةٌ زمانيةٌ
 بمعنى الحينِ والوقتِ، وأتاهُ أَي جاءه، قال الشاعر:

فاحتلَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ آتِي العَسْكَرِ

أَي: قَبْلَ مجيئِهِم، وقال الآخرُ: [ديوان الأَعشى ١٧٣]

أَتَيْتُ المروءَةَ مِنْ بَاطِنِهَا

ولقيس بن زهير العسبي:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

وَأَتَى الفَعْلُ: تَلَبَّسَ بِهِ وَبَاشَرَهُ وَتَعَاطَاهُ، ولبعضِ المولدين:

يَأْتِي وَيُؤْتِي لَيْسَ يُنْكَرُ ذَا وَلَا هَذَا كَذَلِكَ إِبْرَةُ الحَيَّاطِ

أَيُّ لُوطِيٍّ مَأْبُون، وَقَالَ آخِرُ:

أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ

أَيُّ حَالَ إِتْيَانِ الْمَصَائِبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى جَعَلَهُ مُرًّا، وَلَا آخِرُ:

وَحَاجَةٌ بِتُّ عَلَى صِمَاتِهَا أَتَيْتُهَا وَحَدِي مِنْ مَأْتَاتِهَا

وَيُرْوَى: كُنْتُ بَدَلَ بَتُّ، وَيُرْوَى: عَلَى بَتَاتِهَا وَعَلَى صِمَاتِهَا بِكسر الصَّادِ بِنَاءً عَلَى ضَبْطِهَا

فِي اللِّسَانِ بِالشَّكْلِ، أَيُّ عَلَى قُرْبِ قَضَائِهَا، وَأَتَوْتُهُ أَتَوُهُ أَتَوًّا لُغَةً فِي أَتَيْتُهُ آتِيًّا وَإِتْيَانًا

وَإِتْيَانًا، وَمَأْتَاةُ الْأَمْرِ: جِهَتُهُ كَمَا تَأْتَاهُ، وَقَوْلُهُمْ: أَتَى عَلَيْهِ كَأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى نَزَلَ، فَعُدِّي تَعْدِيَّتَهُ.

و«لَا يُدَاوِي»: أَيُّ لَا يُعَالِجُ وَلَا يُعَانِي، يُقَالُ دَاوَاهُ مُدَاوَاهٌ وَدَوَاهٌ بِالكسْرِ، مِنَ الدَّاءِ

مِثْلُ الدَّالِ، وَبِالكسْرِ يُنْشَدُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَقُولُونَ مَخْمُورٌ وَهَذَا دِوَاؤُهُ عَلِيٌّ إِذْنُ مَشِيٍّ إِلَى الْبَيْتِ وَاجِبٌ

«بِالرُّقِيِّ»: أَيُّ بِالْعِزَائِمِ وَالتَّعْوِيدَاتِ، وَاحِدَتُهَا رُقِيَّةٌ بِالضَّمِّ، وَهِيَ كَالْعُودَةِ وَزَنًا

وَمَعْنَى، قَالَ عُرْوَةُ كَذَا فِي التَّاجِ، وَقَالَ - فِي اللِّسَانِ - رُؤْبَةٌ: [ديوانه ١٨٨]

فَمَا تَرَكَامٍ مِنْ عُوذَةٍ يَعْرِفَانَهَا وَلَا رُقِيَّةٍ إِلَّا بِهَارِ رُقِيَّانِي

وَقَالَ النَّابِغَةُ: [ديوانه ٣٤]

تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

لَقَدْ عَلِمْتَ وَالْأَجَلُ الْبَاقِي أَنْ لَنْ تَرَدَّ الْقَدَرَ الرَّوَاقِي

وَفِعْلُهُ: رَفَاهَ يَرِفِيهِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي كَرَمَى، أَيُّ عَوَّذَهُ وَنَفَثَ فِي عُوذَتِهِ وَتَلَا شَيْئًا عَلَيْهِ،

وَنَحْوُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ التَّأخِيذُ وَالْأُخْذَةُ لِمَنْعِ الرِّجَالِ عَنْ غَيْرِ رُوحَاتِهِمْ.

المعنى: تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَعْلَمُ وَيَتَحَقَّقُ أَنَّ الْهَلَاكَ إِذَا أَصَابَهُ لَا يُمْكِنُ الْخِلَاصُ مِنْهُ

بِالطَّلَاسِمِ وَالْعِزَائِمِ وَنَحْوِهَا، كَالنُّشْرَةِ، وَهِيَ بِضَمِّ النُّونِ كَالْعُودَةِ وَالرُّقِيَّةِ وَالْأُخْذَةَ وَزَنًا

وَمَعْنَى، وَهِيَ رُقِيَّةٌ يُعَالِجُ بِهَا الْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ وَمَنْ بِهِ صَرْبٌ مِنَ اللَّمَمِ وَمَسٌّ مِنَ الْجِنِّ.

١٦٥- وَهُوَ مِنَ الْعَفْلَةِ فِي أَهْوِيَّةٍ كَخَابِطٍ بَيْنَ ظِلَامٍ وَعَشَا

«وهو»: أي ذلك المُستيقِنُ بَعْدَ الخِلاصِ مِنَ الهِلاكَ الآتِي مِنَ العَفْلَةِ، وَهِيَ غَيْبَةُ الشَّيْءِ عَنِ البَالِ الْإِنْسَانِ وَعَدْمُ تَذَكُّرِهِ لَهُ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي تَارِكِهِ إِهْمَالاً وَإِعْرَاضاً وَتِهَافُوناً، وَفَعْلُهُ مِنَ البَابِ الْأَوَّلِ كَنَصَرَ، وَنَحْوُهُ الذُّهُولُ، وَهُوَ تَنَاسِي الشَّيْءِ عَمْدًا، وَفَعْلُهُ مِنَ البَابِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ كَفَتَحَ وَعَلِمَ، يُقَالُ: ذَهَلَ عَنْهُ كَمَا يُقَالُ لَهَا عَنْهُ، وَلَهِيَ أَي تَرَكَهُ وَاشْتَغَلَ مَتَلَهِيًّا عَنْهُ بغيره، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَقَدَ الشُّعُورَ بِهَا حَقُّهُ أَنْ يَشْعَرَ بِهِ، وَقَالَ آخَرُ: هُوَ الذُّهُولُ عَنِ الشَّيْءِ، وَقَالَ آخَرُ: هُوَ سَهْوٌ يَعْتَرِي مِنَ قَلَّةِ التَّحْفُظِ وَالتِّيَقُّظِ، وَقِيلَ: مَتَابَعَةُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ.

«فِي أَهْوِيَّةٍ»: الْأَهْوِيَّةُ: المَكَانُ المُشْرِفُ عَلَى مَا دُونَهُ فِي فِضَاءٍ مُتَدَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَعْرِ الْأَرْضِ، كَمَا بَيْنَ ذُرَا الجِبَالِ إِلَى بُطُونِ الْأُودِيَةِ، وَكَذَلِكَ الهَاوِيَةِ وَالمَهْوَى وَالمَهْوَاةُ وَالمَهْوَةُ بِالضَّمِّ، وَهِيَ الوَهْدَةُ الغَامِضَةُ العَمِيقَةُ، وَكُلُّ مَا كَانَتِ الْأَرْضُ فِيهِ مُنْخَفِضَةً مُنْهِيضَةً، وَيُفَسَّرُ أَيْضًا بِمَا بَيْنَ الجِبَلَيْنِ مِنَ الهَوَاءِ، أَي الفِضَاءِ وَالفِرَاقِ الَّذِي يَسْمَى الجَوِّ، وَيُفَسَّرُ أَيْضًا بِالحُفْرَةِ، وَبِالبِئْرِ العَمِيقَةِ القَعِيرَةِ، أَي البَعِيدَةِ القَعْرِ، وَكَذَا بِالفُرْجَةِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ كَمَا بَيْنَ أَسْفَلِ البِئْرِ إِلَى أَعْلَاهَا، وَحَضِيضِ الجَبَلِ إِلَى رَأْسِهِ، وَبَطْنِ الوَادِي إِلَى فُوهَتِهِ، أَي رَأْسِهِ وَقَرَارِ الحُفْرَةِ إِلَى فِيهَا، وَهِيَ - أَعْنِي الْأَهْوِيَّةَ وَالمَهْوَاةَ وَالمَهْوَى وَالمَهْوَاةَ وَالمَهْوَةَ - تُطْلَقُ عَلَى الجَوِّ أَي مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مِنَ الفِرَاقِ، فَتَكُونُ هَذَا المَعْنَى مُرَادِفَةً لِلهَوَاءِ لِأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الجَوِّ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الرِّيحِ المُسَخَّرِ فِي الجَوِّ، وَهَذَا المَعْنَى هُوَ المَرَادُ مِنْ تَفْسِيرِهِمْ لِذَلِكَ بِمَوْضِعٍ فِي الهَوَاءِ مُشْرِفٍ عَلَى مَا دُونَهُ مِنَ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ، وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ أَنَّ يُقَالُ: هُوَ المَوْضِعُ الَّذِي إِذَا أُلْقِيَ فِيهِ شَيْءٌ هَوَى، أَي وَقَعَ وَسَقَطَ وَأَنْحَطَّ، وَمِنْهُ هَوَى البَازِي إِذَا نَزَلَ مُنْحَدِرًا نَحْوَ الْأَرْضِ حِينَ يَرَى مَا يَصْطَادُهُ فَيَنْقُضُ عَلَيْهِ، أَي يُسْرِعُ فِي طَيْرَانِهِ جَدًّا، وَيَنْصَبُّ انْصِبَابًا كَأَنَّهُ سَهْمٌ مَرْسَلٌ أَوْ صَاعِقَةٌ وَاقِعَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ: [ديوان زهير ٦٠]

هُوَيِّ الدَّلُوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

وتهاووا: تساقطوا وطاحوا في المهواة، والمكان المطمئن والغامض هو المنخفض.

«كخابطٍ بين ظلامٍ وعشا» الخابط: الماشي على غير جادة ولا طريق واضح، يقال: خَبَطَ اللَّيْلَ من الباب الثاني، كضرب إذا سار فيه على غير هداية، ومنه قولهم: باتَ يُخْبِطُ الظُّلَمَاءَ، وجاء بعد خبطة من الليل، كقطعَة وزناً ومعنى، وقولهم: «يُخْبِطُ خَبِطَ عَشَوَاءَ»، وهي الناقة في بصرها ضعفٌ، تمشي وتُخْبِطُ بقوائمها ولا تتوقى شيئاً، قال زهير: [ديوانه ٣٤]

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبِطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصَبُّ ثُمَّتِهِ وَمَنْ تُحْطَى يُعَمَّرُ فِيهِمْ
وفلان يُخْبِطُ في عمياء، أي يركب ما يجهل، وفلان خَبِطَ عَشَوَاتٍ، أي يمشي ليلاً بلا ضوء فيتحير ويضل، وربها تَرَدَّى في بئر ومهواة وهو لا يشعر، وفلان خَابِطٌ عَشْوَةٌ، أي جاهل، وما أدري أي خابطٍ ليلٍ هو، أي: أي الناس، وكلُّ سيرٍ على غير هدى خَبِطٌ، وقال ذو الرمة: [ديوانه ٣٨٠]

سَرَتْ تَخْبِطُ الظُّلَمَاءَ مِنْ جَانِبِي قَسَاً وَحُبَّ بِهَا مِنْ خَابِطِ اللَّيْلِ زَائِرٍ
قَسَاً بالفتح مقصوراً اسمٌ موضعٌ في العالية، وقيل من الدهناء، وقال الفرزدق: [ديوانه ٢٩/١]

وركبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرُوا يُخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى كُورِ الْأَهْوَاذِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وحقيقة الخَبِطُ الضَّرْبُ المتوالي المتتابع على أنحاء مختلفة وجِهات متعددة، وقيل: أصله ضربُ اليد والرَّجُل، وقيل: الوَطء، أي الدَّعْسُ الشديد، وخصَّه بعضهم بقوائم الدوابِّ، يقال: خَبَطَ البعيرُ الأَرْضَ بيده، أي ضربها، وعلى كلِّ فهو من صفات قوائم الماشي، لأنها هي التي تُخْبِطُ الأرض، أي تضربها ضرباً متوالياً على غير استواء.

«بَيْنَ ظَلَامٍ وَعَشَا»: بين ظرفٍ مُبْهَمٍ لا يظهر معناه إلا بالإضافة إلى اثنين فصاعداً، أو ما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى: ﴿عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨/٢]، والظلام سوادٌ

اللَّيْلُ وَنَحْوُهُ، كَالظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَاءِ، وَالْعَشَا: ضَعْفُ الْبَصْرِ وَظُلْمَةٌ تَعْرِضُ لِلْعَيْنِ، وَقِيلَ: الْعَمَى، وَفَعْلُهُ عَيْبَى، وَهُوَ أَعْسَى، وَهِيَ عَشْوَاءٌ، وَمِنْهَا «حَبَطَهُ خَبَطَ عَشْوَاءً»، أَيْ عَلَى جَهْلٍ، وَ«رَكِبَ الْعَشْوَاءَ» إِذَا خَبَطَ أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا بَيَانَ، وَأَصْلُهَا: النَّاقَةُ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَتَعَهَّدُ مَوَاطِنَهَا فَتَخْبِطُ كُلَّ شَيْءٍ، يُضْرَبُ لِلشَّارِدِ يَرْكَبُ رَأْسَهُ، وَلَا يَهْتَمُّ لِعَاقِبَتِهِ، وَالْعَشْوَاءُ أَيْضاً الظَّلَامُ.

المعنى: وهو من شِدَّةِ الدُّهولِ وَفَرَطِ اللَّهْوِ وَكثرة الاسترسال مع الهوى في مهلكة تهوي به وتورده موارد التلّف، فهو كمن يمشي اعتسافاً، وهو جامع بين وصفين يزيدانه ضلالاً وحيرة، وهما سواد الليل البهيم، وضعف بصره السقيم.

١٦٦- نَحْنُ وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ كَمَا قَد قِيلَ لِلسَّارِبِ أَخْلَى فَارْتَعَى

وفي نسخة (في السارب) ^(١) عَوْضٌ لِلسَّارِبِ، وَالْحَطْبُ سَهْلٌ.

«نحن»: ضمير منفصل للمتكلم معه غيره، وهو مبني على الضم في محل رفع بالابتداء، وخبره المقدر الذي يتعلّق به (كما)، أو نفس الكاف من (كما) هي الخبر على أنها اسم جارٌّ مرادفٌ لمثل، ونحوه قول الشاعر:

يُضْحَكُنَّ عَن كَالْبَرْدِ الْمُنْهَمِّ تَحْتَ عَرَانِينَ أَنْوْفِ شَمِّ

أَي: عَن مِثْلِ الْبَرْدِ الدَّائِبِ، وَ«رَأَيْتُ كَزَيْدًا»، أَيْ مِثْلَهُ.

«ولا كُفْرَانَ لِلَّهِ»: جملة معترضة حقها التأخير لأنها استدرائية على محذور يؤخذ من قوله نحن كما قد قيل إلخ...، وإنما قدمت احتياطاً من قبيل تقديم الجواب على سؤال فيه شبهة يُحْسَى أَنْ تَعْلَقَ بِذَهْنِ السَّامِعِ فَتُشَوِّشُ عَلَيْهِ فَهَمَّ الْجَوَابِ، وَهَذَا الْأُسْلُوبُ فِي الْكَلَامِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْجُودَةِ كَمَا تَرَى.

والكُفْرَانَ بِالضَّمِّ: الْجُحُودُ وَالْإِنْكَارُ وَالْمُكَابَرَةُ، وَهُوَ يَكُونُ بِمَعْنَى إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ،

(١) كذا في شروح ابن خالويه: ٤١١، وابن هشام: ٤٠٩، والتبريزي: ٨٥.

وبمعنى إنكار الوحدانية، وبمعنى إنكار النعمة، تقول: هَيْهَاتَ أَنْ يَجْتَمَعَ الْكُفْرَانُ مَعَ الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ، فهو ضدُّ العبودية وضدُّ الإيمان وضدُّ الشكر، وكذا الكُفْرُ والكُفُورُ، وأصلُه سَتْرُ الشَّيْءِ وتغطيته حتى لا يظهر منه شيءٌ، ومنه إطلاقُ الكافر على البحر وعلى الزَّرَّاعِ وعلى الوادي العظيم، وعلى السحاب الكثيف، وعلى الدَّرْعِ وعلى المتزمل بثوبه فوقه، وعلى الظلام وعلى الليل، قال البهاء زهير: [ديوانه ١٥٦]

لِي فِيكَ أَجْرٌ مُجَاهِدٍ إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرٌ

وبناءً على جواز استعمال المشترك في معنييه أو معانيه، يجوز أن يكون المراد في البيت بقوله: (ولا كُفْرَان) أي لا إنكاراً لألوهيته وربوبيته، ولا إنكاراً لوحدانيته وتنزهه عن أن يشاركه غيره، ولا إنكاراً لنعمة التي أفاضها وأسبغها على مخلوقاته، ومنها النعمتان اللتان لم يُخل مخلوق عنهما، ولا بُدَّ لكلِّ مكوّنٍ منهما، نعمة الإيجاد من العدم، ونعمة الإمداد في الحياة.

والله أَسْمُ عَلَمٍ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَهِنَا الْمُقَدَّسِ، موجدِ الكائناتِ من حيزِ العدمِ المتَّصِفِ بجميعِ الكمالات، المنزه عن أضدادها، قال في التاج ما معناه: اختلفَ في لفظ الجلالة على أكثر من ثلاثين قولاً أصحها أنه عَلَمٌ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ، المستجمع لجميعِ صفاتِ الكمالِ، وقيل: هو مشتقٌّ، وقيل: مُرْتَجِّلٌ.

«كما قد قيل»: أي مثلاً قد ذُكِرَ. «للسَّارِبِ»: وفي نسخة (في السَّارِبِ)، فعلى نسخة

اللام يكون المعنى «كما قد قيل عن السَّارِبِ»، وشاهدُها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٤٦/١١]، أي: عن الذين آمنوا، فاللام هنا بمعنى عَن، وعلى نسخة (في) يكونُ المعنى كما قد قيل في حقِّ السَّارِبِ، وهو السَّارِحُ في المرعى، من (سَرَبَ)، من الباب الأوَّل، كنصر، أي توجَّه للمرعى، قال في الأساس: سَرَبَ فِي الْأَرْضِ سُرُوبًا: مَضَى فِيهَا، وَهُوَ يَسْرِبُ النَّهَارَ كُلَّهُ فِي حَوَائِجِهِ، وَسَرَبَ الْمَاءُ: جَرَى عَلَى

وجه الأرض، وسَرَبَ النَّعْمُ: توجَّهَ للرَّعْيِ، وفي المصباح: سَرَبَ المَالُ: رَعَى نهاراً بلا راعٍ، وفي القاموس: السَّارِبُ: الذاهِبُ على وجهه في الأرض، والمرادُ بالنَّعْمِ وبالمالِ الراعي الماشيةُ السارحةُ والبهائمُ الراعيةُ من إبلٍ وبقَرٍ وغنمٍ ونحوها.

«أَخْلَى فَارْتَعَى»: أَخْلَى: أَي وَجَدَ مكاناً خالياً، وصادَفَ مَحَلًّا فارغاً، وأَخْلَى: صار في موضعٍ خالٍ لا يُزاحمُه فيه أحدٌ، هذا هو الذي يُناسبُ المقامَ، وأمَّا أَخْلَى اللهُ الماشيةَ أَي أنبتَ لها الحَقْلَ الذي هو المَرْعى الرُّطْبُ، وأَخْلَى الرجلُ دابته، أَي عَلَفَهَا الحَقْلَ، وأَخْلَى المكانُ كَثُرَ فيه الحَقْلَ، فهذا كلُّه ياباه لفظُ الناظم، وإن كان معناه مناسباً للمقام.

وارْتَعَى كَرَعَى وَتَرَعَى أَي سَرَحَ في مواضع الكَلأِ، وهو يأكل منه. المعنى: نحن - ولا إنكارَ لألوهيةِ الله ووحدانيته ونعمه - مُشبهون للمواشي السَّارحة في المكان الخالي بلا راعٍ، فهي ترعى وترتع كما شاءت لها حيوانيتها.

وبعبارة أخرى: نحن مع اعترافنا بالله تعالى وعلمنا بأنه مُطَّلَع على أعمالنا كلِّها نعمل على خلاف ما نعلم، ونسترسِلُ في المعاصي ناسين ومتناسين أن لنا ربًّا لا يخفى عليه شيء، فنحن كالحیوانات السَّائمة التي أُلقيَ حبُّها على غارها فانطلقت في المراعي تأكل كما تقودُها شهواتُها وأهواؤها.

١٦٧ - إِذَا أَحَسَّ نَبَأَةَ رِيحٍ وَإِنْ تَطَامَنَتْ عَنْهُ تَمَادَى وَلَهَا

«إِذَا أَحَسَّ نَبَأَةً»: إِذَا: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، وفيه معنى الشرط، وقد يتجرَّد عنه كقولك: «إِذَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ جاءَ الليلُ»، والفرقُ بينها وبين إنَّ أَنَّ (إِذَا) للمحقِّق، و(إنَّ) للمشكوك فيه.

وَأَحَسَّ الشَّيْءَ وبالشيءِ؛ أَي شَعَرَ به وأدركه وعرفه وعلمه وراه وأبصره وسمع به، ووجد حسَّه؛ أَي حركته أو صوته، والمصدرُ الإحساسُ، قال ابن الأثير: «هو العِلْمُ بالحواسِّ، وهي مشاعرُ الإنسان من عَيْنٍ وأُذُنٍ وأنفٍ ولسانٍ ويَدٍ» وإحساساتها البصرُ والسمعُ والشمُّ والدَّوقُ واللمسُ.

والنَّبَاةُ؛ الصوتُ، وهو مأخوذٌ من نَبَأٍ إِذَا خَرَجَ وَطَلَعَ وَظَهَرَ، أَوْ مِنْ نَبَأٍ إِذَا طَرَأَ، أَيْ حَصَلَ، أَوْ مِنْ نَبَأٍ إِذَا ارْتَفَعَ، وَكُلُّهُ مِنَ الْبَابِ الثَّلَاثِ كَفَتَحَ، أَوْ مِنْ أُنْبَأَ وَنَبَأَ إِذَا أَخْبَرَ، وَيُؤْخَذُ مِنْ بَعْضِ كُتُبِ اللَّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ أَيضاً: نَبَأَ مَخْفَافاً مِنَ الْبَابِ الثَّلَاثِ، أَيْ أَخْبَرَ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى فَرَضِ أَنَّ النَّبَاةَ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الصَّوْتِ لَا تَتَصَرَّفُ، وَأَمَّا عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ فَهِيَ فِي الْأَصْلِ بِنَاءٍ مَرَّةً مِنْ نَبَأٍ مِنَ الْبَابِ الثَّلَاثِ كَفَتَحَ، أَيْ خَرَجَ مِنْهُ صَوْتٌ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: نَبَأَ الْكَلْبُ كَمَنْعَ نَبَأً، أَيْ صَوْتًا، وَلَعَلَّهُ كَنَبَحَ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَفِي مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ [ص ٤٢]: «فَسَمِعْنَا نَبَاةً مُسْتَنْبِحًا، ثُمَّ تَلْتَهَا صَكَّهُ مُسْتَفْتِحًا»، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [ديوانه ٨٩]

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدِسٌ بِنَبَاةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ
تَوَجَّسَ، أَيْ سَمِعَ أَوْ تَسَمَّعَ، وَالرِّكْزُ بِكسْرٍ فَسَكُونٌ: الصَّوْتُ الْحَقِيقِيُّ، وَالْمُقْفِرُ: الَّذِي فِي الْمَفَاذَةِ، يُرِيدُ الصَّائِدَ، وَالنَّدِسُ: الْفَطْنُ، وَقَالَ الْآخَرُ: [ديوان الحارث بن حلزة ٦٧]

أَنَسَتْ نَبَاةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنَا نَاصُ قَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
أَنَسَ الشَّيْءُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَأَبْصَرَهُ وَرَأَاهُ، وَأَنَسَهُ: عَلِمَ بِهِ، وَأَنَسَهُ: أَحَسَّ بِهِ، وَأَنَسَهُ: سَمِعَهُ، وَقَوْلُهُ: نَبَاةٌ قِيلَ: أَرَادَ صَاحِبَ نَبَاةٍ، وَقَوْلُهُ: قَصْرًا بِالْقَافِ الْمَفْتُوحَةِ: أَيْ عَشِيًّا وَمَسَاءً، وَيُرْوَى عَصْرًا.

«رَبِيعٌ»: أَيْ اعْتَرَتْهُ خَشْيَةٌ، وَحَصَلَ لَهُ خَوْفٌ وَرُعْبٌ وَفَرَقٌ وَدُعْرٌ وَفَزَعٌ، وَأَصَابَتْهُ رَهْبَةٌ وَوَقَعَ فِي رُوعِهِ - بِضَمِّ الرَّاءِ: أَيْ قَلْبِهِ - رَوْعٌ بِفَتْحِهَا، وَرَبِيعٌ: مَجْهُولٌ رَاعٍ، يُقَالُ: رَاعَهُ يَرُوعُهُ: أَيْ خَوَّفَهُ وَأَفْزَعَهُ وَأَرْهَبَهُ وَأَزْعَبَهُ، وَالْمَصْدَرُ الرَّوْعُ بِالْفَتْحِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْحَرْبِ مِبَالِغَةً، وَرَوْعُهُ تَرْوِيعًا كِرَاعَهُ فَارْتَاعٌ وَتَرْوَعٌ، وَقَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ: [أشعار الهذليين ١٢١٧]

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقَلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ هُمْ هُمْ
أَصْلُهُ تُرَاعُ: أَيْ تُخَوَّفُ، وَرَفَوْنِي: أَيْ سَكَّنُونِي، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَامِرٍ: [ديوانه ٢٠٦]

أَيَا شِبْهَ لَيْلٍ لَا تُرَاعِي فَيَأْتِنِي لِكَ الْيَوْمِ مِنْ وَخْشِيَّةِ لَصْدِيقِ

ومنه ما ورد في الدعاء: «اللهم آمِن رَوْعَاتِي وَاسْتُرْ عَوْرَاتِي»، وهو جمع رَوْعَةٍ كخَوْفَةٍ وزناً ومعنى، وكِلْتَاهِمَا بالفتح بناءً مَرَّةً مَقْيُوسٌ.

«وإنَّ تَطَامَنَتْ عَنْهُ»: أي سَكَنتُ، وهو مُطَاوَع: طَامَنَهُ، أي سَكَّنَهُ، والسُّكُونُ يكون بمعنى ذهاب الحركة، وانقطاع الصوت والثبات والاستقرار كالهذوء في ذلك كله، ويقال: طَامَنَ ظَهْرَهُ، أي خَفَضَهُ وَحَنَاهُ فَتَطَامَنَ، أي انْحَنَى، وَتَطَامَنَتِ الْأَرْضُ، وقوله تعالى: ﴿التَّفْسُ الْمَطْمِئِنَةُ﴾ [الفجر: ٢٧/٨٩]: أي الرَّائِكَةُ السَّاكِنَةُ الْهَادِئَةُ الْأَمَنَةُ وَثُوقًا بِاللَّهِ، وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ، وَإِيقَانًا بِتَحْتَمِ وَقُوعِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَفِي تَنْزِيلِهِ الْعَزِيزِ أَيْضًا: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢/٢٦٠]، أي لِيَسْكُنَ إِلَى الْمُعَايَنَةِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَرَكْنَ إِلَيْهِ، وَسَكَنَ، وَاطْمَأَنَّ بِهِ كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَنَظِيرُهَا ثَلَجَ صَدْرُهُ أَوْ قَلْبُهُ، وَثَلَجَتْ نَفْسُهُ بِهِ، أَيْ وَثَقَتْ مَسْرُورَةً بِهِ وَمُلْتَدَةً كَالْتِدَادِ الْعَطْشَانَ إِذَا شَرِبَ مِنَ الْمَاءِ الْمُبْرَدِ بِالثَّلَجِ، وَالْمَصْدَرُ الثَّلُوجُ وَالثَّلَجُ مَحْرَكَةٌ، وَجَاءَ مِنَ الْبَايِنِ الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُمْ: حَصَلَ لَهُ بَرْدُ الْيَقِينِ، وَقَوْلُهُمْ: مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الْكَيْدِ، وَقَوْلُهُمْ: غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ وَعَيْشٌ بَارِدٌ، أَيْ نَاعِمٌ رَقِيقُ الْحَوَاشِي، أَوْ مِنَ الظِّلِّ الْبَارِدِ.

«تَمَادَى وَلَهَا»: تَمَادَى فِي غَيْهِ، أَيْ لَجَّ وَدَامَ عَلَى فِعْلِهِ، وَلاَزَمَ عَمَلَهُ، وَوَاطَبَ عَلَيْهِ، وَاسْتَمَرَ مُدْمِنًا لَهُ وَثَابِرًا عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنَ الْمَدَى، كَأَنَّهُ أَصَرَ عَلَى بُلُوغِ مَدَاهِ، أَيْ غَايَتِهِ وَنَهَائِيَتِهِ، أَوْ مِنَ الْمُدَّةِ وَالتَّمْدِيدِ عَلَى قَوْلِ أَنَّ أَصْلَهُ تَمَادَدَ كَتَطَنَّى وَتَمَطَّى وَدَسَّاهَا وَتَقَصَّى وَتَقَصَّيْتُ أَظْفَارِي، مِنَ الظَّنِّ وَالتَّمَطُّطِ، وَالدَّسِيسَةِ، وَالانْتِقَاضِ وَالْقَصِّ.

وَلَهَا: أَيْ اشْتَغَلَ بِتَسْلِيَةِ نَفْسِهِ وَتَرْوِيحِهَا بِمَا لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ مِمَّا لَا فَائِدَةَ لَهُ وَسَهَا وَغَفَلَ مُعْرِضًا عَمَّا يَعْنِيهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ.

المعنى: عندما تَشْعُرُ تِلْكَ الْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ بِزَجْرِ الرَّاعِي أَوْ صَوْتِ الصَّيَّادِ، أَوْ صِيْحِ الْوَحْشِ الضَّارِي، أَوْ هَمِّهِمَةِ السَّبْعِ الْكَاسِرِ، أَوْ زَيْئِ الْأَسَدِ الْمَفْتَرَسِ تَنْزَعُجُ وَيَعْتَرِيهَا الْخَوْفُ

والفزع، وإن سکن ذلك الصوت وانقطع ولم يطرق أساعها برهة ما عادت إلى ما كانت عليه تسرح وتمرح وترعى وترتع، واستمرت على ذلك حتى كأنها لا تشبع.

١٦٨ - نَهَالٌ لِلسَّيْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا وَنَرْتَعِي فِي غَفْلَةٍ إِذَا انْقَضَى

«نَهَالٌ»: مثل نُرَاعُ وزناً ومعنى، أي نصاب بالهول، ويلحقنا الفزع والخوف، ويعترينا الدُّعْرُ والرُّعْبُ والحذر، يقال: هَالَهُ وهَوَّلَهُ فاهتال كراعَهُ ورَوَّعَهُ فارتاعَ وزناً ومعنى، أي خَوْفُهُ وأَفْزَعَهُ فخافَ وفزعَ، وكذا أَفْرَقَهُ ففرقَ، وأَرْهَبَهُ فرهبَ، ومنه الأهوالُ للمخاوفِ، وهَوْلٌ هَائِلٌ مبالغَةٌ، أي خوفٌ خائفٌ، والمَهُولُ اسمُ مفعولٍ منه، أي المَخَوَّفُ، ويُستعمل بمعنى اسم الفاعل، ومنه قولهم: «شيءٌ مَهُولٌ»، وفي الأساس: «هذا البلدُ لم يكنْ مَهُولاً» لكان مأهولاً، والأحسنُ أن يُجَرَّجَ على الحذف والإيصال، وأصله مَهُولٌ فيه، فحذف الجارَّ، واتصل الضمير مستتراً بمَهُولٍ.

«للسَّيْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا»: السَّيْرُ مصدرٌ سارَ يسيِّرُ، أي ذهبَ وراحَ ومشى، وأخذَ في قطعِ المسافةِ، ومضى يتنقلُ فيها، ولا يتقيَّدُ السَّيْرُ، بل يُستعملُ في المشي مطلقاً بخلاف السَّريِّ، فإنه مقيَّدُ بالمشي في اللَّيْلِ، والفاعلُ من ذلك السَّائِرُ، ومن هذا السَّاري.

وقوله: الَّذِي يَرُوعُنَا كيهولنا وزناً ومعنى، أي يلحق بنا خوفاً، ويُحدثُ في قلوبنا خَشْيَةً، ويورثنا فزعاً. والمرادُ بالسَّيْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا تَقَرُّبنا إلى آجالنا المحدودة، وانتقالنا من يومٍ إلى آخرٍ من أيام أنفاسنا المحدودة.

«وَنَرْتَعِي فِي غَفْلَةٍ»: أي نَرَعَى في دُهولٍ، وَنَرْتَعُ في هُوٍ ولعبٍ، وَنَسْرَحُ مُشتغلين بالأكلِ والشُّربِ، ونحن ساهون لاهون.

وقوله: نَرْتَعِي هو فعل مضارع من ارتعى كَرَعَى وَتَرَعَى: أي سَرَحَ وأكلَ في المَرَعَى، والفرقُ بين رَعَى وَرَتَعَ أَنَّ (رتع) أبلغُ من (رعى) لأنَّ الرِّعَى معناه أكلُ الكَلأِ في منابته، والرُّثُوعُ الأكلُ والشُّربُ في سَعَةٍ وخِصْبٍ ومجيءٍ وذهابٍ.

والغفلة: السهو والذهول، وفقد الشعور بما حقه أن يشعر به، وعن الراغب: «سهو يعترى من قلة التحفظ واليقظ»، وقيل: متابعة النفس على ما تشتهيها، والغفلة: اشتغال القلب بالشيء، وانصرافه عن المهم.

إذا انقضى، أي وقت انقضائه ومضيئه، يقال: انقضى الشيء ومضى، وانقطع زمانه، وفات وقته، يقال: تقضى الأمر، أي ذهب وفني وقته وانصرم، مثل انقضى، وهذا مطاوع قضى الأمر، أي أتتم عمله وفرغ منه، ومنه تقضى وانقضى عمره، أي تمت أيامه ونفدت، يقال: نفذ الشيء ونجز من الباب الرابع كعلم فيهما، ويجوز في (نجز) فتح الجيم على أنه من الباب الأول كنصر، وكلاهما بمعنى انقضى.

المعنى: نقلق ونزعج ويعترينا الخوف والفرع الشديد عند تذكرنا سرعة كُرور الأيام ومُرور الليالي، ثم عند ذهاب هذا التذكر نعود إلى الانهالك في شهواتنا. وذهب بعضهم إلى أن فاعل «يروعنا» هو السير، وفاعل «انقضى» هو الروع المفهوم من يروعنا، وهو ظاهر جيد.

١٦٩ - كَثَلْتِ رِيْعَتِ لَيْثٍ فَانْزَوْتُ حَتَّى إِذَا غَابَ اطْمَأْنَنْتُ أَنْ مَضَى

وفي نسخة: «إِذْ مَضَى»، والمؤدَّى واحد.

«كثلة»: الكاف أداة تشبيه، والثلة بالفتح: جماعة الغنم، قال الشاعر:

أَلَيْتُ بِاللَّهِ رَبِّي لَا أَسْأَلُهُمْ حَتَّى يُسَالِمَ رَبَّ الثَّلَّةِ الدَّيْبُ

أي لا أصلحهم أبداً لأن الذئب لا يزال حرباً مع رب الثلة، أي صاحبها، والمراد به

الراعي، وأما الثلة بضم الثاء فمعناها الجماعة من الناس، وفي التنزيل العزيز: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ

الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣/٥٦-١٤]، أي جماعة من الناس الأوائل، وقليل

من المتأخرين عنهم، ومنه قولهم في الجاهل: «لا يُفرِّق بين الثلة والثلة»: أي بين جماعة

الغنم وجماعة الناس.

والغَنَم: اسم جنس يُطلق على الضَّانِّ والمَعَزِّ، والضَّانُّ بفتح فسكون: ذوات الصوف،
والمَعَزُّ بفتح فسكون وبفتحتين أيضاً: ذوات الشَّعر.

«رِيعَتْ»: أي خُوِّفَتْ، من راعَهُ يَروعه رَوْعاً كَهَالَهُ يَهولُهُ هَوْلًا؛ أي أَفزعَهُ، وأَفرَقَهُ
وأزْهَبَهُ وأزْعَبَهُ. «لِئِيْثٍ» أي لِأَسَدٍ، وهو الحيوان المفترس، والمرادُ لهجومِ لِيْثٍ عليها، وهو
أَجْرُ الحيوانات المفترسة وأشجعُ الوحوش الضَّارية، قال بعضهم بأن أسماء الأسد تبلغ ألفاً،
ذَكَرَ أَكْثَرُهَا صاحبُ القاموس في كتاب له اسمه: «الرَّوْضُ الْمَسْلُوفُ فيما له اسمان إلى الأُلُوفِ».

«فانزَوَتْ»: أي تَوَارَتْ واختبأت واستترت واستخفت وانضمت واجتمعت وتَنَحَّتْ
وانصرفت، والمصدر الانزواء، وهو مُطَاوَع زَوَاه يَزويه زَيًّا، ومعناه في جميع صيغِه يرجع
للجمع، يقال: زَوَى سِرَّهُ عَنِّي، أي طَوَاه وكتَمَه كَلَوَاه، وزَوَى ما بين عينيه، أي عَبَسَ
وقَطَّبَ، وزَوَاهم الدهرُ، ذهب بهم وأهلكهم كما يقال: أَلَوَى بهم، وزَوَى اللهُ عَنَّا الشَّرَّ، أي
صَرَفَه ونَحَّاه وباعده، ووزَوَى إِلَيَّ البعيدَ: قَرَبَه، وزَوَى اللهُ للنبِيِّ عليه الصلاة والسلام هذه
البسيطة، أي جمعها حتى رأى مَشَارِقَها ومَغَارِبَها، ومنه الزاوية من البيت ونحوه، وهي
رُكْنُهُ لأنها جمعت قُطْرًا منه، أي جهةً وناحيةً، وزَوَى الرجلُ المَالَ عن وارثه؛ أي نَحَّاه عنه
ومنعه منه، وقولُ الأَعشى:

يَزِيدُ يَغِضُّ الطَّرْفَ عَنِّي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ الْمَحَاجِمُ
فَلَا يَنْبِسُطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
أَي عَبَسَ وَقَطَّبَ، يقال: زَوَى ما بين عينيه فانزوى، أي جمعه فاجتمع، وقَبَّضَهُ
فَتَقَبَّضَ، ومنه: انزَوَتْ الجِلْدَةُ في النار، أي أَثَّرَ فيها حَرُّ النارِ حتى تَجَعَّدَتْ وتكَمَّشَتْ
وتَقَبَّضَتْ واجتمعت وانضمت وتَدَانَتْ، وقولُ بشر: [ديوانه ٦٦]

فقد كانت لنا وهنَّ حَتَّى زَوَتْها الحَرْبُ أَيامَ قِصَارِ
قال في اللسان [زوى]: «زَوَتْها: رَدَّتْها، يقال: زَوَوْهُم؛ أي رَدُّوهُم»، وفي الأساس:

«من المجاز: زَوَى المَالَ وغيرَه؛ أَي احتَارَه، وَزَوَى عنه حَقَّه؛ أَي حال بينه وبينه، وَزَوَى الميراثَ عن وَرثته؛ أَي عدَلَ به عنهم، وقد انزَوَيْتَ عَنَّا؛ أَي انقبضتَ فلا تُبَاسِطُنَا».

«حتَّى إِذَا غَابَ»: أَي إلى وقتٍ مَعْيِيه، وشاهدُ صحَّةِ هذا التركيب قولُه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾ [الزمر: ٣٩/٧١، ٧٣]، وقولُه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠/١٢].

«اطْمَأَنَّتَ»: أَي هدأتُ وسكنتُ وركنتُ وزالَ قلقُها، وذهبَ انزعاجُها، وأمنتُ وَوَثِقْتُ. «أَنْ مَضَى»: أَي لأجلِ أَنْ مَضَى، أَي لمُضِيهِ وانقضائه، وانقطاعِ زمنه، وذهابِ وقته، وفي نسخة: إِذْ مَضَى: أَي لأنه مَضَى. وإِذْ: حرفٌ تعليل، ويدلُّ على الزمانِ الماضي، ومَضَى: فعلٌ ماضٍ، واسمُ الفاعلِ منه: الماضي.

المعنى: كجماعةِ الغنمِ وقد حصلَ لها رُعبٌ شديد، وخوفٌ زائدٌ بسببِ هجومِ بعضِ الآسادِ عليها، وأصابها منه انزعاجٌ وقلقٌ حتى انحازتْ إلى ناحيةٍ من النواحي، وتقارَبَ بعضها من بعضٍ واجتمعتْ وتدانَت، فلمَّا غابَ عنها ذلك السَّبُعُ الكاسرُ والأسدُ الضاري عادتْ إلى ما كانت عليه من الأمانِ والاطمئنانِ والرُّكونِ والسُّكونِ والإِخْلادِ إلى الرَّعيِّ والرُّتُوعِ.

١٧٠- **إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُوَلِّعٌ لَا يَمْلِكُ الرَّدَّ لَهُ إِذَا أَتَى**
«إِنَّ الشَّقَاءَ»: وهو ضدُّ السعادة، ويُفسرُ الشَّقَاءُ بالشِّدَّةِ والعُسْرِ، والعناء، والمَشَقَّةِ، والشَّرِّ، وفي الأساس [شقو]: «فلان يَدَّعِي لِنَفْسِهِ السُّعُودَ، وهو أَشَقَى مِنَ أَشَقَى ثَمُودَ».

«بالشَّقِيِّ»: الشَّقِيُّ ضدُّ السَّعيدِ، والشَّقَاوَةُ في الدنيا تكونُ بمعنى الفقر، والتَّعبِ وكثرةِ الهمومِ والغمومِ، وبمعنى الغيِّ، والضَّلَالِ والأذى والإِفسادِ والانهماكِ في الباطلِ واللَّجاجةِ في الفِسقِ والفُجورِ والتَّهاديِّ على العُدوانِ والظُّلمِ والحُبْثِ والجَهْلِ، والشَّرِّ وارتكابِ المعاصيِ والمساوئِ والمنكراتِ، وضدُّ ذلك السعادةُ.

وبضدِّها تَمَيِّزُ الأَشْيَاءِ [ديوانِ النبي ١/١٤٩]

«مُولَعٌ» اسمُ فاعلٍ في المعنى، واسمُ مفعولٍ في اللفظ، ونظيره المَزْهُوُّ والمُعْجَبُ بنفسه للمتكبر، والمعْنِيُّ بالشيء؛ أي المَعْتَنِي به، والمُلْفَحُ؛ أي الفقير، والمُحْصَنَ لَمَنْ أَحْصَنَ نَفْسَهُ بالتزوّج، والمُسْهَبِ للكثير الكلام، ومثله المُسْهَمَ لفظاً ومعنى، يقال: أُولِعَ به، وأُغْرِيَ به، أي لآزَمَهُ، ولَهَجَ به، وثَابَرَ عليه؛ أي واطَبَ وداوَمَ، وكذا صَرِيَ به وعليه، وَعَلِقَ به، أي تَمَسَّكَ، وتعلَّقَ به، وتشبَّثَ به، ولَجَّ فيه، وحرَّصَ عليه، واعتادَه حتى لا يكاد يُقدِر أن يصبرَ عليه، قال الراجز:

إِنَّ الحِمَاةَ أُولِعَتْ بالكِنَّةِ وَأُولِعَتْ كَتَّيْهَا بِالظَّنِّةِ

«لا يَمْلِكُ الرَّدُّ لَهُ»: أي ليس في وَسْعِهِ أن يردَّه وَيَصْرِفَهُ عن نفسه، يقال: مَلَكَ الرجلُ نفسه عند شهوتها، أي قَدِرَ على حُبْسِها ومنعها، ومَلَكَ نفسه عند الغضب، أي قَدِرَ على كظْمِ الغَيْطِ، وتجلَّدَ، وصبرَ، وتحَمَّلَ ولم يُطَاوِعِ الشهوة الغضبيَّة التي تدعوه إلى الانتقام والمعاقبة.

«والرَّدُّ»: مصدر رَدَّ الشيءَ إِذَا أَرَجَعَهُ وأعادَه، يقال: رَدَّ الهديةَ، أي لم يقبلها، ورَدَّ الوديعةَ، ورَدَّ الرَّهْنَ، أي أعادَهما وأرجعَها إلى صاحبها، ورَدَّ العدوَّ: هزَمَهُ ومنعَهُ من التَّهادي في قصده، ورَدَّ السائلَ عن حاجته، ورَدَّ على الواهب هِبَتَهُ، ورَدَّ عليه قوله، ورَدَّ إليه جوابَ كتابه، ومَرْدُوْدُ الكتابِ ورَدِيْدُهُ: جوابُهُ، وليس لأمر الله مردودٌ، أي ليس لما قضاه رادُّ، قالتُ الحنساء تَرثِي أختها: [ديوانها ٤٥]

ضاقَتْ بِالأَرْضِ وانْقَضَتْ مَخارِمُها حَتَّى نَحَّاشَعَتْ الأَعْلَامُ والبِيْدُ
وقائلينَ تَعزِّي عَن تَذْكِرِهِ والصَّبرِ ليس لأمرِ الله مَرْدُوْدُ
أي والزيمي الصبر، فإنَّ أمرَ الله مُبرِّمٌ لا بدَّ من نُفُوذِهِ، وقولُهُم: امرأةٌ مردودة؛ أي مُطلَّقةٌ لأنَّها تُردُّ إلى أبويها، ورَدَّ الصَّيرْفِيُّ رُيُوفَ الدراهمِ لأنَّها لا تُروِّجُ، وقول الشاعر:

فيا بَطْحاءَ مَكَّةَ خَبِّرنا أَمَا تَرْتَدُّني تلكِ البِقاعِ
أي أَمَا تَرْتَجِّعُني وتَرُدُّني إليها.

«إِذَا أَتَى»: أَي وَقْتِ إِتْيَانِهِ، وَحِينَ مَجِيئِهِ، وَكَلِمَةٌ إِذَا: ظَرَفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، أَي بِمَعْنَى الْوَقْتِ الْآتِي، وَأَتَى يَأْتِي أَتِيًّا أَي جَاءَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَاخْتَلَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَتِي الْعَسْكَرِ

وَالاسْمُ مِنْهُ الْإِتْيَانُ، وَأَتَا يَأْتُو أَتَوْا لَغَةً فِي أَتَى يَأْتِي أَتِيًّا فَهُوَ يَأْتِي وَأَوِيٌّ، قَالَ بَعْضُ الْمُؤَلِّدِينَ:

يَأْتِي وَيُؤْتَى لَيْسَ يُنْكَرُ ذَا وَلَا هَذَا كَذَلِكَ إِبْرَةُ الْخِيَّاطِ

أَي يَلُوطُ وَيُلَاطُ فِيهِ، قَالَ الْآخَرُ:

أَتَى دُونَ حُلُو الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ نُكُوبٌ عَلَى أَثَارِهِنَّ نُكُوبٌ

أَي حَالِ بَيْنَ رَغْدِ الْعَيْشِ وَبَيْنَ الرَّجْلِ مِصَابُ جَعَلْتَهُ صَنْكًا، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لُبُونُ بَنِي زِيَادٍ

وَإِنَّمَا لَمْ يَحْذِفِ الْبَاءَ فِي آخِرِ (يَأْتِي)، لِأَنَّهُ أَنْزَلَ الْمُعْتَلَّ مَنْزِلَةَ الصَّحِيحِ، هَذَا إِذَا لَمْ نَقْلُ لِلضَّرُورَةِ.

المعنى: إِنَّ النُّحُوسَةَ، وَالشَّدَّةَ، وَالْعُسْرَ مَلَاذِمَةٌ لِلشَّقِيِّ الشَّرِيرِ الْخَبِيثِ الْمَحْرُومِ مِنَ الْخَيْرَاتِ بِمِثْلِهِ إِلَى الشَّرِّ وَانْهَاكِهِ فِي الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، وَهَذَا الرَّجُلُ الْمُتَلَطِّحُ بِهَذِهِ الْأَدْنَسِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرُدَّ الشَّقَاءَ عَنْ نَفْسِهِ وَيَحْفَظَهَا مِنَ الْعِنَاءِ وَاللَّأْوَاءِ.

١٧١- وَاللَّوْمُ لِلْحَرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لَا يَرْدَعُهُ إِلَّا الْعَصَا

«وَاللَّوْمُ»: الْعَذْلُ وَالْعِتَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [ديوان أبي نواس ٢١ / ١]

دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِي بِنَالَتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

وَهُوَ - أَعْنِي اللَّوْمَ - كَأَنَّ تَقْوَلَ لِنَ تَلُومُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَلِمَ قَلْتَ كَذَا؟ وَلِمَ ظَنَنْتَ

كَذَا؟ وَلِمَ تَعَشَّقُ الْمِلَاحَ وَتَحْتَجِبُ عَنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ؟

«لِلْحَرِّ»: لِلرَّجُلِ الْحَرِّ، وَهُوَ الْخَالِصُ مِنَ الرَّقِّ وَمِنَ الْعِبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضِدُّ الْحَرِّ

هُوَ الْمَمْلُوكُ وَالرَّقِيقُ، وَالْعَبْدُ وَالْمَوْلَى، وَجَمْعُ الْحَرِّ أَحْرَارٌ، وَمَوْئِنُهُ حَرَّةٌ وَحَرَائِرٌ، وَالْحَرُورِيَّةُ

بِالْفَتْحِ وَتُضَمُّ، وَالْحَرُورَةُ بِالضَّمِّ، وَالْحَرَارَةُ، وَالْحَرَارُ بِفَتْحِهَا، وَالْحَرِّيَّةُ، هَذِهِ الْأَلْفَاظُ

الخمسة بمعنى واحد، ومن سجعات الأساس: «ليس من الحرورية أن تكون من الحرورية، فالأولى مصدر كالحرية، والأخرى اسم لقوم من الخوارج نُسبوا إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة كان أول اجتماعهم بها، وتعمقوا في أمر الدين حتى مرقوا منه، وتستعمل الحرورية بمعنى الشرف، والكرم، والعزة، والنزاهة عن الدنيا، والبعد عن السفساف، والصدق في التعبير عما في الضمير، وعلو الهمة وشدة الحرص، والرغبة في المعالي، والتصريح بالحقائق، والغيرة على خصوصية الإنسانية، وعدم الانقياد لغير ما يحكم به الشرع، ومنه قولهم: «الحر عبد الحق»، والحرية يستحيل أن تجتمع مع النفاق، والتملق، أو المداهنة، أو التصنع، أو الرياء، أو الكذب، أو الشح والبخل، أو الرضى بالنقائص أو الإقرار على الظلم، أو السكوت على الضيم، ولما كانت الأشياء تمتاز بأضدادها أرى من تمام امتياز الحر أن يقال: هو ضد اهللجابة بكسر فسكون، وهو الدون الخسيس الجامع لكل شرور ورذالة وخبث، وإن الحر على التحقيق من وفقه الله تمام التوفيق، والله در القائل: [ديوانه ٢/ ٩٣]

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ
 «مقيم»: اسم فاعل من (أقامه يقيمُه إقامة): إذا أصلحه بتعديله حتى يزول عوجه ويستقيم طوله، و(قومه تقويماً) ك(أقامه إقامة)، و(عدله تعديلاً)، و(ثقفه تثقيفاً)، و(سواه تسوية) حتى استوى، أي اعتدل.

قال في المصباح [قوم] ما خلاصته: قام بالأمر، واستقام الأمر، وهذا قوامه بالفتح والكسر، أي عماده الذي ينتظم ويقوم به، وكذا قيامه، وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥/ ٤].

والقوام بالكسر: ما يقيم الإنسان من القوت، والقوام بالفتح: العدل والاعتدال، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧/ ٢٥] أي عدلاً.

ورجلٌ حسنُ القوامِ أي الاعتدالِ، وفي الأساسِ [قوم]: «قومُ العودِ، وأقامه فقام، واستقام، وتقوم، وهو طويلُ القامةِ والقوامِ»، وفي التاج: «قامةُ الإنسانِ وقوامُهُ: شطاطُهُ وحسنُ طولِهِ، والقوامُ كسحابٍ أيضاً: العدلُ، وما يُعاشُ بهِ ويقومُ بالحاجةِ، وبالكسرِ ككتاب: عمادُ الأمرِ ونظامُهُ وملاكُهُ الذي يقومُ بهِ كقيامِهِ، وفلانٌ قيامٌ أهلِ بيتهِ وقوامُهُم، أي يُقيمُ شأنَهُم، وفي المستدرِك من التاج وقوامُ الأمرِ بالفتح: ملاكُهُ، لغةٌ في القوامَةِ بالكسر، وفي المصباح: ملاكُ الأمرِ: قوامُهُ والقلبُ: ملاكُ الجسدِ، وفي الأساس: ملاكُهُ: قوامُهُ وما يملكُ بهِ، وليسَ لأمرِهِ نظامٌ، أي لم تستقمْ طريقتهُ، وهذه أمورٌ عظامٌ لو كان لها نظامٌ، وفي التاج: عمادُ الشيءِ: ما يُقامُ بهِ.

«راذعٌ»: أي زاجرٌ وازعٌ، يُقالُ: رَدَعَهُ، وكَفَّهُ، وورَعَهُ، ورَجَرَهُ، ونَهَرَهُ، وانتَهَرَهُ، ونَهَاهُ، ونَهَنَّهُ، ومنَعَهُ، كُلُّها تدورُ على معنى واحدٍ، وترجعُ إلى مُؤدِّي مُتَّحِدٍ.

«والعبدُ»: أي المملوكُ، وهو الرقيقُ، أي الخادِمُ المشتري، وكذلك القنُّ بالكسرِ، وقيل: هذا الذي مُلكَ هو وأبواه، وأما مَنْ وُقِعَ عليه واستُعبدَ فهو عبدٌ مملِكَةٌ بفتح اللامِ وضمِّها، أي سبي ومُلكٌ دونَ أبويه، وهذا خلافُ الحرِّ، ويُطلقُ العبدُ أيضاً على الدُّونِ اللئيمِ الخسيسِ، كما يُطلقُ الحرُّ على الكريمِ الفاضلِ الكاملِ المهذبِ.

«لا يردُّه إلا العَصَا»: أي لا يكفُّه إلا الضربُ والتأديبُ بالعَصَا.

المعنى: إن العتابَ يكفي لتنبيةِ الكريمِ إذا سَهَا، وهَفَا، ورَزَل، وفيه - أعني في العتابِ - مَنَعٌ له ومُزْدَجِرٌ ومنَعٌ من أن يسترسلَ في زَلِّهِ على خُطاهُ وخَطَلِهِ، وتوقيفٌ له بهِ عندَ حدِّ الأدبِ بخلافِ اللئيمِ الدُّونِ، فهو ما يزالُ مُصرّاً على غيِّهِ منهمكاً في عمائِهِ راكباً رأسَهُ العُودَ، ولا يَرجعُ عن ضلاله واتباعِ خطواتِ شيطانِهِ والانقيادِ لهواه حتى يُزجرَ بالتوبيخِ والتَّقريعِ والتَّعنيفِ والضَّربِ بالعَصَا.

١٧٢- وآفة العقل الهوى فمن عالا على هواه عقله فقد نجح

«وآفة العقل»: أي ومفسده، وفي المصباح: الآفة: عرض يفسد ما يصيبه، وهي العاهة، يقال: آفة الظرف الصلف، وآفة العلم النسيان، يقال: آفة المروءة خلف الوعد، وفي مجمع الأمثال [١/٥٩]: «قال النسابة البكري: «إن للعلم آفة ونكدا وهجنة واستجاعة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره في غير أهله، واستجاعته أن لا تشبع منه». انتهى. وفيه أيضاً: آفة المروءة خلف الوعد. انتهى.

والعقل: الحجي والحجر والنهي واللّب، وقد وقع اختلاف في العقل هل له حقيقة تُدرَك أو لا؟ قولان، وعلى الأول هل هو جوهر أو عرض؟ قولان، وهل محلُّه الرأس أو القلب؟ قولان، وهل العقول متفاوتة أو متساوية؟ قولان، وهل العقل اسم جنس أو جنس أو نوع؟ أقوال، واختلف القائلون بالجوهريّة أو العرَضية في اسمه على أقوالٍ أعدّها قولان، فعلى أنه عرض هو ملكة في النفس تستعدُّ بها للعلوم والإدراكات، وعلى الجوهريّة هو جوهر لطيف تُدرَك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات، خلّقه الله تعالى في الدماغ، وجعل نوره في القلب، وقيل سوى ذلك ما لا يسعه هذا الكتاب.

ومن أدلّ الدلائل على عجز الإنسان وقصوره كونه إلى الآن لم يقف على حقيقة العقل كما لم يقف على حقيقة الروح والنفس والعلم، وفي التنزيل: ﴿وَمَا أُنْتَسِرَ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/٨٥]، ولذلك ترى المنصف كلما ازداد علماً ازداد إقراراً واعترافاً بعجزه وقصره بآه وقلّة اطلاعه وكثرة جهله، والعجب ممن يطمع فيما لا مَطْمَع فيه من معرفة كنه الخالق بعقله القاصر، ويتناول بآه القصير إلى حضرة العليّ المتعالى الذي تنزهه من أن تحيط به المعاني اللغوية الكونية كما تنزهه عن أن تحيط به الأكوان الجوهريّة، فسبحانه من إله أزيّ أبديّ واحدٍ أحدٍ فردٍ صمدٍ، برهنت مصنوعاته على وجوب وجوده ودلّت آياته على عظمته وعلى استحالة الإحاطة بكنهه.

«الهُوَى»: مصدرٌ (هُوِيَهُ يَهْوَاهُ) من باب الرَّابِعِ ك(عَلِمَ، وَرَضِيَ، وَعَوِيَ) ومعنى (هُوِيَهُ): أَحَبَّهُ وَعَلِقَ بِهِ، قال الشاعر:

أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوَأْ أَمْرًا هَوِيَتَهُ وَلَكَيْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوَى
 هذا أصله، ثم صار الهوى يُطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في الميل المذموم، فقيل: اتَّبَعَ هَوَاهُ، وهو من أهل الأَهْوَاءِ، ويُفسَّرُ الهوى بالعشق وبمحبَّة الإنسان للشيء، وغلبته على قلبه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٧٩/٤٠]، قيل: أي عن شهوتها وما تدعو إليه من المعاصي، ويُفسَّرُ الهوى بالإرادة النَّفسانيَّة، قال الشاعر:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتَقٌ
 وهذيل يقولون: هَوِيٌّ، كما يقولون: قَفِيٌّ وَعَصِيٌّ، قال أبو ذؤيب الهذلي:
 سَبَقُوا هَوِيًّا وَأَعْنَقُوا هَوَاهُمْ فَتَحْرُمُوا، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ
 وهذا أهوى إلي منه، أي أحبُّ، ومنه قولُ أبي صخر الهذلي: [أشعار الهذليين ٩٧٤]
 وَلَلَيْلَةُ مِنْهَا تَعُوذُنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إِثْمِ
 أَهْوَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحْتُ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمِ
 قال الأصمعيُّ في تفسير قول الهذلي المتقدِّم - أعني سبقوا هويي... إلخ -: أي ماتوا قبله ولم يلبثوا الهواي، وكنتُ أحبُّ أن أموت قبلهم.

وأعنفوا هواهم: جعلهم كأنهم هَوَوُا أن يذهبوا إلى المنيَّة لسرعتهم إليها، وهم لم يهَوَوْها حقيقةً، وقري: ﴿فَأَجْعَلْ أَعْدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧/١٤] بفتح الواو، أي تَهَوَّاهُمْ، وإنَّا عُديُّ ب(إلى)؛ لأنَّه بمعنى (تميل)، والقراءةُ المعروفةُ المشهورةُ: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ بكسر الواو، وأمَّا قولُ الشاعر:

وَهَانَ عَلَى أَسْمَاءَ أَنْ شَطَّتِ النَّوَى نَحْنُ إِلَيْهَا وَالْهَوَاءُ يُتَوَقُّ

أَرَادَ: هَوَى النَّفْسِ، وَإِنَّمَا مَدَّهُ ضَرُورَةً، وَفِي الْمَثَلِ: (الهُوَى مِنَ النَّوَى)، أَي الْحُبُّ يَتَوَلَّدُ
مِنَ الْبُعْدِ، وَنَحْوُهُ: (..... اغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ) [ديوان أبي تمام ٢/ ٢٣]

وقال الشاعر:

رُبَّ نَاوِيْمَلٍ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وفي مَثَلٍ آخَرَ: (الهُوَى هَوَانٌ).

«فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ»: أَي فَمَنْ غَلَبَ عَقْلَهُ عَلَى هَوَاهُ، وَالْأَصْلُ أَنْ مَنْ كَانَ عَالِيًا
فَوْقَ أَحَدٍ كَانَ قَادِرًا عَلَى قَهْرِهِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ كَمَا يَبْنِي بِذَلِكَ تَعْدِيَّتَهُ بِ(على) لِمَا فِيهَا مِنْ
مَعْنَى الْإِسْتِعْلَاءِ وَالْفُوقِيَّةِ. «فَقَدْ نَجَا»: أَي فَقَدْ سَلِمَ مِنَ الْبَلَاءِ وَخَلَصَ مِنَ الْهَلَاكِ.
المعنى: إِنَّ عِلَّةَ فَسَادِ الْعَقْلِ هِيَ إِرَادَةُ النَّفْسِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَعِلَاقَتُهَا بِمَلَاذِ الطَّبِيعَةِ
الْجِسْمَانِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، فَمَنْ حَكَمَ عَقْلَهُ فِي هَوَاهُ سَلِمَ مِنْ تِلْكَ الْآفَةِ وَمِنْ كُلِّ مَا فِيهِ خِيفَةٌ، وَإِلَّا
فَسَدَّ عَقْلَهُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْحِمَاقَةُ وَالسَّخَافَةُ وَوَقَعَ فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ، وَضَلَّ فِي الْمَجَاهِلِ
وَالْمَعَامِي يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءٍ فِي «بُئْسَ الْمَسَالِكِ».

١٧٣ - كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفَيْتُهُ الْوُدَّ لَخَلْقِي مُرْتَضَى

وفي نسخة (بِخُلِقِي) ^(١) بالباء، عَوْضٌ عَنِ اللَّامِ، وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ.

«كَمْ مِنْ أَخٍ»: (كم) تستعمل في معنيين: في الاستفهام، وفي الخبر، والخبرية هي المرادة
في البيت، ومعناها الكثير، ويرادفها فيه لفظ (كأين) ويزاد بعدهما (من) لبيان ما يراد
تكثيره ك(الأخ) في البيت، وهو الذي ولدته أبوك أو أمك أو أحدهما، ويُطلق على الرضيع،
وعلى الصديق والصاحب، ومنه: «رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ»، والمراد به الصديق، ومن
مُستحسنات الأَجوبة قول بعضهم - وقد سُئِلَ مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ؟ -:
«أخي إذا كان صديقي».

(١) كذا في شرح التبريزي: ٨٦.

«مَسْخُوطَةٌ أَخْلَاقُهُ»: أي مكروهة طباعه، مقلية شائله، ممقوتة خصاله، يقال سَخِطَهُ، أي كرهه، وأَبْغَضَهُ، ولم يَرِضْ بِهِ، ولا قَبِلَهُ، وأَمَّا سَخِطَ عَلَيْهِ فمعناه: غَضِبَ عَلَيْهِ، وَاغْتَاظَ مِنْهُ، وكلاهما من البابِ الرَّابِعِ ك(عَلِمَ)، إِلَّا أَنَّ صُورَةَ التَّعْدِيَةِ هِيَ الْفَارِقَةُ، فَإِنَّ عَدَيْتَ (سَخِطَ) بِنَفْسِهَا كَانَتْ بِمَعْنَى الْكِرَاهَةِ وَعَدَمِ الرِّضَى، وَإِنْ عَدَيْتَهُ بِ(عَلَى) كَانَتْ بِمَعْنَى الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ، وَفِي الْأَسَاسِ [سَحَطَ]: «غَمٌّ لَا أَبَالِكَ سَاحِطٌ أَنْ تَبِيْتَ وَالْمَوْلَى عَلَيْكَ سَاحِطٌ». ومعناه: كَرَبٌ وَيَحْكُ ذَابِحٌ أَنْ تَبِيْتَ وَالْمَوْلَى عَلَيْكَ غَضِبَانٌ، يُقَالُ: سَخِطَهُ بِالْمُهْمَلَاتِ أَي ذَبَحَهُ ذَبْحًا سَرِيعًا مِنَ الْبَابِ الثَّلَاثِ ك(فَتَحَ)، وَسَخِطَ عَلَيْهِ: غَضِبَ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَأَسَخَطَهُ: أَعْضَبَهُ.

«وَأَخْلَاقُهُ»: طباعه، وسجاياه، وشائله، وغرائزه، وما جُبِلَ عَلَيْهِ، واحده خُلُقٌ بضمّتين، ويجوزُ تسكينُ اللَّامِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ، بِمَنْزِلَةِ الْخَلْقِ بِالْفَتْحِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَمِنْهُ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، وَ«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» [أبو داود: ٤٧٩٨]، وَ«بُعِثَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِتَمِيمِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ». وَتُطْلَقُ الْخَلِيقَةُ وَالْخَلَائِقُ أَيْضًا عَلَى الطَّبِيعَةِ وَالطَّبَائِعِ وَزَنًا وَمَعْنَى.

«أَصْفِيَّتُهُ الْوُدَّ»: أَي جَعَلْتُ مَحَبَّتِي لَهُ خَالِصَةً مِنْ شَوَائِبِ الْبُغْضِ صَافِيَةً مِنْ مُكَدَّرَاتِ التُّفَاقِ، الْمُرَادُ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ حُبًّا حَقِيقِيًّا مِنْ صَمِيمِ فُؤَادِي وَسُودَاءِ قَلْبِي، يُقَالُ: فَلَانَ أَصْفَانِي الْمَوَدَّةَ، أَي أَخْلَصَهَا لِي، وَجَعَلَهَا صَافِيَةً ك(صَافَانِي مُصَافَاةً)، أَي أَخَانِي مُوَاخَاةً حَقِيقِيَّةً، وَصَدَقَ فِي حَبِّي، وَأَخْلَصَ لِي فِي مَوَدَّتِهِ، وَذَلِكَ صَفِيِّي، أَي حَبِيبِي الْمُصَافِي وَصَدِيقِي الصَّدُوقُ فِي دَعْوَى مَحَبَّتِي، وَهُمْ أَصْفِيَائِي الَّذِي اصْطَفَيْتُهُمْ لِلْمُجَالَسَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ، وَاخْتَرْتُهُمْ، وَانْتَقَيْتُهُمْ، وَانْتَخَيْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَهُمْ أَصْفِيَائِي، وَإِخْوَانِي، وَأَخْدَانِي، وَخِلَّانِي، وَأَصْدِقَائِي، وَأَوْدَائِي، وَأَصْلُ (أَصْفَاهِ الْمَوَدَّةِ) أَصْفَى لَهُ الْمَوَدَّةَ، فَحُذِفَتِ اللَّامُ وَأَوْصَلَ بِالضَّمِيرِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْمُونَهُ بِ

الحذف والإيصال، ويقال: أصفاه بكذا إذا آثره واختصه به، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ١٧/٤٠]، ويقال: أصفى عياله بشيء يسير، أي أراضاهم به، وأصل ذلك كله من الصفاء الذي هو النقاء من كل شائبة، والخلوص من كل ما يكدر، يقال: صفا الشراب يصفو: إذا خلص من القذى، وكان نظيفاً ونقياً من كل كدر، وصفاه تصفية: إذا نقاها، ونظفها، وخلصه من الشوائب، ولم أجد (أصفاه) بالألف بمعنى (صفاه)، والقياس لا يابأه.

«الوؤد»: الصداقة والحب ك الوداد والودادة، ويستمعمل بمعنى التمني، قال الشاعر:

وَدِدْتُ وَدَادَةً لَوْ أَنَّ حَظِّي مِنَ الْخِلَانِ أَنْ لَا يَصِرَ مُونِي

وقال آخر: [ديوان البحري ١٥٣٠]

بُودِي لَوْ يَمُوتِ الْعَدُوُّ وَيَعْشُقُ لِيَعْلَمَ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعْلَقُ
وقال النطاح:

بُودِي لَوْ حَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا تَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسُ الشَّحَائِحُ
«لخلق مُرتضى»: أي لطع واحد مقبول، يقال: ارتضاه لصحبته، أي اختاره وراه أهلاً

لذلك، وهو افتعال من الرضى، وهو ضد السخط والكراهية.

المعنى: طالما اتخذت من الناس صديقاً عاشرتهم بتهم المصافاة، وأخلصت له محبتي، وعاملته معاملة الصديق الصدوق في إخائه بوداد حقيقي، وكل ذلك لأجل خلق واحد من الأخلاق الفاضلة، وإن كانت بقيته أخلاقه مكروهة مسخوطة تنفر منها النفوس، وتشمئز القلوب.

١٧٤ - إِذَا بَلَوْتَ السَّيْفَ مُحْمُوداً فَلَا تَذُمَّهُ يَوْماً أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا

«إِذَا بَلَوْتَ السَّيْفَ»: أي إذا جربته، واختبرته، واستعملته لتطلع على حقيقته، أحميدٌ

هو أم كليل؟ وكلمة «إذا» لها معانٍ: أحدها: أن تكون للوقت المجرد، نحو: فم إذا طلع الفجر، أي عند طلوعه.

والثاني: أن تكون مرادفة للفاء فيجأى بها، ومنه ما في التنزيل العزيز: ﴿وَلِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٠ / ٣٦]. وتكون للمفاجأة، كقول الشاعر:

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
وهذا البيت للحرقه ك(هُمَزَة) بنت النعمان بن المنذر، وقبله:

فَأُفُّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
وتنصفت الرجل: خدَمْتُهُ، وتنصفتُهُ: استخدمتُهُ.

وتكون «إذا» ظرفاً لما يستقبل من الزمان وفيها معنى الشرط كما في البيت، والفرق بينها وبين «إن» أن «إذا» للمحقق وقوعه، و«إن» للممكن المحتمل.

«وَبَلَوْتُ السَّيْفَ»، جرَبْتُهُ يقال: بَلَاهُ يَبْلُوهُ ك(ابْتَلَاهُ يَبْتَلِيهِ) إِذَا تَعَرَّفَ حَالَهُ وَطَلَبَ الوقوف على ما يجهل منه ليظهر له أجيد هو أم رديء، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٢ / ١٢٤]، وفيه أيضاً: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٢١ / ٣٥]، وعن ابن الخطاب: «بلينا بالضراء فصرنا وبلينا بالسرائر فلم نصبر» [الترمذي: ٢٤٦٤]، وعن ابن أبي طالب بهذا المعنى: «مَنْ وَسِعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ [قد] مُكْرَبٌ بِهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ».

و«السيف»: الحسام الذي يُضْرَبُ بِهِ، وأسماؤه تزيد على ألفٍ ذكرها صاحب القاموس في كتابه: (الروض المسلوب فيما له اسمان إلى الألف).

«مَحْمُوداً»: أي موصوفاً بأوصافٍ جمليّة، ومنعوتاً بنعوتٍ جيّدةٍ مرضيّة، وهو اسمٌ مفعولٍ من (حَمَدَهُ يَحْمَدُهُ) من البابِ الرَّابِعِ ك(عَلِمَ) إِذَا ذَكَرَ مَحَاسِنَهُ، واعترفَ بثبوته لها واتّصافه بها، والحمدُ والمدحُ والثناءُ بمعنى واحدٍ من جهة كونها تُطْلَقُ على ذِكْرِ الأوصافِ الحسنةِ الموجودةِ في الشّيءِ، وإنْ كَانَتْ فَوَائِدُهَا لَا تَعْدَاهُ بِخِلَافِ الشُّكْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا على الأوصافِ الحسنةِ الّتي تصلُ منافعُها إلى الشّاكِرِ، وفي تحقيقِ معاني هذه الألفاظِ الأربعة - أعني الحمدَ والمدحَ والثناءَ والشُّكْرَ - كلامٌ كثيرٌ لا يسعُه هذا الشَّرْحُ.

«فَلَا تَذُمَّهُ»: أي فلا تنسب له أوصافاً رديئةً، ولا تذكره بسوءٍ، يقال: ذمّه إذا عابه، وتَنَقَّصه، وغيره، وقَبَحَ فعله، ووَصَمَهُ، وهجأه، وعدَّدَ معايبه، وطعنَ فيه، والمصدر: الذمُّ كالمذمَّة، وضدُّ ذلك الحمدُ والمحمدةُ.

«يَوْمًا»: أي في يومٍ، والمرادُ بـ(اليومِ) مطلقُ الوقتِ كما هو أحدُ المعاني التي يُطلقُ عليها، وهو في الأصلِ من طلوعِ الفجرِ، أو من طلوعِ الشَّمسِ إلى غروبِها، وتعريفُهُ الشَّرعيُّ: من طلوعِ الفجرِ الثاني - وهو الصادقُ - إلى غروبِ الشَّمسِ، وعندَ المنجمينَ من الطُّلوعِ إلى الطُّلوعِ أو من الغروبِ إلى الغروبِ، ويُطلقُ على الوقتِ والحينِ والزَّمانِ نهاراً كانَ أو ليلاً، فيقال: ادَّخَرْتُكَ لهذا اليومِ، أي لهذا الوقتِ، ولذلك يستعملونَ (يومئذٍ) كما يستعملونَ (حينئذٍ)، و(وقتئذٍ) و(ساعتئذٍ)، ويُستعملُ (اليومَ) بمعنى (الدَّهرِ) وبمعنى الدَّولةِ وزمانِ الولايةِ، ويقال: هو عالمٌ بأيامِ العربِ أي بوقائعِها، وفي التنزيلِ العزيز: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ١٤ / ٥]، فسرها بعضهم: بالنَّعم، وبعضهم: بالعقوباتِ والنَّقم.

«أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَأَ»: أي لرؤيتك إيَّاه نايباً، والأصلُ (لأن تراه)، فحذفتُ اللَّامَ من (أَنْ) وهو قياسيٌّ معها ومع (أَنْ) المشدَّدة.

و«تَرَاهُ»: أي تنظرُ إليه وتُبصرُه. و«نَبَأَ»: أي كَلَّ عن الضَّرِيبَةِ، وارتدَّ عنها، ولم ينفذْ، ولا مَضَى فيها، ونبا حدهُ: لم يَقْطَعْ، قال الشَّاعر:

أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنْ لِّلسَّيْفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ
ومنه: «لكلِّ صارمٍ نبوةٌ».

المعنى: إذا جرَّبتَ السيفَ وجدتهُ ماضياً في الضَّرِيبَةِ سريعَ القطعِ لها، فلا تَنْسُبْ لَهُ الرَّدَاءَةَ إِذَا أَخْطَأَ، ولم يَقْطَعْ يوماً، وهذا تأكيدٌ للمعنى المتقدِّمِ في البيتِ السَّابِقِ الذي مؤادَّةُ أَنَّ الإنسانَ ينبغي لَهُ أَنْ يرتضي مَنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، ولو كَانَتْ بَقِيَّةُ أَخْلَاقِهِ مَكْرُوهَةً.

١٧٥- وَالطَّرْفُ يَجْتَازُ الْمَدَى وَرُبَّمَا عَنِ لِعَدَاهُ عِشَارٌ فَكَبَا

«والطَّرْفُ»: بكسر فسكون، وهو الفرس الكريم النَّجِيبُ العتيق، والجمع طُرُوفٌ

وأطراف، قال كعب بن مالك الأنصاري: [ديوانه ١٨٩]

فَخَبَّرَهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَنَبْنَا عِتَاقَ الْحَيْلِ وَالْبُخْتِ الطَّرُوفَا

وهو من الرَّجْلِ الطَّرْفِ، وهو الشَّرِيفُ الكَرِيمُ الطَّرْفِينِ، أي الكَرِيمُ الآبَاءِ والأُمَّهَاتِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ كَذَلِكَ لارتفاعِ الطَّرْفِ إِلَيْهِ، وهو - أعني الطَّرْفَ - العَيْنُ وَزناً ومعنى، فكأنَّ الطَّرْفَ بالكسرِ فَعْلٌ بمعنى مفعولٍ كالدَّبْحِ بالكسرِ بمعنى المذبوح، يقال: طَرَفَ الرَّجُلُ يَطْرِفُ طَرْفاً، أي لَحَظَ، وقيل: معناه حَرَكَ شُفْرَ عَيْنِهِ، أي حَرَفَ جَفْنِهِ وَنَظَرَ، ومنه قولهم: لا تراه الطَّوارِفُ، أي العيونُ اللَّوَاحِظُ النَّوَاظِرُ، وقيل: الطَّرْفُ بالكسر: الفرسُ الطَّوِيلُ القَوَائِمِ، والعُنُقُ الْمُطَّرَفِ الأذنينِ، وتطريفُهما: تَأْلِيهُمَا، أي تحديدهما بأن يكونَ حرفُهما دقيقاً، وقيل: هو - أي الطَّرْفُ بالكسر - الفرس الذي استطرفته، أي استحدثته، وليس من نتاجك الذي وُلِدَ عِنْدَكَ.

«يَجْتَازُ الْمَدَى»: أي يتجاوزُ غايةَ المسافاتِ، ويقطعُ أواخرَ المراحلِ، يقال: جازَ الموضعَ

والطَّرِيقَ ونحوهما، وجازَ به، وجاوزَهُ، وتجاوزَهُ، واجتازَهُ، وأجازَهُ، كلُّ ذلكَ بمعنى سارَ فيه، وسلكَهُ، وقطعَهُ مشياً، وتعداه، قال الشاعر:

ثُمَّ انشَمَرْتُ عَلَيْهَا خَائِفاً وَجِلاً وَالخائِفُ الوَجِلُ المُجْتَازُ يَنْشَمِرُ

يقال: انشمر له، أي تهيأ، وانشمر فيه: ذهبَ ومرَّ جاداً مُجْتَهداً، والوَجِلُ: الفَزَعُ،

والمُجْتَازُ: مجتأبُ الطَّرِيقِ، وقاطعُهُ، والذي يَحْبُ النَّجاءَ، أي الإسراعَ، وجابَ البلادَ،

واجتابها نحوُ جازها واجتازها، ومنه: جوائِبُ الأَخبارِ وجوائِزُها، قال أبو زيد:

فَأَصْدُقُونِي وَقَدْ خَبَرْتُمْ وَقَدْ ثَا بَتَّ إِلَيْكُمْ جَوَائِبُ الأَبْئَاءِ

ولابن مُقبِلٍ: [ديوانه ٢٦١]

ظَنِي بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بَتُّوْخَةٍ يَتَنَّا زَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ
و«المدى»: الغاية، وقيل: أصله المسافة، وإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى الْغَايَةِ مِنْهَا لِامْتِدَادِهَا إِلَيْهَا،
قَالَ الْأَخْطَلُ: [شعره ٢٨]

فَهَلْ أَنْتَ أَنْ مَدَّ الْمَدَى لَكَ خَالِدٌ مُوَازِنُهُ، أَوْ حَامِلٌ مَا يُحْمَلُ
وَمَدَى الْبَصْرِ وَالْأَجْلِ وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْغَايَةُ مِنْهُ وَالْمُنْتَهَى.
«وَرَبَّمَا عَنَّ»: كلمة (رُبَّ) حرف، وقيل: اسم، ونقل في التاج أن فيها سبعين لغة،
ومعناها التقليل، وقيل: التكثر، وقيل: أحدهما، وسياق الكلام يدل عليه، وعملها
الخفض، ولا يليها سوى الاسم إلا إذا دخلت عليها (ما)، فحينئذ تصلح لأن يليها الفعل
كما في هذا البيت الذي نحن بصدده شرحه، وقال الشاعر:

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ
أَي رَبَّمَا صعدتُ وأشرفتُ في جبلٍ حالةٍ كونِ الرِّيحِ التي تهبُّ من ناحية القطب
رافعةً ثوبي، وقال الآخر:

مَاوِيَّ يَا رَبَّتَمَا غَارَةَ شَعْوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ
أَرَادَ (يَا رَبَّتَ غَارَةَ)، فزاد (ما) للوزن، وقد تعمل (رُبَّ) مع (ما) كقول الشاعر:
رُبَّمَا ضَرْبَةَ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ دُونَ بُصْرَى وَطَعْنَةَ نَجْلَاءِ
و«عَنَّ»: أي ظهرَ وعرضَ، ومنه قولهم: (لا أفعله ما عَنَّ في السماء نجومًا)، ونحو عن سنح.
«لِعَدَاهُ»: أي لسرعة جريه أو لمكانها أو لزمانها، فإنَّ المَعْدَى صالحٌ لذلك كله، أي للمصدرِ
والمكانِ والزَّمانِ، وهو من (عَدَا يَعْدُو)، أي قاربَ التُّزُولَ، يقال: (أَعْدَى مِنْ ذَيْبٍ).

«عِثَارٌ»: أي تَعَسَّ، وانتكاسٌ، وانكبابٌ للوجه، وسقوطٌ على اليدين والقدم، وانقلابٌ
على الرأس، وفعله (عَثَرَ) ك(ضَرَبَ) و(نَصَرَ) و(عَلِمَ) و(كَرَّمَ)، يقال: عَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ
فَسَقَطَ، وانتكسَ، ومثله: (كَبَا) و(زَلَّ). «فَكَبَا»: أي فسقط وانكبَّ على وجهه.

المعنى: والفرس النَجِيبُ الأَصِيلُ يَقَطَعُ المسافةَ كُلَّهَا جَرِيًّا، ومع ذلكَ قد تصطكُ رِجْلَاهُ، أو تصطدمُ معَ حَجَرٍ، أو تَزَلُّقُ فتقعُ وتسقطُ، أي وكذلك الإنسانُ قد يخطئُ ويهفو أَيًّا كانَ.

١٧٦ - مَنْ لَكَ بِالْمُهَذَّبِ النَّدْبِ الَّذِي لَا يَجِدُ الْعَيْبَ إِلَيْهِ مَخْتَطَى

«مَنْ لَكَ بِالْمُهَذَّبِ»: أَي مَنْ هُوَ الَّذِي يَتَكَفَّلُ لَكَ بِوُجُودِ الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ: مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ، أَيُّ أَيُّ رَجُلٍ يَتَكَفَّلُ لِي بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ الْمَشْؤُومِ، وَأَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا مَرَّتْ بِهِ ظِلَاءٌ بَارِحَةٌ فَتَشَاءُ مِهَا، فَقِيلَ لَهُ: سَتَمُرُّ بِكَ سَانِحَةٌ، فَقَالَ: مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ، وَالْبَارِحُ: مَا جَاءَ عَنِ يَمِينِكَ، وَوَلَاكَ مَيَاسِرَهُ، وَالسَّانِحُ مَا جَاءَ عَنِ شِمَالِكَ وَوَلَاكَ مَيَامِنَهُ، وَالنَّاطِحُ: مَا اسْتَقْبَلَكَ، وَالْقَعِيدُ: مَا اسْتَدْبَرَكَ، وَفِي مِثْلِ آخِرٍ: «مَنْ لَكَ بِذِنَابِ لَوْ»، وَيُرْوَى «بِذِنَابَةٍ»، وَكِلَاهُمَا بِالْكَسْرِ ككِتَابٍ وَكِتَابَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَمَنْ يَهْدِي أَخَا ذِنَابِ لَوْ فَأَرَشُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ

وقال آخر:

تَعَلَّقْتُ مِنْ أذْنَابِ لَوْ بَلَيْتَنِي وَلَيْتَ كَلَوْ خَيْبَةٌ لَيْسَ تَنْفَعُ

والمُهَذَّبُ مِنَ الرِّجَالِ: النَّقِيُّ مِنَ الْعُيُوبِ الْمُطَهَّرُ الْأَخْلَاقِ، قَالَ النَّابِغَةُ: [ديوانه ٧٤]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

و«أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ» مِثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ يُؤْمَرُ بِاحْتِمَالِ إِخْوَانِهِ عَلَى عِلَّاتِهِمْ، وَأَصْلُ التَّهْذِيبِ تَنْقِيَةُ الْأَشْجَارِ وَتَنْقِيحُهَا لِتَزِيدَ ثَمْرًا أَوْ حُسْنًا، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي تَنْقِيَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَإِصْلَاحِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِنَ الشَّوَابِ حَتَّى صَارَ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً، وَيُسْتَعْمَلُ فِي تَنْقِيحِ الشُّعْرِ وَتَرْبِيئِهِ وَتَحْسِينِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِمَّا يَشِينُهُ عِنْدَ الْفَصَحَاءِ وَأَهْلِ اللِّسَانِ، كَذَا فِي التَّاجِ، وَفِيهِ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ مَا نَصَّهُ: «قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ مَا فِي اللِّسَانِ أَنَّ أَصْلَ التَّهْذِيبِ تَنْقِيَةُ الْحَنْظَلِ مِنْ شَحْمِهِ وَمُعَالَجَةُ حَبِّهِ حَتَّى تَذْهَبَ مَرَارَتُهُ وَيَطِيبَ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَوْسٍ: [ديوانه ٩٤]

أَلَمْ تَرَيَا إِذْ جِئْتُمَا أَنَّ حَمَهَا بِهِ طَعْمُ شَرِيٍّ لَمْ يَهْذَبْ وَحَنْظَلٍ

وقال الكميت: [ديوانه ٨٧]

مَعْدِنُكَ الْجَوْهَرُ الْمُهْدَبُ ذُو الْإِبْرِيزِ بَحٌّ مَا فَوْقَ ذَا هَدَبٍ
أَيُّ مَا فَوْقَهُ صَفَاءٌ وَلَا خُلُوصٌ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ هَدَبَهُ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي كَضْرَبَ، كَهَدَبَهُ
تَهْدِيئاً، وَنَحْوُهُ شَدَبَهُ شَدْبَاءً، وَشَدَبَهُ تَشْدِيئاً، وَالتَّشْدِيْبُ لِلْقِدْحِ الْعَمَلِ الْأَوَّلِ، وَتَهْدِيئُهُ الْعَمَلُ
الثَّانِي، وَالْقِدْحُ بِكسر فسكون: السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ، وَيُرَكَّبُ نَصْلُهُ، وَعَمَلُهُ إِصْلَاحُهُ.
«النَّدْبُ»: بفتح فسكون هو الظَّرِيفُ النَّجِيبُ النَّشِيطُ الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ السَّرِيعُ
لِقَضَائِهَا الَّذِي إِذَا نِدَبَ لِأَمْرٍ، أَي دُعِيَ وَوُجِّهَ إِلَيْهِ، خَفَّ لَهُ وَارْتَاحَ لِعَمَلِهِ، وَهُوَ مِنْ نَدَبَهُ إِلَى
كَذَا إِذَا دَعَاهُ إِلَيْهِ وَبَعَثَهُ وَحَثَّ وَحَرَّضَهُ عَلَيْهِ، فَانْتَدَبَ هُوَ، أَي أَجَابَ، وَسَارَعَ مُبَادِرًا إِلَيْهِ.
«الَّذِي»: اسْمٌ مُوصُولٌ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالْجُمْلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُوصُولًا
لِرَبْطِهِ بِصِلَتِهِ، وَهُوَ مُبَهَمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مُذَكَّرٍ.

«لَا يَجِدُ»: أَي لَا يَلْقَى، وَلَا يُصَادِفُ، وَلَا يُلْفِي، وَلَا يُصِيبُ، وَلَا يُدْرِكُ.

«الْعَيْبُ»: الْعَارُ، وَهُوَ الشَّنَارُ، وَالْمَعْرَةُ، وَكُلُّ مَا يَشِينُ وَيَقْبُحُ، وَيُزْرِي بِصَاحِبِهِ فَهُوَ
عَيْبٌ، وَكَذَلِكَ الدَّامُ، وَالذَّيْمُ، وَالْوَصْمَةُ، وَالْوَصْمُ، وَيُقَالُ: عَيْبَ وَعَابَ، كَمَا يُقَالُ: ذَيْمٌ
وَذَايْمٌ، وَمِثْلُ ذَلِكَ الشُّبَّةُ بِالضَّمِّ، وَهُوَ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ عَارٌ يُسَبُّ الْمَرْءُ مِنْ أَجْلِهِ وَيُشْتَمُ، وَكَذَا
الْغَمِيزَةُ وَالْمَغْمِزُ وَالْغَمِيزُ، وَفِيهِ مَغَامِزٌ، وَعَمَزَ فِيهِ: عَابَهُ وَعَيْرَهُ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ وَفَضَحَهُ؛ أَي
كَشَفَ مَسَاوِيَهُ وَشَهَرَ عُيُوبَهُ، وَمِنْهُ الْفَضِيحَةُ، وَهِيَ الشُّهْرَةُ الشَّنِيعَةُ الْفَضِيحَةُ.
«إِلَيْهِ»: أَي إِلَى ذَلِكَ الْمُهْدَبِ النَّدْبِ.

«مُخْتَطَى»: مَكَانًا يُخْطُو فِيهِ وَيَنْقُلُ أَقْدَامَهُ لِيَقْطَعَهُ مَشِيًّا، وَهُوَ مُفْتَعَلٌ مِنَ الْإِخْطَاءِ،
يَصْلُحُ لِلْمَصْدَرِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَجُرْدُهُ خَطًا يُخْطُو إِذَا مَشَى، وَيُقَالُ أَيْضًا: اخْتَاطَ، وَهَذِهِ
مَقْلُوبَةٌ مِنْ اخْتَطَى بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى الْعَيْنِ، فَوزُنُهَا افْتَلَعَ، وَكَذَا خَاطَ يَخِيطُ، أَي خَطَا،
وَقِيلَ: هُوَ مَوْضُوعٌ بِرَأْسِهِ.

المعنى: مَنْ هو الذي يتكفَّل وَيَضْمَنُ لَكَ وجودَ رجلٍ مُهذَّبٍ مُطَهَّرِ الْأَخْلَاقِ مُخْلِصٍ من العيوبِ ذِي جِدِّ ونشاطٍ في أعماله مع نَجَابَةِ وظرافةٍ ومُبَادَرَةٍ بِتَمَامِ السَّرْعَةِ إلى ما يُنْدَبُ وَيُدْعَى إليه من العظائم بحيث يكون بينه وبين المعايِبِ سَدًّا مُنْبِعًا، ولا يكون للنقص عليه سبيلٌ يتطرَّقُ إليه منه.

١٧٧- إِذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تُلْفِ امْرَأً حَارَ الْكَمَالِ فَانْكَبْتِي

«إِذَا تَصَفَّحْتَ»: أَي تَأَمَّلْتِ وتَدَبَّرْتِ وأَعَدْتِ النَّظَرَ مَرَّةً بعد أُخْرَى حتى تعرفَ الحَقِيقَةَ، وتَصَفَّحَ القَوْمَ: نَظَرَ في أَحْوَالِهِمْ أو في خِلَالِهِمْ، هل يَرى فلانًا؟ وتَصَفَّحَ وجوهَهُمْ، أَي نَظَرَ إلى خِلَالِهِمْ وَصُورَهُمْ متعَرِّفًا، أَي مُلْتَمِسًا معرفَتَهَا من صَفَحَاتِهَا، أَي جوانِبِهَا، وتَصَفَّحَ الأمرَ: نَظَرَ فيه، وتَصَفَّحَ الكتابَ: قَلَبَ صَفْحَاتِهِ، أَي وجوهَ أَوْرَاقِهِ، وَحَقِيقَةُ التَّصَفُّحِ تَأَمُّلُ الصَّفْحِ، وهو بالفتح والضمُّ مع سكون الفاء فيهما، وكذلك الصَّفْحَةُ، وهي الجَانِبُ والناحية من كُلِّ شَيْءٍ، فَأَصْلُهَا في الأَجْسَامِ، ثمَّ اسْتَعْمَلَتْ في المعاني كما في البيت بمعنى تَدَبَّرِهَا، أَي التَّفَكَّرِ والتَّرَوُّي وإِمْعَانِ النظر فيها لمعرفة أَدْبَارِهَا، أَي عَوَاقِبِهَا ونهاياتِهَا وأَوَاخِرِهَا وما ينشأ عنها وَيَتَرْتَّبُ عليها، وَصَافِحَتُهُ: وَضَعْتُ صَفْحَةً يَدِي على صَفْحَةٍ يَدِهِ، والتَّصَفُّحُ: التَّصْفِيقُ، من ذلك.

«أُمُورَ النَّاسِ»: أَي شُؤُونِ بني آدم وَأَحْوَالِ البَشَرِ وَخُطُوبِ الأَنَامِ، ومفردُ الأُمُورِ أَمْرٌ، وهو الحال والشأن والحطْبُ والواقِعَةُ والحادثَةُ والحِطَّةُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَفَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١/١٦]، وفيه: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠/١١]، وفيه: ﴿أَتَنهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤/١٠]، وفيه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧/١٦]، وفيه: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُوا لَأُمُورٍ﴾ [الشورى: ٥٣/٤٢]، يقال: أَمْرٌ إِمْرٌ، أَي شديدٌ عظيمٌ عجيبٌ مُنْكَرٌ، والناس قِيل: أَصْلُهُ أَناسٌ، وهو اسمٌ جمع لِإنْسٍ، وقيل: لِإنْسَانٍ، وهو من ناسٍ يَنُوسُ إِذَا حَرَّكَ، وقيل: من أَنَسَ أَنَسًا إِذَا أَلْفَ واستأنَسَ، وقيل: من النِّسيانِ، وَيُطْلَقُ على بني آدم، وهم البَشَرِ، وقد يُطْلَقُ على الجِنِّ أَيضًا.

«لَمْ تُلْفِ»: أي لم نَجِدْ ولم تُصَادِفْ ولم تَلْقَ ولم تُصَبِّ ولم تُدْرِكْ، وفي التنزيل العزيز:
 ﴿وَأَلْفِيَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ١٢/٢٥]، أي وجداه، وفيه: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
 ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠/٢]، أي وجدنا، يعني الذي وجدنا.

«إِمرأً»: أي إنساناً، وهو الذي امتازَ بالمروءة والإنسانية وكمالِ الرجولية، قال الشاعر:
 أَنْتَ أَمْرُؤٌ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيُعْطَى الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ
 وقال آخر:

بِأَبِي امْرُءٍ وَالشَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَتَنِّي بِبُشْرَى بُرْدُهُ وَرَسَائِلُهُ
 يُرَوِي هَكَذَا «بِأَبِي» بسكون الباء وفتح الياء التي تليها ويُرَوِي «بِنَيْ»، ويقال: مرءٌ كما
 يقال: امرؤٌ، ومنهم من يضمُّ ميمَ مرءٍ رَفْعاً ويفتحها نَصْباً ويخفضها كسراً، فيُتْبَعُها الهمز كما
 يُتْبَعُونَ الرَاءَ إِياها إِذَا أَدَخَلُوا أَلْفَ الْوَصْلِ، وفيها لغات أُخْرى، منها إِلْزَامُ الْمِيمِ الْفَتْحَ،
 فيقال: مرءٌ ومَرءٌ ومَرءٌ، قال تعالى: ﴿يُحَوِّلُ بَيْنَ أَلْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤/٨]، ومنها
 إِلْزَامُهَا الضَّمَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فيقال: مرءٌ ومَرءٌ ومَرءٌ، وَإِذَا جِئْتَ بِأَلْفِ الْوَصْلِ فَقُلْتَ:
 امرؤٌ ففيه ثلاثُ لغات فَتُحُ الرَاءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَضُمَّهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِعْرَابُهَا عَلَى كُلِّ
 حَالٍ بِإِتْبَاعِهَا لِلْهَمْزَةِ، فيكون إِعْرَابُهَا مِنْ مَكَائِنِ الرَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَنْتَ امْرُءٌ تَعْدُو عَلَى كُلِّ غِرَّةٍ فَتُخَطِّئُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ
 فَإِنَّا عَنَى بِهِ الدُّبُّبَ. «حاز الكمال»: أي حَوَاهِ وَضَمَّهُ إِلى نَفْسِهِ وَجَمَعَهُ إِلى صِفَاتِهِ وَظَفَرَ
 بِهِ وَأَحْرَزَهُ وَنَالَهُ وَحَصَّلَهُ، يقال: حازَ الشَّيْءَ إِذَا حَوَاهِ، وَحازَهُ: مَلَكَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَصارَ
 فِي قَبْضَةِ يَدِهِ، يَتَصَرَّفُ بِهِ كَيْفَما شاءَ.

و«الكمال»: التَّامُّ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَالْكَامِلُ يَكُونُ فِي الدَّوَاتِ بِتَمَامِ أَجْزَائِهِ، فيقال: كَمَلَ
 الْكِتَابُ، وَفِي الصِّفَاتِ بُلُوغُهَا غَايَةَ فَضْلِهَا، فيقال: كَمَلَتْ مُحاسِنُها. «فاكتفى»: أي
 اسْتغْنَى.

المعنى: إذا نظرت في أحوال البشر لا تجد إنساناً بلغ مُنتهى الفضل فاستغنى بذلك ولم يطلب غيره، يريد أن الثَّقصان ملازمٌ لبني آدم مهما بلغوا في الفضل، ولذلك تجد كلاً منهم غير قانع بما هو فيه، بل يظلُّ مُتطلِّعاً إلى ما فوق حالاته.

١٧٨ - عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ إِنَّهُ أَمْنَعُ مَا لَذِبِهِ أَوْلُو الْحَجَى

«عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ»: أي: اعتمد عليه، قال الشاعر، وهو امرؤ القيس:

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ
تقول: إنما الدنيا دُول، ليس عليها مَعْوَلٌ، وقال آخر:

وَدَعَّ عَنكَ سَلْمَى قَدْ أَتَى الدَّهْرُ وَلَيْسَ عَلَى دَهْرٍ لَشَيْءٍ مَعْوَلٌ

ويقال: عَوَّلَ عَلَى السَّفْرِ، أي: وَطَنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وقال الآخر: [ديوان الأخطل: ٢٧١]

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمَعْوَلُ

ويقال: عَوَّلَ عَلَيْهِ، أي: أَدَلَّ عَلَيْهِ، ومعنى أَدَلَّ عَلَيْهِ: وَثِقَ بِهِ وَصَارَ لَهُ جِرَاءَةٌ عَلَى

تحميله أموره وتكليفه بقضاء مصالحه، وعَوَّلَ عَلَيْهِ: اتَّكَلَّ، واعتمد، واستند، وَرَكَنَ،

وَتَمَسَّكَ، وَعَوَّلْنَا عَلَيْهِ فِي حَاجَتِنَا، أي: فَرَعْنَا إِلَيْهِ، ومنه فلان عَوَّلِي بِكَسْرِ فَفَتِحْ، قال تَابِطٌ

شَرًّا: [ديوانه ١٣٥ - ١٣٧]

لَكِنَّمَا عَوَّلِي إِنْ كُنْتُ ذَا عَوَلٍ عَلَى بَصِيرٍ بِكَسْبِ الْمَجْدِ سَبَّاقٍ

حَمَالِ أَلْوِيَةِ شَهَادِ أَنْدِيَةِ قَوَالِ مُحْكَمَةِ جَوَابِ آفَاقِ

عَوَّلِي: أي: عَمِدْتِي؛ هذا على أنه من التعويل، وقيل: من الإعوال، وهو الحزن،

والصبر: حبس النفس عن الجزع، والثبات على الشيء، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥/٢]، أي: الثَّباتِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ وَشَهْرُ الصَّبْرِ: شَهْرُ

الصِّيَامِ لِحَبْسِ النَّفْسِ فِيهِ عَنِ النِّكَاحِ، وَالطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وفيه: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا

بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٦/١٢٧]، وفيه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨/١٢، ٨٣]، وفيه: ﴿وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ ﴿[البلد: ١٧/٩٠، العصر: ٣/١٠٣]. أَي: لِيُؤْصِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْنَى الصَّبْرِ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْحِلْمِ.

«الجميل»: هُوَ الَّذِي يُزَيَّنُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ جَمَلٍ جَمَالًا، وَالْجَمَالُ: الْبَهَاءُ، وَالْحُسْنُ، وَالْمَلَاحَةُ؛ وَهُوَ يَقَعُ عَلَى الصُّورِ الْمُحْسُوسَةِ وَعَلَى الْمَعَانِي، قَالَ فِي اللِّسَانِ: «وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» [مسلم: ٢٦١]. أَي: حَسَنُ الْأَفْعَالِ، كَامِلُ الْأَوْصَافِ يُحِبُّ ذَلِكَ مِنْ عَبِيدِهِ، وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ: [أشعار الهذليين ١٧١]

جَمَالَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْقَرِيبُ سَتَلْقَى مَنْ تُحِبُّ فَتَسْتَرِيحُ

أَي: الزَّمْ جَمَالَكَ بَأَنَّ لَا تَجْزَعُ، فَإِنَّ الْجَزَعَ يُزْرِي بِصَاحِبِهِ، وَيُقَالُ: «إِذَا لَمْ يُجْمَلْكَ مَالُكَ لَمْ يُجِدْ عَلَيْكَ جَمَالَكَ». «إِنَّهُ»: أَي: إِنَّ الصَّبَرَ الْجَمِيلَ.

«أَمْنَعُ»: أَي: أَحْصَنُ، وَأَحْفَظُ، وَهُوَ اسْمٌ تَفْضِيلٍ مِنْ مَنَعَ الْحِصْنُ وَنَحْوَهُ مَنَاعَةً بِالْفَتْحِ، وَمَنَعَةً بِالتَّحْرِيكِ، وَمَنَعَةٌ بِالْفَتْحِ وَبِالْكَسْرِ مَعَ سَكُونِ النُّونِ فِيهِمَا، وَمَعْنَاهُ: مَحْفُوظًا مِنَ الْهَاجِمِينَ، وَالتَّسَلُّقِينَ، وَالتَّسَوِّرِينَ، وَنَحْوِهِمْ، فَلَا يُمْكِنُ وَصُولُهُ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: مَنَعَ الشَّيْءُ إِذَا صَارَ عَزِيزًا يَعْسُرُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ، وَفِي الْمَثَلِ: «أَمْنَعُ مِنْ أُمَّ قَرْفَةَ»، وَهِيَ امْرَأَةٌ فَرَارِيَّةٌ كَانَتْ تَحْتَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، وَكَانَ يُعَلِّقُ فِي بَيْتِهَا خَمْسُونَ سَيْفًا لِحَمْسِينَ فَارِسًا كُلَّهُمْ لَهَا مُحْرَمًا.

وَفِي الْمَثَلِ أَيْضًا: «أَمْنَعُ مِنْ عَقَابِ الْجَوِّ»، وَ«أَمْنَعُ مِنْ لَهَاةِ اللَّيْثِ»، قَالَ أَبُو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ:

[شعره ١٤١]

وَأَصْبَحَتْ كُلِّهَاةِ اللَّيْثِ مِنْ فَمِهِ وَمَنْ يُجَاوِلُ شَيْئًا مِنْ فَمِ الْأَسَدِ
وَفِي الْمَثَلِ أَيْضًا «أَمْنَعُ مِنْ أَنْفِ الْأَسَدِ».

«مَا لَادَ بِهِ» مَا: نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ بِمَا بَعْدَهَا، وَمَعْنَاهَا شَيْءٌ لَادَ، أَي تَحَصَّنَ وَامْتَنَعَ وَالتَّجَأَ وَاحْتَمَى، يُقَالُ: لَادَ بِهِ، وَعَادَ بِهِ، وَفَزَعَ إِلَيْهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَاسْتَعَاثَ بِهِ، وَانضَمَّ إِلَيْهِ،

وَرَغِبَ إِلَيْهِ أَنْ يَصُونَهُ وَيَكُونَ لَهُ وَقَايَةً يَسْتَتِرُ بِهَا، وَيَتَرَسُّ مِنَ الطَّوَارِيءِ، وَمِنْهُ الْمَلَأْدُ، وَهُوَ الْمَلْجَأُ وَالْحِصْنَ كَالْمَعَاذِ وَالْحِرْزِ.

«أُولُو الْحِجَى» أَي أَصْحَابُ الْعُقُولِ وَذَوُو الْأَبَابِ، وَأُولُو لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَإِنَّمَا وَاحِدُهُ ذُو، وَالْحِجَى: الْعَقْلُ كَالْحَجْرِ وَالنُّهْيَةِ وَاللُّبِّ.

المعنى: تَمَسَّكَ بِالْحَزْمِ وَالثَّبَاتِ وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ وَالثَّرْكَونِ وَالسُّكُونِ وَالْجَلْدَ وَالتَّحَمُّلَ، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَزِينُكَ، وَهُوَ أَقْوَى حِصْنٍ يَتَخَلَّقُ بِهِ أَهْلُ الْعَقْلِ وَيَلْجِئُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ صَدَمَاتِ الشَّدَائِدِ وَهَجَمَاتِ الْفِتَنِ وَتُزُولِ الْمَصَائِبِ وَحُدُوثِ الْوَقَائِعِ وَالْفَجَائِعِ.

١٧٩ - وَعَطَّفَ النَّفْسَ عَلَى سُبُلِ الْأَسَى إِذَا اسْتَفَزَّ الْقَلْبَ تَرِيحَ الْجَوَى

«وَعَطَّفَ النَّفْسَ»: أَي: ارْدُدْهَا، وَأَمْلِهَا، يُقَالُ: عَطَّفَ فَاَنْعَطَفَ، وَعَطَّفَ فَتَعَطَّفَ،

وَمَعْنَاهُ: ثَنَى وَأَمَالَ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ كُرَاعٍ:

وَإِذَا الرِّكَابُ تَكَلَّفَتْهَا عَطَّفَتْ ثَمَرَ السَّيَاطِ قَطُوفُهَا وَوَسَاعُهَا

أَي: وَإِذَا الْمَطَايَا تَحَمَّلَتْ الْمَفَاذَةَ أَي: قَطَعَهَا ثَنَتْ أَطْرَافَ السَّيَاطِ، جَمْعُ سَوْطٍ، وَالْقَطُوفُ: الْبَطِيئَةُ الضَّيِّقَةُ الْخُطَى، ضِدُّ الْوَسَاحِ. وَعَطَّفَ الْوَسَادَةَ وَالْعُصْنَ وَنَحْوَهُمَا، أَي: ثَنَاهَا، وَلَوَاهَا، وَحَنَاهَا، وَأَمَالَهَا، وَقَرَّبَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ، وَهَصَّرَهَا، وَيُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ أَعْنَى عَطَّفَ وَعَطَّفَ بِمَعْنَى رَدَّ وَصَرَفَ وَعَاجَ وَأَمَالَ.

و«النَّفْسُ»: اسْمُ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ الَّذِي قِوَامُهُ بِالْدَّمِ، كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ، وَهُوَ مُشْعِرٌ أَنَّ

أَصَلَ النَّفْسَ الدَّمَ، وَتُطَلَّقُ عَلَى الرُّوحِ، وَقَوْلُ السَّمُوعِ أَوْ غَيْرِهِ:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَليست على شيءٍ سِوَاهُ تَسِيلُ

يَدُلُّ أَنَّ النَّفْسَ تُطَلَّقُ عَلَى دَمِ الْحَيَوَانِ، وَالنَّفْسُ أَيْضاً: الْجَسَدُ، وَأَيْضاً: حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَكُنْهَهُ وَجَوْهَرُهُ الْأَصْلِيُّ الَّذِي بِهِ صَارَ هُوَهُوً، وَعَنْ السُّهَيْلِيِّ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ اعْتِبَارِيٌّ، فَبِاعْتِبَارِ الْكِمَالَاتِ تَسْمَى رُوحاً وَبِاعْتِبَارِ النِّقَاطِ نَفْساً، وَتُطَلَّقُ النَّفْسُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِرُوحِهِ وَجِسْمِهِ.

«على سُبُلِ الْأَسَى»: السُّبُلُ: الطُّرُق، الواحدُ: سَبِيلٌ كَطَرِيقٍ وزناً ومعنىً، وكذلك المَحَجَّةُ والمنهَاجُ، والصُّرَاطُ؛ ويُستعمل السَّبِيلُ بمعنى السَّبَبِ والوَصْلَةِ، وبه فُسِّرَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٢٧]، وقول جرير:

[ديوانه ٤٥٤]

أَبْعَدَ مَقْتَلِكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرْجُو الْقِيُونَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا
و«الأسى» بالفتح مقصوراً: الأَسْفُ، والحُزْنُ، والتَحَسُّرُ؛ والفعلُ منه: أَسِيَ من الباب الرابع كَعَلِمَ، والأسى أيضاً: المعالجةُ والمداواةُ؛ والفعلُ منه: أَسَاهُ، يَأْسُوهُ، أَسَوًّا من الباب الأول كَنَصَرَ وغَزَا، هذا إن فتحت الأَسَى، أمَّا إن ضممتَه فهو جمعُ أَسْوَةٍ بالضمِّ، وهي القُدْوَةُ، وما يَأْتِسِي الحزِينُ به ويتعزَّى متصبراً اقتداءً به، ومثل ذلك الإِسْوَةُ بالكسر أيضاً، فالمضمومةُ والمكسورةُ بمعنى واحد مفرداً وجمعاً، قال حُرَيْثُ بنُ زَيْدِ الخَيْلِ:

ولو لا الأَسَى ما عِشْتُ في النَّاسِ سَاعَةً ولكن إذا ما شِئْتُ جاوَيْتِي مِثْلِي
ولمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُ الأَسَى بهذا المعنى الذي في هذا البيتِ أُطْلِقَ على الصَّبْرِ والجَلْدِ والتَحْمُلِ اقتداءً وتأسياً بذوي العقولِ الراجحةِ.

«إذا استَفَزَّ القَلْبُ»: أي: إن اسْتَخَفَّ الفؤَادَ، وَأَزْعَجَهُ وَأَقْلَقَهُ، ودعاه إلى الخِيفَةِ والطَّيْشِ؛ واستَفَزَّهُ: خَدَعَهُ وختَلَهُ حتى أَلْقَاهُ في مَهْلَكَةٍ، وورَّطَهُ إلى أن أَوْقَعَهُ في بَلِيَّةٍ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَعْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ١٧/٦٤]، وفيه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِقُونَكَ﴾ [الإسراء: ١٧/٧٦]، يقال: فَزَّهُ، يَفْزُهُ فَزًّا، وَأَفْزَهُ إِفْزَازًا، أي: أزعجه، وأقْلَقَهُ، وَأَفْزَعَهُ، وطِيرَ فؤَادَهُ، والفَزَّةُ بالفتح: الوَثْبَةُ بالانزعاج، وفَزَّ الطَّبِيُّ: فَرَعَ، و«القلبُ»: الفؤَادُ، ويُطْلَقُ على العقلِ وعلى الرُّوحِ، وعلى البَحْتِ المَحْضِ الخَالِصِ من كلِّ شيءٍ يَشُوْبُهُ.

«تَبْرِيحُ الجَوَى»: التَّبْرِيحُ مصدرُ بَرَحَ الأمرُ به: إِذْ أَجْهَدَهُ، وَأَتَعَبَهُ، وَأَنْصَبَهُ، وبلغ منه المشقَّةُ، وتَأَدَّى به من البرح بالفتح، بمعنى الشدَّةِ، والأَدَى، وَالْمَشَقَّةُ، وَالسَّرُّ، وَالْعَذَابُ

الشديد؛ و«الجوى» بالفتح مقصوراً: الهوى الباطن والحرقه، وشدة الوجد من عشق أو حزن، والسل، وتطاؤل المرض، وداء يأخذ في الصدر، وقيل: الجوى: كل داء في الباطن لا يستمر معه الطعام.

المعنى: ألزم نفسك الصبر والجلادة، والثبات، والوقار، والطمانية اقتداءً بمن اتصف بذلك وتأسياً بهم، وكن رزيناً ثابت النفس، رابط الجأش إذا عرّض لقلبك عارض إزعاج يدعو إلى الخفة، والطيش، وكثرة الحركة.

١٨٠- وَالذَّهْرُ يَكْبُو بِالْفَتَى وَتَارَةً يُنْهَضُهُ مِنْ عَشْرَةٍ إِذَا كَبَا

«وَالذَّهْرُ»: الزمان، وخصّه بعضهم بالطويل الممتد، قال الشاعر:

إِنْ ذَهْرًا يَلْفُ حَبْلِي بِجُمْلٍ لَزِمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
وقيل: هو ألف سنة، وقيل: مُدَّة الْعَالَمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَدَهْرٌ دَهَارِيٌّ: أَي: ذُو
أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَغِنَى، وَتَعَبٍ، وَرَاحَةٍ.

«يَكْبُو بِالْفَتَى»: أَي: يَصْرَعُهُ فَيَعْتُرُ وَيَسْقُطُ، يُقَالُ: كَبَا يَكْبُو، بِمَعْنَى عَثَرَ، وَسَقَطَ،
وَأَنْكَبَ عَلَى وَجْهِهِ، وَتَعَسَ، وَزَلَقَتْ قَدَمُهُ، وَتَرَخَلَقَ، وَمِنْهُ: «لِكُلِّ جَوَادٍ كَبَوَةٌ». و«الفتى»: هو الشَّابُّ الْحَدِيثُ السِّنِّ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْإِنْسَانُ مُطْلَقًا، وَالْبَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْفَتَى لِلتَّعْدِيَةِ.
«وَتَارَةً»: أَي: وَمَرَّةً وَطَوْرًا، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتِغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ
أَي: فَتَارَةٌ مِنْهَا أَمُوتُ فِيهَا، وَأُخْرَى أَكْتَسِبُ فِيهَا.

«يُنْهَضُهُ»: أَي: يُقِيمُهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى الْقِيَامِ، وَيَسَاعِدُهُ عَلَى النَّهْوِضِ حَتَّى يَنْتَعِشَ وَيَقْوَمَ
نَاهِضًا، يُقَالُ: أَنْهَضَهُ إِذَا قَوَّاهُ عَلَى النَّهْوِضِ، وَمِنْهُ: «أَنْهَضْتُ الرِّيْحَ السَّحَابَ» إِذَا حَمَلْتَهُ،
وَسَاقَتَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

بَاتَتْ تُنَادِيهِ الصَّبَا فَأَقْبَلَا تُنْهَضُهُ صُعْدًا وَيَأْبَى ثِقَلَا

وَأَمْهَضَهُ: أَقَامَهُ، وَأَمْهَضَهُ: حَرَكَهُ لِيَنْهَضَ، وَمَنْ الْمَجَازِ: نَهَضَ الشَّيْبُ فِي الشَّبَابِ، قَالَ

الفرزدق: [ديوانه ١/ ٣٧٢]

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ
«مِنْ عَثْرَةٍ»: الْعَثْرَةُ: الزَّلَّةُ، يُقَالُ: عَثَرَ، يَعْثُرُ، عَثْرَةً، وَعِثَارًا بِالْكَسْرِ، وَعُثُورًا، وَمِنْهُمْ
مَنْ خَصَّ الْعِثَارَ مَكْسُورًا بِالذَّوَابِّ كَمَا هُوَ الْوِزْنُ فِي أَكْثَرِ عُيُوبِ الدَّوَابِّ، يُقَالُ: عَثَرَ الرَّجُلُ
فِي ثُوبِهِ، وَخَرَجَ يَتَعَثَّرُ فِي أَدْيَالِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَخَرَجْتُ أَعْثَرُ فِي مَقَادِمِ جُبَّتِي لَوْلَا الْحِيَاءُ أَطْرَتْهَا إِحْضَارًا
وَعَثَرَ جَدُّهُ: تَعَسَّ، وَأَعَثَرَهُ اللَّهُ، وَعَثَرَهُ تَعَثِيرًا. «إِذَا كَبَا»: أَي: حِينَمَا يَكْبُو وَلَمَّا يَعْثُرُ.
المعنى: وَالزَّمَانَ يَصْرَعُ الْإِنْسَانَ وَيَرْمِيهِ فِي مَهْوَاةٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يُقَوِّيه عَلَى
التُّهُؤُصِ مِنْ سَقَطَتِهِ، وَيُسَاعِدُهُ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ وَرَطَّتِهِ حِينَمَا يَزْلُقُ وَتَنْزِلُ قَدَمُهُ.

١٨١- لَا تَعَجَبَنَّ مِنْ هَالِكٍ كَيْفَ هَوَى بَلْ فَاعْجَبَنَّ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا

«لَا تَعَجَبَنَّ مِنْ هَالِكٍ»: أَي: لَا تَسْتَغْرِبَنَّ مِنْهُ، يُقَالُ: عَجِبَ مِنْ كَذَا، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ، أَي
عَرَّتُهُ دَهْشَةً لِعَدَمِ إِطْلَاعِهِ عَلَى سَبَبِهِ، وَلِكُونِهِ غَيْرَ مُعْتَادٍ وَلَا مألُوفٍ حُدُوثَ مِثْلِهِ، فَالْعَجَبُ
وَالتَّعَجُّبُ: حَيْرَةٌ تُعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ جَهْلِ سَبَبِ الشَّيْءِ غَيْرِ الْمُعْتَادِ وَقُوعِ نَظِيرِهِ.
وَالهَالِكُ: الْفَقِيرُ السَّيِّئُ الْحَالِ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

يَلُودُ بِهِ الْهَالِكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلٍ
وَقَالَ جَمِيلٌ:

أَبَيْتُ مَعَ الْهَالِكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُوو فَضْلٍ
وَيَكُونُ الْهَالِكُ بِمَعْنَى الْمَوْتِ، وَبِمَعْنَى الْجُهْدِ، وَالْمَشَقَّةِ، وَالشَّرِّ، وَالشَّقَاءِ، وَالْبَلَاءِ،
وَبِمَعْنَى الضَّيَاعِ وَالْعَدَمِ الطَّارِئِ عَلَى الْحَادِثِ بِفَقْدَانِهِ لَوْجُودِهِ، وَبِمَعْنَى الْفَنَاءِ وَالتَّلَاشِي
وَالاضْمِحْلالِ، وَبِمَعْنَى الْوُقُوعِ فِي الشَّدَائِدِ وَالدَّوَاهِي، وَمِنْهُ: «لَا ذَهَبَ فِيمَا هَلَكُ وَإِمَّا

مُلْكٌ»، أَي: إِمَّا أَنْ أَهْلِكَ وَإِمَّا أَنْ أَمْلِكَ، ومنه: المَهْلَكَةُ للمفازة، والهَلِكُ بفتحين: المَهْوَى
بين الجبلين، أو حَرَفِي الوادي، قال دُو الرَّمَّة: [ديوانه ١١٤]

تَرَى قُرْطَهَا فِي وَاضِحِ اللَّيْتِ مُشْرِفًا عَلى هَلَكٍ فِي نَفْنَفٍ يَتَطَوَّحُ
الْقُرْطُ بِالصَّمِّ كَالشَّنْفِ بِالْفَتْحِ هُوَ الَّذِي تُعَلِّقُهُ النِّسَاءُ فِي شَحْمَةِ الأُذُنِ لِلزَّيْنَةِ، وَاللَّيْتُ
بِالكَسْرِ: صَفْحَةُ العُنُقِ؛ وَالنَّفْنَفُ: المَفَازَةُ وَكُلُّ مَهْوَى بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَيَتَطَوَّحُ: أَي: يَتَحَرَّكُ
وَيَضْطَرِبُ فِي الفِضَاءِ.

«كَيْفَ هَوَى»: أَي: عَلى أَيِّ حَالَةٍ تَدَهَوَّرَ وَسَقَطَ فِي المَهْوَاةِ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا؛
وَكَيْفَ: أَي: فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَعَلى أَيِّ صِفَةٍ كَانَ، وَمِنه الكَيْفِيَّةُ، وَهِيَ الحَالَةُ وَالصَّفَةُ،
وَكَيْفَ كَلِمَةٌ اسْتِفْهَامٌ عَنِ الأَحْوَالِ، مِثْلُ كَيْفَ زَيْدٌ؟ وَتَكُونُ لِلتَّعَجُّبِ مَعَ التَّوْبِيخِ، كَقَوْلِهِ
تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨/٢]، وَتَكُونُ لِلنَّفْيِ وَالإِنْكَارِ، قَالَ سُوَيْدُ بْنُ
أَبِي كَاهِلٍ اليَشْكُرِيُّ: [المفضليات ١٩٩]

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا جَلَلِ الرَّأْسَ مَشَيْبٌ وَصَلَعَ
أَي: لَا تَرْجُوا عِثَارِي بَعْدَ شَيْبَتِي، وَكَيْ مِنْهَا كَسَوٌ مِنْ سَوْفٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:
كَيْ تَجْنَحُونَ إِلَى سَلْمٍ وَمَا تُثِرْتِ قَتْلَاكُمْ وَأَطَى الهَيْجَاءِ تَضْطَرِّمُ
أَي: كَيْفَ تَجْنَحُونَ، وَيَقَعُ خَبْرًا كَ كَيْفَ أَنْتَ؟ وَحَالًا كَ أَهْوَاكَ كَيْفَ كُنْتَ؟ أَي:
مُطْلَقًا، وَكَيْفَ جَاءَ زَيْدٌ أَي: مَتَّصِفًا بِأَيِّ صِفَةٍ، وَشَرْطًا كَ كَيْفَ تَجْلِسُ أَجْلِسُ، وَكَيْفَمَا
تَصْنَعُ أَصْنَعُ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ لَأَنْتَ قَتَائُهُ وَهَانَ عَلى الأَدْنَى فَكَيْفَ الأَبَاعِدِ
فَإِنَّهُ هُنَا اسْمٌ مَرْفُوعٌ المَحَلُّ عَلى الخَبَرِيَّةِ، وَالأَبَاعِدِ: مَبْتَدَأٌ مَوْخَرٌ، وَ«هَوَى»: أَي: وَقَعَ
فِي هَوَاةٍ، وَهِيَ كالأُهْوِيَّةِ؛ وَالْمَهْوَاةُ وَالْمَهْوَى: مَا بَيْنَ الجَبَلَيْنِ، أَوْ حَرَفِيٍّ وَادٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
وَهَوَى: أَي: سَقَطَ فِي ذَلِكَ، قَالَ يَزِيدُ بْنُ الحَكَمِ الثَّقَفِيُّ: [شعراء أمويون ٣/٢٧٤]

وَكَمْ مَنْزِلٍ لَوْلَايَ طِخْتُ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوِي
مُنْهَوِي: اسمُ فاعِلٍ مِنْ اِنْهَوَى، وَهُوَ مِثْلُ هَوَى.

«بَلْ فَاعَجَبِينَ»: أَي: اضْرِبْ صَفْحًا عَنْ ذَلِكَ الْعَجَبِ، وَتَعَجَّبْ. «مِنْ سَالِمٍ»: أَي مِمَّنْ
خَلَّصَ مِنَ الْهَلَاكِ. «كَيْفَ نَجَا»: أَي: عَلَى أَيِّ حَالٍ، وَبِأَيِّ صِفَةٍ تَخَلَّصَ، وَسَلِمَ وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِ
مَضْرَّةٌ.

المعنى: لا تتعجب من وقوع المرء في مهاوي الشقاء، وإنما ينبغي أن تتعجب من
سلامة المرء، ونجاته من الآفات، وخلاصه من البلايا، والمراد هنا من هذا أن النفس أمارَةٌ
بالسوء وميالةٌ إلى الشرِّ، والظلمُ كامنٌ فيها، وهذا يُفْضِي إلى الهلاكِ، والدمارِ، والوباءِ، فإذا
قَدِرَ المرءُ أَنْ يُخَالِفَ نَفْسَهُ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ آفَاتِهَا وَغَوَائِلِهَا، وَيَسَلَّمَ مِنْ دَوَاهِيهَا وَدَسَائِسِهَا
فهذا هو العجبُ العجَابُ.

١٨٢ - إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ أَمْسَتْ أَفْلًا وَظِلُّهُ الْقَالِصُ أَضْحَى قَدَ أَزَى

«إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ»: إِنَّ: لِلتَّأَكِيدِ، وَالنُّجُومُ: الْكَوَاكِبُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَكَيْسٌ يُكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يُقَالُ: فَلَانٌ يُنْظَرُ فِي النُّجُومِ، أَي: يَتَفَكَّرُ كَيْفَ يَصْنَعُ؛ كَأَنَّهُ يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا جَرَتْ
سَنَةُ اللَّهِ أَنْ يُجِدَّثَ مُسَبِّبًا عَنْهَا، وَالْمَرَادُ بِالنُّجُومِ فِي بَيْتِ الْمَقْصُورَةِ أَكْبَرُ الرِّجَالِ وَسَادَاتِهِمُ
الَّذِينَ يَسْتَضِيءُ النَّاسُ بِأَنْوَارِ عَقُولِهِمْ، وَيَهْتَدُونَ بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَالْمَجْدُ: الْعِزُّ، وَالشَّرْفُ،
وَالسَّاحَةُ، وَالسَّخَاءُ، وَالْمَرْوَةُ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ، وَالكَرْمُ، وَالسِّيَادَةُ، وَقِيلَ: الْمَجْدُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ
آبَاءٌ مُتَقَدِّمُونَ فِي الشَّرْفِ، وَقِيلَ: اقْتِرَانُ شَرَفِ الذَّاتِ بِحُسْنِ الْفِعَالِ.

«أَمْسَتْ أَفْلًا»: أَمْسَى: فَعْلٌ مَاضٍ لَهُ اسْتِعْمَالَانِ: أَحَدُهُمَا: الدَّخُولُ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ،
وَهُوَ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ إِلَى الْمَغْرَبِ، وَقِيلَ: إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ. وَالثَّانِي: اتِّصَافُ الْاسْمِ بِالْخَيْرِ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقَدْ يَكُونُ لِاتِّصَافِهِ بِهِ مَطْلَقًا عَنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهَذَا هُوَ الْكَثِيرُ الشَّائِعُ فِيهِ.

وقوله: «أَفَلًا»، أي: أفلين غائبين، من أَفَلَ النَّجْمُ، من البابِ الأولِ والثاني والرابع ك
 نَصَرَ، وَضَرَبَ، وَعَلِمَ، أي: غابَ، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦/٦]، ويُقال: «فَلَانٌ كَعَبُهُ سَافِلٌ، وَنَجْمُهُ آفِلٌ، وَقَلْبُهُ غَافِلٌ».

«وِظْلُهُ الْقَالِصُ»: الظلُّ: هو الذي حال بينه وبين الشمسِ حائلٌ فلم تصلِ إليه، وهو
 الفيءُ، ومنهم من فرَّقَ بينهما فقال: كلُّ ما كانت عليه الشمسُ فرالت عنه فهو فيءٌ وظلٌّ
 معاً، وما لم يكن عليه الشمسُ فهو ظلٌّ فقط، ولذلك قيل: الشمسُ تَنسُخُ الظلَّ؛ والفيءُ
 ينسُخُ الشمسَ، ويُقال: ظلُّ الجنة، ولا يقال: فيئُها لعدمِ الشمسِ هناك؛ وظلُّك: خيالك
 في ضوءِ الشمسِ، والقَالِصُ: اسمٌ فاعلٍ من قَلَصَ الظلُّ أي: نَقَصَ، وَقَلَّ وانضَمَّ وانقبَضَ،
 وانزوى، وتَدَانَتْ أطرافُه، وتَقَارَبَتْ، وكذالك قَلَصَ مُشَدِّداً وتقلَّصَ.

«أَضْحَى قَدْ أَزَى»: «أضحى» له استعمالان: أحدهما: الدخولُ في وقتِ الضُّحى، وهو
 عند ارتفاعِ الشمسِ قَدْرَ رُوحٍ أو رُوحينِ باعتبارِ رؤيتنا، والثاني: اتصافُ اسمها بالخبرِ في
 ذلك الوقتِ، وقد يكون لا تصافه به مطلقاً، وهذا هو الشائعُ الكثيرُ. و«قد»: حرفٌ تحقيقٍ.
 و«أزى» أزى الظلُّ: مثل تقلَّصَ أي: نقصَ، وقَلَّ، وأخذتِ الشمسُ تنسُخُه حتى تَقَارَبَ
 وتَدَانَى، وانضَمَّ بعضُه إلى بعضٍ.

المعنى: قد غابت كواكبُ العزِّ والشرفِ، وغربتِ شمسُ الفضائلِ والمكارمِ ولم يبقَ
 من رجالِ المجدِ أحدٌ حتى إنَّ خيالَ المجدِ تلاشى، وتضاءلَ وضعفَ واضمحَلَّ، وسرى
 إليه النقصانُ، وتعاورته أيدي الدهرِ تغييراً وتبديلاً، ويوشكُ أن تأتي على آخره محوًّا
 وطمساً حتى تندرَسَ آثاره، وتَنطَمِسَ معالمُه، وتَعْفُو أطلالُه.

١٨٣ - إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَنْاسٍ بِهِمْ إِلَى سَبِيلِ الْمَكْرَمَاتِ يُقْتَدَى

«إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَنْاسٍ»: «إِلَّا»: أداةُ استثناءٍ، والمستثنى منه «نجومُ المجدِ» في البيتِ الذي
 قبله لأنَّ المرادَ به رجالُ المجدِ وأربابُ الشرفِ وذوو الفضلِ وأهلُ الكمالِ وأصحابُ

السيادة ونحو ذلك. وال«بقايا» جمع بقیة، وتُجمع أيضاً على بقیاتٍ ك عَطِيَّة، وعَطَايا، وعَطِيَّاتٍ، والبقیة: لها معنیاں: أحدهما: الفضلةُ الباقيةُ من الشيء من بقي الشيء يُبقى بقاءً، وتَبَقَّى تَبَقُّياً واستَبَقَى، وللنابغة:

وَكُنْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ
 واستَبَقَى أخاه: عفا عن زلته، لتبقى مودته، ويقال: «لا ينفكك من زادٍ تَبَقَّى ولا ممَّا هو
 واقعٌ تَوَقَّى». والمعنى الثاني للبقیة: الشفقةُ والمرحمةُ من أبقى عليه إذا رحمه وأشفقَ عليه،
 ومنه قول الشاعر:

وما صدَّ عني خالدٌ من بقیةٍ ولكن أتتْ دُوني الأسودُ الهواصرُ

وقول الآخر: [ديوان الأعشى ٣١١]

قالوا البقیةُ والخطيُّ يأخذهم

يُحتمل أن يراد به أبقوا منَّا ولا تستأصلونا قتلاً، وأن يراد به الرحمةُ والشفقةُ، والرَّفَقُ،
 من أبقى عليه إذا رحمه، وأرعى عليه، أي: رَفَقَ به، ورقَّ له، وحنا عليه.

و«الأناسُ»: النَّاسُ، قال الشاعر:

إِنَّ الْمَنَائِلَ يَطْلَعُ — نَ عَلَى الْأَنْسِ الْأَمِينَا

فِيَدْعُهُمْ شَتَّى وَإِنْ كَانُوا جَمِيعاً وَافِرِينَا

«بِهِمْ»: يقال: بهم بسكون الميم، وبهموا بضمها ممدودة، وبهمي بكسرها ممدودة.

«إلى سبيلِ المَكْرَمَاتِ»: السَّبِيلُ: الطريقُ وزناً ومعنى، ويكونُ بمعنى الوُصْلَةِ والسَّبَبِ،

وفي التنزيل العزيز: ﴿بَلَيَّتِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبِلًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٢٧]، وقال جرير:

أَفْبَعَدَ مَقْتَلِكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرَجُّو الْفَيَونُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبِلَا

و«المكْرَمَاتُ»: جمع مَكْرَمَةٍ بالفتح والراء المضمومة، وهي فعل الكرم، وعمل الخير

من الكرم، وهو الأفعالُ والأخلاقُ الممدوحةُ، قال بعضهم: «الكرمُ: كالحريَّةِ إِلَّا أَنَّ الحريَّةَ

تُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ صَغِيرِهَا وَعَظِيمِهَا، وَأَمَّا الْكِرْمُ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِعِظَائِمِ الْمَحَاسِنِ»،
قال الشاعر:

مَا مَدَّ بَاعًا فَتَى يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ إِلَّا سَتُّ كَرْمِهِ بِالْحِلْمِ وَالْجُودِ
وكما تُجْمَعُ الْمَكْرَمَةُ عَلَى مَكْرَمَاتٍ تُجْمَعُ عَلَى مَكَارِمٍ، وَالْمَكَارِمُ، وَالْمَأَثِرُ وَالْمَفَاخِرُ ثَلَاثُهَا
مِثْقَابِيَّةٌ. «يُقْتَدَى»: أَي يُتَأَسَّى، وَالْمَصْدَرُ الْاِقْتِدَاءُ وَالتَّأَسِّي، وَمَعْنَى ذَلِكَ الْاِتِّبَاعُ، يُقَالُ:
اِقْتَدَى بِهِ، وَتَأَسَّى بِهِ، وَاتَّسَمَّ بِهِ، أَي: فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ وَاتَّخَذَهُ قُدْوَةً، وَأَسْوَةً، وَإِمَامًا.
المعنى: غَيْرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمٍ بِاتِّبَاعِهِمْ يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرَاتِ وَبِتَقْلِيدِهِمْ
يَبْلُغُ إِلَى مِنْهَاجِ الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ.

١٨٤ - إِذَا الْأَحَادِيثُ انْتَضَتْ أَنْبَاءَهُمْ كَانَتْ كَنْشَرِ الرَّوْضِ غَادَاهُ
«إِذَا»: لَهَا مَعَانٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ ظَرْفًا لَمَّا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَفِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ.
وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ لِمَجْرَدِ الْوَقْتِ. وَالثَّلَاثَةُ: أَنْ تَكُونَ مُرَادِفَةً لِلْفَاءِ. وَالرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ
لِلْمَفَاجَأَةِ.

«الْأَحَادِيثُ»: جَمْعُ حَدِيثٍ، وَقِيلَ: جَمْعُ أَحْدُوثَةٍ، وَقِيلَ: جَمْعُ أَحْدِثَةٍ، وَأَحْدِثَةٌ جَمْعُ
حَدِيثٍ، وَالْأَوَّلُ شَادُّ، وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ مَقْيَسٌ، وَالْحَدِيثُ: مَا يُتَحَدَّثُ بِهِ كَالْأَحْدُوثَةِ،
وَالْحَدِيثُ: فَعِيلٌ مِنْ حَدَثَ، أَي: تَجَدَّدَ وَوُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَهُوَ كَالْحَادِثِ، وَيَكُونُ
بِمَعْنَى الْقَرِيبِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: حَدِيثٌ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، وَفُلَانٌ حَدِيثٌ السَّنِّ؛ أَي: صَغِيرٌ
قَرِيبٌ الْوُجُودِ قَصِيرٌ الْمُدَّةِ الَّتِي عَاشَهَا، وَالْمُرَادُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْحَدِيثِ الْخَبْرُ وَالنَّبَأُ، وَهُوَ
الْكَلَامُ الْمَنْقُولُ فِي أَمْرِ مَا.

«انْتَضَتْ أَنْبَاءُهُمْ»: أَي: تَجَادَبَتْ ذَكَرَ أَحْوَالَهُمْ وَسِيَرِهِمْ، وَتَرَاجَمَهُمْ، وَقَصَصَهُمْ، وَمَا
كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ.

و«انْتَضَتْ»: فَعْلٌ مَاضٍ مُتَّصِلٌ بِتَاءِ التَّانِيثِ، وَمَصْدَرُهُ: الْاِنْتِضَاءُ، وَهُوَ يَكُونُ بِمَعْنَى

تجريد السيف وسله من غمده، ويكون بمعنى إبلاء الثوب وإخلاقه من كثرة استعماله، ويكون بمعنى استخراج الأسهم من الكنانة، وهي الجعبة التي توضع فيها السهام، والقرائن هي التي تُعين المراد، يقال: انتضى السيف، أي: سلّه وجرده، وانتضى السهام: استخراجها من وعائها، وانتضى الثوب: أبلاه وأخلقه من كثرة استعماله، هذا على أنه بالضاد المعجمة، وأما بالصاد المهملة من الانتصاء فمعناه الانتقاء، والانتخاب، والاختيار، يقال: انتصى من القوم رجلاً، أي: اختاره منهم، والأنباء: الأخبار وزناً ومعنى مفرداً وجمعاً، والضمير عائد إلى البقايا.

«كانت كُنْشِرِ الرُّوضِ»: «كانت»، أي: تلك الأحاديث التي يتجادبون أطرافها ويستخرجون حقائقها، و«النَّشْرُ»: ما انتشر من الرائحة الطيبة، وقيل: الرائحة، أي مُطلقاً، قال المرفئش: [المفضليات ٢٣٨]

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ
أي: مثل ریح المسك، والوجوه كالدنانير، وأطراف الأكف مثل العنم، وهو نبات لطيف، وقال امرؤ القيس: [ديوانه ١٥٧]

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشَرَ الْقَطْرَ
يَعْلَلُ بِهَا بَرْدَ أَنْبَاهِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ
شبه ماء فمها سحراً بالمدام، وهو الحمر، وصبوب الغمام، وهو ماء المطر يمزج به الحمر، وريح الخزامى، وهو اسم نبات طيب النكهة، يقال: «له خيرى البر»، ونشر القطر، وهو ریح العود، والمستحّر: المصوت عند السحر، وهو الوقت الذي قبيل الصبح.

و«الرُّوضِ»: الأمكنة المزدانة بأنواع من النبات وأشكال من الزهور وُصُروب من العُشب والبقل والكلاء والمياه، الواحد روضة، وهي نحو الحديقة والبستان والحائط والجنّة، ومصغرّها الجنينة.

«غَاذَاهُ السَّدى»: أي بآكره النَّدى من العُدوة بالضمِّ، وهي ما بين الفجر الصادق إلى طلوع الشمس، يقال: غادانا مع صباح الدِّيكةِ، أي في ذلك الوقت، يقال: «كان فلان يُعادِننا ويُراوِحنا ثم صار يُعادِننا ويُكاوِحنا» أي: يُقاتلنا، والسَّدى: النَّدى، وهو ما يسقطُ من السماء على الأرض، وبه حياةُ الزرع، وقيل: السَّدى: ما يصيبُ الزرع من البَللِ في أول الليل، والنَّدى في آخره، وقيل: السَّدى في الليل، والنَّدى في النهار.

المعنى: تَطيبُ الأحاديثُ والسَّيرِ والقِصصِ إذا امتزجتُ بأخبارهم، وتترنُّنُ بها حتى تصير كحديقة ذاتِ أشجارٍ وأنهارٍ وأزهارٍ فاحٍ طيبها، وانتشرت روائحها المستحسنه حينما باكرتها الندوة واكلتها قطرات من ماء السماء، انتهى.

ولعلَّ قوله: «اتَّضتْ» محرفٌ عن «اقتضتْ» بالقاف، أي استوجبتُ واستدعتُ، فليتأمل.

١٨٥- لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِي مَجْلِسِهِمْ هُجْرًا إِذَا جَالَسَهُمْ وَلَا خَنَا

«لَا يَسْمَعُ»: أي: لا يَطْرُقُ سَمْعُهُ ولا يَبْلُغُهُ، وفِعْلُهُ من الباب الرابع ك عَلِمَ.

«السَّامِعُ»: اسمٌ فاعلٌ منه. «فِي مَجْلِسِهِمْ»: أي: فِي المَكَانِ الَّذِي يَجْلِسُونَ فِيهِ. «هُجْرًا»: أي: فُحْشًا، وَقَدْعًا، وَكَلَامًا قَبِيحًا، وَقَوْلًا سَيِّئًا كَالْقَذْفِ وَالشَّتْمِ، وَالرَّفَثِ، وَالسُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالتَّهْكُمِ وَإِكْثَارِ الكَلَامِ فِيهَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيْقُ وَالهَدْرُ وَالهَدْيَانِ، وَالتَّخْلِيْطُ فِي الكَلَامِ كَمَا يَكُونُ مَن أُصِيبَ بِمَرَضٍ اخْتَلَّ مِنْهُ عَقْلُهُ كَالْمَبْرُؤِ وَالْمَحْمُومِ.

«إِذَا جَالَسَهُمْ»: أي: وَتَمَّ مَجَالَسَتِهِمْ وَعِنْدَمَا يَكُونُ جَلِيسَهُمْ، وَحِينَ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسِهِمْ. «وَلَا خَنَا»: الخَنَا: الفُحْشُ، فَهُوَ تَأْكِيدٌ، وَقِيلَ: أَفْحَشُ الكَلَامِ.

المعنى: أن الرجل الذي يَغشى مجالسهم ويحضر مجتمعاتهم لا يسمع منهم كلاماً سيئاً، ولا قولاً قبيحاً، ولا هذراً أو هدياناً ولا رفثاً وقَدْعًا، لا يَقذفُ بعضهم بعضاً، ولا يتشائمون، ولا يتخاصمون ولا ينطقون بما لا يليق، والمراد أنهم ذوو أخلاق فاضلة

يُحْتَرَمُونَ بَعْضَهُمْ وَيَقِفُ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ حَدِّهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ بِسُوءٍ، فَالْوَقَارُ عَلَيْهِمْ ظَاهِرٌ، وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ مِنْ وَصْفِهِمُ الطَّاهِرِ كَمَا كَانَ مَجْلِسُ كَلْبِ بْنِ حَيَّاتِهِ، وَمَلَأَ مَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ:

أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَقَاوُلُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا

١٨٦ - مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يَقْبَلُ مِنْهُ الْمَوْتَ إِسْنَاءَ الرَّشَاءِ

«مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ»: أَي: مَا أَعْظَمَ نَعِيمَهَا وَأَطْيَبَ مُسْتَلَذَّاتِهَا، وَهُوَ مِنْ نَعْمَ عَيْشُهُ وَنَعِمَتْ عَيْشَتُهُ، مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمَ، أَي: اتَّسَعَ عَيْشُهُ، وَلِأَنَّ وَصَارَ ذَا رِفَاهِيَّةٍ يَتَنَعَّمُ بِهِ صَاحِبُهُ وَيَتَرَفُّ.

و«الْعَيْشَةُ»: بِنَاءِ هَيْئَةٍ مِنْ عَاشَ الرَّجُلُ، فَمَعْنَاهَا حَالَةُ الْمَعِيشَةِ الَّتِي يَكُونُ الْمَرْءُ عَلَيْهَا،

وَمَعْنَى عَاشَ صَارَ ذَا حَيَاةٍ وَمَعِيشَةٍ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: [ديوان ابن مقبل ٢٧٣]

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ

أَي: مَا أَلَذَّ الْحَيَاةَ وَمَا أَطْيَبَ الْمَعِيشَةَ لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ جَمَادًا كَالْحَجَرِ إِذَا كَانَتْ الطَّوَارِئُ

وَالْعَوَارِضُ لَا تَصِيْبُهُ بِمَا يُؤْذِيهِ حَتَّى يَبْقَى وَهُوَ مُتَضَامٌ الْأَجْزَاءِ.

«لَوْ أَنَّ الْفَتَى»: أَي: عَلَى فَرَضِ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَعَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ الشَّخْصِ، وَالْفَتَى فِي

الْأَصْلِ: الشَّابُّ الْحَدِيثُ السِّنِّ، وَالْمَرَادُ الْإِنْسَانَ مُطْلَقًا. «يَقْبَلُ مِنْهُ»: أَي: يَرْضَى بِأَنْ يَأْخُذَ

مِنْهُ. «الْمَوْتُ»: فِرَاقُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ وَعَدَمُ الْحَيَاةِ وَفَقْدَانُهَا وَزَوَالُهَا عَمَّنْ كَانَ حَيًّا.

«إِسْنَاءَ الرَّشَاءِ»: أَي: تَكْثِيرُهَا وَتَعْظِيمُهَا، يُقَالُ: أَسْنَى لَهُ جَائِزَتَهُ، وَأَسْنَى لَهُ عَطِيَّتَهُ،

أَي: جَعَلَهَا لَهُ سَنِيَّةً، أَي عَظِيمَةً كَبِيرَةً، وَالرُّشَى بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ جَمْعُ رِشْوَةٍ مِثْلَتِهَا، وَهِيَ مَا

يُعْطِيهِ الشَّخْصُ لِحَاكِمٍ أَوْ غَيْرِهِ لِيَحْكُمَ لَهُ أَوْ يَجْمَلَهُ عَلَى مَا يَرِيدُ مِنْ قَضَاءِ حَاجَةٍ وَنَحْوِ

ذَلِكَ.

المعنى: ما ألدَّ الحياةَ على تقدير أنَّ الموتَ يقبل الرشوةَ من الإنسان، ويرضى بأن يأخذ منه عطيةً بشرط أن لا يتعرَّضَ لحياته ولا يُفْضِيَ به إلى وفاته.

١٨٧- أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمَرَهُ لَمْ يَسْتَلِبْهُ الشَّيْبُ هَاتِيكَ الحَلَّى

«أو»: حرف عطف تكون بمعنى الواو فتقتضي الجمع، وتكون لأحد الشئيين على التخيير، وهو الأكثر. «لو»: حرف امتناع لامتناع، أي امتنعت زيادة التمتع لامتناع التحلّي الذي لا يُغَيِّرُه الشَّيْبُ، وفي كلمة لو كلام كثير تركته لطوله.

«تحلّى»: أي تزين، من تحلّت المرأة إذا لبست الحليّ وتزينت به، وهو ما يُتَزَيَّن به من مَصْوَغِ المَعْدِنِيَّاتِ، وتحلّى أيضاً: تخلّق واتّصف، من الحلية بالكسر، وهي الصفة والصورة. «بالشباب»: أي: بالفُتُوَّةِ وحادثة السنّ. «عمره»: أي: مدّة حياته، وهو إمّا بالرفع على أنّه فاعل تحلّى، أو بالنصب على الظرفية.

«لم يستلبه»: أي: لم يسلبه ولم يحتلّسه، ولم يأخذه منه قهراً وعنوةً، ولم يغتصبه. «الشَّيْبُ»: مصدر شاب الرجل إذا ابيضّ شعره لكبر سنّه. «هاتيك الحليّ»: أي: تلك الأوصاف، وهي بضمّ الحاء وكسرها، جمع حلية بالكسر، وهي: الصورة والصفة. المعنى: أو لو كان الإنسان يبقى عمره متزيّناً بأوصاف الشبيبة، ولا يسلبه الشيب تلك الأوصاف الجميلة.

١٨٨- هَيْهَاتَ مَهْمَا يُسْتَعَرُّ مُسْتَرْجِعٌ وَفِي حُطُوبِ الدَّهْرِ لِلنَّاسِ أُسَى

«هيهات»: اسم فعل، وهو بُعد، كما أنّ صه اسم فعل، وهو اسكّت، ومه كذلك أي: أكفّف، وفيها إحدى وخمسون لغةً لا مجال لسردها هنا، وهذه أشهرها، قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٣٦] أي: ما أبعدّه، أي: تحقّق وتأكدّ البعد لما توعدون، وقال جرير: [ديوانه ٤٩٧]

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ العَقِيْقُ وَأَهْلُهُ وَهَيْهَاتَ خَلٌّ بالعَقِيْقِ نُحَاوِلُهُ

ويُروى: نواصلُهُ. أي: بُعدَ مكانِ العَقِيقِ وَبُعْدَ خِلِّ، ومدخولُ «هيهات» مقدرٌ، والمعنى: هيهات أن يقبلَ الموتُ الرشوةَ، وأن يبقى متحلِّياً بالشبابِ الدائم الذي لا يطرأ عليه الشيبُ. «مهما»: من أدوات الشرط، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَهْمَا تَأْتَانِيَهُ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّ بِهَا فَتَمَنَّخُنَّ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢ / ٧]، ول بعضهم: [أشعار الهذليين ١١٢٨]

.....
مَهْمَا تُصِبُّ أَفْقًا مِنْ بَارِقٍ تَشْمُ

وقال آخر: [ديوان حاتم الطائي ٦٩]

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنُكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعَا

قيل: أصلها: ماما، وقيل: مة ما، وتكون لمجرد الاستفهام، قال الشاعر:

مَهْمَا لِي اللَّيْلَةَ مَهْمَا لِيَهْ أَوْ دَى بِنَعْلِيَّ وَسِرْبَالِيَهْ

أي: مالي، يعني: ما بالي، وأيُّ شيء عراني. «يُسْتَعْرَ»: أي يؤخذ على سبيل العارية،

وهي نسبة إلى العارة التي هي اسم من أعارِ إعاره، كالطاعة من أطاع إطاعة، وقيل: نسبة

إلى العار بدعوى أن طلبها عارٌ، أي عيبٌ ومعرّة، وتَعَوَّرَها وَاَعْتَوَّرَها وتعاوَرَها

تداولوها فيما بينهم، واستعاره: طلب أخذهُ لِيَتَنَفَعَ بِهِ مَوْقِفًا، بشرط أن يردّه كما أخذه، قال

النابعة:

وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنْعَسُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرْتَهُ الْمِيئَةَ قَاطِعُ

جعلَ للمنيّة سيفاً مستعاراً منه لشدة بطشه كما شبّهه بالرّبيع لطلاقة وجهه وسخائه،

وقال ابن مقبل في العارة:

فَأَخْلِفْ وَأَتْلِفْ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ

وقال الآخر:

إِنَّمَا أَنْفُسُنَا عَارِيَةٌ وَالْعَوَارِيُّ قُصَارَى أَنْ تُرَدَّ

ولعلّه قُصارها تُردّ، أي: غايتها، يقال: قَصْرَكَ كذا وَقُصْرَكَ بفتحها، ويُضم الثاني،

وَقُصِيرَاكَ مَصْغَرًا، وَقُصَارَاكَ أَي: غَايَتِكَ، وَالمْتَمَنِي قُصَارَاهُ الحَيِّثُ، وَمِنْ بَدَائِعِ اللطَائِفِ المِستَظْرَفَةِ مَا يُرَوَى عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «غَرَّكَ عَزُّكَ، فَصَارَ قُصَارَ ذَلِكَ ذَلِكَ، فَاحْشَ فَاحْشَ فِعْلِكَ فَعَلَّكَ تَهْدًا بِهِذَا»، وَمِنْ جَوَابِ مَعَاوِيَةَ لَهُ: «عَلَا قَدْرِي غَلَا قَدْرِي».

«مُستَرَجَعٌ»: أَي: مُستَرَدُّ ومُستَعَادُّ، يُقال: اسْتَرَجَعَهُ أَي: اسْتَرَدَّهُ واستَعاده.

«وَفِي خُطُوبِ الدَّهْرِ»: أَي: حَوَادِثِهِ وَنَوَائِبِهِ وَمُلَمَّاتِهِ وَشِدَائِدِهِ، وَمَفْرَدُ الخُطُوبِ:

خَطْبٌ بِفَتْحٍ فَسْكَونٍ، وَهُوَ الأَمْرُ وَالشَّأْنُ وَالْحَالُ، وَفِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ قال: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ١٥/٥٧]، وَيُطْلَقُ عَلَى الحَادِثِ العَظِيمِ والأَمْرِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَنْزِلُ بِالإِنْسَانِ، يُقال: جَلَّ الخُطْبُ، أَي: عَظَمَ الشَّأْنُ، وَفُلانٌ يُقاسِي خُطُوبَ الدَّهْرِ، أَي: مِصائبَ الزَّمانِ، وَالدَّهْرُ: الزَّمانُ، وَقِيلَ: الطَّوِيلُ، وَقِيلَ: مَدَّةُ العالَمِ كَافَّةً، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، قال الشاعِر:

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ حَبْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانَ قَدْ هَمَّ بِالإِحْسَانِ
أَي: إِنَّ زَمَانًا أَجْتَمَعَ فِيهِ بِمِحبوبَتِي جُمْلٌ لَزَمَانَ خَيْرٍ، وَنِسْبَةُ الحَوادِثِ لِلزَّمانِ مِجَازٌ لَوْقوعِها فِيهِ إِلا عَلَى زَعْمِ الدَّهْرِيِّينَ القائِلِينَ بِقَدَمِ الدَّهْرِ غَيْرِ مُؤمِنِينَ بِالبِعثِ، وَهُمُ الَّذينَ نَعَى اللهُ عَلَيْهِمُ ذَلِكَ ذاكِرًا فِي تَنزِيلِهِ العَزِيزِ قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا يَلِكُكُمْ إِلا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٤٥/٢٤] وَهُمُ الزَّنادِقَةُ المَلْحَدُونَ.

«لِلنَّاسِ»: أَي: لِلبِشَرِّ، وَهُمُ بَنُو آدَمَ، وَقَدْ يُرادُ بِهِ الإِنْسُ وَالجِنُّ بِدَليلِ آخِرِ سِورةِ النَّاسِ^(١)، وَهُوَ مِنْ ناسٍ يُنْوسُ أَي تَحَرَّكَ. «أُسى»: بِالضَّمِّ وَالكِسرِ، جَمْعُ أُسوةٍ بِالوَجْهِينِ، وَهُوَ: القُدوةُ وَالإِمَامُ، وَتَأَسَّى بِهِ وَاقْتَدَى بِهِ وَاتَّمَّ بِهِ أَي: تَابَعَهُ وَفَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، وَقَلَدَهُ وَاقْتَفَى أثرَهُ.

(١) ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١١٤/٥-٦]

المعنى: لا يُرجى قبولُ الموتِ للرَّشوةِ ومحابَّتهِ للمرءِ بأن لا يطراً عليه، فيستحيلُ أن يبقى متنعمًا متمتعًا بملاذِّه وشهواته على الدَّوامِ والاستمرارِ لأنَّ هذه الحياةَ الدنيويَّةَ بمنزلة العاريَّةِ التي لا بدَّ من إرجاعها إلى صاحبها، وفي حوادثِ الدهرِ ما يكون للعالمِ فيه عبرةً وتبصُّرةً وتذكُّرةً يَجْرُونَ على مقتضاها ويقتفون آثارها، واللهُ دُرُّ القائل: [ديوان لبيد ١٧٠]

وما المأل والأهلون إلاَّ ودائعُ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

١٨٩- وَفْتِيَّةٍ سَامَرَهُمْ طَيْفُ الْكَرَى فَسَامَرُوا النَّوْمَ وَهُمْ غَيْدُ الطُّلَى

«وَفْتِيَّةٍ»: هذه الواوِ واوُ رَبِّ، أَي: ورُبِّ فتيَّةٍ، والمفرد منه فتي، وهو: الشابُّ الحديث السنُّ القويُّ، ويُطلق على العبدِ والخادمِ، وفي التنزيلِ العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهِ﴾. [الكهف: ١٨/٦٠] وقال الشاعر:

إِنَّ الْفَتَى لَفَتَى الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى لَيْسَ الْفَتَى بِمُنْعَمِ الصَّبِيَانِ
وَيُرَوَى:

إِنَّ الْفَتَى حَمَّالٌ كُلُّ مُلَمَّةٍ لَيْسَ الْفَتَى... إلخ
وقال الآخر:

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَتَّيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاءُ
وقال ابن هرمة: [ديوانه ١٤٥]

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرْفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلَقٌ وَجَيْبٌ قَمِيصُهُ مَرْفُوعٌ
وفي التنزيلِ العزيز: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٨/١٠]، وفيه أيضاً:
﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٨/١٣].

«سَامَرَهُمْ»: أي: حَادَثَهُمْ وَحَاوَرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ، وقيل: أصله أن العرب كانوا يجتمعون ويتحدَّثون في السَّمَرِ، وهو ضوء القمر، فأخذت المسامرة من

السَّمَر. «طَيْفُ الْكَرَى»: أي: خيالُ النَّومِ، وهو ما يراه الإنسان في منامه، والطَّيْفُ: من طاف الخيالُ يَطِيفُ، كطاف يَطُوفُ، أي: أَلَمَ وتَرَأَى، والكَرَى: النوم، وأيضاً النُّعَاسُ. «فسامروا النَّومَ»: أي: حادثوه، والمراد: أنهم تلاقوا معه بأنَّ غَشِيَهُمُ النُّعَاسُ وغلبَ عليهم. «وهم غِيْدُ الطَّلَى»: وهم مائلو الأعناق يُخْفِقُونَ برؤوسهم من شدَّةِ النُّعَاسِ وغلبَةِ النومِ، والغَيْدُ: جمعُ أَعْيَدٍ وغَيْدَاءٍ من الغَيْدِ بالتحريك، وهو لينُ العنقِ وميلُها واسترخاؤها، قال الشاعر:

وليلٍ هَدَيْتُ بِهِ فِتْيَةً سُقُوا بِصُبَابِ الْكَرَى الْأَعْيِدِ

أراد الكرى الذي يصير منه القومُ غَيْدًا لَمِيلَانِهِمْ من نشوة الكرى، ويقال: «هم يَضْرِبُونَ الطَّلَى، وَيَطْعَنُونَ فِي الْكُلَى»، أي: يَقْطَعُونَ الرُّؤُوسَ بِضَرْبِ الْأَعْنَاقِ، ومفرد الكُلَى: كُليَّةٌ وكُلُوةٌ، ولكلُّ حيوانٍ اثنتان، وهما لَحْمَتَانِ حَمْرَاوَانِ لَازِقَتَانِ بِعَظْمِ الصُّلْبِ عِنْدَ الْخَاصِرَتَيْنِ، وهما مَنبَتِ زَرْعِ الْوَلْدِ.

المعنى: ورُبَّ قومٍ تَمَضَّمَصَ النَّومُ في عيونهم حتى تراءتْ لهم خيالاتُ المَنَامِ فَاجْتَمَعُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ يَتَحَادَثُونَ مَعَهَا وَهُمْ مَائِلَةٌ أَعْنَاقُهُمْ لَشِدَّةِ غَلْبَةِ النَّوْمِ عَلَيْهِمْ.

١٩٠- وَاللَّيْلُ مُلْقٍ بِالْمَوَامِي بَرْكُهُ وَالْعَيْسُ يَبْشُرُنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا

«وَاللَّيْلُ»: هو: الوقت الذي بين غروب الشمس وطلوع الفجر. «مُلْقٍ»: اسم فاعل من أَلْقَاهُ يُلْقِيهِ إِذَا وَضَعَهُ. «بِالْمَوَامِي»: أي: بِالْقِفَارِ وَالصَّحَارَى وَالْبَرَارِي وَالْمَفَاوِزِ وَالسَّبَاسِبِ وَالْفَلَوَاتِ، وكذلك البَوَابِي وَالهُوَامِي، والواحد من ذلك: مَوْمَاءَةٌ وَبَوَابَةٌ وَهُوْمَاءَةٌ، وهي الأَرْضُ الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس، قال الشاعر: [ديوان تأبط شراً

[١٥٢

يَظُلُّ بِمَوْمَاءَةٍ وَيُمْسِي - بغيرها جُحَيْشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ

يقال: «رَجُلٌ جَحِيشُ الْمَحَلِّ» كَأَمِيرٍ، أي: يَنْزِلُ فِي نَاحِيَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ النَّاسِ وَلَا يَخْتَلِطُ

بهم، ويقال: «هو جُحَيْشٌ وَحَدِه» مُصَغَّرًا، أي: مستبَدُّ برأيه، مستأثر بكَيْسِه، لا يُشاوِر ولا يُخالط، وكذا «عُيَيْرٌ وَحَدِه»، وهو ذمٌّ لأنه تشبيه بالحمار الصغير جداً، وهو الجَحش والعير.

«بَرْكَةٌ»: أي: ثابت متمكِّن، وحقيقة البرك: كُلُّ ما بَرَكَ من الجِمال والنِّياق كأنَّه جَمع بَارِك كصاحبٍ وصاحب، وتاجرٍ وتجر، وشاربٍ وشَرَب، والبركُ أيضاً: الصِّدرُ وزناً، ومعنى البركُ أيضاً: ما يلي الأرض ويمسُّها من جلد بطن البعير وصدره حين يَبْرُكُ، أي: يَسْتَنِيخُ، ويقال: ألقى عليهم الدهر بَرْكَه، وأناخ عليهم بكَلْكَلِه، أي: اشتدت وطأته، قال الجعدي:

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمُ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فُلٍ
وَحَكَّتْ الحَرْبُ بَرْكَهَا بالقوم: حَمِي وَطَيْسُهَا، قال الشاعر:

فَأَقْعَصَتْهُمُ وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِهِمْ وَأَعْطَتْ النَّهْبَ هِيَانَ بِنَ بِيَانِ
أَفْعَصَهُ: قتلَه مكانه، وهِيَانُ بِنَ بِيَانِ: مَنْ لا يَعْرِفُ نَسَبَه، ولا بِنَ الزُّبَيْرِي:

حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءِ بَرْكَهَا وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي عَبْدِ الأَشْلِ
والمراد من إلقاء الليل بَرْكَه بالموامي شمولُه لها بظلامه.

«والعيس»: أي: الإبل البيض، يُخالطُ بياضها شيءٌ من لون الشُّقْرة، وقيل: التي في بياضها ظُلْمَةٌ خَفِيَّةٌ، وقيل: هي الإبل التي تُضْرَبُ إلى الصُّفرة، وقيل: هي كرائم الإبل مطلقاً. «يَبْنُئِن»: أي: يَخْفِرُنَ وَيُثْرِنَ، ويقال: نَبَثَ الشَّيْءُ وَنَبَشَهُ، من الباب الأول كنصر فيها، أي: كَشَفَ عنه واستخرجه.

«أَفَاحِيصَ القَطَا»: الأَفَاحِيصُ: جمعُ أَفْحُوصٍ بالضم، وهو الموضع الذي تَفْحَصُهُ، أي: تَحْفِرُه لتبييضٍ وتُفْرِخُ فيه، وهو مَجْتَمِعُهَا، والقَطَا: نوع من الطيور.

المعنى: والليل مُتَشَرِّ الظلام، مُرِّخٍ سُدُولَه، والرَّكائبُ والمطايا تَحْفِرُ ما تقع عليه أخفافها من المواضع التي يتخذها طير القطا مكاناً لنفسه يُعَشِّشُ فيه فيبيض ويُفْرِخُ.

١٩١- بَحِيْثٌ لَا تُهْدَى لِسَمْعِ نَبَأَةٍ إِلَّا نَتَيْمُ الْبُومِ أَوْ صَوْتُ الصَّدى

«بَحِيْثٌ»: الباء هنا بمعنى في، وحيث: ظرف مكان، كما أن حين ظرف زمان، وضابط الفرق بينهما أَنَّ كُلَّ موضعٍ يَحْسُنُ فيه أَنَّى وَأَيُّ يَخْتَصُّ به حيث بالثناء، وكلُّ موضعٍ يَحْسُنُ فيه إذا ولماً ويوم ووقت ونحو ذلك يَخْتَصُّ به حين بالنون، وقول الشاعر:

حَيْثُمَا تَسْتَقِمُّ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّـهُ نَجَاحاً فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ

قد استدلَّ به الأَخفش على أَنَّ حيث ترد للزمان، وقال ابن أحرر: [ديوانه ١٥٩]

بَحِيْثٌ هَرَّاقٌ فِي نَعْمَانَ مِيْثٍ دَوَافِعُ فِي بِرَاقِ الْأَدَائِنَا

هَرَّاق: أي: صَبَّ وَسَكَبَ، وَنَعْمَانَ بالفتح: اسم مكان، والمِيْث بالكسر: الأَرْضِي السَّهْلَةُ، والدَّوَافِعُ: فَوَاعِلُ، من الدَّفْع وهو الدَّفْق، والبِرَاق بالكسر: جمع بُرْقَة بالضم، وهي الأَرْض الغليظة الخشنة، والأَدَائِنَا: أراد به موضعاً.

«لَا تُهْدَى»: أي: لَا تُبْعَثُ وَلَا تُرْسَلُ، هذا إن كان مجهولاً تُهْدَى بالضم من أهدى إليه شيئاً، أي: بَعَثَهُ له هَدِيَّةً، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَجْهُولٌ تَهْدِي بالفتح من هداه أي: أَرشده ودلَّه على سبيل الهداية، وهي: الإِرشاد والدَّلالة.

«لِسَمْعٍ»: اللام: جَارَّة، والسَّمْع: حِسُّ الأذن، وهي قُوَّة مُودَعَةٌ فيها بها تُدْرِك الأصوات، ويُطَلَق السَّمْعُ على نفس حاسة الأذن. «نَبَأَةٌ»: أي: صوتٌ، قال ذو الرمة:

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزاً مُقْفِرٌ نَدْسٌ بِنَبَأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ

«تَوَجَّسَ»: أي: تَسَمَّعَ، والرِّكْز بالكسر: الصوت، والمُقْفِر: الداخِل في القَفْرِ، يريد به

الصائد، والنَّدْس: الفَطْنُ، وقال آخر:

أَنْسَتْ نَبَأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنْ نَاصُ قَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ

قصرًا: أي: عَشِيَّةً، وفي مقامات الحريري [٤٢]: «فَسَمِعْنَا نَبَأَةً مُسْتَنْجِحٍ ثُمَّ تَلَّتْهَا

صَكَّةٌ مُسْتَفْتِحٍ».

«إِلَّا نَتِيْمُ الْبُومِ»: أي: صوتُ البُومِ، يقال: نَأَمَ، من الباب الثاني والثالث كضرب
ومَنَعَ، نَتِيْمًا، أي أَنَّ أُنِينًا، أو هو شبه الأنين، أو كالزَّحِيرِ أو صوت ضعيف، والنَّتِيْمُ: صوت
القوس، وللأسد صوت دون الزَّيْرِ، ويُستعار لصوت الظبي، والنَّتِيْمُ أيضاً: صوت البُومِ،
قال الأَعشى يصف فلاةً: [ديوانه ١٠٣]

لَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَتِيْمَ الْبُومِ وَالضُّوْعَا
الضُّوْعُ: بالضم ويُكسر مع فتح الواو في كلِّ: اسم طائر، والبُومُ: ضربٌ من الطيور.
«أَوْ صَوْتُ الصَّدى»: للصَّدى معانٍ كثيرة منها: أنه اسم طائر، ومنها أنه ما يَرُدُّه
الجلب والبئر ونحوهما من مثل صوت الصَّائح.

المعنى: بمكانٍ لا يُسمع فيه من الأصوات إلا صوتُ البوم أو صوتُ الصَّدى.

١٩٢ - شَايَعْتُهُمْ عَلَى السُّرَى حَتَّى إِذَا مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بِالْحَبْسِ الدَّوَى

«شَايَعْتُهُمْ عَلَى السُّرَى»: أي: تابعتهم، يقال شايَعه على كذا أي: تابَعه فيه وَقَوَّاهُ عليه،

والسُّرَى بالضم مقصوراً هو السَّير في الليل، والله دَرُّ القائل: [ديوان المأمون ١٠٨]

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ انْتَبِهْ إِنَّ الْخُطُوبَ لَهَا سُرَى
ثِقَّةُ الْفَتَى بَزَمَانِهِ ثِقَّةُ مُحَلَّلَةِ الْعُرَى

وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ: [ديوان جرير ٥٥٤]

وَأَرْفَعُ صَدْرَ الْعَنْسِ وَهِيَ شِمْلَةٌ إِذَا مَا السُّرَى مَالَتْ بِلَوْثِ الْعَمَائِمِ

وقال أبو الطيب: [شرح ديوانه ٥١/٤]

بَرْتَنِي السُّرَى بَرِّي الْمُدَى فَرَدَدْنِي

وإِنَّمَا أَنْتَ السُّرَى مَنْ أَنْتَ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ سُرْيَةٍ كَعُرْفَةٍ، أَوْ سُرْيَةٍ بِالْفَتْحِ كَعُرْفَةٍ،

وتذكيره على أنه مصدر كالهْدَى.

«حَتَّى»: هذه هي التي مات الفراء وفي نفسه منها أشياء لكثرة المعاني التي تعتورها،

ولأنها تعمل جميع أنواع العمل من جرّ ونصب ورفع، ولا تختصّ بنوع من المعربات، بل تدخل عليها كلّها من أفعال وأسماء، وفي تحقيق ذلك كلام طويل لا يتسع له مجال هذا الشرح، قال بعض الشراح: هي هنا غائيّة.

«إذا»: ظرف زمان، وفيها معنى الشرط وقد تتجرّد عنه. «مالت»: أي انحرفت إلى إحدى الجهات وحادت عن مقرّها. «أداة الرّحل»: أداة كلّ شيء: آتته، يقال: أداة الحرب أي: السلاح، وأداة الكتابة: الدّواة والقلم والقِرطاس، والرّحل: كلّ شيء أُعدّ أي هبّي للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس ورسن، والحلس هنا: ما يُوضع على ظهر البعير تحت المركب، ورّحل البعير بمنزلة سرج الفرس وبرّدة الحمار، ونحو الرّحل الحدج والحداجة بكسرهما، وهما من مراكب النساء، والمراد بقوله: أداة الرّحل: أداة هي الرّحل.

«بالجس»: أي بالرجل الجبان الضعيف اللئيم الدنيء الحسيس الرديء القدم الغليظ الجامد، الثقيل الرّوح، الغبيّ، القليل الفطنة، والجس: الفاسق وأيضاً: ولد الدّبّ. «الدّوى»: أي: الأحمق، ولعلّ المراد به المريض؛ لأنّه في الأصل مصدر دوي من الباب الرابع كعلم، أي: عراه داءً.

المعنى: تابعتهم ومشيت معهم ليلاً مساعداً ومقوياً ومشجعاً لهم على المشي في الليل، ومازلنا كذلك إلى أن مالت بعض المراكب التي على ظهور الجمال وانحرفت عن مقرّها مضطربةً بمن فوقها من الحمقى العاجزين عن تحمّل أعباء السفر، وهذا الرجل المسمّى بالجس الدّوى يليق به أيضاً أن يُسمّى الهلّباجة.

١٩٣ - قَلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْهُوَيْنِيَّ غِيْبًا وَهَنْ فَحَدِّثُوا تَحْمَدُوا غِيْبَ السَّرِيِّ

«قلت لهم»: أي: ذكرت قولي للفتية الذين سامرهم طيف الكرى.

«إنّ الهويني»: إنّ: حرف يفيد تأكيد مدخوله، والهويني: تصغير الهونى بالضمّ مقصوراً، وهذه تأنيث الأهون، وهذا أفعل تفضيل من هان الشيء يهون إذا سهّل وتيسر،

ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْهُونَى تَأْنِيثَ الْأَهْيَيْنَ مِنْ هَانَ يَهِينُ كَالَّذِي يَلِينُ وَزناً وَمَعْنَى، وَعَلَى هَذَا إِنَّهَا قِيلَ: الْهُونَى مَعَ أَنَّ عَيْنَهُ يَاءٌ لِكَوْنِهِ جَارِياً مَجْرَى مُوقِنٍ مِنْ أَيْقَنَ وَمُؤَسِّرٍ مِنْ أَيْسَرَ، وَعَلَى كُلِّ فَمَعْنَى الْهُونِي: التَّائِيَّ وَالتَّوَدَّةَ وَالرَّفْقَ وَالسَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ، وَالْمَرَادُ هُنَا: الْفُتُورَ وَالتَّوَانِي وَالِاسْتِرْحَاءَ فِي الْعَمَلِ وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ فِيهِ.

«غَبُّهَا»: أَيِ عَاقِبَتِهَا وَغَايَتِهَا وَنَهَايَتِهَا، مِنْ غَبَّتِ الْأُمُورُ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى نَهَايَةِ حَدِّهَا وَغَايَتِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

غَبَّ الصَّبَاحُ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرَى

كَذَلِكَ مَعَبَّةُ الْأُمُورِ، أَيِ عَاقِبَتِهَا.

«وَهْنٌ»: أَيِ: ضَعْفٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [الْقَمَانِ: ١٤/٣١]، أَيِ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، يَعْنِي أَنَّهَا قَدْ لَزِمَهَا بِسَبَبِ حَمَلِهَا أَنْ تَضَعُفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَفَعَلَهُ: وَهَنَ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ كَوَعَدَ وَوَرِثَ وَكَرَّمَ، وَبِمَعْنَاهُ وَهَى يَهِي وَهِيًا بِالْيَاءِ مَكَانَ النُّونِ.

«فَجِدُّوا»: أَيِ: فَادَّأَبُوا عَلَى عَمَلِكُمْ وَاجْتَهِدُوا فِيهِ، وَابْدَأُوا وَوَسَّعَكُمْ، وَمِنْهُ: «مَنْ جَدَّ وَجَدَّ» أَيِ مَنْ اجْتَهَدَ أَصَابَ وَنَالَ بُغِيَتَهُ.

«تَحَمَّدُوا غَبَّ السَّرَى»: أَيِ تَسْتَحْسِنُوا نَتِيجَةَ السَّيْرِ فِي اللَّيْلِ، يُقَالُ: حَمَدَهُ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمَ إِذَا مَدَحَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ مَحَاسِنَهُ وَوَصَفَهُ بِوَصْفٍ جَمِيلٍ، وَالْحَمْدُ يَكُونُ عَلَى الْفَوَاضِلِ وَالْفَضَائِلِ، وَيَخْتَصُّ الشُّكْرَ بِالْأَوَّلِ، وَغَبَّ السَّرَى: أَيِ: نَهَايَةَ قَطْعِ الْمَسَافَاتِ بِالْمَشْيِ فِي اللَّيْلِ.

المعنى: خَاطَبْتُهُمْ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّ التَّمَهُّلَ وَالْإِفْرَاطَ فِي التَّائِيَّ، وَالْإِبْطَاءَ فِي الْمَشْيِ لَا يَلِيقُ لِأَنَّ غَايَةَ ذَلِكَ الضَّعْفُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الْمَسِيرِ لَيْلًا تَظْهَرُ لَكُمْ مَحَاسِنُ الْجَهْدِ فِيهِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ.

١٩٤ - وَمَوْحِشِ الْأَقْطَارِ طَامٍ مَاؤُهُ مُدَعَّرِ الْأَعْضَادِ مَهْزُومِ الْجَبَا

«مُوحِشِ الْأَقْطَارِ»: هذه الواو واو رُبِّ، المُوَحِّشِ: اسم فاعل من أَوْحَشَهُ الشَّيْءُ إِجْحَاشًا، أَي أَدْخَلَ عَلَيْهِ وَحْشَةً، وَهِيَ تُطْلَقُ عَلَى الْخُلُوِّ مِنَ النَّاسِ وَعَلَى الْخَوْفِ وَالْهَمِّ الْحَاصِلَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَوْحَشَ الْمَكَانَ مِنْ أَهْلِهِ، أَي ذَهَبُوا عَنْهُ، قَالَ كَثِيرٌ: [الخرزانه ١/ ٥٣٣]

لِعَزَّةٍ مُوَحِّشًا طَلَّلَ قَدِيمٌ عَفَاهُ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ
 وَأَوْحَشْتُ الرَّجَلَ فَاسْتَوْحَشَ، قَالَ فِي التَّاجِ: «وَمِنْهُ قَوْلُ أَهْلِ مَكَّةَ: «أَوْحَشْتَنَا»،
 وَأَنْشَدْنَا غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الشُّيُوخِ عَنِ الْبَدْرِ الدَّمَامِينِيِّ:

يَا سَاكِنِي مَكَّةَ لَا زِلْتُمْ أَنْسَأَلْنَا إِيَّيْ لَمْ أَنْسَكُمْ
 مَا فِيكُمْ عَيْبٌ سِوَى قَوْلِكُمْ عِنْدَ اللَّقَا: أَوْحَشْنَا أَنْسَكُمْ

قال: وقد ردَّ عليه الإمام عبد القادر الطبريُّ وولده الإمام زين العابدين بما هو مودعٌ في تاريخ شيخ مشايخنا مصطفى بن فتح الله الحموي، يعني أنهم كتبوا في توجيه قولهم: أَوْحَشْنَا أَنْسَكُمْ.

و«الْأَقْطَارُ»: الجهات والنواحي والجوانب، ومفرده قُطْرٌ بِالضَّمِّ. «طَامٌ مَائُهُ»: طَامٌ: اسم فاعل من قولك عن الماء: طَمَى بِهِ يَطْمِي وَطَمَا يَطْمُو، أَي عَلَا وَارْتَفَعَ، وَمِنْهُ طَمَا بِهِ الْهَمُّ وَنَحْوُهُ إِذَا اشْتَدَّ، وَلِلزَّمْخَرِيِّ:

قَدْ طَمَا بِي خَوْفُ الْمَيِّتَةِ لَكِنْ خَوْفُ مَا يَعْقُبُ الْمَيِّتَةَ أَطْمَى
 أَي اشْتَدَّ عَلَيَّ خَوْفُ الْمَوْتِ، لَكِنْ خَوْفٌ مَا بَعْدَهُ أَشَدُّ.

«مُدْعَثَرٌ»: أَي مَهْدُومٌ، وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ دَعَثَرَهُ دَعَثَرَةً، إِذَا هَدَمَهُ وَهَدَّه. «الْأَعْضَادِ»: مَا يُبْنَى حَوْلَ الْحَوْضِ وَفِي الْبَيْتِ وَجَانِبِي الطَّرِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَعْضَادُ الْحَوْضِ كَالصَّفَائِحِ الْمَنْصُوبَةِ حَوْلَ شَفِيرِهِ، قَالَ لَبِيدٌ يَصِفُ حَوْضًا طَالَ عَهْدُهُ بِالْوَارِدَةِ: [ديوانه ١٨٤]

رَاسِخُ الدَّمَنِ عَلَى أَعْضَادِهِ تَلَمَّتْهُ كُلُّ رِيحٍ وَسَبَلٍ
 وَاحِدَهُ عَضِدٌ بِفَتْحَتَيْنِ وَبِفَتْحٍ وَضَمٍّ.

والدَّمَن بكسر فسكون: الزُّبُل وزناً ومعنى، وهو السَّرِقِين والسَّرَجِين، والدَّمَن أيضاً: البَعْر، والسَّبَل: المطر وزناً ومعنى، والصفائح جمعُ صفيحة، وهي كُلُّ عريض من حجارة أو ألواح خشب، وكذلك الصَّفَاح كَرَمَانَ، واحده صُفَّاحة، وتُطلق الصفائح على السيوف العريضة.

«مَهزومِ الجَبَا»: وفي نسخة: «مَهْدومِ الجَبَا»، وهي أَوْلَى لِأَنِّي لم أجد «هزم» بمعنى «هَدَمَ»، لكن يُستأنس بقول الزمخشري والزبيدي: «تَهَزَمَ البناءُ: تَهَدَّمَ، يقال: هَدَمَهُ بالبدال وهَجَمَهُ بالجيم وهَدَّهُ، كُلُّهُ بمعنى تخريب البناء ونَقْضُهُ»، وعلى صحَّة رواية «مَهزوم» يقال أيضاً: هَزَمَ البناءَ بمعنى هَدَّهُ وهَدَمَهُ وهَجَمَهُ ونَقْضَهُ وخرَّبَهُ، وممَّا يُستأنس به لصحة ذلك قول الزبيدي في التاج [هزم]: «أصلُ الهُزْم: كسرُ الشيء وتَنْيي بعضه على بعض».

و«الجَبَا»: له عدَّة معانٍ، منها شَفَّةُ البئر وما حوله، وهو المراد هنا.

المعنى: ورُبَّ بئرٍ خاليةٍ نواحيه من الوُرَاد بعيدةٍ عن الناس، وهو ذو ماء كثير غزير، وما حوله من الأبنية مهدومٌ مهدود، وبعبارة أخرى: ورُبَّ بئرٍ تحُصِّل الوَحْشَةُ لَمَن في نواحيه، وهو كثير الماء، وقد تَهَدَّمَ ما حول فَمِهِ من الأبنية التي تكون على رأس البئر وقايةً من أن يسقطَ فيه أحدٌ.

١٩٥ - كَانَمَا الرَّيْشُ عَلَى أَرْجَائِهِ زُرُقٌ نِصَالٍ أُرْهِفَتْ لِتُمْتَهِي

«كَانَمَا الرَّيْشُ»: كَانَمَا: أداة تشبيه مكفوفةٌ بما في آخرها عن عمل النصب والرفع، والرَّيْشُ: اسمُ جنسٍ جمعيٍّ حيث يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وبينَ مفرده بالهاء، كَبَقْرٍ وَبَقْرَةٍ، وَتَمْرٍ وَتَمْرَةٍ، وَرَوْضٍ وَرَوْضَةٍ، يُقَالُ: فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ عَشْرُونَ رَيْشَةً، وَأَرْبَعُ قَوَادِمَ، وَأَرْبَعُ مَنَاقِبَ، وَأَرْبَعُ خَوَافٍ، وَأَرْبَعُ أَبَاهِرٍ، وَأَرْبَعُ كَلَى، وَالرَّيْشُ هُوَ لِبَاسُ الطَّائِرِ وَكُسُوْنُهُ وَزَيْتُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: «رَاشِنِي وَقَوَى جَنَاحِي»؛ أَي: أَكْرَمَنِي، قَالَ الشَّاعِرُ: [الأساس (ريش)]

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدِ بَرَيْتَنِي فَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِِي

وقال آخر: [الأساس (ريش)]

إِذَا كُنْتَ مَخْتَارَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشٌ وَاصْطَنَعُ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي

وقال النابغة: [ديوانه ١٨٣]

كَمْ قَدْ أَحَلَّ بَدَارِ الْفَقْرِ بَعْدَ غِنَى قَوْمًا وَكَمْ رَاشٍ قَوْمًا بَعْدَ إِقْتَارِ
يَرِيشُ قَوْمًا وَيَبْرِي آخِرِينَ بِهِمْ اللَّهُ مِنْ رَائِشٍ عَمْرُوٍّ وَمِنْ بَارِي

وقوله تعالى: ﴿يَلِاسَا يُورِي سَوَاءَ تِكْمَ وَرِدِشًا﴾ [الأعراف: ٢٦/٧]، هذا مستعارٌ من ريشِ

الطائر الذي هو كُسُوْتُهُ وزَيْتُهُ. قال جريرٌ: [ديوانه ٥٠٦]

فَرِيشِي - مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتِكُمْ لِمَا

«على أَرْجائه»: أي فوق أطرافه وفي جوانبه ونواحيه وجهاته، وفي التنزيل العزيز:

﴿وَأَمَّا عَلَىٰ أَزْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧/٦٩]، الواحد (رجا)، كَعَصَا وَرَحَى؛ أي بالفتح

والقصر، يقال: فلان مِفْضَالٌ على الأهلِ والحشمِ والأحبابِ والصَّحْبِ، وقد وَرَدْنَا منه
أَرْجَاءٌ وَإِدْرَاحٍ، وفناؤه فسيحُ الأَرْجَاءِ، وهو مَحْطُّ رِحَالِ أَهْلِ الرَّجَاءِ، وقيل: أَرْجَاءُ
البئرِ: حَافَتَاهَا ونواحيها مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا، ومنه قولهم: «فلانٌ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانُ»،

قال زهير: [ديوانه ٢٦٩]

مَطَوْتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى كَانَتْ أَخْوَسَبَ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ

أي: يضطربُ وَيَهْتَزُّ وَيَخْفُقُ بِرَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ النُّعَاسِ، حَتَّى كَانَتْ الدَّلْوُ الَّذِي يُدَلَّى

بالحبلِ فِي البئرِ فَيَرْتَمِي يَمَنَةً وَيَسْرَةً.

«زُرْقُ نِصَالٍ»: الزُّرْقُ جمعُ أَرْزَقٍ، وهو اسمُ فاعلٍ مِنَ الزَّرْقِ بالتَّحْرِيكِ، وَالزُّرْقَةُ

بالضَّمِّ مِنَ زَرِقٍ، مِنَ البَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمٍ، وَيُقَالُ، نَضَلُ أَرْزَقَ أَي: شَدِيدَ الصِّفَاءِ. قال امرؤُ

القيس: [ديوانه ٣٣]

أَيُّقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُصَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

أي: كَيْفَ يَقْتَلُنِي وَالسِّيفُ إِلَى جَانِبِي، وَرِمَاحٌ صَافِيَةٌ الحَدِيدِ يَهْوُلُ مَرَّاهَا كَأَنَّهَا أَنْيَابُ

أغوال؟ والنَّصَال: جمع نَصَلِ السِّيفِ وَالسَّهْمِ وَالرُّمَحِ وَالسَّكِّينِ ونحوها، وهي الحديدَةُ
المرْكَبَةُ فيها، قال أعشى باهلة: [الأصمعيات ٩١]

عَشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا نَمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمَحُ ذُو النَّصَلَيْنِ يَنْكَسِرُ
أَرَادَ بِالنَّصَلَيْنِ السَّنَانَ، وَالرُّجَّجَ، وَالسَّنَانَ: الحديدَةُ التي تَكُونُ فِي عَالِيَةِ الرُّمَحِ وَبِهِ
يُطْعَنُ، وَالرُّجَّجُ فِي أَسْفَلِهِ، قال زهير: [ديوانه ٣٦]

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الرُّجَّاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ هَذِهِ
المعنى: مَنْ عَصَى الْأَمْرَ الصَّغِيرَ صَارَ إِلَى الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا
يَسْتَقْبِلُونَ عَدُوَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا الصُّلْحَ بِالرُّجَّاجِ التي فِي سَافِلَةِ الرُّمَحِ، إِذَا أَبَوْا قَلْبُوهَا
فَأَدَارُوهَا عَلَيْهِمْ وَقَاتَلُوهُمْ طَعْنًا بِالْأَسِنَّةِ التي فِي عَالِيَتِهَا.

«أَرْهَفْتُ»: أَي حُدِّدْتُ وَسُنَّتْ وَرُقِّقْتُ وَشُحِدَّتْ، يُقَالُ: رَهَفَ السِّيفَ وَنَحَوَهُ
وَأَرْهَفَهُ؛ أَي جَعَلَهُ رَقِيقًا، فَرَهْفَ بِالضَّمِّ رَهَافَةً بِالتَّحْرِيكِ؛ أَي دَقَّ وَرَقَّ وَلَطَّفَ، فَهُوَ
رَهِيْفُ الْحَدِّ، وَيُقَالُ: شَحَدَ لِسَانَهُ عَلَيْنَا وَأَرْهَفَهُ، وَيُقَالُ: ارْهَفَ غَرَبَ ذَهَبِكَ لَمَّا أَقُولُ.

«لِئْتَمَتَيْهِ»: مِنَ الْإِئْتِمَاءِ؛ وَهُوَ تَرْقِيقُ الشَّفْرَةِ وَالسِّيفِ وَنَحْوَهُمَا، يُقَالُ: مَهَى يَمْهِي
مَهْيًا، وَمَهَا يَمْهُو مَهْوًا، وَامْتَهَى يَمْتَهِي امْتِهَاءً، كُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَى تَرْقِيقِ الْحَدِيدَةِ وَإِحْدَادِهَا،
وَمَهَا الشَّيْءُ يَمْهَاهُ مَهْوًا، وَيَمْهِيهِ مَهْيًا؛ أَي مَوَّهَهُ، يَعْنِي طَلَاهُ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَأَمْهَى
الْحَدِيدَ: سَقَاهُ الْمَاءَ وَأَحَدَهُ، وَفِي التَّاجِ: «وَامْتَهَى النَّصْلَ حَدَّهَ كَأَمْهَاهُ، تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ دُرَيْدٍ،
ذَكَرَهَا فِي مَقْصُورَتِهِ» انْتَهَى.

المعنى: أَنَّ الرِّيشَ السَّاقِطَ عَلَى أَطْرَافِ البَيْرِ يُضَاهِي الْحَدِيدَ الصَّافِي الَّذِي جُعِلَ رَقِيقًا
لِيُحَدِّدَ؛ أَي: لِيُجْعَلَ قَاطِعًا مَاضِيًا نَافِذًا فِي الصَّرِيْبَةِ.

١٩٦ - وَرَدَّتْهُ وَالذُّنْبُ يَعْوِي حَوْلَهُ مُسْتَكَّ سَمِّ السَّمْعِ مِنْ طَوْلِ الطَّوِيِّ
«وَرَدَّتْهُ»؛ أَي: وَرَدَّتْ الْمَاءَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ سَابِقًا: «وَمُوحِشِ الْأَقْطَارِ طَامِ مَأْوُهُ»،

يقال: وَرَدَ الْمَاءُ إِذَا وَافَاهُ وَأَشْرَفَ عَلَيْهِ وَبَلَغَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ

مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٨/٢٣]، قال الشاعر:

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةً صَمًّا كُدْرِيَّةً أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

وورد البئر والحوض والغدير: أتاها، قال مامة يرثي ابنه: [ديوانه ٣٠٨]

أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: رَدَّ كَعْبٌ إِنَّكَ وَرَادٌ فَمَا وَرَدَا

وقال حسان بن ثابت يمدح بني جفنة ملوك الشام قديماً: [ديوانه ٣٦٥]

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرْدِي يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

البريص: كأمير، موضع بدمشق، وقيل: نهر بها، وقيل: اسم الغوطة كلها.

«والذئب يعوي»: أي يصيح ويصوت، والذئب: كلب البر، ويقال: السيد بالكسر،

قال طرفة: [ديوانه ٣٣] (كَذَّبَ الْعَصَا نَبَهَتَهُ الْمُتَوَرِّدِ)

ويروى: «كسيد الغضا..» إلخ، وقال آخر: (الذئب يعوي والغراب يبكي)

ولآخر:

عَوَى الذَّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّبِّ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَمُوتُ

وقال آخر: [ديوان ذي الرمة ١٤٨٩]

بِهَا الذَّبُّ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ عَوَاءُ فَصِيلٍ آخَرَ اللَّيْلِ مُحْتَلٍ

مُحْتَلٍ: بالحاء المهملة والثاء المثناة: اسم مفعولٍ من أَحْتَلَهُ، إِذَا أَسَاءَ غِذَاءَهُ، ولم يُحْسِنِ

رِضَاعَهُ، ويقال للذئب: العواء.

«حواله»: أي في الجهات المحيطة به، وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾

[غافر: ٤٠/٧]، أي: والذين في جوانبه، يقال: قَعَدَ حَوْلَهُ وَحَوَالَهُ وَحَوَالِيَهُ وَحَوْلِيَهُ

وَأَحْوَالُهُ، أَي: فِي جِهَةِ تَحْوُلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ: [ديوانه ٣١]

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي

«مُسْتَكُّ سُمِّ السَّمْعِ»: أَي مُنْسَدُّ ثَقْبِ الْأُذُنِ. قَالَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي: [ديوانه ٣٤]

أَتَانِي - أَيْبَتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لِمُتْنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

وَاسْتَكَّتْ الْأُذُنُ: انْسَدَّتْ وَصَمَّتْ وَوَقِرَتْ، وَلَعْبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ: [ديوانه ٥٨]

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ يَا لَهْفَ نَفْسِي لَوْ يَدْعُو بَنِي أَسَدِ

وَالْمَصْدَرُ الْاسْتِكَاءُ، وَهُوَ الْوَقْرُ وَالصَّمَمُ وَذَهَابُ السَّمْعِ وَالطَّرَشُ، وَهُوَ مَطَاوِعَ سَكَّهَ

يَسْكُهُ سَكًّا؛ أَي: سَدَّهُ، وَيُقَالُ أَيْضًا: سَكَّهُ يَسْكُهُ سَكًّا إِذَا اضْطَلَمَ أُذُنَيْهِ وَاسْتَأْصَلَهَا قَطْعًا،

وَمِثْلُ الْاسْتِكَاءِ السَّكَّاءُ بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ مَصْدَرُ سَكَّ يَسْكُ، مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ، كَعَلِمَ فَهُوَ

أَسَكُّ، قَالَ الرَّاجِزُ:

لَيْلَةُ حَاكٍ لَيْسَ فِيهَا شَاكٌ

أَحَاكٌ حَتَّى سَاعَدِي مُنْفَاكٌ

أَسْهَرَنِي الْأَسْيُودُ الْأَسَاكُ

الْأَسْيُودُ تَصْغِيرُ الْأَسْوَدِ، وَعَنَى بِهِ الْبُرْغُوثَ، قِيلَ: السَّكَّاءُ: الصَّمَمُ وَالطَّرَشُ، وَزَنَّا

وَمَعْنَى، وَقِيلَ: قِصْرُ الْأُذُنِ وَصِغْرُهَا، وَقِيلَ: قِصْرُهَا وَصِغْرُهَا وَضَيْقُ صِهَاخِهَا، وَجَمْعُ

الْأَسَاكُ سُكٌّ، قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: «وَكُلُّ الطَّيْرِ سُكٌّ: مُصَلَّمَةُ الْأَذَانِ»، وَيُقَالُ: اسْتَكَّتْ الْأُذُنُ

إِذَا ضَاقَ صِهَاخُهَا؛ أَي ثَقَبُهَا وَخَرَقُهَا، وَمِنْهُ اسْتَكَّتْ الرِّيَاضُ إِذَا التَفَّ نَبَاتُهَا حَتَّى انْسَدَّتْ

فِرْوَجُهَا، وَاسْتَكَّتْ الْبَابُ؛ أَي انْسَدَّتْ خِصَاصُهُ.

و«سُمِّ السَّمْعِ»: صِهَاخُ الْأُذُنِ، وَهُوَ ثَقْبُهَا وَخَرَقُهَا، وَيُقَالُ: أَخْرَجَ مِنْ صِهَاخِهِ

صِمْلاخَهُ؛ أَي أَخْرَجَ مِنْ دَاخِلِ أُذُنِهِ وَبَاطِنِهَا وَسَخَهَا وَقُشُورَهَا، وَالسُّمُّ: مِثْلُ السِّينِ

بِمَعْنِيهِ؛ بِمَعْنَى الَّذِي يَقْتُلُ، وَبِمَعْنَى كُلِّ ثَقْبٍ ضَيْقٍ كَخَرَقِ الْإِبْرَةِ وَالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ، قَالَ

تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٧/ ٤٠]، والسَّمْعُ يكون بمعنى حِسِّ الأُذُنِ وإدراكِهَا للأصواتِ، ويكون بمعنى نفسِ الأُذُنِ.

«مِنْ طُولِ الطَّوَى» أي بسبب امتدادِ زمانِ الجوعِ الذي مرَّ عليه، والطُّولُ مصدرٌ طَالَ أي اُمتدَّ، والطَّوى: الجوع، قال عنتره: [ديوانه ٢٤٩]

وَلَقَدْ أَيَّبْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَطْعَمِ
وفعله: طَوِيَ من البابِ الرابعِ، كَعَلِمَ؛ أي خلا بطنه من الطَّعامِ، وَحَمَصَ، مثلثة الميمِ،
وطاءً طَوِيَ تُفْتَحُ وتُكسَرُ، وهذا إذا جاعَ بلا قَصْدٍ ولا تَعَمُّدٍ، فَإِنْ قَصَدَ وتَعَمَّدَ قِيلَ: طَوَى
من الثَّانِي، كَرَمَى طَيًّا فهو طَاوٍ، وَطَيَّانٌ.

المعنى: وافيتُهُ وأتيتُهُ وبلغتُهُ ووصلتُ إليه وأشرفتُ عليه وحضرتُ لديه، وكان
الوحشُ المسمَّى بالذئبِ يصيحُ ويصوتُ كما تنبحُ الكلابُ، ويحصلُ منه عواءٌ، وهو قليلٌ
السَّمْعِ من شدَّةِ الجوعِ الحاصلِ له بسببِ خلوِّ بطنه من الطَّعامِ.

١٩٧- وَمُنْتَجٍ أُمُّ أَبِيهِ أُمَّهُ لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى

«ومنتج»: الواوُ واوُ رَبٍّ؛ أي وَرَبٍّ مُنتَجٍ، والمرادُ به الغصنُ، وهو اسمٌ مفعولٌ مِنْ
أَنْتَجَهُ، إِذَا أَنْشَأَهُ، قال الرَّاعي: [ديوانه ٢٤٢]

أَرَبَّتْ بِهَا شَهْرِي ربيعِ عليهمُ جَنائِبُ يَنْتَجِنَ الغَمَامَ المَتَالِيَا
أَرَبَّتْ: دامتُ، والجَنائِبُ: الرِّياحُ القَبليَّةُ، والمَتالي في الأَصْلِ: النِّياقُ تتلوها أولادُها،
وفي مَثَلٍ أَنَّ العَجَرَ والتَّوَانِي تَزَاوِجَا فَأنتَجَا الفَقْرَ، كذا في الأساسِ [نتج]، وفيه أيضاً:
وهذه المقدِّمة لا تُنتجُ نتيجةً صادقةً، إِذا لم تكنْ لها عاقبةٌ محمودة، وهذا كُلُّهُ مِنْ أَنْتَجَ
الرَّجُلِ الناقَةَ، إِذا وَلِيَ ولادتهاَ وكان لها كالعاقلة، كَتَجَّها، فهو ناتجٌ ومُنْتَجٍ، قال الحارثُ
بنِ جِلْزَةَ: [ديوانه ١١١]

إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ

وَأَنْتَجَتْ: حَمَلَتْ وَأَنْتَجَتْ: عَظَمَ بَطْنُهَا وَدَنَا نِتَاجُهَا، وَأَنْتَجَتْ: وَوَضَعَتْ، وَقَوْلُهُم: الرِّيحُ تُنْتِجُ السَّحَابَ؛ أَي تَمْرِيهِ وَتَسْتَنْدِرُهُ، وَالْحَاصِلُ الْمُنْتَجِ فِي الْبَيْتِ عَلَى صِيغَةِ الْمَفْعُولِ، بِمَعْنَى الْمَوْلُودِ، أَي الْمُنْفَرَعِ مِنْ غَيْرِهِ، وَعَنْ بَعْضِ الشُّرَاحِ [هُوَ الصَّوَابُ] أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِنْتِجَاءِ بِمَعْنَى الْمُرْتَفِعِ عَلَى النَّجْوَةِ، وَهِيَ الْمُرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ، لِأَنَّ الْغَصْنَ كَأَنَّهُ كَذَلِكَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ، وَيُقَالُ: إِنْتَجَاهُ مِنْهُ؛ بِمَعْنَى أَخَذَهُ وَاسْتَخْلَصَهُ، وَأَنْتَجَى: قَعَدَ عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا أَسْتَعِدُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِم: نَجَا الشَّجَرَةَ وَالْقَضِيبَ وَنَحْوَهُمَا، بِمَعْنَى قَطَعَ، كَأَنْتَجَى وَاسْتَنْجَى، كَمَا فِي التَّاجِ [نَجْوًا]، فَانْتَجَى هُوَ، أَي انْقَطَعَ، فَهُوَ مُنْتَجٍ أَي مُنْقَطِعٌ.

«أُمُّ أَبِيهِ أُمَّهُ»: الضمير يعود على قوله: مُنْتَجٍ، الذي أُريدَ به الغصنُ، وأبوه هو أصله من الشجرة التي هي أمُّهما، أو أبوه ساقُ الشجرة التي تتغذى من الأرض التي هي أمُّهما، والمرادُ به الزندُ الذي تُقدحُ به النارُ، وهو العودُ الأعلى، والسفلى زندةُ بفتح الزاي فيهما. (لم يتخون جسمه): أي لم يتنقص جسده، قال لبيد يصف ناقه: [ديوانه ٧٦]

تَخَوَّنَهَا نُزُولِي وَارْتِحَالِي

وقال ذو الرمة: [ديوانه ١٩]

لَا بَلَّ هُوَ الشَّقُوقُ مِنْ دَارِ تَخَوَّنَهَا مَرَّأَسَحَابٌ وَمَرَّأَبَارِحُ تَرِبُ
مَرَّأ: جمع مرّة؛ أي تارةً، والسحاب: الغمام، ويُروى بدله «شمال»، وهي بوزنه: الرِّيحُ الْمُقَابِلَةُ لِلْجَنُوبِ، وَالْبَارِحُ التَّرِبُ: الرِّيحُ الَّتِي تَهْبُ بِشِدَّةٍ، فَتَحْمِلُ التُّرَابَ وَتَسُوْقُهُ.
وَتَخَوَّنَ حَقِي: تَنَقَّصَهُ، كَأَنَّهُ خَانَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَتَخَوَّنَ السَّفَرُ النَّاقَةَ: تَنَقَّصَ لِحْمَهَا وَشَحْمَهَا وَأَوْرَثَهَا الْمُرَالَ، وَكُلُّ مَا غَيْرَكَ إِلَى نَقْصٍ فَقَدْ تَخَوَّنَكَ، وَأَمَّا التَّخَوَّنَ بِمَعْنَى التَّعَهُدِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّحْرُجِ وَالتَّحْنُثِ وَالتَّائِمِ بِمَعْنَى تَجَنُّبِ الْخِيَانَةِ وَالْحَرَجِ وَالْحِنْثِ وَالْإِثْمِ، وَكَذَا التَّدْمِيمِ، وَالْجِسْمِ وَالْجَسَدِ: جَرَمَ الشَّخْصَ وَجَمَعَ الْبَدَنَ بِأَعْضَائِهِ وَجَوَارِحِهِ.

«مَسَّ الضَّوَى»: أي إصابته الهزال والدمامة والقماءة، يقال: ضَوِيَ يَضْوَى، من الباب

الرابع، كعَلِمَ، قال الشاعر: [ديوان ذي الرمة ١٤٣١]

أخوها أبوها والضَّوَى لا يَضِيرُهَا وساقُ أبيها أمُّها عَقَرَتْ عَقْرًا
قال في التاج: يصف زَنَدًا وزَنَدَةً لأنهما من شجرة واحدة، ولآخر:

فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيْبَةٍ فَيَضْوَى كَمَا يَضْوَى رَدِيدُ الْقَرَائِبِ
فَيَضْوَى: أي يَدُقُّ عَظْمَهُ وَيَصْغُرُ جَسْمَهُ، وَيُخَلِّقُ نَحِيْفًا، وَفِي الْأَسَاسِ: الْغَرَائِبُ
أَنْجَبُ وَالْقَرَائِبُ أَضْوَى، وَيُرْوَى: «رَدِيدُ الْغَرَائِبِ»، وَهُوَ الَّذِي تَرَدَّدُ النُّطْفَةُ الَّتِي خُلِقَ
مِنْهَا بَيْنَ الْغَرَائِبِ، وَفِي اللِّسَانِ: أَضْوَى الرَّجُلُ: وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ضَاوِيٌّ، وَكَذَا الْمَرْأَةُ، وَفِي
الْحَدِيثِ: «اغْتَرَبُوا وَلَا تُضْوُوا»؛ أَي تَزَوَّجُوا فِي الْبَعِيدَاتِ النَّسَبِ لِثَلَا تَضْوَى أَوْلَادَكُمْ،
فَإِنَّ وَلَدَ الْغَرِيْبَةِ أَنْجَبٌ وَأَقْوَى، وَوَلَدُ الْقَرِيْبَةِ أَضْعَفُ وَأَضْوَى، وَالْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَ
الرَّجُلِ مِنْ قَرَابَتِهِ يَجِيءُ ضَعِيْفًا نَحِيْفًا صَغِيْرَ الْجَسْمِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ كَرِيْمًا عَلَى طَبْعِ قَوْمِهِ، قَالَ
الْراجز: [الأغاني ٨٦/٢٢]

ذَاكَ عَيْبٌ قَدْ أَصَابَ مِيًّا
يَا لَيْتَهُ أَلْقَاهَا صَافِيًّا
فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ ضَاوِيًّا

وقال آخر:

تَخَيَّرْتُمَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيْبَةٌ فَجَاءَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ خِرْقَاءً...
المعنى: ومولود متفرع من غيره، أمُّ أبيه هي أمُّه، ومع ذلك لم يطرأ على جسمه الهزال
كما يكون في الولد الذي يكون [من] ذوي المحارم، لأن الذي يُولَدُ بين الأقارب يكون
صغير الجسم خَلْقَةً فِي الْغَالِبِ.

١٩٨- أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَاثْنَتُ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُسْتَوَى

«أَفْرَشْتُهُ»: أي أَفْرَشْتُ ذلك الغُصن، بمعنى جعلتُ فراشه بُنْتَ أخيه، أي قطعة عودٍ من غصنٍ متفرِّعٍ من أصلٍ ذلك المتنجح، فهما أخوان لا تُحَادِ أَصْلُهُمَا وَمَنْشَهُمَا، وَأَفْرَشَ فُلَانًا بَسَاطًا وَثِيرًا؛ أي فَرَشَ له فِرَاشًا وطيبًا، وَأَفْرَشَهُ امرأَةً؛ أي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا فَاْفْرَشَهَا أي تَزَوَّجَهَا، وَفُلَانٌ كَرِيمٌ الْمَفَارِشِ؛ أي الزَّوْجَاتِ.

«فَانْتَنَّتْ»: أي فَاْنَعَطَفْتُ وَاْنَصْرَفْتُ وَرَجَعْتُ وَارْتَدَّتْ، يُقَالُ: ثَنَى الْعُودَ وَالْغُصْنَ وَالْحَبْلَ وَالشُّوبَ؛ بِمَعْنَى هَصَرَهُ وَكَوَاهُ وَطَوَاهُ، وَثَنَى فُلَانًا عَلَى وَجْهِهِ: رَدَّهُ وَأَرْجَعَهُ إِلَى حَيْثُ جَاءَ، وَثَنَى عِنَانَ فَرَسِهِ، وَكَلَى عِدَارَهُ، وَجَاءَ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ، وَفُلَانٌ ثَنَى بِهِ الْخِنَاصِرَ، أَي يُبَدِّأُ بِهِ، وَثَنَى رِجْلَهُ وَجَلَسَ، وَتَثَنَى الْأَمْرُ فِي صَدْرِي عَلَى تَفَعَّلَ؛ أَي تَرَدَّدَ وَانْتَشَى أَي انْحَنَى، وَانْتَشَى أَي انْطَوَى، وَانْتَشَى أَي التَوَى، وَثَنَى صَدْرَهُ عَلَى كَذَا؛ أَي أَسْرَهُ فِي نَفْسِهِ وَأَخْفَاهُ وَأَضْمَرَهُ فِي قَلْبِهِ.

«عَنْ وَلَدٍ»: أَي مَوْلُودٍ، وَالْمَرَادُ بِهِ الشَّرُّ الَّذِي يَتَطَايَرُ مِنْ بَيْنِ الزَّنْدِ وَالزَّنْدَةِ حِينَ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ فَيَقْدَحُ النَّارَ مِنْهَا.

«يُورَى بِهِ»: أَي يُسْتَخْرَجُ شَرُّ النَّارِ بِهِ، يُقَالُ: أَوْرَيْتَ الزَّنْدَ فَأُورَى، لِأَزْمٍ مُتَعَدِّ، أَي اسْتَخْرَجْتُ نَارَهُ بِقَدْحِهِ فَخَرَجَتْ، وَكَذَا وَرَى مِنَ الْبَابِ الثَّانِي كَضْرَبَ وَرَمَى وَوَرَى يَرِي مِنَ الْبَابِ السَّادِسِ كَحَسِبَ، وَوَرِي يُورَى كَوَجَلِ يُوْجَلُ، مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَطْفِ حَدِيثَ الشُّوءِ بِالصَّمْتِ إِنَّهُ مَتَى تُورِ نَارًا بِالْعِتَابِ تَأْجَجَا
وَأُورَى النَّارَ أَوْ قَدَّهَا وَأَضْرَمَهَا فَوَرَّتْ تَرِي، وَوَرِيَتْ تَرِي وَوَرِيَتْ تُورَى أَي اشْتَعَلَتْ وَالتَّهَبَتْ، وَيُقَالُ: رِيَّةُ النَّارِ وَرِيئُهَا بِالتَّخْفِيفِ، أَي مَا تُورَى بِهِ مِنْ خِرْقَةٍ أَوْ قُطْنَةٍ أَوْ بَعْرَةٍ أَوْ حَشِيشَةٍ أَوْ قِشْرَةٍ أَوْ قِطْعَةٍ مِنْ عُودٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ حَطْبٍ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَجَدْنَا زَنْدًا جَدَّهُمْ وَرِيًّا وَزَنْدُ بَنِي هَوَازِنَ غَيْرُ وَاْرِي
يُقَالُ: زَنْدٌ وَرِيٌّ وَوَارٍ؛ أَي تَظْهَرُ نَارُهُ سَرِيعًا، وَفُلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَوَارِي الزَّنَادِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَرَتَ بِعَمْرٍو بِنِ عَلِيٍّ نَارِي سَاعَةَ تَبْدُو أَسْوُوقَ الْعَذَارِي

وقال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ١٩٠]

أَقْبَا الْكُشُوحَ أَبْيَضَانَ كِلَاهُمَا كَعَالِيَةِ الْحَطَّيِّ وَارِي الْأَزَانِدِ

الْأَقْبُ: الضامر، والكُشُوح: الحواصر، وهي الحُصُورُ، والأزَانِد: جمع أَرْنَد، وهذه جمع زَنْد، وهو العودُ الذي يُقَدِّحُ به النَّارُ، وهو الأعلى، والسُّفلى: زَنْدَة، وإذا نُتِيَا قِيلَ: زُنْدَانٌ تَغْلِيبًا لِلْمَذْكَرِ، وتقول لمن أَنْجَدَكَ وَأَعَانَكَ ونصرك وساعدك: وَرَتَ بِكَ زِنَادِي.

«وَيُسْتَوَى»: أَي يُشَوَى به، يقال: اشْتَوَى اللَّحْمَ وَشَوَاهُ فَاشْتَوَى وَأَنْشَوَى، قال الشاعر:

قَدِ انْشَوَى شِوَاؤُنَا الْمُرْعَبْلُ فَاقْتَرَبُوا إِلَى الْعَدَاءِ فَكُلُّوا

رَعْبَلِ اللَّحْمِ: قَطَعَهُ لِتَصِلَ إِلَيْهِ النَّارُ فَتُنْضِجَهُ، قال الشاعر:

تَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُرْعَبَلَهُ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

المعنى: جمعتُ بين ذلك العُصْنِ وبين عُصْنٍ آخَرَ، فنشأ من بينها ما تُقَدِّحُ به النَّارُ

ويُشَوَى به اللَّحْمُ. قال بعضُ الشُّرَاحِ [هو الصَّوَي]: أَخَذَ النَّاضِمُ هَذَا مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ:

أَخُوها أَبُوها وَالضَّوَى لَا يَضِيرُها وَساقُ أَبِيها أُمُّها عَقَرَتْ عَقْرًا

١٩٩ - وَمَرْقَبٍ مُخْلَوْلِقٍ أَرْجَاؤُهُ مُسْتَصَعِبِ الْمَسَلِكِ وَعَرِ الْمُرْتَقَى

«وَمَرْقَبٍ»: الْمَرْقَبُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْعَالِي الْمَشْرِفُ عَلَى مَا يَلِيهِ مِنَ الْأَرْضِ يَقِفُ عَلَيْهِ

الرَّقِيبُ لِيَطَّلِعَ عَلَى مَا حَوْلَهُ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ نَحْوِهِ، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ وَاسْمُ زَمَانٍ مِنْ رَقَبَهُ مِنْ

الْبَابِ الْأَوَّلِ، كَنَصَرَ؛ أَي انْتظرَهُ وَأَيْضاً حَرَسَهُ وَحَافَظَ عَلَيْهِ، وَرَقِيبُ الْجَيْشِ: طَلِيعَتُهُمْ

الَّذِي يَتَقَدَّمُ أَمَامَهُمْ لِيَطَّلِعَ عَلَى مَا يَكُونُ هُنَاكَ فَيُخَبِّرُهُمْ، لِئَلَّا يَفْجَأَهُمُ الْعَدُوُّ وَيَدْهَمَهُمْ،

فَيَغْشَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ غَارُونَ أَيِ غَافِلُونَ، وَهُوَ الرَّبِيبَةُ وَالْعَيْنُ، وَمَحَلُّهُ الَّذِي يَغْلُوهُ مَرْقَبٌ

وَمَرْقَبَةٌ، وَهُوَ مَا يُصْعَدُ عَلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَوْ رَابِيَةٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ حِصْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ

الشاعر: [ديوان امرئ القيس ٧٤]

ومَرْقَبَةٍ كَالرُّجِّ أَشْرَفَتْ رَأْسَهَا أَقْلَبُ طَرْفِي فِي فِضَاءٍ عَرِيضٍ
والواو فيها واو رُبِّ، أي ورُبَّ مَرْقَبٍ.

«مُخْلَوْلِقٍ أَرْجَاؤُهُ»: الأرجاء: النواحي والجهات والجوانب والأقطار، والمخلولق
يكون بمعنى الناعم الشديد الملوسة، والمخلولق السحاب: ارتفعت جوانبه وانسدت
خروقه، وقيل: صار خليقاً، أي جديراً بأن يمطر، وقيل: اجتمع وتهاياً للمطر، والمخلولق
الرسم: استوى مع الأرض، قال المرقش: [ديوانه ٦٢]

ماذا وقوفي على رُبْعِ عَفَا مُخْلَوْلِقِي دَارِسٍ مُسْتَعْجِمٍ
وقال آخر:

هاج الهوى رسمٌ بذاتِ الغضى - مُخْلَوْلِقٌ مُسْتَعْجِمٌ مُحْوَلٍ
والمخلولق ظهر الفرس: صار أملس ناعماً، والمخلولق السحاب أن يمطر؛ أي قارب،
والمخلولق الثوب: زادت خلوقته، أي بلاه من كثرة استعماله، وحجرٌ أخلق وصخرة
خلقاء، أي لا وصم فيها ولا كسر ولا صدع، قال الأعشى: [ديوانه ١٠١]

قد يترُّك الدهرُ في خلقاءِ راسيةٍ وهياً وينزلُ منها الأعصمَ الصِّدَعَا
وجبل أخلق: أي مُصمَّت، وقيل: الخلق في الصخر ونحوه هو الملوسة والنعومة.
«مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلَكِ»: أي صعبٍ يعسر السلوك فيه، ويشقُّ الصُّعودُ عليه،
واستصعب الشيء: عسر، واستصعبته: وجدته كذلك، فهو يتعدى ويلزم، والمسلك:
مكان السلوك وزمانه، من سلك يسلك إذا سار ومشى ونقل أقدامه.

«وَعَرِ الْمُرْتَقَى»: أي موضع الارتقاء فيه صعب، لما فيه من حجارة وانخفاضٍ
وارتفاعٍ ونحو ذلك، يقال: ارتقى إذا علا وصعد طلوعاً في جبلٍ ونحوه، والوعر: ضدُّ
السَّهْلِ معنى لا وزناً، ويقال: ارتقى فلان مرتقى صعباً، أي أخذ في عمل يشقُّ على
النفْسِ وَيَصْعَبُ.

المعنى: وربّ مكانٍ عالٍ يجلس فيه الرُّقَبَاءُ، وما حَوْلَهُ صخورٌ ملساءٌ وأحجارٌ ناعمةٌ يصعبُ سلوكُها لوعورةِ مَطْلَعِهَا، وجوابُ ربِّ المقدرة بعد الواو في قوله: ومَرْقَبٍ سيأتي بعد البيت الذي يلي هذا.

٢٠٠- وَالشَّخْصُ فِي الْأَلِ يَرَى لِنَاظِرٍ تَرْمُقُهُ حِينًا وَحِينًا لَا يَرَى

«وَالشَّخْصُ»: الشَّخْصُ: كُلُّ جِسْمٍ مُؤَلَّفٍ لَهُ ظُهُورٌ وَارْتِفَاعٌ، وَيُطْلَقُ الشَّخْصُ أَيْضًا عَلَى مَا يَتَرَاءَى وَيُظْهِرُ مِنْ بُعْدٍ، وَهُوَ الشَّبَحُ، وَالْجَمْعُ أَشْخَاصٌ وَأَشْبَاحٌ.

«فِي الْأَلِ»: أَي فِي السَّرَابِ، وَقِيلَ: الْأَلُّ خَاصٌّ بِمَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ كَالْمَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يَرْفَعُ الشُّخُوصَ وَيَزْهَاهَا، وَالسَّرَابُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ الْأَخِيرِ لاطئًا أَي لاصقًا بِالْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ جَارٍ فِيهَا، قَالَ قُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ: قَطَعْتُ مَهْمَهَا وَآلًا فَآلًا، وَقَالَ الْأَعَشِيُّ:

إِذْ يَرْفَعُ الْأَلَّ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتِفَاعًا

«يَرَى»: أَي يُنْظَرُ وَيُبْصَرُ، «لِنَاظِرٍ»: أَي لِمَنْ يَنْظُرُ وَيُبْصِرُ، «تَرْمُقُهُ»: أَي تَلْحَظُهُ وَتَرَاهُ، «حِينًا»: أَي زَمَانًا وَأَنَاءً وَوَقْتًا، «وَحِينًا لَا يَرَى» أَي وَأَنَاءً لَا يُدْرِكُ بِالْبَصْرِ، وَلَا يُحَسُّ بِالْعَيْنِ، وَلَا يُلْحَظُ بِالطَّرْفِ.

المعنى: والشَّبَحُ فِي السَّرَابِ يَظْهَرُ وَيَتَرَاءَى حَتَّى يَرَاهُ النَّاطِرُ إِلَيْهِ، وَتَارَةً يَخْتَفِي فَلَا يَظْهَرُ.

٢٠١- أَوْفَيْتُ وَالشَّمْسُ تَمُجُّ رِيْقَهَا وَالظِّلُّ مِنْ تَحْتِ الْحِدَاءِ مُحْتَدَى

«أَوْفَيْتُ»: أَوْفَى بِالْعَهْدِ قَامَ بِهِ، وَأَوْفَى الْكَيْلَ: أَمَّتَهُ، وَأَوْفَانِي حَقِّي: أَعْطَاهُ لِي كَامِلًا، وَأَوْفَى بِالنَّذْرِ: أَدَّاهُ، وَأَوْفَى عَلَى الْمَكَانِ: أَشْرَفَ عَلَيْهِ، وَأَوْفَى الْمَكَانَ: أَتَاهُ، قَالَ أَبُو ذُوؤَيْبٍ:

أُنَادِي إِذَا أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مَرْبَأً لَأَنِّي سَمِيعٌ - لَوْ أَجَابَ - بَصِيرٌ
أَي: كَلَّمَا أَتَيْتُ مَكَانًا عَالِيًا نَادَيْتُ يَا دَارُ أَيْنَ أَهْلُكَ، وَلَوْ أَجَابَنِي الْجَمَادُ لَسَمِعْتُ لَأَنِّي
ذُو سَمْعٍ وَبَصِيرٍ، يُقَالُ: أَوْفَى فُلَانٌ عَلَى كَذَا؛ أَي أَشْرَفَ، وَمِنْهُ أَوْفَى فُلَانٌ عَلَى الْمِائَةِ؛ أَي زَادَ

عليها، وقوله: أوفيتُ جوابُ ربِّ المقدِّرةِ بعدَ الواوِ في قوله قبلَ البيتِ السابقِ: وَمَرْقَبٍ
مُحْلُولِقٍ أَرْجَاؤُهُ.

«والشَّمْسُ»: أي الكوكبُ النهاريُّ المعروف الذي به يصير النهارُ نهاراً، أو هي إحدى

السِّيَّاراتِ السبعِ، وقول الأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ: [شرح الحماسة ١٤٩]

إِنْ لَمْ أَشَنَّ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً لَمْ تُحَلِّ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ
خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِ شُزْبًا تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكَرْيَةِ شُوسِ
حَمِيِ الْوَطِيسِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَصَّانُ بَرِقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ
جمعها باعتبار أن كلَّ ناحية منها شمسٌ، كما قالوا: الطَّيْبُ فِي مَفَارِقِ رَأْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ
مَفْرُقٌ وَاحِدٌ، وَشَنَّ الْغَارَةَ: تَفْرِيقُهَا، وَابْنُ هِنْدٍ هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَالسَّعَالِي:
سَوَاحِرُ الْجَنِّ، وَقِيلَ: الْغَيْلَانُ الَّتِي تَذَكَّرُهَا الْعَرَبُ فِي أَشْعَارِهَا، وَالشُّزْبُ: الضَّامِرَةُ،
و«تَعْدُو بِيضٍ» أَي تَسِيرُ مَسْرَعَةً بِرِجَالٍ بِيضٍ أَي كِرَامٍ، وَالْكَرْيَةُ: الشَّدَّةُ وَكُلُّ أَمْرٍ
مَكْرُوهٍ، وَالشُّوسُ: الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ أَعْيُنُهُمْ لَفَرَطٍ تَكْبِيرُهُمْ وَتَعَاظِمُهُمْ.

«تَمْجَجُ رِيْقَهَا» أَي تَقْدِفُ بِهِ وَتَنْبُدُهُ وَتَرْمِيهِ وَتَطْرَحُهُ وَتُلْقِيهِ، يُقَالُ: مَجَّ الرَّجُلُ الْمَاءَ مِنْ
فِيهِ إِذَا رَمَى بِهِ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ مَاجٌّ، وَمِنْهُ رَجُلٌ مَاجٌّ؛ أَي يَسِيلُ لِعَابُهُ لِاسْتِرْخَاءِ شَفْتَيْهِ مِنْ
ضَعْفِ الْهَرَمِ، فَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِ رِيْقِهِ فِي فَمِهِ، وَمِنْهُ النَّحْلُ مَجَّجُ الْعَسَلِ، وَمَجَّجَ
السَّحَابِ الْمَطْرُ وَمَجَّجَ الْعِنَبِ شَرَابَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَلَامٌ تَابَاهُ الطَّبَاغُ وَتَمَجَّجَهُ الْأَسْبَاغُ. قَالَ
النابغة الذبياني: [ديوانه ١٤٢]

يُشْرِنُ الْحَصَى حَتَّى يُبَاشِرْنَ بَرْدَهُ إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيْقَهَا بِالْكَلاكِيلِ
أَي: يَقْلِبْنَ صِغَارَ الْأَحْجَارِ بِالْكَلاكِيلِ أَي بِالصُّدُورِ، حَتَّى يُبَاشِرْنَ مِنْهُ الْجِهَةَ الَّتِي لَمْ
يَمَسَّهَا حَرُّ الشَّمْسِ، فَهُوَ رَطْبٌ يَتَلَذَّذْنَ بِرَطُوبَتِهِ عِنْدَمَا تَمَجُّ الشَّمْسُ رِيْقَهَا أَي لِعَابَهَا، وَهُوَ
مَا يَحْصُلُ مِنَ الشَّمْسِ عِنْدَ اشْتِدَادِ حَرِّهَا، كَأَنَّهُ شَيْءٌ يَسِيلُ مِنْهَا، وَهُوَ مَا يَتَرَاءَى فِي الْجَوِّ

كَأَنَّهُ خِيوطٌ تَتَدَلَّى مِنْهَا فِي الْفِضَاءِ، قَالَ الزَّمخَشَرِيُّ: وَسَال لُعَابُ الشَّمْسِ؛ وَهُوَ الَّذِي تَرَاهُ
يَنْحَدِرُ مِنَ السَّمَاءِ فِي الْقَيْظِ كَنَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ، وَفِي التَّاجِ: وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: مُحَاظٌ
الشَّيْطَانِ، وَهُوَ السَّهَامُ بِالْفَتْحِ، وَرَيْقُ الشَّمْسِ وَهُوَ كَالْحَيْطِ تَرَاهُ فِي الْجَوِّ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ،
وَرَكَدَ الْهَوَاءُ، أَي سَكَنَ، قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ: [ديوانه ٢٠٣]

وَأَرْضٍ تَعْرِفُ الْجِنَانَ فِيهَا فَيَأْفِيهَا يَطِيرُ بِهَا السَّهَامُ

وقال جرير: [ديوانه ٥٥٤]

أَنْخَنَ لِتَهْجِيرٍ وَقَدْ وَقَدَ الْحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الْجَمَاهِمِ

ولذي الرُّمَّة: [ديوانه ٩٩٢]

فِي صَحْنِ يَهْمَاءٍ يَهْتَفُ السَّرَابُ بِهَا فِي قَرْقَرٍ بُلْعَابِ الشَّمْسِ مَضْرُوجِ
الْيَهْمَاءِ: الْفَلَاةُ لَا يَهْتَدِي بِهَا، وَصَحْنُهَا وَسَطُهَا، وَالْقَرْقَرُ الْقَاعُ الْأَمْلَسُ، وَالْأَرْضُ
الْوَاسِعَةُ الْمَسْتَوِيَّةُ، وَالْمَضْرُوجُ الْمَلَطُّخُ كَالْمَضْرَجِ.

«وَالظِّلُّ»: مَا لَمْ تُصَبِّهُ الشَّمْسُ، وَالْفَيْءُ مَا زَالَتْ عَنْهُ، وَقِيلَ: هُمَا وَاحِدٌ. «مِنْ تَحْتِ
الْحِذَاءِ»: أَي مِنْ أَسْفَلِ النَّعْلِ. «مُحْتَدِي»: أَي مُتَّعِلٌ، وَمِنْهُ:

كُلَّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْحَافِي الْوَقِعَ

المعنى: أَشْرَقَتْ وَطَلَعَتْ وَعَلَوَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَرْقَبِ، وَالشَّمْسُ لَهَا وَهْجٌ شَدِيدٌ وَحَرَارَةٌ
زَائِدَةٌ، وَلَا ظِلَّ إِلَّا تَحْتَ الْقَدَمِ، وَذَلِكَ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عِنْدَ الْإِسْتِوَاءِ؛ حِينَ تَكُونُ الشَّمْسُ
فِي وَسْطِ السَّمَاءِ.

٢٠٢- وَطَارِقٍ يُؤْنِسُهُ الذُّبُّ إِذَا تَصَوَّرَ الذُّبُّ عِشَاءً وَأَنْصَوَى

وفي نسخة «وعوى» بدل وأنصوى.

«وَطَارِقٍ»: هُوَ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ طَرَقَ، مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ كَنْصَرَ، يُقَالُ: طَرَقَ الْبَابَ: دَقَّهُ
وَقَرَعَهُ، وَطَرَقَ الْحَدِيدَةَ: ضَرَبَهَا لِتَمْتَدَّ، وَطَرَقَ الْقُطْنَ وَنَحْوَهُ: نَدَفَهُ، وَطَرَقَ الْمَكَانَ: سَلَكَهُ،

ومنه الطريق، وطرق النجم: طلع، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ [الطارق: ٨٦ / ١]، وقيل: هو نجم مخصوص يقال له كوكب الصبح، وطرق أهله: أي أتاهم ووافاهم ليلاً، وكل أت بالليل فهو طارق، وفي الحديث نهي للمسافر عن ذلك لئلا ينزعج أهله من ذلك لاسيما إذا كانوا نائمين، إذ يزداد اندهاشهم، وربما ظنوا أن الذي جاء به ليلاً خطب كبير، وزوجته تكون شعبة غالباً.

«يونسه»: أي يطامن من قلبه ويسكنه لئلا ينفر ولا يستوحش، يقال: أنسه بالمد على أفعل كأنسه بالتشديد، وللأعش:

لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه بالليل إلا نئيم البوم والضوعا
أي يورثه أنساً ويعقبه سكوناً واطمئناناً وراحة قلب، يقال: أنست به وألفته وأحببته
وسكن قلبي إليه.

«الذئب»: وحش معروف، وهو كلب البر الذي كثيراً ما يفترس الغنم، والجمع ذئاب، وقال بعضهم: الناس ذئاب في ثياب، ويقال: هو ذئب في ثلثة، والثلثة بالفتح: الماشية من غنم وضأن، والثلثة بالضم: الجماعة من الناس.

«إذا تضور»: أي تلوى وتقلب وصاح وصوت من شدة وجع الجوع، يقال: تلغع، أي: صاح وتأوه من شدة الجوع، وتحزن وتلهف، وفي الأساس: ضربه فتضور: صاح وتلوى، وهم يتضورون من الجوع، وحقيقة التضور تفعل من الضور، وهو مصدر ضاره الشيء يضوره كضاره يضيره، أي ضره وأضعفه وعناه وأعبه وآذاه وشق عليه.

«الذئب»: كلب البر، وقد تقدم قريباً. «عشاء»: العشاء بالكسر: أول ظلام الليل، وقيل: من المغرب إلى العتمة، وقيل: من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، قال الشاعر:

غدونا غدوة سحراً بليلاً عشاءً بعدما انتصف النهار
«وانضوى»: أي أوى ولجأ وانضم، وفي نسخة وعوى، أي صاح وصوت ونبح،

وَأَنْصَوَى مَطَاوِعُ ضَوَاهِ، أَي ضَمَّهُ وَأَوَاهُ، وَيُقَالُ: ضَوَى بِمَعْنَى أَنْصَوَى، فَضَوَى تَتَعَدَّى وَتَلْزَمُ، وَيُقَالُ أَيْضاً: ضَوَاهُ، وَمِنْهُ أَضْوَاهُ اللَّيْلِ إِلَيْنَا فَغَبَقْنَا، أَي أَلْجَأَهُ إِلَيْنَا فَسَقَيْنَاهُ الْعَبُوقَ.
 المعنى: وَرُبَّ رَجُلٍ قَدْ أَتَى لَيْلًا، وَهُوَ مِنْ شِدَّةِ الْوَحْشَةِ الَّتِي اعْتَرَتْهُ فِي الْمَفَاوِزِ صَارَ يَسْتَأْنَسُ بِصَوْتِ الذَّبِّ إِذَا سَمِعَهُ يَصِيحُ مِنْ شِدَّةِ وَجَعِ الْجُوعِ وَأَلَمِهِ، وَيُنْبَحُ نُبْحًا تَأْوُهُ وَتَأَلَّمُ مِمَّا بِهِ، وَيَأْوِي إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ.

٢٠٣- أَوَى إِلَى نَارِي وَهِيَ مَأْلَفٌ يَدْعُو الْعُقَاةَ ضَوْوُهَا إِلَى الْقَرَى

«أَوَى»: أَي لَجَأً وَأَنْضَمَّ، يُقَالُ: أَوَى إِلَيْهِ يَاوِي، أَي انْحَازَ إِلَى نَاحِيَتِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿سَاوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣/١١]، أَي سَأَلْتُجِيءُ إِلَىٰ جَبَلٍ يَحْفَظُنِي وَيَقِينُنِي مِنْ مَاءِ الطُّوفَانِ، وَأَوَاهُ: ضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَمِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ: وَجَدَنِي يَتِيمًا فَأَوَىٰ وَشَهَّرَنِي وَقَدْ كُنْتُ أَخْلَلُ مِنْ ابْنِ أَوَى، وَفِي حَدِيثِ بَيْعَةِ الْأَنْصَارِ «عَلَىٰ أَنْ تُؤْوُونِي»، أَي تَكُونُوا لِي مَأْوَى، أَي مَنْزِلًا أَوِي إِلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِلْأَنْصَارِيِّ: بِالْإِيوَاءِ وَالنَّصْرِ إِلَّا جَلَسْتُمْ، أَي أَنْشُدْكَ بِنِيهَا أَنْ تَجْلِسَ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦/٩٣]، وَمِنْهُ: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٥/٥٣]، أَي الَّتِي يَاوِي إِلَيْهَا أَهْلُهَا، وَيُقَالُ: أَوَىٰ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ بِقَصْرِ الْأَلْفِ، أَي عَادَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: أَوَىٰ الْمَقْصُورَةُ تَتَعَدَّى أَيْضًا كَأَوَى.

«إِلَى نَارِي»: إِلَى الْمَكَانِ الْقَرِيبِ مِنْهَا لِيَصْطَلِيَ وَيَسْتَدْفِيَ بِهَا، وَالنَّارُ تُطْلَقُ عَلَى اللَّهَبِ وَعَلَى الْحَرَارَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْهَا.

«وَهِيَ مَأْلَفٌ»: أَي دَاعِيَةٌ لِلْأَلْفَةِ وَالْأُنْسِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَالْمَأْلَفُ: اسْمُ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مِنْ أَلْفَةٍ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمَ، إِذَا أَحَبَّهُ وَأَنْسَ بِهِ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَسَكَنَ إِلَيْهِ.
 «يَدْعُو الْعُقَاةَ»: أَي يُنَادِي طُلَّابَ الْمَعْرُوفِ، يُقَالُ: دَعَاهُ، أَي نَادَاهُ وَطَلَّبَ إِقْبَالَهِ عَلَيْهِ، تَقُولُ: الْأَنْبِيَاءُ هُمْ دُعَاةُ الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ، أَي إِلَى الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَعَاهُ إِلَى

الوليمة، أي: طلبه ليحضرها، ودعاه إلى المبارزة: طلب أن يبرز له، وما دعاك إلى أن فعلت
كذا، أي: ما حملك وندبك واضطرك وأجلك، وفي التنزيل العزيز: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾
[النحل: ١٦/١٢٥]؛ أي اطلب إقبال الناس على عبادة الله عز وجل.

«العفاة»: طلابُ المعروفِ والفضلِ، قال الأعمش: [ديوانه ٢١]

يَطُوفُ الْعَفَاةُ بِأَبْوَابِهِ طَوَافَ النَّصَارَى بَيْنَ الْوَتْنِ
«ضَوْوُهَا»: أي نورها وشعاعها. «إِلَى الْقَرَى»: أي إلى الضيافة، قال الزمخشري:

أَلَا أَفْقَرَ اللَّهُ عَبْدًا أَبَتْ عَلَيْهِ الدَّاءُ أَنْ يُفْقِرَا
وَمَنْ لَا يُعِيرُ قَرًا مَرْكَبٍ فَقُلْ كَيْفَ يَعْقِرُهُ لِلْقَرَى
أي أفقر الله عبداً منعه داءه من إعارته دابته للركوب، ومن لا يفعل ذلك فكيف
ينحرفها للضيافة.

المعنى: أتى إلى موضع النار التي أوقدتها، وهي تدعو إلى الألفة والأنس والسرور
والاجتماع، وضوؤها يدعو طلاب الفضل والمعروف إلى الضيافة.

٢٠٤ - اللَّهُ مَا طَيْفٌ خَيَالٍ زَائِرٍ تَرْفُهُ لِلْقَلْبِ أَحْلَامُ الرَّؤَى

«لله ما طيف خيال»: ما: زائدة. والمعنى هذا الطيف هو لله خالص، وهذا فيه معنى
المدح والتعجب من قبيل قولهم: لله دَرُه.

والطَّيْفُ: مصدرُ طَافَ يَطِيفُ، وهي بمعنى طَافَ يَطُوفُ، والمرادُ بِالطَّيْفِ الطَّائِفُ
تعبيراً بالمصدر عن اسم الفاعل، وهو شائعٌ كثيرٌ، وقيل: الطَّيْفُ من طَافَ يَطُوفُ كالميتِ
من مات يموت على أن أصله طَيْفٌ كميّت.

والخيال: كلُّ شيءٍ تراه كالظِّلِّ، وخیال الإنسان في الماء والمرأة: صورته وتمثاله، وربَّما
مرَّ بك الشيءُ يُشبهُ الظِّلَّ فهذا أيضاً خيالٌ، وعن الراغب: أن أصله القُوَّةُ المجرَّدةُ كالصورةِ
المتصوِّرةِ في المنام وفي المرأة وفي القلب، ثم استعمل في صورة كلِّ ما يتصوَّر، وخیالٌ

الإِنسان قُوَّةٌ تُحْفَظُ ما يُدرِكه الحِشُّ المُشْتَرِكُ من صُورِ المحسوساتِ بَعْدَ غَيْبِوتِها، ومحلُّه تجويفُ الدِماغِ الأوَّلِ.

«زائرٌ»: اسمُ فاعلٍ من زارَه يَزورُه زيارةً إذا قَصَدَه وألَمَّ به، وفي المِصباحِ: «الزيارةُ في العُرفِ: قِصْدُ المَزورِ إِكراماً لهُ واستِئناساً به»، وزارَ المَدِينَةَ والمَقامَ الأشرَفَ، وقد يُستعمل «زار» بمعنى وَرَدَ وَقَدِمَ ووَفَدَ.

«تَرَفُّهُ للقلبِ»: أَي تَهْدِيهِ للْفؤادِ، والأَصْلُ من زَفَّ العروسَ إِلى بَعْلِها إِذا أَهداها إِليه. و«القلبُ»: الفؤادُ، وقيلَ بينهما فرقٌ يَعرفُهُ النُّحَريُّ.

«أَحلامُ الرُّؤى»: الأَحلامُ: جَمعُ حُلْمٍ بالضمِّ وهى الرُّؤيا، وقيلَ: الرُّؤيا مَخصوصَةٌ بالخيرِ، والحُلْمُ بالشرِّ، والرُّؤى: جَمعُ رُؤيا، وهى ما يَراه الإِنسانُ في مَنامه، وفي التَّنزيلِ العزِيزِ: ﴿أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَأْتَحُنُ بَتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٢/٤٤]، أَي هى المَرائى التى لا يَصحُّ تأوِيلُها ولا يَستقيمُ تَعبيرُها لاختِلاطِها وعدمِ تَميِّزِ مَحارجِها، والمفردُ ضِغْثٌ، وهى الحُزْمَةُ من الحَشيشِ المِختلِطَةِ الرِّطْبِ باليابسِ، وكذا القَبْضَةُ منه.

المعنى: ما أَبَدَعَ وأَحسنَ زائراً أَلَمَّ بي وزارني في النُّومِ، وإِنما كانت تَهْدِيهِ للقلبِ خيالاتُ المَنامِ ومَماثيلُ الصُّورِ التى يَراها الناسُ.

٢٠٥- يَجُوبُ أَجْوازَ الفِلا مُتَقَرِّراً هَوَلٌ دَجى اللَّيْلِ إِذا اللَّيْلُ انْبَرى
«يَجُوبُ»: أَي يَقطَعُ، يقالُ: جابَ البلادَ، أَي قَطَعها مَشياً وتجاوَزها سِيراً، ومنه جوائِبُ الأَخبارِ، قال أبو زَبيد:

فاضدٌ قوتي وقد خَبَرْتُمُ وقد ثا بَتٌ إِليكم جوائِبُ الأَبْناى
أَي الأَخْبائِ التى تَنقلُ من بلدٍ إِلى بلدٍ.

«أَجْوازُ الفِلا»: أَي أَوْساطُ الفِلاواتِ وبُطونِ السَّباسِبِ، قال غيلانُ بنُ حُرَيْثِ الرَبِعى: باتتُ تَنوِشُ الحَوْصَ نَوْشاً من عَلا نَوْشاً به تَقطَعُ أَجْوازَ الفِلا

أَيَّ ظَلَّتْ تَتَنَاوَلُ الْمَاءَ بِفَمِهَا مِنَ الْحَوْضِ تَنَاوَلًا مِنْ عُلُوٍّ - أَيَّ مِنْ أَعْلَاهُ - تَنَاوَلًا يُقَوِّمُهَا عَلَى قَطْعِ أَوْسَاطِ الْقِفَارِ وَالصَّحَارَى وَالْبِرَارِيِّ، وَمَفْرُدُ الْفَلَا: فَلَاةٌ، وَهِيَ الْقَفْرُ أَوْ الْمَفَازَةُ لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أُنَيْسَ بِهَا، أَوْ الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ، وَتُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى فَلَواتٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «أَهْلُ الْفَلَواتِ أَتْرَكَ النَّاسَ لِلصَّلواتِ».

«مُحْتَقِرًا»: أَيُّ مُزْدَرِيًّا مُسْتَصْغِرًا، يُقَالُ: احْتَقَرَهُ، أَيُّ اسْتَهَانَ بِهِ وَلَمْ يَعْأُ بِهِ وَلَا اكْتَرَتْ لَهُ. «هُوْلٌ دُجَى اللَّيْلِ»: الْهُوْلُ: الْخَوْفُ الشَّدِيدُ وَالْفَرْعُ الْعَظِيمُ، وَالْجَمْعُ أَهْوَالٌ، وَمِنْهُ «رَكِبَ أَهْوَالَ الْبَحْرِ وَأَهْوَالَ اللَّيْلِ»، أَيُّ اقْتَحَمَ الدَّخُولَ فِيهَا وَغَشِيَهُمَا غَيْرَ مُنْتَهَبٍ مِنْ مَخَافَتِهَا، وَيُطْلَقُ الْهُوْلُ عَلَى الْأَمْرِ الشَّدِيدِ يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ وَيُصِيبُهُ.

و«الدُّجَى»: الظَّلَامُ وَالْعَتَمَةُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ دُجِيَّةٍ بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ، وَاللَّيْلِ: مِنَ الْمَغْرَبِ إِلَى الْفَجْرِ، وَعِنْدَ الْمُنْجِمِينَ إِلَى الشَّمْسِ.

«إِذَا اللَّيْلُ انْبَرَى»: أَيُّ اعْتَرَضَ، يُقَالُ: انْبَرَى لِي فِي الطَّرِيقِ وَحُشٌّ، أَيُّ عَرَضَ لِي، وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: «اللَّيْلُ انْبَرَى» أَيُّ حَصَلَ وَحَدَثَ وَجَلَّلَ الْآفَاقَ بِسَوَادِ ظُلْمَتِهِ.

المَعْنَى: يَقْطَعُ أَوْسَاطَ الْبِرَارِيِّ حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَطْرَافِهَا مُسْتَهِينًا بِمَا يَحْدُثُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَ وَقُوعِهِ مِنَ الْمَخَافِ وَالْمَخَاطِرِ وَصِعَابِ الْأُمُورِ وَعِظَائِمِ الْحَوَادِثِ الْمَرْعِجَةِ.

٢٠٦ - سَائِلُهُ إِنْ أَفْصَحَ عَنْ أَنْبَاءِهِ أَنَّى تَسَدَّى اللَّيْلَ أَمْ أَنَّى اهْتَدَى

«سَائِلُهُ»: أَيُّ اطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَكَ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ: [أَشْعَارُ الْهَذْلِيِّينَ ١٤٠]

أَسْأَلْتُ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ عَنِ السَّكَنِ أَمْ عَنْ عَهْدِهِ بِالْأَوَائِلِ
السَّكْنُ: أَهْلُ الدَّارِ السَّاكِنُونَ فِيهَا. وَأَصْلُ الْمَسْأَلَةِ مُفَاعَلَةٌ مِنَ السُّؤَالِ، فَمَعْنَى
سَأَلْتَنِي: سَأَلْتَنِي وَسَأَلْتَهُ كَمَا هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي مَوَازِينِ الْمُفَاعَلَةِ كَالْتَّفَاعُلِ.

«إِنْ أَفْصَحَ» أَيُّ إِذَا أَعْرَبَ وَأَبَانَ وَأَظْهَرَ وَصَرَّحَ وَأَفَادَ الْحَقِيقَةَ وَأَفْهَمَهَا وَأَوْضَحَهَا
وَكَشَفَ الْحِجَابَ دَوَّنَهَا بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيلَةٍ لَا غِبَارَ عَلَيْهَا. «عَنْ أَنْبَاءِهِ»: أَيُّ عَنِ

أخباره وأحاديث سيرته. «أنتى»: أي كيف، ومن أين أو متى. «تسدى الليل»: يقال: تسدى الأمر، أي ركبته وعلاه، قال امرؤ القيس: [ديوانه ١٥٩]

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا فَتَوْبًا نَسَيْتُ وَتَوْبًا أَجْرُ

ويروى لبستُ بدلَ نَسَيْتُ. وقال ابن مقبل: [ديوانه ٣١٦]

مِنْ سَرَوِ جَمِيرِ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ أَنْتَى تَسَدَّيْتُ وَهَنَاءُ ذَلِكَ الْبَيْنَا
ويروى «في سَرَوِ» و«بَسَرَوِ»، وعنى بَسَرَوِ حميرَ موضعاً مخصوصاً، وهنأ: أي ليلاً،
وذلك البينا: أي ذلك الحد، وهو - أعني البين بكسر الباء - الحدُّ الفاصل بين الأرضين.
يصفُ جاريةً طرَّقه خيالها من مكان بعيد فقال لها: كيف علوتِ بعد وهن من الليل
ذلك البلد؟ ويقال: تسداه بمعنى قهره، وتسدى فلاناً: أخذه من فوق، وهو تفعل من سدأ
يسدو إذا مشى متسعةً خطأً، والليل: الوقت من المغرب إلى الفجر، وعند المنجمين إلى
الشمس.

«أم أنتى اهتدى»: أي أم كيف استدلت، أو من أين استرشدت، أو متى وصل، وأم: حرف
عطف مُعَادِلٌ لآلف الاستفهام، تقول: أزيدُ هذا أم عمرو، أي أيهما هذا، وكذا أجاز أم
ذهب، أي أيُّ الفعلين وقع منه؟ وأنتى تكون بمعنى كيف، وبمعنى متى، وبمعنى من أين.
واهتدى: مُطَاوَعٌ هُداه يهديه إذا دَلَّه وأرشدته وبين له مسلكه وأوصله إلى المطلوب.

المعنى: استخبرُ ذلك الخيال إذا كان يُمكنه أن يوضح لك أخباره كيف دخل في ظلام
الليل، وكيف استدلت عليّ حتى أتاني في فراشي وألمَّ بي في مُضْطَجعي.

٢٠٧- أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا مَا فَارِسٌ وَمَا مَوَامِيهَا الْقِفَارُ وَالْقَرَى

«أو كان يدري»: أو: حرفُ عطف. و«كان» بمعنى اتَّصَفَ بِالْكَوْنِ أَي الْوُجُودِ
والحدوثِ وتجدد الشيء، وتكون «كان» بمعنى صار، وتكون لإفادة اتصاف اسمها
بخبيرها في الزمان الماضي.

وَيَدْرِي: أَي يَعْلَمُ وَيَعْرِفُ وَتَحْصُلُ لَهُ الدَّرَايَةُ كَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَقِيلَ: بِقَيْدِ سَبْقِ الشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ، وَقِيلَ: بِقَيْدِ حَصُولِهَا بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيلَةِ، وَلِذَلِكَ لَا تُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ: [ديوان العجاج ١/ ١٢٠]

لَا هُمْ لَا أَذْرِي وَأَنْتَ الدَّارِي كُلُّ امْرِئٍ مِنْكَ عَلَى مِقْدَارٍ
فَهَذَا عَجْرَفَةٌ مِنْهُ.

«قَبْلَهَا»: أَي قَبْلَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ الَّتِي ارْتَحَلَهَا إِلَيَّ، «مَا فَارِسٌ»: أَي أَيُّ شَيْءٍ هِيَ بِلَادُ الْفَرَسِ، وَهُمْ - أَعْنِي الْفَرَسَ - جَيْلٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَلِمَةُ فَارِسٍ تُطْلَقُ عَلَيْهِمْ كَمَا تُطْلَقُ عَلَى بِلَادِهِمْ. «وَمَا مَوَامِيهَا»: أَي وَمَا مَفَازَاتُهَا وَقَدَائِدُهَا وَصَحَارِيهَا وَسَبَابِسُهَا وَقَلَوَاتُهَا وَبَرَارِيهَا، وَمِثْلُ الْمَوَامِي الْبَوَابِي، الْوَاحِدُ مَوْمَاءٌ وَبَوَابَةٌ، وَهِيَ الْفَلَاةُ وَالْمَفَازَةُ بِلَا مَاءٍ وَلَا أَنْيَسَ.

«الْقَفَارُ»: وَصَفٌ لِلْمَوَامِي كَاشِفٌ عَنْ حَالَتِهَا، أَي الْخَالِيَةُ لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا مَاءَ وَلَا أَنْيَسَ، وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: السَّبَارِيْتُ، وَالوَاحِدُ مِنْهَا قَفْرٌ وَقَفْرَةٌ وَسُبْرُوتٌ وَمَوْمَاءٌ. «وَالْقُرَى»: بِالضَّمِّ مَقْصُورًا جَمْعُ قَرْيَةٍ، وَهِيَ كُلُّ مَكَانٍ اتَّصَلَتْ فِيهِ الْأَيْبَةُ وَأُتِّخِذَ قَرَارًا، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْمَدَنِ وَالْأَمْصَارِ وَالْبِلْدَانِ الْكَبِيرَةِ.

المعنى: أَوْ هَلْ كَانَ ذَلِكَ الْخِيَالُ الَّذِي زَارَنِي فِي الْمَنَامِ يَدْرِي قَبْلَ زِيَارَتِهِ لِي مَا بِلَادُ الْفَرَسِ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي السُّلُوكُ فِيهَا، وَمَا صَحَارِيهَا وَبُلْدَانُهَا، وَكَيْفَ يَتَسَنَّى السَّيْرُ فِيهَا، وَالْمُرُورُ مِنْهَا لَيْلًا، وَاجْتِيَازُهَا فِي بُرْهَةٍ يَسِيرَةٍ.

٢٠٨- وَسَائِلِي بِمُرْجِي عَنِّ وَطَنِي مَاضَاقَ بِنِ جَنَابُهُ وَلَا نَبَا

«وسائلي»: أَي وَرُبَّ رَجُلٍ سَائِلٍ إِيَّايَ، وَمُسْتَخْبِرٍ مِنِّي، وَمُسْتَنْطِقٍ لِي عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِفْهَامِ وَالِاسْتِعْلَامِ، وَهُوَ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ سَأَلَ يَسْأَلُ إِذَا طَلَبَ الْجَوَابَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، وَهُوَ أَعْنِي قَوْلَهُ: «وسائلي» عَلَى تَقْدِيرِ الْاِنْفِصَالِ أَي وَسَائِلِي لِي، وَالْحَامِلُ عَلَى هَذَا أَنَّ وَاوْرُبَّ لَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَعَارِفِ.

«بِمُرْعَجِي»: الباء بمعنى عن، أي ورُبَّ سائلٍ لي عن مُرْعَجِي، وفي التَّنْزِيلِ العزیز:

﴿فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٥٩]. وقال زهير: [ديوانه ١٤٥]

فَأَقْبَلْتُ فِي السَّاعِينَ أَسْأَلُ عَنْهُمْ سُؤَالَكَ بِالشَّيْءِ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ
وَمُرْعَجِي: أَي مُقْلِقِي مِنْ أَرْعَجِهِ وَأَقْلَقَهُ، أَي: جَعَلَهُ يَضْطَرُّ وَلَا يَسْتَقِرُّ، قَالَ الشَّاعِرُ:
وَلَوْلَا الْمُرْعَجَاتُ مِنَ اللَّيَالِي لَمَاتَرَكَ الْقَطَا طَيْبَ الْمَنَامِ
وَلِبَعْضِهِمْ:

كَانَ قَلْبِي قَبْلَ الْهَوَى مُطْمَئِنًّا مُسْتَقِرًّا لَا يَعْرِفُ الْإِزْعَاجَا
«عَنْ وَطَنِي»: أَي عَنْ مَنَزَلِ إِقَامَتِي وَمُسْتَقَرِّي، وَجَمْعُ الْوَطَنِ أَوْطَانٌ، وَفِي ذَلِكَ
قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بِلَادٍ هَا نِيَطْتُ عَلَيَّ تَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا
وَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ:

أَحْنُ إِلَى أَرْضٍ هَا اخْضَرَّ شَارِبِي وَحُلَّتْ هَا عَنِّي عُقُودُ التَّمَائِمِ
وَلِلْآخَرِ:

إِذَا تَغَنَّى حَمَامُ الْأَيْكِ فِي غُصْنٍ حَنَّ الْغَرِيبُ إِلَى أَوْطَانِهِ فَبَكَى
«مَا ضَاقَ بِي جَنَابُهُ»: هَذَا نَحْوُ قَوْلِ عَمْرٍو بْنِ الْأَهْتَمِ: [المفضليات ١٢٧]

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضَيِّقُ
وَجَنَابُهُ: أَي نَاحِيَتُهُ وَجَهْتُهُ وَفَنَاؤُهُ وَفُسْحَتُهُ وَجَانِبُهُ وَمَا حَوْلَ مَحَلَّتِهِ.

«وَلَا نَبَا»: نَبَا: أَي لَمْ يُوَافِقْ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزَلٌ فَتَحَوَّلِ

المعنى: ورُبَّ رجلٍ يسألني عن السَّببِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ بِلَادِي مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَضِقْ بِي
وَلَا حَصَلَ لِي فِيهَا مَا أَكْرَهُهُ.

٢٠٩- قُلْتُ الْقَضَاءُ مَالِكُ أَمْرِ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ دَرَى

«قلت»: أي ذكرت في جواب الذي سألني عن مُرْعِجِي ومُحْرِجِي من بلاد إقامتي ومحل استقرارِي.

«القضاء»: أي الحكم الإلهي والأمر الرباني، والقضاء يكون بمعنى الحكم، وبمعنى التنفيذ، وبمعنى الحتم والإلزام والإيجاب، والمراد به في البيت قضاء الله الذي كثر استعماله مقروناً بالقدر، قال الشاعر:

قَضَاءُ اللَّهِ يَغْلِبُ كُلَّ حَيٍّ وَيَنْزِلُ بِالشُّجَاعِ وَبِالْجَبَانِ

ومنه قولهم: قضاء الله تُردُّ له الأفضية، أي حكم الله تبطل لأجله جميع الأحكام، بمعنى أنه لا ينفذ سوى حكم الله.

«مالك أمر الفتى»: أي مُستولٍ على شأن الإنسان، ومالك الأمر هو الذي يحق له التصرف فيه كما أراد.

والفتى في الأصل: الشاب الحديث السن، ويُطلق على السخي الكريم المهذب الكامل، ويُطلق على المملوك كالغلام، والمراد به في البيت الإنسان مُطلقاً.

«من حيث لا يدري»: أي من حيث لا يشعر ولا يعلم ولا يعرف ولا يدرك، وحيث في المكان كحين في الزمان، وقول الشاعر:

حَيْثُمَا تَسْتَقِمُّ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّـهُ نَجَاحاً فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ

أي في أي مكان كان، فحيث هنا على بابها، وقيل: بل المراد في أي زمان كان بدليل آخر البيت، فهي مُستعملة في موضع حين، وغابر الأزمان: أي ماضيها، وغابرها أيضاً آتيتها لأنَّها من الأضداد.

«ومن حيث دَرَى»: أي من الجهة التي يعرفها، والمراد التعميم.

المعنى: ذكرت في جواب الذي سألني عن سبب عُربتي أن الإنسان إنما هو مُسيَّر

وَمَمْلُوكٌ أَمْرُهُ لِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وشأنه الانقيادُ لربِّه الذي لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ولا رادًّا لأمره
سواءً عرفَ الإنسانُ ذلكَ أو لم يَعْرِفْ.

٢١٠- لا تَسْأَلُنِي وَاسْأَلِ الْمِقْدَارَ هَلْ يَعْصِمُ مِنْهُ وَزْرٌ أَوْ مُذَدْرِي

«لا تَسْأَلُنِي»: نبيٌّ عن السَّوَالِ مقرون بنون التَّوَكُّيدِ الثَّقِيلَةِ، وأصلُه لا تَسْأَلُنِي؛
فحُذِفَتْ نون الوَقَايَةِ لعدم احتِياجِ الفِعْلِ إليه بعد اتِّصَالِهِ بنون التَّوَكُّيدِ التي هي بتَشْدِيدِهَا
كنونين، والمعنى: إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَخْبِرَ مِنِّي وتطالِبَنِي ببيانِ أَمْرِي.

«واسألُ المِقْدَارَ»: أي اطْلُبْ بيانَ حَقِيقَةِ أَمْرِي من تَقْدِيرِ اللَّهِ الذي يَتَصَرَّفُ بِالْعِبَادِ كَمَا

يَشَاءُ، قال الشاعر:

لو كانَ خَلْفَكَ أو أَمَامَكَ هَائِباً أَحَداً سِوَاكَ لَهَابَكَ الْمِقْدَارُ

قيل: المِقْدَارُ هنا هو الموت، ولا يَبْعُدُ أَنْ يُرَادَ بِهِ قَدْرُ اللَّهِ الذي هو حُكْمُهُ وتَقْدِيرُهُ،
يقول: لو كانَ بَعْدَكَ أو قَبْلَكَ أَحَدٌ خَافَ الْمِقْدَارُ مِنْهُ لَخَافَ الْمِقْدَارُ مِنْكَ أَيضاً، يريدُ أَنَّ
المِقْدَارَ يَجْرِي على كُلِّ المَخْلُوقَاتِ بلا استثناء، وجمعه مَقَادِيرُ، والمِقْدَارُ يكونُ بمعنى القَدَرِ
الذي هو تَقْدِيرُ اللَّهِ؛ وبمعنى مَبْلَغِ الشَّيْءِ، ويقالُ الأُمُورُ تَجْرِي بِقَدْرِ اللَّهِ ومَقْدَارِهِ وتَقْدِيرِهِ،
والجمعُ أَقْدَارٌ ومَقَادِيرٌ وتَقَادِيرٌ.

«هل»: كلمة استفهام واستعلام. «يَعْصِمُ مِنْهُ»: أي يَحْفَظُ وَيَمْنَعُ وَيَحْمِي وَيَحْرُسُ

ويُحْصِنُ وَيَقِي، وفي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ: ﴿يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، وفيه أيضاً: ﴿لَا عَاصِمَ لِيَوْمٍ مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣/١١]. والضَّمِيرُ في قولِه: (منه) يعودُ إلى المِقْدَارِ،
والاستفهامُ إنكارِيٌّ، أي لا يَعْصِمُ مِنْ مِقْدَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«وَزْرٌ أَوْ مُذَدْرِي» والوَزْرُ: الجبلُ وزناً ومعنى، وكلُّ مَعْقِلٍ يُلتَجأُ إليه، والحِصْنُ

الحِصِينُ الذي يُمْتَنَعُ فِيهِ ويُعْتَصَمُ بِهِ. وفي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ٧٥/١١]،
أي لا مانعَ ولا دافعَ لأمرِ اللَّهِ تعالى.

و«المُذْدَرَى»: مُفْتَعَلٌ مِنَ الذَّرْوَةِ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَهِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ، وَتَذَرَّاهَا: عَلَاهَا، وَيُقَالُ: تَذَرَّى بِالْحَائِطِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْبَرْدِ وَنَحْوِهِ أَيْ اسْتَتَرَ وَاسْتَكَنَّ وَكَذَا اسْتَذَرَى، وَتَذَرَّتْ الْإِبِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ أَوْ بِالشَّجَرِ مِنَ الْبَرْدِ وَنَحْوِهِ، وَاسْتَذَرَى بِالشَّجَرِ: اسْتَظَلَّ بِهَا، وَاسْتَذَرَى بِنَفْسِهِ أَيْ التَّجَأَ إِلَيْهِ وَصَارَ فِي كَنَفِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الذَّرَا بِالْفَتْحِ مَقْصُورًا، وَهُوَ الْكِنُّ بِكَسْرِ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ أَيْ الْبَيْتِ وَكُلُّ مَا يَبْقَى وَيَسْتَرُ، وَمِنْهُ «أَنَا فِي ظِلِّكَ وَفِي ذَرَاكَ وَفِي كَنَفِكَ وَفِي سِتْرِكَ وَدِفْعِكَ وَوِقَايَتِكَ وَحِمَايَتِكَ».

وَعَلَى كُلِّ فَالْمُذْدَرَى أَصْلُهُ مُذْتَرَى لِأَنَّهُ مُفْتَعَلٌ، فَقُلِبَتِ التَّاءُ دَالًا مَهْمَلَةً، فَصَارَ مُذْدَرَى، وَرَبَّمَا قَلَبُوهَا إِلَى جِنْسٍ مَا قَبْلَهَا فَصَارَتْ مُذْدَرَى وَبَعْدَ الْإِدْغَامِ مُذَّرَى، وَرَبَّمَا قَلَبُوا ذَالَهَا الْمَعْجَمَةَ دَالًا مَهْمَلَةً بَعْدَ قَلْبِ التَّاءِ إِلَيْهَا فَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِدْغَامِ مُذَّرَى. وَهَذِهِ الْوَجُوهُ الثَّلَاثَةُ تَجْرِي فِي الْإِفْتِعَالِ مِنَ الذِّكْرِ، فَيُقَالُ: ادَّكَرَ وَادَّكَرَ وَادَّذَكَرَ، وَهُوَ مَدَّكِرٌ وَمُدَّكِرٌ وَمُذَدَّكِرٌ.

المعنى: لَا تَسْتَفْهِمُ مِنِّي بَلْ اطْلُبْ فَهَمَّ الْحَقِيقَةَ مِنَ الْقَدَرِ النَّافِذِ حُكْمُهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّخْلُصُ مِنْهُ وَلَا التَّحَصُّنُ بِحَرِزِ حَرِيزٍ وَمَلَجَأٍ مَنِيعٍ.

٢١١- لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى امْرُؤٌ مَا خَطَّهُ ذُو الْعَرْشِ مِمَّا هُوَ لَاقٍ وَوَحَى

«لَا بُدَّ»: أَي لَا مَحِيدَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا خِلَاصَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا مَهْرَبَ وَلَا مَفْرَّ وَلَا مَحَالَةَ وَلَا فِرَاقَ مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ لَازِمٌ مُتَحَتِّمٌ الْوُقُوعِ مُتَحَقِّقٌ الْحُصُولِ، لَا يُمْكِنُ التَّخْلُصُ مِنْهُ، وَلَا يُوجَدُ بَدَلٌ مِنْهُ وَلَا عَوِضٌ عَنْهُ.

«أَنْ يَلْقَى»: أَي أَنْ يُصَادِفَ وَيَجِدَ وَيُدْرِكَ وَيَرَى. «امْرُؤٌ»: أَي إِنْسَانٌ وَرَجُلٌ، وَالْمُرَادُ بِهِ ذُو الْمَرْوَةِ، أَي الْإِنْسَانِيَّةِ، سِوَاهُ كَانَ امْرَأً أَوْ امْرَأَةً. «مَا خَطَّهَ»: أَي الَّذِي كَتَبَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي قَدَّرَ حُصُولَهُ وَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ وَاقِعٌ وَلَا بُدَّ.

«ذُو الْعَرْشِ»: أَي رَبُّ الْعَرْشِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْعَرْشَ بِالذِّكْرِ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلِأَنَّ الْمَقْصُودَ حَاصِلٌ بِهِ، أَعْنِي أَنَّ مَنْ كَانَ رَبًّا لِأَعْظَمِ

الأجرام وأكبر الأجسام فهو من باب أولى ربُّ لما سواه. وعَرْشُ الله قيل: هو الفلك التَّاسِعُ الأعْظَمُ المحيط بجميع الأفلاك، والصَّحِيحُ أَنْ عَرْشَ الله لا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

«مِمَّا هُوَ لَاقٍ» أي من شيء هو أي الإنسان لاقية، أي رائيه وواجده ومُصَادِفِهِ، وهو اسم فاعل من لَقِيَهُ إِذَا أَدْرَكَهُ وَرَأَاهُ وَوَجَدَهُ وَصَادَفَهُ وَاجْتَمَعَ بِهِ.

«وَوَحَى»: معطوفٌ على «حَطَّه»، أي كتبه، وهي كأَوْحَى تكون بمعنى أَلْهَمَ وبمعنى كَلَّمَ وبمعنى كَتَبَ وبمعنى أَمَرَ. قال العجاج: [ديوانه ١٤٨/٢]

لِقَدْرِ كَانَ وَحَاهُ الْوَاحِي

وقال أيضاً: [ديوانه ٤٨٠/١]

وَوحَى لَهَا الْفَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ وَسَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ
والضَّمير للأرض، ويكون «وَحَى بِالْأَمْرِ» بمعنى أَشَارَ وَأَوْمَأَ وَأَعْلَمَ وَفَهَّم، هذا كُلُّهُ على أَنَّ وَحَى فَعْلٌ ماضٍ من الوَحْيِ بالحاء المهملة، وَأَمَّا وَحَى بالحاء المعجمة فمعناه قَصَدَ وأَرَادَ وَطَلَّبَ، ومنه قول الشاعر:

لو أَبْصَرْتُ أَبْكُمْ أَعْمَى أَصْلَخَا إِذَا لَسَمْتِي وَاهْتَدَى أَنْتَى وَخَى
المعنى: أي لا خلاصَ للإنسان مِمَّا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، ولا بُدَّ أَنْ تَجْرِي عَلَيْهِ الْأُمُورُ الَّتِي حَكَّمَ اللهُ بِهَا وَأَمْضَاهَا وَقَضَاهَا.

٢١٢- لا عَرَوْا إِنْ لَجَّ زَمَانٌ جَائِرٌ فَاعْتَرَقَ الْعَظَمَ الْمُمِخَّ وَأَنْتَقَى
«لا عَرَوْا» أي لا عَجَبَ، وفي المصباح: «عَرَا يَغْرُو من الباب الأوَّل كَنَصْر، أي تَعَجَّبَ» وفيه أيضاً [عجب]: «التعجُّب: انفعال النَّفْسِ لزيادة وصفٍ في المتعجَّب منه»، ولبعضهم هو حَيْرَةٌ وَدَهْشَةٌ تَحْضِلُ لِلإِنْسَانِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ شَيْئاً غَيْرَ مألُوفٍ وَلا مَعْتَادٍ مَعَ جَهْلِ سَبَبِهِ، ومثله العَجَبُ بفتحَتَيْنِ والاسْتَعْجَابُ.

«إِنْ لَجَّ»: أي إذا تَمَادَى واستمرَّ على المَعَارِضَةِ والمُنَازَعَةِ، وَلَجَّ من الباب الثاني والرَّابِع كضَرَب وَعَلِمَ، والمصدر اللَّجَجُ واللَّجَاجَةُ بفتحها، وكذا المَحْكُ والمُحَاكَمَةُ، وهي الإِصرار على دوام التَّشَبُّثِ في المُسَاوَمَةِ والمُخَاصَمَةِ والمُحَاكَمَةِ والمُنَاظَرَةِ ونحو ذلك.

«زَمَانٌ جَائِرٌ»: أي دَهْرٌ يَقَعُ فِيهِ الجَوْرُ وَيَحْضِلُ فِيهِ الظُّلْمُ والعَسْفُ، والزَّمَانُ مع كونه بحسب الظَّاهر متبادراً للفهم قد اختلفَ في تعريفه بحيث لو رأيتَ ذلك لسلَّمتَ بأن حقيقة الزَّمَانِ لا يعرفها إلا اللهُ، وكذلك الدَّهْرُ والوقتُ والحِينُ والمُدَّةُ والبُرْهَةُ ونحو ذلك، وفي التَّنْزِيلِ العزيز: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/٨٥] صدق اللهُ العظيم.

والجائر: الظَّالمُ الذي مَالَ وأنحرفَ وحادَ عن سبيل الإنصاف وطريق العدل ومنهج الحق، وجارَ الحَاكِمُ: وَضَعَ الأشياءَ في غير مواضعها.

«فَاعْتَرَقَ العَظْمَ»: أي أَفْنَى ما عَلَيْهِ من اللَّحْمِ، يقال: عَرَقَ العَظْمَ كَنَصَرَ واعْتَرَفَهُ وَتَعَرَّفَهُ، قال الشَّاعر:

أَجَارَتَنَّا كُلَّ امْرِئٍ سَتُّصِيئِهِ حَوَادِثُ إِلَّا تَبَثَّرَ العَظْمَ تَعْرِقُ
 إِنَّ لَمْ تَقْطَعْ العَظْمَ تَذْهَبْ بِما عَلَيْهِ من اللَّحْمِ، وقال الآخر:

إِذَا بَعَضُ السُّنَيْنِ تَعَرَّفَتْنَا كَفَى الأَيْتَامَ فَقَدَ أَبِي اليتيم
 إِذَا أَحَلَّتْ عَلَيْنَا السُّنُونُ كَفَى ذلك الممدوحُ وَأَغْنَى الأَيْتَامَ وَأَنسَاهُمْ فَقَدَ آبائِهِمْ،
 ولبعضهم:

إِذَا اعْتَرَقْتَنِي شِدَّةٌ وَلَقِيْتُهَا بِصَبْرٍ جَمِيلٍ هَانَ عِنْدِي بِلاؤها
 وَإِنْ جَزَعْتَ نَفْسِي لِمَسِّ مُلَمَّةٍ تَضَاعَفَتِ البُلُوى وَزَادَ عَنَاؤُهَا
 فَطُوبَى لِمَنْ قَدَ أَكْرَمَ الصَّبْرَ نَفْسَهُ فبالصَّبْرِ نَفْسُ الحُرِّ دَامَ هَنَاؤُهَا
 والعَظْمُ: قِصْبُ الجِسمِ الذي عَلَيْهِ اللَّحْمُ، والجَمْعُ عِظَامٌ، وهي أَلْواحُ البَدَنِ وقِصْبُهُ.

«المُخَّ»: اسم فاعل من أَمَخَّ العَظْمُ أي تَكَوَّنَ فِيهِ المُخُّ، وهو الوَدَكُ والدَّسَمُ في جَوْفِ

العظم، قال الشاعر:

ولا يسْرِقُ الكَلْبُ السَّرِوقُ نِعالنا ولا نَنْتَقِي المُنْحَ الذي في الجِماجِمِ
أَي لا نَلْبَسُ إِلَّا النُّعالَ المِذبوغَةَ، والكَلْبُ لا يَأْكُلُها، ولا نَسْتَخْرِجُ ما في جَوْفِ العِظامِ
شَرَّها وَنَهَمَها.

«وانتقى»: استخرج النقي بكسر فسكون، وهو المنح الذي في داخل العظام والدسم
الذي في باطنها.

المعنى: لا عجب إذا دام التعدي والجور واستمرت الشدة في المعارضة حتى أضعفت
الإنسان وأنهكت قواه ولم تبق منه إلا كما قال الشاعر:

لم تُبْقِي لِي المَهامِهُ جِساماً غيرَ جِلْدٍ على عِظامِ بَوادي

٢١٣- فَقدَ تَرى القاحِلَ مُخَضَّراً وَقَدْ تَلَقَى أخوا الإِقتارِ يوماً قَدْ نَمّا

«فقد ترى»: أي فقد شاهد وتعاين وتبصر وتنظر القاحل اليابس الذي جف وذوي
وذهب ماؤه، ومنه قول القائل: فلان في بلد ماجل وعيش قاحل، ومنه شيخ قاحل، أي
يبس جلده على عظمه من البؤس والهرم، وفعله من الباب الثالث والرابع كمنع وعلم،
ويستعمل مجهولاً بمعناهما، فيقال: قاحل، أي يبس ولزق جلده بعظمه من شدة الهزال،
وأفحله الصوم وأفحلته سنو المحل، وجاء في حديث: «لأن يعصبه أحدكم بقدر حتى
يقحل خير من أن يسأل الناس في نكاح»، أي لأن يربط ذكره بجِلدة حتى يبس خير من
أن يتعرض للناس أن يزوجه وهو عاجز عن ذلك.

«مخضراً»: أي متصيفاً بالمخضرة من شدة الرّي والنضارة. «وقد تلقى»: أي وقد تجدد
وتصادف وتلاقى وتواجه. «أخا الإقتار»: أي صاحب الفقر وذا الحاجة والفاقة، والإقتار
مصدر أقتر الرجل على نفسه وعلى عياله أي ضيق في النفقة، وكذا قتر قتراً من الباب الأول
كنصر، وقتر تقثيراً، كله بمعنى التضييق في النفقة.

«يوماً»: أي في يوم ما، واليوم من طُلُوع الفجر الصَّادِقِ إلى المغرب، وعند المنجِّمين من الطُّلُوعِ إلى الطُّلُوعِ أو من الغُروبِ إلى الغُروبِ، وقد يُطلق على الوقت والحين والسَّاعة، ومنه يومئذٍ ووقتئذٍ وساعتئذٍ وحينئذٍ.

«قد نَمًا»: أي تحققت زيادته وكثرته، والمراد نَمًا ماله وهو يائيٌّ وواويٌّ، ويقال: نَمًا ينمو ونَمًا يَنُمِي، أي زاد وكثر، قال الشاعر:

يا حُبَّ لَيْلِي لا تَغَيِّرْ وازدَدِ وأنم كما يَنُمِي الخِضابُ في اليَدِ
ويُروى وأنم كما يَنُمُو. ومعنى «نَمًا الخِضابُ»: اشتدَّ سوادهُ، ويُستعمل نَمًا يَنُمِي بمعنى سَمِنَ يَسْمَنُ وكثُرَ اللَّحْمُ في جسمه، وقولهم: نَمًا إلى الخَبْرِ أي ارتَفَعَ ووصل إليَّ، قال الشاعر:

مِنَ حَدِيثِ نَمًا إلى فَمَاتَرُ قَأْ عَيْنِي ولا يَسُوعُ شَرابي
انتهى تفسير ألفاظ البيت.

قال: فقد ترى القاحل مخضراً، أي والمخضراً قاحلاً، ثم قال: وقد تَلَقَى أخوا الإقتار يوماً قد نَمًا، أي وقد تَلَقَى الغنيَّ يوماً قد افتقر، وهذا مرتبطٌ في المعنى مع ما قبله، وهو «لا غَرَوَ إن لَجَّ» إلخ. أي لا تعجب إذا رأيت المصائب تترى والنوائب تتوالى، فهذا الدهر كثير التقلُّب لا يدوم على حال، ولذلك بينا يكون العود يابساً من قِلَّةِ الماء إذ فاجأه الغيث فسقاه حتى اخضَرَ، وبينما ترى الرجل في أشدَّ الفقر إذ جاء الغنى، وأقبلت عليه الدنيا حتى ترى أمواله في نَماء وزيادة وكثرة.

٢١٤- يا هُوَلياً هل نشدُنَّ لنا ناقبة البرقع عن عيني طلا

«يا هُوَلياً»: يا: حرف نداء، أي لطلب إقبال المدعوِّ، وهُوَلياً مقصورة من هُوَلياء بفتح الهاء الممدودة وبعدها همزة مكسورة، وهو تصغير هُوَلاء، وها: حرف تنبيه، وأولاء: اسم يشار به إلى الجمع، قال الشاعر:

يَما أَمِيلِحَ غَزْلا نأَبَرزُنَ لَنا مِن هَؤْلياءِ كَنَ الضَّالِ والسَّمرِ
ويُروى: «شدن لنا» ويُروى: «من هؤلياء بين الضال... إلخ»، وشدن: أي ترثمن
وغنن، والضال والسمر: نوعان من الشجر.

«هل»: حرف استفهام وكلمة استعلام، «نشدتن لنا»: أي طلبتن وسألتن
واسترشدتن، من قولهم: نشد الضالة، أي طلب الضائع منه وسأل عنه مُسترشداً إليه
ومستدلاً عليه، يقال: نشد الضائع، أي طلبه، وأنشده: التقطه، فعرفَ عليه، ومنه قوله:

يُصِيحُ لِلنِّبَاةِ أَسْعاَهُ إِصاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنشِدِ

الناشد: الطالب لشيء مفقود، والمنشد: الملتقط لشيء يُنادى بالتعريف عليه حتى يجد
صاحبه فيعطيه إياه.

«ناقبة البرقع»: ناقبة اسم فاعل من نقبه من الباب الأول كنصر، أي ثقبه وخرقه،
والبرقع: هو ما تستر المرأة به وجهها، والجمع براقع، ومن أمثلة العكس المُستوي «عقارب
تحت برقع». «عن عيني طلاً»: أي عن ناظرتي رشا، وهو الغزال الصغير.

المعنى: يا أيتها الملاح الحسان هل سألتن لنا عن التي ثقت مندبل وجهها ثقين
كشفت بهما عن موضع عينيها اللتين تشبهان عيني الغزال الصغير.

٢١٥- ما أنصفت أم الصبيين التي أصبت أخوا الحلم ولما يصبطي

«ما أنصفت»: أي ما عدلت ولا وضعت الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

«أم الصبيين»: الأم المعروفة، وهي الوالدة، والصبيين مثني صبي، وهو الولد
الصغير، ويُطلق على ناظر العين، وهو سوادها الذي فيه إنسان العين، أي ذات الناظرين
السحارين بحسنهما، وصبي السيف: ما دون طيته.

«أصبت أخوا الحلم»: أي جذبت قلبه واستمالت فؤاده داعية إلى الصبوة، وهي جهلة
الفتوة وهُو الغزل، والغزل محادثة النساء ومراودتهن، وقيل: اللهو معهن مطلقاً، وقيل:

مدحهنّ، وقيل: ذُكِرَ أيام الوصل والهجر واللقاء والوداع ونحو ذلك، والصَّبَى مكسوراً مقصوراً كالصَّبُوة، وصَبَا يَصْبُو مَالاً، يقال: فلان يَصْبُو إلى المعالي، وقد أَصْبَتْهُ المكارمُ، وإنَّ به إليها لَصْبُوةٌ، ومن بدائع الزمخشري قوله: إِذَا صَبَّتْ الأرواحُ صَبَّتْ الأرواحُ، إِذَا هَبَّتْ رياح الصِّبا حنَّتْ إليها الأرواح ومالت.

و«أخو الحِلْم»: أي صاحبُ الحِلْم، وهو الحليم الواسع الصدر الكثير التَّحُمْل الذي يَكْظُمُ غَيْظَه وَيَصْبِر على ما نابَه صبراً جميلاً، والحِلْم: الأناة والعقل وضبطُ النَّفس والطَّبع عن هَيْجان الغضب، وتَحَلَّم: تكلفه، قال الشاعر: [ديوانه حاتم الطائي ٨٢]

تَحَلَّمْ عَنِ الأذْنَيْنِ وَاسْتَبَقِ وُدَّهُمْ فَلَئِنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا
«ولَمَّا يُصْطَبَى»: لَمَّا حَرَفَ نَفِي، يُصْطَبَى يُفْتَعَلُ مِنَ الصَّبُوةِ، أَي يُسْتَمَالُ وَيُسْتَجْلَبُ، وَأَصْلُهُ يُصْتَبَى، فَقَلِبْتَ التَّاءَ طاءً لِمُنَاسَبَةِ الصَّادِ، فَصَارَتْ يُصْطَبَى، وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ نَصّاً عَلَى اسْتِعْمَالِ الاِصْطِبَاءِ وَمَشْتَقَاتِهِ، وَإِنَّمَا الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ أَصْبَى وَتَصَبَّى وَتَصَابَى، قَالَ زَيْدُ بْنُ ضَبَّةَ:

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ لَا أَدْنُو لَأَمْرٍ دَيْيَّةٍ وَلَا أَتَصَبَّى أَصْرَاتِ خَلِيلِي

أَي لَا أَقْرَبُ مِنْ شَأْنِ خَسِيسَةٍ وَلَا أَطْلُبُ خَدِيعَةَ حُرْمَةِ خَلِيلِي، وَالْأَصْرَاتُ:

المُسْكَاةُ الثَّوَابِتُ كِإِصَارِ الْبَيْتِ، وَهُوَ حَبْلُ الْحَبَاءِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَالَّذِينَ تَصَرَّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣/١٢]، أَي أَحْنُ إِلَيْهِنَّ وَأَمِيلُ إِلَى اللَّهِوَ مَعَهُنَّ، وَتَصَابَى تُسْتَعْمَلُ لِأَزْمَةٍ وَمَتَعَدِيَّةٌ، يُقَالُ: تَصَابَى الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ إِذَا خَدَعَهَا وَاسْتَمَالَ قَلْبَهَا إِلَى الصَّبَى، وَتَصَابَى الشَّيْخُ: مَالَ إِلَى الصَّبَى، وَأَيْضاً عَمِلَ عَمَلَ الصَّبِيَّانِ.

المعنى: إِنَّ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ ذَاتَ الْعَيْنَيْنِ الْفَتَّاكَتَيْنِ هِيَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ الْحَلِيمِ

وخذعته بزبيتها وفتنته بجهاها حتى دَعَتْهُ إِلَى الطَّيْشِ عَلَى حِلْمِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَحْوِذْ عَلَى قَلْبِهِ قَطُّ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى الاسْتِخْفَافِ بِهِ قَبْلَهَا.

٢١٦- اسْتَحْيِي بِيضاً بَيْنَ أَفْوَادِكَ أَنْ تَقْتَادَكَ الْبَيْضُ اقْتِيَادَ الْمُهْتَدَى

«اسْتَحْيِي»: فَعْلٌ أَمْرٌ حَاضِرٌ مِنَ الاسْتِحْيَاءِ، وَهُوَ انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنِ الْقَبَائِحِ، وَمِنْهُ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [البخاري: ٣٤٨٤]، أَي إِذَا ذَهَبَ حَيَاؤُكَ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُهُ لِأَنَّكَ حَيْثُذَ بِمَنْزِلَةِ أَحْسَسِ الْبِهَائِمِ.

والاستحياء اسْتِنْفَعَالٌ مِنَ الْحَيَاءِ، وَمِنْهُ: «الْحَيَاءُ شَعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» [البخاري: ٢٤]، وَالْحَيَاءُ حَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْحَيَاءُ وَاعِظُ النَّفْسِ، وَالْحَيَاءُ فِي الرَّجُلِ مَزِيَّةٌ عَظْمَى وَفِي الْمَرْأَةِ أَعْظَمٌ، قَالَ جَرِيرٌ: [ديوانه ١٩٩]

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارٌ وَلَزَرْتُ فَبِرْكَ وَالْحَيِيبُ يُزَارُ
وقال أبو تمام:

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وقال عنتره:

فَاقْتُنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَاعْلَمِي أَنِّي أَمْرٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
وقال حاتم:

إِذَا قَلَّ مَالِي أَوْ أَصَبْتُ بِنَكْبَةٍ قَنَيْتُ حَيَائِي عَفَّةً وَتَكَرُّمًا
وَقَنَيْتُ الْحَيَاءَ: كَلَزِمْتَهُ وَحَفِظْتَهُ وَزَنَانًا وَمَعْنَى، وَبِمَعْنَى الْحَيَاءِ الْحِشْمَةُ وَالِاحْتِشَامُ.

«بِيضاً»: أَي شَعْرَاتٍ مِنْ رَأْسِكَ أَوْ لِحْيَتِكَ قَدْ وَخَطَهَا الشَّيْبُ حَتَّى انْتَشَرَ فِيهَا الْبَيَاضُ وَكَادَتْ أَنْ تَشْتَعَلَ شَيْباً.

«بَيْنَ أَفْوَادِكَ»: أَي بَيْنَ جَوَانِبِ رَأْسِكَ، وَمُعْظَمِ شَعْرِكَ مِمَّا يَلِي أُذُنَكَ، وَمِنْ سَجَعَاتِ الْأَسَاسِ: وَقَدْ الشَّيْبُ عَلَى فَوْدِكَ فَاسْتَحْيِي مِنْ فَوْدِكَ، وَيُطْلَقُ الْفَوْدُ عَلَى النَّاحِيَةِ مِنْ كُلِّ

شيء، وعلى كلام الزمخشري هو حقيقة في جانب الرأس فقط. وكلمة «بين» ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعداً ولو معنى، كجلست بين القوم، وقولهم: هذا بين بين؛ أي يُعدُّ بين الأشياء الجيدة من جهة وبين الأشياء الرديئة من جهة أخرى.

«أَنْ تَقْتَادَكَ»: أي تَجْرُكَ وَتَسْحَبَكَ وَتَسِيرَ بِكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ. والاعتقاد: أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَمَامَ الدَّابَّةِ آخِذاً بِزِمَامِهَا، فَإِنْ كَانَ خَلْفَهَا فَهُوَ سَائِقٌ، وَلَيْسَ بِقَائِدٍ وَلَا مُقْتَاداً، وَالْمَقُودُ وَالْقِيَادُ بوزن المَلْحَفِ وَاللِّحَافِ وَالْمِئْزَرِ وَالْإِزَارِ: حَبْلٌ يُشَدُّ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ.

«الْبَيْضُ»: أي النساء الحسنات والمشرقات الألوان، وهي جمع بيضاء، والبيضاء في الأصل ذات اللون الذي هو البياض، وتُطلق على الخالصة من كل ما يشين الجسد كالكلف ونحوه، وعلى الطاهرة النقية ذات العِرض والعفاف، وتسمى الشمس بيضاء، وكذا الكلمة اللطيفة، ومنه «ما فاه بسوداء ولا بيضاء»، كقولهم: ما نطق بحلوة ولا مرّة. وكما تُجمع البيضاء على بيض فكذاك الأبيض يُجمع على بيض، وأما قولهم للعدراء: بيضة الخدر فليس من البياض، وإنما هو تشبيه لها في كونها مصونة محفوفة بمن يحفظها كالبيضة التي تحضنها الحجلة ونحوها.

وما أبدع قول الزمخشري: «بيضة الحجلة أكلت أختها»، أي بيضة الحجلة أكلت بيضة الحجلة، والحجلة هي المعروفة في زماننا بالناموسية.

«اقتياد المهتدي»: الاقتياد: السير بالدابة أخذاً بمقودها، والمهتدي مصدرٌ واسمٌ زمان ومكان من اهتدى إذا وصل إلى الغاية المطلوبة، واللائق هنا المصدر أي اقتياد الاهتداء، أي تنقاد لها حتى كان سيرها بك سير رشادٍ وهداية، ولا يؤمن أن يكون تحريفاً عن المقتدى أو المقتدى.

فالأول بالقاف وهو الأسوة والقُدوة والإمام الذي يتبع ويُقلد، والثاني بالفاء، أي الأسير الذي يؤول أمره إلى تخليصه بعوض يُفتدى به.

المعنى: استحي من الشيب الذي خالط جوانب رأسك واحتشم منه مُتجنباً فعَل ما

يَقْبَحُ بِأَمْثَالِكَ مِنَ الْانْقِيَادِ لِلْغَوَانِي انْقِيَادَ الْمَرْءِ لِمَنْ يَهْدِيهِ وَيُرْشِدُهُ، أَوْ انْقِيَادَ الْمَرْءِ لِلْإِمَامِ الصَّالِحِ، أَوْ انْقِيَادَ الْمَرْءِ لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ وَأَسْرَهُ أَسْرًا لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلَّا بِفِدْيَةٍ مِنَ الْمَالِ.

٢١٧- هَيْهَاتَ مَا أَسْفَعَ هَاتَا زَلَّةً أَطْرَبًا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَالْجَلَا

وَيُرْوَى «هَيْهَاتَ مَا أَسْنَعَ هَاتَا زَلَّةً»، و«مَا أَسْنَعَهَا نازلةً».

«هيهات»: كلمةٌ تَبْعِيدُ، قَالَ جَرِيرٌ:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ حِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوْاصِلُهُ
«مَا أَسْفَعَ»: أَيُّ مَا أَقْبَحَ، يُقَالُ: سَفَعَهُ؛ أَيُّ لَطَمَهُ وَصَفَعَهُ وَأَعْلَمَهُ وَوَسَمَهُ كَيًّا، وَسَفَعَهُ الْحَرُّ: لَفَحَهُ حَتَّى اسْوَدَّ، وَسَفَعَ بِنَاصِيَتِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ: قَبَضَ عَلَيْهَا وَاجْتَذَبَهَا وَأَخَذَ بِجُرِّهَا مِنْهَا، وَالسَّفَعُ بِالْتَحْرِيكِ هُوَ الشُّحُوبُ وَالشَّعْتُ وَتَغْيِيرُ اللَّوْنِ إِلَى نَحْوِ السَّوَادِ، وَهِيَ سَفَعَاءٌ وَهُوَ أَسْفَعٌ وَالْجَمْعُ سَفَعٌ، وَمِنْهُ الْأَثَائِيُّ السُّفْعُ، وَالسُّفْعَةُ: لَوْنٌ يَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ، وَأَيْضًا: مَا فِي دِمْنَةِ الدَّارِ مِنْ زَبَلٍ أَوْ رَمَلٍ أَوْ رَمَادٍ أَوْ قُحَامٍ مُتَلَبِّدٍ.

وعلى رواية «ما أَسْنَعَ» فمعناها ما أَفْطَعَ وما أَبْشَعَ وما أَقْبَحَ وما أَسْوَأَ. «هَاتَا زَلَّةً» هَاتَا: أَيُّ هَذِهِ، وَالزَّلَّةُ: الْخَطَأُ وَالْغَلْطُ، وَأَصْلُهُ الزَّلْقَةُ وَالزَّرْحَلْقَةُ. وَعَلَى رِوَايَةٍ «مَا أَسْنَعَهَا نَازِلَةٌ»: أَيُّ مَا أَقْبَحَهَا مِنْ حَادِثَةٍ، يُقَالُ: نَزَلَ بِهِ كَذَا، أَيُّ حَدِثَ لَهُ وَأَلَمَّ بِهِ وَأَصَابَهُ.

«أَطْرَبًا»: أَيُّ أَتَطْرَبُ طَرَبًا؛ يَعْنِي أَتَسَرُّ سُرُورًا، وَتَفْرَحُ فَرَحًا، وَتَبْسُطُ انْبِسَاطًا، وَتَبْتَهَجُ ابْتِهَاجًا، وَالطَّرَبُ: خَفَّةٌ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ وَتَعْتَرِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ أَوْ السَّرُورِ، وَالْمُرَادُ هُنَا الثَّانِي الَّذِي تَخَصَّصَ الطَّرَبُ بِهِ فِي أَكْثَرِ الْاسْتِعْمَالَاتِ.

«بَعْدَ الْمَشِيبِ»: أَيُّ غَبَّ الشَّيْبِ، وَهُوَ انْقِلَابُ لَوْنِ الرَّأْسِ إِلَى الْبَيَاضِ، وَمَا أَحْلَى قَوْلَ

الْقَائِلِ: [دِيوانه ابن نباتة ٦٢]

مَسْأَلَةُ الدَّوْرِ جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحَبُّ
لَوْلَا مَشِيبِي مَا جَفَا لَوْلَا جَفَاهُ لَمْ أَشِبْ

وقال عدي:

تَصُبُّوْ وَأَنْى لَكَ التَّصَابِي وَالرَّأْسُ قَدْ شَابَهُ الْمَشِيبُ

وقال عبيد بن الأبرص:

قَدْ رَابَهُ وَلِثَلِ ذَلِكَ رَابَهُ وَقَعُ الْمَشِيبِ عَلَى السَّوَادِ فَشَابَهُ

«والجَلَّ»: انحسارُ الشعرِ وانجلاؤه؛ أي انكشافه وذهابُه من مُقدِّمِ الرَّأسِ، وكذلك

الجَلَّةُ والنَّزَعُ والصَّلَعُ، وكلُّ ذلك بفتحَتين، قال الأعشى:

قَدْ أَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتِ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَ

وقال الآخر:

فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكَرِنِي فَقَلَّمَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَ

وكذلك الجَلْحُ؛ وهو ذهابُ الشعرِ من مُقدِّمِ الرَّأسِ لنقصانِ مادةِ الشعرِ في تلك

البُقعةِ وقصورها عنها واستيلاءِ الجفافِ عليها ولتطامنِ الدماغَ عَمَّا يُيَاسُّهُ مِنَ الْقَحْفِ، فلا

يَسْقِيهِ سَقِيهِ إِيَّاهُ لَوْ كَانَ مُلَاقِيًا وَمَمَاسًا.

وفي صفةِ عليٍّ «البَطِينُ الْأَنْزَعُ»، والبَطِينُ: العَظِيمُ البَطْنِ، والعَرَبُ تُحِبُّ النَّزْعَ وتَمَدِّحُ

به، وتَتَيَمَّنُ بِالْأَنْزَعِ كَمَا تَذُمُّ الْغَمَمَ وتَتَشَاءَمُ بِالْأَغَمِّ، وتَزْعَمُ أَنَّ الْأَغَمَّ الْقَفَا والجَيْنَ لَا يَكُونُ

إِلَّا لَيْثِيًّا، قال هُدْبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ: [ديوانه ١٠٥]

وَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

المعنى: مَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْحَالَةَ مِنْكَ يَا أَيُّهَا الْأَشْيَبُ، وَمَا أَقْبَحَ هَذِهِ الْغَلْطَةَ بِكَ، أَوْ مَا أَشَدَّ

تَأْثِيرَهَا السَّيِّئُ الْمُزْرِي بِكَ، أَوْ مَا أَقْبَحَ هَذِهِ الْحَادِثَةَ الَّتِي أَحْدَثْتَهَا، أَعْنِي التَّصَابِي وَالْمِيلَ إِلَى

هُوَ الْهُوَى وَمَحَادِثَةُ النِّسَاءِ بَعْدَ شَيْخُوخَتِكَ، وَكَيْفَ تَعْتَرِيكَ هَذِهِ الْخِيفَةُ بَعْدَ أَنْ اشْتَعَلَ

رَأْسُكَ شَيْبًا وَذَهَبَتْ قُورُوكَ وَأَصَابَكَ مَا يُصِيبُ الْهَرْمَى مِنْ ذَهَابِ شَعْرِ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ.

٢١٨- يَارُبَّ لَيْلٍ جَمَعْتَ قُطْرِيهِ لِي بِنْتُ ثَمَانِينَ عَرُوسًا مُجْتَلِي

«يا رَبُّ»: يا حرف نداء، وكلمة دعاء، ومدخولها محذوفٌ تقديره يا قوم ونحوه، ورُبُّ: أداة تليل، وقد تكون للتكثير، وضدّها كم، فإنّها للتكثير ومجيئها للتليل قليل.
«لَيْلٍ»: مجرورٌ برُبِّ وهو من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وعند المنجمين من الغروب إلى الطلوع.

«جَعَتْ قُطْرِيَه لِي»: أي ضَمَّت ناحيتيّه، وجمعت الناقة قُطْرِيَه أي زَمَّت برأسها إلى فوق وشالت بذنبها كذلك، ومنه جمع فلان قُطْرِيَه إذا تكبر غضباً، والمراد بجمع القُطْرَيْن في البيت التقصير، وجمع القُطْر أَقْطَار، وفي التنزيل العزيز: ﴿مِنَ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٥٥/٣٣]، أي من جوانبها ونواحيها. «بِنْتُ ثَمَانِينَ»: أي شهراً أو قرناً على حسب ما أراد، والمراد بها الخمر المعتقة القديمة.

«عَرُوساً مُجْتَلِيً» أي تُزَيِّن فتعرض على القوم كأنها عروس مُجْتَلِي؛ أي يُنظر إليها وتُشاهد وهي مجلوة؛ أي متزيّنة، أو تُعرض على شاربها بحالة تزينها، والعروس: اسم للزوجة ليلة زفافها على زوجها، وجلاها وليّها واجتلاها: عرّصها عليه مجلوة أي كأنها مرأة مجلوة، من جلا السيف ونحوه، إذا صقله، واجتلاها الرجل تمتع بالنظر إليها، وهي على غاية ما يكون من التزيّن.

المعنى: يا قوم كم من ليلة قصرت طولها عليها خمرٌ قديمة معتقة تدور على الجلاس صافية طيبة مستحسنة كأنها الحسناء ليلة عرسها، وهذا المعنى مطروق لأكثر الشعراء، قال الشاعر: [ديوان يزيد بن الطثرية ٨١]

وَلَيْلٍ كَظِلِّ الرُّمُحِ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطِفَانُ المَزَاهِرِ
وَدَمُ الزُّقِّ أَرَادَ بِهِ الخَمْرَ، وَالزُّقُّ: وعاء الشَّرَابِ، وَدَمُهُ نَفْسُ الشَّرَابِ، وَلَا يَذْهَبُ
ظَنُّكَ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ ذَكَرَ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ قَدْ فَعَلَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْيِيلَاتٌ كَمَا يَكُونُ فِي الغَزْلِ
وَالنَّسِيبِ وَالتَّشْبِيبِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِيلُ اجْتِمَاعُ الفِسْقِ وَالفَحْشِ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ، كَمَا وَقَعَ

لبعض الشعراء، لكنَّ الاطِّلاع على ذلك يحتاج إلى تثبُّت وتحقيق، وإذا ظننتَ فلا تُحقِّق، وتحسينُ الظنِّ ما أمكنَ أسلم.

وقال بعضُ الشُّراح [هو الصاوي]: وإِنما سُمي الخمرُ بنتَ ثمانين إشارةً إلى لزوم جلدِ شارِبها ثمانين جلدَةً، وهو معنىٌ حسنٌ جميلٌ لا بأسَ به.

٢١٩- لم يملك الماءَ عليها أمرها ولم يدنسها الضرامُ المحتَضَى

«لم يملك الماءَ عَلَيْهَا أمرها»: أي لم يَسْتولِ عليها الماءُ ولم يَغلبِ عليها الماءُ ولم يَسْتحوذِ عليها؛ أي لم تُمزج بما يكسر حدَّتها ويُقلِّل من سورتها ويُخفف من شدَّتها، من قولهم: ملكَ فلانٌ على الناسِ أمرهم، إذا تولى السُّلطنةَ عليهم، وإِنما يُعدَّى هذا وأمثاله بحرف «على» لما فيه من القسر والغلبة والقهر والاستيلاء، كقولك: أخذتُ عليه ماله، ومن هذا القبيل قولك: لك ما عملتَ من الخير، عليك ما اعتملتَ من الشرِّ، وكذا: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢/٢٨٦]، وكذا «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، والمُلكُ: الاحتواء على الشيء مع القدرة على التصرُّف فيه.

والماءُ: هذا الجوهر السائل الشَّفاف الذي يتلوَّن بلونِ إنائه. والأمرُ: الحال والشأن.
«ولم يدنسها»: أي ولم يُلوثها ولم يُلطِّخها بالدَّنَس، والدَّنَس: الوسخ وزناً ومعنىً، ويُطلق على العار والعيب، وكلُّ نقص يُزري بصاحبه ويَشِينه، ومنه قولُ السَّموأل: [ديوانه ١٠]
إذا المرءُ لم يدنس من اللُّؤمِ عِرْضه فكلُّ رداءٍ يَرْتديهِ جَميلٌ
وتدنيسُ الثوب ونحوه تلوِثه بالقَدْر ونحوه، وتوسيح وتدنيس العِرْضِ إتيانُ القبائحِ وفِعْلُ المنكرات، وسوءُ الخُلُقِ تدنيسٌ للمروءة.

«الضَّرامُ»: اشتعالُ النارِ والتهابُها، قال نصرُ بن سيارٍ: [الحماسة البصرية ١/١٠٧]

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِیْضَ جَمْرٍ ويوشِكُ أن يكونَ لها ضِرامٌ
فإن لم يُطْفِئها عَقلاء قومٍ يكونُ وقودها جُثْثٌ وهامٌ

والضَّرَامُ أيضاً: ما تُوقَدُ به النارُ، وهو العِيدانُ والحَطَبُ والخشبُ الدقيقُ السريعُ

الالتهاب، قال حاتم: [ديوانه ٨٩]

ولا تَسْتُرِي قِدْرِي إِذَا مَا طَبَخْتِهَا عَلِيٌّ إِذْنُ مَا تَطْبُخِينَ حَرَامٌ
ولكنْ هَذَاكَ الْيَفَاعِ فَأَوْقِدِي بَجَزَلٍ إِذَا أَوْقَدْتَ لَا بِيضْرَامِ
يقول: إِذَا سَتَرْتَ الْقِدْرَ حَتَّى لَا يَرَاهَا الطَّرَاقُ فَهِيَ حَرَامٌ عَلِيٌّ، ولكنْ اجْعَلِي الْقِدْرَ فِي
ذَلِكَ الْمَكَانِ الْعَالِيِ الْمُرْتَفِعِ وَأَوْقِدِيهَا بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ الْغَلِيظِ الَّذِي تَدْوُمُ نَارُهُ طَوِيلًا وَيَكُونُ
لَهُ جَمْرٌ بَطِيءٌ الْانْقِفَاءِ، لَا بِالضَّرَامِ السَّرِيعِ الْالْتِهَابِ السَّرِيعِ الْانْقِفَاءِ.

وَيُقَالُ ضَرَمْتُ النَّارَ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ كَعَلِمْتُ وَتَضَرَّمْتُ وَاضْطَرَمْتُ؛ أَيِ اشْتَعَلْتُ
وَاتَّقَدْتُ، وَأَضْرَمْتُهَا أَنَا وَضَرَمْتُهَا وَاسْتَضَرَّمْتُهَا أَيِ أَوْقَدْتُهَا، وَقَوْلُهُمْ: (كَانَ فُلَانٌ يُخْرِجُ إِلَيْنَا
وَكَأَنَّ لِحِيَّتَهُ ضِرَامَ الْعَرَفَجِ). قَالَ فِي اللِّسَانِ [ضرم]: «الضَّرَامُ هَبُّ النَّارِ، وَإِنَّمَا شُبِّهَتْ لِحِيَّتُهُ
بِهَا لِأَنَّهُ كَانَ يُخْضِبُهَا بِالْحِنَاءِ». وَالضَّرَامُ تُطَلَّقُ أَيْضًا عَلَى النَّيْرَانِ، لِأَنَّهَا جَمْعُ ضَرَمٍ وَضَرَمَةٍ
بِفَتْحَتَيْنِ فِيهِمَا، وَهِيَ النَّارُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (مَا بَقِيَ فِي الْمَنْزِلِ نَافِخُ ضَرَمَةٍ)، أَيِ مَا بِهَا أَحَدٌ،
وَقَالَ طُفَيْلٌ: [ديوانه ٢٦]

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَالْجَامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرَفَجٍ مُتْلَهَّبٍ
يُصِفُ فِرْسًا أَشْقَرًا، وَأَعْرَافُهُ مَا فَوْقَ عُنُقِهِ مِنَ الشَّعْرِ. وَالْعَرَفَجُ كَجَعْفَرٍ: نَوْعٌ مِنَ
الشَّجَرِ سَرِيعِ الْالْتِهَابِ، وَقَوْلُهُ: سَنَا ضَرَمٍ إِلَى آخِرِهِ؛ أَيِ ضَوْءِ نَارٍ، وَأَرَادَ بِهِ لَوْنَ الشُّقْرَةِ،
وَقِيلَ: أَرَادَ أَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ السَّرْعَةِ وَخِفَّتِهِ فِي الْجُرْيِ كَأَنَّهُ يَضْطَرِمُ؛ أَيِ يَلْتَهَبُ، وَخَصَّ
الْأَعْرَافَ وَاللِّجَامَ لِكُونَ ذَلِكَ مَوْضِعَ نَظَرِ الْفَارَسِ.

«المُحْتَضَى»: بِالتَّسْهِيلِ مِنَ احْتِضًا النَّارَ، أَيِ أَوْقَدَهَا أَوْ فَتَحَهَا وَحَرَّكَهَا لِتَلْتَهَبَ.

المعنى: هذه الخمرة لم تُمزج ولم تُطبخ، وإنما هي بَحْتُ صِرْفُ عُمَلتْ بِطريقة غير
طريقة الطَّبْخِ عَلَى النَّارِ.

٢٢٠- حِينَا هِيَ الدَّاءُ وَأَحْيَانًا بِهَا مِنْ دَائِهَا إِذَا يَبِيحُ يُشْتَمَى
 «حِينًا»: أي وقتاً وآنًا وزماناً وساعةً وبرهةً، والحِين هو الزمان قلَّ أو كثر، طال أو
 قَصُرَ، وفي التنزيل العزيز: ﴿تُوْتِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ١٤/٢٥]، وفيه
 أيضاً: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١/٧٦]، وقال النابغة
 يَصِفُ حَيَّةً:

تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تَطَلَّقَهُ حِينًا وَحِينًا تُرَاجِعُ
 أي الذين يَرَقُونَ أُنذِرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَخْوِيفًا مِنْ سُوءِ سُمِّهَا، وَهِيَ تَفْتُرُ عَنْهُ أَوْ جَاعُهَا
 فِي وَقْتٍ مَا وَتُعَاوِدُهُ فِي وَقْتٍ مَا، وَيُرْوَى: «طَوْرًا وَطَوْرًا»، وَلَا شَاهِدَ فِيهِ، وَفِي الْكِتَابِ
 الْعَزِيزِ: ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [الصفات: ٣٧/١٧٤]، وَفِيهِ أَيْضًا: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾
 [ص: ٣٨/٨٨]، وَفِيهِ: ﴿وَلَاتِ حِينٍ مَنَاصِرٍ﴾ [ص: ٣٨/٣]، وَحَانَ حِينُهُ: قَرَّبَ وَقْتَهُ، قَالَتْ
 بَشِينَةُ: [التاج (حين)]

وَإِنْ سُلُوِيٌّ عَنْ جَمِيلٍ لِّسَاعَةٍ مِنْ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ وَلَا حَانَ حِينُهَا
 «هي الدَّاءُ»: أي المَرَضُ الَّتِي تَمْتَكِنُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْعَيْبِ وَالْعَارِ، وَمِنْهُ (أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنْ
 الْبُخْلِ) [البخاري: ٣٧٣١]، وَفَلَانٌ مَيِّتٌ الدَّاءُ؛ أَي لَا يَحْقِدُ قَطُّ، وَدَاءُ الْأَسَدِ الْحَمَى، وَدَاءُ
 الذُّبِّ الْجُوعُ، وَدَاءُ الطَّبِيِّ النَّشَاطُ وَالصِّحَّةُ، وَدَاءُ الْمَلُوكِ التَّرْفُ وَالتَّنْعَمُ، وَدَاءُ الْكِرَامِ الْفَقْرُ
 وَالذُّلُّ، وَدَاءُ الضَّرَائِرِ الشَّرُّ الدَّائِمُ، وَدَاءُ الْبَطْنِ الْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ، كَذَا فِي التَّاجِ. وَالْحَمْرُ دَاءٌ:
 أَي إِثْمٌ وَعَارٌ وَمَرَضٌ؛ لِأَنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ مَعْنَيِ الدَّاءِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، «وَدَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ
 الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ»، وَالْحَمْرُ دَاءٌ دَوَاؤُهُ الْجُلْدُ وَالتَّعْزِيرُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَقُولُونَ مَحْمُورٌ وَهَذَا دَوَاؤُهُ عَلِيٌّ إِذْ مَشَى إِلَى الْبَيْتِ وَاجِبٌ
 أَي يَقُولُونَ: سَكَرَانُ، وَالْجُلْدُ وَالتَّعْزِيرُ دَوَاؤُهُ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَسْكَرْ، وَإِنْ ثَبَتَ عَلِيٌّ فَلْيَكُنْ
 جَزَائِي الْحَجَّ مَاشِيًا، وَقَوْلُهُ هَذَا يَشِيرُ إِلَى كَلَامِ تَقَدَّمَ، وَمُضْمُونُهُ الْجُلْدُ وَالتَّعْزِيرُ.

«وأحياناً»: أي أوقاتاً وأزماناً. «بها»: أي بالخمرة التي هي داءٌ حقيقةً ومجازاً. «من دائها»: أي من المرض المُلابس للخمرة بالنسبة لمُستعملها.

«يُشْتَفَى» أي يُنال الشفاء، وفي اللسان: «لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَسَانَ بَهْجَاءِ كُفَّارِ قَرِيشٍ ففعل قال: شَفَى واشْتَفَى [مسلم: ٣٦٤٥]، أراد أنه شَفَى المسلمين واشْتَفَى هو بنفسه، أي اختَصَّ بالشفاء، وهو الصَّحَّة والعافية والبُرء من المرض»، وفي اللسان أيضاً ما نُصِّه: «وفي حديث المَدَدُوعِ «فَشَفَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ» [البخاري: ٢٢٧١]، أي عالجوه بكلِّ ما يُشْتَفَى به، فوضع الشفاء موضعَ العلاج والمداواة».

وفيه [شفي]: «قال الخليل: وسمعتُ بعضَ العرب يقول: أَخْبَرَنِي فَلَانٌ خَبِراً اشْتَفَيْتُ بِهِ؛ أَي انْتَفَعْتُ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ».

«إِذَا يَبِيعُ»: أي حين يَثُور ويشتدُّ، هذا على أَنه مِنْ هاجَ اللَّازِمِ، وَأما إِنْ كان مِنْ هاجَ الْمُتَعَدِّي فَالمعنى حين يُجْرِكُ الوَجَعَ وَيَبِيعُ الأَمَّ.

المعنى: الخمرة تكون مرَّةً مرَّضاً، وتكون في كثير من الأوقات دواءً يختصُّ بمعالجة الداء الذي حصل منها. والحاصل أنَّ الخمرة داءٌ على كلِّ حال، إلاَّ أنَّها إذا استحكمت من الإنسان بكثرة شُرْبِهِ لها وإدمانه عليها فهناك تصيرُ له بمنزلة الدَّواء، لكن لا يُعالج به إلاَّ المرضُ الذي نشأ من شُرْبِها، فتكونُ إذ ذاك بمنزلة الحَكِّ للمصاب بالجرَب.

٢٢١- قد صانها الخمارُ لِمَا اختارها ضناً بها على سواها واختبأ

«قد صانها»: أي قد حافظ عليها وحرسها، قال أوس بن حجر:

فإنَّا رأينا العِرْضَ أَحْوجَ ساعةً إلى الصَّوْنِ مِنْ رِيْطٍ يَمَانٍ مُسَهَمٍ
ويقال: الحَرِيْضُونَ عِرْضُهُ كما يَصُونُ البَخِيلُ دِرْهَمَهُ، والرِّيْطُ جَمْعُ رِيْطَةٍ، وهو ثوب

رقيق لين، قال سلمى بن ربيعة: [شرح الحماسة للمرزوقي ١١٣٧]

والبَيْضُ يَرْفُلْنَ كالدُّمَى في الرِّيْطِ والمُذْهَبِ المَصُونِ

والمُسَهَّم: المخطَّط بِصُورٍ وخطوطٍ على شكل السَّهام، واليَمَانِي نسبةٌ لليمن، والدَّمَى: الصُّور المنقَّشة من عاجٍ أو رُخامٍ أو نحوِه، وتُشَبَّه بها النساءُ الحِسان، وتُطلق على الأصنام. ويقال: اصْطَانَه كصَانَه، وأصلُه اصْتَانَه بالتاء، فقلبت طاءً لمناسبة الصاد، وقال أمية بن أبي عايد الهذلي:

وَأَبْلَغُ إِيَاساً أَنْ عَرَضَ ابْنُ أُخْتِكُمْ رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حُسْنَهَ أَوْ تَبَدَّلَ
«الْحَمَّازُ»: بائع الحَمْرَة. «لَمَّا اخْتَارَهَا»: أي حين انتقاها وانتخبها وتخيَّرها؛ أي استحسنتها وميَّزها على غيرها، ورآها خيراً من سواها، وفي نسخة «اختازها» بالحاء المهملة بدل المعجمة، وبالزاي المعجمة بدل الراء المهملة؛ أي انتقاها وحوأها وهو من حازَه يحوُزُه، إذا تملكه واستولى عليه واتَّخذه لنفسه واحتواه.

«صَنَّاَ بِهَا»: أي نفاسَةً بها وبُخلاً بها، يقال: صَنَّ به من الباب الرابع كَعَلِمَ صَنًّا وَصَنَانَةً بالفتح؛ أي تمسَّك به وبخَل أن يبذله لغيره، وأكثر استعمال هذه المادَّة فيما يُرغب فيه ويُحرص عليه من النفائس. «على سِوَاهَا»: أي على غيرها، أي اختارها وفضَّلها وميَّزها على غيرها صَنًّا بها. «واخْتَبَا» مُسَهَّلٌ اخْتَبَا الشَّيْءَ، أي ادَّخره وحفظه.

المعنى: تلك الخمرَة الموصوفة أنها بنت ثمانين، وأنها كعروس تُجْتَلَى، هي التي حافظ بائعها عليها ورآها أوَّلَى من سِوَاهَا بالافتناء والادِّخار تمسكاً بها ورغبةً فيها، وحرصاً عليها لنفاستها وامتيازها على غيرها بأوصافٍ اختصت بها ككونها مزوجةً تصرُّع صاحبها وتذهب بعقله بتمام السرعة.

٢٢٢- فُهَيَ ثُرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إِنْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا لِأَعْيُنِ النَّاسِ كَلَا
«فهي»: أي فالخمرَة التي ذُكرت في الأبيات المتقدمة، ووصفت بعدم المَرَج، وبأنها بنتُ ثمانين جُلْدَة، وبأنها مفضَّلة عند بائع الخمر على غيرها؛ لسرعة إذهابها عقول شاربيها، ولكونها تصرُّع صرعاً شديداً.

«تُرى»: أي تُشاهد، وتُنظر، وتُعاین، وتُبصر. «مِنْ طُولٍ»: أي بسبب امتداد. «عَهْدٍ»: أي زمنٍ ووقتٍ، وللعهد معانٍ كثيرة، والمراد هنا ما ذُكر. «إِنْ بَدَتْ»: أي إذا ظهرت. «في كأسِها»: الضميرُ للخمرة، والكأسُ إناء الشُّرب ووعاؤه، وبين القَدَح والكأس والكُوب فروقٌ ليس هذا محلُّ بيانها.

«لَأَعْيِنِ النَّاسِ»: أي لأبصار الأنام، والأعْيِن: جمعُ عَيْنٍ؛ وهي الحاسَّة الباصرة، والناس: هم بنو آدم، وهم البشر. ويُطلقُ الناس على الجنِّ مع الإنس بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١١٤/٥-٦].

«كَلَا»: أي كَلَا شيءٍ؛ أي أن الخمرة لشدة صفائها على فرض ظهورها في الكأس، فهي تُرى بمنزلة الخيال الذي لا حقيقة له، فهي كأنها لا شيء، ففي البيت الاكتفاء. المعنى: فهذه الخمرة من زيادة امتداد الزمن الذي قد مرَّ عليها، صارت صافية جداً، حتى إنَّها على تقدير ظهورها في إناء الزجاج التي هي فيه لا يُشاهد إلا خيالٌ لا حظَّ له من الحقيقة الخارجية، والمرادُ وصفُها بطول مُكثِّها في دَنِّها، وأنها صارت على غاية من الرقَّة، والصفاء. والله دُرُّ القائل: [ديوانه ١٧٦]

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَتِ الأُمْرُ
فكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ

٢٢٣- كَأَنَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي دُرُورِهَا بِفِعْلِهَا فِي الصَّخَنِ وَالكَأْسِ اقْتَدَى
«كَأَنَّ»: أداة تشبيه. «قَرْنَ الشَّمْسِ»: هو حاجِبُها، وهو طرفٌ من قُرصها حين تبدأ في

الطلوع، أو تَحْتَجِبُ تحت الغمام، كما قال الشاعر: [ديوان قيس بن الخطيم ٣٥]
تَرَاءَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ
وفي التاج عن الأزهري: حاجِبُ الشمس: قَرْنُها، والشمس: هذا الكوكبُ النَّهَارِيُّ
المُضِيء على العالم، الذي بَطْلُو عه يكون النهار، وبمَغْيِبه يكون الليل.

«في ذُرورها»: أي في طلوعها وظهورها وابتداء إشرافها على وجه البسيطة، وفي الأساس ما يقتضي أن الأصل أن يقال: ذَرَّ قَرْنُ البقرة، ونحوها، وأما ذَرَّ قَرْنُ الشمس فهو مجاز عنه، ومعناه: ابتداء في الطلوع، ومنه قول الحريري [المقامات ١/٢١٧]: (فَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الغزاة، طَمَرَ طُمُورَ الغزاة)، أي حين ظهر حاجبُ الشمس وثب وذهب كالظبية.

«بِفِعْلِهَا»: أي بفعل الخمرة. «في الصَّحْنِ»: وهو القَدَح، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

[ديوانه ٧٥]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي مُهُورَ الْأَنْدَرِينَا

أي ألا قومِي مسرعةً بصحنك فاستقينا الصُّبُوح، ولا تُبْقِي الخمر التي عند الأندريين نسبةً إلى الأندر، وهي قرية بالشام على يوم وليلة من حلب، فيها كروم كثيرة.

قال الزمخشري: الصَّحْنُ عُسٌّ عَرِيضٌ قَصِيرٌ الجِدَارِ كالجَام، وفيه [أي في الأساس (عسس)]: العُسُّ: القَدَحُ الضخْم، وفي التاج: الجَام: إِنْاءٌ مِنْ فِضَّة، وفيه: الجَام؛ الفأثور من اللُّجَيْن، وفيه: الفأثور: الطَّسْتُ أو هو الطَّشْتَخَانُ أو الخِوَانُ من رِخَامٍ أو فضة أو ذهب،

قال الشاعر: [ديوان حاتم الطائي ٨٠]

وَنَحْرًا كَفَأْثُورِ اللُّجَيْنِ يَزِينُهُ تَوَقُّدِ ياقوتٍ وَشَذْرًا مُنْظَمًا

ولمَّعَنَ بن أوس: [ديوانه ٢٣]

وَنَحْرًا كَفَأْثُورِ اللُّجَيْنِ وَنَاهِدًا وَبَطْنًا كَعَمْدِ السَّيْفِ لَمْ يَعْرِفِ الحَمَلَا

وفي النهاية: الفأثور: الخِوَانُ، وقيل: طَّسْتُ، وقيل: جَامٌ، ومنه «قُرْصُ الشمس؛

فأثورها، قال الأَعْلَبُ:

إِذَا انْجَلَى فَأْثُورُ عَيْنِ السَّمْسِ

والفأثور؛ الناجود، والباطية، والجفنة، وفي الرُّوض: هو سَيْبِكة الفضة، وقيل: إِبْرِيْقُ

فضة، وفي اللسان: الفأثور؛ المائدة بلغة أهل الجزيرة، والطَّسْتُ: إِنْاءٌ نُحَاسٌ، وهو الطَّسْتُ.

واللُّجَيْنُ؛ الفضة، قال الشاعر:

والرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى جُحَيْنِ الْمَاءِ
 وَصَحْنُ الدَّارِ: وَسَطُهَا، وَصَحْنُ الْفَلَاةِ؛ وَسَطُهَا، وَصَحْنُ الْأَرْضِ، مَا اسْتَوَى مِنْهَا،
 وَمِنَ الْمَجَازِ: جَرَى الدَّمْعُ عَلَى صَحْتِي وَجَحْتِي، وَقَالَ الشَّاعِرُ:
 لَهُ خَالٌ عَلَى صَفْحَاتِ خَدٍّ كَنُقْطَةِ عَنَبٍ فِي صَحْنِ مَرْمَرٍ
 وَالْحَاظُّ بِأَنْسِيَا فِي تُنَادِي عَلَى عِلْمِ الْهَوَى اللَّهُ أَكْبَرُ
 وَالكَأْسُ: إِنَاءُ الشُّرْبِ، وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ:
 تَلَقَى الضُّيُوفَ بِكُؤُسِ الْعَقِيرِ قَبْلَ كُؤُسِ الْعُقَارِ

فالأول: مصدر كاس العقير يكوس، أي: مشى على ثلاث قوائم، أو اثنتين، وسقط،
 والعقير: المعرّوب، والثاني: تخفيف الكؤوس، وهو جمع الكأس، والعقار بالضم: الخمر.
 «اقتدى»: أي ائتم وأتسى؛ أي فعل مثل فعله.

المعنى: كأن حاجب الشمس في ابتداء طلوعها، وأول ظهورها قد اقتفى أثر الخمر
 وحاكها وقلدها، وأراد أن يفعل كما تفعل في الصحن والكأس، ووجه المماثلة الإضاءة
 القليلة، أو الظهور القليل، وهذا من عكس التشبيه كما قال ذو الرمة: [ديوانه ١١٣١]
 وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ جَلَلْتُهُ الْمُظْلِمَاتِ الْحَنَادِسُ
 شَبَّهَ أَنْقَاءَ الرَّمْلِ وَكُثْبَانَهُ بِأَعْجَازِ النِّسَاءِ مِبَالِغَةً، أَي هَذَا الْمَعْنَى قَدْ ثَبَتَ لِأَعْجَازِ النِّسَاءِ،
 وَصَارَ كَأَنَّهُ الْأَصْلُ فِيهِ حَتَّى شُبِّهَتْ بِهِ كُثْبَانُ الْأَنْقَاءِ.

٢٢٤- نازعتها أروع لا تسطو على نديمه شرته إذا انتشى
 نازعتها: أي جاذبتها وعاطبتها، والمصدر: المنازعة كالمجاذبة، أي الاشتراك في النزاع
 والجذب، يقال: نزع الشيء، وجذبه، وانتزعه، واجتذبه؛ أي تناوله بقوة، ومنه نزاع الدلو
 من البئر، والسهم من الكنانة، ونازعتها الثوب؛ جاذبته إياه، يأخذ كل منا بطرف منه،
 ونزعه عرق الخال: مال يشبهه إليه.

والمنازعة أيضاً المخاصمة، والتنازع التخاصم؛ لأنَّ كلاً من الخصمين ينزع حُجَّتَه فيحضرها، ونزع يده من الطاعة، والفرس يُنازع فارسه العنان، وتنازعنا أكفنا للوداع، قال الراعي: [ديوانه ١٠٥]

يُنَازِعُنَا رَحْصَ الْبَنَانِ كَأَنَّهَا يُنَازِعُنَا هُدَابَ رَيْطٍ مُعْصِدٍ
أَيُّ يُصْحَفِحُنَّا، وَتَنَازَعُوا الْكَأْسَ: تَعَاطَوْهَا وَنَازَعْتُهُ كَأَسَ الْكَرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٥٢/٢٣] أَيُّ: يَتَعَاطُونَ، وَيَتَنَاوَلُونَ، وَيَشْتَرِكُونَ فِي أَخِذِهَا وَشُرْبِهَا.

«أَرْوَعُ»: أَيُّ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ، مَعَ الْكَرَمِ، وَالْفَضْلِ، وَالسُّؤْدُدِ، وَالذِّكَاةِ. «لَا تَسْطُو»: أَيُّ لَا تَصُولُ، وَلَا تَبْطِشُ، وَلَا تَتَطَاوَلُ، يُقَالُ: سَطَا عَلَيْهِ؛ أَيُّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَبَطَشَ بِهِ، وَسَطَا أَيْضاً بِمَعْنَى عَاقَبَ وَانْتَقَمَ، وَأَمِيرُ ذُو سَطْوَةٍ؛ أَيُّ يَشْتُمُ وَيَسْبُ وَيَضْرِبُ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْجَبَّارِ؛ أَيُّ احذِرْ أَنْ يَأْخُذَكَ بِشِدَّةٍ أَخَذَ الْعَزِيزُ الْمُقْتَدِرُ، وَسَطَا عَلَيْهِ، وَسَطَا بِهِ: فَهَرَهُ وَأَذَلَّهُ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَيَبْطِشُ فِي الْعِلْمِ السَّاهَوِيَّ بَطْشَةً أَرَادَ بِهَا يَسْطُو عَلَى تَبِجِ الْبَحْرِ
مَنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانَ يَبْطِشُ فِي الْعِلْمِ بِبَاعٍ بَسِيطٍ.

«عَلَى نَدِيمِهِ»: أَيُّ عَلَى مُنَادِمِهِ، قَالَ الْبُرَيْقُ الْهَنْدَلِيُّ: [أشعار الهذليين ٧٤٥]

رُزْنَتْ أَبَا زَيْدٍ وَلَا حَيٍّ مِثْلَهُ وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ أَخِي وَنَدِيمِي
أَيُّ أَخِي وَرَفِيقِي عِنْدَ الشُّرْبِ، وَكَذَلِكَ النَّدْمَانُ بوزن السَّكْرَانِ، قَالَ النَّعْمَانُ بْنُ نَضْلَةَ الْعَدَوِيُّ، وَقِيلَ: بَنُ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدُنَا عَمْرٌ قَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَيْسَانَ مِنْ كُوْرٍ دِجْلَةَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَأَسِطِ:

فإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلَّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ
وَالْجَوْسَقُ: الْقَصْرُ، وَهُوَ الْحِصْنُ أَيْضاً، وَيُقَالُ: لَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ سَيِّدُنَا عَمْرٌ، قَالَ نَعْمُ

يسوؤني، وعزله [سيرة ابن هشام ٩/٤]. وقال البرج بن مسهر: [الأغاني ١٤/١٤]

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيْبًا سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ
 أي: وكم نديمٍ يزيد طيب الكأس قد سقيته والنجوم غائبة، ونادمه مُنادمة: رافقه في
 الشَّراب، وجالسه على الشَّراب، ويقال: المُنادمة مقلوبة من المُدامنة؛ لأن النديم يُدمن
 الشُّرب مع نديمه، وهو في كلام العرب كثيرٌ، كالقسييِّ، أصلها قُوس، وكجذب وجبذ،
 وما أطيبه وما أيطبه، وخنز اللحم وخزن، والواحد والحادي بمعنى الفرد.

«شَرُّهُ»: أي نشاطه وحرصه ورغبته، وأصل الشَّرُّ مصدرُ الهيئة من شَرَّ الرجلُ من
 الباب الرابع والخامس، أي: صار صاحبَ شَرٍّ، والشَّرُّ: الظُّلم والفساد والسوء، وكل ما
 هو ضدُّ الخير فهو شَرٌّ، فالشَّرُّ بالكسر: هيئة صاحب الشرِّ، ولما كان ذلك يحصل في ريعان
 الشباب غالباً، أُطلقت الشَّرُّ على النشاط والحِدَّة والشِّدة والرغبة والحرص، ومنه شِرَّة
 اللِّسن أي: حِدَّة الفصاحة، وذلاقة اللِّسان، وطلاقته.

«إِذَا انْتَشَى»: أي إن سَكِرَ، وخُولِطَ عقله، ومنه قولُ سنان بن الفحل الطائي:

وقالوا قد جُنِنْتَ فقلتُ كَلًّا وربِّي ما جُنِنْتُ ولا انْتَشَيْتُ

المعنى: شاركتُ في الشُّرب رجلاً كبيراً، لا يُعزِّد على جليسه حينما يسكر، والمعنى أن
 معاشرته معاشرة العُقلاء، مع أنه بعد الشُّكر أشبه شيء بالمجنون، أو الكلب الكلب، أو
 الوحش العَفُور، ونحو ذلك من العوادي والضَّواري.

٢٢٥- كَأَنَّ نَوْرَ الرَّوْضِ نَظْمٌ لَفْظِهِ مُرْتَجِلاً أَوْ مُنْشِداً أَوْ إِنَّ شَدَا

«كَأَنَّ»: حرف تشبيه، وأداة تمثيل، ومنه كأنَّ الحرام جحيم، وكأنَّ الحلال نعيم.

«نَوْرَ الرَّوْضِ»: أي زَهْرَ البستان، والنَّور بفتح فسكون: هو الزَّهر وزناً ومعنى،
 وهو زهر الشجر، وزهر النبات أيضاً، وكذلك الثَّوار بوزن الرُّمَّان والثَّفَّاح واحده نُورَة
 كَرُمَّانة ونُفَّاحة.

والرَّوْضُ: اسم جنس جمعيٌّ، بينه وبين مفردة الهاء كالبقر والحمام والبَطِّ والثَّمَر

والزَّهر، والواحد منه رَوْضة؛ وهو المكان المُشتمِل على أشجار ومياه وعشب ونحو ذلك، وهو البُستان والحديقة، والحائط، والجَنَّة، والجَنينة بالتصغير.

«نَظَمُ لَفْظِهِ»: أي كلامه المتناسب الذي كأنه عقدٌ منظوم، والنَّظْم في الأصل: التأليف بين الأشياء، وضمُّ بعضها إلى بعض على وجه جميل، وكلُّ شيء قرنته بآخر فقد نظَّمته، يقال: نظَّم اللؤلؤ ونحوه؛ أي جمعه في سلك، والمطامع انتظَم وتَنظَّم، ودُرَّ نظْمُ أي منظوم، ومنه نَظْمُ الشعر، وانتظامُ أمور الحكومة ونحوها؛ أي استقامتها، واتَّساقها بحسن ترتيبها.

ونظَّم تنظيماً مبالغةً نظَمَ نظماً، والنَّظَام مصدر مسموع بمعنى النَّظْم، ويُطلق على الحَيْط الذي يُنظَم به اللؤلؤ ونحوه، وعلى مَلَاك الأمر وقوامه، ومنه قول الزمخشري: هذه أمورٌ عظام، لو كان لها نظامٌ، ويكون انتظَم بمعنى جَمَعَ، يقول الأَفوه: [ديوانه ٦]

تَحْلِي الجِمْجِمِ والسُّيُوفِ أَكْفُنَا ورِمَاخُنَا بِالطَّعْنِ تَنْتَظِمُ الكُلَى
تَحْلِي - من الباب الثاني كَضْرَب - أي تَقَطَّع، وتَنْتَظِمُ الكُلَى: تَجْمَعُهَا وتَحْرُقُهَا وتَنْفُذُ مِنْهَا.
واللَّفْظُ جمعُ لَفْظَةٍ؛ وهي الكلمة الخارجة من الفم، ويُجمع اللفظ أيضاً على أَلْفَظٍ،
واللَّفْظُ أصلُه مصدرُ لَفَظَ الشَّيْءَ، وَلَفَظَ بِهِ؛ أي أَلْقَاهُ، وطَرَحَهُ، وَجَّهَهُ، ورمى به من فمه كما يفعل آكلُ التمرَةِ بالنَّوَاةِ، ومن هذا قولهم: لَفَظَ الكلامَ وبه؛ أي تكَلَّمَ ونطق.

«مُرْتَجِلاً»: أي مُتَكَلِّماً على البديهة، وفي التاج: ارتجَلَ الكلامَ ارتجالاً، مثل اقتَضَبَهُ اقتضاباً؛ أي تكَلَّمَ به من غير أن يُهَيِّئَهُ، وقيل: أوردَه قائماً من غير تدبُّرٍ، وقيل: من غير تَرَدُّدٍ ولا تَلَعُّمٍ، وقيل: من غير رَوِيَّةٍ ولا فِكْرٍ، وكلُّ ذلك متقارب، وكلامٌ رَجِيلٌ؛ أي مُرْتَجِلٌ.

«أو مُنْشِداً»: أو حرف عطف، مُنْشِداً: اسم فاعل من أُنْشِدَ شِعْراً؛ إذا رَفَعَ صَوْتَهُ بقراءته، وهو على ما في الأساس مجاز من نَشَدَ الصَّالَةَ إذا رَفَعَ صَوْتَهُ بتعريفها ليجد صاحبها فيعطيه إياها، قال الشاعر:

يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعَهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

أَيَّ يَسْتَمَعُ وَيُضْغِي إِصْغَاءَ طَالِبِ الضَّالَّةِ لَصَوْتِ واجِدِهَا، وَمُعْرِفَهَا، يُقَالُ: نَشَدَهَا؛
أَيَّ طَلَبَهَا وَزَنَّا وَمَعْنَى، وَأَنْشَدَهَا؛ عَرَّفَهَا.

«أَوْ إِنَّ شَدَا»: أَوْ حَرْفَ عَطْفٍ، إِنَّ شَرْطِيَّةً، شَدَا: أَيَّ غَنَى وَتَرَنَّمَ، فَهُوَ شَادٍ، وَالْجَمْعُ
شُدَاةٌ، تَقُولُ: ذِكْرِي يَشْدُو بِهِ الشُّدَاةُ، وَيَخْدُو بِهِ الْحُدَاةُ.

المعنى: أزهار البساتين تُشبه مُتَنَاسِبَ كَلَامِهِ، سِوَاءً كَانَ مُتَكَلِّمًا عَلَى الْبَدِيهَةِ، أَوْ رَافِعًا
صَوْتَهُ بِقِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ مَتَرْنًا بِنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْغِنَاءِ وَالتَّطْرِيْبِ، وَالتَّلْحِينِ.

٢٢٦- مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتَهُ وَالْمَرْءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الثَّنَا

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُبْقَى بَعْدَهُ حَسَنَ الثَّنَا؛ مِنَ الْإِبْقَاءِ.

«مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى»: أَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَصَابَهُ الرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي الرَّجُولِيَّةِ، وَكَلِمَةُ
«كُلِّ» هِيَ لِلْإِحَاطَةِ بِالْأَجْزَاءِ أَوْ الْجُزْئِيَّاتِ، وَاسْتِغْرَاقِهَا وَاسْتِيعَابِهَا، قَالَ فِي التَّاجِ: وَلِلشَّيْخِ
تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ رِسَالَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ فِي مَبَاحِثِ كُلِّ، وَمَا عَلَيْهِ يَدُلُّ. فَرَاغَ إِنْ شِئْتَ. «مَا»:
تَكُونُ بِمَعْنَى الَّذِي، وَبِمَعْنَى شَيْءٍ، «نَالَ»: أَيَّ أَصَابَ، وَوَجَدَ، وَحَصَلَ، وَأَذْرَكَ، وَحَازَ،
وَحَوَى.

و«الْفَتَى»: بِالْفَتْحِ مَقْصُورًا: الشَّابُّ الْحَدِيثُ السِّنِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
الْفَتِيَانِ»، كَمَا قَالُوا: «الْجَدِيدَانِ، وَالْأَجْدَانِ»، وَفَتَى النَّهَارِ؛ أَيَّ ضَحَاهُ، وَصَدْرَهُ، وَأَوَّلَهُ،
وَالْفَتَاءُ: الشَّبَابُ وَزَنَّا وَمَعْنَى. قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاءُ

وَقِيلَ: الْبَسَاشَةُ بَدَلُ اللَّذَاذَةِ، وَيُطْلَقُ الْفَتَى عَلَى الرَّجُلِ الْقَوِيِّ السَّخِيِّ الْكَرِيمِ الْكَامِلِ
الرَّجُولِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ، وَلَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ».

٢٢٧- فَإِنْ أَمُتْ فَقَدْ تَنَاهَتْ لَدَّتِي وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ أَنْتَهَى

«فَإِنْ»: الْفَاءُ حَرْفُ عَطْفٍ، وَإِنْ أَدَاةُ شَرْطٍ، «أَمُتْ»: أَعْدَمْتُ حَيَاتِي، وَأَفَارِقُ رُوحِي

وَتَزْهَقُ نَفْسِي، «فقد»: الفاء في جواب إن، وقد حرفٌ تحقيق وكلمة تأكيد، «تَنَاهَتْ»: أي انتهت ووصلت إلى النهاية، قال زيادة بن زيد العُدري:

إِذَا مَا انْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلِي أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ
و«انتهى» كتنهَى، قال أبو ذؤيب: [أشعار الهذليين ١٦٢]

ثُمَّ انْتَهَى بَصْرِي عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَّغُوا بَطْنَ الْمَخِيمِ فَقَالُوا الْجَوُّ أَوْ رَاحُوا
وإنما عُدِّي «انتهى» بعن لتضمينه معنى انقطع، وللعجاج: [ديوانه ٢٢٣]

حَتَّى تَنَاهَى فِي صَهَارِيحِ الصِّفَا
خَالَطَ مِنْ سَلَمَى خِيَاشِيمَ وَفَا
صَهْبَاءَ حُرْطُومًا عَقَارًا قَرَفَقَا

وَمُنْتَهَى الْأَمْرِ وَمُنْهَاتُهُ: نهايته، قالت ليل الأَخيلية: [ديوانها ١٠٦]

أَلَمْ تَعْلَمْ جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا بِأَنَّ الْمَوْتَ مَنَهَاةَ الرَّجَالِ

وقال جرير: [ديوانه ٥٢٠]

حَتَّى أَنْخَنَا عِنْدَ أَبْوَابِ الْحَكْمِ فِي بُؤْبُؤِ الْعِزِّ وَمَنْهَاةِ الْكِرَمِ
وَمَهَاةِ أَي كَفَّهُ، كأنه أوقفه عند النهاية، قال ابن مُقْبِل: [ديوانه ٣٢٦]

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقْمَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الشَّرَى حِينًا
أي إذا أمطر لم ينهل، كما في الأساس [نهي].

«لَدَّتِي»: وفي بعض النسخ مُدَّتِي، واللذة: طيبُ الشيء الشهي، واللذة إدراكُ الشهوة،
وأما مُدَّتِي فمعناها وقتي وزماني وحيني وأواني.

«وَكُلُّ شَيْءٍ»: الواو للاستئناف معنى والربط لفظاً، ولفظة كُلُّ للاستغراق والإحاطة
والاستيعاب، والشئ هو الوجود مطلقاً، وقيل: بل والمعدوم، وقال سيويوه: إنه أعمُّ عامٌّ،
وأصله مصدرٌ شاء أي أراد، وهو بمعنى المفعول، أي الذي يُمكن أن يُراد ويُقصد.

«بَلَغَ الْحَدَّ»: أي وصل إلى غايته المحدودة له، وبلغ كوصل وزناً ومعنى، والحدُّ يكون

بمعنى الفصل والمنع، والمرادُ به هنا الطرفُ الأخير من الشيء، وهو غايته ونهايته، وآخره. «انتهى»: أي كَفَّ وامتنع وتوقف عن التهادي، أو انتهى، أي تم وانقضى وفرغ ونفذ من انتهى مطاوع تمى أو انتهى وصل إلى النهاية.

المعنى: فإذا عَدِمْتُ حياتي بانقضاء أَجَلِي فقد اكتفيتُ من التمتع بملاذ الدنيا والتنعم بطيباتها، أو فقد تمتَّ المدة المعينة لحياتي وبلغتُ نهايتها ووصلتُ إلى مُنتهاها، وكلُّ شيء وصل إلى غايته فشأنه أن يقف هنالك ولا يتهادى.

٢٢٨- وَإِنْ أَعِشْ صَاحِبْتُ دَهْرِي عَالِماً بِمَا انطوى مِنْ صَرْفِهِ وَمَا انْتَشَى

وفي بعض النسخ «وما انسرى»، «وإن أعش»: أي وإذا بقيتُ في حيز الحياة في هذه الدنيا، «صاحبتُ دهري»: أي رافقتُ زماني وقارنته، والمرادُ بالمصاحبة للدَّهر المصاحبة لأهله، والمصاحبة: المقارنة والمرافقة والملازمة والمعاشرة، وهي مُفاعلة من الصُحبة، وهذه مصدر صَحَبَه من الباب الرابع كَعَلِمَ، أي لَزِمَهُ.

والدَّهر الزَّمان قَلٌّ أو كَثْرٌ، وقيل: بل الزمان الطويل، وقيل: هو اسمٌ لمُدَّة العام من أوله إلى آخره، وإطلاقه على القليل مجاز، قال الشاعر:

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ حَبْلِي بِجُمْلٍ لَزِمَانٌ قَدْ هَمَّ بِالْإِحْسَانِ
ودَهْرٌ دَهَارِيرٌ ودُهورٌ دَهَارِيرٌ، أي مختلفَةُ النوائب متنوعَةُ الحوادث، وقيل: ذاك وصفٌ بالطول.

«عالمًا»: أي مُطَّلِعًا عَارِفًا، وهو اسم فاعل من العَلِمَ، وهو إدراكُ الشيء وفهمه، وقد يكون بمعنى الشعور والإحساس، وهو أعني العَلِمَ ضدَّ الجهل، وقيل: العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وقيل: صفةٌ تُوجب تمييزاً لا يَحتمل النقيض، وقيل: حصولُ صورة الشيء في العقل، وقال بعضهم: لا يُجَدُّ، أي لا يُعرَف لكونه ظاهراً بالبداهة، وقيل: بل لصعوبته وعُسره، وقيل غير ذلك ممَّا يطول ويدعو إلى الملل، ومثله الاختلافُ في الرُّوح والعقل والنفس، ولا عَجَبَ، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴿ [الإسراء: ١٧/٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ١٨/٥٤].

«بِمَا انطوى»: كأنه ضمن العلم معنى الشعور والإحساس، فعَدَّاهُ تُعَدِّيَّتُهُمَا، أي بالباء، وكلمة ما اسم، إمَّا موصولٌ بمعنى الذي، أو نكرة موصوفةٌ بمعنى شيء، وانطوى أي استتر وتوارى واستخفى، وأصله من انطواء الثوب ونحوه، أي انعطافٍ بعضه على بعض وانثائه، ومنه انطواء البلاد للمسافر وانطواء الأخبار عن المتجسس، وانطواء الحية أي استدارتها، وهو مطاوعٌ طواه يطويه طيًّا، وضده نَسَرَهُ نَسْرًا.

«مِنْ صَرَفَهُ»: أي من نوابه وحوادثه وتقلباته وحطوبه، وأصله مصدرٌ صَرَفَهُ عن وجهه من الباب الثاني كَصَرَبَ، أي رَدَّهُ وأرجعه، ومنه: «اللهم اصرف عنا الشوء»، وأستصرفُ الله المكاره» أسأله أن يصرفها، وصرفُ الدهر جمعه صُرُوفٌ، وأمَّا تصاريفُ الدهر فهي في الأصل جمع تصريف، وهو صيغة المبالغة من الصرف المذكور.

«وما أنسرى»: أي والذي انكشف وبان وظهر، وهو مطاوعٌ سَرَاهُ يَسْرِيهِ سَرِيًّا كَسَرَاهُ يَسْرُوهُ سَرًّا إِذَا نَزَعَهُ وَأَلْقَاهُ عَنْهُ، ولابن هرمة: [ديوانه ١٦٦]

سَرَى ثَوْبَهُ عَنْكَ الصَّبَا الْمُتَخَايِلُ وَأَذَنَ بِالْبَيْنِ الحَلِيْطُ المَزَايِلُ
أي كَشَفَهُ وَخَلَعَهُ، وأمَّا «انْتَشَى» فمعناها شَمٌّ وأيضاً سَكْرٌ، ولعلها تكون بمعنى ظَهَرَ
وبَدَا وَحَدَّثَ كَنْشًا، وحينئذٍ يصحُّ المعنى عليها، وإلَّا فأنسرى هي الصَّحِيحَةُ.

المعنى: وإن بقيتُ في قيْدِ الحياةِ عاشرتُ أهلَ زمانِي، وخالطتُ أبناءَ عَصْرِي، وأنا واقفٌ على تقلُّباتِ الدهرِ سواءٌ كانت غامضة خفيَّةً أو واضحة جليَّةً.

٢٢٩- حَاشَا لِمَا أَسَارَهُ فِي الحِجَى وَالْحِلْمُ أَنْ أَتَّبِعَ رُوَادَ الحَنَى

«حاشا»: يقال: حاشى الله وحاش لله، أي معاذ الله وبراءة الله، وتنزيهاً لله وتقديساً لله،

وهي من حاشاه إذا استنناه، قال النابغة:

ولأرى فاعلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ وما أحاشي من الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
وحاشاك وحاشى لك بمعنى واحد، وكذا حاش لك من غير مدِّ الشَّيْنِ، وحشاك بلا
مدِّ للحاء، قال الشاعر:

حَشَى رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّ مِنْهُمْ بُحُوراً لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ
وقال الأقيشر:

فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا الصَّليبَ إِلَهُهُمْ حَاشَايَ إِنِّي مُسْلِمٌ مَعْدُورٌ
معدور أي مختون، ويكون بمعنى مقبول العذر.

«لِمَا»: أي للذي أو لشيء. «أَسَارَهُ» أي أَبْقَاه وَأَفْضَلَهُ ولم يَسْتَقْصِصْهُ، يقال: أَسَارَ الآكِلُ
أو الشَّارِبُ فِي الإِنَاءِ سُوراً، أي أَبْقَى بَقِيَّةً وَأَفْضَلَ فَضْلَةً، ولم يَسْتَوْعِبْ جَمِيعَ مَا فِي الإِنَاءِ.
«فِي»: بِإِدْغَامِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي يَاءِ الْحَرْفِ الْجَارِّ الَّذِي هُوَ (فِي). «الْحِجَى»: هُوَ الْعَقْلُ وَالْفِطْنَةُ،
قال الأعشى:

إِذْ هِيَ مِثْلُ الْغُصْنِ مَيَّاسَةً تَرُوقُ عَيْنِي ذِي الْحِجَى الزَّائِرِ
«وَالْحِلْمُ»: الْعَقْلُ وَالْأَنَاةُ وَضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعُ عَنِ هَيْجَانِ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمُ: الصَّنْفُوحُ
وَالسُّرَّةُ، قَالَ حَاتِمُ:

تَحَلَّمَ عَنِ الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وَدَّهْمٌ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَ
وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْحَلِيمِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْتَخْفُهُ عِصْيَانُ الْعِصَاةِ، وَلَا يَسْتَفْزُهُ الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ.
«أَنْ أَتَّبِعَ»: أَي أَنْ أَلْحَقَ، يُقَالُ: تَبِعَهُ إِذَا مَشَى خَلْفَهُ أَوْ مَرَّ بِهِ، فَمَضَى مَعَهُ، وَتَبِعَهُ: سَارَ
فِي إِثْرِهِ وَذَهَبَ حَيْثُ ذَهَبَ، وَالْمَصْدَرُ التَّبَعُ بِفَتْحَتَيْنِ، قَالَ مُصَرِّفُ ابْنِ الْأَعْلَمِ الْعُقَيْلِيِّ:
فَلَعَمْرُ عَادِلْتِي عَلَى تَبَعِ الصَّبَا إِنِّي بِحُجْبِ الْغَانِيَاتِ لَمَوْلِعُ
أَقْسَمُ بِعَمْرُهَا تَهَكُّمًا بِهَا.

«رُؤَادَ الْحَنَّا»: أَي طُلَّابَ الْفُحْشِ، وَوَأَحَدُهُمْ رَائِدٌ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ رَادٍ يَرُودُ،

ومن كلام سيدنا علي: «يدخلون رُوداً ويخرجون أدلة»، أي أن الصحابة كانوا يدخلون على سيّد الوجود عليه الصلاة والسلام ملتجئين للعلم، ويخرجون هداة للناس، والحنى بالفتح مقصوراً هو الفُحش والكلام القبيح، والمنطق الفاسد والقول السيئ. المعنى: هيهات أن أقلد ذوي الفحشاء بعد أن أبقي العقل والحلم نتيجةً صالحة وفائدة نافعة وأثراً فاضلاً.

٢٣٠- أَوْ أَنْ أَرَى لِنَكْبَةٍ مُخْتَضِعاً أَوْ لَابْتِهَاجٍ فَرِحاً وَمُرْذَهَى

«أو»: حرف عطف. «أن أرى»: أي أن أشاهد أو أظن، كما قال الشاعر:

وَكُنْتُ أَرَى زِيداً - كَمَا قِيلَ - سَيِّداً إِذَا إِنَّهُ عَبَدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ

وهي - أعني: أرى - مجهول أرى أي أعين وأشاهد وأبصر وأدرك بحاسة العين

الباصرة، ويكون بمعنى: أظن وأتوهم وأتخيل، ويكون بمعنى أعتقد.

«النكبة»: أي لمصيبة ولبليّة ولرزية، والنكبة مصدر المرة من نكبتة الحجارة إذا أصابت

رجله صدماً حتى جرحته، ثم استعمل في كل ما أصاب مما يؤلم، قال حاتم:

إِذَا قَلَّ مَالِي أَوْ نُكِبْتُ بِنَكْبَةٍ قَنِيتُ حَيَائِي عِفَّةً وَتَكَرُّماً

ولبعضهم:

وَفِي نَكَبَاتِ الدَّهْرِ أَكْبَرُ عِبْرَةٍ تَقُولُ: ثِقُوا بِاللَّهِ لَا بِالْخَلَائِقِ

«مختضعاً»: أي خاضعاً ذليلاً من اختضع، أي ذلّ وتواضع وهو أبلغ من خضع، لأنه

افتعالٌ منه، وزيادة المبنى تقضي زيادة المعنى، كالكسب والاكْتِسَابِ، والعمل والاعتمال.

«أو»: حرف عطف. «لابتهاج» أي لسُرور. «فرحاً»: الفرح بفتح فكسر يكون بمعنى

المسرور الفرحان، ويكون بمعنى البطر الأشر، وهو الدهش والحيرة بسبب إقبال النعمة،

والتكبر وعدم القيام بحق الغنى، وفيه بطر وطرب، وهو مجاوزة الحد في المرح، وخفة

النشاط، والزعل والمرح والبطر والأشر متحداتٌ وزناً متقارباتٌ معنىً.

«وَمُرْدَهِيَّ»: أَي مُسْتَفْزِئٌ وَمُسْتَخَفٌّ، وَهُوَ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَرْدَاهَا إِذَا اسْتَفْزَعَتْهُ
وَاسْتَخَفَّتْهُ، وَمِنْهُ فُلَانٌ لَا يُرْدَهُى بِخَدِيعَةٍ، أَي لَا يُحْمَلُ عَلَى الطَّيْشِ بِسَبَبِ الْخِدَاعِ.
المعنى: أَوْ أَنَّ أَدْلَّ سَبَبَ نَائِبَةٍ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ، أَوْ أَنَّ أَكُونَ سَبَبَ السَّرُورِ دَهْشًا مُتَحِيرًا
بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَإِقْبَالِ الدُّنْيَا، غَيْرَ قَائِمٍ بِحَقِّ الْغِنَى، مَحْمُولًا عَلَى الطَّيْشِ وَالْخَفَّةِ.

انتهى شرح المقصورة الدرديدية

يَوْمَ الْأَحَدِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ
وَالْعَشْرِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ وَالثَّلَاثِينَ هِجْرِيَّةً، عَلَى يَدِ جَامِعِهَا وَمَوْلَفِهَا:

عبد القادر بن محمد المبارك

الدَّمَشْقِيُّ مَنَشَأً، الْجَزَائِرِيُّ أَصْلًا، الشَّاذِلِيُّ طَرِيقَةً،

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهَذَا التَّأْلِيفِ وَيُجْزِلَ الثَّوَابَ لِمَنْ بَذَلَ جِهْدَهُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيَدِيمَ لُطْفَهُ
بِهِ وَبِوَالِدَيْهِ، وَبِكُلِّ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ،
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ كُلِّ أَجْمَعِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



